



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
ببورسعيد

نحو تأصيل إسلامي
لدراسة التاريخ وتفسيره

أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره

نماذج من عصر الخلافة الراشدة

الدكتور
أحمد خليل الشال

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية
ببورسعيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلَدُ الْإِسْلَامِ
الطَّبَعُ الْخَوَاطِئَ
عُذْرًا لِمَنْ عَفَا رَبُّكَ
عَنْهُ إِنَّ عَفْوَكَ أَكْبَرُ
مِنَ الْإِسْلَامِ

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٧٥٧٢ / ٢٠١٦ م

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد
المركز جهة علمية أكاديمية مستقلة لا تتبع حزباً ولا جماعة

هاتف / 01099956371

isrcps@yahoo.com

<https://www.facebook.com/ISRCPS>

١٣ مساكن علي بن أبي طالب - الطاقة الشمسية - حي الزهور / بورسعيد

هذا البحث رسالة علمية نوقشت بتاريخ ٢٦/٩/٢٠١٢ م
وحصل بها الباحث على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بمرتبة
الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة

أشرف عليها كل من:

من الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين

والدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد عبّية

وناقش الباحث كل من:

الأستاذ الدكتور عبد الله جمال الدين

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

والأستاذ الدكتور عبد المقصود عبد الحميد باشا

الأستاذ بجامعة الأزهر

إهداء

.. إلى التي هي للعلوم دار ..

.. إلى كلية دار العلوم ..

.. إلى أساتذتها الكرام ..

.. تعلمنا منكم الكثير ..

.. نفع الله بها وبكم ..

.. آمين ..

شكر ونقماير

أقدم بكل الشكر والعرفان لأستاذيَّ
الكريمين المشرفين على هذه الرسالة
الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين
والدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد عبَّية
وأستاذيَّ الفاضلين اللذين تفضَّلا عليَّ بمناقشتها
الأستاذ الدكتور عبد الله جمال الدين
والأستاذ الدكتور عبد المقصود عبد الحميد باشا
فجزى الله الجميع خير الجزاء
وجعل هذا العمل في ميزان حسناتهم يوم القيامة

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله^(١).

أما بعد ..

فقد تعالت الصيحات مؤخرا بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وذلك بدعوى تنقيته مما حَلَّ به من أكاذيب شوهدت صورته.

وهذه - في رأيي - دعوى تحتاج إلى إعادة نظر في صياغتها والمعنى المقصود منها، ذلك أن التاريخ الإسلامي قد فُرغ من كتابته، فهو ليس في حاجة إلى إعادة كتابة، فقد فَرَّغ أصحابه أنفسهم من كتابته، كلُّ في عصره، وذلك واضح بما رووه وسطروه في تصانيفهم.

ومن ثم فالصحيح أن التاريخ إنما هو في حاجة إلى إعادة تفسير. وسبيل ذلك فحص تلك المصادر القديمة وتمحيص مرويات أصحابها، للتعرف على المقبول منها والمردود، ثم إعادة قراءة المقبول من هذه المرويات بعقلية مسلمة واعية، من أجل تقديم التفسير الصحيح لهذه الفترة أو تلك.

وتلك أهم سبيل من سبل تنقية صورة تاريخنا. وفرق بين قولنا (تنقية الصورة) و(تنقية التاريخ نفسه)، فما كُتِب لا يمكن حذفه من المصادر والكتب والمدونات، إذ إنه صار إرثا يتوارثه الأبناء عن الأجداد بكل ما فيه من صالحه وطلحه، شئنا أم أبينا.

ومن ثم فإن مهمة الوارث تنحصر في مجرد تصنيف ما ورثه، فيقول هذا صالح للإنفاق وهذا زيفٌ لا يصلح. وما أصعب هذا الأمر!

ذلك أن تصنيف هذا التراث ليس بالأمر اليسير، إذ هو يحتاج إلى ميزان نقدي عسير في معياره، مرهق في استعماله، يحتاج إلى جلد، وصبر، ومعاناة شديدة، أعرض بسببها كثير من أبناء هذا التراث عن تلك المهمة الشاقة، معتلين بحجة واهية: «أن لو طُبِق هذا المنهاج على التاريخ ما بقي في أيدينا شيء يُعتد به». فأجابهم بعضهم غيراً على هذا التراث قائلاً: «وتلك نظرة متسرعة، وأخشى أن أقول متكاسلة، تحجم عن بذل الجهد لأنها تعلم مشقته، فتحكم ابتداء بأنه لن يؤدي إلى نتيجة»^(٢).

(١) رواه مسلم برقم ٨٦٨.

(٢) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ١١٢.

وكان من نتائج هذا الإعراض أن غزينا من قبل الدخلاء على هذا التراث فأفسدوا في تراثنا^(١) حين خلطوا الصحيح بالسقيم، ثم قالوا هذه بضاعتكم رُدَّتْ إليكم، فلم يكن الخطأ منهم بقدر ما كان منا، حين قَبِلَ بعضنا هذا منهم راضياً آمناً مصدقاً. وهذا مثل المسلم والمستشرق غير المسلم.

ومن ثم، فلم أجد بُدًّا من انتهاج هذا المنهج العسير في هذه الدراسة في سبيل فحص تلك المصادر القديمة وتمحيص مرويات أصحابها، للتعرف على المقبول منها والمردود، ثم إعادة قراءة المقبول من هذه المرويات من أجل الإعانة على تقديم تفسير صحيح لشيء من تلك الفترة محل الدراسة، فترة الخلافة الراشدة، في محاولة مني لتتقية شيء من صورة هذا التاريخ المشرق.

التاريخ في صدر الإسلام جزءٌ من علوم الرواية:

ولكن بحكم وقوع موضوع هذه الرسالة في ميدان قسم التاريخ من الدراسات المعاصرة، كان أمام الباحث صعوبة أخرى، وهي تلك النظرة التي تنظر بها مناهج الدراسات المعاصرة، إذ هي تفصل دائماً بين علوم وعلوم بسبب التخصص! وهذا أمر لم يعرفه أكثر القدماء عند نظرهم في علومهم التي ندرسها الآن، وخاصة المؤرخين منهم، فهم كما كانوا مؤرخين، فقد كانوا أيضاً محدثين، وفقهاء، وأدباء.. وهم حين كتبوا تاريخهم لم يكونوا بَمَعزِلٍ عن هذه العلوم التي أثَّرت تأثيراً واضحاً فيما كتبه أصلاً وغاية، فكيف ندرس تاريخهم بعد ذلك مُجرِّداً من هذه السمة التي غلبت عليهم؟!

ذلك أن التاريخ والأخبار في صدر الإسلام جزءٌ من علوم الرواية، ومن ثم فلم يفصل المسلمون الأول - أهل القرون الثلاثة الأولى - بينها وبين غيرهما من علوم الرواية الأخرى من حيث منهاج العرض والنقد. ذلك أن مَنْ نقل إلينا الحديث نقل أيضاً التاريخ والأخبار، والأدب.. ومن ثم فإنه لا يجوز لنا بحال عند الحديث عن أي علم يدخل عند المسلمين في هذا العلم العام - علم الرواية - أن نفصل بين بعضه البعض بمنطق التخصص المعاصر الذي لم يعرفه القدماء. فالتاريخ والأخبار والسنن والقراءات والشعر.. كلها أجزاء داخلية في أرومة هذا العلم العام، نشأت فيه، وأحييت بسياجه، وعملت بمنهاجه، وإن تفرعت أبوابه. وعليه، فإن أي فصل بينها عند الحديث عنها في ذلك الزمان المبكر سيؤدي إلى نتائج مغلوطة^(٢). وهذا ما أُلجأ

(١) ولم يكن هذا الإفساد في بادئ الأمر موجهاً إلينا عن قصد منهم بقدر ما كان موجهاً لبني جلدته هذا المفسد. وهذا حديث سيأتي تفصيل الكلام فيه عند حديثنا عن الاستشراق في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى.
(٢) وقد أشار إلى شيء من هذا الدكتور أحمد شلبي في قوله: «وحرّف التاريخ كذلك حينما لم يعتمد على القرآن الكريم أو الحديث الشريف فيما ورد فيه قرآن أو حديث». موسوعة الحضارة الإسلامية، المناهج الإسلامية، ص ١٦١.

الباحث رغما عنه أن ينظر إلى تلك الفترة أثناء دراستها بنظرة أهل العصر الذي يبحث فيه، وإلا اختلت النتائج.

وهذا المنهاج يقوم في أصله عند أصحابه على الجمع بين نقدين: نقد للإسناد، وهو ما اختص به المحدثون في زماننا. ونقد للمتن، وهو ما يقوم عليه المنهج التاريخي في دراساتنا المعاصرة. ولا ينبغي تقديم واحد على الآخر ما دمنا في حقل الرواية: تاريخية كانت، أو حديثة، أو أخبارية..

وأما ما يقوله البعض أن لو طبّق هذا المنهاج - منهاج علم نقد الرواية كما هو عند أصحابه الأول^(١) - على التاريخ ما بقي في أيدينا شيء يُعتد به. فأقول: إنه تأكيد لي من خلال هذا البحث أن دراسة تاريخنا الإسلامي، وبخاصة فترة القرون الثلاثة الأولى بغير منهاج نقد الرواية المعروف الآن عند المحدثين، تعني نقصا شديدا في منهج الدراسة، واضطرابا في نتائجها، بل إني أذهب إلى أبعد من ذلك، وهو وجوب اعتماد هذا المنهاج ما دامت دراسة في ذلك العصر، إذ بدالي أن الرواية التاريخية تحتاج في نقدها إلى منهاج أشد من منهاج المحدثين إن وُجد! ذلك أن معنى تساهل المتقدمين في الرواية التاريخية الأخبارية دون الحديثية أو قبحهم في رواية مرويات من الوهن بمكان، تحتاج في تمحيصها إلى شدة لا تقل شأنًا عن تلك التي تُعامل بها مرويات الحديث، لشيوع الأهواء الحزبية والمذهبية آنذاك بين أتباع الفرق المتناحرة والمختلفة، زاد في الحاجة الملحة لذلك سكوتهم غالبا - وهذا من باب التساهل في الرواية التاريخية الذي صرح به القدماء - عن مثل هذه المرويات لعلمهم بحالها في ذلك الزمان المتقدم، فأخذها اللاحقون عليهم فاحتجوا بها، وهم لا يشعرون.

التشدد والتساهل في الرواية:

أما فيما يخص التشدد والتساهل في استعمال هذا المنهج النقدي بشقيه (الإسناد والمتن)، فهذا أيضا من الأمور التي دار حولها لغط كثير، إذ كان مما اشتهر بين المتأخرين أن القدماء تساهلوا في رواية التاريخ والأخبار ما لم يتساهلوا في رواية الحديث. وهذا في الواقع لا يعني عندهم عدم الفحص والتمحيص، أو أنهم أجازوا الاحتجاج في التاريخ بغير الصحيح. وإنما يعنون بالتساهل هنا، التساهل في التحمل والأداء - كتابة ورواية - بمعنى أنهم إذا كانوا يذمون الرواية عن الضعفاء معلومي الضعف في الحلال والحرام، فإنهم أجازوا ذلك في غيره مع بيان الإسناد، فضلا عن علمهم المسبق بضعف الرواية من عدمه. وهذه كلها من القضايا التي ستتناولها هذه الرسالة بالدراسة والتمحيص والتمثيل والاستدلال، تفصيلا وإجمالا.

(١) وهو المعروف بعلم الحديث.

المهم أنه عند الاحتجاج، تصير القضية عندهم غير مستهان بها من حيث صحة الرواية من عدمها بأي سبيل كان.

أما أن يختلف شرط الناقد في التصحيح والتضعيف عنده، فهذه قضية أخرى، المهم أن هذه الرواية أو غيرها تصح عند ناقدها أم لا.

لذلك أجدني غير متفق مع ذلك الرأي الذي يميز بين النقاد القدماء من حيث أحكامهم على المرويات - لا من حيث منهج الرواية تحملاً وأداء كما مرّ آنفاً - ما بين متساهل ومتشدد، إذ إن الحكم على الرواية عندهم في النهاية دين واعتقاد، لا يصح فيه وصف صاحبه بالتساهل أو التشدد، ذلك أن كلا منهم عمل وفق شرطه الذي يدين به في عمله النقدي، ويراه من وجهة نظره السبيل القويم والمنهاج الصحيح الذي بذل فيه الوسع والجهد من أجل قبول الخبر أو رده، ومن ثم الاحتجاج به من عدمه، وعليه فإني أرى في وصف أحكامهم بالتساهل أو بالتشدد اتهاماً لآحادهم، وأحرى بنا أن نقول هو خطأ وصواب^(١).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

هذا، وقد كان من خبر هذه الدراسة أنها مرت بعدة مراحل تقلبت فيها على جوانب شتى حتى استقرت على صورتها التي هي عليه الآن. وسبب ذلك تعقد موضوعها وتشعبه، فضلاً عن كونها تعرض لنماذج من فترة تاريخية شائكة، كانت أساساً لتحويلات مذهبية وعقدية خطيرة بعد ذلك في تاريخ الأمة، وما ذلك إلا لما حوته تلك الفترة من حوادث مهمة وخطيرة لا زال أثرها باق في الأمة إلى وقتنا هذا.

وقد زاد من خطر آثار تلك الفترة ذلك القدر الكبير من الكذب والتزوير الذي لحق كثيراً من مروياتها حتى أضر ذلك بها وبأصحابها ضرراً بالغاً. ذلك أن أعداء هذه الأمة حين استعصى

(١) وهذا يفسر لنا اختلافهم في النقد، حين يصحح بعضهم خبراً ثم يرده عليه غيره، فيقول من ليس لديه إمام بذلك الذي أشرت إليه آنفاً: بخطأ واحد منها تبعاً لتساهله أو تشدده. وهذا أمر لا يليق بهم، وقد كان ذلك سبب خوض نابتة ممن يدعون العلم في زماننا هذا في البخاري ومسلم مثلاً واتهامها أن في صحيحيهما ضعيفا، مستندين في قولهم هذا إلى أقوال نقاد آخرين كالدارقطني مثلاً في كتابه (الإلزامات والتتبع) أو غيره. والصواب أنها وغيرهما اجتهدوا وبذلوا الوسع في اجتهادهم هذا من غير تساهل منهم في شيء، حتى تراءى لهم صحة هذا الخبر، فكون أن يأتي ناقد غيره يختلف مع الأول في شرطه، ويبدل وسعاً آخر في اجتهاده ويخرج بنتيجة مخالفة ويكون في ذلك اتهاماً للأول بالتساهل ونحو ذلك من الاتهامات، فهذا عندي لا يليق. وهذا ما يجعلني أقول بوجود تعلم علم الرواية والاجتهاد فيه من غير تقليد في أحكامه إذا كان الباحث يعمل في أي من علوم الرواية، بكافة أنواعها وصورها، حتى يستطيع أن يفصل عند أي اختلاف يقع بين النقاد في حكم خبر بعينه.

عليهم استئصال هذه الأمة والفتك بها، لم يألوا جهداً في الكيد بها، بمحاولة إضلالها وبث الشقاق بينها، لتصير شيعاً وأحزاباً متناحرة، فسعوا في سبيل ذلك سعياً حثيثاً، وسلكوا فيه كل سبيل، ومن أهم تلك السبل تشويه صورة تلك الحقبية الخطيرة من تاريخنا، التي هي أصل الدين عندنا. لذلك كان العمل في تنقية تلك الصورة واجباً شرعياً، يحتمه الشرع الحنيف، والبحث العلمي المخلص، ذلك أن الطعن في هذا الصدر الأول إنما هو طعنٌ في الدين، فهم أسوتنا، وناقلوه إلينا.

من أجل ذلك كان اختياري لموضوع هذه الرسالة: (أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره، نماذج من عصر الخلافة الراشدة). ذلك أي أردت أن أكشف اللثام عن تلك القضية الخطيرة وآثارها في تاريخ أمتنا، إذ إن التاريخ في النهاية ما هو إلا مجموع مرويات تحتمل الصدق والكذب، والواجب المعلوم شرعاً أنه قبل أن نتناول ما فيها بالقبول والتفسير، أن نُثبت صدقها أولاً. وهذا أمر يغيب عن كثير من المعاصرين، حين رأيتهم يقبلون الرواية تلو الأخرى، يميزون الاحتجاج بها، ثم يُطِّرونها كلَّ مطير، ولَمَّا يتثبتوا من صدقها أولاً. فكان لذلك أثره البالغ في تشويه صورة تلك الحقبية.

منهج الدراسة وأهم الصعوبات:

وينبغي التنبيه على أي لست أعني بالوضع فقط ما قد يذهب إليه الخاطر الأول أنه كل ما في إسناده كذاب أو متروك.. فهذا أمر هين يدركه الباحث للوهلة الأولى، وإنما المشقة هنا في الكشف عما أُدخل على المرويات ووضِع فيها مع أن ظاهر إسنادهما الصحة، حتى غرَّت بعض الباحثين فأوجب حكم الصحة لمتونها. وهذا أمر من الخفاء والدقة بحيث يحتاج من الباحث مشقة وعتماً أن يتتبع مرويات الباب ثم يقابل بعضها ببعض، ويعرض بعضها على بعض حتى يمكنه الوقوف على المدخول في الرواية وليس منها. وهذا من أشق ميادين الرواية نقداً وتفسيراً، وإلا فمجرد البحث فيما ظاهره الكذب من اليسر بمكان. وهذا المعنى الذي قصدته في هذه الدراسة كشف عن كثير من أسباب اختلاط الروايات واضطراب تفسيرها.

ويأتي ذلك الشرط وفق ما اصطُلحْتُ عليه في تعريف معنى الوضع الذي قصدته في هذه الدراسة وهو: نسبة قول إلى غير صاحبه على سبيل العمد^(١) أو الخطأ^(٢). وهذا أمر سيأتي تفصيل القول فيه إن شاء الله تعالى.

(١) كالكذب ونحوه.

(٢) بسببٍ من الوهم أو الغفلة ونحوهما.

ولكن لم يكن العمل من أجل تحقيق هذه الغاية سهلاً ميسوراً، فقد واجهتني صعوبات جمة في سبيل ذلك، وسبب ذلك أن الرواية التاريخية لم تنل من الرعاية والاهتمام ما ناله الحديث النبوي الشريف، الأمر الذي تطلب من الباحث جهداً أكبر، ومشقة أعظم من أجل تحقيق الغاية المرجوة، من حيث تأصيل الخبر، ومعرفة مصادره، ورصد أطوار انتقاله في المصادر، ثم تخرجه والكشف عنه، ثم الحكم عليه من حيث القبول والرد، وفق منهاج عسير أو جبتة على نفسي وألزمت تلك الدراسة به. فتطلب هذا الأمر من الباحث تنقيحاً دقيقاً في بطون الكتب وأمّهات المصادر، لاستنطاق مكنونها بما حوته من روايات نادرة، وكتب مفقودة أو ضائعة لا يُعلم عنها شيء. وكثيراً ما كنت أتلقف خيط كتاب مفقود منشور في ثنايا بعض المصادر القديمة، فلا أتركه حتى أُجِّلِّي أمره، وأكشفه للنور، فأتعرف على مؤلفه، ورواته إلى هذا المؤلف، وكان مع النصب في ذلك السعادة البالغة لِمَا أُصِلَ إليه من نتائج كانت لها فوائد لها في تلك الدراسة أو في غيرها من دراسات لا تزال عندي في طور التكوين والنشأة.

وعليه، فقد تطلب هذا أيضاً بدوره عملاً آخر رأيته من الواجبات التي ينبغي أن أبدأ بها إن أردتُ لهذه الدراسة قوة ومتانة. وهو جمع كل ما يخص مرويات تلك الحقبة محل الدراسة - عصر الخلافة الراشدة - من مظانها على وجه الاستيعاب قدر الطاقة من كافة مصادر العلم وفروعه، من تاريخ، وأخبار، وسنن، وفقه، وأدب، وشعر.. ثم جَرَّني ذلك إلى وجوب التعرف على المظان أولاً، فمكثت عاماً كاملاً لا شغل لي في هذه الدراسة إلا التعرف على مصادر مرويات تلك الفترة وبخاصة المتقدمة منها^(١).

ثم لم أكد أنتهي من تلك المرحلة حتى عكفت على قراءة تلك المصادر، أستخلص من بطونها كل قريب وبعيد يخص موضوع رسالتي في هذه الحقبة محل الدراسة. وكم كان الأمر شاقاً كلُّه، ومضنياً في عَظْمِهِ! ولكنها أمانة الدين، وواجبنا تجاه هذا الصدر الأول، نوفيهم بذلك حقهم على أكمل وجه كما أدَّوه هم إلينا كذلك. وكان من نتيجة ذلك أن اجتمع لدي قدر هائل من المرويات فيما يخص تلك الحقبة، قُدِّر بالآلاف، فانتقلت إلى مرحلة الانتخاب لتلك النماذج التي ابتغيت أن يدور عليها موضوع الرسالة، مرجئاً بقية ما جمعته لدور لها سيأتي إن شاء الله تعالى في دراسات أخرى نسأل الله تعالى التوفيق فيها.

(١) وقد أسفر هذا الجهد المضني في سبيل ذلك عن صدور كتاب (جمهرة تصانيف العرب، دليل الباحث إلى المطبوع من تراث العرب حتى القرن الرابع الهجري) للباحث، وهذا من فضل الله تعالى عليّ، ثم بفضل أساتذتي الكرام الذين شجعوني على هذا العمل وحثوني على نشره، وعلى رأسهم شيخي وأستاذي الفاضل، الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين، فجزاهم الله عني خيراً الجزاء.

وكان ضابط الانتخاب عندي يقوم في أساسه على استيعاب ما اتخذه المخالفون غَرَضًا، لتشويه صورة ذلك العصر المشرق، فانتخبتُ من كل عهد في تلك الفترة أهم ما أثير حوله من شبهات، لتكون الدراسة مُعَبَّرَةً عما أبتغيه منها في كشف أبعاد قضية الوضع وآثارها في الرواية التاريخية وتفسيرها.

ثم لم ألبث عند العمل على النماذج التي اتخذتها محلاً للتطبيق في هذه الدراسة أن وجدْتُني أمام تضخم رهيب للرسالة، حتى إن بعض فصولها زاد على ستمائة صفحة! ولما كانت الرسالة مقيدة بمنهج علمي صارم لا فكاك منه للباحث، بحكم المنهجية الأكاديمية المعاصرة، ووقت محدد لا ينبغي تجاوزه، اضطررت أسفاً لكثير من الحذف والاختصار في المرويات وأحكامها، إلا فيما رأيته لا يجوز فيه ذلك، فأبقيته كما هو من غير حذف ولا اختصار.

أما عن المنهج الذي اتبعته في الدراسة، فقد أبتُ عن شيء منه فيما سلف من هذه المقدمة، ولكن أزيد الأمر وضوحاً، بالقول: لقد أقيمتُ هذه الدراسة على محورين: الأول تنظيري، والآخر تطبيقي.

أما الأول فمحله التمهيد والفصلان: الأول والثاني، وقدمتُ فيه تأصيلاً لعدة قضايا رأيت أنه ينبغي مراجعة بعض اصطلاحاتها وذلك لما رأيت فيها من قصور أحياناً في التعبير عن مقاصدها، فكنت أسبر أغوار المصطلح بالتعرف على نشأته وأطواره عبر العصور، ودلالته في كل عصر، مستخدماً في ذلك منهج الاستقراء بنوعيه: الكامل والناقص حسب ما تقتضيه حاجتي من المصطلح الذي أقوم بالبحث فيه، وكنت أعبر عن الاستقراء الكامل بكلمة (الاستقراء)، و(استقرأت)، وعن الناقص بكلمة (التتبع) و(تتبع) وكان شرطي في هذا المحور الجدة والأصالة وعدم التقليد، فكنت لا أسلم لأصطلاح يخص موضوع الدراسة إلا بعد التأكد من دلالته على معناه، وذلك بتتبع أصله ونشأته ومكوناته، وما يعنيه عند أهل عصر دون غيرهم.. وكثيراً ما كانت تؤدي معاشتي لأصطلاح بعينه إلى الاجتهاد في تقديم تعريف له أراه أكثر دقة، وأجمع لمعانيه عند أصحابه.

أما المحور التطبيقي، فمحله الفصول الثلاثة الباقية من الرسالة، وفيه كانت دراسة المرويات المختارة محل الدراسة من عصر الخلافة الراشدة، وكان التعب والنصب فيه لا يقل شأناً عن سابقه، بل لا أبالغ إن قلت إنه كان أصعب شيء في هذه الرسالة، ذلك أني اتبعت فيه أشق ما يكون من منهاج علم الرواية، ألا وهو منهاج جمع الباب، وهو منهاج لا يعتمد على دراسة الإسناد وحده، ولا المتن وحده، بل على الاثنين معاً في خلال ما يتصل به من موضوع الرواية المراد البحث فيها.

ومن ثم، فليس معنى الباب عندي هو ما يظنه بعض المعاصرين بأنه ذلك الجمع للطرق والمتابعات والشواهد للرواية الواحدة! بل صورته عندي أن أعمد إلى واقعة بعينها هي محل الدراسة، فأقرأها كلها من مروياتها الخاصة بها، ثم أدرس كل رواية من تلك المرويات التي تخص تلك الواقعة على حدة دراسة تحليلية نقدية، ثم أصنف ما ظاهر إسناده الصحة على حدة، وما ضعف إسناده على حدة، ثم لا أكتفي بذلك حتى أقرأ ما يتصل بها من حوادث وقتها - حتى وإن كانت تلك الحوادث ليست من موضوع الواقعة التي أبحث فيها - وما ذلك إلا لكي أستكمل الصورة الصحيحة للمشهد التاريخي عند التفسير والتأويل لواقعتي محل الدراسة، أبتغي من وراء ذلك الاستفادة من تلك الإشارات الموجزة غير المقصودة - التي كانت تُلمح بها المرويات الصحيحة هنا وهناك في وقائع أخرى - لشيء في واقعتي محل الدراسة ومن ثم الحكم عليها بمقتضى ما ينبغي له في ضوء تلك القراءة التحليلية الجامعة.

فإذا ثبت لي بعد ذلك صحة الرواية يقيناً، إسناداً وامتناً، ظاهراً وباطناً^(١)، أدخلتها فيما أسميه عندي بمرويات الباب، وهو ما قطعُ بصحته. وجعلت ما دون ذلك فيما لم يصح من الروايات^(٢).

وما أشق هذا الأمر وأصعبه! وهذا كله أمر سيأتي الحديث عنه تنظيراً وتطبيقاً بشيء من التفصيل والتمثيل^(٣).

وتتمثل أهمية هذا المنهج أنه كان ينتج لي ميزانا - أطلقتُ عليه: مرويات الباب - أقيس به كل مرويات الواقعة سواء التي وقفت عليها أم لم أقف عليها في حينها. كما أن من أهم ثمراته وفوائده دفع الاضطراب والتناقض الذي رأيته عند بعض المعاصرين بسبب اعتمادهم آحاد

(١) وكم من رواية واجهتني وفي ظاهر إسنادهما الصحة، بل أرى من المتأخرين من يقطع لها بالصحة، ثم لا ألبث بمقتضى هذا المنهج أن ينكشف لي عوارها وتظهر علتها.

(٢) وإن كنت عدلت عن إثبات ذلك التصنيف - (مرويات الباب)، و(ما لم يصح من الروايات) - في ثنايا هذه الرسالة جاعلاً لما صح - مرويات الباب - ملحقاً مستقلاً في آخر الرسالة، وذلك بأمر أستاذي المُشرفين الكريمين بعدما تضخمت الرسالة، فاكتفيت ببعض ما صح في الاستدلال والاستشهاد على ما لا يصح عند مناقشة قضية الوضع في الرواية والتفسير في خلال الرسالة، على أن أجرد تلك المرويات وفق هذا التصنيف في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى، لتكون فكرة جمع الباب أوضح في الدلالة على ما أريده منها.

(٣) وهذا في الحقيقة منهج لم أبتدعه، وإنما هو منهج الرعيل الأول من فحول علم الرواية والنقد، وجدت كثيراً من المتأخرين يعرض عنه لما يحتاجه من مشقة وصبر وجلد، فكان يُستعاض عنه بالحكم على إسناد رواية بعينها فقط، والمُجدّ منهم يتوسع فيما يعرف بجمع المتابعات والشواهد، الأمر الذي أدى إلى قصور شديد في كثير من الدراسات المعاصرة.

الرواية أصلاً عند النقد والاحتجاج، الأمر الذي كان يؤدي إلى قبول المتناقضات أحياناً في الباب الواحد.

هذا مع العلم بأنني كنت أجتهد في الأحكام على المرويات رأياً ولا آلو، فإذا وافق الحقّ مضيتُ، وإلا خالفتُ بالدليل والحجة والبرهان، إذ لا شيء أبغض إلى نفسي من العصبية والتقليد اللذين قد يوردا صاحبهما المهالك. وهذا أمر لاحظته في بعض الدراسات المعاصرة، الأمر الذي كان يؤدي إلى تراكم الأخطاء بعضها فوق بعض، طبقة بعد طبقة، باتباع اللاحق فيها للسابق.

مصادر الدراسة:

أما عن مصادر تلك الدراسة فكثيرة متشعبة، لم أسجل منها في ثبوت المصادر إلا بعضاً منها، فما أكثر ما قرأتُ ولم أظفر من ورائه بشيء، هذا فضلاً عما كنت أقرأ ولا أخرج منه إلا باليسير الذي لا يساوي ما بُدّل فيه من جهد، ناهيك عما كنت لا أظفر منه إلا بمجرد فكرة عامة تساعد على توجيه الدراسة أو بعضها.

ثم إنني بعد ذلك اجتهدت في تأصيلها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فكنت لا أرضى بالدنيّة فيها إلا عند العجز بعد بذل الوسع، فألغيت الوسائط والبُنيّات، واعتمدت الأمهات، إلا فيما لم أقدر عليه. وهذا بحمد الله نادر في هذه الرسالة.

وكثيراً ما كنت أقابل بين الطبقات للكتاب الواحد من أجل توثيق نص، أو التأكد من قراءة كلمة قد يكون لها أثرها الخطير في توجيه دفة الخبر ومعناه، ومن ثم تفسيره، ودلالته التي يدل عليها.

وهذه المصادر عندي - من حيث المادة التي تم الاستفادة منها في هذه الدراسة - أرومات: الأرومة الأولى: تتمثل في كتب الصحاح من الجوامع والسنن والمسانيد الأول، وعلى رأسها الكتب التسعة: موطأ مالك (ت ١٧٩هـ)، ومسند أحمد (ت ٢٤١هـ)، ومسند الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، وصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ)، وسنن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ)، والجامع الكبير للترمذي (ت ٢٧٩هـ)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣هـ). يضاف إليهم: مسند أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، وصحيح ابن جَبَّان (ت ٣٥٤هـ).. يليهم أصحاب المصنّفات^(١)،

(١) المصنّف: هو كتاب مُجمَع فيه الأبواب مصنفة حسب الترتيب الفقهي غالباً، ويضم الأحاديث عن رسول الله ﷺ والآثار عن الصحابة والتابعين، كما يضم الصحيح وغيره. ومن أمثلة ذلك: مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ)، ومصنف ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ). انظر: المدخل إلى مناهج المحدثين، د. رفعت فوزي عبد المطلب، ص ١٣١، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٧٠.

والمستدركات^(١)، والمعاجم^(٢)، والمشيخات^(٣).. فقد كانت كتبهم مَعِينًا لكثير مما صح من أخبار الصحابة وتاريخهم في فترة الخلافة الراشدة، الأمر الذي أعان الباحث كثيرا في الدراسة وفق المنهج الذي اشترطه على نفسه في تصنيف المرويات. مع التنبيه على أنهم اختلفوا أحيانا في شروط الرواية من حيث التشدد والتساهل، فمنهم من تشدد في أسانيده فاخص بالصحيح فقط^(٤)، ومنهم من جمع فأوعى، وترك النقد لغيره مكتفيا بذكر إسناده.

ويتصل بهذه الأرومة فيما يخص النقد: كتب الجرح والتعديل، وكتب الرجال، وكتب العلل، ومن أبرزها: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، والتاريخ الكبير، والضعفاء، كلاهما للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، والضعفاء للعقيلي (ت ٣٢٢هـ)، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ت ٣٦٥هـ)، والعلل لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، والعلل للدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، وشرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، فضلا عن كتب السؤالات^(٥).

الأرومة الثانية: وتتمثل في كتب المؤرخين المتقدمين، ومن أهمها كتب الحوليات، والطبقات، والأنساب، وكتب الرجال.. ومن أبرزها: الطبقات الكبير لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، وتاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، والمعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ)، وأنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨١هـ)، وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)..

(١) المستدرک: هو الكتاب الذي يستدرک على الصحيحين غالبا ما لم يخرج الشيخان البخاري ومسلم، في حين صح عند صاحب المستدرک. ومن هذه الكتب: المستدرک على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). انظر: المدخل إلى مناهج المحدثين، ص ١٣٨، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣٥٣.

(٢) المعجم عند المحدثين: كتاب يجمع الأحاديث على حسب ترتيب أسماء رواتها وفق حروف المعجم - صحابة كانوا، أو شيوخا لصاحب المعجم - ومن أمثلة هذا النوع من الكتب: المعجم الكبير، والأوسط، والصغير، جميعها للطبراني (ت ٣٦٠هـ). انظر: علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، د. موفق عبد القادر، ص ١٥، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص ٣٥٣.

(٣) المشيخات: وهي كتب تجمع أسماء الشيوخ وشيئا من مروياتهم. واخص المحدثون بهذا النوع من المصنفات. ومن أهمها مشيخة الفسوي أبي يوسف يعقوب (ت ٢٧٧هـ)، والمعجمان الأوسط والصغير، كلاهما للطبراني (ت ٣٦٠هـ). انظر: علم الأثبات ومعاجم الشيوخ والمشيخات، ص ١٧.

(٤) على اختلاف بينهم في هذا الشرط أيضا، فالصحة عند القدماء لها مراتب ومنازل، وسبيل تحقيق هذه المرتبة يحتاج إلى دراسة منهاجهم في النقد، ويتطلب ذلك دُرْبَة وممارسة، نظرا لصعوبة هذا المنهاج ودقته عندهم.

(٥) كتب السؤالات: هي كتب يجمع أصحابها إجابات أئمة النقاد عن أسئلة تلاميذهم في الرجال والعلل. ومنها: سؤالات البرذعي لأبي زرعة الرازي، وسؤالات حمزة السهمي للدارقطني

ومن أهم سمات أصحاب هذه الأرومة اعتمادهم منهج الحفظ والإسناد، مما أعان كثيرا على نقد مروياتهم وفق هذا المنهج المنضبط، وإن لم يبلغوا في عنايتهم بمروياتهم - انتقاء وانتخابا - مبلغ المحدثين.

الأرومة الثالثة: مصادر الشعر ودواوينه، وتتمثل أهميتها في كون الشاعر يمثل دائما لسان حال قومه، ونبض عصره، والتأمل فيها يكشف كثيرا من خبايا العصر محل الدراسة، وأهميتها تزيد عندي في منهج جمع الباب، بما يورده الشاعر من معلومات عن بعض حوادث عصره، وهذا وإن كان يقع من صاحبه غالبا بطريق العفوية غير المقصودة إلا أنها بإشارات البعيدة والخفية أحيانا تفيد المتأمل كثيرا في بناء صورة العصر محل الدراسة. ناهيك عن الإفادة الجمّة من هذه الأرومة في تأصيل المصطلحات ودلالاتها. وهذا أمر وضح كثيرا في التمهيد والفصل الأول من الرسالة.

وتُمثّل هذه الأرومات الثلاث، المصادر الأصيلّة للرسالة من حيث الاستفادة والاحتجاج من الدرجة الأولى، يليها أرومة أخرى، مثلت مصادرها درجة ثانوية من حيث الاستفادة، وهي:

الأرومة الرابعة: كتب الأخبار والأدب. وسبب نزول هذه الأرومة في درجتها عن سابقتها كون أصحابها لم يبلغوا في العناية بمروياتهم مبلغ المحدثين والمؤرخين، فجاءت مروياتهم على الدرجة الدنيا من حيث القيمة بسبب تفشي ما لا يصح فيها من الأباطيل، والموضوعات، والمناكير باختلاف ألوانها وأشكالها. ومن ثم فقد أفادت في قضية الوضع إذ كانت هذه الكتب من أهم مظان الموضوع من المروي.

وأبرز مصادر هذه الأرومة: المغازي والسير لابن إسحاق (ت ١٥١هـ)، وكتايب الردة، وموقعة الجمل، كلاهما لسيف بن عمر (ت ١٨١هـ)، والمغازي للواقدي (ت ٢٠٧هـ)، والأخبار الموقفيات للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)..

الأرومة الخامسة: وهي مصادر المخالفين التي اتخذتها غرضا لكشف شبهاتها والرد على أصحابها، وهي على أقسام ثلاثة في هذه الرسالة: الأول: كتب الشيعة والرافضة، والثانية: كتب المستشرقين، والثالثة: كتب العرب من أصحاب المدرسة الحديثة.

أبرز الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة التي تناولت شيئا مما يخص موضوع البحث، فعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع في ميدان التاريخ الإسلامي، فإنني لم أجد فيه إلى الآن دراسة مستقلة مفصلة تقوم به على النحو الذي يليق بأهميته - حسب علمي - تكشف لنا أبعاد هذه القضية بشكل واضح على

الرغم من أهميته وخطره ، ولكن لم يمنع هذا من وجود بعض إشارات إليه أو إلى أجزاء منه، لم تتجاوز الفصل والفصلين والمبحث والمبحثين في بعض دراسات عامة سابقة، لعل من أبرزها ذلك المبحث الذي حرره الدكتور محمد أمحزون في مطلع كتابه^(١) (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة)^(٢)، وهو مبحث لا يتعدى أربعين صفحة ترجمه صاحبه بعنوان: (عوامل تحريف التاريخ الإسلامي) تكلم فيه كلاما عاما مجملا على أسباب الكذب والوضع في الأخبار، متبعا في مجمل ذلك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته في معرض حديثه عن (طبيعة العمران في في الخليقة)^(٣)، ثم أتبع د. محمد أمحزون ذلك بحديث عن أثر الشيعة في الوضع وانتحال الأخبار ترجم فيه لطائفة من الشيعة الذين اتهموا بالكذب.

ولا شك أن قضية خطيرة كهذه لكي تُناقش في مثل هذا العدد القليل من الصفحات يعني الإيجاز الشديد الذي لا يُفصح عن كل جوانبها. هذا فضلا عن أنه اعتمد في مبحثه هذا كله على معنى الوضع المتعمد فقط، مهملاً في ذلك معنى الوضع غير العمد الذي من قبله أُتيت الرواية التاريخية في معظمها، وهو الجانب الذي أهملته الدراسات التاريخية المعاصرة جميعاً التي تحدثت عن عصر الخلافة الراشدة، وما أصابه من تشويه وتحريف.

ومن تكلم في شيء من هذا الموضوع أيضاً، الدكتور حمدي شاهين فيما كتبه ونشره في ندوة التاريخ الإسلامي^(٤)، في نحو أربعين صفحة أيضاً، بعنوان: (مصادرنا التاريخية الباكورة، دراسة في مرويات التاريخ الإسلامي منذ بدايته حتى سنة ١٣٢ هـ). وفي الحقيقة فيني لا أعتبرها دراسة سابقة ذلك أنها صدرت بعد تسجيلي موضوع رسالتي هذه بعام، ومن ثم فقد اطلعت عليها بعد وضع خطتي للمبحث وقطعي فيه شوطاً. إلا أنها على كل حال صدرت قبل دراستي هذه.

وقد تناول هذا البحث دراسة الوضع في الرواية التاريخية في المصادر التاريخية الباكورة، «تلك المصادر التي كُتبت في القرون الهجرية الأربعة الأولى»^(٥). وقد تناوله على مدار فصلين صغيرين -

(١) وهو في الأصل رسالة تقدم بها صاحبها للدكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، بالمغرب.

(٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د. محمد أمحزون، دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط ٣، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ٤٣ / ١ - ٨١.

(٣) المقدمة ١ / ٣٢٨.

(٤) ندوة التاريخ الإسلامي، مجلة علمية محكمة، يصدرها قسم التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ٢٣، محرم ١٤٣٠ هـ - يناير ٢٠٠٩ م، ص ٧٥ - ١٢٧.

(٥) نفسه ص ٧٦.

فضلا عن تمهيد وخاتمة - جعل الأول منهما في (أسباب الوضع التي تتعلق بمنهجية التدوين التاريخي) وأرجع أسباب الوضع فيها إلى أربعة، هي: أولا: الإكثار من الروايات مع قصور النقد التاريخي. ثانيا: ضياع معظم النتاج التاريخي المبكر. ثالثا: النزوع نحو القصص والغرائب. رابعا: التساهل في إيراد الإسرائيليات والتنبؤات. في حين جعل الفصل الثاني في: أسباب الوضع التي تتعلق بالمناخ السياسي والاجتماعي. وأرجع أسباب الوضع فيها إلى ثلاثة، هي: أولا: الضغوط السياسية. ثانيا: الأهواء المذهبية. ثالثا: التأثير بالعصبية القبلية والقومية والإقليمية.

ولا شك أن قيود المساحة التي أتيحت لمثل هذه الدراسة سوف تكبل الاستفاضة والتوسع في التنظير والتطبيق فيما يخص موضوعها. ومن ثم اتسمت كسابقتها بالإجمال والعموم. فضلا عن وقوعها في الآفة نفسها التي وقعت فيها الدراسة السابقة هي اعتماد صاحبها على معنى الوضع المتعمد فقط كما وضح من العرض المجمل لفصلي الدراسة. هذا فضلا عن عدم وجود التطبيق الوافر الذي يُجَلِّي أبعاد هذه القضية.

ثم إن من أهم ما يؤخذ على ما سبق، القصور في دراسة أثر الوضع في تفسير الرواية التاريخية، وذلك في رأيي أهم ما ينبغي التركيز عليه بعد كشف مظاهر الوضع في الرواية التاريخية من أجل تنقية صورة هذا التاريخ المشرق.

خُطة الدراسة:

أما عن خطة الدراسة، فقد توزعت على مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة. أما المقدمة فقد أُنْتُ فيها عن هدف الدراسة، ومنهجها، وأسباب اختيار موضوعها، وأهم مصادرها، وأبرز الصعوبات التي واجهتني فيها. أما التمهيد، فقد تحدثت فيه عن الرواية التاريخية عند المسلمين، تناولت فيه هذه القضية من خلال مبحثين:

الأول: اصطلاح التاريخ ونشأته علما عند المسلمين.

وأما الآخر فكان عن أطوار التدوين التاريخي وأنماطه عند المسلمين.

ليأتي بعد ذلك الفصل الأول: الوضع في الرواية التاريخية، وتناولت فيه تعريف الوضع، ونشأته، وأسبابه، وسبل العلماء في مواجهته، وذلك عبر أربعة مباحث:

المبحث الأول: وتكلمت فيه عن تعريف الوضع في لسان العرب، ومن كتاب الله عز وجل ومن صحيح الشحديث النبوي الشريف.

المبحث الثاني: نشأة الوضع وأطواره. وتكلمت فيه عن تلك النشأة للوضع في الرواية التاريخية والأخبارية عند العرب والمسلمين، وكان على أطوار ثلاثة: الطور الأول: من عهد النبي ﷺ إلى أواسط عهد عثمان رضي الله عنه. الطور الثاني: منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية وأوائل العصر العباسي. الطور الثالث: اتساع نشاط الوضع والوضاعين في الرواية التاريخية.

المبحث الثالث: أسباب الوضع وطرقه. وجاء الكلام فيه على مطلبين، الأول: **الوضع العمدة:** أسبابه وطرقه. وقد عدت فيه أسباب الوضع العمدة وطرق أصحابه التي سلكوها فيه.

المبحث الرابع: جهود العلماء في مواجهة الوضع. وذلك بذكر وشرح بما وضعوه من ضوابط وشروط للرواية والرواية، في التحمل والأداء والحكم والنقد.

أما الفصل الثاني: فناقشت فيه قضية تفسير التاريخ: الاصطلاح والنشأة وأبرز مدارسه. وجاء على أربعة مباحث كذلك:

المبحث الأول: تعريف مصطلح التفسير ومدلوله. وذكرت فيه مرادفاته القديمة والمعاصرة، التي تدل على معناه، نحو: فلسفة التاريخ، وتعليل التاريخ، وأصحاب كل اصطلاح.

المبحث الثاني: نشأة تفسير التاريخ وأطواره منذ القدم حتى بعثة النبي ﷺ. وعرضت فيه للتاريخ عند أبرز الحضارات القديمة وكيف كانوا يفسرونه، مثل الحضارة السومرية، والفرعونية، والصينية، والهندية، واليونانية.

المبحث الثالث: تفسير التاريخ في الإسلام. وأفردت الحديث فيه عن معنى تفسير التاريخ ودلالته في الإسلام والحضارة الإسلامية، وكيف أنه يقوم عندهم على عاملين رئيسين، هما: الغيب، والشهادة. وفصلت القول في ذلك تفصيلاً، على ضوء الكتاب والسنة. وضمنت هذا المبحث مدخلاً لدراسة تاريخ الصحابة.

المبحث الرابع: أبرز مدارس التفسير الوضعية ومناهجها. وعددت هذه المدارس على النحو الآتي: أولاً: تفسير التاريخ عند أهل الكتاب (التفسير الديني). ثانياً: تفسير التاريخ في الفكر العلماني الغربي.

وقد سبق أن هذه الثلاثة – التمهيد والفصلان: الأول والثاني – بمثابة القسم التنظيري للرسالة، فدمتُ فيه تأصيلاً لعدة قضايا رأيت أنه ينبغي مراجعة بعض اصطلاحاتها لقصورها أحياناً في التعبير عن مقاصدها.

في حين مثلت الفصول الثلاثة الباقية من الرسالة المحور التطبيقي للدراسة، وفيه كانت دراسة المروييات المختارة محل الدراسة من عصر الخلافة الراشدة، وفق القسمة الآتية:

الفصل الثالث: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند أهل السنة. وقد جاء هذا الفصل وفق المباحث الأربعة الآتية: وقد وطّأت له بمدخل تحدثت فيه من حيث منهج العرض للتاريخ عند أهل السنة رواية وتفسيراً عن منهج، وأنه على صنفين اثنين، الأول منهما: أصحاب الإسناد، والآخر: أصحاب الانتخاب والسرود. في حين ينقسم كل صنف منهم بدوره من حيث المادة المتناولة للرواية إلى ثلاثة أنواع: المحدثون، والمؤرخون، والأخباريون. ثم كانت مباحث هذا الفصل على النحو الآتي:

المبحث الأول: استخلاف أبي بكر. وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: هل استخلف النبي ﷺ أبا بكر قبل موته؟ والمطلب الثاني: تحدثت فيه عن خبر السقيفة ومروياته. والمطلب الثالث: الخلاف حول بيعة الصحابة لأبي بكر.

أما المبحث الثاني: فكان الحديث فيه عن موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خالد بن الوليد رضي الله عنه وأسباب الخلاف بينهما.

المبحث الثالث: استخلاف عثمان وفتنة مقتله رضي الله عنه. وقد تناولت مرويات هذه الفتنة عبر المطالبين الآتين: المطلب الأول: استخلاف عثمان رضي الله عنه. المطلب الثاني: فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه.

المبحث الرابع: وكان التطبيق فيه على عصر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد درست مرويات هذا العصر عبر ثلاثة مطالب: المطلب الأول: استخلاف علي رضي الله عنه. المطلب الثاني: وقعة الجمل. المطلب الثالث: صفتين وقضية التحكيم.

أما الفصل الرابع فقد خصصته بالحديث عن أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند الشيعة. ولما كانت الشيعة ليست على مذهب واحد، بل على مذاهب شتى، فقد قسمتها وفق مذاهبها أقساماً ثلاثة، تناولتها عبر المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: الشيعة الأولى. ووضحت فيه معنى الشيعة الأولى. وفيه مطلبان: المطلب الأول: أصحاب الأسانيد. والمطلب الثاني: أصحاب الانتخاب والسرود.

المبحث الثاني: التشيع الغالي. ووضحت فيه أولاً معنى الشيعة الغالية، وفيه مطلبان: المطلب الأول: أصحاب الأسانيد. والمطلب الثاني: أصحاب الانتخاب والسرود.

المبحث الثالث: التشيع الرافضي الخبيث. ووضحت فيه معنى الرفض وأبرز عقائد أصحابه، وفيه مطلبان: المطلب الأول: أصحاب الأسانيد. المطلب الثاني: أصحاب الانتخاب والسرود.

أما الفصل الخامس والأخير فقد تحدثت فيه عن أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند أصحاب المدارس الحديثة (العرب والمستشرقين). وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند المستشرقين. وبدأته بنبذة عن معنى الاستشراق وتاريخه، ثم تناولت أثر الوضع في الرواية التاريخية وتفسيرها عندهم عبر ثلاثة مطالب: المطلب الأول: استخلاف أبي بكر. المطلب الثاني: بين عمر وخالد رضي الله عنهما. المطلب الثالث: الفتنة الكبرى.

المبحث الثاني: وكان الحديث فيه عن أثر الوضع عند أصحاب المدرسة الحديثة من العرب. وفيه مطلبان: المطلب الأول: استخلاف أبي بكر. المطلب الثاني: الفتنة الكبرى.

وأخيرا تأتي الخاتمة، وفيها عرضت عرضاً مجملًا لمنهجي الذي اتبعته في الرسالة، جعلت منها منهجا مقترحا لدراسة التاريخ الإسلامي في سبيل مواجهة الوضع في المصادر التاريخية رواية وتفسيرا، وذلك في رأيي أهم ما أفرزته هذه الدراسة من نتائج. فضلا عن تضميني إياها أهم التوصيات التي خرجت بها من هذه الدراسة.

هذا، وآخر ما أنبه عليه في هذه المقدمة، هو أن هذه الدراسة تخاطب في المقام الأول، العقل السني المسلم وإن استفاد بها غير المسلم فهذا عن غير قصد مني، ذلك أني أرى في تحديد عقلية المخاطب قبل العمل في أي دراسة أمرا واجبا، إذ به يتحدد منهاج البحث والباحث، وتتحدد قواعد منطلقاته وأصوله، وبذلك يكون الباحث مبصرا لمواضع خطوه، راسخا واثقا مطمئنا في مسيره نحو غايته التي يرجوها من بحثه الذي يقوم به، ذلك أن في اختلاط الوجهات وتعدد المخاطبين في البحث الواحد يسبب في رأيي تشتتا واضطرابا عند الباحث والمخاطب على السواء، وذلك بعكس من يحدد هدفه بعد تركيز الغرض، فهذا لا شك يكون أدعى للتوفيق في التسديد عند الرمي. وتفسير ذلك أن لكل عقلية عندي ثقافتها التي ينبغي مخاطبتها بها، ومنهجها الذي سينتهجه الباحث، وهذا لا ريب يعني اختلاف الحجج والبراهين التي سيخاطب بها هذا العقل أو ذاك. وهذا أمر على كل حال ستأتي الإشارة إليه في خاتمة هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

وفي النهاية، فهذا ما قدّمت يداي، فإن أحسنت، فبتوفيق وفضل من الله وحده لا شريك له، وإن أسأت فأسأله جل شأنه أن يغفر لي إساءتي، فإني ما أردت إلا إحسانا وتوفيقا، وحسبي أني اجتهدت بنية سألت فيها الإخلاص والرشاد، وبذلت في سبيل تحقيق ذلك من الجهد والمشقة ما لا يعلمه إلا الله، فأرجو أن يشفع لي ذلك عند الله عز وجل.

ولقد رأيت في بعض صنيع البخاري - رحمه الله - سنة حسنة، وذلك فيما نُقل عنه أنه قال: «ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك واصلتُ ركعتين»^(١)، فكانتُ أقدم بين يدي كل فصل، ومبحث، ومطلب، ركعتين لله عز وجل أسأله فيهما الهداية والتوفيق والسداد، وأعوذ به من الضلالة، والزلل، وما ذلك إلا بسبب ما أنا قادم عليه من خطر، فإن الحديث عن الصحابة - رضوان الله عليهم - شديد^(٢)، ولِعظيم ما خُصتُ فيه، كان فرقي وخشيتي أن تزل قدمي، ويضل قلمي، ويخطئ لساني، فلم أهب في حياتي ما هبتُ في هذه الدراسة، ولولا كيد الكائدين، ومكر الليل والنهار من أعداء هذا الدين، بافتراءاتهم وما وضعوه على الصحابة الأبرار من كذب وإفك مبین، على مر العصور والسنين، لكان لنا في قول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - سعة، حين سُئل عن علي، وعثمان، والجمل، وصفين، وما كان بينهم، فقال: «تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها»^(٣)، فلم يكن لنا بُدٌّ مما ليس منه بُدٌّ، من أجل رد الطعن، ودفع الشبهة.

أما أستاذاي المشرفان: الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين، والدكتور طه عبد المقصود عبد الحميد عبّية، فإنني أعجز عن الوفاء بحقوقهما، كما يعجز لساني عن تقديم وافر الشكر وعرفان الجميل بما بذلاه معي من جهد وتعب، من أجل أن تبلغ هذه الرسالة مبلغها من الحُسن، فلم يبخل عليّ بشيء من النصح والإرشاد والتوجيه، فصبرا معي، ولم يُقصر يوماً في مَدِّ يد العون، ومن ثم فلم أجد خيراً من الدعاء لهما - ولغيرهما ممن كان لهم فضل عليّ من مشايخي الكرام - في السر والعلانية، أبداً ما حييت.

كما لا أنسى أُمي، تلك التي لم تأل جهداً منذ توفي والدي في السعي علينا صغاراً، وحين أضعفها السعي، وشيبتها السنون، لم تفر عن تقديم ما تستطيع من العون والسند، ولو بأكف الضراعة تتوجه بهما إلى الله عز وجل في جوف الليل داعية لنا بالتوفيق ورفع الشان، فجزاها الله عني خيراً، كما أسأله تعالى أن يرحم والدي، وأن يجعل الجنة مثواه، وأن يصلح لي في أهلي وأولادي، وأن يرفع قدرهم، ويُعلي شأنهم.

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر ٣٤ / ٥.

(٢) وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهباً، ما بلغتُم أعمالهم». رواه أحمد في المسند ٢٦٦ / ٣، وإسناده صحيح، وانظر: صحيح البخاري برقم ٣٦٧٣، وصحيح مسلم برقم ٢٥٤١.

(٣) الطبقات الكبير، لابن سعد ٣٨٢ / ٧.

اللهم إنا نسألك في عملنا هذا البر والتقوى، والأجر والثواب. اللهم إن كنت تعلم أنى عملته ابتغاء وجهك، ففرج عنا الهمم، والحزن، والكرب، وانفع به الناس، وارفع لنا به الدرجات في الدنيا والآخرة، وتقبله منا بقبول حسن، إنك على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أحمد الشال

بورسعيد/ ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

٣ مايو ٢٠١٢م

إمیل: DRELSHAL@yahoo.com

هاتف: 00201099956371

تمليكا

في الرواية التاريخية عند المسلمين^(١)

(١) لأهمية هذا التمهيد عندي في قضية علم التاريخ عند المسلمين، قمت بفصله عن هذه الرسالة وجعلته دراسةً مستقلةً بسطتُ الكلام فيه وزدتُ ووسعتُ، هذا مع جمع الجوانب النظرية الأخرى المتناثرة هنا وهناك من رسالتنا هذه، ثم أعدت تنسيقها، ونشرتها كتاباً مستقلاً بعنوان (علم التاريخ عند المسلمين). ولأهمية هذا الموضوع وما ورد فيه من جِدة وتفصيل، أنصح القارئ بالاطلاع عليه في هذا الكتاب الأخير إذ فيه من التفصيل والبيان ما اختصرته وأوجزتُ فيه هنا.

اصطلاح التاريخ ونشأته علمًا عند المسلمين

أولاً: المصطلح والدلالة:

على الرغم من تناول العلماء والباحثين - قديماً وحديثاً - أمر هذا المصطلح بالتفسير، والكشف عن أصله واشتقاقه، وبيان مدلوله عند المسلمين، فإنهم اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً، وأشدُّ اختلافهم كان عند تعيين أصل هذه الكلمة:

فمنهم من قال: هو عربي مشتق من «الأرّخ» وهو ولد البقرة، فقيل «إن التاريخ مأخوذ منه، كأنه شيء حدث كما يحدث الولد. وقيل التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث»^(١).

وقال ابن دريد^(٢): «وَرَّخْتُ الكتابَ وأرَّخته، ومتى وُرِّخَ الكتابُ وأرِّخ، أي متى كُتِبَ، ذُكِرَ عن يونس وأبي مالك أنهما سمعا ذلك من العرب»^(٣).

ومنهم من احتج بعربيتها كذلك بقول نسب للأصمعي أن بني تميم يقولون: وَرَّخْتُ الكتابَ تورِّخاً، وقيس تقول: أرَّخته تأريخاً^(٤).

ومنهم من قال بأن معناه من التأخير. وقيل: هو إثبات الشيء^(٥).

(١) تهذيب اللغة، للأزهري، مادة أرخ (٧/٥٤٣-٥٤٥)، ولسان العرب مادة أرخ (ص ٥٨)، والمغرب في ترتيب المغرب لأبي الفتح المطرزي، تحقيق محمد فاخوري ١/٣٥.

(٢) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ، تأدب بها، وقرأ على علمائها اللغة وأشعار العرب حتى برز فيهما، وقد اختلف في توثيقه وتكلم فيه، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: تهذيب اللغة ١/٣١.

(٣) جوهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق رمزي بعلبكي، مادة (ورخ) ص ٥٩٤، وتابعه المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ٢/٢٧١.

(٤) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي، تحقيق فرانز روزنتال، ص ١٥، ومنهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد بن صامل السلمي، ص ٥٣. وممن يذهب إلى هذا المعنى والقول بعربية هذه الكلمة، المرزوقي في الأزمنة والأمكنة (٢/٢٦٧)، وأحمد شاکر (انظر طبعته للمعرب للجواليقي ص ١٣٧ حاشية ٨)، والصفدي في الوافي بالوفيات ١/١٦.

(٥) أدب الكتاب، للصولي، تحقيق محمد بهجة الأثري، ص ١٧٨.

ومنهم من قال بأنه معرب من اللفظ الفارسي « ماه روز»، أي حساب الشهور والأيام، فعرّبوا ماه روز فقالوا: مورخ، وجعلوا مصدره التأريخ^(١).

ومنهم من قال بأن «أصل كلمة (تأريخ) هو الأصل السامي العام لكلمة (وَرَّخ) التي تمثل على سبيل المثال في كلمتي (يازَيِّح) العبرية التي معناها القمر و(يَرِّح)»^(٢). فلهذه الكلمة عند هذه الطائفة أصولها في مجموعة اللغات السامية، ففي الأكدية^(٣) مثلا أرخو.. وبمثل هذا الشكل وجدت في سائر اللغات السامية والعربية مع اختلاف طفيف في عدد الحروف أو ترتيبها^(٤) حيث تبين تسجيلها على النصوص الأثرية^(٥).

ومنهم من قال بأن «أصل لفظ التأريخ العربي مشتق من لفظ arch الذي ينطق في اليونانية (أرخ) ومعناه القديم أو القدم»^(٦).

ومنهم من قال بأن أغلب الاحتمال أن أصل هذه الكلمة من العربية الجنوبية^(٧).

(١) مفاتيح العلوم، للخوارزمي، تحقيق فان فلوتن، ص ٧٩، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، لحمزة الأصفهاني، ص ٨، والآثار الباقية، للبيروني ص ٢٩، والمختصر في أخبار البشر، لأبي الفدا ١/١٥٥، والمختصر في علم التأريخ، للكافيجي، تحقيق فرانز روزنتال، ص ٣٣٠، وأبجد العلوم، للتقنوجي ٢/١٣٧، ولقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، للتقنوجي ص ٤، وذكر الجواليقي لهذا اللفظ في المعرب (ص ١٣٧ ط شاكر) يعني قوله بهذا الرأي.

تنبية: أخص هذه المصادر بالذكر دون غيرها لقول أصحابها بهذا الرأي أو لتقديمها إياه على غيره.

(٢) مادة تأريخ، بقلم بلسنر، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد، وآخرين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٧، ونشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، لحسين نصار، ص ١٧٥، ونشأة التدوين التاريخي عند العرب، لحسين نصار، ص ٦.

(٣) الأكدية: هي لغة قديمة، ظهرت في بلاد الرافدين - العراق حاليا - منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وهي تصنف ضمن ما يُعرف بمجموعة اللغات السامية. وتعد من أقرب اللغات القديمة إلى اللغة العربية. انظر في ذلك: معجم الحضارات السامية ص ١١٦.

(٤) انظر في ذلك: معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية. وفيه: «تأريخ: التحديد الزمني. والكلمة في العبرية: יָרַח (yarah). وفي الآرامية: ܝܪܚܐ (yarha). وفي السريانية: ܝܪܚܐ (yarha). وفي الآشورية (arhu). وكلها بمعنى شهر». ا.هـ. معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، د. حازم علي كمال الدين، ص ٤٧.

(٥) المدخل إلى دراسة علم التأريخ، لحسين محمد سليمان، ص ٢٣،
- The Encyclopaedia Of Islam, New Edition, Leiden, 2000, Vo X, p 258.

(٦) التأريخ والمؤرخون، د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ص ٧.
(٧) علم التأريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، ص ٢١، التأريخ العربي والمؤرخون، لشاكر مصطفى ١/٤٩، وعرضَ بالرأي نفسه مرجليوث، في: دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة

هذا أقصى ما وصل إليه الجُهد في جمع ما يخص شأن هذا المصطلح من حيث أصله واشتقاقه عند القدماء والمُحدّثين، ومن يتأمل هذه الأقوال يتبين له مدى اختلافهم في هذا الشأن.

وترتكز الأقوال السابقة على المحاور الآتية:

- فريق يقول بعربية^(١) هذه اللفظة.

- وفريق يقول بعجمة أصلها ثم عُرِّبت.

- وفريق يقول بأصل سامي اشتُقَّت منه هذه الكلمة فدخلت العربية من هذا الباب.

- وفريق يقول بأصل يوناني.

- ثم فريق يقول بأصل عربي يمّني جنوبي، تسربت منه هذه الكلمة إلى العربية الشمالية.

وكان السبيل إلى تمحيص هذه الأقوال مضمناً في الكشف عن أدلتها ثم سبرها والتحقق منها. فأما كون أصلها عربية شمالية، فهذا قول لم تنهض به حجة قوية، ذلك أن هذه الكلمة - بمعنى التوقيت - لم تعرفها العربية الشمالية العدنانية حتى أواسط العقد الثاني من الهجرة بعد أمر عمر رضي الله عنه بالتأريخ الهجري، هذا ما دل عليه استقرار واسع في تراث العرب القديم شعراً ونثراً، فهي لم ترد في شعر شاعر، فضلاً عن القرآن والسنة. وعدم ورود هذه الكلمة مطلقاً يدل على انعدام أصلها من هذا اللسان جذراً واشتقاقاً بعكس السنة أخرى كما سيأتي. وما احتج به أصحاب هذا الرأي ضعيف في الدلالة على ما ذهبوا إليه.

وقد كنت وجلاً من الإفصاح عن هذه النتيجة خشية ردها خاصة مع قول من له قدره من العلماء بعربية أصل هذا اللفظ، حتى وجدتُ ابن فارس^(٢) يرفع عني الحرج بقوله: «أرخ: كلمة واحدة عربية، وهي الإراخ لبقر الوحش.. وأما تأريخ الكتاب فقد سُمع، وليس عربياً، ولا سُمع من فصيح»^(٣)، مما يعني تأكيداً لما ذهبت إليه.

حسين نصار، ص ٢٧. أما القول بأصل حبشي، فهذا قول أورده روزنثال على سبيل الاحتمال ثم نفاه. انظر علم التاريخ عند المسلمين ص ٢١.

(١) يعني بالعربية هنا العربية الشمالية العدنانية.

(٢) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، نعتة صاحب أخبار قزوين بقوله: «أحد أئمة الأدب المرجوع إليهم في بلاد الجبل، متقن حاذق». (انظر التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم القزويني ٢/ ٢١٥) وقال ابن خلكان: كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها (وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس ١/ ١١٨)، ونقل القفطي عن أبي عبد الله الحميدي، قال: «سمعت أبا القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني يقول: كان أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي من أئمة أهل اللغة في وقته محتجاً به..» (إنباه الرواة، للقفطي ١/ ١٢٩). توفي ٣٩٥هـ، وقيل غير ذلك.

(٣) مقاييس اللغة، مادة (أرخ) ١/ ٩٤.

وهذا القول من ابن فارس (المتوفى ٣٩٥هـ تقريباً) - لمن يتذوقه - ينقض ذلك النقل الممرض السابق ذكره عند ابن دريد المتكلم فيه^(١) والمتوفى سنة ٣٢١هـ.

أما ما نسب للأصمعي أن «بني تميم يقولون: ورَّخت الكتاب تورنخا، وقيس تقول: أرخته تأرنخا». فهذا قول بذلت في تتبعه جهداً للتحقق من صحة نسبته للأصمعي حتى رجح عندي عدم صحة هذه النسبة، فإنَّ أول من وقف عليه نسب هذا القول للأصمعي هو بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)^(٢) في كتابه (عمدة القاري شرح صحيح البخاري)^(٣)، ثم تبعه تلميذه السخاوي في (الإعلان بالتوبيخ)^(٤)، وعن الأخير استفاض هذا الخبر منسوباً للأصمعي واشتهر إلى وقتنا هذا، فكان مما أثار عجبى: قول كهذا يُنسب لإمام من أئمة العربية، حجة في فنه، ولا تشتهر هذه النسبة في القرون الخالية حتى يأتي العيني في القرن التاسع الهجري فينسبه له!! وزاد من هذا العجب أعراض السخاوي عن هذه المقولة المنسوبة للأصمعي عند حديثه عن التاريخ في كتابه الآخر (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث)^(٥) رغم الحاجة إلى مثل هذا النقل عن مثل هذا الإمام الحجة في موضعه من هذا الكتاب، إلا أن يكون هذا نقلاً تساهل فيه السخاوي في (الإعلان) كما تساهل في أحاديث بيّنة الوضع أوردها في كتابه هذا دون أن يعلق عليها وهو محدث عصره!

(١) سئل عنه الدارقطني، فقال: «قد تكلموا فيه»، (انظر سؤالات حمزة السهمي للدارقطني برقم ٦٠ ص ١٠٤)، وقال الأزهري: «ومن ألف في عصرنا فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد صاحب كتاب الجمهرة..»، (انظر تهذيب اللغة ١/ ٣١). ولا يمنع ذلك وجود من عدّله، ولكن رأيت الجرح فيه أقوى مع البينة عند بعضهم كابن جنبي إذ يقول: «وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضاً من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر، ولما كتبه وقّعت في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحسنت من كثرته، ثم إنه لما طال عليّ أوامت إلى بعضه وأضربت البتة عن بعضه..»، (انظر الخصائص، لابن جنبي ٣/ ٢٩١).

(٢) هو: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحلبي الأصل، العينتاي (بلدة بالقرب من حلب) المولد والمنشأ، ثم القاهري الدار والوفاة، المعروف بالبدر العيني، من أشهر تصانيفه: عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ولد ٧٦٢هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ (الضوء اللامع، للسخاوي ١٠/ ١٣١، ونظم العقيان، للسيوطي ص ١٧٤).

(٣) عمدة القاري، لبدر الدين العيني، تصحيح عبد الله محمود ١٧/ ٨٧.

(٤) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي ص ١٥.

(٥) فتح المغيث، للسخاوي، تحقيق عبد الكريم الخضير ٤/ ٣٦٢، وما بعدها.

وقد وجدتُ هذا القول فعلا عند بعض الأقدمين، ولكن من غير نسبة لأحد، لا إلى الأصمعي ولا إلى غيره^(١)، ومن ثم فلا ريب عندي في أن البدر وهم في هذه النسبة، أو نقل عمّن وهم، ثم نقل عنه السخاوي هذا القول - أو سمعه منه - ثقة منه به، فلما تبين له الأمر أعرض عن ذكره في فتح المعيث.

ثم وجدتُ طاهر بن صالح الجزائري (ت ١٣٣٨هـ) يُمرّض هذا النقل بقوله: «ومن الغريب أن بعض الناقلين ذكر أن الأصمعي قال: بنو تميم يقولون وَرَخْتُ الكتاب تورنخا، وقيس تقول أرخته تأرنخا»^(٢). وهذا يعني توقفه هو الآخر كثيرا أمام هذا القول ونسبته للأصمعي، حتى ذهب إلى القول بغرابة هذا النقل عنه.

وعليه، فإنّ العرب الشماليين حين استعاروا هذه الكلمة - في وقت متأخر - من غيرهم لم يستعروا معنىً، بل استعاروا حروف كلمة علموا دلالتها تمام العلم ولكن ثقافتهم لم تكن في حاجة إليها قبل هذا كتعبير (فني) أو اصطلاح، فلما دعت الحاجة لاستعارتها بسبب من ظروف خاصة غلبت عليهم آنذاك - سيأتي ذكرها - استعيرت متدرجة على التراخي من غير إصراف في استعمالها حتى اشتهرت بين العرب جميعا في القرن الثاني الهجري^(٣) على اصطلاح كانت له دلالاته التي اصطالحوا عليها وعُرف بها هذا اللفظ.

أما القول بعجمة أصل هذه الكلمة وأنها مُعَرَّبَةٌ، فهذا أيضا قول لا يصح، وقد سبقني من رد هذا القول فكفاني عناء الرد، إذ يقول شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ): «وقيل هو معرب ماه روز، وقع تعريبه ووضع في عهد عمر، ذكره في (نهاية الإدراك)، وهو تعريب غريب»^(٤).

(١) انظر: جهمرة اللغة لابن دريد، مادة (ورخ) ص ٥٩٤ - وأراه مصدر هذا الخبر، وعنه أخذه اللاحقون، وهو كما مر بنا متكلم فيه - والخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر - ولم أجده في المطبوع من هذا الكتاب ولكن ذكر ذلك وأسنده إليه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤ / ١، ولعله في المفقود منه - وأدب الكتاب للصولي، ص ١٧٨ - وموضوع كتابه هو موضوع كتاب قدامة نفسه، وهو معاصر لقدامة وأصغر منه فلا ريب أنه اطلع على كتاب قدامة ونقل منه هذا الخبر ولم يعز إليه. والمرزوقي في الأزمنة والأمكنة ٢ / ٢٦٧ - وهو ناقل عن الصولي - والصفدي في الوافي ١ / ١٦، وهو ينقل معنى كلام ابن دريد من غير عزو إليه.

(٢) توجيه النظر إلى أصول الأثر ١ / ٢٨٨.

(٣) فمن ثمّ دخلت المعاجم في هذا الوقت المتأخر بعد معرفة العرب لها خاصة بعد الفتوحات واختلاط العرب على اختلاف بلادهم ببعضهم، فنطقها كلّ بما تسمح به مخارج نطقه فهي عند بعضهم (أرخ) لمن لا تعرف لهجته تسهيل الهمز، وكانت (ورخ) لمن في لهجته التسهيل.

(٤) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي، ص ٥٩.

ويؤكد أحمد شاكر هذا النفي بقوله: «وهو كما قال»^(١). وقال حسين نصار: «وعزاه بعضهم الآخر إلى الفارسية، فقال: إن أصله ماه روز، بمعنى يوم الشهر، فعرّبوها، فقالوا: مورخ، وجعلوا المصدر منها التاريخ، وهو اشتقاق بعيد لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين العربي والفارسي»^(٢).

قلت: وهو كما قالوا. أما قول الخوارزمي: «التاريخ: على ما رُوي كلمة فارسية، أصلها ماه روز، فأعرّبت، وهذا اشتقاق بعيد، إلا أن الرواية جاءت به»^(٣)، فهذا أمر سيأتي الرد عليه عند الحديث عن هذه الروايات التي أشار إليها الخوارزمي.

وأما القول بأصل سامي اشتُقت منه هذه الكلمة فدخلت العربية القديمة من هذا الباب، فيرده ما ذكرته في نفي وجود هذا اللفظ بهذا المعنى أصلاً وجزراً في العربية الشمالية حتى أواسط العقد الثاني من الهجرة تقريباً، إلا أن يقصد أصحاب هذا الرأي تسرب هذه الكلمة من السنة سبقت العربية الشمالية أو عاصرتها^(٤)، وهذا يُعجّل بنا إلى ما سيأتي الحديث عنه في الراجح عندي من هذه القضية، وهو كونها كلمة دخلت على العربية الشمالية من لسان آخر غيرهِ، سواء عليه: أسبّقه^(٥)، أم عاصره^(٦)، أم تأخر عنه^(٧).

ولكن في هذا القول إطلاق يحتاج إلى تقييد، فأى السنة هذا الأصل الذي دعوهُ بالسامي دخلت منه هذه الكلمة على العربية الشمالية، وما علاقة هذا اللسان صاحب هذا الأصل بالعربية الشمالية، وأي هذه اللغات السامية أقدم في احتوائها هذا اللفظ قبل العربية الشمالية، إلا أن تكون السنة هذا الأصل جميعاً بها هذا اللفظ! وهذا يحتاج إلى دراسة أخرى حتى نقيّد هذا الكلام، فإنَّ ضَرَبَ المثل والمثّلين لا يكفي لفرض نظرية هذا الأصل الذي وسموه بالسامي.

وعلى أية حال، فإني وإن كنت لا أوافق على هذه القسمة السامية واصطلاحها^(٨)، إلا أنها لا تخالف في مجملها ما رَجَحَ عندي في هذه القضية، وهي كونها دخلت بحرفها ونصها من لسان آخر، أو السنة أخرى تشابهت في بعض خصائصها وصفاتها مع العربية الشمالية.

(١) المعرّب للجواليقي ص ١٣٧ حاشية ٨.

(٢) نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص ١٧٥، ونشأة التدوين التاريخي عند العرب، ص ٦.

(٣) مفاتيح العلوم، ص ٧٩.

(٤) أعني العربية الشمالية.

(٥) عند من يقول بعدم أصالة العربية الشمالية.

(٦) عند من يقول بانشتقاق العربية الشمالية ولغات أخرى عن سابقة أمّ لهم.

(٧) عند من يقول بأصالة العربية الشمالية القرآنية خلّقا ونشأة.

(٨) ولهذا دراسة أخرى ليس هذا موضعها.

أما أن يكون هذا الأصل كلمة arch اليونانية بمعنى القديم^(١)، فهذا قول غريب مردود تفرد به صاحبه^(٢) لم أجده عند غيره ممن سبقه - حسب علمي - ذلك أن هناك فرقا بين arch اليونانية بمعنى القديم، وبين (أرخ) عند العرب بمعنى التاريخ، وإن تشابه النطق، فكلمة arch اليونانية التي بمعنى القديم لا تحمل معنى التاريخ عند العرب - كما سيأتي - لا أصلا ولا اشتقاقا ولا محاكاة، وكم من السنة متباينة تشابهت في نطق بعض ألفاظها واختلفت اختلافا ظاهرا وباطنا في دلالاته ومعانيه عند أهل كل لسان، فضلا عن أن هذا القول ينبغي أن يتبعه حديث آخر يوضح لنا متى دخل هذا اللفظ اليوناني إلى لسان العرب، وما هي القرائن والأدلة التي تدل على ذلك، وما هي أطواره التي مرّ بها هذا المصطلح الوافد حتى اتخذ دلالاته من معنى القديم أو القدم عند أصحابه الأوّل، إلى دلالاته التي عُرف بها بعد ذلك عند العرب.. أما أن يُطلق هذا القول الغريب هكذا مرسلا من غير هذه الدراسة، فهذا رجم بالغيب، خاصة إذا كان صاحب هذا القول قد لم يسبقه إليه أحد من قبله، ولم يقل به أحد غيره - فيما علمت -.

وعليه فإن هذا المرسل من القول لا أراه ينهض حجةً للتدليل على أصل يوناني لهذه الكلمة يصلح أن يكون مصدرا لكلمة التاريخ عند العرب، وسوف يتأكد ذلك عند الحديث عن دلالة هذا اللفظ (التاريخ) عند العرب.

فلم يبق إذن بعد ذلك كله إلا الاحتمال الأخير، وهو كونها كلمة عربية يمنية جنوبية، وهذا بحق هو ما تَرَجَّح عندي، فلقد تواتر أصل هذه الكلمة بحروفها (ورخ) قديما في لسان عرب الجنوب - تواترا يتعذر حصره - محتويا لمعنى القمر - أو بالأحرى: الهلال - دلالة على بدء الشهر القمري عند بزوغ هلاله في أول ليلة منه^(٣)، فصارت كلمة (ورخ) تدل بعد ذلك في لسان العرب

(١) تحمل كلمة arch، أو: ἀρχή في أصل اللسان اليوناني معنى القَدَم، وهي تقابل في الإنجليزية كلمة Ancient. انظر:

- LIDDELL - SCOTT: A Greek-English Lexicon, New York, 1897, p 227.
- S. C. WOODHOUSE, M.A: English-Greek Dictionary, London, 1910, P 29.

(٢) د. حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون، ص ٧.

(٣) يقول بيستون: «نواجه في نصين لفظة (شهر)، وتعني حرفيا: هلال الشهر، وإذا أخذنا هذه الكلمة بمعناها الحرفي فقد تعني يوم الشهر التقويمي الذي يحدث أن يطل فيه الهلال، لكن من المرجح أن هذه الكلمة شأنها كشأن كلمة (ورخ) نفسها، هي آخر ما تبقى من أصل بائد فقدت معناها الحرفي وصارت مجرد مرادف لليوم الأول من شهر التقويم». (انظر التقويم في النقوش العربية الجنوبية، ف. بيستون ص ٢٠، وانظر أيضا المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٤٦/٨). وكان مما نبه عليه بيستون أيضا قوله: «أود أن أصرف الانتباه إلى واقعة مثيرة لم يعلق عليها أحد حتى الآن، وهي أنه لم يوجد نص بين نصوص النقوش العربية الجنوبية المؤرخة يحمل أية إشارة إلى أي يوم من أيام الشهر بدءا من الحادي عشر فما فوق..» (التقويم في النقوش العربية الجنوبية، لبيستون، ص ١٦).

الجنوبي على معنى كلمة الشهر القمري، ذلك أن تأريخهم للأيام والشهور كان تأريخاً قمرياً، دَلَّ على ذلك تتبع عدد ليس بالقليل من نقوش هذه الأمة^(١).

ولقد تولد من عدّ هذه الأهلة شهوراً، ومن عدّ الشهور سنين، ظاهرة التورخ في لسان عرب الجنوب، التي يقابلها كلمة العدّ في لسان عرب الشمال^(٢) - ووحدته الشهر أو الورخ - فهو يخالفها في اللفظ ويوافقها في المعنى.

أما اللفظ: فهذا هو ما دل عليه استقراء لسان عرب الشمال، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَّهُ تَفْصِيلاً﴾^(٣) [الإسراء: ١٢]، وقال: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾^(٤) قالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]، وقال: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَجِيزِ مِّن نَّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾^(٥) [الطلاق: ٤].

وأوضح شيء في هذا الباب من صحيح السنة، الباب الذي عقده البخاري في صحيحه بعنوان «باب التاريخ، من أين أرخوا التاريخ»، ثم روي تحته خبراً صحيحاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «ما عدّوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، ما عدّوا إلا من مقدمه المدينة»^(٦). فتأمل مقابلة البخاري بين لفظ الحديث (عدّوا) وبين لفظة الترجمة (أرخوا)، مما يعني تأكيد ما ذهب إليه. ومن الشعر، قول أمية بن أبي الصلت^(٧):

وَالشَّهْرُ بَيْنَ هِلَالِهِ وَمُحَاقِهِ
أَجَلَ لِعِلْمِ النَّاسِ كَيْفَ يُعَدُّ
لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ خَبِيئَهُ
قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

(١) انظر: نقوش عربية جنوبية، لخليل يحيى نامي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٢، جزء ٢، ١٩٦٠، ص ٥٤، سطر رقم ١٠، وترجمته ص ٥٩، وصفحة ٥٤، سطر رقم ١٤، وتفسيره ص ٥٦، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي ١/ ٤٧، ٢/ ١٩٨، ٨/ ٤٤٦، والتقويم في النقوش العربية الجنوبية، لألفرد بيستون، ص ١٣، ٢٠، ٧٤، وانظر كذلك: حروف الحلق، لخليل يحيى نامي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٨، جزآن ١، ٢، ١٩٦٦، ص ١.

(٢) ويقابلها كلمة Date في الإنجليزية، وليس HISTORY.

(٣) فلو أنك أبدلت في المعنى لفظة (تاريخ) الجنوبية (عدد) الشمالية لرأيت الموافقة في المعنى.

(٤) تأمل معنى هذه الآية ومدلول التاريخ عند خليفة بن خياط في مقدمة تاريخه (ص ٢٣) إذ يقول: «هذا كتاب التاريخ، وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم، وانقضاء عدد نساءهم..».

(٥) صحيح البخاري برقم ٣٩٣٤.

(٦) ديوانه ص ٤٩، والحامسة البصرية، لصدر الدين علي البصري ٤/ ١٦١٧.

وقول النابغة الجعدي^(١):

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ العَدَاةَ مَتَى هِيَ عَدَدْتُ لَهَا مِنَ السِّنِينَ ثَمَانِيَا

وعلى الرغم من ظهور هذه الكلمة في رواية صحيحة عن ابن عباس (ت ٦٨هـ)^(٢)، فإنها مع ذلك لم تستفص في لسان الشماليين فيما يبدو حتى أواخر القرن الأول الهجري - وخصوصا في عهد بني أمية - بل ليس عليّ من حرج إن مددتُ العهد إلى القرن الثاني الهجري، وذلك بين من الحديث الذي رواه البخاري وسبق ذكره، فتعبير راوي الحديث - وهو سهل بن سعد الساعدي - عن (التاريخ) بلفظة (العَدَّ) دون لفظة (التاريخ) - وهي أبلغ في اللسان المتأخر للتعبير عن معنى كلمة العد التي في الحديث كما رأينا في صنيع البخاري في ترجمة الباب - يؤكد ما قلتُ من عدم اشتها هذه الكلمة إلى حين هذا الصحابي في المدينة خاصة وفي الحجاز عامة، وسهل بن سعد هو آخر من مات من الصحابة بالمدينة سنة إحدى وتسعين وهو ابن مائة سنة، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة^(٣).

ويزيد من قوة هذا الرأي متابعتي لأمر شد انتباهي أثناء قراءتي في هذا الباب فدفعتني إلى عمل استقراء للألفاظ الدالة على معنى التاريخ - ومنها لفظة التاريخ نفسها - في روايات الصدر الأول وتحديدًا حتى أواخر القرن الثاني الهجري تقريبا، فوجدتُ أن أهل الحجاز لا يكادون يلفظون لفظة التاريخ حتى هذه الفترة، بل اشتهر على ألسنتهم جميعا عبارة: «مِن مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ..» مكان كلمة (مِن التاريخ)، تليها في الشهرة عبارة «مِن الهجرة أو: مِن مهاجره»، أو يكتفون بِعَدِّ السنين مطلقاً من غير نسبة صريحة، إلا إذا قُدِّرَتْ بنسبتها إلى أي من العبارتين السابقتين^(٤) حتى بدأت تنفشي منذ أواسط القرن الثاني الهجري في تصانيف أهل العراق والشام ومصر عبارة: (مِن التاريخ) عقب تأريخهم لأي شيء في عصرهم أو عصر من سبق^(٥)، ناهيك عن تصدرها عناوين كثير من هذه التصانيف في تلك الأمصار، وهذا أمر لم تعرفه تصانيف أهل الحجاز إلا متأخرا، بداية من الواقدي المدني (ت ٢٠٧هـ) في آخر عمره بعد أن سكن العراق دهرا حين صنف كتابه الذي حمل اسم «التاريخ»^(٦).

(١) ديوانه ص ١٨٤.

(٢) هذا إن صح نقل الراوي عنه لفظا فلم يتصرف في الرواية ولم يرو بالمعنى، إذ رَوَى عنه: «كان التاريخ في السنة التي قدم فيها النبي ﷺ إلى المدينة، وفيها ولد عبدالله بن الزبير». وسيأتي تخريجه.

(٣) الطبقات لابن سعد، تحقيق د. علي عمر ٣٧٦/٥، والإصابة لابن حجر، تحقيق الجاوي ٢٠٠/٣.

(٤) فيقولون: «كانت في سنة ست، أو خرج في سنة سبع..».

(٥) نحو قولهم: «توفي في سنة خمسين من التاريخ..».

(٦) وهو من الكتب المفقودة، ولكن رآه ابن عساكر وميزه عن الطبقات - له أيضا - ونقل منه.

دلالة الكلمة:

ولقد ابتغيت مما سبق من البيان، أن أوطئ للحديث عن المعنى الذي ينبغي رد هذه الكلمة إليه، فدلالة المعنى لأي لفظ تتصل اتصالاً وثيقاً بالأصل اللغوي الأول له ولا ريب. والإغفال عن هذا الأمر يؤدي إلى اللبس والخلط كما سنرى فيما يُطلق عليه المعنى الاصطلاحي لهذه الكلمة بعد ذلك.

فنحن إلى الآن أمام معنى واحد لكلمة التاريخ، هو تقييد الحوادث بالعدّ أو بالتأريخ. وهذا المعنى لهذا اللفظ هو ما علمه المسلمون الأوّل من هذه الكلمة، وأكدته تصانيفهم الأولى حين جعلوه علمًا، له أصوله وضوابطه.

فقد بدأ التاريخ مع العرب في الإسلام تقويماً مثله في ذلك مثل غيره من الأمم - خاصة عرب الجنوب - وذلك أنّ الحاجة صارت ملحة إلى أصل واحد يرجع إليه المسلمون جميعاً عند العدّ أو التأريخ يقيد مصالح المسلمين ومعاملاتهم جميعاً على السواء، كمثال الأمر في جمع القرآن في عصر عثمان رضي الله عنه حين ردّ المسلمين إلى حرف واحد لا يختلفون عليه، فبعد أن كان كل امرئ يرجع في عدّه وتأريخه إلى ما شاء بما اشتهر عنده وقومه، صار هذا الأصل الذي اجتمع عليه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه هو الأصل الذي ينبغي للمسلمين جميعاً التقيّد به لمن أراد التورخ، وترك ما سواه، مع وجوب لزومه في المكاتبات والرسائل بعد أن كان هذا الأمر قبل عهد عمر مهملاً على غير وجهة مضبوطة، أو على الخيار غير ملزم لأحد. فإنه على الرغم من إجماع القدماء على وجود تواريخ عرفت في العرب في جاهليتها، فإنّ ما وصل إلينا من نقوشهم ووثائق معاهداتهم تدل على عدم التزامهم أصلاً بتاريخ واحد يتعارفون عليه، فتاريخ قريش يختلف عن تاريخ الغساسنة، وكلاهما يختلف عن تاريخ المناذرة، ناهيك عن تاريخ اليهود.. ولم يكن مع ذلك ملزماً كما قلت، وإلا فهذه صحيفة المشركين ضد بني هاشم حين حصر وهم في الشّعب، وهذا صلح الحديبية، وهذه كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى ملوك الأمصار، وغيرها من العهود والمواثيق أين هي تواريخها؟ وما هي هذه التواريخ؟ وكأنهم اعتبروا بدء توقيع العهد أو الميثاق هو بداية تاريخ المعاهدة، ومنها يبدأ العدّ أو التأريخ. وكان هذا دأبهم في التورخ والعدّ من الجاهلية والإسلام، بل حتى بعد إلزام عمر بتاريخ واحد، واعتبارهم هذا التاريخ لا محيد عنه في العهود والمواثيق، لم نعدّم مع ذلك بقاء بعضهم على فطرة العرب الأولى في التورخ بما اشتهر لديه من حوادث لها شأنها وذكرها عنده، يدل على ذلك كثير من النصوص ^(١).

(١) منها: ما جاء عن يزيد بن أبي حبيب: «أن حفصة توفيت سنة إفريقية»، (أنساب الأشراف ٢ / ٦١)، وروى ابن سعد عن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه قال: «توفي سعد بن عبادة بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر» (الطبقات).

والعرب الشمالية وإن لم يكن لديهم قبل بعثة النبي ﷺ تقويم واحد يرجعون إليه إذ أرخوا بمشهور الحوادث وبولاية الملوك، فهذا أمر كان كذلك عند الجنوبيين^(١)، حتى جاء الإسلام واجتمعوا على تقويم واحد هو التقويم الهجري الذي ألزم به الجميع دون سواه.

وهذا يدفع بنا إلى نتيجة أخرى، هي أن عمر بن الخطاب والمسلمين في عهده لم يتدعوا في الإسلام تأريخا كانوا يجهلون معناه قبل ذلك، بل علموه وعقلوه، ولكن كل ما فعله عمر وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين هو إلزام المسلمين بتاريخ لا يُختلف عليه ليس أكثر ولا أقل، ذلك أن القائل بابتداع عمر للتاريخ في الإسلام إنما ينفي بذلك عن العرب الأولين معرفتهم بالعدّ أو التأريخ وهذا خطأ، ودليل ذلك أن القائل بهذا القول لا يلبث أن يناقض نفسه حين يتكلم بعد ذلك عن التأريخ عند العرب في الجاهلية وما أرخت به. وقد ذكرت من قبل أنه قد ظهر من النقوش الشمالية ما يؤكد معرفة الشماليين لظاهرة التوريف.

ولكن بقي من حديثي هنا التنبيه على أهم ما ينبغي أن نخرج به مما سبق بعد التوضيح لدلالة هذه الكلمة (التاريخ) عند أهلها الأولين، وهو عدم الخلط بينها وبين ألفاظ أخرى استعملها المسلمون في هذا الباب ولكن في غير هذا المعنى: كالأخبار، والسير، والمغازي، والأنساب، والأيام، والأنباء، والحديث، والأساطير، والأنساب، والقصص^(٢).. وهذه كلها ألفاظ استعملها المسلمون الأول في هذا الباب، ولكن لتدل على معاني أخرى غير هذا المعنى الذي يحمله لفظ (التاريخ) لديهم^(٣). وقد وقع كثير من المعاصرين ممن تكلم في علم التاريخ عند المسلمين في هذا الخلط، وهذا أمر وإن اصطاح عليه المعاصرون إلا أن أصحاب هذا التراث الأول لم يعرفوه، بل ميزوا بين كل مصطلح بدلالة ومنهاج عُرف به أهله، بل كانت الدرجة العلمية للرجل تتضح بمجرد اشتهاره بالعمل في ميدان مصطلح من هذه المصطلحات، فكون الرجل أخباريا أو قاصا مثلا فإن هذا يعني جرحه غالبا عند أهل العلم لهذا العصر، وذلك لاشتهار العاملين في هذا الباب برواية الأباطيل والموضوعات من غير تمحيص ولا تثبيت، بعكس المؤرخ والمحدث في هذا العصر، إذ كان العاملون في هذين الميدانين الأخيرين من المشهورين بالتحقيق والتمحيص غالبا، لما يروونه أو يسمعون وفق منهاج نقدي دقيق شرطوه لأنفسهم واصطلحوا عليه.

وعليه فإن أي خلط في هذا الباب سيؤدي حتما إلى أخطاء منهجية عند من يتناول هذا العلم في هذه الحقبة بالدراسة والتحقيق.

(١) يُراجع في ذلك المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٦/١.

(٢) سيأتي الكلام عن هذه المصطلحات ومدلولها عند الحديث عن أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٣) في حين جعل المعاصرون هذه الكلمة جامعة لكل هذه المعاني.

وحين أردت تتبع أسباب وتاريخ هذا الخلط، وجدت أنه بدأ مع عصر النهضة الأوروبية التي كان لها تأثيرها الخطير في جوانب كثيرة من حياة العرب والمسلمين في العصر الحديث، من أهمها الجانب العلمي.

ذلك أني كما ذكرت من قبل وكما سيأتي^(١) أن المسلمين الأول فصلوا فصلاً تاماً بين مدلول كلمة التاريخ وبين غيره كثير من مصطلحات تلحق ببابه، فمنهج المؤرخ عندهم يختلف عن منهج الأخباري والنسابة، ومنهج النسابة يختلف عن كليهما.. وهكذا. وقد ظل ذلك الفصل واضحاً في تصانيفهم الأولى، فالتاريخ عندهم لا يسمى تاريخاً إلا إذا كان محتويًا على الزمن عنصرًا فيه^(٢)، فإذا فقد عنصر الزمن انتقل مفهومه لديهم من التاريخ إلى أنواع أخرى من علوم الرواية عندهم، وهذا أمر قد وضح في تصانيفهم، فإننا لا نكاد نرى كتاباً عندهم حمل اسم (التاريخ) إلا وقد ثبتت فيه هذه الصفة.

يقول خليفة بن خياط موضحاً مفهوم التاريخ عنده وعند أهل عصره: «وبالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم، وانقضاء عدد نسائهم، ومحل ديونهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾»^(٣).

وهذا الأمر شابه بعض التغيرات منذ القرن الرابع الهجري حين بدأت الأخبار والقصص تأخذ طريقها إلى كتب التاريخ عند المصنفين المسلمين والعرب منذ ذلك الحين حتى صارت الأخبار جزءاً لا ينفك غالباً عن التاريخ، فأصبحت بمثابة الجسد له، لا يكاد يتجسد التاريخ إلا به، وصار كل مؤرخ في هذا العصر أخبارياً مؤرخاً، وليس العكس، ونجد معنى ذلك في نفس ابن حجر حين قال: «ومن ثمة قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الأخباري»^(٤).

فضلاً عن أن التاريخ حمل منذ ذلك الوقت معنى الأولى والآخرة، سن ذلك مؤرخ مجدد تزعم حركة انتقالية بين عصر وعصر، شارك في منهاج الأول وابتدع منهاج الآخر، هو الطبري في تاريخه، وتبعه من بعده أسوة به، فلم يعد التاريخ هو [التاريخ] المطلق كما كان قبل، بل قيده فهمٌ جديدٌ أضاف لـ [التاريخ]^(٥) في هذا العصر معنى جديداً^(٦)، فلم يعد (التاريخ) مجرد العَدِّ،

(١) سيأتي الكلام عن هذه المصطلحات ومدلولها عند الحديث عن أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٢) وانظر مبحث أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، ص ٢٣.

(٤) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر ص ٤١.

(٥) لاحظ المقابلة بين (التاريخ) بالهمز في الأولى، و(التاريخ) بالتسهيل في الثانية.

(٦) وهو ما يطلق عليه المتأخرون (فلسفة التاريخ).

ولا مجرد التقييد على الأيام والسنين فحسب، بل صار مع ذلك هو العبرة في الدنيا للفوز بالآخرة، فهو: (تاريخ الرسل والملوك)، و(تجارب الأمم) و(مرآة الزمان)^(١)، و(البداية والنهاية) ..

إلا أنه مع ذلك ظل مفهوم الفصل واضحاً بين هذا العلم وبين غيره من العلوم لم يتغير، وإن توسع بعض منهاج تدوينه، وظلت دلالة كلمة التاريخ لها معناها القديم في نفوس أصحاب هذه التصانيف المتأخرة، دلّ على ذلك عناوين ومحتويات تلك التصانيف^(٢).

فالتاريخ - كما قلت آنفاً - لم يعد منذ هذا الزمان كما كان سابقاً في أول الإسلام، التقييد المجرد للحوادث والوفيات عبر الأيام والسنين، فإن الدولة قد اتسعت مع الأيام، تعاقبت فيها ملوك وأتت أخرى، وتقلبت بها أعصار، وأصابتها نوائب ونوازل تستحق أن تروى ليُعتبر بها، فضلاً عن أمم سبقت أخبر عنها القرآن احتيج إلى التأريخ لها والتعرف عليها، فكانت الحاجة إلى تقييد ذلك كله واجبة، فكان التاريخ هو وعاء هذه الأخبار شريطة أن يُعتبر عامل الزمن عند إلحاق هذه الأخبار في ثناياه حتى يحمل معنى (التاريخ) وإلا ألحق حسب طبيعة ما يروى بأنواع أخرى من أنواع سرد الرواية والخبر كالأخبار أو السير أو القصص أو الأيام ..

وحول هذا المعنى كانت تدور عبارات من تناول هذا العلم بالدراسة والتحقيق في هذه الأعرس المتأخرة حتى قبيل العصر الحديث.

فالتاريخ في عصر الكافيحي (ت ٨٧٩هـ) هو: «علم يُبحث فيه عن الزمان وأحواله، وأحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته»^(٣). ثم يقول بعد ذلك في موضع آخر: «وأما موضوعه فهو أمور حادثة غريبة لا تخلو من مصالح وترغيب وتحذير وتنشيط وتثبيط واعتبار وبسط وانفعال، بحيث يلاحظ فيها ضبطها بتحرير تحديد، وتقرير تعيين، وتوقيت لغرض صحيح في ذلك .. وأما ما يوجد في هذا الفن من مباحث لا يلاحظ فيها تلك الحيشية المذكورة في تعريف الموضوع فهو من باب التتميم والتكميل والإلحاق لغرض من الأغراض»^(٤). ثم لا يلبث

(١) وعرفه بذلك الصفدي في الوافي بالوفيات (٤ / ١)، حيث قال: «والتاريخ للزمان مرآة».

(٢) ولعل من أبرز الأمثلة المعبرة عن هذا الأمر غير ما سبق: كتاب (التاريخ الجامع لفنون من الأخبار والكوائن في الأعصار قبل الإسلام وبعده) لمحمد بن الحسين بن سوار، بلغ في تصنيفه إلى سنة ٣٢٠هـ، وهو من مصادر المسعودي في مروج الذهب (١ / ١٤)، وكتاب (الأوسط في الأخبار على التاريخ)، للمسعودي ذكره في مقدمة المروج ١ / ١٠، وكتاب (الأخبار الداخلة في التاريخ) لأبي القاسم الحجازي، وهو من مصادر النديم في الفهرست (٧٣ / ٢).

(٣) المختصر في علم التاريخ ص ٣٢٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٣٣.

أن يتبع هذا الكلام بقوله: «وأما استغناء الأوائل عن تدوينه^(١) فهو لا يقدر في وجوبه.. وقد كانت الحوادث قليلة في ذلك الزمان، وأما الحوادث والوقائع فقد كثرت جدا في هذا الزمان، فمست الحاجة إلى ضبطها على وجه كلي معتبر فيه، والضابط لها على وجه معتبر هو علم التاريخ»^(٢).

وهو عند السخاوي (ت ٩٠٢هـ): «فن يُبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت.. وأما موضوعه: فالإنسان والزمان، ومسائله: أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان»^(٣). ويقول في موضع آخر: «وأما ما لعله يُذكر فيه - يعني التاريخ - من أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسنتهم، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم، والحكماء وكلامهم، والزهاد والنسك ومواعظهم، عظيم الغناء، ظاهر المنفعة، فيما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه وسيرته في اعتقاداته، وسيرته في أمور الدين وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي»^(٤).

وكان ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) قد أشار إلى شيء من هذا قبل ذلك حين قال: «التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل»^(٥).

ثم يأتي قول ابن فهد^(٦) (ت ٨٨٥هـ) يؤكد ما سبق بقوله: «علم التاريخ لا شك في جلاله قدره، وعظم موقعه، ينتفع به للاطلاع على حوادث الزمان، وسير الناس وما أبقى الدهر من أخبارهم بعد أن أبادهم، مع أنه عبرة لمن اعتبر، وتنبه لمن افتر، واختبار حال من مضى وغبر، وإعلام أن ساكني الدنيا على سفر، وفي ضبطه بالسنين أمور مهمة، وفوائد جمة لحظها الفاروق والصحابة رضي الله عنهم عند وضعه التاريخ»^(٧).

وتتمثل أهمية ووظيفة التاريخ عند السيوطي (ت ٩١١هـ) في معرفة الأجيال وحلولها وإنقضاء الأجل وأوقات التعاليق ووفيات الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم فيعرف بذلك كذب الكاذبين وصدق الصادقين^(٨).

(١) يعني بتلك الصفة التي شرحها أنفا.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣٤.

(٣) الإعلان بالتوبيخ، ص ١٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٢.

(٥) المقدمة ١ / ٣٢٥.

(٦) هو: عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد القرشي الهاشمي المكّي، نجم الدين، مؤرخ، من بيت علم، ولد سنة ٨١٢هـ، رحل إلى مصر والشام وغيرهما، وتوفي بمكة في سنة ٨٨٥هـ. (انظر البدر الطالع ١ / ٣٤٨، والأعلام ٥ / ٦٢).

(٧) اتحاف الوري بأخبار أم القرى، لعمر بن فهد، تحقيق فهيم شلتوت ٤ / ١.

(٨) الشارح، للسيوطي ص ١٧.

وهكذا حتى نقرب بعد ذلك من عصر النهضة الأوروبية (القرن ١١ هـ - ١٧ م)، فنشهد فيه إهمالا وتدهورا وانحدارا لعلم التاريخ عند المسلمين، فمن يطلع على حركة التصنيف في هذا العصر عامة وفي مصر خاصة - وكانت قد تقلدت زعامة العالم الإسلامي حضاريا وعلميا في هذا الوقت - يجده على قلة ما دُوّن فيه، هزيلا ضعيفا مضطربا، لا منهاج لهم فيه ولا استواء، فهو لا يكاد يعبر عن شيء، وكأنه لم يعد هناك ما يستحق التأريخ له عندهم في هذا الزمان، يعبر عن ذلك عبد الرحمن الجبرتي - الذي يمثل آخر رجال المرحلة الوسطى السابق الحديث عنها - بأبلغ تعبير حين قال: «ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعنتي بتدوينه سلفا عن سلف، وخلفا من بعد خلف، إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البطالين، وأساطير الأولين، ولعمري إنهم لمعدورون، وبالأهم مشتغلون، ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة، فإن الزمان قد انعكست أحواله، وتقلصت ظلاله، وانخرمت قواعده في الحساب، فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب، وإشغال الوقت في غير فائدة ضياع، وما مضى وفات ليس له استرجاع إلا أن يكون مثل الحقير منزويا في زوايا الخمول والإهمال، منجمعا عما شغلوا به من الأشغال فيشغل نفسه في أوقات من خلواته، ويسلي وحدته بعد سيئات الدهر وحسناته»^(١).

ونخلص مما سبق بتأكيد هذا الفصل الواضح حتى الآن عند المسلمين بين مفهوم التاريخ من جهة، وبين فنون أخرى مستقلة عنه - حتى وإن حوى - التاريخ - بعضها منذ القرن الرابع الهجري - كفن الأخبار أو القصص أو الأنساب أو أي شيء بعد من أنماط الرواية عند العرب والمسلمين.

وفي المقابل لم يعرف الأوروبيون علم التاريخ الذي هو تقييد الحوادث والوفيات على السنين حتى بداية عصر النهضة الأوروبية! وإنما كان مبلغ علمهم في هذا الباب هو ذلك العلم الذي يختص بمعنى الحدّث وما يحويه من خبر عن شيء مضى أو قصة حدثت، فترصد عن طريقه^(٢) آثار ظاهرة من الظواهر الإنسانية^(٣). وعُرف عندهم بالاسم المشتق من الإغريقية ذي الأصل

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار ١/ ٤، ٥، وراجع معه دراسة جاك كرابس جونيور حول علم التاريخ في هذا العصر بعنوان: كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الوهاب بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م.

(٢) أي عن طريق هذا العلم.

(٣) مما ينبغي التنبيه إليه أنّ تعريفات هذا العلم وتحديد مدلولاته لا تزال مضطربة وغير محددة عند الأوروبيين منذ مطلع العصر الحديث، ومن مظاهر هذا الاضطراب اختلافهم حوله هل هو علم أم فن. راجع في هذا الباب: «نحن والتاريخ»، لقسطنطين زريق، و«التاريخ ومنهج البحث فيه»، لقاسم يزبك.

العربي Istorìa (أسطورة)^(١) الذي لا يزال كما هو في اليونانية الحديثة بحروفه عكماً على فن هو في الحقيقة ليس هو من التاريخ (Date) أو (chronicle)^(٢) في شيء، هذا الأصل الذي تشقق منه اسم هذا العلم في جل اللغات الأوربية بعد ذلك للدلالة على معنى الحدث الماضي، فهو في اللاتينية والإنجليزية History، وفي الفرنسية Histoire، وفي الأسبانية Historia، وفي الإيطالية Storia، ويُنطق في الروسية Istorija. وما يدل على أنّ هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة أنّها حين تُرجمت إلى بعض اللغات الأوربية المحلية حملت هذا المعنى نفسه - وهو الحدث الذي مضى - كالألمانية التي حمل هذا العلم فيها اسم Geschichte^(٣).

وكان من أبرز من تناول قضية تعريف هذا العلم ووظيفته عند الغرب: هرنشو في كتابه المترجم بـ«التاريخ» حيث حدد له ثلاثة معاني، الأول: مجرى الحوادث الفعلي - يعني بذلك الرجال الذين غيروا بأعمالهم مجرى شئون العالم - الثاني: التدوين القصصي لمجرى شئون العالم كله أو بعضه. الثالث - وهو الأدق عنده في تحديد معنى (History) -: أنّ هذا اللفظ في أصل معناه^(٤) واشتقاقه الدقيق يفيد (البحث)، أو (التعلم بواسطة البحث)، أو (المعرفة التي يتوصل إليها من طريق البحث). ثم حدد موقعه من العلوم بأنه علم نقد وتحقيق، أقرب العلوم شبيهاً به الجيولوجيا، لأن العامل في ميدانه يدرس الآثار المادية والسجلات المتخلفة عن الماضي، ليفسر بواسطتها الحاضر، فهو في نهاية الأمر يبحث عن العوامل الخفية، والحقائق الروحية الخالدة على مرّ الزمان التي تبعث الناس على العمل. وحين تحدث عن موضوعه صرّح بأنه «لا موضوع له

(١) لم يصدر هذا القول مني على سبيل المفاخرة القومية أو العرقية أو الدينية، وإنما يسوقني إليه بحث آخر في هذا الشأن له أدلته وحججه قد يخرجنا تفصيل القول فيه عن موضوعنا الذي نحن بصدده، وانظر تحرير معنى الأسطورة في لسان العرب في مبحث أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٢) كذا أطلق عليه جاك كرابس جونيور تمييزاً له عن مفهوم كلمة History، وقد أدلى بدلوه أيضاً في هذا الشأن إذ يقول: «وهذا المصطلح المستمد من اليونانية chroncs وتعني الوقت، وسيلة مناسبة للإشارة إلى رواية تاريخية تُدرج فيها الوقائع في تتابع زمني دقيق دون أي رابطة بينها فيما عدا رابطة مضي الزمن»، ويُذكر في موضع آخر «أنّ هدف التأريخ الزمني chronicle هو الفهرسة - يعني: الزمنية للحوادث - أما هدف History فهو التحليل». انظر: كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الوهاب بكر، ص ١٦، ٢١.

(٣) علم التاريخ عند المسلمين، لروزنتال، ص ١٦، ١٧، وكيف نفهم التاريخ، للويس جوتشلك، ترجمة عائدة سليمان، ص ٥٥.

(٤) يعني بذلك الأصل اليوناني لهذه الكلمة (Istorìa).

على الإطلاق، هو مجرد طريقة بحث، ولكي يتعين له موضوع ينبغي أن نقرن اسمه بوصف من الأوصاف: Political History^(١) - Ecclesiastical History^(٢) .. وهلمَّ جَرًّا^(٣).

ومن ثم، كان خطأ كبيرا اقترفه ذلك الذي ترجم اصطلاح التاريخ الإسلامي بلفظة History الأجنبية، حتى صار ذلك من الأمور المسلّم بها في عصرنا الحاضر، مما تسبب - كما قلت من قبل - في أخطاء منهجية كثيرة، وخلط شديد عند الحديث عن التاريخ ومنهج البحث فيه عند المسلمين، وكان من أخطر آثار هذا الخطأ تحكيم هذا المصطلح الأوروبي - بدلالته المنقطعة تمام الانقطاع عن مصطلح التاريخ الإسلامي - على منهاج التاريخ ومدلوله عند المسلمين.

وقد تنبه روزنتال إلى هذا الأمر في قوله: «وعلى أي حال، تبقى حقيقة مهمة، وهي أن هذه الكلمة لا بد وأن تثير في القارئ المسلم نتيجة لتطور اشتقاقها نوعا من الأفكار التي لا يمكن أن تطابق ما في كلمة History في الغرب، فكلمة History لا تتصل مع الكلمات العربية التي اعتاد الغربيون أن يترجموها بكلمة History إلا بصلة واحدة من حيث اشتقاقها. يضاف إلى ذلك أن القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ هي من تطورات الفلسفة الحديثة، وهي تختلف كلياً عن مفهوم التاريخ في الإسلام..»^(٤). إلا أنه على الرغم من ذلك لم يلبث أن ناقض نفسه بعد ذلك، وهذا يقع منه كثيرا في دراسته عن التاريخ عند المسلمين.

ومن العجيب أننا لا نجد هذا اللبس الذي وقع فيه المترجمون المعاصرون عند قدماء المترجمين عندما ترجم بعضهم مصطلح Istoria، و History ومشتقاته من كتب اليونان، بكلمة إيسطوريا^(٥)، في إشارة إلى إقرار المعنى الذي هي عليه في كتب هذه الأمة الأعجمية - أيا كان - في عصرها.

وقد يكون هذا القول مدعاة إلى الحيرة في وصف هذا العلم عند الأوروبيين. والحق أن أولى باب ينبغي أن يلحق به وصفاً ومنهجاً هو علم الأخبار وما يتصل به من حيث النقد والتفسير.

أما كون الأوروبيين لم يعرفوا علم التاريخ حتى بداية عصر النهضة الحديثة لديهم، فهذا ما شهد به مرجليوث وغيره إذ يقول: «نلاحظ مناهج معينة ابتكرها المؤرخون العرب لضمان

(١) Political: سياسي.

(٢) Ecclesiastical: كنسي.

(٣) علم التاريخ، هرنشو، ترجمة عبد الحميد العبادي، ص ١٠ - ١٤. وراجع في هذا الباب أيضا: What Is History, E. P. CHEYNEY, University of Pennsylvania, 1907.

(٤) علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٥.

(٥) انظر على سبيل المثال: كتاب أرسطوطاليس في الشعراء، ترجمة أبي بشر متى بن يونس المطبوع ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ص ١٠٣.

الصحة في تسجيل الأحداث، أحدها تأريخها بالسنة والشهر، بل باليوم^(١)، ويصرح المؤرخ الإنجليزي بكل Buckle أن ذلك الأمر لم يُعرف في أوروبا قبل سنة ١٥٩٧ م^(٢).

وقد دفعني هذا الأمر إلى مزيد بحث للوقوف على المتسبب الأول عن هذا الخطأ المنهجي الخطير الذي ألحق التاريخ عند المسلمين بـ History الذي هو بمعنى الخبر ونقده عند الأوروبيين.

بدأ الأمر كما ذكرت آنفا مع عصر النهضة الأوروبية عندما تدهورت جمهرة من العلوم الإنسانية عند المسلمين في هذا العصر، من أهمها التاريخ والأخبار.. وما يدور في فلكهما، فلم تعد تضبطها في الغالب حدود علمية، ولا مناهج للبحث فيها، في حين نجد في المقابل نهضة عجيبة، وازدهارا قويا في هذا الوقت لمثل هذه العلوم عند الأوروبيين، وكان قد صاحب ذلك حركات استعمارية واسعة لبلاد المسلمين، ومن أهمها مصر التي تعرضت للاحتلال الفرنسي في سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م، وما صاحبه من مؤثرات فكرية وحضارية أغرت كثيرا من المصريين للاطلاع عليها، تمثل ذلك في عمليات تطلع واسعة إلى هذه الحضارة الوافدة، ساهم في اتساعها وتأثيرها البعثات العلمية التي أرسلت بعد خروج هذه الحملة، وعلى رأسها بعثة رفاة الطهطاوي (ت ١٢٩٠ هـ) الذي مثل هو وتلاميذه طليعة مرحلة جديدة لمنهج جديد لبعض هذه العلوم - ومن أهمها علوم الأخبار والتاريخ - اختلف تماما عما كان عليه عند المسلمين في العصرين السابقين.

ذلك أن بابه هذه العلوم عند الأوروبيين قد اتخذت اتجاهها آخر، ومنحى جديدا يختلف عما كانت عليه عند أمم العصور السابقة، فقد انصهرت في بوتقتها علوم كثيرة غيرت من مسارها لديهم بحكم تغيرات عدة أصابت مناحي كثيرة من الجوانب العلمية والحضارية، ترجع إلى محن اجتماعية وسياسية عاشتها تلك الأمة ليس هذا موضع الحديث عنها، ولكن يهمننا منها في مقامنا هذا أثر ذلك كله في مفهوم التاريخ عند المسلمين في هذه المرحلة الثالثة التي نحن بصدددها في العصر الحديث.

فقد غلب على هذه العلوم جانب التحليل الفلسفي والبحث عن الأسباب والعلل والنتائج المترتبة على ذلك دون اعتبار الزمن - وهذا سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن مدارس تفسير التاريخ وفلسفته - فصار هذا هو مفهومهم عن هذا العلم، وهو ما أطلق عليه (فلسفة التاريخ)،

(١) دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، ص ٢٦.

(٢) دراسات عن المؤرخين العرب، ص ٢٦، وإلمامة بالتاريخ عند العرب، لعبد الحميد العبادي، وهو الفصل

الثالث المدرج بكتاب علم التاريخ عند العرب لهرنشو، ص ٦٧.

ومن ثم فكانت كلمة History تحمل هذا المعنى الفلسفي للخبر وملحقاته عند الغرب - كما سبق وأوضحنا - فدرست علوم الأمم القديمة وترجمت نصوصها وحُققَت وفق هذا المنهج الفلسفي الذي غلب على كل علوم هذه الأمة في هذا العصر، حتى العلوم الطبيعية جعلوا منها: Natural History.

وهذا يؤكد لنا مرة أخرى مدى التباين الواقع بين الأمتين - الإسلامية والأوروبية - حتى هذه اللحظة في مدلول هذه الكلمة عند كل منهما.

لقد كان رفاة الطهطاوي هو صاحب لواء نشر هذه الكلمة مرادفاً لمعنى التاريخ عند المسلمين والدعاية غير المقصودة لها حتى كُتِبَ لها الرواج بين العرب والمسلمين منذ ذلك العهد، وذلك بما ترجمه وصنّفه هو وتلاميذه في هذا العهد من كتب، ذلك أني أثناء استقراي للمصنفات التي حملت عناوين (التاريخ) عبر العصور الإسلامية، أوقفنني عناوين وموضوعات الكتب التي حملت هذا الاسم منذ مطلع عصر رفاة، إذ استبان لي اختلاف واضح بين مناهج هذه الكتب وما حوته من موضوعات وبين منهاج كتب المسلمين الأولين التي حملت العنوان نفسه^(١)!

وهو - أعني رفاة - وإن كان صاحب لواء نشر هذه الكلمة من العرب والمسلمين في العصر الحديث، إلا أنه ليس هو أول من ابتدع هذه الترجمة مرادفاً لهذه الكلمة الأعجمية History، فقد سبق إلى هذا، سبقه إليه طائفة من المستشرقين - وعلى رأسهم الفرنسيون - حين ترجموا وحققوا إبان نهضتهم طائفة من تراث الأمم السابقة عليهم ومنه تراث العرب والمسلمين الذي كان له النصيب الأوفى من حركة الترجمة والتحقيق هذه، فإنهم كما قلت من قبل نظروا إلى تراث هذه الأمم من وجهة نظر غربية حديثة، وهذا ما انتقده عليهم روزنتال كما سبق وبيّنتُ.

فكان مما ترجموه من تراث العرب والمسلمين كُتِبَ للمسلمين حملت عند أصحابها من العرب اسم التاريخ، وأخرى حملت اسم الأخبار، وأخرى تدور في فلكهما، إلا أنهم - أعني المترجمين من المستشرقين - خلطوا في هذا الوقت المبكر عند ترجمتهم ودراساتهم لهذه الكتب بين هذه المفاهيم خلطاً لم يعرفه العرب والمسلمون قبل ذلك. ولا ريب أن الذي ساعد على هذا الخلط عندهم قصور علمهم في هذا الوقت المبكر لنهضتهم بأصول علوم المسلمين، وعدم معرفتهم بكثير من

(١) وقد أكد جاك جونيور نتيجة هذا الاستقراء في دراسته المفصلة عن علم التاريخ في هذا العصر، انظر كتابه: كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الوهاب بكر.

اصطلاحات هذه العلوم ودلالاتها عند أصحابها، إذ كان الاستشراق آنذاك لا يزال في نأياته الأولى^(١)، وقد يكون عذرهم في ذلك أنهم ترجموا هذه الكتب لأنفسهم، وليس للعرب ولا للمسلمين، فكانت اللاتمة أحرى أن تلحق بمن تبعهم في هذا الخطأ من العرب والمسلمين، فحمل وزر هذا الأمر ووزر من تبعه إلى يومنا هذا.

فقد ترجم بعضهم كلمة^(٢) تاريخ على أنه (History)، و(Historia)^(٣)، وأحيانا على أنه (chronicle)، ومنهم من جعل من الأخبار والفتوح والسير كذلك (History)، و(Historia)^(٤).

(١) وقد بدأت تتغير هذه النظرة بعد ذلك في دراسات استشراقية متأخرة كدراسة روزنتال فضلا عن دراسات أخرى فردية وجماعية، وعلى رأسها مجموعة البحوث المتعلقة بهذا الباب في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الأولى والثانية.

(٢) يُنظر فيما يأتي من النماذج كتاب: رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكريا ومادة، لماهر حمادة ٢/ ٣٢٥.
(٣) انظر مثلا:

- تاريخ أتابكة الموصل، لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ):

-Historia dinastiae Atabegidarum Mosulae principum ,
Etraites publ . par de Guigens et Renault en Notices ...
Paris , 1787 ; vol I, p. 542 - 578.

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، لابن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ):

- Extracts from a'l - M.b.T. Chronicle Had - d. in : University
of California publ . in sem . phil. 8, (1930 - 1932).

(٤) انظر مثلا:

- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفدا (ت ٧٣٤هـ):

-Historia Emirarum al Omrah ex Abulfedae ; par F . W . C .
Umbreit . Cöttingen , 1816.

- أخبار ملوك بني عبيد، لابن حماد محمد بن أحمد (ت بعد ٦١٧هـ):

-Histoire des rois Obaidides, Aḥbār mulūk banī 'Ubaid ; les Califes
Fatimides, éd, et trad. par M. Vonder Heyden . Paris, Publ . de la
Faculté des Letters d'Alger, Série III, Textes relatifs à l'hist . de
l'Afrique du Nord , 12 , 1927.

- بغية المستفيد في أخبار بني زبيد، لابن الديبع الزبيدي (ت ٩٤٤هـ):

ثانيا: رواية التاريخ والأخبار عِلْمًا عند المسلمين:

حري بنا قبل الحديث عن التاريخ عِلْمًا عند المسلمين أن نؤكد مرة أخرى على ضرورة الفصل بين (التاريخ) وبين (الأخبار) وما يلحق بكل واحد منهما، إذ إن لكل قسم نشأته وخصائصه المميزة له، فضلا عن اختلاف المناهج التي تعرض لكل علم من ذلك.

ويمكن تعريف الرواية التاريخية بأنها: «كل خبر مقيد بزمن». وإلا فهي خبر من الأخبار. وأما العلم عند المسلمين فيُقصد به إجمالا: اختصاص فن من الفنون بالرواية والتدوين.

وعليه، فلا تعارض عند المسلمين بين كون التاريخ عِلْمًا أو فَنًّا، فالفن عندهم يحمل معنى (النوع)، ومن ثمّ فلا اعتبار للنزاع الواقع بين الباحثين المعاصرين في كون التاريخ علما أم فنا! فهذا أمر مُحَدَّث لم يعرفه القدماء، وإنما هو نزاع نشب بين الغربيين إبان نهضتهم حول كثير من قضايا العلم والفلسفة، منها مفهوم لفظي العلم والفن، ومنهاج البحث في كل منهما، على غرار ما بينت في معنى (History) لديهم.

* الدوافع التي صار التاريخ بها علما عند المسلمين:

ولقد دفع التاريخ دوافع صار بها عند المسلمين – حسب مدلوله لديهم – علما، له معالمة الواضحة وخصائصه المميزة له عن غيره من علوم كثيرة أنضجها الإسلام، أو أنشأها، بعد أن كان مجرد تقويم، تُقيد به الكتب إلى الأمراء، والعهود في الحروب، والمواثيق في الفتوح. ويمكن إجمال هذه الدوافع فيما يأتي^(١):

- Historia Jemanae e cod . ms . ar . Concimata ed . C . T . h .
Johannsen . Bonnae , 1828.

- فتوح مصر لابن عبد الحكم (ت ٢٦٨هـ):

-The History of the Conquest of Egypt, North Africa and Spain;
Known as the F. M. of Ibn A... ed ... by Ch . e . torrey . New
Haven , Yale or . Res . Ser . III, 1922.

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد الأزرقى (نحو ٢٥٠هـ):

- Die Chroniken der stadt Mekka, hsg. V.F. Wüstenfeld, I. Die
Geschichte U . Beschreiburg der stadt Mekka von al - Azraki ;
Leipzig , 1858.

(١) تكلم شاكِر مصطفى (التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٥٧) وغيره في هذا الباب بكلام كثير فيه خلط بين التاريخ والأخبار وما يطلق عليه فلسفة التاريخ أو تفسيره، وكان الكلام في هذا القسم الأخير (تفسير =

أولاً: نشأة علم الحديث:

فقد عصفت بالأمة بعد نبينا ﷺ عواصف الفتنة التي كان من أخطر نتائجها انتشار الكذب انتشاراً فاحشاً لترويج الأهواء والبدع، فكان من هؤلاء الكذابين من ادعى السماع ممن لم يسمع منه، وادعى اللقاء ممن لم يره.. وغير ذلك من مظاهر الكذب التي كان يجب التصدي لها. فوجد المحدثون في علم التاريخ الحارس الأمين من تسلل المغرضين إلى سنة النبي ﷺ، فأولوه اهتماماً كبيراً بتحديد بعض غاياته، ووضع أسسه ومنهاجه، وصنفوا في ذلك الكتب.

وهنا تظهر لنا عبارة مهمة لسفيان الثوري (ت ١٦١هـ) يقول فيها: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»^(١). ويعضد هذا القول ما روي عن حسان بن زيد^(٢) قوله: «لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ»^(٣). ويصدق ابن عساكر على هذين القولين ببابه الذي عقده في تاريخه بعنوان: «ذكر السبب الذي حمل الأئمة والشيوخ على أن قيدوا المواليد وأرخوا التواريخ»^(٤).

ثانياً: نشأة علم المغازي والسيرة النبوية:

فقد كان لسيرة النبي ﷺ - على الرغم من دخولها في ثنايا علم الأخبار - أثرها الكبير في توجيه التاريخ وجهته العلمية، فبعثته ﷺ، ثم هجرته، وما تبعها من تأسيس دولة الإسلام تشريعاً وجهاداً، كانت تستلزم تقييداً لمراحلها الزمنية من قبل الصحابة، فمن بعدهم، من أجل الوقوف على مراتب التشريع، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، ناهيك عن أسباب النزول، والمكي والمدني، وأسباب ورود، فضلاً عن سوابق الصحابة وتعيين طبقاتهم.. وهذا كله يحتاج إلى ضبط تاريخي منهجي، مهد بعد ذلك للتأريخ الحولي الذي بدأ بيزيد بن عبيدة^(٥) ثم الليث بن سعد

=التاريخ) قديماً من اختصاص علماء العقيدة وليس المؤرخين كما سيأتي في الحديث عن تفسير التاريخ ومدارسه .

(١) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق سهيل زكار ١ / ٨٤، والكفاية للخطيب، ص ١١٩، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، طبعة دار الفكر، بيروت ١ / ٥٤.

(٢) كذا يُروى هذا الخبر، عن حسان بن زيد، والصواب حماد، وانظر تبيين ابن عساكر لهذا في تاريخه ١ / ٥٤.

(٣) تاريخ مدينة السلام ٨ / ٣٤٠، ٣٤١، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب، برقم ١٤٦، وتاريخ دمشق ١ / ٥٤.

(٤) تاريخ دمشق ١ / ٥٤.

(٥) لم أقف له على تاريخ وفاة إلا أنه روى عن أبيه عبيدة بن أبي المهاجر السكوني الدمشقي الذي روى عن معاوية بن أبي سفيان. انظر: إكمال الكمال ٦ / ٥٠، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ص ١٥٠٩. وكتابه في التاريخ كما يظهر من استقراء محتوياته المتناثرة في المصادر يتناول موضوع التاريخ الحولي. وهذا يدل على قدم التصنيف في هذا اللون عند المسلمين وأنه أقدم من كتاب عوانة بن الحكم (ت ١٤٧هـ أو ١٥٨هـ) الذي يعتبره المعاصرون أقدم ما صُنّف في التاريخ.

(ت ١٧٥هـ)^(١) ثم بلغ أرقى درجات نضجه على يد خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، والطبري (ت ٣١٠هـ).

رابعاً: انتشار الفتوح وتوسعها:

ذلك أنّ حركة الفتوح الإسلامية رافقها نشاط واسع في مجال الحقوق المالية من خراج، وجزية، وعطاء، وتبع ذلك كله نشأة علم عُرف بعلم السير المختص بفقهِ الحرب، وأحكام البلدان، وما يتبع ذلك من قسمة للفيء، والغنائم، فكان لهذا العلم كُتبه التي صُنفت في بابهِ، كالخراج لأبي يوسف (ت ١٨٢هـ)، والسير لأبي إسحاق الفزاري (ت ١٨٦هـ)، والسير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ)، والخراج ليحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ)، والأموال للقاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وفتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩هـ).. وهذا كله يحتاج إلى التاريخ في المقام الأول، لما يترتب على ذلك من أحكام ما بين إثبات ونفي، فيما فُتح عنوة، وما فتح صلحا.

خامساً: اهتمام الأمراء به:

وهذا دافع مشترك لكل من التاريخ والأخبار على السواء، وسيأتي الكلام عن ذلك عند الحديث عن الأخبار علماً.

* الدوافع التي صارت الأخبار بها علماً عند المسلمين:

أما الأخبار وما يلحق بها فقد نالت عند المسلمين رتبة العلم أيضاً بما صُنّف في أبوابها من كتب، وقد دفع إلى ذلك دوافع أيضاً منها:

أولاً: بعثة النبي ﷺ وسيرته:

فقد أدى شغف من لم ير النبي ﷺ بمعرفة أخباره ودراسة سيرته ومغازيه، إلى السؤال عن ذلك ممن كان معه من صحابته الذين أدركوا أهمية هذا الأمر في ترسيخ الوعي الإيماني في قلوب من أسلم ولم ير النبي ﷺ فتولوا بدورهم هذه الأمانة بالرواية، والتدوين أحياناً، الأمر الذي مهد لنشأة علم المغازي.

وفي ذلك جاء عن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة قال: كان محمد بن مسلمة يقول: يا بني، سلوني عن مشاهد النبي عليه السلام ومواطنه؛ فإنني لم أتخلف عنه في غزوة قط، إلا واحدة،

(١) لليث بن سعد كتاب (التاريخ) نص عليه الكندي في الولاية والقضاة (ص ١٠) ونقل منه، وذكره النديم في الفهرست (ص ٢٥٢) ومنه نقول كثيرة توضح منهاج صاحبه فيه في (تاريخ خليفة)، و(المعجم الكبير) للطبراني وغيرهما.

في تبوك، خلفني على المدينة، وسلوني عن سراياه ﷺ، فإنه ليس منها سرية تخفى علي، إما أن أكون فيها، أو أن أعلمها حين خرجت^(١).

ثانيا: الخلافات السياسية:

وهذا من أهم العوامل المؤثرة في علم الأخبار سلبا وإيجابا، فقد مُنيت الدولة الإسلامية عقب وفاة النبي ﷺ بخلافات كثيرة، كان لها خطرهما على الأمة سياسيا وعقديا، فكان لذلك أثره الواضح في اتجاهات الأخباريين ومصنفاتهم فكريا ومذهبيا بما لا يخفى على أحد، إذ كان الخلاف السياسي سببا في محاولة انتصار المخالف لنفسه أو فكره أو عقيدته، فلا غرو أن ينشئ هذا العامل حركة واسعة من الرواية والتدوين في هذا الباب رأى فيها الخصوم أنجع السبل في الرد على المخالف بإبراز عواره ومثالبه ونبش المحظور من آثاره، وليس أدل على ذلك من آثار خلاف الأمة سياسيا عقب مقتل عثمان، وما تبع ذلك من شقاقات فكرية، ومذهبية، وعقدية، كانت لها آثارها في توجهات من صَنَّف في ذلك تاريخيا وأخباريا ما زلنا نعاني منها إلى وقتنا هذا.

ثالثا: نشأة علم التفسير:

فقد حوى القرآن كثيرا من أخبار الماضين التي احتيج السؤال عنها، والتنقيب عن أحوالهم وعاقبتهم، وقد بدأ ذلك منذ عهد النبي ﷺ الذي وردت في سنته أخبار كثيرة تبين كثيرا مما ورد في الكتاب العزيز من أخبار الماضين وقصص بني إسرائيل، كما حوى كثيرا من حوادث السيرة والمغازي التي احتيج إلى بيانها، فكان لهذا أثره في نشاط نهضة أخرى في هذا الباب.

رابعا: نشأة علوم اللغة:

فإن هذه العلوم قوامها رواية الشعر والأمثال وما يلحق ذلك من أخبار تفسر ذلك كله كأيام العرب، وقصص الجاهلية، فكان في البحث عن ذلك والتصنيف فيه، روافد لها قيمتها الداعمة لعلم الأخبار، والأمر في هذا أوضح من أن يُمثَّل له، إلا أن من طريف ما يُروى في هذا الباب ما رواه أبو الفرج الأصفهاني أن «الكميت بن زيد اجتمع وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها، فخالفه حماد في شيء ونازعه، فقال له الكमित: أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها؟ قال: وما هو إلا الظن، هذا والله هو اليقين، فغضب الكमित»^(٢).

خامسا: ظهور العصبية القبلية:

وتمثلت مظاهر العصبية القبلية في أمرين، أولهما: الاهتمام بالأنساب. ثانيهما: ظهور الشعوبية. وكان لكل أثره في علم الأخبار.

(١) الطبقات ٦١٥/٧.

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مجموعة محققين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٧/٢.

أما الأنساب فقد كانت في الجاهلية هي مفاخر القوم في البوادي والحواضر، ولما جاء الإسلام زادت العناية به كما ذكرت، فاخص به رجال، ووضعت فيه التصانيف الكثيرة، فضلا عن اهتمام الأمراء به.

فقد صح أن رسول الله ﷺ لما أذن لحسان بن ثابت أن يهجو المشركين من قريش، قال حسان: «والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يلخص لك نسبي. فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين»^(١).

ومن مظاهر تأثير علم الأنساب في علم الأخبار، نشاط رواة القبائل في قصّ مفاخر قبائلهم في الجاهلية والإسلام، الأمر الذي كان له أثره في توجيه بعض الأخباريين بعد ذلك وجهة قبلية في كثير من كتبهم التي اهتمت بحوادث الإسلام وتقلباتها السياسية، من حروب، وفتوح - ناهيك عن كتب الأنساب - حين زاد التركيز على دور قبائلهم فيها. فنجد مثلا اهتمام الكلبي (ت ٢٠٤هـ) بقبيلته في أنسابه، وكذلك أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي (ق ٢هـ) في كتابه فتوح الشام، وسيف بن عمر (١٨٠هـ)، وعوانة بن الحكم (١٤٧ أو ١٥٨هـ).

أما الشعوبية، فقد كانت رد فعل عنيف من قبل الأعاجم وأهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، أو تظاهروا به، وكذلك الموالي والأحلاف، تجاه العصبية العربية. وتمثل أثر الشعوبية في علم الأخبار بالتدوين في أخبار الممالك القديمة ومآثرها من جهة، ثم التدوين في مثالب خصومهم من جهة أخرى. أما التدوين في أخبار الممالك القديمة فقد استحوذ الفرس النصيب الأوفى من تصانيف هذا الباب بما صُنّف في أخبار ملوكهم، وترجم من تراثهم، ويعتبر ابن المقفع من رواد هذا الشأن. أما المثالب فيحكى الأخباريون أن عبيدالله بن زياد أول من طلبها وعني بجمعها ليعارض الناس بما يقولون فيه^(٢).

سادسا: اهتمام الأمراء به:

وهذا من الدوافع المهمة، فلقد أدى اهتمام الأمراء والخلفاء بعلمي التاريخ والأخبار إلى أن ينهجا معا نهجا علميا مبكرا الموافقة عقول هؤلاء الأمراء، فهم بالطبع لن يجوز عليهم ما يجوز

(١) صحيح مسلم برقم ٢٤٩٠، وانظر صحيح البخاري برقم ٣٥٣١، والسيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ١/٢٥٠.

(٢) فضل العرب لابن قتيبة، تحقيق وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ص ٣٧، وأنساب الأشراف، للبلاذري، تحقيق سهيل زكار، ورياض الزركلي ٥/٤٠٦.

على العامة من الناس، إذ كانوا بحكم مواقعهم يحتاجون فيما يسمعون إلى العناية بالخبر بل توثيقه إن لزم الأمر، تبع ذلك في كثير من الأحيان مرافقة هذه العناية بالتدوين والكتابة أو بالأمر بذلك، يضاف إلى ذلك، تشجيع الأمراء أنفسهم على تنمية هذا الأمر والحث عليه، فضلا عن كون بعضهم من العاملين في هذا الباب كأبي بكر الصديق الذي صح عنه أنه كان من أعلم قريش بأنسابها.

وتتضح مظاهر هذا الاهتمام في أخبار كثيرة، تدل عليها في مجموعها، منها ما رواه ابن إسحاق عن السائب بن خباب صاحب المقصورة يُحدث أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب، وهو خليفة، حديث قصي بن كلاب، وما جمع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره^(١).

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه قال: «فلما أن قدمت العسكر^(٢)، قدمت على أدهى العرب، يعني عليًّا، قال: والله لدخل علي في نسب قومي حتى جعلت أقول: والله هو أعلم بهم مني، حتى قال: أما إن بني راسب بالبصرة أكثر من بني قدامة، قال: قلت أجل..»^(٣).

وروى البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأخبار فقال: «إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»^(٤).

وذكر الهمداني عن ابن هشام قال: «حدثني مكحول عن أبي صالح، عن عبيد بن شرية الجرهمي، وكان عبيد معمرًا أدرك حرب داحس وبلغ إلى أيام معاوية بن أبي سفيان في الإسلام، وكان مسامرا له»^(٥).

وذكر ابن سعد أن عاصم بن عمر^(٦) وفد على عمر بن عبد العزيز في خلافته في دين لزمه، ففضاه عنه عمر، وأمر له بعد ذلك بمعونة وأمره أن يجلس في جامع دمشق فيحدث الناس

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ١/١٢٦.

(٢) يعني معسكر علي ﷺ يوم الجمل.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، دار المنهاج، برقم ٣٨٩١٢ (فقرة ٣-٦).

(٤) رواه في الصحيح معلقا برقم ٧٣٦١، ووصله في التاريخ الأوسط برقم ٢٠٩.

(٥) الإكليل، للحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكواع ٨/٢٣٢.

(٦) هو: عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد، من الأنصار. كانت له رواية للعلم، وعلم بالسيرة، ومغازي رسول الله ﷺ، وروى عنه محمد بن إسحاق وغيره من أهل العلم، وكان ثقة، كثير الحديث عالما. توفي سنة عشرين ومئة، في خلافة هشام بن عبد الملك. انظر: الطبقات لابن سعد ٧/٤١٥-٤١٦،

وتهذيب الكمال ١٣/٥٢٨

بمغازي رسول الله ﷺ ومناقب أصحابه، وقال: «إن بني مروان كانوا يكرهون هذا وينهون عنه، فاجلس فحدث الناس بذلك ففعل»^(١).

وذكر البخاري وغيره أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»^(٢).

وذكر الهمداني أن عبد الله - بن عياش - ويعرف بالمنتوف، أحد العلماء بأيام الناس، وكان أحد مسامري المنصور وثقاته^(٣).

فضلا عن مكاتبات كثيرة كانت بين عروة وبين عبد الملك: كان الأخير يسأل فيها عن كثير من أمور السير والمغازي.

ويقول ابن عدي: لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن كتب لا يحصل منها شيء، فصرف أشغالهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ، ومبتدأ الخلق، ومبعث النبي ﷺ، فهذه فضيلة لابن إسحاق سبق بها^(٤).

ثم ظل اهتمام الأمراء باقيا في العصور اللاحقة بعد ذلك، لا يقل عن اهتمامهم به في الصدر الأول، ومراجعة مقدمات كثير من كتب الأخبار والتواريخ المتأخرة بما حوته من إهداءات إلى أمراء، أو التصريح عن دافع التأليف بأنه كان تكليفا من أمير، أو رغبة منه، تظهر مدى تنامي هذا الاهتمام الذي كان له أثره الكبير في علمي التاريخ والأخبار.

المظاهر العلمية للتاريخ والأخبار:

ومع كل هذه الدوافع السابق ذكرها نشطت حركة علمية واسعة لعلمي التاريخ والأخبار وما يلحق بهما في الإسلام، تمثلت مظاهرها في الآتي:

أولا: التصنيف المعرفي وظهور المدارس:

فقد تميزت العلوم عامة والتاريخ والأخبار خاصة منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام بظاهرة التنوع المعرفي والتصنيف العلمي عن طريق تبويب المعارف وتقسيم العلوم، فلم تعد

(١) الطبقات لابن سعد ٤١٦/٧.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (بعد حديث رقم ٩٩).

(٣) الإكليل ١٥٠/١٠.

(٤) الكامل في الضعفاء ١١٢/٦.

المعارف بآبًا واحداً، بل تفرّع العلم الواحد عند المسلمين أبواباً وأقساماً، بل أحياناً يقسم الواحد منه إلى فنون قد يُخصّ الواحد منها بالاهتمام حتى يصير علماً وحده، له أهله ورجاله المختصون به حتى صرنا نرى عند ترجمة بعض هؤلاء وصفه بأنه أعلم الناس بعلم كذا، أو: عليكم بفلان فإنه أعلم الناس بكذا. وكأنه صار من شدة اعتنائه بفن بعينه واختصاصه به مرجعاً لطالبي هذا الفن أو هذا العلم فيحال عليه، وهذا من أهم المظاهر العلمية لأي عصر من العصور. وهو الأمر الذي مهد لظهور المدارس بعد ذلك.

ومما يوضح هذه القسمة المعرفية العلمية عند المسلمين قديماً في مجالي التاريخ والأخبار ما رواه ابن سعد وغيره عن عطاء قال: «كان ناس يأتون ابن عباس للشعر وناس للأنساب وناس لأيام العرب ووقائعها، فما منهم من صنّف إلا يقبل عليهم بما شاؤوا»^(١).

وروى ابن عساكر عن سفيان بن عيينة قال: «إذا أردت الحديث الصحيح والإسناد الجيد فعليك بأهل المدينة، وإذا أردت النسك فعليك بأهل مكة، وإذا أردت المغازي فعليك بأهل الشام»^(٢).

ناهيك بعد ذلك عن التصريح بعلمية ما نحن بصددده، فصار يُصرح بقول: علم الأخبار، وعلم الأنساب، وعلم التاريخ، وعلم السير، وعلم المغازي.. ولم يكن لهذا التصريح أن يستفيض على ألسنة القوم إلا بعد أن رسخ في نفوسهم هذا المعنى، وهو علمية هذه الفنون، بل رأينا مَنْ صنّف في فضائلها نحو (فضيلة علم الأخبار)، لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (٣٢٢هـ)^(٣)، و(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التورخ)^(٤) للسخاوي (ت ٩٠٢هـ)، فضلاً عن احتلالها حيزاً كبيراً من الكتب المصنفة في تقاسيم العلوم والفنون، بدءاً بمفاتيح العلوم للخوازمي (ت ٣٨٧هـ) وغيره، حتى عصرنا الحاضر.

وكما ذكرت آنفاً، فقد مهد ذلك كله لظهور ما يعرف بالمدارس، التي صُنّفت تصنيفاً علمياً حسب توجهات المصنّفين فيها أو حسب بلدانهم التي تخرجوا فيها^(٥).

ثانياً: التوسع في عمليات التدوين والتصنيف المنهجي:

مما سبق يمكن أن نلاحظ في الفن الواحد من فنون علم بعينه أكثر من مصنف، ذلك أن التوسع في التدوين أدى إلى نشاط عمليات الإملاء العلمي، والتصنيف المنهجي التي كانت من

(١) الطبقات ٣١٦/٢، وفضائل الصحابة لأحمد برقم ١٨٩٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٢٩/١.

(٣) وهو كتاب مفقود، ذكره الصفدي في الوافي في ترجمة البلخي (٢٥٢/٦)، والسيوطي في بغية الوعاة ٣١١/١.

(٤) هذا هو العنوان الصحيح لكتاب السخاوي كما ذكره في مطلع كتابه ص ١٤.

(٥) وسيأتي الحديث عن طرف منها في مبحث أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

أبرز المظاهر العلمية للتاريخ والأخبار في الإسلام، ساعد على ازدهار ذلك حثُّ الأمراء عليه والأمرُ به كما مر بنا آنفاً. وقد يوضح ما سيأتي ذكره من نماذج في هذا الشأن بعض ملامح هذه العمليات المنهجية في التصنيف والتدوين.

ثالثاً: الاهتمام بالتمحيص والعناية بالإسناد^(١):

كان من خصائص هذه الحركة العلمية أنها اقترنت مبكراً بالتمحيص في الرواية، ووضع قواعد للكتابة، مع العناية بالإسناد وذكر المصادر، وهو أمر لم يتوفر لأمة سبقت، مما أعطى هذا للعلوم الإسلامية مصداقية علمية منذ بزغت.

يقول مرجليوث: «نلاحظ مناهج معينة ابتكرها المؤرخون العرب لضمان الصحة في تسجيل الأحداث، أحدها تأريخها بالسنة والشهر، بل باليوم.. والمنهج الثاني لضمان الصحة هو الإسناد، وهو سلسلة الرواة الذين يمكن أن نتبع آثار الرواية عن طريقهم إلى شاهد العيان الأصلي.. والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث^(٢)، وفي السجلات القديمة الأخرى نضطر إلى الأخذ بما يروى لنا على مسؤولية المؤلف، فمن النادر أن نجبرنا المؤرخ الإغريقي أو الروماني بمصدر معلوماته»^(٣).

رابعاً: نشاط ظاهرة التعلم وظهور طبقات المعلمين والطلاب:

وهذا يعتبر مظهراً آخر من مظاهر التاريخ والأخبار العلمية، إذ إنها تفصح بوضوح عن الترجمة العملية لهذا الأمر، فلو لم يكن لهذا الأمر أي مظهر علمي لدى المسلمين لما اهتموا به تعليماً وتعليماً، ولكن ما رأيناه من اهتمامهم بذلك عن طريق حلقات الدرس المختصة به، والرحلة في طلبه، ثم ظهور طبقات المعلمين وطبقات الرواة عنهم، يدل دلالة واضحة على مدى العناية العلمية بهذه العلوم وغيرها.

ويظهر هذا في نصوص كثيرة منها: ما قاله الواقدي (ت ٢٠٧هـ): كان - المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث - ثقة، قليل الحديث، إلا مغازي رسول الله ﷺ، أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيراً ما تُقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها^(٤).

* * *

(١) ركزت في حديثي هنا على ما يخص علمي التاريخ والأخبار، وإلا فهذا باب واسع لا يكاد ينتهي الحديث فيه، وقد اختصت به كتب المصطلح وعلوم الرواية.

(٢) كذا لفظ الترجمة العربية، وهو يقصد هنا علم الإسناد، كما يدل عليه سياق الحديث.

(٣) دراسات عن المؤرخين العرب ص ٢٦-٢٨.

(٤) الطبقات لابن سعد ٧/٢٠٨.

وهكذا، نخلص من هذا المبحث: أن لفظة (التاريخ) عند العرب ترجع إلى أصول يمنية، وليست شمالية. وأنها تعني عند المسلمين الأول (العد) بالسنين والشهور. ثم أصبح بعد ذلك اصطلاحاً لعلم يرتب الحوادث والأخبار على الزمن بالسنين والشهور. ومن ثم، فإن هناك فرقا ينبغي أخذه بعين الاعتبار بين التاريخ والأخبار ما دمنا نبحث في علم التاريخ عند المسلمين. وهذا أمر دلت عليه تصانيف المصدر الأول. ثم ظهر اختلاف آخر أشد تباينا بين اصطلاح التاريخ عند المسلمين الأول، وبين History عند الغرب. فهو عند المسلمين يعني ما سبقت الإشارة إليه ينفا. بينما هو عند الغرب منهج للبحث في الأخبار ونحوها. ومن ثم، فهذا بدوره يؤدي إلى اختلاف النظرة تجاه كل منهما. كما ظهر في المبحث مدى قدم النظرة العلمية من المسلمين للتاريخ والأخبار، ساعد على ذلك ارتباط هذا العلم بعلوم أخرى شديدة الأهمية لم يعرف المسلمون الفصل بينها آنذاك كعلم الحديث، والمغازي والسير فضلا عن اهتمام الأمراء.



المبحث الثاني

أطوار التدوين التاريخي والأخباري عند المسلمين

مدخل:

على الرغم من كل ما سبق بيانه في المبحث الأول، فإننا مع ذلك لا يمكن أن ننكر بحال غلبة طابع الحفظ والرواية على منهاج الثقافة العربية في الجاهلية، لكن الكشف عن وجود تدوين لبعض ذلك وتسطيره في الكتب، سواء كانت نقوشاً أو برديات، دل على وعي ودراية بمعنى الكتابة التاريخية في نفوس هذه الأمة، فهم بذلك لم يؤرخوا لأنفسهم في المقام الأول، بل أرخوا لأنفسهم لمن يأتي بعدهم، فأرادوا أن يخلدوا لأنفسهم وأيامهم ذكراً على مر السنين وكر الدهور، وإلا فما قيمة شاهد مؤرخ على قبر امرئ هو في عداد الأموات؟!

وفي ذلك يقول الجاحظ عن العرب: «كانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور، ونقشاً في الحجارة وخِلْقَةً مُرَكَّبَةً في البُنيان، فربما كان الكتاب هو الناتئ، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جسيم، أو عهداً لأمر عظيم، أو موعظة يُرتجى نفعها، أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره، أو تطويل مدته.. يعمدون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الدُّثور، وأمنعها من الدروس، وأجدر أن يراها من مرَّ بها ولا تُنسى على وجه الدهر»^(١).

ويؤكد جواد علي هذا بقوله: «ويلاحظ من الكتابات الصفوية^(٢) أن أصحابها كانوا ينزعون نزعة شديدة إلى تخليد أنفسهم، وإبقاء آثارهم وذكرياتهم بكل الطرق الممكنة، فأرخوا بكل حادث كان معروفاً عندهم، حتى بحادث ولادة ماشيتهم، أو مقتل أحدهم، أو فرض غرامة مالية على أحدهم، أو سفر أحد منهم.. وبأمثال ذلك من حوادث صغيرة تافهة، ولكنها مع ذلك، وعلى الرغم مما يبدو عليها من سذاجة، تدل على وجود نزعة قوية لديهم لتأريخ كل ما يقع عندهم وتدوينه، ليطلع عليه غيرهم ممن يمر بالأماكن التي نزلوا بها»^(٣).

(١) الحيوان ١/ ٦٨.

(٢) الصفويون: هم قوم من العرب أطلق المستشرقون عليهم هذه التسمية (الصفويين)، وهي تسمية حديثة أطلقها المستشرقون على قبائل عديدة كانت تنتقل من مكان إلى مكان طلباً للماء وللكلأ. انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ١٤٢-١٤٣.

(٣) المفصل ١/ ١٤٧.

ولكن لا شك أن هذه الكتابات اتخذت صوراً وأطواراً عبرت بصدق عن طبيعة العصر الذي صدرت منه هذه الكتابات وسماته الفكرية والعلمية، مما يتيح لنا فرصة التعرف على مراحل الكتابة التاريخية وأطوارها، فضلاً عن سماتها وخصائصها عبر العصور. ولكن أكتفي هنا بالحديث عن مظاهر ذلك ودوافعه عند العرب والمسلمين فقط، ذلك أن الكتابة التاريخية فطرة بشرية، فلم تخل أمة من كتابات خلدت فيها مآثرها وأرخت فيها لبعض حوادثها.

أولاً: نشأة الكتابة التاريخية عند العرب والمسلمين:

ويمكن تحرير معنى الكتابة التاريخية أولاً في ضوء ما سبق بأنها ذلك النص المؤرخ، وإن شئت قلت: هو كل خبر مكتوب مقيد بزمن. وإلا فهو نص من النصوص، يحمل مسماه من خبره الدال عليه.

لكنّ الكتابة التاريخية عند المعاصرين تحمل معنى جامعاً لكافة أشكال الرواية الخبرية، مؤرخة كانت أو غير مؤرخة، فكل ما دونته أيدي القدماء بغرض حكاية الماضي عليهم أو الحاضر لهم، هو كتابة تاريخية في الدراسات الحديثة والمعاصرة.

وعلى أية حال، فإن معرفة العرب للكتابة عامة في جاهليتها وأول إسلامها صارت من المسلّمات التي لا يمكن ردها بحال، شهدت على ذلك نقوش قديمة، ودراسات حديثة.

أما الكتابات التاريخية والأخبارية عند العرب فقد تباينت سماتها وتعددت تبعاً للزمان والمكان الذي صدرت عنه، ذلك أن جزيرة العرب اعتورتها انقسامات كثيرة، دينية وفكرية وحضارية، الأمر الذي ألقى بظلال واضحة على هذه الكتابات وخصائصها، فتنوعت واختلفت حتى جاء الإسلام الذي كان له أثره الكبير في اتساع هذه الكتابات عند أهلها وانتشارها بينهم بعد ذلك.

ففي الجاهلية كُتبت كتابات كثيرة تاريخية (مؤرخة)، وأخبارية (غير مؤرخة)، وصل إلينا بعضها، وضاع أكثرها، بيد أن دراسة ما وصل إلينا منها كشف لنا عن الكثير من مظاهر حضارة وفكر هذه الأمة بشقيها الجنوبي والشامي بما تناولته هذه الكتابات من موضوعات شتى. والحديث عن هذه الكتابات عند العرب في الجاهلية لا يكفيه هذا المقام الضيق، فقد تكفلت به كتب ودراسات كثيرة أكتفي بالإحالة على بعضها^(١)، ولكن يكفيننا من هذا الحديث في مقامنا هذا

(١) منها: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، والسجلات والزبر المتوارثة من الجاهلية في اليمن، لمقبل التام عامر الأحمد، ودراسات عن المؤرخين العرب، لمرجليوث، والنقوش السامية، لزاكية محمد رشدي، والنقوش السامية الجنوبية، لزاكية رشدي أيضاً، ومصادر الشعر الجاهلي، لناصر الدين الأسد، وينايع اللغة الأولى، لسعيد الغانمي، والكتابة العربية والسامية، لرمزي بعلبكي.

لفت الانتباه إلى ما يخص المحاولات العربية الأولى في هذا الميدان التي مثلت على قتلها النضج العقلي المبكر لمعنى التاريخ المصنّف المكتوب عند العرب في جاهليتهم، وأسست لحركة التدوين التاريخي الواسعة بعد ذلك في الإسلام.

فناهيك عن نقوش مبعثرة، وبرديات متفرقة أوضحت المعنى الفطري للتاريخ عند هؤلاء بما حوته من موضوعات جزئية محلية، إلا أننا - كما ذكرت أنفاً - لم نعدّم منهم إدراكاً أوسع لمعنى الكتابة التاريخية المصنّفة.

أما عند الجنوبيين فأمرٌ سجالاتهم وزُبرهم من الشهرة بمكان، كان من أبرز المفصحين عنها الحسن بن أحمد الهمداني (ت نحو ٣٦٠هـ) في تصانيفه، ومن أهمها كتابه (الإكليل) الذي نقل فيه من مدونات يمنية قديمة صرح بها وبأصحابها، ومن ذلك قوله: «ومما يؤكد ذلك أننا نجد في التاريخ الأصلي أنّ بين الطوفان وهو يوم الجمعة، وبين مولد إبراهيم عليه السلام، وهو يوم السبت من السنين ألفي سنة..»^(١).

أما في الشمال فإنه على الرغم من اعتماد ثقافة أهله على الرواية والحفظ كما سبق وبيّنت، فإنها لم تعدّم كذلك شيئاً من هذا الإدراك الواسع لمعنى الكتابة التاريخية والأخبارية المصنّفة. ومن النصوص التي تبرز هذا الأمر بوضوح ما ذكره ابن إسحاق عن النضر بن الحارث، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ: «كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام، فحدثهم عن رستم السنديد، وعن اسفنديار وملوك فارس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها»^(٢).

فإذا حررنا معنى الأسطورة^(٣) في لسان العرب الأوّل لوجدنا أنه يحمل هذا المعنى الواسع للكتابة التاريخية الأخبارية عند القدماء.

كما لا يمكن أن نغفل في مقامنا هذا عن أنّ أمة العرب حوت في ثناياها طوائف من أهل الكتاب من اليهود والنصارى التي كان لها من الوعي بالكتابة التاريخية والأخبارية ما لها، وذلك بما امتلكته صوامعهم ويّعهم من كتب كانوا يدرسونها، فيها من أخبار الأمم الغابرة ما فيها. وقد

(١) الإكليل ١/١٠٨.

(٢) السيرة لابن هشام ١/٣٥٨، وتفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ١٧/٣٩٩، ٤٠٠.

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴾ اكتتبها فهي تُمَلَّى عَلَيْهِ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلًا ﴿ [الفرقان: ٥].

(٣) حملت هذه الكلمة في اللسان المتأخر معنى الخرافة، وليست كذلك هي في لسان العرب الأوّل، وسيأتي الحديث عن هذا عند الكلام عن أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

كان من آثار هذه الكتب على العرب قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها ما هو معلوم، فقد تأثر بهذه الطوائف وما ورد في كتبها كثير من عرب الجزيرة عامة، والحجاز خاصة، شهد على ذلك كثير من شعرهم^(١) مما يعني اطلاع القارئ من هذه الكتب، بل رأينا منهم مَنْ كان يكتب من هذه الكتب بيده كما جاء في (الصحيح) عن ورقة بن نوفل «وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب»^(٢). بل امتد أثر هذه الكتب وما ورد فيها إلى ما بعد بعثة النبي ﷺ، فيما عُرف بعد ذلك بالإسرايليات.

وعلى الرغم من تكلف جواد علي في أول كتابه^(٣) - بعد مناقضات ومبالغات وقع فيها تحتاج إلى نظر ورد - من أجل نفي معنى الكتابة التاريخية المصنّفة عن العرب، فإنه لم يلبث أن هداه بحثه في موضع لاحق بعد ذلك إلى الإقرار بوجود «موارد تاريخية منظمة» دونها أهل الحيرة أنفسهم، منها نقل ابن الكلبي وأضرابه^(٤). كما لم يجد بُدًا في معرض حديثه عن مظاهر الحضارة في نجران من حكاية قول بعض الأخباريين «أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كُتُبًا عندهم، كلما مات رئيس منهم فأضيفت الرئاسة إلى غيره انتقلت الكتب إليه، وقد عُرفت تلك الكتب بالوضائع، وكانوا يختمونها، فكلما تولى رئيس جديد ختم على تلك الكتب فزادت الخواتم السابقة ختمًا»^(٥)، بل ذهب إلى أبعد من ذلك كله في موضع آخر عند حديثه عن الزبّاء ملكة تدمر^(٦) ونضجها الحضاري، إذ يُثبت تصنيفها كتابا بخطها في الأخبار والتاريخ^(٧)!

أما في الإسلام فقد اتسعت دائرة الكتابة التاريخية والأخبارية اتساعا كبيرا، ساهم في ذلك الإدراك الفطري القديم عند العرب لمعنى الكتابة التاريخية، ناهيك عن قوة الدواعي التي دفعت

(١) كبعض شعر أمية بن أبي الصلت، وزيد بن عمرو بن نفيل، وعدي بن زيد العبادي، وليبدو..

(٢) صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٥٣، ٦٩٨٢.

(٣) الفصل ١/ ٧٦-٧٨، ١١٨-١٢٠.

(٤) نفسه ٢/ ٦٤٦، وانظر خبر ابن الكلبي هذا عند الطبري في تاريخه ١/ ٦٢٨.

(٥) نفسه ٣/ ٥٣٣-٥٣٤، وانظر الخبر عن ابن هشام في السيرة ١/ ٥٧٤، والروض الأنف للسهيلي ٨/ ٥، والاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي ١/ ١٩٩، وسبل الهدى والرشاد للصالحى ٢/ ٢٦٢.

(٦) الزبّاء: هي الزبّاء بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع: الملكة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة. يسميها الافرنج Zenobie، وليت تدمر - وكانت تابعة للرومان - بعد وفاة زوجها - والعرب تقول بعد مقتل أبيها - سنة ٢٦٧ م. انظر: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/ ١٠٣، والأعلام للزركلي ٣/ ٤١.

(٧) الفصل ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

إلى ذلك في هذا العهد الجديد، فقد كان حدث البعثة جليل الوقع في قلوب أمة ما أتاها من نذير من قبل، فكانت الحاجة ملحة إلى تسطير وحيه، فأُمرُوا حينئذ بكتابتته وتدوينه وفيه ما فيه من أخبار الأمم، فضلا عن الأحكام والعبر، فكان هذا الكتاب ومن أنزل عليه محور حركة تدوين منهجية أخذت تتسع بعد ذلك اتساعا لم تشهد أمة من الأمم مثيلا لها قط، حتى شملت كل ما يخص مناحي الحياة الإنسانية، ومنها التاريخ والأخبار.

وليس أدل على وعي العرب بمعنى الكتابة التاريخية في الإسلام وقبله من نهي النبي ﷺ في أول عهده لهم عن كتابة ما يصدر عنه^(١)، حين رآهم يهتمون لذلك وينشطون له، فقد غاب عن الباحثين المعاصرين الذين أنكروا على العرب الكتابة التاريخية المبكرة، أن نهيًا كهذا لا يدل إلا على إدراك العرب الفطري لمعنى الكتابة التاريخية، ذلك أنهم علموا أن ما يصدر عن النبي ﷺ في حاضره من قول أو فعل سوف يصير ماضيًا حين يغيب عنهم ويحتاج إليه^(٢).

وحين زالت علة النهي عن الكتابة وأتاهم الإذن بذلك ممثلا في أمر النبي ﷺ لبعض الصحابة بكتابة بعض قوله ﷺ استأنف القوم حركة التدوين التي أخذت تتسع مع الأيام حتى صارت لها شأنها في كافة المجالات العلمية ومنها التاريخ والأخبار.

وأكتفي من هذه الكتابات المبكرة بعرض ما صرحت به الروايات^(٣) في هذا الباب:

١. ما ذكره ابن سعد فيما رواه عن عبيد الله بن علي، عن جدته سلمى قالت: «رأيت عبد الله ابن عباس معه ألواح يكتب عليها عن أبي رافع شيئا من فعل رسول الله ﷺ»^(٤).

٢. ما ذكرته الأصول عن كتب سعد بن عباد، وفي أخرى أنها لولده سعيد بن سعد بن عباد^(٥) - وهو مذكور في الصحابة.

(١) وذلك فيما رواه مسلم (برقم ٣٠٠٤) عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج».

(٢) ويشهد لهذا المعنى عند العرب ما رواه ابن سعد (الطبقات ٤/ ١٠٥) بإسناد صحيح أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: كان لأبي موسى ﷺ - تابع، فقذفه في الإسلام، فقال لي: يوشك أبو موسى أن يذهب ولا يحفظ حديثه، فاكتب عنه، قال: قلت: نعم ما رأيت، قال: فجعلت أكتب حديثه ..

(٣) ناهيك عن كتب أخرى نقل منها الأقدمون ولم يصرحوا بها كانت موارد لكتابات كثير منهم، واستقصاء ذلك ليس من شرط هذا المبحث، ولكن عرّض سزكين لطائفة منهم في تاريخه.

(٤) الطبقات ٢/ ٣٢٠.

(٥) الأم للشافعي، تحقيق د. رفعت فوزي عبد المطلب ٧/ ٦٢٥، ومسند أحمد ٥/ ٢٨٥، والبخاري في التاريخ الكبير ٣/ ٤٩٨، والترمذي برقم ١٣٤٣، والمعجم الكبير للطبراني برقم ٥٣٦٢، والسنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ١٧١، والصغرى له أيضا برقم ٤٢٦٤.

٣. ما ذكره الواقدي فيما رواه عن محمد بن يحيى بن سهل^(١) قال: «وجدتُ في كتاب آبائي أن حبيب بن عمرو السلامي كان يحدث قال.. الخ^(٢). وقال في موضع آخر: «وجدت في كتب أبي»^(٣).

٤. ما ذكره ابن سعد فيما رواه عن أبي عمرو بن حريث العذري^(٤) قال: «وجدتُ في كتاب آبائي قالوا قدم على رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع وفدنا اثنا عشر رجلاً فيهم.. الخ^(٥).

٥. ما ذكره الزبير بن بكار وغيره عن يزيد بن معاوية في كتابه إلى أهل المدينة، جاء فيه: «أما بعد فإني قد حملتكم على رأسي، ثم على عيني، ثم على فمي، ثم على صدري، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقلّ منها عددكم، وأترككم أحاديث تنسخ مع أحاديث عاد وثمود»^(٦).

٦. تسمية من شهد مع علي ﷺ من أصحاب النبي ﷺ، لعبيد الله بن أبي رافع^(٧)، كاتب علي بن أبي طالب^(٨).

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، الأنصاري، الأوسي، المدني، يروي عن أبيه عن جده، روى عنه الواقدي. توفي سنة ست وستين ومائة. انظر: التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢٦٥، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ٨/ ١٢٣، والثقات لابن حبان ٩/ ٤٤، والمعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، لأكرم الفالوجي ٢/ ٥٣٦.

(٢) الطبقات لابن سعد ١/ ٢٨٦، ٢٨٧، والإصابة ٢/ ٢٢.

(٣) الطبقات لابن سعد ٦/ ٣١٥.

(٤) هو: أبو عمرو بن محمد بن حريث، وقيل أبو محمد بن عمرو بن حريث، روى عن جده، وروى عنه إسماعيل بن أمية. قال عباس الدوري عن يحيى بن معين: أبو عمرو بن حريث جد لإسماعيل بن أمية من قبل أمه. وقال أبو جعفر الطحاوي: مجهول. قلت: لم أقف له على تاريخ وفاة إلا أني وجدت عباس الدوري يحكي عن يحيى بن معين قال: أبو عمرو بن حريث جد لإسماعيل بن أمية (ت ١٤٤)، وقيل (١٣٩هـ) من قبل أمه. انظر التاريخ لابن معين رواية الدوري برقم ١٧٨٨، وتهذيب الكمال ٣٤/ ١٣٠.

(٥) الطبقات ١/ ٢٨٦، ٦/ ٣١٤.

(٦) الموفقيات، للزبير بن بكار ص ١٩٨، وأنساب الأشراف، للبلاذري ٥/ ٣٣٩، والمحن، لأبي العرب التميمي، تحقيق يحيى الجبوري، ص ١٦١، والعقد الفريد ٤/ ٣٨٨.

(٧) هو: عبید الله بن أبي رافع مولى النبي ﷺ - واسم أبي رافع أسلم - وكان كاتب علي رضي الله عنه. روى عن علي وأبي هريرة وأبيه. قال فيه أو حاتم: ثقة. توفي نحو ٨٠هـ. انظر الجرح والتعديل ٥/ ٢٠٧.

(٨) ذكره الطبراني واقتبس منه في أكثر من خمسة عشر موضعاً، كما ذكره الطوسي في الفهرست (ص ٢٠٢) وسماه: تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان من الصحابة.

٧. صحيفتان في المغازي، لمقسّم بن بَجْرَة^(١)، رواهما عنه معمر عن عثمان المشاهد الجزري عنه^(٢).

٨. ما ذكره أبو زرعة الدمشقي فيما رواه عن أبي مسهر قال: «قرأت في كتاب يزيد بن عبيدة^(٣) توفي معاذ بن جبل سنة سبع عشرة^(٤)».

٩. ما ذكره الزبير بن بكار فيما رواه عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قدم علينا سليمان بن عبد الملك حاجا سنة اثنتين وثمانين وهو ولي عهد، فمر بالمدينة فدخل عليه الناس فسلموا عليه، وركب إلى مشاهد النبي ﷺ التي صلى فيها، وحيث أصيب أصحابه بأحد، ومعه أبان بن عثمان، وعمرو بن عثمان، وأبو بكر بن عبد الله بن أبي أحمد، فأتوا به قباء، ومسجد الفضخ، ومشربة أم إبراهيم، وأحد، وكل ذلك يسألهم ويخبرونه عما كان، ثم أمر أبان بن عثمان^(٥) أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به. فأمر بنسخها وألقى فيها عشرة من الكتاب، فكتبوها في رَقٍّ^(٦).

١٠. ما ذكره ابن سعد أيضا فيما رواه عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: «وجدت هذا في صحيفة بخط أبي^(٧) فيها لما كفن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقال..»^(٨).

(١) هو: مقسم بن بَجْرَة - ويقال ابن بَجْرَة على مثال شجرة، ويقال ابن نجدة - أبو القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، ويقال له: مولى بن عباس، للزومه له. أخرج له الجماعة سوى مسلم. قال ابن سعد: أجمعوا أنه توفي سنة إحدى ومائة. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩١، ٨/ ٣١، وتهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٣ (٢) العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل برقمي ١٠، ٣٨٠٠.

(٣) لم أقف له على تاريخ وفاة إلا أنه روى عن أبيه عبيدة بن أبي المهاجر السكوني الذي روى عن معاوية بن أبي سفيان. (انظر: إكمال الكمال ٦/ ٥٠، المؤلف والمختلف للدارقطني ص ١٥٠٩)، كما قال ابن عساكر أن أبا زرعة ذكره في تسمية الأصاغر من أصحاب واثلة الصحابي (تاريخ دمشق ٦٥/ ٣١٥). وكتابه في التاريخ كما يظهر من استقراء محتويات هذا الكتاب المتناثرة في المصادر.

(٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق شكر الله القوجاني ١/ ١٧٧.

(٥) أبان بن عثمان بن عفان توفي سنة ٩٦، وقيل ١٠٥هـ.

(٦) الموفقيات ص ٣٣٢، وامتلاك أبان نسخة من المغازي أمر مشهور في المصادر انظر منها: الطبقات لابن سعد ٧/ ٢٠٨.

(٧) قال أبو حسان الزياتي: مات سنة تسع عشرة ومائة وهو ابن أربع وسبعين، وقد سمعت أنه مات سنة عشرين ومائة وكان عريف قومه. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٠٥.

(٨) الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٥٣.

١١. ما ذكره ابن سعد في ترجمته لعبيد بن التيهان، قال: قال عبد الله بن محمد بن عمارة: «ورأيت بخط داود بن الحصين^(١) بيده: عتيك بن التيهان»^(٢).

١٢. ما ذكره أبو العرب التميمي فيما رواه أن محمد بن عمر الواقدي قال: «قرأت كتاب إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة^(٣) (تسمية من قتل بالحرّة) وأخبرني إبراهيم أن الكتاب كتاب داود بن الحصين مولى آل عثمان بن عفان»^(٤).

١٣. ما ذكره ابن إسحاق في سيرته، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري^(٥) أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم. قال فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه^(٦).

١٤. المغازي: لعروة بن الزبير (ت ٩٣هـ)^(٧).

١٥. المغازي: للشعبي عامر بن شراحيل (ت ١٠٣هـ)^(٨).

١٦. المغازي: لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)^(٩).

(١) هو: داود بن الحصين القرشي الأموي أبو سليمان المدني مولى عمرو بن عثمان بن عفان روى عن أبيه الحصين رضي الله عنه، ورافع بن أبي رافع مولى النبي ﷺ. أخرج له الجماعة. وقال ابن حبان: كان يذهب مذهب الشراة. قال الواقدي وغيره: مات سنة خمس وثلاثين ومائة. زاد الواقدي وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: الثقات، لابن حبان ٦/٢٨٤، وتهذيب الكمال ٢٨/٤٦٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/٤١٤.

(٣) هو: إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأنصاري الأشهلي مولا هم أبو إسماعيل المدني مولى عبد الله بن سعد بن زيد الأشهلي. روى عن داود بن الحصين وغيره. قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: ثقة. وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين: صالح يكتب حديثه ولا يحتج به. توفي سنة خمس وستين ومائة. انظر: الجرح والتعديل ٢/٨٣، وتهذيب الكمال ٢/٤٢.

(٤) المحن، لأبي العرب التميمي، تحقيق يحيى الجبوري، ص ١٧٣.

(٥) هو: يزيد بن أبي حبيب واسمه سويد الأزدي أبو رجاء المصري مولى شريك بن الطفيل الأزدي قال ابن يونس: كان مفتي أهل مصر في أيامه.. وكان أول من أظهر العلم بمصر والكلام في الحلال والحرام.. وقيل أنهم كانوا قبل ذلك يتحدثون بالفتن والملاحم والترغيب في الخير، وقال الليث بن سعد: يزيد بن أبي حبيب سيدنا وعالمنا. وقال محمد بن سعد: مات سنة ثمان وعشرين ومائة. وقال غيره بلغ زيادة على خمس وسبعين سنة. أخرج له الجماعة. انظر الطبقات لابن سعد ٩/٥٢٠، وتهذيب الكمال ٣٢/١٠٢.

(٦) انظر: السيرة لابن هشام ٢/٦٠٧، وتاريخ الطبري ٢/٦٤٥.

(٧) رواه عنه واستفاد منه عدد غفير من أهل العلم في تصانيفهم، وكان يحتوي على أبواب عدة ذكرها الطبراني واقتبس منها في أكثر من مائة وخمسة وأربعين موضعا من كتابه المعجم الكبير.

(٨) روى الخطيب عن عبد الملك بن عمير قال مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي فقال: كأنه كان شاهدا معنا. انظر تاريخ بغداد ١٢/٢٣٠ (١٤/١٤٦ ط بشار).

(٩) رواه عنه واستفاد منه عدد غفير من أهل العلم في تصانيفهم، من أهمهم موسى بن عقبة في مغازيه.

١٧. أسنان الخلفاء، للزهري أيضا (ت ١٢٤هـ)^(١).

١٨. النسب، للزهري أيضا (ت ١٢٤هـ)^(٢).

١٩. حديث محمد بن أبي بكر الأنصاري (ت ١٣٢هـ) في شأن عبد المطلب في الجاهلية،

أمر بكتابه عنه موسى بن عيسى الهاشمي^(٣).

٢٠. المغازي، لعبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (ت ١٣٥هـ)^(٤).

ثم بلغت الكتابة التاريخية والأخبارية أوج نشاطها واتساع أنماطها في عهد بني العباس بما طرأ عليها من ضوابط ومناهج وضعت لها لضبطها رواية وتصنيفا.

ثانيا. أنماط التدوين التاريخي والأخباري عند المسلمين:

يعتبر لفظ (التدوين) في رأيي من الألفاظ التي تحتاج في زماننا هي الأخرى إلى تحرير، إذ اصطلح المتأخرون في مدلولها على معنى الكتابة فقط، في حين كان مدلولها عند القدماء أوسع مما هي عليه الآن، فهي تحمل عندهم معنى الجمع بغرض الإثبات والحفظ، سواء كان في الكتب، أو في الصدور، نجد ذلك واضحا فيما روي عن ابن عباس: «الشعر ديوان العرب»^(٥). وأوضح من ذلك قول ابن قتيبة: «ومن عجيب الشعر: أن مديح النفس والثناء عليها مهجر للقائل زار عليه وإن قال حقا، إلا في الشعر، وإنما جاز فيه لأنهم أرادوا تخليد أخبارهم، وتعداد أيامهم، فلم يصلوا إلى ذلك إلا بالتدوين، ولا ديوان لهم إلا بالشعر إذ كانوا أميين»^(٦).

(١) قال الطبري: «حدثني عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن يحيى عن هشام بن الوليد المخزومي أن الزهري كتب لجدته أسنان الخلفاء، فكان فيما كتب من ذلك..». انظر تاريخ الطبري ٥ / ٤٩٩.

(٢) روى أبو زرعة الدمشقي عن ابن حيوبل قرة بن عبد الرحمن يقول: «لم يكن للزهري كتاب إلا كتابا فيه نسب قومه..». انظر تاريخ أبي زرعة الدمشقي ١ / ٤١٠، وتاريخ دمشق ٥٥ / ٣٣١.

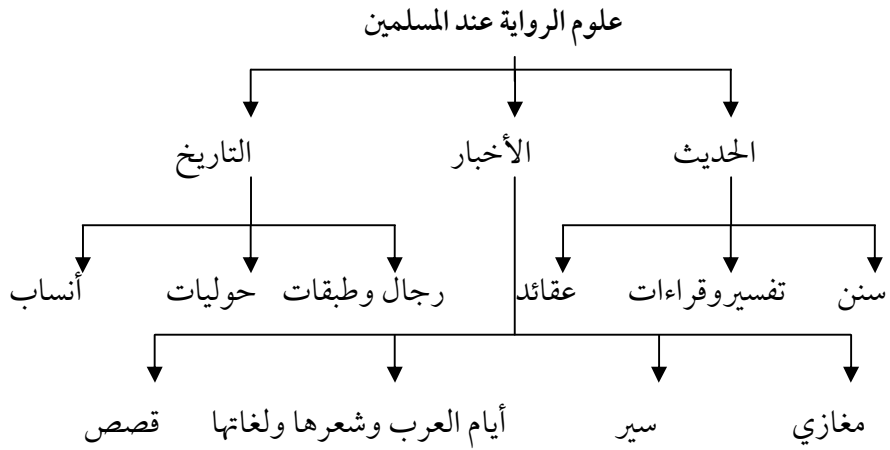
(٣) تاريخ الطبري ١ / ٢٤٨-٢٥٠.

(٤) روى الخطيب عن سريج بن النعمان قال: «عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري.. قدم علينا بغداد.. وكتبنا عنه المغازي عن عمه عبد الله بن أبي بكر». تاريخ بغداد ١٠ / ٤٠٩.

(٥) تهذيب الآثار للطبري، تحقيق محمود شاكر برقم ٩٤٢، والجامع لأخلاق الراوي، للخطيب، تحقيق محمود الطحان برقم ١٦٠٣، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨ / ٩٨) عن البراء بن مالك.

(٦) فضل العرب، لابن قتيبة، ص ١٦١.

ويدخل علم التاريخ ضمن علوم الرواية، التي يمكن عرضها وفق المخطط الآتي:



ولقد رزق كل فن من هذه الفنون بمن رفع ذكره بالتصنيف والرواية، بل كان من فائق العناية بها أنك قد تجد الفن الواحد قد انبثقت منه فروع أخرى، يرافق ذلك كله أنماط عدة في طريقة عرض كل فن وعلم، وهذا كله يدل على مدى النظرة الدقيقة من قبل المسلمين تجاه علومهم، إذ إن كل فرع وقسم من هذه الفنون والعلوم يدل غالباً على معنى في ذاته استحق من أجله أن يُفرد بمزيد اهتمام رواية وتصنيفاً.

من أجل ذلك ينبغي لكل باحث أن ينتبه عند الحديث عن علوم المسلمين إلى هذه المعاني التي تميز بها كل اصطلاح عن غيره داخل الفن الواحد أو خارجه، وإلا ضللنا في الدراسة وفي الحكم على السواء، وهذا من أخطر ما مُنيت به علوم القدماء عند المُحدثين في زماننا هذا.

وسوف أخص بالحديث هنا أهم أنماط التدوين في علوم الأخبار والتاريخ وما يلحق بهما، مركزاً في ذلك على مقصد المسلمين منه، وأهم سمات ذلك وخصائصه المميّزة له عن غيره عندهم.

أولاً: ألفاظ متعلقة بعلم الأخبار، وأبدأ أولاً بكلمة الباب:

- الخبر:

وجمعها «أخبار»، وهي كلمة عربية الأصل، وليس كما يزعم روزنتال: أن «أصل (خبر) غير واضح، وليس لدينا من دليل يرجح كون أصل الكلمة في اللغة العربية ذاتها، كما أن أدلة اللغات السامية الأخرى لا تمكن من اتخاذ قرار حاسم»^(١). ولست أدري أي أدلة تلك التي يريدونها لتكون الكلمة عربية عنده، أولم يكفه ورودها في القرآن والحديث الشريف، وما لا يحصى تواتر من كلام العرب شعراً ونثراً!! فليأتنا بهذا الذي يكون مقياساً نستدل به على عربية الكلمة

(١) علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٩.

من عدمها سوى هذه السبل، وإلا فهذا مدعاة إذن للشك في كل كلمة نطق بها العرب تشترك مع غيرها من اللغات (السامية؟!) من أجل هذا الاشتراك اللغوي!

ويُظهر الاستقراء لديّ أن معنى الخبر عند العرب هو «كل ما يصدر عن لسان المرء بغرض الإعلام بشيء يُبين عن معنى في ذاته، ويحتمل الصدق والكذب».

ويختلف الخبر عن العلم بالشيء أن العلم بالشيء مصدره كل حاسة للمرء، بينما لا يكون علم الخبر إلا عن طريق اللسان من المُخبر - وهو صاحب الخبر - والسماع من المُخبر.

وقد سبق الحديث عن الأخبار علماً وتدويناً في ثنايا حديثي عن التاريخ، وكذلك فيما يأتي من أنماط التدوين التاريخي والأخباري بما فيه غناء، إذ إن الحديث عنه لا يستقيم من غير مقارنة بمقابل له في بابه.

- الأنباء:

وهي جمع «نبا»، وهو ما خفي من الأخبار على المخاطب أو المستمع، ولا يكون الإنباء إلا عن شيء خفي، وتنبأ الرجل: إذا ادعى علم ما يخفى على غيره. دلّ على ذلك كلام العرب^(١)، والقرآن الذي أنزل بلسانهم. قال تعالى: ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، وقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، وقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤]، وقال: ﴿قَالَ لَا يَا تُيُوكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمْ بِأُوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]، وقال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]، وقال: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] وقال: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦]. وقال لبيد^(٢):

وإن تسألوا عنهم لدى كل غارةٍ فقد يُنبأُ الأخبارَ مَنْ كان سائلاً
أولئك قومي إن سألت بخيمهم وقد يُخبرُ الأنبياءَ مَنْ كان جاهلاً

(١) في المعاجم: النبأ يعني الخبر. قلت: وفي ذلك إطلاق يحتاج إلى تقييد، فما ظهر لي من كلام العرب وجود تمييز للأنبياء عندهم عن الأخبار، فكل نبأ خبر ولا عكس. ومحاولة الراغب في (المفردات ص ٤٨١) في التمييز بين هذه الكلمة وبين غيرها ليس بشيء، وتأمل ما يأتي من الأمثلة.

(٢) ديوانه، تحقيق د. إحسان عباس ص ٢٥٣.

وقال بشر بن أبي خازم^(١):

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَلْقَ الْبَيَانَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهِ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَا يُكَدِّبُ
وقال كعب بن مالك^(٢):

يَصْدُقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُحْلَصًا يُرِيدُ بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدٍ

وقد استُخدمت هذه الكلمة كثيرا في القرآن الكريم عند الحديث عن أخبار الأمم الماضية وأنبئائها، كما وردت بمثل هذا المعنى في الحديث الشريف، من ذلك ما جاء في مسند أحمد في قصة الخضر وموسى، جاء فيه: «ثم قص عليه النبأ نبأ السفينة»^(٣).

ولكن قل استعملها في كتب الأخبار رغم أنها من بابها، ويرجع ذلك إلى أنهم استعاضوا عنها بكلمة الأخبار التي هي أوسع في الدلالة من الأنباء، فضلا عن أن هذا المعنى اللغوي الدقيق كان يتوارى عنهم كلما تأخر العصر، حتى ما عدنا نرى في تعريفهم لها إلا بأنها مرادف الخبر. وكان هذا يظهر واضحا عند من استعملها منهم. وممن رأيت استعملها:

القاسم بن سلام، إذ يقول: «فهذه بلاد العنوة، وقد أقر أهلها على مللهم وشرائعهم، ولكل هذه قصص وأنباء، نأتي بها علمنا منها إن شاء الله»^(٤).

ويقول ابن عساكر: «وقوع الطاعون هذا والوباء مصداق ما ورد من النبأ فيما أخبرنا أبو عبد الله الخلال..»^(٥).

ومن التصانيف التي حملت هذا اللفظ عنوانا عليها، كتاب (المقتبس من أنباء الأندلس) لابن حيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ)، وكتاب (أنباء الأنبياء^(٦)) للقضاعي (ت ٤٥٤ هـ)، وكتاب (المؤمن في أنباء من لقيه من أبناء الزمن)، لأبي البركات محمد بن أبي بكر البليقي (ت ٧٧١ هـ)، وكتاب (إنباء الغمر بأنباء^(٧) العمر)، لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، وكتاب: (التاريخ المعبر في أنباء من

(١) ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، ص ١١.

(٢) ديوانه، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، ص ١٩٧.

(٣) مسند أحمد (٥/ ١٢١)، وهو من زيادات عبد الله على أبيه.

(٤) الأموال، للقاسم بن سلام، تحقيق سيد رجب ١/ ١٩٠.

(٥) تاريخ دمشق ٢/ ١٧٢.

(٦) كذا ذكره المقرئ في اتعاظ الحنفا (٢/ ٢٦٧)، وسماه ابن خلكان (وفيات الأعيان ٤/ ٢١٢)، وابن عساكر (١٦٨/ ٥٣): الإنباء عن الأنبياء.

(٧) كذا في نسخة المؤلف، وقيل: بأنباء. انظر الإنباء (ط حبشي) ١/ ٥.

غبر^(١)، لمجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٨هـ)، كما رأيت في عناوين أبواب بعض التصانيف، منها ما في صحيح ابن حبان (ذكر الإخبار عن أنباء الصالحين)^(٢)، وما في كتاب تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن بن عبد الله النباهي المالقي (ت بعد ٧٩٣هـ): (الباب الثاني في سير بعض القضاة الماضين وفقّر من أنباء الأئمة المتقدمين)^(٣).

- السِّيرَ والفتوح:

أطلق المسلمون كلمة «السِّيرَ» وقصدوا من معانيها معرفة أحوال النبي ﷺ وشمائله ودلائل نبوته وسراياه وغزواته، ثم شملت أيضا أحوال العلماء والرواة والأمراء فيما عرف عند المعاصرين بالتراجم، بينما إذا اقتصر المصنّف على حروب النبي فقط فهي المغازي، فالسيرة بذلك أعم من المغازي.

والتأمل في أطوار التصنيف في هذا الباب يجد أن التصانيف في المغازي أو التي حملت عنوان «المغازي» بدأت عند المسلمين قبل التصنيف في السيرة أو التصانيف التي حملت عنوان «السِّيرَ» التي تعني كما ذكرت آنفا أحوال النبي ﷺ وشمائله ودلائل نبوته وغزواته، وكانت هذه الموضوعات الأخيرة داخلة في المرويات الحديثية في هذا الوقت المبكر قبل أن تستقل بالتصنيف تحت اسم «السِّيرة»^(٤)، بداية من عصر عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) الذي صرّح بهذا اللفظ في مطلع كتابه قائلا: «هذا كتاب سيرة رسول الله ﷺ»^(٥).

بيد أن كُتِبَ حملت في هذا العصر هذا اللفظ (السِّيرَ) عنوانا عليها أيضا ولكن للدلالة على معنى آخر لهذه الكلمة وهو فقه الحرب والفتوح وما يتبع ذلك من أحكام المجاهدين والأسارى والأراضي المفتوحة والأموال المجنية عن طريقها صلحا أو عنوة.. وقد عرّفها عمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) بقوله: «السير: أمور الغزو، كالمناسك: أمور الحج.. سميت هذه الأمور بهذا الاسم لما أن معظم هذه الأمور هو السير إلى العدو»^(٦). ومن أشهر الكتب التي حملت هذا

(١) كشف الظنون ١ / ٣٠٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٧ / ١٨٠.

(٣) تاريخ قضاة الأندلس، لأبي الحسن بن عبد الله النباهي المالقي، ص ٢٢.

(٤) من الكتب القيمة التي تناولت هذا الأمر بالدراسة كتاب (رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات)، تصنيف: مطاع الطرايشي. وقد فصل القول فيما نحن بصدده تفصيلا يغني عن إعادته هنا.

(٥) السيرة النبوية ١ / ٢٥.

(٦) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، لعمر بن محمد النسفي، تحقيق خالد العك، ص ١٨٦.

الاسم بهذا المعنى كتاب (السير) لأبي إسحاق الفزاري محمد بن إبراهيم (ت ١٨٦هـ)، و(السير) لمحمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) وكلاهما موجود مطبوع. ويدخل في بابها كتب الفتوح، ك(فتوح البلدان) للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، و(فتوح الشام) للأزدي (ت ق ٢هـ)، و(الفتوح) لسيف بن عمر (ت ١٨٠هـ)، وكذلك كتب الأموال، ك(الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، و(الأموال) لزنجويه (ت ٢٥٠هـ)، و(الخراج) لأبي يوسف (ت ١٨٢هـ)، و(الخراج) ليحيى بن آدم (ت ٢٠٣هـ).

- القصص:

وصورته أن يجلس القاص في مسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث، وقصصا عن الأمم السابقة. ومن ثم، فهو باب من الأخبار إلا أنه لم يرق لأن يصير علما، ومن ارتفع به لم يعدو إنزاله منزلة الشبيه بالعلم. فيقول أحمد أمين: «وارتفع شأن القصص حتى رأيناه عملا رسميا، يعهد به إلى رجال رسميين يعطون عليه أجرا، فنرى في كتاب القضاة للكندي أن كثيرا من القضاة كانوا يعينون قصاصا أيضا.. ولا تهمنا هذه النواحي الرسمية، إنما يهمننا ما كان منه من صبغة تشبه العلمية»^(١).

فقد كانت نشأة هذا الفن روائية شفهية بغرض الوعظ، ثم استهواه الضعفاء والكذابون فاتخذوه قوتا، وكان زادهم فيه غالبا الأخبار الموضوعية والمكذوبة، وكان أكثر موضوعاته شيوعا في بادئ الأمر قصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، وما يشبه ذلك من أمور المبدأ والمبعث، ومصادرهم فيها غالبا الإسرائيليات، ناهيك عن كونه حقلًا خصبا للوضاعين بما وضعوه وألفوه من قصص.

ومن ثم، فإن بعض الباحثين يرى «أن هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيرا من أساطير الأمم الأخرى، كاليهودية والنصرانية، كما كان بابا دخل منه على الحديث كذب كثير، وأفسد التاريخ بما تسرب منه من حكاية وقائع وحوادث مزيفة أتعبت الناقد، وأضاعت معالم الحق»^(٢).

وقد مهد هذا النمط لظهور ما يعرف عند المعاصرين بالقصص الشعبي بعد ذلك، وأبرز مجالاته التصنيفية كتب الفتوح، وألف ليلة، وسيرة عنترة.

(١) فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٢) المرجع نفسه ص ١٦٠.

- المبتدأ:

وهو نمط من التصنيف الأخباري يعنى ببدء الخليقة، وقصص الأنبياء، وكانت مصنفات هذا النمط موردا خصبا للقصص والقصاصين بما حوته من غرائب وعجائب مصدرها الإسرائيليات وكتب أهل الكتاب، ناهيك عن كثير من الأخبار الموضوعية، والمتأمل في أصحاب هذه التصانيف يجد غالبهم متهمًا عند المحدثين. ومن أشهر كتب هذا النمط: المبتدأ لوهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، و(المبتدأ) لابن إسحاق^(١)، و(المبتدأ) لأبي حذيفة البخاري (ت ٢٠٦هـ)، و(المبتدأ) لوثيمة بن موسى (ت ٢٣٧هـ)، و(المبتدأ) لأبي بكر محمد بن عبد الله الكسائي (ت ٣٥٠هـ).

- المثالب والمآثر:

وكان من أسباب التدوين في هذا النمط العصبية، أو الخلافات العقدية والسياسية. وقد بدأ الاهتمام به منذ عصر النبي ﷺ بسبب معاداة قريش للنبي فكانوا يهجونه ويذكرون مثالب الأنصار لنصرتهم النبي ﷺ فكان النبي ﷺ يحث على هجائهم أيضا، بل كان عنده من الصحابة المختصين بهذا النمط من الرواية الأخبارية، ويظهر ذلك فيما رواه ابن سعد وغيره عن محمد بن سيرين قال: «كان يهجو [المشركين] ثلاثة من الأنصار يجيئونهم، حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، فكان حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر»^(٢).

ثم نشط هذا النمط بعد ذلك مع زيادة شقاكات الأمة وخلافاتها العصبية والعقدية والسياسية، فظهرت طبقة ممن اشتغلت به وصنفت فيه، منهم الكميث بن زيد (ت ١٢٦هـ) الذي قال فيه أبو الفرج الأصفهاني: «شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها»^(٣).

(١) ويذهب مطاع الطرايشي إلى أن هذا الكتاب ليس إلا نسخة من كتابه في المغازي. انظر: رواة محمد بن إسحاق، ص ٤٢.

(٢) الطبقات ٤/ ٣٢٤، والأغاني ٤/ ١٣٨، والاستيعاب لابن عبد البر، تحقيق الجاوي ١/ ٣٤٤، وتاريخ دمشق ٢٨/ ٩٦.

(٣) الأغاني ١٧/ ١.

وذكرنا في موضع مضى حكاية بعض الأخباريين أن عبيدالله بن زياد أول من طلب المثالب، وعني بجمعها ليعارض الناس بما يقولون فيه^(١)، وممن صنف فيه أيضا ابن الكلبي^(٢)، وممن صنف في مآثر العرب ابن قتيبة بكتابه الماتع: فضل العرب.

- المغازي:

وقد سبق الحديث عنها في ثنايا حديثي عن (السَّيْر) بما يغني عن إعادته هنا، وهي كما قلت من أوائل ما روي وصنّف في الإسلام في الأخبار عامة، وفي سيرة النبي ﷺ خاصة، وراجع أيضا قائمة أوائل الكتابات التاريخية في مبحث نشأة الكتابة التاريخية.

ثانيا: ألفاظ متعلقة بعلم التاريخ:

- التاريخ:

وسبق تفصيل الكلام فيها.

- الأنساب:

وسبب إدخال هذا العلم في باب التاريخ عند المسلمين كونه يعتمد على عنصر الزمن أصلا في تصنيفه، ولكن عن طريق النسب العرقي الذي يقوم على الآباء والأجداد، إذ لا يُتصور هذا العلم من غير هذا العنصر الزمني، فهو تاريخ العرب في جاهليتهم حين لم يكن لهم تاريخ واحد يجتمعون عليه، يتعلمه الواحد منهم صغيرا ليحفظه ويرويه لمن بعده. وحين جاء الإسلام لم ينبذ هذا العلم، كيف وهو يسري من القوم مسرى الدم في العروق، فهو جزء من ثقافته التاريخية، تماما كما يحفظ مآثر قبيلته ممثلا في شعر شعرائها، فنسبُه بطاقتَه الشخصية في قبيلته التي ينتمي إليها، تلك القبيلة ذات النسب إلى العرق الأول الذي جمع أهلها هذا الجمع، ولولاه ما كانت هذه القبيلة، ولا اتصلت أرحامها التي تعود إلى هذا الجذر التاريخي القديم. والكتب التي حملت لفظة النسب والأنساب عنوانا عليها أشهر من تُسرد.

ولا زلت أرى أن انتفاع الباحثين المعاصرين من الأنساب في مجال علم التاريخ - وليس الأخبار - لا يزال ضعيفا ويحتاج إلى دراسات واسعة يمكنها أن توقفنا على حل كثير من مشكلات تاريخ العرب في الجاهلية^(٣).

(١) فضل العرب لابن قتيبة ص ٣٧، وأنساب الأشراف ٤٠٦/٥.

(٢) وهو مطبوع. وعندني منه نسخة خطية.

(٣) وأفضل دراسة رأيتها حتى الآن في هذا الباب كتاب: الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي، لعبد العزيز مزروع الأزهرى، القاهرة، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م. وأنصح طلاب تاريخ العرب القديم بقراءته ودراسته.

- الحوليات:

وهذه التسمية تميز لها عن كتب تواريخ الرجال، وأقصد بها كتب الحوادث المرتبة على التاريخ، كتاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤١هـ)، وتاريخ اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير لطبري (ت ٣١٠هـ).. وقد سبق الحديث عن شيء من مناهجها عند حديثنا المفصل عن معنى التاريخ ومدلوله عند المسلمين.

- الرجال:

يعد هذا العلم مفخرة علوم المسلمين، وهو علم لم تعرفه أمة غيرهم، وبسببه نشأ علم التاريخ عند المسلمين في المقام الأول على نحو مر الحديث عنه سابقاً، وكان دافعه حفظ الدين من كذب الوضاعين وانتحال المنتحلين، فقد مر بنا عبارة سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ»^(١). وما روي عن حسان بن زيد: «لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ»^(٢). وباب ابن عساكر الذي عقده في تاريخه بعنوان: «ذكر السبب الذي حمل الأئمة والشيوخ على أن قيدوا الموالي وأرخوا التواريخ»^(٣). وكان غرضهم الأول منه ذكر الموالي والوفيات، فإن لم يتيسر ذلك لهم أفصحوا عن طبقتهم بذكر بعض شيوخه، وبعض تلاميذه، ثم تميزه عن اشتبه به في اسمه أو كنيته حتى لا يختلط به، مع ذكر شيء من أخباره وما قيل فيه من جرح أو تعديل إن وجد، وذلك كله على تفاوت في مناهج مصنفي هذا الفن، الأمر الذي أدى إلى إثراء هذا العلم بتعدد أبوابه وما صُنّف فيه من كتب صارت بعد ذلك علومها رجالها وتصانيفها.

ومن أهم كتب هذا الباب: التاريخ الكبير للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (ت ٢٧٧هـ)، والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (ت ٢٧٩هـ)، وتاريخ بغداد للخطيب (ت ٤٦٣هـ)..

- الطبقات:

وقد بدأ استعمالها عند المسلمين علماً على فرع من فروع علم الرجال وأحوالهم عند المحدثين، ثم انتشرت لتشمل رجال كل فروع العلوم الأخرى.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تاريخ دمشق ١ / ٥٤.

وقد اشتهر بين جمهرة الباحثين أن علم الطبقات عند المسلمين محصور في مقصده على معنى «المرتبة» أو «المنزلة» فقط، ولكن أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن الأمر ليس كذلك في أول الأمر، بل كانت الطبقة أقرب ما يكون في هذا الوقت المبكر لمعنى «المذهب» أو «المنهج حتى اشتهرت بعد ذلك المعاني الأخرى التي تعني «المرتبة» و«المنزلة»، وممن نبه على ذلك محمود شاكر^(١)، إذ يقول: «ولكن ههنا شيء ينبغي التنبيه له، وهو لفظ (طبقة)، و(طبقات)، الذي استعمله ابن سلام في ثنايا كلامه، ثم جعله عنوانا لكتابه، والذي لا شك فيه أن هذا اللفظ من كلام العرب، قد درج على ألسنتهم قديما للدلالة على معانٍ مختلفة، ولما جاء عصر التدوين صار له مجاز آخر عند المؤلفين والكتابين، حتى انتهى إلى زماننا هذا بمعنى مشهور مألوف. بل أول ما يجب أن نحاوله هو تتبع أطوار معاني اللفظ وختلاف هذه المعاني على تطاول السنين». ثم وضح بعد ذلك أن معنى (الطبقة) عند أهل هذا الزمان الأول يدل «على التمييز في باب من الأبواب، وعلى مذهب من المذاهب في الفقه أو التفسير أو الرواية، يُعرف به صاحبه»^(٢)، ثم يقول في موضع آخر: «ولكن ما أقطع به أن ابن سلام لم يرد بقوله (طبقة)، ما يهجم على الخاطر من معنى المرتبة أو المنزلة، ولم يرد ما أراده غيره في زمانه وبعد زمانه في كتب ألفوها وسموها (الطبقات)، وجعلوا (الطبقات) فئات مرتبة على أصول القبائل، أو فئات مرتبة على منازل العلماء في المدن، أو فئات مرتبة على السنين»^(٣).

ويقول أكرم العمري: «ورغم هذه المحاولات في تحديد الطبقة زمنيا، فإن استعمال الطبقة كوحدة زمنية ثابتة لم يظهر إلا في فترة متأخرة جدا، وذلك حينما استعملها الذهبي تساوي عشر سنين»^(٤). ويقول في موضع آخر: «ولكن أقدم استعمال للطبقة لم يكن بمعنى الجليل»^(٥).

وأيا كان الأمر، فإن نظام التصنيف على الطبقات عند المسلمين كانت له قيمته التي خدم بها علوم كثيرة لديهم في شتى مجالاتها، وتكمن أهميته في توضيح أطوار العلم المترجم لرجاله عن طريقه منهجيا، وقد ساعد ذلك كثيرا في نشاط النقد للعلم الذي صُنّف فيه، ومنهاج أهل كل عصر فيه.

(١) وانظر أيضا: حاشية على مفهوم محمود شاكر لنظرية ابن سلام النقدية، لعادل سليمان جمال، مجلة معهد المخطوطات، مجلد ٤٢، الجزء الأول، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٩٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر ١/٦٨.

(٣) المصدر نفسه ١/٦٩.

(٤) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٤٢.

(٥) المرجع نفسه ص ٢٤٣.

- معاجم الشيوخ:

ويطلق عليها أيضا «المشيخات»، وهو نمط متأخر من أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين، يعبر عن مظهر بليغ من مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الإسلام، قصدوا به ترجمة شيوخهم، أو شيوخ شيوخهم، وصورته أن يعمد المصنّف صاحب المعجم أو المشيخة إلى جمع شيوخه ممن سمع منهم ثم يترجم لهم مع ذكر شيء مما تلقاه على أيدهم من مرويات العلم الذي اشتغل به أو من الحديث، أو الكتب التي سمعها منهم أو قرأها عليهم.

وفي هذا النمط فوائد جمة إذ إنها توفقنا على أطوار الحركة العلمية عند المسلمين، كما أنها تعد مصدرا أصيلا من مصادر الرجال ترجمة وجرحا وتعديلا بما قد لا نجده أحيانا في غيرها من مصادر الرجال الأخرى. ويزيد من أهمية هذا النوع من التصانيف قرب المترجم ممن يُترجم له.

هذا فضلا عن أن مثل هذا النوع من التصانيف يعطي صورة واضحة لعلم العالم أو الراوية من حيث معرفة شيوخه، والاطلاع على مدى سعة علمه عن طريق معرفة رحلاته إلى البلدان المختلفة، وطبيعة الروايات التي يرويها عالية ونازلة إما لأحاديث وإما لكتب. كما أنها تبرز لنا بما تحويه من عناوين لمصنفات في شتى أنواع العلوم مقدار النضج العلمي الذي وصلت إليه الأمة على مدار عصورها، بل وتقيّم مراحل هذا النضج من حيث القوة والضعف، والصعود والهبوط، إذ يمكن بذلك التعرف على أبرز الكتب التي اشتهرت في عصر دون غيره، والعلوم التي نشطت في بلد وخملت في غيره^(١).

* * *

نخلص من ذلك التمهيد: أن المسلمين الأول كانت لهم نظرتهم الخاصة ومنهاجهم المميز تجاه التاريخ والأخبار وفروعها من علوم الرواية. الأمر الذي سيكون له أثره الكبير في قضية الوضع في الرواية التاريخية التي اعتمدت بشكل أساسي على تلك النظرة الإسلامية لعلوم الرواية.

وعليه، فينبغي التعامل مع هذا العلم عند المسلمين وفق نظرتهم ومنهاجهم، وأي مخالفة في هذا الأمر ستؤدي إلى خلل كبير في منهاج الدراسة ونتائج تلك الدراسة ما دمنا في حقل الرواية عند المسلمين.

(١) وقد قام الباحث بعمل ثبت لما وصل إلينا وطُبع من كتب هذا النمط حتى القرن العاشر الهجري تقريباً في كتاب له بعنوان جمهرة تصانيف العرب ص ٥٠.

الفصل الأول

الوضع في الرواية التاريخية

تعريفه، ونشأته، وأسبابه، وسبل العلماء في مواجهته

مدخل:

يمثل هذا الفصل أهمية بالغة تهيئ لاستقبال الحديث عن أثر الوضع في الرواية التاريخية وتفسيرها. إذ إنه سيتم فيه تقديم تعريف لاصطلاح الوضع، فضلاً عن رصد تاريخي يمكن به الوقوف على بداياته في تاريخنا الإسلامي، كيف نشأ؟ وكيف كانت أطواره ومراحله؟ وما هي أهم أسبابه التي دفعت إليه؟ وطرقه التي انتهجها الوضعيون؟

ولكن أهم ما فيه على الإطلاق هو تلك الجهود التي بذلها المسلمون من أجل الحفاظ على نقاء مروياتهم وتراثهم. وتمثل ذلك عندهم في أعظم منهاج نقدي تفخر به بين الأمم جميعاً، ذلك المنهج الذي تمخض عنه علوم الجرح والتعديل، والرجال.. وهو ما سيأتي تفصيل الحديث فيه.

المبطل الأول

تعريف الوضع

تعددت تعريفات العلماء لمعنى الوضع قديماً وحديثاً تبعاً للمعنى اللغوي المستنبط من هذه الكلمة في لسان العرب عند علماء العربية، الأمر الذي ألقى بظلاله على ما عرف بالتعريف الاصطلاحي عند أهل المصطلح. فكان المشهور عندهم أنه ذلك الحديث المختلق المصنوع عمداً أو خطأ^(١).

ولكن لا يمنع ذلك من اجتهادٍ يجرر هذه التعريفات ويمحصها بغرض الوصول إلى أقربها دقة في تحقيق معنى هذه اللفظة.

وقد رأيت بعد استقراء كتاب الله وصحيح حديث النبي ﷺ أن أصل الوضع في لسان العرب هو: دنو الشيء وقراره^(٢) بعد خفضه من رَفَع^(٣).

يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْأَمِيرَاتَ﴾ [الرحمن: ٧]. وقال: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(٤) [الرحمن: ١٠]. وقال النبي ﷺ: «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»^(٥). وقال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»^(٦).

ويشهد لذلك من شعر العرب قول الأعشى^(٧):

فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَهَدَّمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا

(١) الوضع في الحديث، لعمر فلاتة ١/١٠٧، وتحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٢/١٠٣٩، ومنهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث، لبشير علي عمر ١/٢١٧.

(٢) وشرط القرار هنا - بمعنى الدنو التام من شيء لشيء - إنما لفصله عن الخفض المحض الذي هو منزلة بين الرفع والوضع. وقد أحسن الطبري حين قرب في المعنى بينهما ولم يرادف، فقال: «والخفض والوضع متقاربا المعنى في كلام العرب». انظر تفسيره ٢٢/١٧٧.

(٣) ومنه التواضع، والوضيع، والموضوع.

(٤) تأمل بين لفظ هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: ٦١]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [غافر: ٦٤].

(٥) رواه البخاري برقم ٦٥٠١.

(٦) رواه أحمد ١/٣٥، ومسلم برقم ٨١٧، وابن حبان في صحيحه برقم ٧٧٢.

(٧) ديوانه، تحقيق د. محمد حسين، ص ١٥٣.

وقد يُقصد من ورائه طلب التخفف من الشيء - وكذلك التحلل منه - والتسهّل فيه^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن ثم فالموضوع: هو اسم مفعول^(٢) من كل ما سبق، سواء كان دنو الشيء وقراره بعد خفضه من رَفَع^(٣). ومنه قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مُّزْمُوعَةٌ ﴿٣٥﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤]. وقول محمد بن المنكدر: «دخلت على جابر بن عبد الله وهو يصلي في ثوب ملتحفا به ورداؤه موضوع، فلما انصرف قلنا: يا أبا عبد الله، تصلي ورداؤك موضوع؟ قال نعم..»^(٤). وقول أعشى باهلة^(٥):

وَأَجْحَرَ الْكَلْبَ مَوْضُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ وَأَلْجَأَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِهِ الْحُجْرُ

أو كان يُقصد من ورائه طلب التخفف من الشيء، والتسهّل فيه. ومنه قوله ﷺ: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة.. وربا الجاهلية موضوع»^(٦). وعليه، فإن الموضوع لم يُستعمل يوما عند العرب^(٧) بمعنى المكذوب، ولا المختلق، ولا المصنوع، ولا للدلالة على شيء من ذلك - كما وقع عند بعض أهل الاصطلاح - ولا يصح، بل أرى أن تحميل هذا اللسان ما لا يَحتمل لا يجوز ما دمنا نبحت في علوم تتصل بهذا اللسان كل الصلة.

(١) ومنه السهولة في السير والخفة فيه (مقاييس اللغة ٦/ ١١٨). ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعًا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧] - وقد يكون في قوله ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠] وجه من هذا المعنى - وقوله ﷺ: «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع» (صحيح البخاري، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة، برقم ١٦٧١). وقال أنس: «كان - ﷺ - إذا قدم من سفر، فنظر إلى جُدُرَاتِ المدينة أَوْضَعَ راحلته». (صحيح البخاري برقم ١٨٨٦) وقول دريد بن الصمة (ديوانه ص ١٢٨):

يا ليتني فيها جَدَعٌ أخبُّ فيها وأضع

(٢) اسم المفعول عند الصرفيين هو اسم مشتق من الفعل المبني للمجهول للدلالة على ما وقع عليه الفعل.

(٣) يعني أنه مقابل للمرفوع.

(٤) رواه البخاري برقم ٣٧٠.

(٥) الأصمعيات ص ٨٩.

(٦) سبق تخريجه أنفا.

(٧) حتى عصر الشافعي، فهو - فضلا عن كونه من العرب - من أوائل من تكلم في الاصطلاح، إذ إن المطلع على كتبه لا يقف من معنى الموضوع عنده إلا على النحو الذي ذكرته العرب على الرغم من كثرة ذكره لكلمة (الموضوع) في تصانيفه وإملاءاته (راجع كتابي: الأم، والرسالة).

ذلك أنه قد يكون من عجيب نتائج البحث في هذا الباب أني لم أقف في كلام العرب على ما يُستدل منه على أنهم جعلوا من دلالات الوضع عندهم الكذب في الكَلِم!

بل وجدتُ أن أدق ما يرادف معنى الوضع في الكَلِم عند المتأخرين من كلام العرب – بعد قولهم كَذِبٌ وَكَذَّابٌ وَمَكْذُوبٌ^(١) – هو (التَقْوُل)^(٢)، و(القَوْل)^(٣). من ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٣٣]. وقوله: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤].

إذن فالوضع في الرواية بمعنى الكذب ونحوه اصطلاح متأخر تكاد لا تعرفه العرب بهذه الدلالة عندهم. ولكن ماذا نعني بالتأخر هنا في تاريخ تعريف هذه الكلمة؟ الحق أنه من الصعب تحديد بداية دقيقة لتاريخ شيوع هذه الكلمة بهذه الدلالة الاصطلاحية، ولكن تبين لي بالتتبع أنها لم تُعرف بهذه الدلالة المتأخرة حتى أواسط القرن الثاني الهجري تقريبا، إذ لم يكذب ينطق بها لسان، أو يكتب بها قلم، بل كان مرادفها المشهور في هذا القرن^(٤) اصطلاح (المصنوع أو المنحول)^(٥)، في حين بدأت تعرف طريقها إلى ألسنة النقاد^(٦) منذ أواخر القرن الثاني الهجري، مرافقةً في ذلك اصطلاح (المصنوع)^(٧) الذي أخذ يتراجع منذ أوائل القرن الثالث شيئا فشيئا أمام اصطلاح (الموضوع) حتى أفل بظهور الأخير عليه.

وعليه، فاصطلاح (الموضوع) في الرواية بمعناه المتأخر هو اصطلاح مولد. يمكن تعريفه بأنه: الكلام المنسوب إلى غير قائله، يُنسب إليه عمدا أو خطأ.

(١) بمعنيها عند العرب في: الكذب المذموم، أو بمعنى الخطأ المجرد بسبب من الوهم أو النسيان.

(٢) ومنه قولهم: «حديث متقوّل»، وهو الموضوع عند المتأخرين.

(٣) وذلك إذا قُيدت بما يفيد معنى التقوّل كقولهم: قول كذب، وقول زور، وقول باطل. وقد يكون القيد بالسياق من غير إضافة – كما سيأتي في الشاهد من حديث النبي ﷺ –. فإذا قال بالظن المنافي لليقين فهو التخرُّص. بينما الافتراء هو المخترع الكاذب من القول. وهذه المعاني مستفيضة في كتاب الله يضيق المقام بتفصيل الكلام فيها، ولكنها تتضح لمن يستقرئها متأملا مقابلا بينها وبين صحيح السنة وكلام العرب.

(٤) أعني القرن الثاني الهجري، إذ كان يغلب على القرن الأول الاصطلاح العربي القديم، وهذا واضح من استقراء شعر هذه الفترة، وراجع الشواهد السابق ذكرها.

(٥) والشواهد على ذلك يتعذر حصرها. انظر منها ما كان في كتب: سيويه (ت ١٨٠هـ)، وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١١هـ)، وأبي زيد الانصاري (ت ٢١٥هـ)، والأصمعي (ت ٢١٦هـ)، والسيرة لابن هشام (ت ٢١٨هـ).

(٦) وبخاصة نقاد الرواية في علوم الأخبار والآثار.

(٧) انظر في ذلك على سبيل كتب محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، وأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ). وكان أكثر مستخدمي هذا الاصطلاح – المصنوع – نقاد اللغة ومروياتها.

ومن ثم، فإنني أخلص من ذلك إلى أن الوضع في الرواية عندي: هو نسبة قول إلى غير صاحبه على سبيل العمد^(١) أو الخطأ^(٢).

هذا عندي أقرب ما يكون في تعريف الموضوع من القول على المجاز، قياساً على كلام العرب في دلالة هذه اللفظة عندهم، لا على أنها من صميم لسانهم، دفعنا إلى ذلك شيوع استعمال المتأخرين لها، فكان هذا التعريف أقرب ما يكون في الدلالة عليه عندهم^(٣).

أما عن موضع توليده الأول، فإن التتبع يفيد أيضاً أن بداية استعمال هذا الاصطلاح بمدلوله المتأخر بدأ في العراق، في حين لم يعرفه علماء الحجاز فمن دونهم إلا متأخراً، مكتفين غالباً باللفظ العربي وما اشتق منه (كذب، وكذاب، ومكذوب). ولعل السبب في ذلك هو التفشي المبكر للحن في العراق^(٤)، الأمر الذي تأخر في بلاد الحجاز بحكم قربها من العرب، ناهيك عن تأخر الكذب في الرواية في الحجاز عن العراق.

* * *

(١) كالكذب ونحوه.

(٢) بسبب من الوهم أو الغفلة ونحوهما.

(٣) أعني المتأخرين.

(٤) فكانوا من أجل ذلك أسبق الأمصار الإسلامية آنذاك بحثاً في علوم العربية ووضع قواعدها.

المبحث الثاني

نشأة الوضع وأطواره

مدخل:

بمقتضى ما اصطلاحنا عليه في تعريف الوضع من الرواية^(١) يمكنني القول إن نشأة الوضع في الرواية التاريخية قديمة جداً. فالكذب وإن كان خُلُقاً ذمياً ينافي الفطرة السوية للإنسان، إلا أنه حظ الشيطان من ابن آدم. والخطأ والنسيان وإن كانا من سمات القصور والنقص إلا أنهما من جبلة الإنسان ليس له منهما عصمة.

ولعل أقدم وضع يمكن رصده في تاريخ الرواية كان في عهد بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، حين كذبوا على الله وحرفوا كتابه وقد بيّن الله عز وجل صورة هذا الوضع في أكثر من موضع من كتابه، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦، والمائدة: ١٣]. وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١]. ودراسة قضية الوضع عند أهل الكتاب أمر يطول، وليس هذا البحث موضعه، فقد تكفلت به دراسات كثيرة تكاد لا تحصى، ولكن يكفيننا في قضيتنا هنا شهادة أحد باحثيهم المعاصرين، وهو: ول ديورانت إذ يقول^(٢):

«وكانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد. ولقد رأينا صوراً قديمة من هذه القصص فيما مر بنا من صفحات من هذا الكتاب، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرههم. ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى».

نشأة الوضع وأطواره عند العرب والمسلمين:

أما عند العرب، فقد كان الكذب منقصة عند العرب، ولعل في قصة أبي سفيان مع هرقل ملك الروم خير مثال على أنفة العرب من الكذب فطرة وسجية وإن كانوا مشركين^(٣).

(١) وهو: نسبة قولٍ إلى غير صاحبه على سبيل العمد أو الخطأ.

(٢) قصة الحضارة ٢/ ٣٨٥.

(٣) راجع صحيح البخاري برقم ٧.

فقد ندر الكذب عند العرب إذ كان ينافي فطرتهم وسجيتهم^(١)، ولم يعرفه إلا من اختلط بأوشاب غيرهم من الأمم ممن عُرف بشيء من هذا الخلق الذميم. فوجود النفاق – الذي يعد الكذب أصلاً يقوم عليه^(٢) – في المدينة المنورة – التي جاور فيها العربُ أهلَ الكتاب من اليهود – في عهد النبي ﷺ وعدم وجود من يُعرف به من أهل مكة قبل الفتح وبعده، يدل على تأكيد هذا الذي ذكرتُ^(٣).

إلا أن ذلك لا يعني أنهم لم يعرفوا الوضع في الرواية فقد عُرف عندهم شيء من ذلك قديماً، من قبل بعثة النبي ﷺ بكثير، ولكنه لم يكن بتلك الدرجة التي عرفها أهل الكتاب الأول، ولا بتلك التي كانت بعد عصر الخلافة الراشدة، فقد وردت شواهد تدل على وقوع الكذب في الرواية، والتزيّد فيها عند العرب في الجاهلية. من ذلك قول قيس بن الحداية^(٤):

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديثُ طَسَمٍ إنما أنت حالمٌ

وفي ذلك يقول الميداني مؤكداً هذا المعنى في قولهم «أحاديث طسم وأحلامها»: «يُضرب لمن يخبرك بما لا أصل له»^(٥).

وفي ذلك يقول ابن قتيبة في حديثه على خبر موضوع قال فيه: «إنما هو خبر من الأخبار القديمة التي يرويها أهل الكتب سمعه قوم منهم على قديم الأيام، فتحدثوا به. والحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة، منها.. أخبار متقدمة كان الناس في الجاهلية يروونها تشبه أحاديث الخرافة»^(٦).

أطوار الوضع في الرواية التاريخية:

أما في الإسلام: فيمكن تحديد معالم أطوار ثلاثة مرت بها حركة الوضع في تاريخ الرواية في الإسلام. أولها: يبدأ بعصر النبي ﷺ حتى أواسط عهد عثمان رضي الله عنه. وثانيها: منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية وأوائل العصر العباسي. وثالثها: منذ بدايات العصر العباسي.

(١) ويبدو أن ذلك ظل أثراً فيهم حتى عصر شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ) ليقول: «الأعراب لا يكذبون». انظر الكامل لابن عدي ١/١٥٩.

(٢) حتى ذكره النبي ﷺ من سمات أهل النفاق في قوله: «آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذّب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوّتمن خان». صحيح البخاري بأرقام ٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥.

(٣) وكذلك وجود الكذب في أعراب العراق المتأخمين للبصرة والكوفة ممن عرف بوضع الشعر واللغة دون غيرهم من أهل الحجاز، إنما هو تبعاً لطبيعة هذه البقعة التي اشتهرت منذ أقدم عهودها بالفتن والشر.

(٤) الأغاني ١٤/١٥٠، وعشرة شعراء مقلون، ص ٤٢.

(٥) مجمع الأمثال ١/٥٠٧.

(٦) تأويل مختلف الحديث ص ٧٢٣-٧٣٠.

الطور الأول: من عهد النبي ﷺ إلى أواسط عهد عثمان ؓ:

أما عن الوضع أو الكذب في الرواية في زمن النبي ﷺ: فقد كان عظمه قسمةً بين فريقين ليس فيهما مؤمن^(١):

الأول: بقايا أهل الكتاب ممن وُجد في الجزيرة آنذاك بما كانوا يروونه من كتبهم. وقد حذر النبي ﷺ من مروياتهم بما شابهها من وضع وكذب وتحريف وذلك في الحديث الذي رواه البخاري من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ﴿إِيمَانًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾ الآية...»^(٢). ومن ذلك أيضا عدم ائتمانه ﷺ إياهم على شيء من باب الرواية كما في حديث زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود. قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم»^(٣).

والآخر: المنافقون. فهم قوم لا يتورعون عن الكذب حتى صار علما عليهم وصفة فيهم في هذا العهد - وفي كل عهد - شهد عليهم بذلك ربهم ورسوله. فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٤).

وقد وقع ذلك منهم فعلا في عهد النبي ﷺ. وفي حديث كعب بن مالك في الثلاثة الذين خُلفوا عن غزوة تبوك، ثم توبة الله عليهم دون غيرهم ممن تخلف وكذب رسول الله من المنافقين شاهد على ذلك^(٥).

وقد قصدت بتلك القسمة توافر هذه الصفة في هذين الفريقين واشتارهما بها أكثر من غيرهما. وإلا فإن ذلك لا يعفي في مجال دراستنا تطرق الوضع إلى جهات أخرى في ذلك العصر اعتنت بالأخبار والتاريخ رواية وعلمًا، منهم النسابون، إلا أن الرأي عندي أنهم نقلوه - أعني المكذوب - ولم يتعمدوه.

(١) وقد سبق أن الكذب لم يكن من شيمة المسلمين في ذلك العصر، إلا ما كان خطأ بسبب من وهم أو نسيان. بينما أتكلم هنا عن الوضع المتعمد.

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٤٨٥.

(٣) رواه أحمد ١٨٦/٥، وأبو داود برقم ٣٦٤٠، والترمذي برقم ٢٧١٥ - وقال: حسن صحيح -، والحاكم

١/٧٥ - وقال: حديث صحيح -.

(٤) صحيح البخاري بأرقام ٣٣، ٢٦٨٢، ٢٧٤٩، ٦٠٩٥.

(٥) صحيح البخاري برقم ٤٤١٨.

فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ صِحَّةِ حَدِيثِ «كَذِبِ النَّسَابُونَ»^(١) مَرْفُوعًا، فَإِنَّهُ - أَعْنِي هَذَا الْخَبِيرَ مَوْقُوفًا^(٢) - أَوْضَحَ شَيْئًا مِنْ تَارِيخِ الْوَضْعِ فِي الرَّوَايَةِ التَّارِيخِيَّةِ وَمَعَالِمِهِ الْأُولَى فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ وَكَيْفَ كَانَ دَوْرَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْمُبَكِّرَةِ مِنْذُ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

بَلْ إِنْ مِنْ أَبْرَزِ مَعَالِمِ هَذَا الْبَابِ مَا جَاءَ عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ:

«أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ لَا يَرُونَ أَنِي أَفْضَلُهُمْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَزَعْنَا مِنْكُمْ مِنَّا^(٣). قَالَ: نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو أَمْنًا، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا. قَالَ: فَكَانَ الْأَشْعَثُ، يَقُولُ: لَا أَوْتَى بِرَجُلٍ نَفَى قَرِيْشًا مِنَ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ إِلَّا جَلَدْتَهُ الْخَدَّ»^(٤).

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَعْطِي فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمُبَكِّرِ مَلْمَحًا وَاضِحًا لِلْمَعْنَى الْآخِرِ لِاصْطِلَاحِ الْوَضْعِ فِي الرَّوَايَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْاصْطِلَاحِ، وَهُوَ الْوَضْعُ غَيْرُ الْعَمْدِ بِالْخَطَأِ أَوْ الْوَهْمِ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا جَاءَ عَنِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ، قَالَ:

«.. قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ سَبِّ أَرْضِ هِيَ أَوْ امْرَأَةٍ؟ قَالَ: لَيْسَتْ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ مِنَ الْعَرَبِ، فَتَيَّأَمَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ،

(١) رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا انْتَهَى إِلَى مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ أَمْسَكَ ثُمَّ يَقُولُ: «كَذِبِ النَّسَابُونَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾». رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ (١/٣٨)، وَخَلِيفَةُ بْنُ خِيَّاطٍ فِي طَبَقَاتِهِ ص ٢٦، وَابَلْدَاذِرِيُّ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ (١/١٢)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (١/٥٢)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُنْتَضَمِ (٢/١٩٦). وَإِسْنَادُهُ وَاهٍ فِيهِ ابْنُ الْكَلْبِيِّ، قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: مَتْرُوكٌ (الضَّعْفَاءُ وَالْمَتْرُوكُونَ ص ٢١١). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَالْأَصْحَحُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ» (الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٢/٢٠٥). قُلْتُ: يَعْنِي مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا، وَذَلِكَ عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إِبْرَاهِيمَ ٩]، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «كَذِبِ النَّسَابُونَ». انْظُرْ: تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ (١٣/٦٠٤)، وَالدَّرُ الْمُنْتَوَّرِ (٥/٩).

وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا يَقُولُ ابْنُ سَعْدٍ: «وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ فِي نَسَبِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُحْفَظْ، وَإِنَّمَا أُخِذَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَرْجَمُوهُ لَهُمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ لَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ: فَالْأَمْرُ عِنْدَنَا عَلَى الْاِنتِهَاءِ إِلَى مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ ثُمَّ الْإِمْسَاكُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» ١. هـ. الطَّبَقَاتُ ١/٤٠. وَانْظُرْ أَيْضًا طَبَقَاتُ فَحَوْلَ الشُّعْرَاءِ ١/١١.

(٢) سِوَاءَ صَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ.

(٣) قَالَ السَّنْدِيُّ: قَوْلُهُ: «إِنَّا نَزَعْنَا مِنْكُمْ مِنَّا» قِيلَ: قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ لَهُ جَدَّةٌ مِنْ كِنْدَةَ هِيَ أُمُّ كِلَابِ بْنِ مَرَّةٍ، فَذَلِكَ مَا أَرَادَ الْأَشْعَثُ.

(٤) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ١/٧، وَأَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٥/٢١١، وَابَلْدَاذِرِيُّ فِي التَّارِيخِ الْكَبِيرِ ٧/٢٧٤، وَفِي الْأَوْسَطِ ١/٢٦٨. وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، جَيِّدُ الْإِسْنَادِ.

وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة،
وأما الذين تيامنوا: فالأزد، وكندة، وحمير، والأشعريون، وأنهار، ومذحج. فقال
رجل: يا رسول الله، وما أنهار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة»^(١).

ففي سؤال الرجل عن سبأ واقتراحه الجواب بين خيارين ليس فيهما واحد صحيح، يدل على
اضطراب الرواة من النسايين والأخباريين في ذلك وتخبطهم بين إجاباتٍ وُضعت لهم خطأ
بسببٍ من الظن والتخمين حتى عهد النبي ﷺ.

وفي رأبي أن الاهتمام الكبير من قبل النبي ﷺ بأخبار بني إسرائيل بتلك الصورة التي
وصفها عبدالله بن عمرو بن العاص حين قال: «كان نبي الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل حتى
يصبح، لا يقوم فيها إلا إلى عظم صلاة»^(٢) إنما ابتغى من وراء ذلك - بعد تقديم العظة والعبارة -
تقديم الروايات الصحيحة عن أخبار هؤلاء وتاريخهم في عصر انتشر فيه تحريفهم لكتبهم حتى
حذر النبي ﷺ أصحابه من هذه المرويات بقوله: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»^(٣).

فإذا مددنا الحديث إلى آخر هذا العهد من الطور الأول نجد أن أكثر من اضطلع بمهمة
الوضع في هذا الوقت فأرسي قواعده الأولى ووضع مقدماته وأصوله، هم طائفة من أهل
الكتاب ممن ادعى الإسلام. فهم كانوا أهل العلم بالكتاب الأول في هذا الوقت بما حوى من
أخبار الملاحم وأخبار الأمم السالفة دون غيرهم من منافقي العرب ومشركيهم، كما كان لهم
السبق والخبرة في باب الوضع والتحريف والتمويه، ناهيك عن عداوتهم للإسلام والمسلمين
الذين ساموهم سوء العذاب - قتلا وإجلاء - في عهد نبيهم ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده،
فكانت نوازع الوضع ودوافعه لديهم تؤهلهم بجدارة لتأسيس مدرسة الوضع في هذا الوقت
المبكر ليلبسوا على المسلمين دينهم.

وكان بدء تأسيس هذه المدرسة تحديداً في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذلك أنهم بموت النبي
ﷺ ظنوا أن المسلمين وهنوا ووهن إسلامهم، فكان لهم دورهم الخبيث في ردة العرب، بتأليب

(١) رواه أحمد ٣٩/٥٢٨-٥٣١ (طبعة الرسالة)، والبخاري (معلقاً) في التاريخ الكبير ٧/١٢٦، وأبو داود
برقم ٣٩٨٤، والترمذي برقم ٣٢٢٢. وله شاهد بنحوه من رواية ابن عباس رواه أحمد في مسنده ١/٣١٦،
والحاكم ٢/٤٢٣، من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، عن عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن
هيرة السبائي، عن عبد الرحمن بن وعلة، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/٤٣٧، وأبو داود برقم ٣٦٥٥، وابن حبان في صحيحه برقم ٦٢٥٤.

(٣) وكذلك الأمر في كتاب الله عز وجل بكثرة ما أخبر الله تعالى في شأن موسى وبني إسرائيل. وفي ذلك يقول

الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُضُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

المنافقين والمشركين كما كان دورهم في عهد النبي ﷺ من قبل، فكانوا كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ الْيَقِينُ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وتصف عائشة رضي الله عنها هذا الخطب بقولها: «توفي رسول الله ﷺ، فوالله لو نزل بالجلال الراسيات ما نزل بأبي، لهاضها. اشرب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب..»^(١).

ثم توفي أبو بكر، وخلفه عمر بقوة شكيمته وحزمه، فخارت قواهم، فلم يجدوا بُدًّا من البحث عن سبيل أخرى ليكيدوا بها الإسلام وأهله^(٢)، فلما استعصى عليهم القرآن أن يفعلوا به ما فعلوا بكتبهم، لم يكن أمامهم سوى سبيل واحدة، كانت هي أولى أسس هذه المدرسة، وهو إغراق المجتمع المسلم آنذاك بوابل من الإسرائيليات. شجعهم على ذلك تطلع المسلمين إليهم، في ظل عدم وجود النهي، ما دام بشرطه في عدم التصديق والتكذيب.

ولما علموا أن المسلمين لن يقبلوا من مروياتهم شيئاً^(٣)، اتخذ بعضهم من دعوى إسلامه سبيلاً إلى الوضع وإفساد الرواية في هذا الزمان.

ومن ثم فلم يعد الوضع حادثاً فردياً، أو خطأ عفويًا كما كان قبل في عهد النبي ﷺ نكاد نرصد له الحادثة والحادثتين، ونجمع له المثل والمثلين، بل صرنا الآن أمام مدرسة قيد التأسيس لها منهاج موضوع، وغاية ترتجى، وشيوخ مؤسسون منهم من عُرف، وأكثرهم المجهولون. ولكن عاقت جهود هذه المدرسة الناشئة ما كان يغلب على أهل ذلك العصر من متانة الدين، وصدق اللهجة، وقوة الحافظة، فكان ذلك سبباً في تأخر نشاط مؤسسيها، ولكن لم يصددهم ذلك عن وضع الأساس إذ تأخر البناء.

وكان عصر عمر - كما أشرت آنفاً - هو البداية لوضع الأساس، ونلاحظ ذلك في تلك الطائفة التي أعلنت إسلامها في هذا الوقت من أهل الكتاب على الرغم من معاصرتهم لرسول الله ﷺ، وأبي بكر ﷺ، فنسأل متعجبين: لماذا تأخر إسلامهم كل هذا الوقت^(٤) على الرغم من شهادتهم بعد ذلك بمعرفتهم لرسول الله بصفته الموجودة في كتبهم^(٥)؟!؟

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم ٣٨٢١٠، وأحمد في فضائل الصحابة برقم ٦٨. وقالت عائشة رضي الله عنها في شأن هذا اليوم وقاله عمر مخوفاً للناس بإنكاره وفاته ﷺ: لقد خوَّفَ عمرُ الناسَ وإن فيهم لِنِفاقًا. (صحيح البخاري برقم ٣٦٦٩).

(٢) وصدق الله إذ يقول: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٩].

(٣) إذ إن من شروط قبول الرواية عندهم عدالة الراوي، وأول شروط عدالته إسلامه.

(٤) عدا عبد الله بن سلام ﷺ الذي سارع بإسلامه مخلصاً فور تأكده من صفة رسول الله التي قرأها في الكتب.

(٥) وشهادة ربهم عليهم من قبل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ كُفِّرُوا بَعْدُ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ولعل في قول معاوية وهو يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأخبار^(١) فقال: «إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب»^(٢). لعل في قوله هذا ما يوضح هذا الأمر، أمر هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب! من هم أولئك المحدثون الذين يحدثون عن أهل الكتاب؟! لا ريب أن إدخال معاوية كعباً في زمرة هؤلاء المحدثين ثم مقابله إياهم به يوضح من هم. إنهم قوم أسلموا بعد كفرهم والله أعلم بإيمانهم.

كما أن خبر معاوية هذا يجلي لنا شيئاً من طبيعة المادة التي كان يحدث بها أولئك المحدثون في ذلك الوقت، كما أنه يكشف لنا شيئاً من أبعاد فلسفة الوضع - إن جاز لنا هذا التعبير - بشقيه في ذلك الوقت.

ويكشف الخبر الآتي صورة أكثر وضوحاً لمصادر هؤلاء، فقد روى أحمد^(٣) بإسناد صحيح إلى القاسم بن محمد، قال:

اجتمع أبو هريرة وكعب، فجعل أبو هريرة، يحدث كعباً عن النبي ﷺ، وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب - قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وكذلك ما رواه مالك^(٤) من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة أنه قال:

خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأخبار، فجلست معه، فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله ﷺ، فكان فيما حدثته أن قلت: قال رسول الله ﷺ: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. قال

(١) هو: كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري، أدرك النبي ﷺ وهو على دين يهود، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان من أهل اليمن، ثم قدم الشام فمات بها في خلافة عثمان سنة ٣٢هـ وكان من أعلم أهل الكتاب في عصره. انظر: الطبقات لابن سعد ٤٤٩/٩، وتاريخ دمشق ١٥١/٥٠.

(٢) رواه في الصحيح معلقاً برقم ٧٣٦١، ووصله في التاريخ الأوسط برقم ٢٠٩. ورواه أيضاً أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١/٥٤٥.

(٣) المسند ٢/٢٧٥.

(٤) الموطأ برقم ٢٩١، ومن طريقه: أحمد في المسند ٤٨٦/٢، وأبو داود برقم ١٠٣٩، والترمذي برقم ٤٩١ (وقال حديث صحيح)، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٧٧٢.

كعب: ذلك في كل سنة يوم. فقلت: بل في كل جمعة. فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله ﷺ. قال أبو هريرة: فلقيت بَصْرَةَ بن أبي بصرة الغفاري فقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد، إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيلياء، أو بيت المقدس - يشك - قال أبو هريرة: ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار، وما حدثته به في يوم الجمعة، فقلت: قال كعب: ذلك في كل سنة يوم. قال: قال عبد الله بن سلام: كذب كعب. فقلت: ثم قرأ كعب التوراة فقال: بل هي في كل جمعة. فقال عبد الله بن سلام: صدق كعب.

وإذا علمنا أن إسلام كعب كان في عهد عمر - قيل في سنة ١٧هـ - وأن موته كان في سنة ٣٢هـ، قبل مقتل عثمان ؓ أمكننا تحديد العهد الذي سمع فيه معاوية وأبو هريرة وغيرهما من المسلمين^(١) من كعب وغيره من أولئك المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، كُتَيْب بن عامر الحميري^(٢)، ونَوْف بن فضالة البكالي^(٣)، وأبي مالك القرظي^(٤)، وأبي مسلم الجليلي^(٥)،

(١) كعب الله بن الزبير فيما رواه نعيم بن حماد (الفتن برقم ٣٣٦)، وابن سعد (الطبقات ٦/ ٤٨٥)، وابن أبي شيبه (المصنف برقم ٣١٣٢١)، والطحاوي (شرح مشكل الآثار ٧/ ٤٠٦) من طريق هلال بن يساف قال: حدثني البريد الذي جاء برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير قال: «لما وضعته بين يديه قال: ما حدثني كعب بشيء أصبته في سلطاني، إلا قد رأيت غير هذا، فإنه حدثني أنه يقتلني رجل من ثقيف فأراني الذي قتلته». قلت: في إسناده جهالة البريد هذا.

(٢) هو: تبع بن عامر أبو حمير - ويقال أبو عبيدة - الحميري. يقال إنه أدرك النبي ﷺ وأسلم في زمان أبي بكر الصديق. ونقل ابن عساكر بإسناده عن أحمد بن محمد بن عيسى البغدادي قال: في الطبقة العليا من أهل حمص التي تلي أصحاب رسول الله ﷺ: أبو عبيدة تبع بن عامر كان رجلاً مرحلاً دليلاً للنبي ﷺ. قال: فعرض عليه الإسلام فلم يسلم حتى توفي النبي ﷺ وأسلم مع أبي بكر. وقد كان يقص عند أصحاب رسول الله ﷺ ١هـ. قرأ القرآن على مجاهد بأرواد (جزيرة في البحر قريية من القسطنطينية)، وكانا غازيين بها. روى عنه مجاهد، وشفي بن ماتع الأصبحي. وقال ابن سعد: كان عالماً وقد قرأ الكتب وسمع من كعب علماً كثيراً. توفي بالإسكندرية سنة ١٠١هـ. انظر: الطبقات لابن سعد ٩/ ٤٥٥، وتاريخ دمشق ١١/ ٢٦.

(٣) هو: نَوْف بن فضالة أبو يزيد الحميري البكالي، ابن امرأة كعب الأحبار، شامي من أهل اليمن، نزل الكوفة، روى عن كعب الأحبار، علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) ذكره ابن سعد في ترجمة ولده ثعلبة، وقال: واسم أبي مالك عبد الله بن سام، وقدم أبو مالك من اليمن، فقال: نحن من كندة على دين يهود، فتزوج إلى ابن سعية من بني قريظة، وحالفهم فقيل: القرظي. ١هـ. (الطبقات ٧/ ٨١). وذكره ابن حجر في القسم الثالث من كتابه الإصابة (٧/ ٣٥٧) فيمن ذُكر في الكتب من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد في خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا، وهؤلاء ليسوا صحابة باتفاق من أهل العلم (انظر الإصابة ١/ ٤-٥).

(٥) هو: أبو مسلم الجليلي - ويقال الجلولي - من جبل الجليل كان من أهل الكتاب، وكان معلم كعب الأحبار وأدرك النبي ﷺ ولم يسلم، كان يكنى أبا السمّول، فكانه أبو بكر أبا مسلم - وذلك عند من يقول بأنه =

وابن يامين^(١).. وأكثر ما روي عن هؤلاء مورود في كتب الأخبار والتفسير^(٢)، إذ ليس هؤلاء رواية عن رسول الله ﷺ. وكان أكثر من هوي مروياتهم واهتم بها الضعفاء والمجهولون^(٣).

أيا كان الأمر فإني أعد كعباً وأصحابه^(٤) – بكثرة ما رووه من أخبار – من رواد مدرسة الوضع في الرواية التاريخية سواء عليهم تعمدوا ذلك أم لم يتعمدوه. فقد أكثر كعب من رواية الإسرائيليات من الأخبار حتى أثار ذلك حفيظة عمر فنهاه مزجراً إياه بقوله: «لتتركن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة»^(٥).

وكذلك ما كان من نوف البكالي عندما أثار حفيظة ابن عباس فيما رواه البخاري^(٦) من طريق سعيد بن جبير قال:

«قلت لابن عباس: إن نوما البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بنى إسرائيل، إنما هو موسى آخر. فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: قام موسى النبي خطيباً في بنى إسرائيل، فسئل أى الناس أعلم..».

=أسلم في خلافته - وقيل أسلم في عهد عمر، وقيل في عهد معاوية. انظر: الجرح والتعديل ٤٣٦/٩، وتاريخ دمشق ٦٧/٢١٤.

(١) هو ابن يامين النضري، واضح من اسمه أصوله الكتابية، وأنها من يهود بني النضير، وله قصة مع معاوية ومحمد بن مسلمة سوف يأتي الحديث عنها وتفصيل شأنه فيها، إذ ليس له ترجمة في كتب الرجال أو التواريخ. ولست أراه عبد الله بن يامين المذكور في الكتب كما قال البعض.

(٢) سواء كان منسوباً إليهم أو غير منسوب.

(٣) أمثال: الأحنس بن خليفة الضبي، ويدوم بن صبيح الحميري، وخثيم بن سبتى الزبادي، وسعية الشعباني، وزرعة بن معشر اليحصبي.. وما أظهره التتبع أن ذلك كان دأب المسلمين مع كل من أسلم من أهل الكتاب بعد النبي ﷺ، لا يروون عنهم شيئاً يُعتمد عليه فيه، مكتفين في ذلك برواية من أسلم في عهد النبي ﷺ، أو ولد على الإسلام. وهذا يدل على مدى دقة وأمانة الصدر الأول في نقل العلم وروايته.

(٤) ليس يعني شرط الصحبة هنا لقاء فقط، ولكن أردت من قصدهم معاوية في قوله: «المحدثون الذين يحدثون عن أهل الكتاب».

(٥) إسناده صحيح. رواه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه ١/٥٤٤، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧٢/٥٠، ٦٧/٣٤٣. ومعلوم أن كعباً لم يسمع من النبي ﷺ، كما أنه تأخر إسلامه إلى عهد عمر، ولا تُؤثر عنه رواية عن أحد من الصحابة عن النبي ﷺ، مما يعني الاستنباط البديهي لمعنى الأحاديث هنا. وهذا أمر سيؤكد ما يأتي من الروايات في هذا الباب، كما يؤكد الشق الأول من هذا الخبر وهو قول عمر لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس». فتقيد حديث أبي هريرة بحديث رسول الله ﷺ، وإطلاق كلمة الأحاديث مع كعب، يوضح المعنى المقابل.

(٦) الصحيح برقم ١٢٢.

وإني وإن كنتُ أربأ بكعب^(١) أن يكون من المتعمدين^(٢). إلا أنه بغزارة مروياته الإسرائيلية في هذا الوقت المبكر ساهم بقدر كبير هو وأصحابه معه في رفد هذه المدرسة بمادة خصبة استغلها من بعده استغلالاً سيئاً، عامدين أو غير متعمدين. ومما يدل على ذلك ما رواه مسلم^(٣) من طريق بكير بن الأشج، قال:

«قال لنا بسر بن سعيد: اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم. فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله»^(٤).

ومن هذه الأخبار يمكن تحديد شيء من معالم الوضع في هذا الطور. فإن كثرة الرواية عن أهل الكتاب في هذا الوقت - بما حوته كتبهم المحرفة من الموضوعات - كانت تعد إرهاباً مبكراً لنشأة الوضع تحدت فيه مادة هذا الوضع بشكل كبير في ذلك الوقت. كما تبين فيه صورة الوضع التي تمثلت في نقل الموضوع وروايته دون اختراعه بعد. زاد في حركة النقل هذه تصدُر هذه الطائفة مجالس القصص^(٥) التي نشأت في ذلك العهد وكانت من أهم الأسباب التي ساهمت بشكل كبير في تنشيط نقل الموضوع من المرويات. فقد كان كعب قاصاً^(٦)، وكذلك طائفة من أصحابه، كنوف البكالي، وتبيع بن عامر الحميري صاحب الملاحم^(٧)..

الطور الثاني: منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية وأوائل العصر العباسي:

ويبدأ - كما قلت قبل - من أواخر عهد عثمان حتى سقوط دولة بني أمية. وفيه كان انتعاش نشاط مدرسة الوضع الناشئة، ساعدهم على ذلك ظهور الفتن، وشيء من الوهن في الدين، مع

(١) وكذلك نوف البكالي.

(٢) ساعد على ذلك ما قلته من قبل: وجوده في عصر غلبت عليه متانة الدين وانعدام الفتن، ناهيك عن هيبة عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر كتاب التمييز له برقم ١٠.

(٤) ولعله تبرز هنا حكمة نهي النبي ﷺ من كتابة الحديث مع القرآن في عهده إلا لمن كان أهلاً لذلك.

(٥) يعتبر القصص والقصاص من أهم أسباب الوضع كما سيأتي في الحديث عن ذلك في أسباب الوضع. وكان الصحابة يهابون القص وينفرون منه.

(٦) روى أحمد في المسند ٢٩/٦، وعمر بن شبة في أخبار المدينة ٨/١، والبزار في مسنده برقم ٢٧٦٢، أن عوف بن مالك دخل مسجد حمص وإذا الناس على رجل، فقال: «ما هذه الجماعة؟ قالوا: كعب يقص. قال: يا ويحه، ألا سمع قول رسول الله ﷺ: لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال». وظاهر أن نشاطه في القصص كان بعد وفاة عمر رضي عنه.

(٧) تاريخ دمشق ٣٠/١١.

زيادة عدد الداخلين في الإسلام على اختلاف أهوائهم وثقافتهم. فشهد ذلك العهد تحولا خطيرا في حركة الوضع، فقد زادت الجرأة على الكذب، بإفساد المروي، إما بالتحريف أو بالزيادة أو بالنقصان أو بالتأويل المغرض.. ناهيك عن ضعف سلائق المسلمين الجدد، فليسوا هم كالعرب في قوة الحافظة، الأمر الذي يعني المزيد من الخطأ في الرواية.

وكما بدأ نشاط تلك المدرسة بمرويات مسلمي أهل الكتاب، فإنه استمر في ذلك العهد بأيدي مَنْ ادعى الإسلام من أهل الكتاب أيضا، إلا أنه كان في هذا العهد أخطر من سابقه إذ لم يعد يقتصر على الإسرائيليات فقط، بل بدأ يمس الرواية الإسلامية نفسها - كما سيأتي - كما أنه بدأ رصد مشاركة طائفة من العرب ممن ادعى الإسلام في نشاط هذه المدرسة.

وكان أخطر مَنْ تولى إمامة هذه المدرسة في هذا العصر عبد الله بن سبأ، مؤسس الفكر الرافضي في الإسلام. فهو وإن لم يصح له خبر في دوره في الفتنة سياسيا - كما سيأتي - إلا أنه لا يمكن إهمال دوره في انحراف الفكر عند أغمار المسلمين وجهالهم، وعند من ادعى الإسلام من أهل الكتاب، ومن أصحاب الأغراض والأهواء.. شأنه في ذلك شأن غيره من طوائف المنافقين والحاقدين على الإسلام من أصحاب الفرق الضالة، التي لم يخل منها عصر، تكيد للإسلام وأهله ببث تلك الأفكار الضالة كيدا منهم لهذا الدين وأهله من أجل إضعافه وتوهين أهله.

فلقد تواتر ذكر ابن سبأ في كتب العقائد والفرق على أنه رأس الكذب، وإمام الرافضة في هذا العصر. فهو أول من أسس فكرة الرفض في الإسلام. أخرج ابن أبي خيثمة من طريق زيد بن وهب، قال: قال علي: «مالي ولهذا الحميت^(١) الأسود. يعني عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر»^(٢). وأخرج ابن أبي خيثمة أيضا من طريق عمار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجية أتى به مُلَبَّهٌ - يعني: ابن السوداء - وعليٌّ على المنبر، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله ﷺ^(٣).

أما عن الشواهد التي تبرز صورة هذا الوجه الآخر من خطر مشاركة العرب في نشاط مدرسة الوضع في ذلك العصر ما رواه البخاري في تاريخه^(٤) من طريق سلمة بن كثير، عن ابن الربعة الخزاعي - وكان جاهليا -:

(١) الحميت: وعاء السمن كالعكّة. يشبّهه في ذلك بالزُّق الصغير. انظر تاج العروس ٤/٤٩٧.

(٢) تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٥٨.

(٣) المصدر نفسه برقم ٤٣٦٠.

(٤) التاريخ الكبير ٨/٤٣٥، والأوسط ٢/٨٣٩.

كان للمختار مسلحة بالعذيب يحبسون الناس حتى يأتوه بأخبارهم، وكُتب إليه بقدمي، فلما قدمت الكوفة إذا هم يقولون: هذا الراكب الدُّعْلَبَةُ^(١). فأدخلت عليه فقال إنك شيخ أدركت النبي ﷺ، ولا تكذب بما حدثت عنه، ففَوَّنا بحديث النبي ﷺ وهذه سبعمائة دينار. قلت: الكذب على النبي ﷺ النار، وما أنا بفاعل.

وروى مسلم^(٢) من طريق قيس بن سعد عن مجاهد قال:

«جاء بشير العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ.. قال رسول الله ﷺ.. فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه. فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أهدئك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع. فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف».

وروى الجوزجاني^(٣) من طريق عمرو بن مرة عن ابن أبي ليلى قال:

«صحبت علياً في السفر والحضر، فكل ما يحدثون عنه باطل».

أما عن الوضع في الرواية التاريخية في هذا العهد فلا غرو أن يستفحل نشاط رواة الإسرائيليات، ولكن رافقه أيضا استمرار نشاط رواة أخبار العرب القديمة على ما فيها من الغرائب والعجائب والكذب أحيانا ساعد عليه حاجة رواة الشعر إلى هذه الأخبار. ويشهد لذلك قول القطامي التَّغْلَبِي (ت ١٠١هـ)^(٤):

أَحَادِيثُ عَن عَادٍ وَجُرْهُمَ جَمَّةٌ يُثَوِّرُهَا الْعِضَّانُ زَيْدٌ^(٥) وَدَغْفَلٌ^(٦)

ولكن الخطير في ذلك العهد بدء تخطي الأمر حدود الإسرائيليات وأخبار العرب إلى محاولة النيل من الرواية الإسلامية نفسها بعد أن امتد عمرها الآن إلى ما يزيد على ثلاثة عقود، نشأ خلالها جيل جديد لم يشهد كثيرا من حوادثها - ولا ريب أن متانة دين بعض هؤلاء لم تكن كتلك التي كانت عند من شهد رسول الله ﷺ ونزل عليهم الوحي - فطلبوا هذه الأخبار ومروياتها،

(١) الدُّعْلَبَةُ - بالكسر -: الناقة السريعة السير.

(٢) الصحيح المقدمة ص ٧.

(٣) أحوال الرجال ص ٢٨.

(٤) ديوانه ص ٢٤٨.

(٥) هو زيد بن الكيس النمري، ستأتي ترجمته.

(٦) هو دغفل النسابة، ستأتي ترجمته.

ونفض لذلك قوم منهم من كان صادقا متقنا، ومنهم من كان دون ذلك - وهم من يعيننا أمرهم هنا - وكان منهم الموالي، ومسلمة أهل الكتاب فمن دونهم. ويحتاج هذا الكلام إلى التمثيل والتوضيح والبيان.

هذا أبو سعد شرحبيل بن سعد المدني مولى الأنصار، كان من رواد رواة المغازي في الإسلام، وكان قديما - وتوفي سنة ١٢٣ هـ - روى عن جابر بن عبد الله، وابن عباس، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة.. وغيرهم من الصحابة. سئل عنه سفيان بن عيينة فقال: «لم يكن بالمدينة أحد أعلم بالمغازي والبدرين منه، فاحتاج، فكأنهم اتهموه، وكانوا يخافون إذا جاء إلى الرجل يطلب منه شيئا فلم يعطه أن يقول: لم يشهد أبوك بدرا»^(١). وقال ابن أبي ذئب: «حدثنا شرحبيل بن سعد وكان متهما»^(٢). وأخرج ابن عساكر من طريق إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: «كان بالمدينة شيخ يقال له شرحبيل أبو سعد، وكان من أعلم الناس بالمغازي، فاتهموه أن يكون يجعل لمن لا سابقة له سابقة، وكان قد احتاج، فأسقطوا مغازيه وعلمه. قال: فذكرت هذا الحديث لمحمد بن طلحة بن الطويل، ولم يكن بالمدينة أحد أعلم بالمغازي منه، فقال لي: كان شرحبيل أبو سعد عالما بالمغازي، فاتهموه أن يكون يدخل فيهم من لم يشهد بدرا، ومن قتل يوم أحد، والهجرة، ومن لم يكن منهم، وكان قد احتاج، فسقط عند الناس، فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال: وإن الناس قد اجترءوا على هذا! فذب على كبر سنه، وقيد من شهد بدرا وأحدا ومن هاجر إلى أرض الحبشة والمدينة، وكتب ذلك»^(٣).

وكذلك بدأت الأهواء عملها في هذا العهد، فهذا الوليد بن عبد الملك في خلافته (٨٦-٩٦ هـ) يسأل الزهري (ت ١٢٤ هـ): «أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة؟ قال الزهري: قلت لا، ولكن قد أخبرني رجلا من قومه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، أن عائشة رضی الله عنها قالت لهما: كان عليُّ مُسَلِّمًا في شأنها. فراجعوه فلم يرجع»^(٤).

يقول ابن حجر: «وكان بعض من لا خير فيه من الناصبة تقرب إلى بني أمية بهذه الكذبة، فحرفوا قول عائشة إلى غير وجهه لعلمهم بانحرافهم عن علي، فظنوا صحتها، حتى بين الزهري للوليد أن الحق خلاف ذلك، فجزاه الله تعالى خيرا. وقد جاء عن الزهري أن هشام بن عبد الملك كان يعتقد ذلك أيضا، فأخرج يعقوب بن شيبه في مسنده عن الحسن بن علي الحلواني، عن

(١) الجرح والتعديل ٣٣٩/٤، والكامل لابن عدي ٤١/٤.

(٢) تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٢٥٩٤، والجرح والتعديل ٣٣٨/٤.

(٣) تاريخ دمشق ٤٦٥/٦٠.

(٤) صحيح البخاري برقم ٤١٤٢.

الشافعي قال: حدثنا عمي قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان، الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي. قال: كذبت، هو علي. قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول. فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب، من الذي تولى كبره؟ قال ابن أبي. قال: كذبت، هو علي. فقال: أنا أكذب لا أبا لك! والله لو نادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت. حدثني عروة وسعيد وعبيد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي^(١).

ومن قبل الوليد، ما كان في مجلس عائشة (ت ٥٨هـ) رضي الله عنها، فقد روى البخاري^(٢)، وغيره من طريق إبراهيم عن الأسود قال:

«ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله! لقد رأيت النبي ﷺ وإنى لمسنته إلى صدرى، فدعا بالطست فانخث فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟!».

فهذا يدل على أن أخبارا باطلة وضعت على علي في الوصية والإمامة، ردتها عائشة في حينها. وفي هذا الباب أيضا ما أخرجه الطحاوي^(٣)، والبيهقي^(٤)، وابن عساكر^(٥)، والقزويني^(٦) بإسناد صحيح من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن سعيد أخي سفيان الثوري، عن أبيه، عن عباية قال:

«ذكر قتل كعب بن الأشرف عند معاوية، فقال ابن يامين: كان قتله غدرا فقال محمد بن مسلمة^(٧): يا معاوية، أيغدر عندك رسول الله عليه السلام ولا تنكر، والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبدا، ولا يخلو لي دم هذا إلا قتلته».

(١) فتح الباري ٢٥١/٩.

(٢) صحيحه برقمي ٢٧٤١، ٤٤٥٩.

(٣) شرح مشكل الآثار ١/١٩٠-١٩١.

(٤) دلائل النبوة ٣/١٩٣.

(٥) تاريخ دمشق ٥٥/٢٧٥.

(٦) التدوين في أخبار قزوين ٣/٤٨.

(٧) هو: محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير. شهد بدرًا، وأحدًا وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يومئذ حين ولي الناس، وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا تبوك، فإن رسول الله استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك، وكان محمد فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي بتكليف من النبي ﷺ. توفي سنة ٤٦هـ. انظر الطبقات لابن سعد ٣/٤٠٩، والإصابة ٣٣/٦.

فهذا الخبر يبرز لنا معاني عدة:

أولها: دخول التاريخ الإسلامي حقل الرواية حتى يتناوله مجلس معاوية في عهده.

ثانيها: حضور ابن يامين مجلس فيه معاوية ومحمد بن مسلمة يعني مدى المنزلة التي نالها بعض مسلمة أهل الكتاب وأبناؤهم في ذلك العهد، إذ لا أرى أن ابن يامين يحضر مجلسا فيه معاوية ومحمد بن سلمة إلا وقد ادعى إسلامه.

ثالثها: فضحت هذه الرواية ما ينطوي عليه قلب ابن يامين تجاه هذه الأمة ونبينا، ظهر ذلك في محاولة إفساد رواية مقتل كعب بن الأشرف بوضع تأويل لها يفسدها. ولا ريب أنه قبل أن يفضح هذا المجلس - وفيه من فيه - ما في قلبه، كان له نشاطه بين عامة الناس في مجال العبث بالرواية في تلك الفترة، حتى أذاه ذلك إلى التجرؤ على هذا في مجلس كبير كذلك، إذ إن ابن يامين كان في هذا المجلس رجلا بالغاً عاقلاً له قدره بين المسلمين حتى يجلس هذا المجلس، فترى كيف كان قبل أن يجلس هذا المجلس العالي في سنواته السالفة وفي قلبه ما فيه؟! لا ريب أنه كان له نشاطه الذي أثمر بعض الثمر في ذلك العهد الذي ملأته الفتن.

رابعها: ما قاله محمد بن مسلمة في إهدار دم ابن يامين يكشف مدى الجرم الذي بلغه هذا الرجل حتى يقسم ابن مسلمة هذا القسم في إهدار دمه موقناً أن ليس عليه فيه دية ولا قصاص.

خامسها: هذا رجل واحد - على الرغم من عدم شهرته في التاريخ شهرة غيره من مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحمق مثلاً - نال من الحظوة ما نال بوجوده في مجلس معاوية، فما بالناس غيره ممن لم يبلغنا العلم بهم في هذا الزمان ممن أخبر عنهم معاوية في نص سبق. هذا إذا لم يكن لابن يامين هذا من يتردد عليه أو يسمع منه. كما أنه إذا كان ذلك في دار الخلافة، فما بالناس بمن نأت داره عنها. لا ريب أنه سيكون أجراً.

وبالفعل فقد كانت العراق أكثر الديار الإسلامية خصوبة لنشاط الوضع في ذلك العهد، حتى اشتهرت بذلك وعرفت به، حتى قال فيهم أعشى همدان^(١):

أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نَوْرَهُ وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَخْمُدَا
وَيُنْزِلَ دُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ لِمَا تَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدَا
فَلَا صِدْقَ فِي قَوْلٍ وَلَا صَبْرَ عِنْدَهُمْ وَلَكِنَّ فَخْرًا فِيهِمْ وَتَزْيِيدَا

(١) تاريخ الطبري ٦/٣٧٦، والأغاني ٦/٦٠.

ومن الشواهد على ذلك ما قاله الزهري: «نُخرج الحديث شبراً فيرجع ذراعاً - يعني من العراق - وأشار بيده: إذا وغل الحديث هناك فرويدا به»^(١).

وعن سفیان بن عیینة قال: «من أراد المناسك فعليه بأهل مكة، ومن أراد مواقيت الصلاة، فعليه بأهل المدينة، ومن أراد السَّير، فعليه بأهل الشام، ومن أراد شيئاً لا يعرف حقه من باطله، فعليه بأهل العراق»^(٢).

وعن جعفر بن محمد قال: «كنت مع أبي، محمد بن علي، بمكة في ليالي العشر قبل التروية بيوم أو يومين، وأبي قائم في الحجر وأنا جالس وراءه، فجاءه رجل أبيض الرأس واللحية، جليل، بعيد ما بين المنكبين، عريض الصدر، عليه ثوبان غليظان في هيئة المحرم، فجلس إلى جنبه، فظن أبي أنه يريد، فخفف الصلاة ثم سلم، فأقبل عليه، فقال له الرجل: يا أبا جعفر، أخبرني عن بدء هذا البيت كيف كان؟ فقال أبو جعفر محمد بن علي: ممن أنت؟ قال: رجل من أهل الشام. فقال محمد بن علي: إن أحاديثنا إذا سقطت إلى الشام جاءتنا صحاحا، وإذا سقطت إلى العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص»^(٣).

وعن إبراهيم بن نافع قال: «سمعت طاووساً يقول: إذا حدثك العراقي مائة حديث فاطرح منها تسعة وتسعين»^(٤).

وعن عبد الله بن عمر قال: «كتب إليّ عبد الملك بن مروان، وكتب إليّ عبد الله بن الزبير، ولم يمنعني أن أكتب إلى مصعب بن الزبير إلا مخافة تزيد أهل العراق»^(٥).

وعن عبد الملك بن محمد قال: سمعت الأوزاعي يقول: «كانت الخلفاء بالشام فإذا كانت بلية سألوا عنها علماء أهل الشام وأهل المدينة، وكانت أحاديث أهل العراق لا تجاوز جدر بيوتهم»^(٦).

ولعل من أبرز الشواهد على ذلك في مجال الرواية الإسلامية في هذا الطور، ما رواه أحمد^(٧) من طريق عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال:

(١) الطبقات لابن سعد ٧/٤٣٥، والمعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٧٦١.

(٢) تاريخ دمشق ١/١٢٩، ٣٣٠.

(٣) تاريخ دمشق ١/٣٣٣.

(٤) المعرفة والتاريخ ٢/٧٥٧.

(٥) المصدر نفسه ٢/٧٥٨.

(٦) المصدر نفسه ٢/٧٥٧.

(٧) المسند ١/٨٦.

«جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة، ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له:.. يرحم الله عليا إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث».

ويقول ابن تيمية^(١):

«وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم معروفون بالكذب».

وبذلك تبوأ العراق منزلتها العالية في مواصلة بناء مدرسة الوضع بمساهمة وافرة في هذا الشأن بحكم بعدها عن عاصمتي الخلافة: المدينة، ودمشق، وما امتُحنت به سياسيا، وفكريا، فاستحقت بجدارة استلامها إدارة هذه المدرسة من مؤسسيها، أهل الكتاب ومعاونيهم من المنافقين وضعاف الإيمان، لتكون بذلك أسبق الأمصار الإسلامية اشتهارا به بما تهيأ لديها من ظروف تاريخية وفكرية واجتماعية جعلتها حاضنا وملاذا آمنا للوضع والوضاعين. ذلك أن العراق عرف باضطرابه السياسي والاجتماعي وتاريخه العريق في الفتن منذ القدم، وامتد أثر ذلك عليها وعلى قاطنيها في الإسلام، خاصة بعد النكبات التي حلت على آل البيت في ذلك العهد، مما كان لذلك أثره الكبير على تأجيج مشاعر البغض والكراهية، صحبها إحساس بالكبت والقهر بما ناله أهل العراق بعد تلك النكبات من قبل الولاة والحكام، الأمر الذي ساهم كثيرا في اتساع نشاط الوضع في هذا المصر. وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد: «واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مُتخلِّقة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم»^(٢). وهذا أمر سوف يأتي تفصيل القول فيه عند الحديث عن أسباب الوضع.

وضع الكتب وتزويرها:

ومما اتسم به ذلك العهد أيضا، نشأة نمط جديد من أنماط الوضع، وهو وضع الكتب أوتزويرها، هذا النمط الذي سوف يستفحل خطره ونشاطه في الطور الثالث.

وقد بدأ هذا النمط من أنماط الوضع مع بدء الفتنة في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه بما وضعه أصحاب الفتنة على السنة الصحابة من كتب. فقد جاء عن عائشة قالت حين قتل عثمان:

«تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه فذبحتموه كما يذبح الكبش، هلا كان هذا قبل هذا، قال: فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى أناس

(١) الفتاوى ٣١٦/٢٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤٨/١١-٤٩.

تأمرينهم بالخروج ، قال: فقالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبتُ إليهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها^(١).

وروى الكندي^(٢) عن الحسن بن محمد المدني قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث، عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي:

«أن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبي ﷺ. ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر. ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر. ثم يرسلون رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب. ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي، عليه السلام، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمسجد. فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي. فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير. ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام. فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول، ثم ينزل عن المنبر. وينفر الناس بما قرئ عليهم فلما رأته ذلك شيعة عثمان، اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة ونابدوه.. وبعثوا سلمة بن مخزومة التجيبي ثم أحد بني زميلة إلى عثمان، ليخبره بأمرهم، وبصنيع ابن أبي حذيفة».

وروى مسلم^(٣) من طريق هشام بن حجير عن طاوس قال:

«أتى ابن عباس بكتاب فيه قضاء على - رضى الله عنه - فمحاها إلا قدر.. وأشار سفيان بن عيينة بذراعه».

وروى ابن عدي^(٤) من طريق بهز بن أسد يقول سمعت شعبة يقول:

«أتيت أبا هارون العبدى، فقلت: أخرج إلي ما سمعته من أبي سعيد؟ قال: فأخرج إلي كتاباً فإذا فيه: حدثنا أبو سعيد أن عثمان أدخل حفرة وإنه لكافر بالله، قال: قلت: تقر بهذا، أو تؤمن؟ قال: هو على ما ترى، قال: فدفعت الكتاب في يده وقمت».

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٧٨. وابن أبي شيبة المصنف برقم ٣٢٧١٤، وخليفة بن خياط في تاريخه ص ١٣١، وعمر بن شبة في أخبار المدينة ٤/ ١٢٢٥، جميعاً من طريق الأعمش، عن خيثمة، عن مسروق، عن عائشة به. وهذا إسناد صحيح.

(٢) الولاية ص ١٤. وسيأتي باب هذا الخبر.

(٣) صحيحه، المقدمة ٨/ ١.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٥/ ٧٨.

وروى ابن أبي حاتم^(١) من طريق عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال:

«سألت أبا عن أبي هارون العبدى؟ فقال: ليس بشيء، نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيى بن معين أنه قال: أبو هارون العبدى كان عنده صحيفة يقول: هذه صحيفة الوصي. وكان عندهم لا يصدق في حديثه».

وذكر المزي^(٢) في ترجمة الحارث بن عبد الله الأعور - وكان شيعيا ممن روى عن علي عليه السلام - كانوا يقولون إنه صاحب كتب كذاب.

اتساع نشاط القصاص وأثره في نشر الوضع:

على أية حال، فإنه لا ينبغي أن نهمل أمرا آخر ساهم في نشر الوضع في ذلك العهد مساهمة كبيرة، ألا وهو اتساع نشاط القصاص.

والقصص سبق بيان شأنه حين ذكرت أنه: باب من الأخبار، إلا أنه لم يرق لأن يصير علما، إذ كانت نشأته روائية شفوية بغرض الوعظ، ثم استهواه الضعفاء والكذابون فاتخذوه قوتا، وكان زادهم فيه غالبا الأخبار الموضوعية والمكذوبة، وكان أكثر موضوعاته شيوعا في بادئ الأمر قصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، وما يشبه ذلك من أمور المبدأ والمبعث، ومصادرهم فيها غالبا الإسرائيليات، ناهيك عن كونه حقا خصباً للوضاعين بما وضعوه وألفوه من قصص..^(٣).

والقصص بهذه الصورة أمر محدث لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا عهد أبي بكر، فقد روى ابن أبي شيبة^(٤) من طريق جرير بن حازم أبي النضر قال:

«سأل رجل محمد بن سيرين: ما تقول في مجالسة هؤلاء القصاص، قال: لا أمرك به، ولا أنهاك عنه، القصص أمر محدث، أحدث هذا الخلق من الخوارج».

ولكن ازداد خطره وقويت شوكته في أواخر عهد عثمان. ولعل انفتاح الأمة على الدنيا في هذا العهد كان من أهم الدوافع التي أبرزت هذه الطبقة، طبقة القصاص والمذكرين. ولكن لم يلبث أن تحول هذا الشأن إلى حرفة أو مهنة احترفا بعض المبطلين والكذابين ليستدروا منها قوتهم، ناهيك عن منزلة اجتماعية بين العامة والدهماء.

(١) الجرح والتعديل ٦ / ٣٦٤.

(٢) تهذيب الكمال ٥ / ٢٤٧.

(٣) راجع ما سبق في مبحث أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٤) المصنف برقم ٣٧٠٧٥.

الطور الثالث: وفيه اتساع نشاط الوضع والوضاعين في الرواية التاريخية:

ويبدأ هذا الطور – كما ذكرتُ قبل – بخلافة بني العباس، وفيه يعظم نشاط الوضع والوضاعين بصورة واسعة لا نظير لها منذ بعث النبي ﷺ. وقد ارتكز نشاط الوضع في الرواية التاريخية والأخبارية^(١) في ذلك العهد على عدة محاور أهمها: التشيع، والشعبوية، والقصاص^(٢)، وأنصار بني العباس. وكل محور من هذه المحاور يشكل سببا قويا من أسباب الوضع في الرواية التاريخية الآتي تفصيل القول فيها.

إلا أن أهم ما يميز هذا الطور هو انتشار التصنيف والتصانيف، وكانت الرواية التاريخية والأخبارية من الأبواب التي نالت حظها من ذلك، ولكن أخطر ما في هذا الأمر هو ذلك الزحف الكاسح لنشاط الوضع والوضاعين إلى حركة التصنيف هذه، وذلك إما بوضع الكتب على غير أصحابها، وإما باحتواء بعض تصانيف هذا الفن على الكثير من الموضوع والمكذوب. ويُمثَّل للأول^(٣) بما نسب من كتب إلى دَعْفَل^(٤)، وعبيد بن شريّة الجُرهمي^(٥)، وابن لسان

-
- (١) فقد اشتهر هذا العهد باتساع نشاط الوضع في أنواع أخرى من علوم الرواية، كالحديث، واللغة، والشعر.
- (٢) وأضيف إليها في ذلك العهد قصص النبي ﷺ وأخباره وسيرته ومغازيه مع قصص ذم المشركين، بعد ما كانت مادة القصص في الطورين السابقين يعتمد في غالبه على أخبار الأمم السالفة وسير أنبيائها.
- (٣) هذه الكتب الآتية هي مما نسب سزكين (تاريخ التراث العربي ١٦/٢) – وتبعه كثير من الباحثين –. أما ترجيح سزكين «أن أكثر مشهوري النسابين قد ألفوا كتباً في الأنساب» استناداً منه إلى قول للجاحظ جاء فيه: «والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى ابن الكلبي والشَّرقي بن القطامي وأبي اليقظان وأبي عبيدة النحوي بل إلى دَعْفَل ابن حنظلة وابن لسان الحُمرة بل إلى صُحارِ العبدى وإلى أبي السَّطَّاح اللَّخمي، بل إلى النَّحَّارِ العذريِّ وصُبحِ الطائيِّ، بل إلى مُتَجورِ بن غيلان الضُّبِّيِّ وإلى سَطِيحِ الذُّبِّيِّ بل ابن شريّة الجُرهميِّ وإلى زيد بن الكيسِّ النَّمريِّ، وإلى كلِّ نَسَابَةٍ رَاوِيَةٍ وكلِّ متفننٍ علامة». (الحيوان ٣/٢٠٩-٢١٠). فإن من يتأمل هذه العبارة جيدا يعلم أن الجاحظ لا يثبت فيها كتاباً لأحد ممن سرد أسماءهم بقدر ما يريد معنى الإكثار في كتب فن بعينه بغض النظر عن صحة نسبته إلى صاحبه من عدمه، بدليل قوله في مطلع عبارته: «.. من كُتِبَ النَّسَبُ التي تضاف إلى..».
- (٤) هو: دَعْفَلُ بن حنظلة بن زيد بن شيبان بن ذهل الشيباني الذهلي النسابة، اختلف في صحبته وقيل له رؤية. قال ابن سيرين: كان عالماً، لكن اغتلبه النسب. وقال ابن سعد: كان له علم ورواية للنسب. وقال النديم: وقتلت دَعْفَلُ الشَّراءُ ولا مصنف له. توفي سنة ٧٠ هـ، وقيل سنة ٦٥ هـ. انظر: الطبقات لابن سعد ١٤٠/٩، والفهرست للنديم ١/٢٧٨، وطبقات النسابين برقم ١٢.
- (٥) هو: عبيد بن شريّة الجُرهمي، أدرك النبي ﷺ ولم يره. وهو أحد المعمرين. قيل: إنه عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان. وكان نسابة أخبارياً. حُكيَتْ عنه أخبار زيد عليه فيها ونقص ثم نسبت إليه، ولا يعرف له كتاب صحيح النسبة إليه. حتى شكك بعض المستشرقين في عبيد نفسه. وهذا فيه مبالغة. قيل إنه توفي سنة ٦٧ هـ. انظر: الفهرست للنديم ١/٢٧٩، وطبقات النسابين، لبكر أبو زيد، برقم ١٩.

الحَمْرَة^(١)، وصحار العبدي^(٢)، والنَّخَّار العذري^(٣)، وأبي السَّطَّاح اللخمي^(٤)، وصُبح الطائي^(٥)، ومثجور ابن غيلان الضبي^(٦)، وسَطِيح الذئبي^(٧)، وزيد بن الكيس النَّمري^(٨).. فأولئك قد تكون لهم روايات وأحاديث في هذا الباب من الأخبار والأنساب والسير، لكن أن يتطور الأمر إلى تصنيف الكتب فهذا أمر لم يعرفه عصرهم، وإن صح ذلك - ولا يصح - فكيف لا يشتهر أمر هذه الكتب في عصرهم ولا في عصر من بعدهم ممن صنف في بابهم كهشام ابن الكلبي، والمدائني؟

ويدخل في هذا الباب أيضا ما نسب إلى علي بن أبي طالب، وعبد الله بن سلام، وكعب الأخبار، وجعفر الصادق، وزيد بن أبيه^(٩).. فهذه كتب - كسابقتها - لا يصح إسنادها إلى من نسبت إليهم.

(١) هو: عبد الله بن حصين ربيعة، وقيل اسمه ورقاء بن الأسعر، أبو كلاب. كان نسابة، معاصراً للمعاوية. توفي سنة ٦٠هـ. انظر: الفهرست للنديم ١/ ٢٧٩، والمعارف لابن قتيبة ص ٥٣٤، وطبقات النسايين، لبكر أبو زيد برقم ٢٩.

(٢) هو: صحار بن العباس، ويقال: ابن شراحيل بن منقذ بن عمرو بن مرة العبدي النسابة. المذكور في الصحابة. وقال النديم: أحد النسايبين والخطباء في أيام معاوية بن أبي سفيان. وله مع دغفل أخبار. وكان صحار عثمانياً من عبد القيس روى عن النبي ﷺ حديثين أو ثلاثة. انظر: الفهرست للنديم ١/ ٢٨١، والإصابة لابن حجر ٣/ ٤٠٨، وطبقات النسايين، لبكر أبو زيد، برقم ١٥.

(٣) هو: النخار بن أوس العذري أدرك عصر النبي ﷺ. كان علامة بالأنساب حتى قال ابن الكلبي: كان أنسب العرب. وأخذ عنه محمد بن السائب الكلبي: نسب معد بن عدنان. وهو ممن استوفدهم معاوية. توفي نحو سنة ٦٠هـ. تاريخ دمشق ٥/ ٦٢، وطبقات النسايين برقم ١٥.

(٤) لم أجد له ذكراً إلا عند الجاحظ في موضعه السابق العزو إليه من كتاب (الحيوان) في جملة مَنْ نُسبت إليه الكتب. وهذا يدل على جهالته.

(٥) هو كسابقه.

(٦) هو: مثجور بن غيلان بن خرشة الضبي، كان شريفاً عالماً بالأنساب الناس وأيامهم، توفي نحو سنة ٨٥هـ. انظر: أنساب الأشراف، للبلاذري ١١/ ٣٧٠، وتاريخ التراث العربي لسزكين ٢/ ٣٩.

(٧) هو: ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي، وتدور حوله أحاديث خرافة راجع فيها: أخبار الزمان للمسعودي ص ١١٨، والمفصل في تاريخ العرب لجواد علي ٦/ ٧٦٥.

(٨) هو: زيد بن الكيس النمرى النسابة، من بني عوف بن سعد بن تغلب بن وائل، كان نسابة. وقال أبو عبيدة: إن زيد بن الكيس ممن يقارب دغفلاً في العلم بالأنساب من العرب. انظر: الفهرست للنديم ١/ ٢٨٠، وطبقات النسايين برقم ٢٧.

(٩) نسب إليه كتاب المثالب، ونفى هذه النسبة د. حمدي شاهين في كتابه الدولة الأموية المفترى عليها ص ٣٢.

وَيُمَثَّلُ لِلآخِرِ بَكْتَبِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ (ت ١٥١هـ)، وَأَبِي مَخْنَفِ لُوطِ بْنِ يَحْيَى (١٥٧هـ)،
 وَسَيْفِ بْنِ عَمْرِ (١٨٠هـ)، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زُبَّالَةَ (ت ١٩٩هـ)، وَكِتَابِ صَفِينِ، رِوَايَةَ وَهْبِ
 بْنِ جَرِيرٍ (ت ٢٠٦هـ)^(١)، وَإِسْحَاقِ بْنِ بَشْرِ أَبِي حَذِيفَةَ (ت ٢٠٦هـ)، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ الْوَاقِدِيِّ
 (ت ٢٠٧هـ)، وَنَصْرِ بْنِ مَزَاحِمٍ (ت ٢١٢هـ)، وَكِتَابِ صَفِينِ لِمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْهَاشِمِيِّ (ت؟)^(٢)،
 وَكِتَابِ صَفِينِ لِيَحْيَى بْنِ سَلِيْمَانَ الْجَعْفِيِّ (ت ٢٣٨هـ)^(٣)، وَكِتَابِ صَفِينِ لَابْنِ دِيزِيلِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ
 الْحُسَيْنِ (ت ٢٨١هـ)^(٤)، وَكِتَابِ السَّقِيفَةِ، وَالرَّدَةِ، وَالشُّورَى، وَمَقْتَلِ عَثْمَانَ، وَصَفِينِ، وَالْحَكَمِيِّنَ،
 وَالنَّهْرَوَانَ، وَمَقْتَلِ عَلِيٍّ، كُلِّهَا لِإِبْرَاهِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ هَلَالِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ سَعْدِ الثَّقَفِيِّ
 الرَّافِضِيِّ (ت ٢٨٣هـ)^(٥). وَالْيَعْقُوبِيِّ (ت ٢٩٢هـ)، وَابْنِ أَعْتَمِ الْكُوفِيِّ (ت ٣١٤هـ)، وَالْجَوْهَرِيِّ
 أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (صَاحِبِ كِتَابِ السَّقِيفَةِ وَفَدَكَ ت ٣٢٣هـ)، وَالْمَسْعُودِيِّ (ت ٣٤٦هـ)..
 وَأَوْلَئِكَ قَوْمٌ صَحَّتْ نِسْبَةُ كِتَابِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهَا رِوَايَةُ الْمَوْضُوعِ وَالْأَبَاطِيلِ وَمَا لَا
 أَصْلَ لَهُ.

وَمِنْ صُورِ الْوَضْعِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَيْضًا، تَرْوِيرُ السَّمَاعَاتِ وَالْإِجَازَاتِ، وَلِهَذَا
 الْأَمْرُ قَضِيَّةٌ أُخْرَى اخْتَصَّتْ بِهَا كِتَابُ الْمِصْطَلَحِ، وَمَا عَرَفَ بَعْدُ بَعْلُومِ الْمَخْطُوطَاتِ، تَحْتَاجُ مِنَّا إِلَى
 مَقَامٍ أَوْسَعِ مِنْ هَذَا لِتَفْصِيلِ الْقَوْلِ فِيهَا، وَلَكِنْ أَكْتَفِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ بِمَا رَوَاهُ الْخَطِيبُ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَدِيثِيِّ قَالَ: «أَخْرَجَ إِلَيَّ حَمْزَةُ بْنُ الْكُوفِيِّ جِزْءًا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ الْآدَمِيِّ،
 فَرَأَيْتُ فِيهِ سَمَاعَهُ مَعَ أَبِيهِ، فَفَرَحْتُ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيَّ جِزْءًا غَيْرَهُ وَجَدْتُ فِيهِ سَمَاعَهُ مَلْحَقًا بَيْنَ
 الْأَسْطَرِ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا الْجِزْءُ الَّذِي كَانَ فِيهِ سَمَاعَهُ مَعَ أَبِيهِ مِنْ ابْنِ الْآدَمِيِّ قَدْ كَانَ التَّسْمِيعَ بِخَطِّ
 أَبِيهِ: سَمَعْتُ وَابْنِي فَلَانَ - يَعْنِي أَخَا لِحْمَزَةَ - وَقَدْ شَدَّدَ حَمْزَةَ الْيَاءِ مِنْ ابْنِي فَصَارَ يُقْرَأُ: وَابْنِيَّ.

(١) انظر السنة للخلال ٤٦٤/٢، وتهذيب الكمال ٢٩٢/٣. وقد روى ابن عساكر هذا الكتاب منشوراً في
 تاريخ دمشق من هذا الطريق: محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه حدثني جدي خلف بن سالم ثنا وهب بن
 جرير. وروى البلاذري هذا الكتاب من طرق خلف بن سالم، وأحمد بن إبراهيم، وأبي خيثمة زهير بن
 حرب عن وهب. وراجع السنة للخلال في هذا.

(٢) انظر بغية الطلب، لابن العديم، تحقيق سهيل زكار ٢٨١/١.

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١٤٠/٣.

(٤) انظر الإصابة ١٠٨/٢، ١٨٥/٢، ٦٤٣/٥، وتاريخ التراث لسزكين ١٥٤/٢.

(٥) انظر لسان الميزان ١٠٢/١ (ط الهند).

وألحق اسمه مع اسم أخيه بعد أن حك موضع اسمه، وأصلحه، وطرح على الجزء دُهْنًا وتُرَابًا حتى اصفرَّ لِيُظَنَّ أنه تسميع عتيق. قال: فرددتُ الجزء عليه وانصرفتُ»(١).

ونخلص من هذا المبحث أن الكذب أو الوضع في النقل والرواية قديم قدم الدهر، وأن أول رصد تاريخي له كان في عهد بني إسرائيل بتحريفهم الكتب.

أما في تاريخ الإسلام، فقد تحددت ثلاثة عهود كانت بمثابة أطوار ثلاثة مرت بها حركة الوضع في تاريخ الرواية في الإسلام. أولها: يبدأ بعصر النبي ﷺ حتى أوائل عهد عثمان رضي الله عنه. وثانيها: منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية. وثالثها: بداية العصر العباسي. وكان لكل طور سماته وخصائصه التي تم الحديث عنها.



(١) تاريخ بغداد ٩/ ٦٣-٦٤. وراجع نماذج كثيرة من هذا النوع عند المحدثين في كتاب: البيان والتعريف بسرقة الحديث النبوي الشريف، لموفق بن عبد الله بن عبد القادر ص ١٠١.

المجلد الثالث

أسباب الوضع وطرقه

مدخل:

سبق وأن اصطلحنا في تعريف الوضع في الرواية أنه: نسبة قول إلى غير صاحبه على سبيل العمد^(١) أو الخطأ^(٢). ونضيف هنا مقالة لابن خلدون في هذا الباب توضح ما نحن بصدده، إذ يقول: «إن فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمموا فيها أو ابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها»^(٣).

وعليه، فإنه ينبغي أن نفرق بين نوعين من الوضع، الأول: الوضع العمد. والثاني: الوضع غير العمد. ومن ثم، فلا ريب أن سيكون لكل نوع أسبابه المباشرة للآخر.

المطلب الأول

الوضع العمد: أسبابه وطرقه

والوضع العمد يصدر عند المحدثين عن صنفين من الرواة: الكذابين. والمتروكين من المتهمين وفاحشي الخطأ.

أما الصنف الأول: فهو الذي ينصرف إليه الذهن غالباً عند الحديث عن الوضع العمد. وهم قوم هلكى، تجرأوا على الكذب في الرواية لأغراض متباينة تبعاً لتباين القلوب والأهواء، فمنهم المتعمد لغرض خبيث. ومنهم الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وكلّ مذموم.

(١) كالكذب ونحوه.

(٢) بسبب من الوهم أو النسيان ونحوهما.

(٣) المقدمة ١/ ٢٨٢.

أما أصحاب الأغراض الخبيثة فهم قوم مُلئت قلوبهم حقداً ديناً على الإسلام وأهله^(١)، إلا أنهم لم يجروا على الإفصاح عن ذلك، فاتخذوا في سبيل بث تلك العداوة هذا الطريق الخبيث، وهو وضع ما يشين الإسلام وأهله من مرويات تنسب إلى نبي أو صحابي. ولما وقعت الفتن أفسح ذلك للشيطان مجالاً واسعاً صال فيه وجال ينزغ بين قلوب المسلمين حتى جعلهم شيعاً وأحزاباً يبغض بعضهم فعل بعض، فاتسعت بذلك دائرة العداوة والبغضاء، مما كان لذلك أثره في محاولة كل فريق للنيل من خصمه، فمنهم من كرس النيل منه في قتاله ودحره. ومنهم أولئك ضعاف القلوب الذين اتخذوا من الكذب سبيلاً لاجباً، ينتقم بذلك من عدوه. وزاد أتباع هذا الفريق الأخير مع شدة الفتن، والبعد المتدرج عن عهد النبي ﷺ وأصحابه. وكان يشتد هذا الخلق المرذول، عند انتصار الخصم، فلا يجد المهزوم - وهو يلحق جراح هزيمته - طريقاً إلا طريق الكذب والافتراء على خصمه، يحقق في ذلك شيئاً لم يقدر عليه في ميدان القتال. وفي المقابل نجد المنتصر لا يكتفي غالباً بما حققته قوته من نصر، حتى يتم نصره بهزيمة خصمه معنوياً بكم محاسن أعماله، والتشنيع عليه بمساوئه، ولا يكتفي بذلك أحياناً حتى يفترى عليه ظلماً وزوراً.

وأما أولئك الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم قوم رأوا في فجور خصومهم المهزومين وكذبهم عدواناً فجاً عليهم ينبغي مجابته، ولكن لم يتمكنوا من وضع أيديهم على أفرادهم لخفائهم بحكم الهزيمة، فلم يجدوا بداً من مجابتهم إلا بمثل صنيعهم، فوضعوا كذلك ما يدحض مفتريات خصمه، إما بوضع ما يمجد به نفسه وأصحابه وأسلافه، أو بوضع ما يزيد الخصم شيئاً له ولأصحابه وأسلافه. مع أن الإسلام لا يعرف مبدأ الغاية تبرر الوسيلة أبداً.

وأما الصنف الآخر: فكما هو واضح من مطلع المطلب أنه أيضاً على نوعين، الأول: المتهمون. والآخر: فاحشو الخطأ.

أما النوع الأول: فهم قوم يحيط الشك بصدقهم في القول والرواية بمناكيرٍ اشتهرت عنهم وكثرت، حتى قدحت في عدالتهم فترّكوا.

وأما النوع الآخر: فهم قوم لا يضبطون مروياتهم ولا يتعهدونها، حتى كثر الخطأ في مروياتهم وفحش - رغم صدق لهجتهم - حتى أخرجهم ذلك من دائرة الاحتجاج. وهؤلاء

(١) وقد تعددت أسباب الحقد عند هؤلاء، إذ إنهم ما بين أعاجم فتحت بلادهم، وضاعت بسبب المسلمين أمجادهم، كالفرس ونحوهم فبثوا أفكار الزندقة والضلالة لتشويه سيرة قوم ورفع آخريين بأخبار وضعوها، وقصص لفقوها. وما بين دولة تنافس أخرى سياسياً، كالدولة العباسية من بعد الدولة الأموية مثلاً.

دخلوا في دائرة الوضع العمد من كونهم تصدوا للرواية وليسوا أهلا لها، وكان أخرى بهم ترك الرواية، كما فعل بعض الرواة الثقات لما اختلطوا وتغير حفظهم، تركوا الرواية خشية أن تؤتى الرواية من قبلهم.

وقد كان لكل صنف ونوع مما سلف طرقه في الوضع وأسبابه الدافعة إليه. ويمكن مما سبق توضيحه أن نجمل بإيجاز أهم أسباب الوضع العمد فيما يأتي:

١. ضعف الدين: وهو أصل هذا الباب، فهذا الخلق الذميم - الكذب - لا يصدر إلا عن امرئ ضعف دينه ورق. وأكثر ما كان هذا الخلق في مرضى القلوب من العصاة والمنافقين. وهؤلاء لا يكاد يخلو منهم عصر من العصور. وهذا أمر قد مرّ تفصيل القول فيه عند الحديث عن الطور الأول من أطوار الوضع بما يغني عن إعادة الكلام فيه مرة أخرى.

٢. العصبية: وقد تكون هذه العصبية لعرق، أو لقبيلة، أو لشخص، أو لمعتقد، أو لمذهب.. فإذا عميت، أتت الهوى، وانحرف صاحبها عن الإنصاف، فإذا انحرف المرء عن الإنصاف جار وبغى. وهذا أمر نهى عنه الشارع الكريم وذمه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: ١٥]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ تَعْرِضُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، ويقول أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وهذا الأمر أطلق عليه ابن خلدون مسمى «التشيعات للآراء والمذاهب» وشرح ذلك بكلام نفيس عبّر فيه أبلغ تعبير عما نحن بصدده، فقال: «ولما كان الكذب متطرقًا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها: التشيعات للآراء والمذاهب. فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله»^(١). وفي ذلك يقول ابن تيمية: «ونحن وإن كنا قد بينا كذب كثير مما ينقله هذا الرافضي^(٢) فمعلوم أن كثيرا ممن

(١) المقدمة ١/ ٣٢٨.

(٢) يقصد حسن بن يوسف، ابن المطهر الحلي الرافضي (ت ٧٢٦هـ)، صاحب كتاب (منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة. وكان ابن تيمية رد عليه في كتابه (منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية).

ينقل ذلك لم يتعمد الكذب لا هذا ولا نحوه، لكن وقع إما تعمدًا للكذب من بعضهم، وإما غلطًا وسوء حفظ ثم قبله الباقون لعدم علمهم ولهواهم، فإن الهوى يُعمي ويصم، وصاحب الهوى يقبل ما وافق هواه بلا حجة توجب صدقه، ويرد ما خالف هواه بلا حجة توجب رده»^(١).

٣. العداوة والبغضاء: فكثيرا ما يؤدي البغض إلى الجور وعدم الإنصاف أيضا، بل الكيد في كثير من الاحيان. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓى اَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ [المائدة: ٨]. فلا شك أن بغض منافقي أهل الكتاب للمسلمين، وبغض بعض بني العباس لبني أمية، وبغض الشعوبية للعرب، وبغض الرافضة للسنة^(٢)، وبغض الناصبة^(٣) للشيعة.. لا شك أن سيكون لذلك أثره الخطير في الرواية التاريخية وما يصاحب ذلك من تفسير لهذه الرواية^(٤).

٤. التملق: وسماه ابن خلدون «تقرب الناس لأصحاب التجلة والمراتب». وعبر عن ذلك بقوله: «تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح، وتحسين الأحوال، وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها»^(٥).

قلت: ولم تلق الرواية التاريخية خطرا أشد عليها من هذا، فكم من عصر شوّه تاريخ أصحابه بسبب من هذه العلة، وكم من مذهب، أو فرقة، أو طائفة كذلك - وما تاريخ بني أمية منا ببعيد - بسبب تملق بعض المؤرخين والكتاب والأدباء لأصحاب التجلة والمراتب، وكم أفسدوا من تاريخ وأخبار وسير.

(١) منهاج السنة ٦/ ٣٠٢.

(٢) وعلى رأسهم معاوية وولده، فأخبار هذين وسيرتهما عند أهل العراق من أفسد الأخبار، وقد صرح هشام بن عمار المحدث بذلك للبلاذري فيما حكاه البلاذري عنه بقوله: «قال لي هشام بن عمار: نظرت في أحاديث معاوية - يعني أخباره - عندكم فوجدت أكثرها مصنوعا». انظر أنساب الأشراف ٥/ ٨١.

(٣) الناصبة: هم الذين ينصبون العدا لعلي عليه السلام وآل بيته، ويقدمون فيهم. الفتاوى، لابن تيمية ٣/ ١٥٤.

(٤) ومن المظاهر السيئة لهذه العلة تزوير الحكام أحيانا لمظاهر حضارة السابقين عليهم بتزوير تواريخ منشآت أو توقيعات مخطوطات..

(٥) المقدمة ١/ ٣٢٨.

٥. **الذهول عن المقاصد:** كذا سماه ابن خلدون^(١)، ولم أجد تعبيراً أفصح من تعبيره هذا في الدلالة على معناه، وقد فسره بقوله: «كثير من الناقلين لا يعرف القصد بها عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب»^(٢).

قلت: وليس أدل على ما ذكره ابن خلدون، من قول عبد الرحمن بن عوف لعمر لما أراد عمر رضي الله عنه أن يخطب في الناس بأمر جليل في آخر حجة حجها، وكان بعيداً عن المدينة المنورة، فقال عبد الرحمن: «يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعى أهل العلم مقالاتك، ويضعونها على مواضعها»^(٣).

٦. **الشيخ الرافضي:** وقد أفردتُ هذا الأمرُ علةً وحده رغم دخوله ضمناً في عنصر العصبية، لكونه أخطر الأسباب أثراً في قضية الوضع في الرواية التاريخية، ذلك أنه أبرز المذاهب التي اتخذت الكذب ديناً لها، إما صراحاً، أو تحت مظلة التقيّة التي ابتدعوها. والأدلة على ذلك لا حصر لها من شهادات أهل العلم فيهم - من السنة وبعض منصفى الشيعة على السواء - حتى بلغت حد التواتر^(٤). ناهيك عن غزارة المكذوب من مروياتهم واستفاضة ذلك في الحديث والتاريخ والأخبار. وكنت أود أن أعرض لطائفة من هذه الشهادات، إلا أنني رأيت من تكفل بهذا الباب قديماً وحديثاً بيان وتفصيل يغني عن اجتراره^(٥)، فضلاً عن فصل كامل في أثر الوضع في التاريخ عند الشيعة سوف يأتي الحديث عنه إن شاء الله.

(١) المصدر نفسه ١/٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٨.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠. وهو حديث السقيفة المشهور.

(٤) ولعل أبرزها ما رواه ابن سعد من طريق الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن محمد بن الحنفية قال: «وددت لو فديت شيعتنا هؤلاء ولو ببعض دمي. قال: ثم وضع يده اليمنى على اليسرى على المفصل والعروق، ثم قال: لحديثهم الكذب، وإذاعتهم الشر، حتى إنها لو كانت أم أحدهم التي ولدته أغرى بها حتى تقتل». الطبقات ٧/٩٩.

(٥) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية. وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، لعبد العزيز محمد نور ولي. ونزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، لسلمان العودة. والوضع في الحديث لعمر فلاتة (١/٢٣٨). وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، لمحمد أمحزون (١/٦٣).

٧. القُصاص: ذكرتُ قبل أن القصص باب من الأخبار استهواه الضعفاء والكذابون فاتخذوه قوتا، وكان زادهم فيه غالبا الأخبار الموضوعة والمكذوبة، وكان أكثر موضوعاته شيوعا في بادئ الأمر قصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، وما يشبه ذلك من أمور المبدأ والمبعث، ومصادرهم فيها غالبا الإسرائيليات، ناهيك عن كونه حقا خصباً للوُضاعين بما وضعوه وألفوه من قصص..^(١) وهم موزعون حسب نوازعهم بين أصحاب الغفلة الآتي الحديث عنهم، وبين ضعاف الإيمان السابق الحديث عنه. فهم إما ضعاف في الرواية بغفلتهم واضطراب حفظهم إما لزهده ونحوه. أو كذابون أفاكون يتكسبون بباطلهم. ويقول ابن قتيبة في هذه الطائفة: «القصاص على قديم الأيام، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القصاص ما كان حديثه عجا خارجا عن فطر العقول، أو كان رقيقا يجزن القلوب ويستغزر العيون»^(٢).

٨. الغفلة: فإن في الرواة عددا ذكروا في الكذابين، وعلتهم من جهة الغفلة^(٣). من هؤلاء: عباد بن كثير الثقفي، فقد قال أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «عباد بن كثير أسوأهم حالاً. قلت: كان له هوى؟ قال: لا، ولكن روى أحاديث كذب لم يسمعها، وكان من أهل مكة، وكان رجلاً صالحاً. قلت: كيف كان يروي ما لم يسمع؟ قال: البلاء والغفلة»^(٤). وبسبب الغفلة ربما وُضع للراوي الحديث، فحدث به على أنه من حديثه وهو لا يعلم^(٥). ومن هؤلاء محمد بن ميمون الخياط المكي، قال أبو حاتم الرازي: «كان أمياً مغفلاً، ذكر لي أنه روى عن أبي سعيد مولى بني هاشم عن شعبة حديثاً باطلاً، وما أبعد أن يكون وضع للشيخ؛ فإنه كان أمياً»^(٦).

٩. طلب الدنيا: فكم من واضع كان دافعه إلى ذلك مطمعة من مطامع الدنيا، على اختلاف مهنة هذا الواضع ودوره في عملية الوضع، فقد نجدهم في الرواة^(٧)، ونجدهم في

(١) راجع ما سبق في مبحث أنماط التدوين التاريخي عند المسلمين.

(٢) تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص ٧٢٣.

(٣) تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ١٠٤١/٢. وقد عبر ابن خلدون عن نحو هذا المعنى بمسمى «توهم الصدق»، وقال: «وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين». انظر المقدمة ٣٢٨/١.

(٤) الكامل لابن عدي ٣٣٣/٤.

(٥) تحرير علوم الحديث ١٠٤١/٢.

(٦) الجرح والتعديل ٨٢/٨.

(٧) وهذا مشهور معلوم.

المصنِّين^(١)، ونجدهم في النساخ والوراقين^(٢).. فمن الرواة مَنْ طلب الغريب ليشتهر بين أهل الرواية فيُطلب في الآفاق. ومن المصنِّين والوراقين من انتحل كتب غيره، أو نحل غيره كُتبه طلباً للمال أو الشهرة.

١٠. نصره الأهواء: فإنه لما ظهرت الأهواء، وتعددت المذاهب عقدياً وفكرياً وسياسياً، احتاج أصحاب كل مذهب أن ينصروا مذهبهم، فمنهم من سلك في ذلك مسلك أهل الحق والإنصاف، ومنهم من لم يتورع أن ينصر مذهبهم بكل سبيل سواء كان حقاً أو باطلاً. فمنهم مَنْ كذب لنفسه، ومنهم من كذب على مخالفه، ومنهم مَنْ نحل بعضاً كتب بعض طلباً لرواج معتقد أو مذهب، أو لتشويه معتقد غيره ومذهبه.

١١. الجهل بظروف العصر المؤرِّخ له: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وتاريخياً، وثقافياً، وفكرياً، وأدبياً، ودينياً، ومذهبياً.. بل في أحيان أخرى جغرافياً أيضاً. وقد أطلق ابن خلدون على ذلك مسمى: «الجهل بطبائع الأحوال في العمران»، ويفسره بقوله: «إن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض»^(٣).

قلت: وهذا حق. فإن اقتصار المؤرِّخ على زاوية واحدة فقط يطلِّع منها إلى العصر الذي يؤرِّخ له، ظلُّمٌ لذلك العصر وأهله، ذلك أن أهل كل عصر هم نتاج نظام مترابط ممزوج بكل تلك الجوانب التي أشرنا إليها آنفاً، لا يمكن فصل جانب منه عن غيره، وإلا جُرنا في حكمنا على

(١) من أمثال هؤلاء: عبد المنعم بن إدريس، ابن ابنة وهب بن منبه روى عن أبيه عن جده وهب بن منبه. قال أبو زرعة: «واهي الحديث ولد بعد موت أبيه وحدث عن أبيه. حدثنا محمد بن علي بن داود قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: عبد المنعم بن إدريس يكذب على وهب بن منبه». وقال ابن مَعِين فيه: «الكذاب الخبيث. قيل له: يا أبا زكريا بم عرفته؟ قال: حدثني شيخ صدق أنه رآه في زمن أبي جعفر يطلب هذه الكتب من الوراقين وهو اليوم يدعيها». (انظر: سؤالات البرذعي ٢/ ٣٦٠-٣٦١، والجرح والتعديل ٦/ ٦٧، ولسان الميزان ٥/ ٢٧٩).

(٢) يقول عبد السلام هارون: «كانت ثقة القوم بالوراقين نازلة، لأنهم لم يكونوا في الغالب من العلماء أو من أهل الرواية، بل هم أهل صناعة وتكسب. وقد عرف الطعن فيهم قديماً». انظر تحقيق النصوص ونشرها ص ٢١. ويقول النديم: «كانت الأسهم والخرافات مرغوباً فيها، مشتهة في أيام خلفاء بني العباس، وسيما في أيام المقتدر فصنف الوراقون وكذبوا». انظر الفهرست ٢/ ٣٣١.

(٣) مقدمة ابن خلدون ١/ ٣٢٩.

ذلك العصر الذي نؤرخ له فلم نوفه حقه. ولعل من أبرز الأمثلة الشاهدة على ذلك في مجال التاريخ الإسلامي: العراق. ذلك القطر العجيب بمنظومته المعقدة سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وتاريخيا، وثقافيا، وفكريا، وأديبا، ومذهبيا.. بل جغرافيا أيضا. فقد عُرف العراق باضطرابه السياسي والاجتماعي، وبتاريخه العريق في الفتن منذ القدم وامتداد أثر ذلك إلى ما بعد الإسلام. حتى أن النبي ﷺ أشار إلى ذلك وألمح إليه في حياته - قبل أن تفتح - محذرا أصحابه من قطرها كافة فيما رواه البخاري^(١) من طريق ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا. قال: اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»^(٢). ناهيك عن أخبار أخرى استفاضت في وصف هذا القطر بالبشر والفتن.. وسواء صحت جل هذه الأخبار إلى ناقلها أو ضعفت فهي باتفاقها واجتماعها هذا الاجتماع المتواتر وصفا وذما بما لا نجد مع قطر آخر في ذلك الزمان، يدل على اشتهار هذا القطر بما وُصف به. وهذا بحق ما يؤيده تاريخ هذا القطر في الجاهلية والإسلام. ودراسة هذه الجوانب جميعا - المذكورة آنفا - لذلك القطر تفسر لنا كونه دائما أرض فتنة منذ أقدم الدهور.

طرق الوضع العمد:

أما عن طرق الوضع العمد، فقد سلك الوضاعون شعبا متعددة، وسبلا مختلفة، من أهم هذه الطرق:

١. الكذب:

والكذب في الرواية عرّفه بعض أهل الاصطلاح بأنه هو: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا، أو سهواً^(٣). واستدل على أنّ الكذب يطلق عند العرب على العمد، والسهو بقوله ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٤)، حيث قيد الكذب بالتعمد، فدل على أن

(١) الصحيح برقم ٧٠٩٤.

(٢) وفي رواية لمسلم (برقم ٢٩٠٥)، وأحمد (١٨/٢): عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: أنه كان قائما عند باب عائشة: فأشار بيده نحو المشرق، فقال: «الفتنة هاهنا، حيث يطلع قرن الشيطان». والمقصود بـ «نجدنا»، و«المشرق»، كما جاء في رواية أحمد (١٤٣/٢): عن ابن عمر، قال: «رأيت رسول الله ﷺ: يشير بيده يوم العراق: ها، إن الفتنة هاهنا، ها، إن الفتنة هاهنا، ثلاث مرات». ونجد كانت عند العرب حداً جغرافيا يفصل بين العراق وبلاد الحجاز.

(٣) الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، لعبد الكريم الخضير، ص ١٢٧.

(٤) صحيح البخاري برقم ١١٠.

هناك كذبا آخر لا وعيد فيه، وهو السهو والخطأ^(١).

قلت: وسواء وافق هذا التعريف الاصطلاحي دقيق كلام العرب أو خالفه، فإن الذي يهمننا في مقامنا هنا هو الكذب المتعمد، الذي لا يُختلف على ذمّه شرعاً، ووضعاً. فإن وجود كذاب معلوم الكذب في إسناد خبر يعني الحكم على إسناد الرواية بالوضع سواء صح المتن من وجه آخر أم لم يصح.

ومن حيل الكذب في الرواية، أن يُروى متنٌ خبرٍ من عدة طرق مختلفة يضعها فرد، أو يشترك في وضعها جماعة، إما باتفاق، أو بسرقة، أو بتركيب وقلب.. يتغنون بذلك إذاعته وإنفاقه بين الناس، فيتَوَهَّم أن للخبر أصلاً، تَابَعَ الرواة فيه بعضهم بعضاً. وكثيراً ما يقع التنازع بين أهل العلم في هذا النوع من حيث القبول والرد. وسبب ذلك تعدد الطرق، واختلاف الأسانيد، فيخفى على غير المتمرس منهم دروب هذه الحيل فيظن أن تنوع الطرق وتعدد الأسانيد كاف لإثبات أن للخبر أصلاً، فتحسن الرواية عنده أو تصح. في حين لا يدخل هذا على جهابذة النقد، وخبراء العلل، العارفين بحيل الوضاعين، فتراهم لا يقيمون وزناً لهذه الطرق مهما تعددت أو تنوعت، بل تجدهم يخرجون علل هذه الطرق، ما بين كذاب، أو متهم، أو ضعيف أدخل عليه هذا الخبر، أو لُقِّنه، أو ثقة أخطأ فيه على صورة من الصور الآتي عرضها عند الحديث عن أسباب الوضع غير العمد^(٢).

٢. السرقة:

ويمكن تعريف السرقة في الرواية بأنه: انتحال راوٍ ما رواه غيره، وادّعاء^(٣) نسبته لنفسه، أو لغيره.

ويمكن تمييزه عن الكذب، أن الكذب اختراع واختلاق. بينما السرقة تكون لممتلك. سواء كان حقاً، أو باطلاً.

وسرقة الرواية أمر عرفه العرب في جاهليتهم قبل إسلامهم، فهي كما قال الجرجاني: «داءٌ قديم، وعيبٌ عتيق»^(٤). وإذا كانت سرقةً في ذلك الزمان الغابر، فقد كانت في رواية الشعر، وقد أفاض الأدباء في الحديث عن هذا الباب^(٥). أما في صدر الإسلام، فقد تنوعت المرويات، فلم

(١) الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، لعبد الكريم الخضير، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) الوضع في الحديث، لعمر فلاتة ٥٢/٢. بتصرف.

(٣) وقيد الادعاء هنا حتى يخرج المدلس من دائرة التعريف. فإن المدلس لا يدعي، ولكن يعمي بصيغة مُلبّسة.

(٤) الوساطة بين المنتبي وخصومه، للجرجاني ص ١٨٥.

(٥) من أهم الكتب المعاصرة في هذا الباب: مشكلة السرقات في النقد العربي، لمحمد مصطفى هدارة.

تعد شعرا فقط، بل كانت هناك الأحاديث، والأخبار، والنسخ، والمصنّفات.. وقد ذكرت لنا كتب الرجال والجرح والتعديل طائفة من هؤلاء الذين يسرقون الحديث، والأخبار.

٣. التلقين:

والتلقين عند المحدثين هو: تَعَمُّدُ إِسْمَاعٍ^(١) المحدث شيئا ليس من حديثه غالبا^(٢)، فيرده المحدث على الظن أنه من حديثه.

إذن فعندنا هنا ملقن، وملقن، والمشكلة هنا في الأول «الملقن»^(٣)، لأنه يقصد بهذا الأمر إذاعة رواية بعينها أو عدة روايات لغرض ما^(٤). وأكثر ما يقع هذا الأمر مع الثقات، يتغني الملقن بذلك إذاعة ما يريد التلقين به. وهذا يجرح في الثقة لا ريب، ولا يقع منه ذلك غالبا إلا عند إصابته بعارض، ككبر سن، أو ذهاب بصر، أو اختلاط، أو غفلة.. ومن الأمثلة على ذلك ما نقله ابن رجب عن أحمد بن حنبل قال: «عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه، وقد ذهب بصره، كان يلقي أحاديث باطلة، وقد حدّث عن الزهري أحاديث كتبناها من أصل كتابه وهو ينظر، جاؤوا بخلافها»^(٥).

٤. التدليس:

ودلالة التدليس عند المحدثين تدور في جملتها حول معنى: سَتْرُ عَيْبٍ فِي رِوَايَةٍ بِمَا يُوْهَمُ السَّلَامَةَ فِيهَا. وغالبا ما يطلق عندهم على: إيهام سماع راوٍ ممن لم يسمع بعبارة موهمة^(٦).

(١) قول: «إسماع»، لأن أكثر ما دل عليه التلقين عند القدماء كان في الإسماع، وليس في الكتب التي يطلق عليها عندهم: «وَضَعَ كِتَابًا، أو دَسَ فِي كِتَابِهِ، أو أَحَقَّ فِيهِ، أو أَدَخَلَ عَلَيْهِ..» أما أن يكونوا أطلقوا على المكتوب تلقينا فلم أجده عندهم. لذلك اختلف مع من جعل من صور التلقين تلقين الكتب.

(٢) قول: «غالبا»، لأن هناك من كان يُلقن حديثه وهو يعلم أنه من حديثه. من ذلك ما رواه الخطيب من طريق صالح بن محمد البغدادي قال سمعت يحيى بن معين يقول: «ما رأيت أحدا أحفظ من وكيع. فقال له رجل: ولا هشيا؟ قال: وأين يقع حديث هشيم من حديث وكيع! فقال له الرجل: فاني سمعت علي بن المديني يقول ما رأيت أحدا أحفظ من يزيد بن هارون. قال: كان يزيد بن هارون يتحفظ من كتاب، كانت له جارية تحفظه من كتاب. قلت: كان بصراً يزيد بن هارون قد كف، فلذلك كان يأمر جاريته بتلقينه ويحفظ عنها». انظر: الكفاية ١٦٣/٢.

(٣) لأن مشكلة الملقن ستأتي عند الحديث عن أسباب الوضع غير العمد.

(٤) إلا أن يكون لامتحان. وقد فعله بعض الثقات، لقنوا بعض المحدثين من باب الاختبار للتأكد من مدى يقظتهم وتمييزهم لمروياتهم من مرويات غيرهم.

(٥) شرح علل الترمذي ٧٥٢/٢.

(٦) وهذا هو الفرق بينه وبين المنقطع أو المرسل عند القدماء، أن المرسل أو المنقطع ليس فيه إيهام بالسماع من قبل المرسل. انظر الكفاية للخطيب ٣٧٢/٢.

وهو على صور، منها:

أ- رواية الراوي عن لقيه وسمعه ما لم يسمعه منه: وهي أشهر صور التدليس عند المحدثين. ومثاله ما قاله أحمد بن حنبل: «هذان الحديثان سمعهما هشيم من جابر الجعفي، وكل شيء حدث عن جابر مدلس إلا هذين»^(١).

ب- رواية الراوي عن عاصره ولم يلقه أو لقيه ولم يسمع منه: وهو ما يعرف عند المتأخرين بـ«المرسل الخفي»، وكثير من تدليس الحفاظ الثقات من هذا الجنس^(٢). وفي ذلك يقول الحاكم: «الجنس السادس من التدليس: قوم رَووا عن شيوخ لم يروهم قط، ولم يسمعوا منهم، إنما قالوا: قال فلان، فحمل ذلك عنهم على السماع وليس عندهم عنهم سماع عال ولا نازل»^(٣). ومثل لهذا النوع بقوله: «فليعلم صاحب الحديث أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، ولا من جابر، ولا من ابن عمر، ولا من ابن عباس شيئاً قط. وأن الأعمش لم يسمع من أنس. وأن الشعبي لم يسمع من صحابي غير أنس. وأن الشعبي لم يسمع من عائشة، ولا من عبد الله بن مسعود، ولا من أسامة بن زيد، ولا من علي، إنما رآه رؤية. ولا من معاذ بن جبل ولا من زيد بن ثابت. وأن قتادة لم يسمع من صحابي غير أنس. وأن عامة حديث عمرو بن دينار عن الصحابة غير مسموعة. وأن عامة حديث مكحول عن الصحابة حوالة. وأن ذلك كله يخفى إلا على الحافظ للحديث»^(٤).

ت- تدليس التسوية:

وهو شر أنواع التدليس. وصورته أن يُسقط الراوي مَن فوق شيخه في الإسناد، كراوٍ مجروح أو مجهول، أو صغير السن، ويحسن الحديث بذلك ويجوده^(٥).
سئل يحيى بن معين عن: «الرجل يُلقِي الرجل الضعيف من بين ثقتين، يوصل الحديث ثقة عن ثقة، ويقول أنقص من الحديث وأصل ثقة عن ثقة، يحسن الحديث بذلك؟ فقال: لا يفعل، لعل الحديث عن كذاب ليس بشيء، فإذا هو قد حسنه وثبته، ولكن يحدث به كما روي»^(٦).

(١) العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٢٥٠.

(٢) منهج المتقدمين في التدليس، لناصر بن حمد الفهد، ص ٦٠. وقد أفرد حاتم العوني لهذا الموضوع دراسة مستقلة بعنوان: المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، طبعت بدار الهجرة، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه ص ١١١.

(٥) تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٢/ ٩٥٦.

(٦) تاريخ عثمان الدارمي عن يحيى بن معين برقم ٩٥٢.

وسمي هذا النوع من التدليس «تسوية»، لأن فاعله يُسقط المجروح من الإسناد من بعد شيخه ليستوي حال رجاله في الثقة، وكان بعض المحدثين يسميه تجويداً، لأن المدلس يُبقي جيداً رواته^(١).

ومن وقع منهم ذلك: سليمان بن مهران الأعمش، وسفيان الثوري^(٢). قال عثمان الدارمي: «كان الأعمش ربما فعل ذلك»^(٣). وعن قبيصة بن عقبة، قال: «حدثنا سفيان يوماً حديثاً ترك فيه رجلاً، فقيل له: يا أبا عبد الله، فيه رجل؟ قال: هذا أسهل الطريق»^(٤).

ومن أكثر الناس فعلاً له: بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم. قال ابن حبان: «دخلت حمص وأكثر همي شأن بقية، فتتبعت حديثه وكتبت النسخ على الوجه، وتتبع ما لم أجد بعلو من رواية القدماء عنه، فرأيت ثقة مأموناً، ولكنه كان مدلساً، سمع من عبيد الله بن عمر وشعبة ومالك أحاديث يسيرة مستقيمة، ثم سمع عن أقوام كذابين ضعفاء متروكين عن عبيد الله بن عمر وشعبة ومالك، مثل: المجاشع بن عمرو، والسري بن عبد الحميد، وعمر بن موسى الميثمي، وأشباههم، وأقوام لا يعرفون إلا بالكنى، فروى عن أولئك الثقات الذين رأهم بالتدليس ما سمع من هؤلاء الضعفاء، وكان يقول: قال عبيد الله بن عمر عن نافع. وقال مالك عن نافع كذا. فحملوا عن بقية عن عبيد الله، وعن بقية عن مالك، وأسقط الواهي بينهما، فالتزق الموضوع ببقية، وتخلص الواضع من الوسط»^(٥).

ث - تدليس الأسماء (أو الشيوخ):

وهو: أن يروي المحدث عن شيخ سمع منه حديثاً، فغيَّر اسمه، أو كنيته، أو نسبه، أو حاله المشهور من أمره، لئلا يُعرف^(٦). يقول الخطيب: «والعلة في فعله ذلك كون شيخه غير ثقة في اعتقاده، أو في أمانته، أو يكون متأخر الوفاة»^(٧) قد شارك الراوي عنه^(٨) جماعةً دونه في السماع منه، أو يكون أصغر من الراوي عنه سناً، أو تكون أحاديثه التي عنده عنه كثيرة فلا يجب تكرار

(١) تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٢/ ٩٥٧.

(٢) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٩٠.

(٣) تاريخ عثمان الدارمي عن يحيى بن معين برقم ٩٥٢.

(٤) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٩٠.

(٥) المجروحين ١/ ٢٠٠.

(٦) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٦٧.

(٧) يعني: الشيخ.

(٨) يعني: المدلس.

الرواية عنه، يُعَيَّر حاله لبعض هذه الأمور^(١). ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن حبان في شأن سفيان الثوري: أنه كان يروي عن الكلبي، فيقول: «حدثنا أبو النضر»، فيُظنُّ أنه أراد به سعيد بن أبي عروبة، أو جرير بن حازم، فالجميع يكون بهذه الكنية، وكلهم يروي عنهم الثوري، والكلبي متهم بالكذب، والآخران ثقتان^(٢).

والتدليس: وإن كان مذموماً، إلا أنه ليس بجرح في الراوي عند جمهرة النقاد ما لم يدع السماع. لأن ادعاء السماع فيما لم يسمع كذبٌ باتفاق. ولكنهم حذروا من مرويات المدلسين، فعرفوهم وبينوا طرقهم في التدليس، إذ كان بعضهم يدلس عن الضعفاء والكذابين.

ويقول الخطيب في ذلك كله: «التدليس للحديث مكروه عند أكثر أهل العلم، وقد عظم بعضهم الشأن في ذمه» - ثم روى من طريق الشافعي - «قال شعبة بن الحجاج: التدليس أخو الكذب»^(٣).

ومن أهم أسباب التدليس عند المدلس ما أجمله الخطيب في قوله: «إن المدلس إنما لم يبين من بينه وبين من روى عنه لعلمه بأنه لو ذكره لم يكن مرضياً مقبولاً عند أهل النقل، فلذلك عدل عن ذكره. وفيه أيضاً أنه إنما لا يذكر من بينه وبين من دلس عنه طلباً لتوهيم علو الإسناد، والأنفة من الرواية عمن حدثه»^(٤).

والتدليس عندي من أخطر أسباب الوضع العمد، وقد رأيت أن البلاء منه غالباً في أكثر مرويات الثقات المعروفين بالتدليس. ويتمثل خطره في خفائه على غير المتمرس، ناهيك عن ثقة من يفعل ذلك^(٥). فكم رأيت في دراستي هذه من خبر رواه ثقة، وفيه من البلاء ما فيه، وآفته غالباً من هذا الباب.

وكونه من أسباب الوضع العمد رغم اختصاصه بالثقات غالباً، أن الرواية المدكسة في الغالب تكون معيبة، ويحتاج المحدث إلى ستر هذا العيب بهذه الوسيلة، وأخطر عيوبها كما قلت أنفاً التدليس عن الضعفاء والواهين. ومن هنا يكون الخطر.

(١) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٩٣.

(٢) المجروحين ١/ ٩١. وانظر تحرير علوم الحديث ٢/ ٩٦١.

(٣) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٦٧.

(٤) الكفاية للخطيب ٢/ ٣٧٢.

(٥) ذلك أن رواية الضعيف يسهل ردها، بعكس مرويات الثقات، لما تحتاجه من بحث أشد عمقاً لتأكيد السلامة فيما يرويه الثقة من التدليس والوهم والخطأ.

٥. الإدراج:

وهو عند المحدثين: ما كانت فيه زيادة ليست منه من غير توضيح لهذه الزيادة^(١). ويقع عندهم في الإسناد، ويقع في المتن - إما في أوله، وإما في وسطه، وإما في آخره - وقد يكون متعمدا بغرض التفسير والبيان، فيدرجه الرواة من بعده في الرواية. فيُحتاج في كشفه إلى استنباط الرواة أو الشراح وبيانهم بمقتضى القرائن الدالة عليه من تتبع طرق الرواية، والنظر في موضوع بابها. أما إذا كان بغرض التلبيس والدس لغرض، فهو وضع، من صنيع الوضاعين والمتهمين. وقد يقع بسبب خطأ من الراوي أو وهمه.

٦. وضع الكتب أو الدس فيها:

أما عن وضع الكتب فقد تناولنا طرفا منه عند حديثنا عن الطورين الثاني والثالث من أطوار الوضع في الرواية. أما الدس في الكتب فقد أشرنا إلى شيء منه في ثنايا حديثنا عن قضية الوضع في ما مضى وما يأتي. وصورته أن يُغير الواضع على كتب غيره فيُلحق فيها ما ليس من مرويات صاحبها دون أن يشعر.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، من ذلك ما رواه الترمذي عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: «عمرو بن مالك هذا كذاب، كان استعار كتاب أبي جعفر المسندي، فألحق فيه أحاديث - أو قال حديثا كذبا - فروى الشيخ فوجده في وسط كتبه مكتوبا. قدمتُ من العراق فقلتُ له: ما هذا؟ فأخبرني بالقصة. فإذا عمرو بن مالك هو ألحق في كتبه. وذكر عن عمرو بن مالك عجائب. قال: وقد كان روى حديثا أنكر عليه، فقدم أبو جعفر البصرة فاستعار كتابه وكتبه فيه»^(٢).

ويدخل في هذا الباب تزوير الساعات، وهو أن يلحق الراوي اسمه في طباق ساعات كتاب لم يسمعه، مدعيا ساعه. وقد سبق الحديث عن شيء من ذلك فيما مضى^(٣).

(١) معرفة أنواع علم الحديث لابن الصلاح ص ١٩٤ (ط ماهر الفحل).

(٢) علل الترمذي الكبير ص ٣٦٦.

(٣) راجع الحديث عن الطور الثالث من أطوار الوضع في الرواية.

المطلب الثاني

أسباب الوضع غير العمد

إن أوسع أبواب الوضع غير العمد يأتي من خطأ الثقة ووهمه في الحفظ أو الكتاب على صور شتى يأتي الحديث عنها. وهذا الجانب وإن كان من قسم المردود من الرواية، إلا أن جمهرة المتأخرين يطلقون عليه اصطلاح الضعيف على درجاتٍ اصطلاحوا عليها فيه ما بين ضعيف إلى ضعيف جدا. بينما اتسمت اصطلاحات المتقدمين في التعبير عن هذا القسم بشيء من التفصيل والدقة لكل رواية غالبا بما يفصح عن علة رَدِّها. فمن الرويات ما يطلقون عليه: المنكر، ومنه: الباطل، ومنه: ما ليس له أصل.. وكل هذه المصطلحات عند القدماء تدور غالبا على معنى الوضع غير العمد.

وفرق بعضهم في معنى الوهم بين: وَهْمٌ، يَهْمٌ، وَهْمًا. بمعنى: ما سبق الذهن مع إرادة غيره. وبين: وَهْمٌ، يَوْهَمُ، وَهَمًا. بمعنى: ما أخطأ فيه المرء وجه الصواب مع إرادته ذلك الخطأ لأنه الصواب في ظنه^(١).

وفي ذلك يقول ابن حبان: «والغالب على من يحفظ ويحدث من حفظه أن يهم. وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبت صحت عدالته بأوهام يهم في روايته. ولو سلطنا هذا المسلك لَلزِمنا ترك حديث الزهري، وابن جريج، والثوري، وشعبة، لأنهم أهل حفظ وإتقان وكانوا يحدثون من حفظهم ولم يكونوا معصومين حتى لا يهيموا في الروايات، بل الاحتياط والأولى في مثل هذا قبول ما يروى الثبت من الروايات، وترك ما صح أنه وهم فيها ما لم يفحش ذلك منه حتى يغلب على صوابه، فإن كان كذلك استحق الترك حينئذ»^(٢).

ويقول ابن عدي: «الثقة وإن كان ثقة فلا بد يهم في الشيء بعد الشيء»^(٣).

ويقول مسلم: «ليس من ناقل خبر، وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا إن كان من أحفظ الناس وأشدهم توقيا وإتقانا لما يحفظ وينقل، إلا الغلط، والسهو ممكن في حفظه ونقله»^(٤).

وعلى أية حال فإن ذلك كله يندرج عند علماء الرواية تحت باب يطلقون عليه علم العلل. وهو علم يبحث عندهم في الغالب عن أوهام الرواة الثقات في مروياتهم^(٥).

(١) عبد الكريم الوريكات، الوهم في روايات مختلفي الأمصار، ص ٢٧.

(٢) الثقات، لابن حبان ٩٧/٧.

(٣) الكامل، لابن عدي ٣٥٨/٥، ومختصر الكامل، للمقريزي برقم ١٥٥٠.

(٤) التمييز، لمسلم، تحقيق عبد القادر مصطفى، ص ٨٤.

(٥) العلة وأجناسها عند المحدثين، لمصطفى باجو، ص ٨.

يقول الحاكم: «وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات أن يُحدّثوا بحديث له علة فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولا»^(١).

ويقول ابن الصلاح: «الحديث المعلل هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته، مع أن ظاهره السلامة منها. ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات، الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر»^(٢).

ويقول ابن تيمية: «فإنهم أيضاً يضعفون من حديث الثقة الصدوق الضابط أشياء تبين لهم أنه غلط فيها بأمور يستدلون بها، ويسمون هذا علم العلل، وهو أشرف علومهم، بحيث يكون الحديث قد رواه ثقة ضابط، وغلط فيه، وغلطه قد عُرف»^(٣).

وقد بحث في هذا الباب جمهرة من أهل هذا الفن قديماً وحديثاً^(٤)، وكان من أهم أسبابه التي أشاروا إليها:

١. إصابة الراوية بعارض من العوارض الآتية:

- أ- الاختلاط: وهو تغير الحفظ لعارض، ككبر سن، أو ذهاب بصر، احتراق كتب أو ضياعها. والمختلط عند المحدثين يجب تمييز مروياته قبل اختلاطه من تلك التي كانت بعده، وإلا رُدَّ ما تفرد بروايته، لأنه لا يُؤمَّن مع اختلاطه من اضطراب روايته.
- ب- تغير الحفظ في بعض المواطن دون بعض: كأن يكون الراوية قويا في حديث بلد ضعيفا في غيره، لبعده عن كتبه مثلا، أو ضياعها في رحلته أو نحو ذلك. وقد وقع هذا لجماعة من الرواة، منهم معمر بن راشد: «حديثه بالبصرة فيه اضطراب كثير، وحديثه باليمن جيد. وقال أحمد: حديث عبد الرزاق عن معمر أحب إلي من حديث هؤلاء البصريين، كان يتعاهد كتبه وينظر - يعني باليمن -، وكان يحدثهم بخطأ بالبصرة. وقال يعقوب بن شيبة: سماع أهل البصرة من معمر حين قدم عليهم فيه اضطراب، لأن كتبه لم تكن معه»^(٥).

(١) معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص ١١٢.

(٢) علوم الحديث، لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، ص ٩٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٥٢-٣٥٣.

(٤) من أبرز مصادر هذا الباب: العلل لابن أبي حاتم، والعلل للدارقطني، وشرح علل الترمذي لابن رجب. ومن المعاصرين: الوهم في روايات مختلفي الأمصار، لعبد الكريم الوريكات. والعلة وأجناسها عند المحدثين، لمصطفى باجو - وهو من أهم وأوعب المصادر التي اعتمدت عليها في هذا الباب - وقواعد العلل وقرائن الترجيح، لعادل عبد الشكور الزرقي. وجهود المحدثين في بيان علل الحديث، لعلي الصياح..

(٥) شرح علل الترمذي ٢ / ٧٦٧.

- ت - صغر السن: أن يحدث الراوية بما سمعه صغيراً فلا يضبطه. وكان من المحدثين من يتساهل في سماع الصبيان. من ذلك ما جاء عن ابن معين قال: عبد الله بن وهب ليس بذاك في ابن جريج، كان يستصغر - يعني لأنه سمع منه وهو صغير -^(١).
- ث - ذهاب البصر: وذلك لمن كان حديثه من كتبه، فيحدث من حفظه فيخطئ، أو يُلقن ما ليس من حديثه. وهو عند المحدثين باب من أبواب الاختلاط في الرواية.
- ج - كبر السن: أن يحدث الراوية بعد شيخوخة تضعف فيها حافظته، فيسوء الحفظ، وتختلط الرواية لديه، وهو كذلك باب من أبواب الاختلاط في الرواية عند المحدثين.
- ح - تغليب العبادة أو عمل بعينه على مدارسة الرواية والحفظ: مما يؤدي إلى عدم ضبط المروي والتثبت فيه. وروى مسلم من طريق محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه قال: «لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث - قال مسلم: يقول: يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب -^(٢). ويقول ابن عدي: «والزهاد لا يضبطون الأحاديث كما يجب»^(٣). ويقول ابن حبان: «ومنهم من كتب وغلب عليه الصلاح والعبادة، وغفل عن الخط والتميز فإذا حدث رفع المرسل، وأسند الموقوف، وقلب الأسانيد»^(٤). وقال في موضع آخر: «النوع الذي ذكرت أنه غلب عليه التقشف والعبادة، وغفل عن تعاهد حفظ الحديث حتى صار كأنه يكذب»^(٥). وقال صالح جزرة في شريك بن عبد الله النخعي: «صدوق، ولما ولي القضاء اضطرب حفظه، وقَلَّ ما يُحتاج إليه في الحديث»^(٦).
- خ - تغليب الاهتمام بحفظ المتن على الأسانيد والعكس: يقول مسلم: «ومنهم من همته حفظ متون الأحاديث دون أسانيدها، فيتهاون بحفظ الاثر، يتخرصها من بعد، فيحيلها بالتوهم على قوم غير الذين أدى إليه عنهم»^(٧).

(١) المصدر نفسه ٢/ ٦٨٣.

(٢) مقدمة صحيحه ص ١٠.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٤١٥.

(٤) المجروحين ١/ ٦٧.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١١١.

(٦) تاريخ مدينة السلام ١٠/ ٣٩٠.

(٧) التمييز ص ٨٤.

د - غلبة هواه على شيء فيرويه على التوهم ظنا منه بصحته: لذلك حذر المحدثون من أهل البدع في مروياتهم. يقول ابن عدي: «الحديث عن عبد الرزاق، وعبد الرزاق من أهل الصدق، وهو ينسب إلى التشيع، فلعله شُبّه عليه لأنه شيعي»^(١). وقال ابن عدي أيضا: «ولعبد الرزاق بن همام أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم، وكتبوا عنه، ولم يروا بحديثه بأسا، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقها عليها أحد من الثقات، فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم مما لم أذكره في كتابي هذا. وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به، إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت، ومثالب آخرين مناكير»^(٢).

٢. تشابه الرواة في الأسماء والكنى والألقاب والنسب، و التلاميذ والشيوخ: فيقلب اسما بآخر، أو يصحفه، أو يشتهه عليه راو بآخر. يقول ابن المديني: «أشد التصحيف التصحيف في الأسماء»^(٣). وأخطر ما في هذا الباب أن يشتهه الضعيف بالثقة والعكس. يقول الحاكم: «ومن تهاون في معرفة الأسامي أورثه مثل هذا الوهم»^(٤).

٣. تشابه الأسانيد أو المتون: فيدخل إسناد في آخر، أو تنقلب أسانيد على متون أخرى، أو متون بمتون اختلاطا عليه.

٤. رواية الثقة بما ذُكر به على الوهم: ومذاكرة المرويّات عند المحدثين يقع فيها التساهل، لما يمكن أن يكون فيها من سهو أو خطأ، ومن ثم فهم لا يعتدون برواية هذه المجالس إلا إذا نوى المحدث الرواية على الجادة فيتأهب لذلك. يقول ابن تيمية: «كانوا لا يروون أحاديث المذاكرة بذاك. وكان الإمام أحمد يذاكر بأشياء من حفظه فإذا طلب المستمع الرواية أخرج كتابه فحدث من الكتاب»^(٥). وروى ابن حبان من طريق عبدالرحمن بن مهدي قال: «ذاكرني أبو عوانة بحديث، فقلت: ليس هذا من حديثك. فقال: لا تفعل يا أبا سعيد، هو عندي مكتوب، قلت: فهاته. قال:

(١) الكامل في الضعفاء ١/ ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه ٥/ ٣١٥.

(٣) تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد العسكري، ص ١٢.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ١٧٨. وقد دفع هذا الأمر إلى تصنيف المحدثين كتبا تساعد في رفع إشكالات هذا الباب عرفت عندهم بكتب المؤتلف والمختلف، والمتفق والمفترق، ومتشابه الأسامي..

(٥) الفتاوى ١٨/ ٢٩-٣٠.

يا سلامة هاتى الدرج. ففتش فلم يجد شيئاً. فقال: من أين أتيتُ يا أبا سعيد؟ فقلت: هذا ذوكرتَ به وأنت شاب فعلق بقلبك، فظننت أنك قد سمعت»^(١).

٥. الرواية بالمعنى لغير المتقن لها: وفي ذلك يقول الشافعي: «ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أموراً، منها: أن يكون من حدّث به ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه، عاقلاً لما يحدث به علماً بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، لا يحدث به على المعنى، لأنه إذا حدث على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه لم يدّر لعله يحيل الحلال إلى حرام، وإذا أذاه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه إحالته الحديث»^(٢).

٦. الاختصار المخل للرواية: سئل أبو عاصم النبيل: يُكره الاختصار في الحديث؟ قال: نعم، لأنهم يخطئون المعنى^(٣). وروى الخطيب من طريق عنبسة قال: قلت لابن المبارك: علمت أن حماد بن سلمة كان يريد أن يختصر الحديث فيقلب معناه؟ قال: فقال لي: أو فظنت له»^(٤).

٧. مواجهة الثقة لبعض مشكلات الكتب: ومنها:

أ- التصحيف والتحريف^(٥): والتصحيف: تغيير في نقط الكلمة في إسناد أو متن، مع بقاء صورة الخط. مثل تصحيف: (جمرة) إلى (حمزة) في الأسماء، و (الحر) إلى (الخرز) في المتون. ويعدون تغيير (عبيد الله) إلى (عبد الله) تصحيفاً لقرب الرسم. فإن وقع التغيير في حروف الكلمة مما تختلف به صور الخط، سمي المحرف. مثل تحريف: (وكيع بن حُدُس) وهو الصواب، إلى: (وكيع بن عباس). وعند كثير من العلماء جواز إطلاق أحد اللفظين على الآخر، ومن اعتنى بهذا الباب سماه جميعاً (التصحيف). وأهمية معرفة هذا النوع من علوم الحديث لا تخفى، لما يقع بالتصحيف من الإحالة، فربما صيرت الراوي المجروح ثقة أو العكس، وما يقع في ألفاظ المتون من إفساد المعنى والخروج به عن جادته.

(١) المجروحين ١ / ٥٤.

(٢) الرسالة ص ٣٧٠-٣٧١.

(٣) الكفاية ١ / ٥٦٤.

(٤) الكفاية ١ / ٥٦٤.

(٥) تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٢ / ١٠٠٩. ومن أهم الدراسات في هذه القضية كتاب التصحيف، لجمال أسطيري، دار طيبة، ١٩٩٧ م.

ب- الإعجام والنقط: يقول ابن الصلاح: «على كَتَبَةِ الحديث، وطلبتَه صرف المهمة إلى ضبط ما يكتبونه، أو يحصلونه بخط الغير من مروياتهم على الوجه الذي رووه شكلا، ونقطا يؤمن معها الالتباس، وكثيرا ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه، وتيقظه، وذلك وخيم العاقبة، فإن الإنسان معرض للنسيان، وأول ناسٍ أول الناس^(١)، وإعجام المكتوب يمنع من استعجابه، وشكله يمنع من إشكاله»^(٢). وسئل أحمد: كان أبو الوليد ثبتًا؟ قال: «لا، ما كان كتابه منقوطة ولا مشكولا، ولكنه في حديث شعبة متقن»^(٣).

ت- دقة الخط: فإن المحدثين لا يحبون دقة الخط في الكتاب، لأنه لا يُتفَع به عند ضعف البصر لكبر أو مرض. روى السمعاني من طريق حنبل بن بن إسحاق يقول: «رأني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطأ دقيقا، فقال: لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك»^(٤). ومن الأمثلة على ذلك قول البرقاني: «قد أخرجت في الصحيح أحاديث كثيرة بنزول وأعلم انها عندي تعلقو عن أبي إسحاق المزكي، إلا أني لا أقدر على إخراجها لكبر السن وضعف البصر وتعذر وقوفي على خطي لدقته»^(٥).

ث- عدم مقابلة المنسوخ بالأصل: فإن ذلك قد يوقع الراوية في قراءة المصحف والمحرّف. روى الخطيب عن أحمد بن غالب الفقيه قال: سألت أبا بكر الإسماعيلي، هل للرجل أن يحدث بما كتب عن الشيخ ولم يعارض بأصله؟ فقال نعم، ولكن لا بد أن يُبيّن أنه لم يعارض، لما عسى يقع من زلة أو سقوط»^(٦).

ج- التباس النسخ والكتب واختلاطها على الراوية: وكون أن تشبه نسخة يقرأها الراوية لمحدث بعينه، بنسخة أخرى لغيره. ومن الأمثلة على ذلك ما وقع لأبي اليمان الحكم بن نافع البهراني الحمصي - فيما حكاه ابن حجر - حين اشتبه عليه حديث شعيب عن ابن أبي حسين بحديث الزهري لالتصاق النسختين، فقال أحمد في حديث جاء عنه: «ليس لهذا أصل عن الزهري، وكان كتاب شعيب عن ابن أبي حسين ملصقا بكتاب

(١) يعني آدم عليه السلام.

(٢) علوم الحديث ص ١٨٣.

(٣) العلل ومعرفة الرجال ٢/٣٦٩.

(٤) أدب الإملاء والاستملاء ص ١٦٧.

(٥) تاريخ مدينة السلام ٧/١٠٦.

(٦) الكفاية ٢/١٠٨.

الزهري. كأنه يذهب إلى أنه اختلط بكتاب الزهري فكان يعذر أبا اليمان ولا يحمل عليه فيه»^(١).

٨. أن تكون الآفة من غير الراوية ولا يتنبه هو لذلك: وهو أنواع:

أ- أن يُبتلى الرَّاويةُ بمن يدس عليه ولا يشعر: وقد ابتلي بذلك جماعة من الثقات، كسفيان بن وكيع ابتلي بورّاقه، وأيوب بن سويد الرملي ابتلي بابنه^(٢)، وحماد بن سلمة ابتلي بربيه، ومعمّر بن راشد ابتلي بابن أخت له رافضي^(٣).

ب- من سمع مع ضعيف فأفسد عليه حديثه وهو لا يشعر: ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما حكاه البرذعي قال: «قلت لأبي زرعة: رأيت بمصر أحاديث لعثمان بن صالح عن ابن لهيعة - يعني منكرة - فقال: لم يكن عثمان عندي يكذب، ولكن يسمع الحديث مع خالد بن نجيح، وكان خالد إذا سمعوا من الشيخ أملى عليهم ما لم يسمعوا فبُلوأ به، وبُلي أبو صالح أيضا - يعني عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد - وكان خالد يضع في كتب الشيوخ ما لم يسمعوا»^(٤). ومن هذا الباب ما قاله ابن حبان في حبيب بن أبي حبيب: «كان يورق بالمدينة على الشيوخ، ويروى عن الثقات الموضوعات، كان يُدخل عليهم ما ليس من أحاديثهم، فكل من سمعه بعرضه فسماعه ليس بشيء، فإنه كان إذا قرأ أخذ الجزء بيده ولم يعطهم النسخ، ثم يقرأ البعض ويترك البعض، ويقول: قد قرأت كله. ثم يعطيهم فينسخونها»^(٥).

ت- الإملاء السيء: يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سمعت أبي ذكر إبراهيم بن بشار الرمادي قال: كان يحضر معنا عند سفيان بن عيينة، فكان يملئ على الناس ما يسمعون من سفيان، فكان ربما أملى عليهم ما لم يسمعوا. يقول كأنه يغير الألفاظ، فتكون زيادة ليس في الحديث. أو كما قال أبي. فقلت له يوما: ألا تتقي الله ويحك تحمل عليهم ما لم يسمعوا. ولم يحمد أبي في ذلك وذمّه ذمّاً شديداً»^(٦).

(١) تهذيب التهذيب ١/٥٨٣.

(٢) المجروحين ٢/٢٩٩-٣٠٠.

(٣) راجع تدريب الراوي ١/٤٤٠.

(٤) سؤالات البرذعي ص ٤١٨، والتهذيب ٥/٢٢٧.

(٥) المجروحين ١/٢٦٥.

(٦) العلل ومعرفة الرجال ٣/٤٣٨.

٩. التلقين: سبق في تعريف التلقين عند المحدثين أنه هو: تَعَمُّدُ إِسْمَاعِ المحدث شيئاً ليس من حديثه غالباً، فيرده المحدث على أنه من حديثه. وهذا أمر قد وقع لبعض الثقات خاصة بعدما تَعَرَّضَ لهم العوارض من غير عمد^(١)، ككبر سن، أو ذهاب بصر، ونحو ذلك.. وسبق عرض بعض الأمثلة عليه.

١٠. وقوع خلل عند التحمل أو الأداء: تعددت صور التحمل والأداء عند المحدثين قديماً، ما بين سماع وإملاء، أو عرض وقراءة، أو مناولة، أو إجازة^(٢).. إلى آخر هذه الصور التي تكفلت كتب المصطلح ببيانها وتفصيل القول فيها، ولكن على الرغم من مراعاتهم كافة درجات التثبت والدقة في تحملهم وأدائهم على أي صورة من تلك، إلا أن هذا لم يمنع من وقوع الخلل لبعضهم عند التحمل والأداء أحياناً، مما يؤثر في المروي على درجات في هذا التأثير. ومن جوانب صور التحمل التي قد يتخللها الخلل:

أ- التحمل عن المستملي: فقد يتسع مجلس المحدث حتى يصل أحياناً إلى عدة ألوف، فيُعَيَّنُ مستمليين يبلغون عنه. وهذا أمر أجازه جمهرة المحدثين وكرهه بعضهم خشية أن يقع خلل في البلاغ. روى الخطيب أن يوسف بن عمر القواس قال: «حضرت مجلس القاضي المحاملي، وكان له أربعة مستمليين يستملون عليه، وكنت لا أكتب في مجلس الإملاء إلا ما أسمع من لفظ المحدث، فقامت قائماً لأنني كنت بعيداً من المحاملي بحيث لا أسمع لفظه»^(٣). وروى الخطيب أيضاً أن ابن عمار محمد بن عبد الله الموصلي قال: «ما كتبت قط من فيّ المستملي، ولا التفتُّ إليه، ولا أدري أي شيء يقول، إنما أكتب عن فيّ المحدث»^(٤).

ب- انتقال النظر ونحوه: روى ابن عساكر من طريق إبراهيم بن هاني النيسابوري قال: «قال لنا أبو اليمان: الحديث حديث الزهري، والذي حدثكم عن ابن أبي حسين غلطت فيه بورقة قلبتها»^(٥).

(١) إذ لو تعمدوه لخرجوا من دائرة الصدق.

(٢) من صور التحمل الوجادة - وهي أن يروي الطالب ما وجده في كتاب شيخ من غير سماع منه ولا إجازة - إلا أن المحدثين لا يحتجون بهذه الصورة.

(٣) تاريخ مدينة السلام ٤٧٨/١٦.

(٤) الكفاية ٢٤٤/١.

(٥) تاريخ دمشق ٧٣/١٥.

ت - إدخال ما ليس في الرواية على التوهم: وقد وقع ذلك - كما حكاه الخليلي وغيره -
«لشيخ زاهد ثقة بالكوفة يقال له ثابت بن موسى، دخل على شريك بن عبد الله
القاضي، فكان يُقرأ عليه حديثٌ عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي
ﷺ، فلما بصر به ورأى عليه أثر الخشوع قال: من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه
بالنهار. فظن ثابت أن ما تكلم به شريك من قبل نفسه هو حديث عن النبي ﷺ بهذا
الإسناد، فرواه عن شريك بعده، وسمع منه الكبار، وسرقه جماعة من الضعفاء،
فرووه عن شريك، وصار هذا حديثاً كان يُسأل عنه، والأصل فيه ما شرحناه»^(١).



(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي، ص ١٢.

المبحث الرابع

جهود العلماء في مواجهة الوضع

لقد كان لأهل السنة دورهم الرائد في مواجهة الوضع، وتوثيق الرواية، وفق منهج نقدي مبكر في طورين وطناً لطور ثالث تحددت فيه معالم هذا المنهج بقوة.

فلقد ذهب الباحثون في التاريخ والأخبار قديماً وحديثاً مذاهب شتى في سبيل نقد الرويات والأخبار، ويلاحظ مع هذا التعدد مدى التباين أحياناً بين هذه المذاهب وبعضها، وسبب ذلك اختلاف المشارب والأهواء التي أثرت كثيراً على أصول هذه المذاهب، ومن ثم على مقاصدها وأهدافها.

والعجيب أن مَنْ يتلطف في دراسة هذا المنهج النقدي عند العلماء المسلمين، يجده يقوم في أصله على الشك في الرواية حتى يثبت عكس ذلك.

إذن فالتشكيك في نفسه - إذا كان على منهج سليم - لا يعني الهدم، بل كثيراً ما يعني تصحيح البناء على أصول راسخة قوية، بل أحياناً يكون ضرورياً، خاصة في مجالات علم الرواية - قريبا مما هو في العلوم التجريبية - إذ إن من أهم خصائص هذا العلم التقلب المستمر لمادته بين شفاهٍ تختلف قلوب أصحابها صحة وسقماً، كما تختلف ألسنتهم صدقا وكذبا.

ولكن ينبغي قبل الحديث عن جهود أهل السنة ومنهجهم في مواجهة الوضع ونقد الرواية، ودورهم في التوثيق المبكر للرواية التاريخية أن أذكر أولاً بأن التاريخ والأخبار في صدر الإسلام إنما هو جزء من علوم الرواية، وأن المسلمين الأول^(١) لم يفصلوا بينهما وبين غيرهما من علوم الرواية الأخرى من حيث منهج العرض والنقد. ذلك أن مَنْ نقل لنا الحديث نقل أيضاً من التاريخ والأخبار. ومن ثم فإنه لا يجوز لنا بحال عند الحديث عن شيء من منهج المسلمين في هذا العلم العام - علم الرواية - أن نفصل بين بعضه البعض بمنطق التخصص المعاصر الذي لم يعرفه القدماء. فالتاريخ والأخبار والسنن والقراءات والشعر.. كلها أجزاء من هذا العلم العام نشأت معاً، وأحيطت بسياجه، وعملت بمنهاجه، وإن تفرعت أبوابه. وعليه، فإن أي فصل بينها عند الحديث عنها في هذا الزمان المبكر سيؤدي إلى نتائج مغلوبة.

(١) أعني بالأول هنا: أهل القرون الثلاثة الأولى.

وأما ما يزعمه البعض أن القدماء تساهلوا في رواية التاريخ والأخبار ما لم يتساهلوا في رواية الحديث^(١). فإنه لا يعني عدم الفحص والتمحيص، أو أنهم أجازوا الاحتجاج في التاريخ بغير الصحيح. وإنما يعنون بالتساهل هنا، التساهل في التحمل والأداء - كتابةً وروايةً - بمعنى أنهم إذا كانوا يذمون الرواية عن الضعفاء معلومي الضعف في الحلال والحرام، فإنهم أجازوا ذلك في غيره مع بيان الإسناد، فضلاً عن علمهم المسبق بضعف الرواية من عدمه.

ويفسر ذلك الذي ذكرتُ قول عبد الرحمن بن مهدي: «إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال. وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات، تساهلنا في الأسانيد»^(٢).

وروى ابن أبي حاتم عن أبيه: «حدثنا عبدة بن سليمان، قال: قيل لابن المبارك، وروى عن رجل حديثاً، فقيل: هذا رجل ضعيف! فقال: يحتمل أن يُروى عنه هذا القدر أو مثل هذه الأشياء. قال أبو حاتم الرازي: قلت لعبدة: مثل أي شيء كان؟ قال: في أدب، في موعظة، في زهد، أو نحو هذا»^(٣).

وحكى الدوري عن أحمد بن حنبل قال: «أما محمد بن إسحاق فهو رجل تكتب عنه هذه الأحاديث - كأنه يعني المغازي ونحوها - فأما إذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا. وقبض أبو الفضل أصابع يده الأربع من كل يد ولم يضم الإبهام»^(٤).

ومن ثم، تراهم وقد تحملوا ونقلوا عن أمثال: الكلبي، وأبي مخنف، وسيف بن عمر، والواقدي.. على الرغم من تركهم إياهم في رواية الحديث، ولكن لم نر منهم من اعتبر رواياتهم في التاريخ والأخبار حجة بمجرد أفرادها وآحادها، وإنما رووا ما كان مشهوراً في عصرهم وعصر من سبقهم على لسان هؤلاء. حتى إذا وُضع الخبر موضع الاحتجاج نظرُوا، ومحصوا، وبينوا.. فتراهم يردّون، ويستنكرون، ولم يقل أحد منهم إنها رواية أخبارية، أو تاريخية يجوز فيها ما لا يجوز في الحديث. وهذا هو ما عبر الطبري عن معناه في مقدمة تاريخه حين قال:

(١) ويعتمدون في ذلك على قول روي عن أحمد: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد». الكفاية للخطيب ١/ ٣٩٩.

(٢) المدخل إلى معرفة الإكليل، للحاكم، برقم ١١.

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٣٠-٣١.

(٤) التاريخ ليحيى بن معين، رواية الدوري برقم ٢٣١. وفي هذا الباب أيضاً ما جاء عند الخطيب (تاريخه ٢/ ٢٩) ط بشار) أن عبد الله بن أحمد بن حنبل سئل عن محمد بن إسحاق؟ فقال: كان أبي يتتبع حديثه ويكتبه كثيراً بالعلو والنزول، ويخرجه في المسند، وما رأيتُه اتقى حديثه قط. قيل له: يحتج به؟ قال: لم يكن يحتج به في السنن.

«وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادنا في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أي راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، وأستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحداثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقلينا، وأنا إنما أديننا ذلك على نحو ما أديننا»^(١).

ولكن هذا المعنى للتساهل عند المتقدمين، غاب عند المتأخرين، فهم قد جاوزوا طريقة أولئك القدماء في ثلاثة أمور ضرورية^(٢):

أولها: أنهم حذفوا الإسناد غالباً، وكان القدماء يسوقون الأسانيد.

وثانيها: أنهم ترخصوا في روايته منسوبةً إلى قائله، دون بيان لحال الرواية، والعامية ربما اعتقدوا بسماحه أو قراءته في الكتب صحة نسبته إلى من نُسب إليه.

وثالثها: أنهم جاوزوا فيه الضعيف الصالح للاعتبار، إلى الواهي والمنكر والموضوع.

فمن فعل هذا لم يصح له دعوى الاقتداء بترخيص من ترخص بذلك من السلف، لتجاوزه الصفة التي قصدوا.

هذا، وقد اعتمد أهل السنة في نقدهم وشكهم على مناهج نقدية منضبطة كانت سبباً من أهم أسباب التوثيق المبكر للرواية التاريخية إلى وقتنا هذا. ذلك أنه نبع عندهم من دافع حفظ الدين فتعاملوا مع كل ما يتصل به من علم من منطلق هذه الأمانة التي حملوها مجردين من الهوى^(٣) تنفيذاً لقوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وسوف أكتفي هنا بعرض الملامح العامة لمنهاج أهل السنة في مواجهة الوضع، وأثر ذلك في التوثيق المبكر للرواية التاريخية.

(١) تاريخ الطبري ١/ ٧-٨.

(٢) راجع في ذلك: تحرير علوم الحديث، لعبد الله الجديع ٢/ ١١٠٩. بتصرف.

(٣) أقصد في ذلك حكماً عاماً على الجماعة، ذلك أنني لا أدعي العصمة لكل فرد منهم، فقد وقع من بعضهم بعض ما وقع لغيرهم لأسباب قد نعرض لها، ولكن من غير أن يقدر ذلك في أصل اعتقاده، إذ قد يرجع ذلك إلى العصبية أحياناً، وأحياناً أخرى إلى التقليد الأعمى لخطأ الغير ثقة منه به من غير تمحيص، ونحو ذلك كالوهم، والخطأ، والضعف العلمي..

يقوم منهج أهل السنة في الشك والنقد على أصليين رئيسين:

أولهما: من كتاب الله عز وجل يتمثل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ثانيهما: من سنة نبيهم ﷺ متمثلا في قوله ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

فكان ذلك دافعا لهم للحذر قبل الرواية، والتشكيك عند السماع حتى يتم التبين والتثبت^(٢). وقد كان هذا أصلا مقررا قرره النبي ﷺ. فقد روى البخاري من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾.... الآية»^(٣).

ومن هذين الأصلين تشكّل منهج أهل السنة في الرواية، ووضعت ضوابطه وأصوله عندهم. مما كان لذلك أثره البالغ في رقي هذا المنهج، وتفرد أصحابه به عن سائر الطوائف والملل.

فقد أداهم الحذر قبل الرواية إلى وضع شروط وضوابط في الرواية قبل الرواية حتى تُقبل روايته عند سماعها. كما حكّموا الرواية نفسها إلى شروط وضوابط لكي يقبلها المستمع وإلا ردّها. وهذا ما عُرف عندهم بعد ذلك بالإسناد والمتن اللذين هما مادة هذا المنهج وعماده، وعلى ذلك يقوم نقد الرواية عندهم، فإذا وثّقت قُبِلت، وإلا رُدّت.

- فاشتروا في الرواية العدالة، والضبط. وقصدوا بالعدالة: أن يكون الرواية ثقة في دينه، معروفاً بالصدق في حديثه^(٤).

وأما الضبط فقصدوا به عَقْلَ الرواية لما يحدث به حافظا إذا حدث به من حفظه، حافظا لكتابه إذا حدث من كتابه^(٥).

- واشتروا في الرواية السلامة من العلة، والشذوذ، والانقطاع. بمعنى اتصال السماع في الإسناد مع البراءة من مخالفة ما رواه الثقات^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم ١٠٧. هذا غير الأحاديث الكثيرة التي تنهى عن الكذب مطلقا.

(٢) خاصة إن لم يكن الرواية من أهل العدالة كما هو واضح بدلالة الآية. ذلك أن التثبت في الرواية يعني تحقيق شروط الرواية والرواية الآتي الحديث عنها. وانظر كلاما نفيسا للعلامة محمود شاكر في هذا الشأن في كتابه: نمط صعب ونمط مخيف، ص ٣٥٣-٣٦٢.

(٣) صحيح البخاري بأرقام ٤٤٨٥، ٧٣٦١، ٧٥٤٢.

(٤) الرسالة للشافعي ص ٣٧٠. وعليه فقد ردوا رواية مجهول العدالة حتى تثبت.

(٥) الرسالة للشافعي ص ٣٧٠-٣٧١.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٧١.

وقد نشأ هذا المنهج عند أهل السنة مبكرا جدا مما كان لهذا أثره في حفظ فروع هذا العلم ومنه التاريخ والأخبار - فضلا عن السنن والقراءات وغيرها من فروع علم الرواية - ومن ثم التوثيق المبكر للرواية. فهو قد بدأ منذ عهد النبي ﷺ كما رأينا في أصلي هذا المنهج عند أصحابه، ومن منطلق هذين الأصلين كانت معالم هذا المنهج تزداد مع الأيام اتساعا وإيضاحا خاصة بعدما عصفت بالأمة الأهواء والفتن. فَطَوَّرُهُ - كما سبق وأشرت - منذ عصر النبي ﷺ حتى أواسط عهد عثمان ؓ، ليس كطوره منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية، ليس كطوره في العصر العباسي. فتلك أطوار ثلاثة شهد فيها منهاج نقد الرواية عند أهل السنة نموا مطردا ورُقياً كبيراً فرضه العصر التابع له.

وينبغي التنبيه على أن شروط الرواية والرواة السابق الإشارة إليها ستظل هي عماد منهاج النقد عند أهل السنة في جميع أطواره، وإن اختلفت درجة الاحتكام إليها من طور لآخر من حيث التشدد أو التساهل تبعا لاختلاف ظروف عصر كل طور.

- فالأمر منذ عهد النبي ﷺ حتى أواسط عهد عثمان ؓ كان يغلب على أهله متانة الدين، وصدق اللهجة، وقوة الحافظة^(١)، فكان ضابط الرواية آنذاك: إسلام المرء وبراءته من النفاق وحسب. وفي ذلك يقول أنس: «ما كل ما نحدثكم سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن لم نكن يكذب بعضنا على بعض»^(٢). وكذلك ما روي عن أنس أيضا: «والله ما كنا نكذب، ولا ندرى ما الكذب»^(٣). وكذلك ما روي عن البراء بن عازب: «ليس كلنا سمع حديث رسول الله ﷺ كانت لنا ضيعة وأشغال، وكان الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب»^(٤).

ومن الأدلة على ندرة الوضع والكذب في هذا الطور ما رواه البخاري^(٥) من طريق أبي التياح قال سمعت أنسا - رضى الله عنه - يقول:

«قالت الأنصار يوم فتح مكة - وأعطى قريشا - : والله إن هذا هو العجب! إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا ترد عليهم. فبلغ ذلك النبي ﷺ فدعا الأنصار قال: فقال: ما الذى بلغنى عنكم؟ وكانوا لا يكذبون. فقالوا: هو الذى

(١) هذا إذا استثنينا تلك الطائفة من المنافقين التي لم يكن لها تأثير يُذكر في الرواية في هذا العصر، بحكم قوة إيمان أهل هذا العصر، ومتانة الدين حينئذ

(٢) كتاب الإيمان، لابن منده، تحقيق علي الفقيهي، برقم ٨٧٤.

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/ ٦٣٤، والكامل لابن عدي ١/ ١٥٩.

(٤) المستدرک للحاكم ١/ ١٢٧، والكفاية للخطيب ٢/ ٤٣٧.

(٥) الصحيح برقم ٣٧٧٨.

بلغك. قال: أو لا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم، لو سلكت الأنصار واديا أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار أو شعبيهم».

وكذلك ما رواه مسلم^(١) من طريق هشام بن حجير عن طاوس قال:

«جاء هذا إلى ابن عباس - يعني بشير بن كعب - فجعل يحدثه، فقال له ابن عباس: عُدْ لحديث كذا وكذا. فعاد له ثم حدثه، فقال له: عُدْ لحديث كذا وكذا. فقال له: ما أدري أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا؟ أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ - إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه».

الأمر الذي جعل الشك في الرواية أندر ما يكون، وإن وقع شيء منه في ذلك العصر، فإنه لا يمثل قاعدة عامة، وإنما كان يُقصد من وراء ذلك اتخاذ وسيلة إلى التثبت من صحة نقل الرواية من عدمه، وساعد على ندرة الشك في ذلك العصر قرب العهد، وانعدام الفتنة، وشدة الاحتياط في الرواية.

إلا أن هذا لم يمنع - إذا كان الكذب عُدْم من المسلمين في ذلك العصر أو يكاد - من وقوع الخطأ في الرواية أحيانا، وهو من القلة في هذا العهد بمكان. وقد كان سببه في الغالب اختلاف الفهم بين الصحابة لمقصد النبي ﷺ، على الرغم من يقظتهم في هذا الباب - باب السماع والفهم^(٢) - ولكن قيّد الله تبارك وتعالى لهذا الخطأ من يقوّمه في وقته، فقد ثبت في أكثر من خبر مراجعة بعض الصحابة لبعض في أخبار وأحاديث سمعوها على غير وجهها أو أخطأوا فهمها^(٣). من ذلك ما رواه مسلم^(٤) من طريق عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة وذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي». فقالت عائشة:

«يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ، إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يُبكي عليها فقال: إنهم لبيكون عليها وإنما لتُعذب في قبرها».

(١) الصحيح المقدمة ص ٧.

(٢) فقد حث النبي ﷺ على الحفظ والفهم في أكثر من حديث، من ذلك قوله: «احفظوه وأخبروه من وراءكم» (صحيح البخاري برقم ٨٧). ومما يشهد لذلك التيقظ ما رواه البخاري في صحيحه (برقم ١٠٣) باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه، من طريق ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه.

(٣) وأشهر من عرف بذلك في ذلك العهد الأول عائشة رضي الله عنها حتى دفع ذلك بعض أهل العلم كبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) لأن يصنف كتابا بعنوان (الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة).

(٤) الصحيح برقم ٩٣٢ (٢٧).

وروى مسلم^(١) أيضا في موضع آخر أن القاسم بن محمد قال:

«لما بلغ عائشة قول عمر وابن عمر قالت: إنكم لتحدثونني عن غير كاذبين

ولا مكذبين، ولكن السمع يخطئ».

وكان أبو بكر من أوائل الناس بعد رسول الله ﷺ احتياطا في قبول الأخبار كما قال الذهبي^(٢). ومن بعده عمر الذي يعد أول من نهج سبيل التشدد في الرواية والتثبت منها بما استفيض عنه من أخبار تؤكد ذلك وتدل عليه^(٣). فازدادت الضوابط شدة في عهد الخلافة الراشدة بداية من عهد عمر بن الخطاب ﷺ، تبعا لظروف العصر، فقد بدأت الرواية عن عهد النبوة وأخبار السابقين تتسع بين قوم ادّعوا الإسلام، فخشى عمر أن يكون في اتساع الرواية مجالا للخطأ الذي يؤدي إلى الكذب عند النقل من لسان لآخر، مع اختلاف القلوب بين قوم هم في أكثرهم حديث عهدهم بكفر، فأثر عنه ﷺ وعن غيره من الصحابة في هذا العهد المبكر مدى تحريمهم في الرواية تحملا وأداء، خشية على أنفسهم أولا من الخطأ والسهو، ثم خشية على غيرهم أن يكذبوا عليهم عمدا أو خطأ. فكانوا يتحرون في الرواية أشد التحري^(٤)، وكانوا يهابون الرواية فرقا من الخطأ والوهم والنسيان، فكانت رواياتهم في غالبها على الوجه قصدا، خشية النقصان أو الزيادة بما يخل الرواية أو ينحرف بها عن وجهها. ناهيك عن يقظتهم في كل ما يسمعون وشكهم فيما يريهم بل انتقادهم أحيانا لبعض ما يسمعون، بل وصل الأمر أحيانا إلى الرد والتكذيب^(٥). وتفشى ذلك في أواخر هذا الطور الأول، الأمر الذي مهد للطور الثاني على النحو الذي سوف يأتي الحديث عنه.

(١) الصحيح برقم ٩٢٩.

(٢) تذكرة الحفاظ ص ٢. وقال أيضا: «وإليه - يعني أبا بكر - المنتهى في التحري في القول والقبول» (تذكرة الحفاظ، ص ٥).

(٣) إذ لا ريب أن عمر مثل دور الحارس الأمين بكل ما تحمله الكلمة من معان للرواية في عهده. والأمثلة على ذلك من الكثرة والشهرة بمكان. راجع فيها على سبيل المثال: السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج، ص ٩٦-١١١، ١١٣-١١٦، ومنهج النقد عند المحدثين، لمحمد مصطفى الأعظمي ص ٥١-٥٦.

(٤) وتفصيل القول في هذا الباب يطول، ولكن تكفلت به كتب عدة قديمة ومعاصرة، ككتب المصطلح، والعلل، والرجال. ومن الدراسات الحديثة في هذا الباب: السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب، وتوثيق السنة في القرن الثاني الهجري، لرفعت فوزي عبد المطلب، واهتمام المحدثين بنقد الحديث، لمحمد لقمان، ومنهج النقد عند المحدثين، لمحمد مصطفى الأعظمي، وتدوين وتوثيق السنة النبوية في حديث الرسول والصحابة، لجمال محمد خلف.

(٥) وإن لم يكن مقصودا في هذا الطور، إذ إن من معاني الكذب عند العرب: الخطأ. ومنه قوله ﷺ فيما رواه البخاري (برقم ٦١٤٨) لما قال سلمة: رأني رسول الله - ﷺ - شاحبا. فقال لي « ما لك؟ ». فقلت فدى لك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله. قال « من قاله؟ ». قلت: قاله فلان، وفلان، وفلان، وأسيد بن الحضير الأنصاري. فقال رسول الله - ﷺ - « كذب من قاله. إن له لأجرين.. ».

وتتمثل أهم ضوابط الرواية في هذا العصر فيما يأتي:

١. الثبت عند الشك أو الخلاف:

وكان ذلك حينئذ إما بمراجعة المتحدث في حديثه، أو اختبار المتحدث طلباً للثبوت مما رواه. ويمثل للأول بصنيع عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري تحت باب (من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه) من طريق ابن أبي مليكة:

«أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه»^(١).

ويمثل للآخر بما رواه مسلم من طريق عروة بن الزبير قال:

«قالت لي عائشة: يا ابن أختي، بلغني أن عبد الله بن عمرو مآزراً بنا إلى الحج، فآلقه فسأله، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً. قال: فلقيته فسألته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ. قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ قال: إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤوساً جهلاً لا يفتونهم بغير علم، فيضلون ويضلون. قال عروة: فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته، قالت: أحَدَّثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟! قال عروة: حتى إذا كان قايلاً، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم، فآلقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم. قال: فلقيته، فسألته، فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى. قال عروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أحسبه إلا قد صدق، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص»^(٢).

وكذلك ما رواه البخاري^(٣)، ومسلم^(٤) من طريق نافع قال:

«قيل لابن عمر إن أبا هريرة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تبع جنازة فله قيراط من الأجر. فقال ابن عمر أكثر علينا أبو هريرة. فبعث إلى عائشة فسألها فصدقت أبا هريرة، فقال ابن عمر: لقد فرطنا في قراريط كثيرة».

٢. طلب المتابع عند الشك أو الخلاف:

ويعتبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه رائداً في هذا الباب في قصته المشهورة مع أبي موسى الأشعري حين استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له، وكأنه كان مشغولاً، فرجع أبو موسى، ففرغ عمر فقال:

(١) صحيح البخاري برقم ١٠٣.

(٢) صحيحه برقم ٢٦٧٣ (١٤).

(٣) صحيحه برقمي ١٣٢٣، ١٣٢٤.

(٤) صحيحه برقم ٩٤٥.

«لم أسمع صوت عبد الله بن قيس، ائذنوا له قيل قد رجع. فدعاه. فقال: كنا نؤمر بذلك. فقال: تأتيني على ذلك بالبينة. فانطلق إلى مجلس الأنصار، فسألهم. فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا، أبو سعيد الخدرى. فذهب بأبي سعيد الخدرى. فقال عمر: أَخْفِيَ عَلَىَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ»^(١).

٣. عدم تحديث مَنْ ليس أهلاً للتحمل:

فلا يحدثون في الغالب إلا من كان أهلاً للتحمل. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرناه قبل من موقف عبد الرحمن بن عوف من عزم عمر رضي الله عنه أن يخاطب في الناس بأمر جليل في آخر حجة حجها، وكان بعيداً عن المدينة المنورة، فقال عبد الرحمن:

«يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعايا الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأهمل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعى أهل العلم مقالتك، ويضعونها على مواضعها»^(٢).

ومنه صنيع سعد بن أبي وقاص فيما رواه ابن سعد من طريق شعبة، قال: أخبرنا سعد، عن خالته:

«أنهم دخلوا على سعد بن أبي وقاص فسئل عن شيء، فاستعجم، فقال: إني أخاف أن أحدثكم واحداً، فتزيدوا عليه المائة»^(٣).

٤. التقليل في الرواية إلا لمتقن عند الحاجة:

ففي كثرة الرواية مظنة الخطأ أحياناً، فمن أجل ذلك ضمن كثير من أهل الصدر الأول بالرواية إلا عند الضرورة، خشية الخطأ والنسيان. مثاله ما رواه ابن سعد^(٤) من طريق يحيى بن سعيد، عن السائب بن يزيد أنه: صحب سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة، قال: «فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ حديثاً حتى رجع».

(١) صحيح البخاري برقم ٢٠٦٢. وبنبغي التنبيه أن ذلك الأمر لم يكن دأب عمر رضي الله عنه، وإنما هو عند الشك أو الخلاف، وإلا فإنه قد ثبت عنه قبوله العديد من الروايات من غير طلب المتابع. وراجع في ذلك: دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، لعبد السلام بن محسن آل عيسى، ص ٨١٢-٨١٥.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٣) الطبقات لابن سعد ٣/١٣٤.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣/١٣٤.

ومثل ذلك أثر عن الزبير بن العوام^(١)، ولكن بالغ عمر رضي الله عنه في هذا الأمر تشدداً، فنهى الحافظ وغيره احتياطاً وترهيباً لمن عساه أن يتجرأ على الرواية بالظن، حتى طال ذلك بعض الحفاظ المتقين من الصحابة - كأبي هريرة^(٢) - ومن مُسلمة أهل الكتاب - ككعب الأحماس - إذ نهاهما لما أكثرا من الرواية ليكونا قدوة لغيرهما، فلا يغتر أحد بحفظه. وكان هذا اجتهاداً منه رضي الله عنه.

٥. النهي عن الرواية بالظن:

من ذلك ما حكاه الزهري أن عمر بن الخطاب قال في العام الذي طعن فيه: «أيها الناس، إني أكلمكم بالكلام، فمن حفظه فليحدث به حيث انتهت به راحلته، ومن لم يحفظه فأخرج بالله على امرئ أن يقول علي ما لم أقل»^(٣).

٦. الكتابة أحياناً لضبط المروي:

وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب»^(٤).

ومن ثم، فإن ذلك كله يوضح لنا مدى العناية التي تلقتها الرواية في ذلك العهد، مما يعني بداية مبكرة للعناية بالرواية لحفظها من أي دخيل قد يطرأ عليها فيفسدها، تمثلت هذه العناية في هذا المنهج الفطري السليم، الذي مهد للرواية طريقها في عصور لاحقة وفق ضوابط فطرية أسست لتلك القواعد والنظريات التي حكمت هذا الأمر بعد ذلك. ويشهد لهذا المنهج الفطري الذي أسس في خير القرون ذلك القول المأثور عن معاوية رضي الله عنه: «إيَّاكُمْ وأحاديثَ، إلا حديثاً كان في عهد عمر، فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل»^(٥).

وقس على هذا المنهج في نقل الرواية آنذاك كل خبر يخص حادثته من مغازي، وسير، ووفيات، وأخبار، وأشعار، وأيام.. وإن وقع شيء من الكذب أو الخطأ عندهم فهو إما شيء نُقل إليهم من قبل هذا العهد، أو أمر قام عليه منافق أو كافر في ذلك العهد كما مر عند الحديث عن نشأة الوضع وأطواره.

(١) انظر صحيح البخاري برقم ١٠٧.

(٢) وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد له بالحفظ فيما رواه البخاري (صحيحه برقم ١١٩) من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه. قال: ابسط رداءك. فبسطته. قال فغرف بيديه ثم قال: ضمه. فضمته فما نسيت شيئاً بعده.

(٣) الطبقات لابن سعد ٣/٢٦٧.

(٤) صحيح البخاري برقم ١١٣.

(٥) صحيح مسلم برقم ١٠٣٧.

- أما الطور الثاني: ويبدأ من أواخر عهد عثمان رضي الله عنه حتى سقوط بني أمية. وفيه وقعت الفتنة، وادعى الإسلام قومٌ ليسوا له بأهل، كان لهم دورهم في إشعال الفتنة، ونصرة الأهواء، وانتشار الكذب، مما كان لذلك أثره الخطير على الرواية في ذلك العصر.

وهنا بدأ ميزان الشك والنقد يزداد في منهجيته شدة، فتمثلت أهم ضوابط الرواية إضافة لما مر ذكره في الطور الأول فيما يأتي:

١. طلب الإسناد والسؤال عنه:

فلقد بدأوا يبحثون عن الإسناد، وغايتهم من وراء ذلك معرفة رواته والسؤال عنهم فيتميز أهل الصدق والعدالة من أهل الكذب والبدعة. يقول ابن سيرين (ت ١١٠هـ):

«لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»^(١).

ولم يكفهم ذلك حتى ندبوا إليه، وجعلوه من الدين، وفي ذلك يقول ابن سيرين أيضاً: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»^(٢).

ويشير ابن المبارك (ت ١٨١هـ) إلى ذلك الأمر الذي تشرف به هذا الطور بقوله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»^(٣).

وكان ذلك يعني ميلاداً مبكراً لأدق منهج نقدي عرفته البشرية، فكان لذلك أبلغ الأثر في توثيق الرواية في هذا العصر المبكر.

٢. اتساع حركة الكتابة والتدوين:

ولا شك أن نشأة التدوين وإن لم تكن واسعة النطاق في هذا العصر المبكر، إلا أنها تعد من أهم عوامل التوثيق المبكر للرواية عامة في هذا العصر. وقد فرغنا من الحديث عن هذا الباب بما يغني عن إعادة القول فيه مرة أخرى^(٤).

٣. اهتمام الأمراء بالرواية:

وكذلك اهتمام الأمراء بالرواية بشتى فروعها في هذا العصر المبكر سماعاً وتدويناً، تعد أيضاً من عوامل التوثيق المبكر للرواية في هذا العصر. وهذا أيضاً أمر قد فرغنا من الحديث عنه آنفاً.

(١) صحيح مسلم، المقدمة ٨/١.

(٢) صحيح مسلم، المقدمة ٨/١.

(٣) المصدر نفسه، المقدمة ٩/١.

(٤) راجع الحديث عن أطوار التدوين التاريخي والأخباري عند المسلمين.

- أما الطور الثالث: ويبدأ - كما قلنا - بالدولة العباسية، وفيه شهدت الرواية أعقد مراحلها، فقد طالت الأسانيد، وتعددت أهواء الرواة، وكثرت المحن والفتن، واتسعت دائرة الوضع، ولا ريب أن كان لتلك العداوة والبغضاء بين الدولة الناشئة، والأخرى البائدة أثرها في نشاط حركة الوضع. فوجب تبعاً لذلك مضاعفة الجهد، لتتميم جهود السابقين في الحفظ على نقاء الرواية، وعدم شوبها بأية شائبة.

وتتمثل أهم جهود العلماء في صيانة الرواية في هذا الطور فيما يأتي:

١. الإلزام بالإسناد والاهتمام به:

فالإسناد وإن كان في الطور السابق مطلوباً على الندب - إلا عند الشك أو الخلاف - فإنه صار في هذا الطور واجباً شرعياً، يلزم به كل ناقل للخبر، فصار لا يقبل خبر عندهم إلا بإسناد، وإلا رُدَّ على صاحبه. حتى قال شعبة: «كل حديث ليس فيه حدثنا أو أخبرنا فهو خل وبقل»^(١). وقال الزهري يوماً لإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المدني: «يا إسحاق تجيء بأحاديث ليست لها أزمة ولا خطام! إذا حَدَّثت فأسند»^(٢). وقال الأعمش لإبراهيم النخعي: «إذا حدثتني فأسند»^(٣).

فزاد الحرص على طلب الإسناد مهما طال، من أجل فحصه وتمحيصه بالكشف عن حال رواته وفق قواعد وضوابط عُرفت بعد ذلك بعلم الرجال، والجرح والتعديل.. وفي ذلك يقول الحاكم^(٤):

«فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له، وكثرة مواظبتهم على حفظه، لدرس منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث، وقلب الأسانيد. فإن الأخبار إذا تعرَّت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُراً»

والعجيب أنهم طلبوا من الأسانيد كل شيء، حتى المكذوب منها والموضوع، وليس ذلك إلا من أجل معرفتها ومعرفة مصادرها، فلا تلتبس عليهم عند الفحص. يقول يحيى بن معين: «كُتبتنا عن الكذابين، وسجرنا به التنور، فأخرجنا به خبزاً نضيحاً»^(٥).

ويروي ابن حبان وغيره أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين في زاوية بصنعاء وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس، فإذا اطلع عليه إنسان كتبه، فقال أحمد بن حنبل:

(١) الكفاية للخطيب ٢/٢١٣.

(٢) الإرشاد للخليلي ص ١٨. وفي رواية أن الزهري قال له: قاتلك الله يا بن أبي فروة تخبئنا بأحاديث ليست لها خطم ولا أزمة! (العلل الصغير للترمذي ص ٥٩).

(٣) شرح معاني الآثار، للطحاوي ١/٢٢٦.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٦.

(٥) المجروحين ١/٥٦.

«تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة! فلو قال لك القائل: أنت تتكلم في أبان، ثم تكتب حديثه على الوجه؟! قال: رحمك الله يا أبا عبدالله، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان عن أنس وأحفظها كلها، وأعلم أنها موضوعة حتى لا يجيء إنسان، فيجعل بدل أبان ثابتاً، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس، فأقول له كذبت إنما هي أبان لا ثابت»^(١).

ولكنهم مع ذلك صرفوا عناية مخصوصة في طلب العالي منه ابتغاء تقليل الوسائط ما أمكن. وكان يكلفهم ذلك الكثير من الجهد والوقت والمال، إذ كان مثل هذا النوع من الأسانيد يتطلب الرحلة إليه. فكان ذلك محموداً عندهم، يُمدح به صاحبه. وقد ظهر ذلك مبكراً، ويظهر واضحاً في قول أبي العالية رُفيع بن مهران الرياحي (ت ٩٠هـ) قال: «كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم»^(٢). ليكون هذا الصنيع سنة من بعدهم كما قال الحاكم^(٣).

وكان من فوائد الاهتمام بالإسناد عندهم - إضافة لما سبق - التثبت من اتصال إسناد الخبر المنقول إلى قائله، وإلا فإنهم يردون المنقطع خشية أن يكون المحذوف من الإسناد غير مأمون فيدخل عليهم الكذب وهم لا يشعرون.

وللمنقطع صور عدة عند المتأخرين من أهل الاصطلاح، فكان عندهم: المعلق^(٤)، والمعضل^(٥)، والمنقطع^(٦)، والمرسل^(٧)، والمدلس^(٨).

إلا أن المشهور عند القدماء في تسمية كل منقطع أنه مرسل. ووضعوا له قواعد مبكرة حازمة في قبوله أو رده، من أهمها وأقيمها وأقدمها ما قاله الشافعي (ت ٢٠٤هـ) في رسالته القيمة^(٩).

(١) المجروحين ١ / ٣١-٣٢.

(٢) الطبقات لابن سعد ٩ / ١١٢.

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٧.

(٤) وهو: ما حُذف من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي.

(٥) وهو: ما سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالي.

(٦) وهو: ما لم يتصل إسنادُه، على أي وجه كان انقطاعه.

(٧) وهو: ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعي.

(٨) سيأتي الحديث عنه قريباً.

(٩) انظر: الرسالة فقرات ١٢٦٢ - ١٢٧٨.

٢. البحث عن حال الرواة:

فقد دأبوا في السؤال عن أحوال الرواة والكلام فيهم من غير محاباة لأحد^(١)، وما ذلك إلا ليعرفوا الصادق الأمين من غيره، فيقبلوا رواية الأول، ويردوا على الآخر خبره. وهذا أمر فطري، ولكن ما اختص به هذا الطور، أن هذا الأمر صار مُلزمًا - كما قال مسلم: «ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواية الحديث وناقل الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا لما فيه من عظيم الخطر..»^(٢) - حتى أصبح علماء قائما بذاته، له قواعد المنهجية المصطلح عليها، يعرف بعلم الرجال، وما تفرع منه من علوم تبحث عن أسماء الرواة، وكناهم، وألقابهم، وأنسابهم، وطبقاتهم، وتواريخهم، ووفياتهم، وبلدانهم. وكان تاج هذه العلوم جميعا وثمرتها علم الجرح والتعديل، ذلك العلم الذي اهتم بما نحن بصدد، وهو البحث عن حال الرواة من حيث الصدق والكذب، والحفظ والضبط. فعرفوا «الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوّه ممن كان أقل مجالسة»^(٣).

وبلغ من اهتمامهم بهذا العلم، أن خصوه بالدرس والمجالس^(٤). ومن أبرز هذه المجالس مجالس يحيى بن معين، إذ كان يلتف حوله طلاب هذا الفن فيسألونه عن أحوال الرواة فيجيبهم^(٥).

وعمل النقاد والعلماء في هذا الباب يقوم على أمرين: تمييز الراوي، ثم معرفة حاله. ذلك أن الإسناد مجموعة «من الرواة، هذا مذكور باسمه، وآخر بكنيته، وثالث بنسبه، ورابع بلقبه، وهكذا، فالوقوف على تعيين المراد بكلّ يحتاج إلى تأصيل يقي من الوقوع في الغلط في هذا الباب، فإن المطلوب في كل راوٍ أن تعرف منزلته من جهة العدالة والأهلية للرواية أو عدم ذلك، ولا سبيل إلى الوقوف على حقيقة أمره إلا بتمييز شخصيته»^(٦).

(١) من ذلك ما كان من زيد بن أبي أنيسة حين قال: «لا تأخذوا عن أخي» (مقدمة صحيح مسلم ص ١٦).

وكذلك ما كان من علي بن المديني وقد سئل عن أبيه فقال: «اسألوا غيري فقالوا سألناك. فأطرق ثم رفع رأسه وقال: هذا هو الدين، أبي ضعيف». (المجروحين ١٥ / ٢)

(٢) مقدمة صحيحه ص ١٦-١٧.

(٣) شرف أصحاب الحديث، للخطيب، ص ٤٠.

(٤) ناهيك عن التصانيف التي صنف في هذا الباب.

(٥) ومثله السؤالات عن أحمد، والدارقطني، وأبي زرعة الرازي.. راجع في ذلك كتب السؤالات.

(٦) تحرير علوم الحديث ٦٥ / ١.

٣. وضع قواعد للتحمل والأداء:

فقد وضع علماء الرواية ضوابط وقواعد دقيقة تضبط عملية الرواية وتحفظها من أي خلل قد يؤثر عليها. فميزوا بين عدة أنواع من أنواع التحمل، لكل منها حكمه عندهم من حيث الحجية. فكان من أهم طرق التحمل عندهم كما عرضها بعضهم^(١):

السماع^(٢): ويكون من لفظ الشيخ على طلابه وهم يستمعون. وهو منقسم إلى إملاء أو تحديث. وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه.

العرض^(٣): وهي القراءة على الشيخ، سواء كنت أنت القارئ أو غيرك وأنت تسمع، أو قرأت في كتاب، أو من حفظ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو يمسك أصله. وأكثر المحدثين يسمونه عرضاً لأن القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه.

المكاتبة^(٤): وهي الكتابة أيضاً، وهو أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئاً من حديثه، أو يبدأ الشيخ بكتاب ذلك مفيداً للطالب بحضرته أو من بلد آخر وليس في الكتاب ولا في المشافهة والسؤال إذن ولا طلب للحديث بها عنه.

الإجازة^(٥): وهو أن يجيز الشيخ لتلميذه أن يروي عنه شيئاً من غير أن يسمعه منه. وهي إما مشافهة أو إذنا باللفظ مع المغيب، أو يكتب له ذلك بخطه بحضرته، أو مغيبه. وكانت لها شروط، فقد حكى أبو العباس المالكي قال: «لمالك شرط في الإجازة: أن يكون الفرع معارضاً بالأصل حتى كأنه هو، وأن يكون المجيز عالماً بما يجيز، ثقة في دينه وروايته، معروف بالعلم، وأن يكون المجاز من أهل العلم مُتَّسماً به حتى لا يضع العلم إلا عند أهله».

وهي على أوجه، أهمها:

الوجه الأول: وهو أعلاها: الإجازة لكتب معينة وأحاديث مخصصة مفسرة، ولا يحتاج في هذا لغير مقابلة نسخته بأصول الشيخ.

الوجه الثاني: أن يجيز لمعين على العموم والإبهام دون تخصيص ولا تعيين لكتب ولا أحاديث. كقولك قد أجزت لك جميع روايتي، أو ما صح عندك من روايتي.

(١) هو القاضي عياض في كتابه: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع. وهو من أهم الكتب في هذا الباب عند القدماء.

(٢) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٧٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٨٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٨٨.

المناول^(١): وهي على أنواع: أرفعها أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه، أو نسخة منه وقد صححها، أو أحاديث من حديثه وقد انتخبها وكتبها بخطه أو كتبت عنه فعرفها، فيقول للطالب: هذه روايتي فاروها عني. ويدفعها إليه. أو يقول له: خذها فانسخها وقابل بها ثم اصرفها إليّ، وقد أجزت لك أن تُحدث بها عني. أو اروها عني. أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ، أو بجزء من حديثه فيقف عليه الشيخ، ويعرفه، ويحقق جميعه وصحته ويجيزه له.

نوع آخر: أن يعرض الشيخ كتابه ويناوله الطالب، ويأذن له في الحديث به عنه، ثم يمسكه الشيخ عنده ولا يمكنه منه. وعلى التحقيق فليس هذا بشيء زائد على معنى الإجازة للشيء المعين من التصانيف المشهورة والأحاديث المعروفة المعينة، ولا فرق بين إجازته إياه أن يحدث عنه بكتاب وهو غائب أو حاضر، إذ المقصود تعيين ما أجاز له.

الوجادة^(٢): ويسميه بعضهم الخط. وهو الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور يعرف خطه ويصححه وإن لم يلقه ولا سمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا. وكذلك كتب أبيه وجده بخط أيديهم. والذي استمر عليه عمل الأشياخ قديما وحديثا في هذا قولهم وجدت بخط فلان وقرأت في كتاب فلان بخطه. فلا يجوز النقل فيه بحدثنا، وأخبرنا. فهو لا يعد عندهم من المسند،

ولم يفهم ذلك حتى بينوا - عند النزاع والشك - نوع التحمل الذي تحمّل به بعض الرواة مروياتهم. كقول يحيى بن معين عن أبي مسهر: «ابن سَمَاعَةَ عَرَضَ»^(٣). وكذلك قول يحيى بن معين وسألته في حفص بن ميسرة: «سمع عرضًا، كان عباد بن كثير يعرض لهم على زيد بن أسلم وغيره»^(٤).

كما ندبوا إلى توضيح نوع التحمل بصيغ مخصوصة. فكان بعضهم يرى التمييز في صيغة الأداء بين السماع والعرض، بنحو «سمعت»، و«حدثنا» للأول، وب«أخبرنا»، و«أنبأنا» للآخر^(٥). لكن اشتهر خلافهم في غير هاتين الطريقتين، والراجح فيها عندهم وجوب تمييز ما

(١) المصدر نفسه ص ٧٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١١٦.

(٣) يعني على الأوزاعي. انظر: تاريخ هاشم بن مرثد ص ٩٣.

(٤) معرفة الرجال، رواية ابن محرز ١٥١/٢.

(٥) ومنهم من اختلف في «أخبرنا»، و«أنبأنا» في السماع. إلا أن الأكثرين لم يروا التفريق بين صيغ هذين الطريقتين من طرق التحمل: السماع والعرض. انظر: الإلماع ص ٦٩، وتحرير علوم الحديث ١/١٤٥.

دون ذلك. كقولهم: أخبرنا إجازة. أو مناولة. أو كَتَبَ إليّ. أو وجدت في كتاب فلان.. حتى لا يُشَبَّه ذلك بالعرض والسماع الذَّين هما أعلى درجات التحمل عند أهل هذا الفن.

بل كانوا يُبَيِّنون سنَّه أحيانا عند التحمل. وقد عقد القاضي عياض في هذا الأمر بابا في كتابه: (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع) بعنوان: (باب متى يستحب سماع الطالب ومتى يصح سماع الصغير). استهله بقوله: «أما صحة سماعه فمتى ضبط ما سمعه صح سماعه، ولا خلاف في هذا، وصح الأخذ عنه بعد بلوغه، إذ لا يصح الأخذ عن الصغير ومن لم يبلغ»^(١). ومن النماذج الدالة على ذلك ما رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم بن وارة في عمرو بن هشام البيروتي، قال: «كتبت عنه، كان قليل الحديث. قيل له: ما حاله؟ قال: ليس بذلك، كان صغيراً حين كتب عن الأوزاعي»^(٢).

كما نبهوا على مَنْ ضَعَّف بسبب طريقةٍ بعينها من طرق التحمل. من ذلك ما قاله علي بن المديني: «سألت سفيان عن جعفر بن محمد بن عباد بن جعفر، وكان قدم اليمن، فحملوا عنه شيئاً، قلت لسفيان: روى معمر عنه أحاديث يحيى بن سعيد، فقال سفيان: إنما وجد ذاك كتاباً، ولم يكن صاحب حديث، أنا أعرف بهم، إنما جمع كتباً فذهب بها»^(٣). وقال عبد الرحمن بن مهدي: «حدثت سفيان أحاديث إسرائيل عن عبد الأعلى عن ابن الحنفية، قال: كانت من كتاب. يعني أنها ليست بسماع»^(٤). وقال شعبة: «أحاديث الحكم عن مجاهد كتاب، إلا ما قال سمعت»^(٥). وقال الخطيب في محمد بن عمران المرزباني: «أكثر كتبه لم تكن سماعاً له وكان يرويها إجازة ويقول في الإجازة أخبرنا ولا يبينها»^(٦).

٤. نقد الأسانيد والمتون:

وأقصد بالنقد هنا ما اصطلح عليه عندهم بعلم العلل، وما يندرج تحته في بابهِ. وهو من أدق أبواب النقد عندهم لكلِّ من الإسناد والمتن. والمتأمل لهذا الباب يرى إلى أي مدى بلغت جهود هؤلاء العلماء سُمُوًّا ورُقِيًّا في سبيل الحفاظ على مروياتهم من أي دخيل قد يطرأ عليها. وهذا بالفعل هو عين مفاخر تراث هذه الأمة.

(١) الإلماع ص ٦٢.

(٢) الجرح والتعديل ٦/٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه ١/٣٨.

(٤) المصدر نفسه ١/٧١.

(٥) المصدر نفسه ١/١٣٠.

(٦) تاريخ مدينة السلام ٤/٢٢٧.

وأهمية هذا الباب في النقد تكمن في صعوبة العمل فيه ووعورة ميدانه. فإنهم لا يقصدون به في الغالب النقد الظاهر الذي يتضح للوهلة الأولى، كوجود كذاب، أو متهم، أو ضعيف، أو مجهول في إسناد الخبر، أو كوجود انقطاع ظاهر بالإسناد. فهذه أمور فطرية يدركها من له أدنى بصر بعلم الرواية. إنما يقصدون بذلك هذا الذي يخفى عن الأعين ولا يكاد يُرى إلا بعد جهد. فكان كما قال السخاوي: «هذا النوع من أغمض الأنواع وأدقها ولذا لم يتكلم فيه كما سلف إلا الجهابذة أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب»^(١). فإن الخبر قد «يستجمع شروط القبول: من اتصال الإسناد، وعدالة الرواة، وضبطهم، فيُحكّم عليه ظاهراً بالقول: إسناده صحيح، لكن يقف الناقد على سبب غير ظاهر يرد الحكم بصحة الحديث، وقد يبلغ به الحكم بالوضع»^(٢).

ولهم في هذا الباب مسالك ودروب تكلم فيه القدماء والمحدثون، وكان من أهم مسالكه وصوره عندهم^(٣):

أ- التعليل بالتفرد^(٤): والتفرد في الجملة لا يعني رد الخبر. فالأفراد فيها: الصحيح، وفيها دون ذلك. والأصل في تفرد الثقات القبول، لا خلاف بين أهل العلم في ذلك. وإنما أكثر ما يكون التعليل بذلك عندهم في تفرد الصدوق عن مشهور من الثقات وليس هذا الصدوق من مشاهير أصحاب هذا المشهور، ولا من له عناية مخصوصة بمروياته ثم جاء عن هذا المشهور بما لا يعرف عند بقية أصحابه عنه. ويشتد هذا الأمر عندما يأتي الصدوق بما يخالف المحفوظ في باب الخبر المروي^(٥). وفي ذلك يقول مسلم^(٦):

«حُكِّم أهل العلم والذي نعرف من مذهبهم في قبول ما يتفرد به المحدث من الحديث، أن يكون قد شارك الثقات من أهل العلم والحفظ في بعض ما رووا، وأمعن في ذلك على الموافقة لهم، فإذا وجد كذلك ثم زاد بعد ذلك شيئاً ليس عند أصحابه قُبِلت زيادته. فأما من تراه يعمد لمثل الزهري في جلالته وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه وحديث غيره، أو لمثل هشام بن عروة،

(١) فتح المغيث ٦٧/٢.

(٢) تحرير علوم الحديث ٦٤١/٢.

(٣) من أهم مصادر هذا الباب: شرح علل الترمذي لابن رجب، وكتاب تحرير علوم الحديث، لعبدالله الجديع، ونظرات جديدة في علوم الحديث، لحمزة المليباري.

(٤) التفرد في الرواية أن يتفرد راوٍ بخبر لا يُعرف إلا به. ويعرف أيضاً عند القدماء بالغريب.

(٥) وهو ما يعرف بالتعليل بالمخالفة، وسيأتي الحديث عنه.

(٦) مقدمة صحيحه ص ٣.

وحديثها عند أهل العلم مبسوط مشترك قد نقل أصحابها عنهما حديثها على الاتفاق منهم في أكثره، فيروى عنهما أو عن أحدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحد من أصحابها، وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم فغير جائز قبول حديث هذا الضرب من الناس».

ويقول ابن رجب^(١):

«وأما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث - إذا تفرد به واحد - وإن لم يرو الثقات خلافه - : «إنه لا يتابع عليه»، ويجعلون ذلك علة فيه، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً، ولهم في كل حديث نقد خاص...».

ويقول أبو داود^(٢):

«فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك، ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم».

ب- **التعليل بالزيادة:** وهو أن يروي جماعة من الثقات حديثاً واحداً بإسناد واحد ومتن واحد، فيزيد بعض الرواة الثقات فيه زيادة لم يذكرها سائرهم^(٣). وقد تقع الزيادة في الإسناد، وقد تقع في المتن، وحصرها بعضهم^(٤) في خمس صور: ثلاث في الإسناد: وصلٌ مرسل^(٥)، ورفع موقوف أو مقطوع، والزيادة خلال الإسناد^(٦) - ومنه المزيد في متصل الأسانيد - وواحدة في المتن، وهي: زيادة الكلمة، أو الجملة أو أكثر، والخامسة مشتركة بينهما وهي: الإدراج.

ت- **التعليل بالغلط:** ويعود التعليل فيه إلى وهم ظاهر يقع فيه الثقة. ومن صورته: التصحيف في الأسانيد والمتون، ودخول حديث في حديث، والقلب في الإسناد أو المتن..

ث- **التعليل بالتدليس:** ومثاله خبر يرويه مدلس معنعنا، ويحفظ عنه كذلك، فيأتي من يخطئ، فيرويه على الوهم بصيغة الاتصال، في حين أن الصواب فيه كونه مُدَلَّسًا معنعنا.

(١) شرح علل الترمذي ٥٨٢/٢.

(٢) رسالة أبي داود إلى أهل مكة ص ٢٩.

(٣) شرح علل الترمذي (ط العتر) ٤٢٥/١، وتحرير علوم الحديث ٦٦٩/٢.

(٤) عبد الله الجديع، تحرير علوم الحديث ٦٧٠/٢.

(٥) المرسل عند القدماء يطلق على كل انقطاع في الإسناد.

(٦) بزيادة راوٍ فيه ليس موجوداً عند الآخرين.

ج - التعليل بالمخالفة: وهو كما ذكر الشافعي أن يحدّث الثقة بما يحدث الثقات بخلافه^(١).
ويوضح مسلم هذا النوع من التعليل بقوله^(٢):

«فاعلم أرشدك الله، أن الذي يدور به معرفة الخطأ في رواية ناقل الحديث إذا هم اختلفوا فيه من جهتين: إحداهما: أن ينقل الناقل حديثا بإسناد فينسب رجلا مشهورا بنسب في إسناد خبره خلاف نسبته التي هي نسبته، أو يسميه باسم سوى اسمه، فيكون خطأ ذلك غير خفي على أهل العلم حين يرد عليهم.. والجهة الأخرى: أن يروي نفر من حفاظ الناس حديثاً عن مثل الزهري، أو غيره من الأئمة بإسناد واحد، ومتن واحد، مجتمعون على روايته في الإسناد والمتن، لا يختلفون فيه في معنى، فيرويه آخر سواهم عن حدث عنه النفر الذين وصفناهم بعينه، فيخالفهم في الإسناد، أو يقلب المتن فيجعله بخلاف ما حكى من وصفنا من الحفاظ، فيعلم حينئذ أن الصحيح من الروايتين ما حدث الجماعة من الحفاظ دون الواحد المنفرد وإن كان حافظاً».

ومن أهم مباحث التعليل بالمخالفة عند أهل هذا الفن، مبحثا الشاذ، والمنكر. على اختلاف بينهم في تحرير معناه لفظاً، إلا أنهم اتفقوا جميعاً على أنها مخالفة راوٍ للمحفوظ^(٣). كما اتفق المتقدمون منهم على وجوب رد المنكر والشاذ من المروي قولاً واحداً لا يُعتد بواحد منهما إذا ثبت شذوذه أو نكارتة. ويعبرون عنه بقولهم: منكر، باطل، لا أصل له، وهو الراجح من القول^(٤).

٥. ظهور^(٥) الكتابة وبداية التصنيف:

وتمثل الكتابة جهداً من جهود علماء الإسلام في مواجهة الوضع في الرواية على صور، أهمها: أنهم لم يكونوا يكتفون بالسماع المجرد، وإنما تعدّوا ذلك، فاعتنوا بالتدوين، وجمع الأصول، فإن الحفظ يخون، بخلاف الكتاب، فإنه أصون وأبعد عن الخطأ والوهم. ولهذا، كانوا يرجعون إلى

(١) الرسالة ص ٣٧١.

(٢) التمييز ص ٨٥، ٩٠.

(٣) والمحفوظ عندهم يكون للصحيح وغيره.

(٤) وفي ذلك يقول الشافعي (الأم ٩/ ١٨٧): «فعليك من الحديث بما تعرف العامة - يعني جمهور أهل العلم - وإياك والشاذ منه» وقال أيضاً (الأم ٩/ ١٨٩): «فإياك وشاذ الحديث وعليك بما عليه الجماعة». ويقول مسلم (مقدمة صحيحه ص ٣): «وعلمة المنكر في حديث المحدث إذا ما عرضت روايته للحديث على رواية غيره من أهل الحفظ والرضا خالفت روايته روايتهم أو لم تكف توافقها. فإذا كان الأغلب من حديثه كذلك كان مهجور الحديث غير مقبوله ولا مستعمله». وراجع في ذلك أيضاً: الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات، لطارق عوض الله، ص ٧٨.

(٥) الظهور هنا معناه: سعة الانتشار وعمومه وغلبته.

الأصول والكتب إذا استنكروا ما يحدث به الراوي من حفظه، فإن وجدوا له أصلاً في كتبه عرفوا أنه صواب، وإلا فلا. و كانوا أيضاً إذا اختلفوا فيما بينهم في حديثٍ أو أحاديث، رجعوا إلى الكتب، فتحاكموا إلى ما فيها^(١).

ومن الأمثلة على ذلك ما قال الحسين بن الحسن المروزي: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول^(٢):

«كنت عند أبي عوانة، فحدثت بحديث عن الأعمش، فقلت: ليس هذا من حديثك. قال: بلى. قلت: بلى. قال: يا سلامة، هات الدرَج فأخرجت، فنظر فيه، فإذا ليس الحديث فيه. فقال: صدقت يا أبا سعيد..».

وقال يحيى بن معين^(٣):

«حضرت نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتاباً من تصنيفه. قال: فقرأ منه ساعة ثم قال: ثنا ابن المبارك عن ابن عون.. فحدثت نعيم: عن ابن المبارك، عن ابن عون أحاديث.. قال يحيى:.. لا والله، ما سمعت أنت هذا عن ابن المبارك، ولا سمعتها ابن المبارك من ابن عون قط.. فدخل - نعيم - البيت فأخرج صحائف، فجعل يقول وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمرير المؤمنين في الحديث، نعم يا أبا زكريا غلطتُ وكانت صحائفُ فغلطتُ فجعلتُ أكتب من حديث ابن المبارك عن ابن عون، وإنما روى هذه الأحاديث عن ابن عون غير ابن المبارك. فرجع عنها».

وقال ابن معين أيضاً في خبر رواه نعيم بن حماد قال فيه أنه سمعه من ابن المبارك. قال يحيى ابن معين^(٤):

«فقلت كَذِبٌ. فقال لي: اتق الله! فقلت: كَذِبٌ والله الذي لا إله إلا هو. فذهب، ثم لقيني بعد، فقال: ما وجدت له عندي أصلاً؛ فرجع عنه».

بل كانت الكتب حَكَمًا بينهم وبين الكذابين. وفي ذلك يروي الخطيب من طريق حسين بن حبان قال^(٥):

«قلت ليحيى بن معين: ما تقول في رجل حدث بأحاديث منكورة فردها عليه أصحاب الحديث إن هو رجع عنها وقال ظننتها، فأما إذ أنكرتموها ورددتوها

(١) الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات، لطارق عوض الله ص ١٧-١٨.

(٢) المجروحين ١/ ٥٤، والجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٣٩.

(٣) الكفاية للخطيب ١/ ٤٣٤.

(٤) تاريخ هاشم بن مرثد ص ٨٧.

(٥) الكفاية ١/ ٣٦١.

عليّ فقد رجعت عنها. فقال: لا يكون صدوقاً أبداً، إنما ذلك الرجل يشبهه له الحديث الشاذ والشيء فيرجع عنه. فأما الأحاديث المنكرة التي لا تشبهه لأحد فلا. فقلت ليحيى: ما يبرئه؟ قال: يُخرج كتاباً عتيقاً^(١) فيه هذه الأحاديث، فإذا أخرجها في كتاب عتيق فهو صدوق، فيكون شبه له فيها، وأخطأ كما يخطئ الناس، فيرجع عنها. قلت: فإن قال قد ذهب الأصل وهي في النسخ. قال: لا يقبل ذلك منه. قلت له: فإن قال هي عندي في نسخة عتيقة وليس أجدها. فقال: هو كذاب أبداً حتى يجيء بكتابه العتيق. ثم قال: هذا دين، لا يحل فيه غير هذا».

ثم كان من أهم صور جهدهم: التصنيف والتأليف في شتى أنواع معارف عصرهم، حفظت تراث عصرهم وعصر من سبقهم. وكانت جهودهم في التصنيف في مناح عدة، يخصنا هنا مجالات: - الأخبار والسير: ككتب المغازي، والسير، ومن أهمها (المغازي والسير) لابن إسحاق برواية وتصنيف تلاميذه عنه.

- كتب الصحاح والجوامع والمسانيد: وهذا لون من التصنيف يشترط نوعاً من الانتقاء والانتخاب وفق قواعد مخصوصة، الأمر الذي يفصح عن رقي في ألوان التصنيف في هذا العصر. - التاريخ والرجال: وقد تنوع التصنيف في هذا الفن ما بين، الحوليات، وتواريخ الرواة، ووفياتهم، وطبقاتهم، وكناهم، ومشتبه أسمائهم، وألقابهم، وأنسابهم.. حتى جعلوا لكل لون تصنيفاً أو عدة تصانيف.

- الجرح والتعديل: وهي تلك الكتب التي تبحث عن أحوال الرواة من حيث التوثيق والتضعيف للرواة.

- كتب العلل والنقد: وهي تلك الكتب التي اختصت بشرح قواعد نقد الرواية عند أهلها.

٦. وضع قواعد الكتابة والتدوين:

وذلك لصدور المكتوب من التصحيف والتحريف. وقد أظهرت جهودهم في هذا الباب مدى عنايتهم به، حتى صاروا فيه أعجوبة الأمم. ومن مظاهر ذلك عندهم: معارضة المكتوب

(١) العتيق أو المعتق عند أهل الرواية: هي الأصول الأولى للمحدث التي كتبها في بداية طلبه. فهي بذلك تسمى عندهم بالأصول أيضاً. وتتسم في الغالب بالدقة، لأنه يكتبها بنفسه ويقابلها على شيوخه إما عرضاً أو سماعاً. بعكس الفروع، وهي النسخ عنها، التي قد لا تكون في نفس دقة العتيق أو الأصل الأول. بل أحياناً يدخلها التزوير. وفي ذلك يقول الحاكم (معرفة علوم الحديث ص ١٦): «ثم يتأمل أصوله: أعتيقة هي أم جديدة، فقد نبغ في عصرنا هذا جماعة يشتركون الكتب فيحدثون بها، وجماعة يكتبون سماعاتهم بخطوطهم في كتب عتيقة في الوقت فيحدثون بها».

على أصله، وابتداع النقط والإعجام، واختراع قواعد للكتابة والإملاء مشهورة مبسوسة في كتب هذا الفن توضح لنا إلى مدى بلغت عنايتهم بما يكتبون^(١).

* * *

بقي بعد ذلك أمر لا يقل أهمية عما سبق، وهو بيان السبيل الذي سلكه علماء هذا الطور في سبيل تطبيق هذه الجهود المبتكرة، والاستفادة منها لكشف الزائف والموضوع من المروي.

وتتمثل أهمية التعرف على هذا الأمر في احتياجنا إليه لضبط هذه القواعد حتى نكون على بصيرة عند استخدامه والاستفادة منه الاستفادة المثلى من غير تحبط ولا اضطراب قد يكون له أثره السلبي على نتائج بحث أي قضية تخص تلك الفترة الخطيرة محل دراستنا.

وهذا السبيل عُرف عندهم بـ«الاعتبار»، وهو منهج يقوم على تتبع مرويات الباب الواحد^(٢) وجمعه بالاستقراء الكامل قدر الطاقة، ثم سبرها بعرض بعضه على بعض، لكشف مواضع الاتفاق والاختلاف، وبذلك يتم تشخيص الداء الذي يتم التعامل معه وفق قاعدته المصطلح عليها عند أهل هذا الفن.

لذلك كان الاعتبار عندهم ميزان الرواية الذي به يستبين المحفوظ والصحيح والثابت، من الغريب والمنكر والشاذ والباطل والموضوع. وسبيل ذلك عندهم - كما في لسانهم - جمع الباب. وفي ذلك يقول علي بن المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه»^(٣). وقال عبدالله بن المبارك: «إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض»^(٤). وقال يحيى بن معين: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه»^(٥). يعني لم يُدرك موضع الخطأ من الصواب. وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: «كل حديث لا يكون عندي من مائة وجه، فأنا فيه يتيم»^(٦). يريد طرقه وعمله واختلاف ألفاظه. وقال أبو بكر الخطيب: «السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه. وينظر في اختلاف رواته ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم من الإتيان

(١) راجع من أهم المصادر في هذا الباب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب، وأدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، والتصحيح، لأسطيري جمال، وتوثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، لموفق عبد القادر، وأنماط التوثيق في المخطوط العربي، لعابد المشوخي.

(٢) سواء كان هذا الباب يخص موضوعا بعينه، أو مرويات رجل بعينه.

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ٢/٢٣٨.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/٣٠٧.

(٥) المصدر نفسه ٢/٢٣٨.

(٦) تاريخ مدينة السلام ٦/٦١٩.

والضبط»^(١). وقال مسلم: «فبجمع هذه الرويات ومقابلة بعضها ببعض يتميز صحيحها من سقيمها»^(٢). ويقول أحمد شاكر: «والطريق إلى معرفة العلل: جمع طرق الحديث، والنظر في اختلاف رواته، وفي ضبطهم وإتقانهم، فيقع في نفس العالم العارف بهذا الشأن أن الحديث معلول، ويغلب على ظنه، فيحكم بعدم صحته، أو يتردد فيتوقف فيه»^(٣).

ويعتبر محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) من أهم من شرح الاعتبار عند القدماء إذ يبين وجهًا منه^(٤) بقوله^(٥):

«الإنصاف في النقلة في الأخبار، استعمال الاعتبار فيما رووا. وإني أمثل للاعتبار مثالا يستدرك به ما وراءه: وكأنا جئنا إلى حماد بن سلمة فرأيناه روى خبرا عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ لم نجد ذلك الخبر عند غيره من أصحاب أيوب، فالذي يلزمنا فيه التوقف عن جرحه، والاعتبار بما روى غيره من أقرانه، فيجب أن نبدا فننظر هذا الخبر، هل رواه أصحاب حماد عنه، أو رجل واحد منهم وحده؟ فإن وُجد أصحابه قد رووه، عُلم أن هذا قد حَدَّثَ به حماد، وإن وُجد ذلك من روايةٍ ضعيفٍ عنه، أُلْزِقَ ذلك بذلك الراوي دونه، فمتى صح أنه روى عن أيوب ما لم يتابع عليه، يجب أن يتوقف فيه، ولا يُلْزَقَ به الوهن، بل ينظر: هل روى أحد هذا الخبر من الثقات عن ابن سيرين غير أيوب؟ فإن وُجد ذلك، عُلم أن الخبر له أصل يُرْجَعُ إليه، وإن لم يوجد ما وصفنا، نُظِرَ حينئذ: هل روى أحد هذا الخبر عن أبي هريرة غير ابن سيرين من الثقات؟ فإن وُجد ذلك عُلم أن الخبر له أصل، وإن لم يوجد ما قلنا، نُظِرَ: هل روى أحد هذا الخبر عن النبي ﷺ غير أبي هريرة؟ فإن وُجد ذلك، صح أن الخبر له أصل، ومتى عُدِمَ ذلك والخبر نفسه يخالف الأصول الثلاثة، عُلم أن الخبر موضوع لا شك فيه، وأن ناقله الذي تفرد به هو الذي وضعه هذا حكم الاعتبار بين النقلة في الروايات..»

وهكذا كان منهج المتقدمين، فإننا في هذا المثال الذي ضربه لنا ابن حبان أمام إسناد ظاهره الصحة والقوة، إلا أن ذلك لم يشفع للخبر في شيء، إذ إن تَفَرَّدَ صاحبه به، ومخالفته للباب، أو ما اجتمعت عليه الأصول كما يقول ابن حبان، جعل ابن حبان يحكم عليه بأنه خبر «موضوع لا شك فيه»، فلم يقل فيه حسن، ولا ضعيف، ولا ضعيف جدا، ولا وإه.. بل موضوع قول واحد

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٣٠٧/٢.

(٢) التمييز ص ١٧٩.

(٣) الباعث الحثيث.

(٤) وهو ما سباه بالاعتبار بين النقلة.

(٥) صحيحه ١٥٥/١.

من غير مرية فيه ولا شك، على الرغم من خلو الإسناد من الكذابين. وهذا يعضد الشرط الذي قامت عليه الدراسة، وأن الوضع في الرواية يُطلق على العمد - بالكذب ونحوه - وغير العمد - بالخطأ والوهم والنسيان - سواء بسواء، وإن اختلفت العلة في الأولى والثانية. ولم يكن يتم لهم ذلك إلا بكثرة التنقيب والبحث والتفتيش. ولعل من أروع الأمثلة الدالة على مدى عناية أهل هذا الطور بهذا المنهاج ما رواه ابن حبان^(١):

«أن يحيى بن معين جاء إلى عفان ليسمع منه كتب حماد بن سلمة، فقال له: ما سمعتها من أحد؟ قال: نعم، حدثني سبعة عشر نفساً عن حماد بن سلمة، فقال: والله لا حدثتُك. فقال: إنما هو درهم، وأنحدر إلى البصرة وأسمع من التبوذكي. فقال: شأنك. فأنحدر إلى البصرة، وجاء إلى موسى بن إسماعيل^(٢)، فقال له موسى: لم تسمع هذه الكتب عن أحد؟ قال: سمعتها على الوجه من سبعة عشر نفساً وأنت الثامن عشر. فقال: وماذا تصنع بهذا؟ فقال: إن حماد بن سلمة كان يخطئ، فأردت أن أميز خطأه من خطأ غيره، فإذا رأيت أصحابه قد اجتمعوا على شيء علمت أن الخطأ من حماد نفسه، وإذا اجتمعوا على شيء عنه، وقال واحد منهم بخلافهم علمت أن الخطأ منه لا من حماد، فأميز بين ما أخطأ هو بنفسه وبين ما أخطئ عليه».

وكان من أهم ثمرات هذا المنهاج - الاعتبار - أنه يكشف أحيانا نكارة متن بعينه، رغم ثقة رجال إسناده^(٣)، وما ذلك إلا لمخالفته الباب الذي اجتهد الناقد في جمعه واستقرائه، فيرده الناقد واثقا أنه مردود ليس يصح قبوله بحال. وهذا ما عبر عنه بعض المتأخرين بقولهم: إن علم العلل لا ينضبط تحت قواعد مطردة، إذ ليس عندهم لذلك ضابط يضبطه^(٤).

وهذا عندي قول يجانبه الصواب، إذن لعل كل ناقد برأيه وإن خالف غيره بزعم أن هذا العلم لا ضابط له يضبطه من قواعد مطردة، وفي ذلك من الفساد ما فيه أن نفتح بهذا بابا لأصحاب الأهواء ليقولوا فيه برأيهم بحكم هذا الكلام غير الصائب، مدعيا علينا أنك كما وهبت العصمة لهؤلاء يقولون برأيهم فيما لا ضابط له يضبطه وهم بشر غير معصومين يصيب المرء منهم ويخطئ، عليك أن تفتح لي بهذا بابا وإلا جعلتهم بذلك في منزلة من يوحى إليه^(٥)!!

(١) المجروحين ١/ ٣٢.

(٢) هو التبوذكي.

(٣) يعبر بعضهم عن هذا الأمر بعبارة: «رغم صحة إسناده». وفي هذا نظر، إذ نكارة المتن تستوجب علة في الإسناد حتما وإن لم تتضح للناقد للوهلة الأولى.

(٤) انظر في ذلك على سبيل المثال: شرح علل الترمذي، لابن رجب ٢/ ٥٨٢، والعلة وأجناسها عند المحدثين، لمصطفى باجو، ص ٧٦. وراجع في ذلك أيضا: مقدمة الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٨.

(٥) ولا يصح الاحتجاج بقول بعض المتقدمين أن هذا الأمر إلهام. فإنه لا يعني بذلك منزلة من الوحي، وإنما مقصده من ذلك أنه شيء ينقدح في نفس الناقد بموجب معطيات منهاج الاعتبار من سعة حفظ، جمع به الباب بين يديه، الأمر الذي يدفعه لأن يرد على البديهة خبرا بعينه، سواء عليه بين نوع علة أم لم يبين.

والحق أن القدماء قد يردّون من المنكر ما لا علة له ظاهرة، ليس لأن هذا العلم لا ينضبط عندهم بقواعد مطردة، وإنما علتها عندهم اندرجت بالفعل تحت ضابط منهاج الاعتبار وقواعد العمل في ميدانه. فلفظُ الباب له وإنكاره إياه عندهم هو العلة، وإلا لا اضطرب الباب ووقع الخلاف بوقوع الشيء ونقيضه، وهذا لا يعقل^(١). فهم يبدأون في البحث عن علة ما ظاهرُ إسناده الصحة بعد لفظ الباب له بالاعتبار والسبر، فقد تكون ظاهرة، وقد تكون خفية، وقد لا يكون هذا ولا ذلك فيحملونه على ما جبل عليه ابن آدم من الخطأ والسهو والنسيان، فيقولون أخطأ فيه فلان، ووهم فيه فلان، ودلس فيه فلان.. على الرغم من أن فلانا هذا ثقةٌ غير مدلس. وهنا تكمن خطورة هذا الفن وصعوبته ودقته، وكذلك روعته. والأمثلة على ذلك عندهم لا حصر لها، إلا أن المقام يضجر بطول أكثر من ذلك في أمر يحتاج تفصيله إلى دراسة وحدها. ولكن أكتفي بنموذج واحد - من الفترة محل دراستنا - يوضح هذا الأمر بجلاء، وهو خبر أخرجه يعقوب الفسوي^(٢)، وغيره^(٣) من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، قال:

«مات رجل من المنافقين فلم يُصلَّ عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هو؟
قال: نعم، فقال له عمر: بالله منهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحدا بعدك».

فهذا خبر صحيح الإسناد، إلا أن ذلك لم يمنع الفسوي من إنكاره بل الظن في كونه مكذوبا موضوعاً، وما ذلك إلا لمخالفته لما عليه الباب، فأخرجه من قبيل الإنكار به على زيد بن وهب، وأنه تغيّر حفظه، فقال عقب تخريجه هذا الخبر: «وهذا المحال، وأخاف أن يكون كذب». وكيف يكون هذا وهو ممن رضي الله عنه، وهو من أهل بدر، وهو ممن يقول له النبي ﷺ: لو كان بعدي نبي لكان عمر. وقد كان يكون في الأمم محدثون وإن يكن في أمتي فهو عمر. مع ما لا يحصى من هذا الضرب، فكيف يجوز أن يقول لحذيفة: وأنا من المنافقين؟! ولكن حديث زيد فيه خلل كثير».

(١) من أبرز الأمثلة على ذلك ما سيأتي في باب هل أوصى النبي ﷺ لأحد بالخلافة لأحد من بعده. إذ يتفق الباب كله على أن النبي ﷺ مات ولم يستخلف، ثم تأتي رواية عند مسلم بزيادة في آخرها يستدل بها البعض على أن النبي ﷺ عهد لأبي بكر بالخلافة نصًّا! فهذا قول بالشيء ونقيضه، لا يصح القول به بحال. والتأويلات في هذا الباب من قبل أهل السنة لا تُقبل، وكان أحرى بهم أن ينهجوا نهج المتقدمين برد هذه الزيادة، فهذا خير لهم من تأويلات أوقعتهم في حرج، خاصة وأن هناك إشارات لبعض هؤلاء المتقدمين تشير من طرف خفي - لمن يتأمل - إلى ردهم هذه الزيادة بمقتضى منهاجهم في الاعتبار.

(٢) المعرفة والتاريخ ٧٦٩/٢.

(٣) كابن أبي شيبه في المصنف برقم ٣٨٥٤٥، ومسدد بن مسرهد (المطالب العالية برقم ٣٦٢٣).

وبقي من هذا الحديث شيء من الأهمية بمكان، وهو قبول المتأخرين لما أطلقوا عليه الصحيح لغيره، والحسن لغيره، وهو خبر يغلب عليه الضعف، يشهد لبعضه شاهد صحيح، فيحكمون على الأول بقولهم: «صحيح لغيره، أو حسن لغيره». وهذا أمر لم يصطلح عليه القدماء في المحفوظ عنهم من أحكامهم على الرويات، ولم نره في كتبهم، وإنما هو أمر ابتدعه المتأخرون واصطلحوا عليه، وقبلوا بموجبه أخبارا صح بعضها، وبطل أكثرها، أعرض عنها أكثر القدماء، ففتحوا - المتأخرون - علينا بذلك للمخالفين بابًا كنا أحوج إلى غلقه باتباع أساتذة علم الرواية الأقدمين ممن وضع أصوله، وبينوا فصوله.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك في باب الرواية التاريخية ما أخرجه أحمد^(١) (مختصرا)، والطبري^(٢)، من طريق أبي عوانة قال حدثنا داود بن عبدالله الأودي عن حميد بن عبدالرحمن الحميري قال:

«جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلّة بني ساعدة يبايعون رجلا منهم، يقولون: منا أمير، ومن قريش أمير. قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان، حتى أتياهم فأراد عمر أن يتكلم، فنهاه أبو بكر فقال لا أعصي خليفة النبي ﷺ في يوم مرتين. قال: فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئا نزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا، سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر، فبّر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال: فقال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء. قال: فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلا بياعك. فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني - قال: وكان عمر أشد الرجلين، قال: وكان كل واحد منهما يريد صاحبه، يفتح يده يضرب عليها - ففتح عمر يد أبي بكر، وقال: إن لك قوتي مع قوتك. قال: فبايع الناس، واستثبتوا للبيعة. وتخلف علي والزبير، واخترط الزبير سيفه، وقال: لا أغمده حتى يبايع علي. فبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فقال عمر: خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر. قال: فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تعبًا، وقال: لتبايعان وأنتما طائعان، أو لتبايعان وأنتما كارهان. فبايعا».

فهذا خبر على الرغم من انقطاعه^(٣)، ونكارة متنه، ولَفْظِ البَابِ له جملة وتفصيلا، حَكَمَ عليه محققو مسند أحمد^(١) - لوجود شواهد تشهد على بعض متنه - بقولهم: «صحيح لغيره». وهذا أمر

(١) المسند ١ / ٥ .

(٢) تاريخه ٣ / ٢٠٣ .

(٣) سيأتي تفصيل القول فيه .

لو ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم في هذا الموقف العصيب، لكان فصلا بينهم في تعيين خليفة رسول الله ﷺ، ولما أهمله عمر فيما صح عنه فيما أخبر به في آخر عمره عن يوم السقيفة كما سيأتي وأن بيعة أبي بكر كانت فلتة، ومنه قوله ﷺ عن أبي بكر يومئذ: « إنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا»^(١). ثم إن بيعة علي في هذه الرواية تناقض ما في الصحيح وأنه تخلف عن بيعة أبي بكر ستة أشهر^(٢)، فإن قليلا من التأمل يؤكد لنا أن هذا الخبر لا ينبغي له أن يكون صحيحا بذاته، ولا صحيحا لغيره، ولا حسنا بذاته، ولا حسنا لغيره، ولا ضعيفا ضعفا يُجبر، ولا ضعيفا ضعفا شديدا.. ما هو إلا منكر من القول وزور. وهذا هو الفارق بين منهاج المتقدم والمتأخر، وهو أن المتقدم ينظر إلى إسناد الخبر من خلال متنه في إطار الباب كله، بينما يكتفي المتأخر غالبا في نظره إلى إسناد الخبر المفرد مع إهمال الباب. الأمر الذي يؤدي إلى حدوث الاضطراب والخلط، بل قبول الشيء ونقيضه أحيانا.

ومن ثم، فهذا باب خطير يحتاج إلى روية ولطف نظر، حتى يُصدر حكما على رواية لا تصح بالصحة، أو بالصحة لغيرها، أو الضعيف المنجبر. فالأمر عندي في الرواية كما سبق وأوضحنا إنما هو باب يُجمع باستيعاب، ثم يُنقى صحيح إسناده من سقيمته، ثم مقابلةً بعد بين متونه، حتى نقف على المعنى الأتم المتسق مع صحيح الباب. والخبر عندي بعد ذلك ليس إلا مقبولا - وهو الصحيح في بابه - أو مردودا - وهو ما لا يصح^(٤) - سواء عليه ذلك المردود: صح بذاته، أو صح بغيره، أو حسن بذاته، أو حسن بغيره، أو ضعف ضعفا يسيرا أو ضعفا شديدا.. فالصدوق قد يخطئ، والثقة قد يدلس أو يدخل عليه، والضعيف بين أمرين: مخطئ وكذاب.. فالمرود إذن قد يكون مصنوعا بعمد، وقد يكون عن غير عمد. وعاصم ذلك كله ما كان عليه قدماء هذا الفن من جمع الباب، ثم براءة الأسانيد من العلل، والمتون من كل منكر. وما دون ذلك إنما هو التناقض، والخلط، والاضطراب، ثم فتح الثغر بعد الثغر للخصوم والمخالفين. وهذا أمر سيأتي عرض النماذج الكثيرة له رواية وتفسيرا بدءا من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(١) المسند ١/١٩٩ (ط الرسالة)، حاشية رقم ١.

(٢) انظر صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٣) انظر صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠، وسيأتي استيفاء تحريجه والكلام عليه رواية وتفسيرا.

(٤) ويشمل المنكر، والشاذ، والضعيف، والضعيف جدا، والموضوع..

ونخلص من هذا الفصل:

أن الوضع في أدق تعريفاته كما وضح من استقراء الكتاب والسنة الصحيحة ومن تتبع شعر العرب، هو: نسبة قول إلى غير صاحبه على سبيل العمد^(١) أو الخطأ^(٢).

كما ظهر لدينا كيف أن الكذب أو الوضع في النقل والرواية قديم قدم الدهر، وأن أول رصد تاريخي له كان في عهد بني إسرائيل بتحريفهم الكتب.

أما في تاريخ الإسلام، فقد تحددت ثلاثة عهود كانت بمثابة أطوار ثلاثة مرت بها حركة الوضع في تاريخ الرواية في الإسلام. أولها: يبدأ بعصر النبي ﷺ حتى أوائل عهد عثمان رضي الله عنه. وثانيها: منذ أواخر عهد عثمان حتى سقوط بني أمية. وثالثها: بداية العصر العباسي. وكان لكل طور سماته وخصائصه التي تم الحديث عنها.

وكان من أهم ما تطرق إليه الباب هو الكشف عن طرق الوضع وأسبابه، وكانت هذه الطرق محصورة بين الوضع العمد، كالكذب ونحوه. أو الخطأ بسبب من الوهم أو الغفلة ونحوهما.

ولكن أهم ما فيه على الإطلاق هو تلك الجهود التي بذلها المسلمون من أجل الحفاظ على نقاء مروياتهم وتراثهم. وتمثل ذلك عندهم في أعظم منهاج نقدي تفخر به بين الأمم جميعاً، ذلك المنهج الذي تمخض عنه علوم الجرح والتعديل، والرجال..

(١) كالكذب ونحوه.

(٢) بسبب من الوهم أو الغفلة ونحوهما.

الفصل الثاني

تفسير التاريخ

الاصطلاح والنشأة وأبرز مدارس

مدخل:

إن قضية الاصطلاح دائما تكون من القضايا التي يقع فيها الخلاف في أي علم، ذلك أنها مقيدة في الغالب بالاتجاهات الفكرية والمعرفية لأصحاب كل اصطلاح.

وعليه فسوف أعرض قضية اصطلاح التفسير في التاريخ من وجهة نظر أصحابها، ثم أقدم تعريفا جامعا مقترحا. ثم أعقب ذلك ببيان موجز عن أهم المدارس التي تناولت قضية التفسير من وجهة النظر التاريخية. ومن أهم ما سيعرضه هذا الفصل ويتصل بموضوع الدراسة هو التفسير الإسلامي للتاريخ الذي يمثل بمنهاجه وأصوله نسيج وحده دون غيره من المذاهب التي تكلمت في تفسير التاريخ.

المباني الأولى

تعريف مصطلح التفسير ومدلوله

هناك ثلاثة مصطلحات تقريبا تصب في معنى تفسير التاريخ وهي: التفسير، والتعليل، والفلسفة، فيقال: تفسير التاريخ، وتعليله، وفلسفته. وهي تجري جميعا في سياق معنى واحد متفق عليه عند تعريفه، وإن اختلفوا في ألفاظه.

وإني وإن كنت قد وقفتُ في تراثنا على مصطلح (التعليل) في التاريخ مرادفا لما يُعرف حديثا بـ(تفسير التاريخ)، و(فلسفة التاريخ) إلا أنني لم أقف فيه - أعني تراثنا - على معنى أو لفظ يربط التاريخ بكلمة (التفسير) على النحو الذي سوف يأتي تعريفه، إذ هو اصطلاح حادث أنشأه المعاصرون من المؤرخين المسلمين في مواجهة اصطلاح (فلسفة التاريخ) الذي نشأ في أوروبا إبان عصر التنوير خلال القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين.

وسبب التنوع في التعبير عن ألفاظ هذا المصطلح - رغم أنها تعني في الغالب شيئا واحدا - هو اختلاف المكان والزمان الذي نشأت فيه هذه الاصطلاحات. وفي ذلك يقول بعض أساتذتنا المعاصرين^(١): «من الجدير بالملاحظة أن هذا المصطلح (تفسير التاريخ) يُنظر إليه عند المؤرخين ومفكري التاريخ على أنه مرادف تماما لمصطلح (فلسفة التاريخ)، ولكن تراثنا الإسلامي، ولا سيما السلفي الحديث، يشعر بنوع من الحرج في استعماله لكلمة (فلسفة) بصفة عامة».

وإذا بدأنا بداية تاريخية نرصد فيها نشأة هذه الاصطلاحات وما تدل عليه، فإننا سوف نجد أن أول من تناول معنى هذا الاصطلاح بمدلوله المعاصر، هو ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته المشهورة وقد سماه (تعليلًا) إذ يقول: «هو - يعني التاريخ - في ظاهره لا يزيد على إخبارٍ عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتُضرب فيها الأمثال، وتُطَرَف بها الأنديّة إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرها الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحن منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيقة، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق»^(٢).

(١) عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي، ص ١٥.

(٢) المقدمة ١/ ٢٨٢.

ثم كان عصر النهضة الأوروبية، فكان اطلاعهم على تراث العرب عامة، وابن خلدون خاصة - في مجال الفكر الحضاري والاجتماعي - مؤثرا تأثيرا كبيرا في الفكر الأوروبي في هذا العصر خلال القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين. فقد ظهر فيه ما عرف بالفلسفة التنويرية الذين قاموا في الظاهر بنهضة فكرية حضارية شاملة في مجال الفلسفة والعلوم التجريبية في أوروبا، فكان من أهم فلاسفتهم المبرزين، الشاعر الفرنسي: فرانسوا ماري أرويه، المعروف باسم فولتير (Voltaire) (١٦٩٤-١٧٧٨ م) الذي قيل إنه استخدم مصطلح (فلسفة التاريخ)، لأول مرة في القرن الثامن عشر، في كتابه الموسوم (طبائع الأمم وفلسفة التاريخ)^(١). تلاه روبرت فلنت (Robert Flint) (١٨٣٨-١٩١٠ م) بكتابه (فلسفة التاريخ في فرنسا وألمانيا) الذي عده البعض أشمل الدراسات التي كتبت في فلسفة التاريخ^(٢).

أما قولهم (تفسير التاريخ) الذي أحدثه المعاصرون من المؤرخين المسلمين، فلا غرو أن يكون حدوثه بعد الاصطلاحين قبله، إذ كانت نشأته - كما أشرت آنفا - من أجل مواجهة هذا الاصطلاح الغربي (فلسفة التاريخ).

أما عن مدلول هذه الاصطلاحات، فإنه - كما ذكرتُ قبلاً - على الرغم من اختلاف ألفاظها، فإنها تكاد تتفق في معانيها، إذ هي في جملتها تحمل معاني متقاربة يمكن صياغتها في هذا التعريف المقترح بأن تفسير التاريخ هو: التلطف في تأمل الأخبار والوقائع التاريخية - بعد التثبت من صحتها - من أجل الوقوف على أسبابها ومُسَبِّباتها، بغرض استنباط السنن الحاكمة في مسيرة تاريخ الأمم والشعوب.

ويمكن توضيح جانب من هذا التعريف بقول: إنه ما من شيء - كما هو معلوم - إلا وهو محتاج إلى غيره. فالمحتاج إليه في وجود شيء يسمى سبباً أو علة، والشيء نفسه يسمى مُسَبِّباً أو معلولاً. ومن ثم، فإنه ما من شيء من الأشياء إلا وهو مُسَبَّبٌ عن شيء آخر من جهة، ثم هو سبب لغيره من جهة أخرى. غير أن عدد الأسباب الظاهرة للناظر تتناقص كلما أمعن التأمل حتى ترجع الأسباب كلها إلى سبب واحد، يسميه بعض المتكلمين بالسبب الواجب، أو واجب الوجود، ويقصدون به الخالق عَلَمٌ. ويطلقون على هذا الأمر اسم (قانون السببية)^(٣). ويعبر ابن

(١) دراسات عن مقدمة ابن خلدون، لساطع الحصري ص ١٧٤، وفي فلسفة التاريخ، لأحمد محمود صبحي،

ص ١٢٣، وفلسفة التاريخ من منظور إسلامي، لعبد الرزاق قسوم، ص ٨.

(٢) دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص ١٧٥.

(٣) راجع: المواقف، للإيجي ص ٨٥، وكبرى اليقينيات الكونية، لمحمد سعيد البوطي ص ٢٨٦-٢٨٧،

والسنن الإلهية في الأمم والأفراد، لمجدي عاشور ص ١٤٣.

تيمية عن ذلك بقوله: «فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات»^(١).

ويظهر من هذا التعريف اختصاص هذا الباب بما يعرف حديثاً بعلم الفلسفة، فهو باب من أبوابه، إذ لم تعد مباحثه من اختصاص المؤرخين فحسب، بل شاركهم فيه الفلاسفة والمفكرون من غير المؤرخين. فكانوا ممن شقق الكلام فيه، أبواباً، وفصولاً، فصنفوا فيه التصانيف المختلفة في مناهجها وتقسيماها باختلاف الزمان والمكان لكل باحث فيه.

ومن ثم، فعملية تفسير التاريخ إنما هي «اجتهاد بشري يمكن أن يخطئ ويصيب، كاجتهاد الفقهاء في استنباط الأحكام من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ويمكن أن تختلف فيه وجهات النظر كما تختلف وجهات النظر بين الفقهاء»^(٢).

إلا أنه ينبغي التنبيه في ختام هذا المبحث على وجوب الفصل بين تاريخ وضع الاصطلاح، وبين تاريخ مدلوله. ذلك أن دلالة الاصطلاح ومعناه يسبق بكثير المصطلح نفسه، وهو الأمر الذي سيتناوله المبحث التالي إن شاء الله تعالى.



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٠ / ٨.

(٢) حول التفسير الإسلامي للتاريخ، لمحمد قطب ص ١٩٦.

المبحث الثاني

نشأة تفسير التاريخ وأطواره منذ القدم حتى بعثة النبي ﷺ

على الرغم من حداثة اصطلاح (تفسير التاريخ)، أو (فلسفة التاريخ)، فإن مدلوله ومعناه قديم قدم الإنسان على الأرض، ذلك أن التفكير من خصائص الإنسان بموجب حقه في الاختيار. فهو أمر فطري يتصل بالإنسان منذ كلفه الله تعالى بعمارة الأرض، يبحث عن سر وجود الإنسان، ووظيفته في الدنيا. فهو مطالب بالنظر إلى هذا الخلق بأرضه، وسمائه، وما بينهما: مم خلق؟ ولم خلق؟ وما مهمته على هذه الأرض؟ ثم إلى أين يكون مصيره.. أسئلة عدة تحتاج إلى التأمل والنظر. قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]. ولكن من رحمته تعالى بخلقه أنه لم يتركهم هملاً. بل إنه لما خلقهم، جعل لهم العقول، فقال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]. وهداهم النجدين. فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۙ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۗ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠]. وأعانهم على ذلك بالأنبياء والكتب، فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ولكن أبقى كثير منهم إلا الضلالة، فنبذوا كتب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم بإغواء الشيطان، فقال: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩].

ومن ثم، فإننا سوف نجد أنفسنا بين طريقين لا ثالث لهما يمثلان منهجين متصارعين على مدار التاريخ كله: منهاج الحق، ويمثله الأنبياء ومن اتبعهم بما أنزل عليهم من الكتب. يقول تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. ومنهاج الباطل، ويمثله أولئك الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله، فاتخذوها آلهة من دون الله. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَىٰ هُونًا وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَٰمِرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والخلاصة: أنه لما وُجد الإنسان، وُجد معه النظر والتفكير، والتأمل والتعليل. وصدق من قال: «الإنسان هو الكائن الوحيد الذي له تاريخ.. إن الكائنات الأخرى لا تعقل تجربتها على الأرض، وبالتالي لا ينقلها جيل منها إلى جيل نقلا واعيا تتسع به مداركها في مواجهة ما يعترضها من الظروف.. فالحمار الأول لا يفترق كثيرا عن الحمار الأخير، لا في طعامه، ولا عاداته.. وفضلا عن كون تصرفاته تمليها الغريزة ولا مجال فيها للاختيار. وإن بدا لنا أحيانا أنه يختار، فخياراته - المحدودة النطاق - محكومة بالغريزة في النهاية، ليس فيها إرادة حقيقية ولا وعي. ومن ثم فإن الحمار ليس له تاريخ! ومثله بقية الكائنات.. أما الإنسان فهو من مبدأ حياته كائن له تاريخ. ليس فقط لأنه دَوَّنَ تاريخه بالفعل بصورة من صور التدوين، بالرسم على جدران الكهوف، أو بالكتابة على الجدران أو الأوراق، ولكن قبل ذلك لأنه الكائن ذو الوعي الذي يعقل تجربته على الأرض.. ومن خلال تراكم التجربة تنشأ له مواقف جديدة فيتكون له تاريخ»^(١).

وأيا كانت نظرة الأمم الأولى لتجاربها وخبراتها، سواء عليهم أهدتوا في نظرتهم تلك أم ضلوا، فقد كانت لهم تأملاتهم التي فسروا بها سرَّ وجودهم على الأرض، ودورهم فيها، وعلاقتهم بمفردات الكون الذي هم فيه..

وتمثل التأملات الفلسفية للحضارات السومرية، والفرعونية، والهندية، والصينية القديمة.. النشأة الأولى لمعنى تفسير التاريخ، أو فلسفته، وذلك بما قدمته تلك التأملات من تفسيرات لحقيقة الإنسان، وسر وجوده، وعلاقته بالكون المحيط به.. ومن يتلطف في تأمل (فلسفات) تلك الحضارات القديمة - سواء عليها ضلت أم اهتدت - يمكنه أن يتلمس بوضوح ذلك الخط الأول من نور الهداية الربانية الذي أودعه الله تعالى في نفس كل إنسان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ذلك النور الذي عززه الله تعالى ببعثة الأنبياء وإنزال الكتب.

فإن المتأمل لفلسفة هذه الحضارات يجد فيضا زاخرا من تفسيرات شتى في أمور علاقة الإنسان بمعبوده، وبأمور المبدأ والمعاد، والبعث والنشور، والفناء والخلود، فضلا عن النظرات الفلسفية في علاقة الأرض بالسماء، والإنسان بالكون وما فيه من كواكب، وأفلاك، ونجوم.. سجل أصحاب الحضارات القديمة ذلك كله - أو لمحات منه - على جدران المقابر والمعابد، ناهيك عن الألواح والكتب. ولكنه مع الأسف لم يصل إلينا منه إلا اليسير، إلا أنه كاف لكشف تلك الأصول الفكرية - أو الفلسفية - التي قامت عليها المحاولات الأولى لحركة تفسير التاريخ، كل وفق معطياته الدينية، والفكرية، والثقافية التي سادت في هذا العصر أو ذاك.

(١) حول التفسير الإسلامي للتاريخ، لمحمد قطب ص ٢٣-٢٤.

وإذا أطللنا على شيء من تلك التأمّلات الأولى في تفسير الإنسان الأول لتاريخه وعلاقته بالكون المحيط به، نجد أن الحضارة السومرية تلك التي نشأت في بلاد الرافدين ويعتبرها البعض أولى الحضارات البشرية ظهوراً على الأرض منذ الألف الرابعة قبل الميلاد أو يزيد^(١)، من أقدم الحضارات التي قدمت لنا تفسيرات مكتوبة لحركة تاريخ الكون في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ البشرية. والمذهل - لمن يقرأ شيئاً من تراث هذه الحضارة القديمة - وضوح هذه الصورة الشاملة التي قدمتها تلك الكتابات عند حديثها عن تاريخ الخلق، وتفسير علاقة بعضه ببعض من جهة، ثم علاقة الإنسان به من جهة أخرى. ولم تكتف بذلك حتى حددت للإنسان دوره في هذا الكون الفسيح.

والحقيقة أن إسهاب الكلام عن هذا الأمر في تلك الحضارة مهم جداً على اعتبار كون السومريين من أوائل الحضارات التي وقفنا على كتابات لها مسهبة في هذا الشأن. ولكن الإسهاب في هذا الشأن ليس من شرط هذه الدراسة، لذلك فسوف أكتفي بعرضٍ مختصرٍ في هذا الموضوع يوضح المقصود من هذا الأمر^(٢)، ثم نسقط هذه النتائج على خط النور الذي بُعث به الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

وتدور كتابات هذه الحضارة حول معاني كثيرة في تفسير أصل الخلق ونظامه وما يجري فيه. فالكون كله في أصله مخلوق من هذا الماء الأول، وكانت السماء ملتصقة بالأرض ثم فُتق هذا الرتق، لتكون السماء والأرض والأجرام بينهما، ثم أعقب انفصال السماء عن الأرض، خلق النبات، والحيوان، والبشر. ويرى صمويل كريمر حسب فهمه لنصوص ألواح هذه الحضارة وكتاباتها التي تجمعت لديه، أن الأسئلة الفطرية للبشر فيمن خلق الكون وأجرى نظامه، أجاب عنها لاهوتيّ سومر، باعتقادهم في آلهة خالدة لا تراها أعين الإنسان الفاني «تُسَيَّر الوجود وتسيطر عليه بموجب خطط مضبوطة، ونواميس معينة مقررة»، ذلك أنه «لما كان النظام الكوني أعظم جداً من جميع مواطن البشر كلها، فينبغي أن تكون تلك الكائنات أقوى وأعظم قدرة من البشر العاديين، ويلزم قبل كل شيء أن يكونوا خالدين، وإلا فإن النظام الكوني يؤول إلى فوضى واضطراب عند موتهم فتكون نهاية العالم»^(٣).

ويرى صمويل أن أصحاب اللاهوت السومريين يعللون انسجام ظواهر الكون والحضارة والعمران ودقة سيرها منذ القدم إلى وقتهم من غير تفاوت ولا اضطراب بسببٍ يطلقون عليه

(١) متون سومر، لخزعل الماجدي، ص ٩، ٢٧.

(٢) ويعد كتاب (من ألواح سومر)، لصمويل كريمر - وهو باحث أعجمي غير مسلم - (ترجمه طه باقر). من أهم الدراسات التي تكشف كثيراً عن هذا الأمر الذي نحن بصدد.

(٣) من ألواح سومر، صمويل كريمر، ص ١٥٥، ١٥٤.

اسم (مي) (me) وهي كلمة سومرية لا يزال معناها غامضاً، إلا أنها تعني بوجه عام «مجموعة من القواعد والنواميس المنظمة المخصصة لكل ظاهرة أو ماهية كونية، وكل ظاهرة عمرانية، من أجل أن تجعلها تسير وتعمل إلى الأبد بمقتضى الخطط التي وضعها الآلهة الذين وجدوا تلك الظواهر»^(١).

ويستطرد صمويل أيضاً أن حكماء سومر كانوا يعتقدون أن مصائب الإنسان وما يُبتلى به إنما هو نتيجة ذنوبه وخطاياها، وأنه لا يوجد إنسان مبرأ من الخطايا، ومن ثم فلا يلوم من الإنسان إلا نفسه، ولا يلوم من إلهه لأن ما أصابه فهو مستحق له بذنوبه وعصيانته^(٢).

أما الحضارة المصرية القديمة فإن بعض علمائها «يعتقد بحق أن المدينة المصرية التي ظهرت في فجر عصر الأسرات مباشرة لم تكن وليدة في عهد طفولتها، بل يرجع أصلها إلى أزمان سحيقة موعلة في القدم. وكذلك يعتقدون أن اتحاد البلاد الذي جاء على يد (ميناء) لم يكن الأول من نوعه، بل زعموا أن مصر كانت موحدة قبل ذلك، وكانت لها حضارتها الخاصة بها، ثم انفرط عقد هذا الاتحاد، وصارت مقسمة إلى مقاطعات حتى وحدها (ميناء) ثانية»^(٣).

ومع قدم هذه الحضارة أو تلك المدينة المصرية الأولى، فإنه لم يصل إلينا منها ما ينطق عليها. إلا أن علماء المصريين استطاعوا التطلع إلى شيء من تاريخ تلك الأزمان السحيقة وما بعدها عن طريق تلك النصوص والكتابات التي وصلت إلينا منذ ذلك العهد الذي سبق إطلاق البعض عليه عصر الاتحاد الثاني، وهو عصر (ميناء) فما بعده. وعهده عند العلماء هو بداية عصر الأسرات.

ومن أبرز كتابات ذلك العهد وما بعده التي كشفت شيئاً عن فكر وفلسفة المصري القديم ثلاثة: أولها: ما عرفها بعض علماء الآثار باسم (الدراما المنفّية) أو (تمثيلية بدء الخليقة). وهي عبارة عن وثيقة دونت في عهد فجر الاتحاد الثاني، أي في عهد تأسيس الأسرة الأولى على يد (ميناء) حوالي سنة ٣٤٠٠ ق.م)، ومن ثم فهذا المتن حوى في سطره «أقدم أفكار وصلت إلينا مدونة في تاريخ العالم لأقدم أقوام» - فهو - «أول بحث فلسفي عرف لنا»^(٤).

وأهم ما استنبطه العلماء من محتوى هذه الوثيقة «أنها محاولة لتفسير أصل الأشياء» وتمجد هذه الوثيقة (بتاح) العظيم «الذي نطق بأسماء كل الأشياء»، فهو إله الأرض، وأصل الخلق.

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) الأدب المصري القديم، ضمن موسوعة مصر القديمة، لسليم حسن ١٨ / ١.

(٤) المرجع نفسه ١٨ / ٧، ٨.

والعالم ما هو إلا مجرد صور ومظاهر لـ(بتاح)، الذي «أقام المدن، وأسس المقاطعات»، ووضع المعبودات في أماكنها المقدسة، وثبت دخلهم المقدس، وأعد محاريبهم، ونحت تماثيل لأجسامهم كما تحب قلوبهم من كل صنف من الخشب والمعادن والطين^(١).

يلي هذه الوثيقة وثيقة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها في كشف الكثير من جوانب الفكر المصري القديم، أطلق عليها الأثريون اسم (متون الأهرام). وهي نصوص وجدت منقوشة في ثمانية من أهرام سقارة التي كانت تعد جبانة منف القديمة. وفي رأي الأثريين أن من قام بنقش هذه النصوص هم طائفة من الفراعنة منذ عهد الملك الأخير في الأسرة الخامسة، ثم الملوك الأربعة الأول الذين خلفوه في الأسرة السادسة ثم زوجات (بيبي الثاني). وقد حكموا حسب ترتيبهم المذكور مدة قريبة من قرن ونصف قرن، تبدأ من حوالي سنة ٢٦٢٥ ق.م وتنتهي سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد. ويعتبر بعضهم هذه المتون «أهم مصدر يضع أمامنا صورة عن الحالة الدينية، والعقلية، والاجتماعية في تلك الأزمان السحيقة»^(٢).

تليها الوثيقة الثالثة، وهي كتاب (الخروج إلى النهار) المعروف حديثا باسم (كتاب الموتى). وهي عبارة عن بردية طويلة جدا، يبلغ طولها ثلاثة وعشرين مترا تقريبا، ويبلغ عرضها تسعة وثلاثين سنتيمترا. وقد دونت إبان عهد الأسرة التاسعة عشر (حوالي سنة ١٣٥٠ ق.م)^(٣). وتمثل هذه الوثيقة هي والتي قبلها أبرز معاني الإيمان المطلق بالغيب، ووجود الإله رب العباد، والمبدأ والمعاد، والفناء والخلود، والبعث والنشور، والحساب والجزاء.. بصورة توضح لنا هذه النظرة الفلسفية العميقة لدى أصحابها في علاقة الأرض بالسماء، والحكام بالإله. فالمعبودات هي سبب الوجود، ومصرفة الأقدار في البلاد والعباد، في الدنيا والآخرة. هي الرازقة، وهي النافعة، وهي الضارة، واجب على كل عبد أن يشكر فضلها، ويخطب ودها، ويسأل رضاها. وكذلك الحكام لهم من القداسة كتلك التي للمعبود، وهذه النظرة تجاه الحكام لا ريب أنها سيكون لها أثرها الضابط لعلاقة الحاكم برعيته، فهو رجل متصل بالسماء، له من الحقوق على رعيته تماثل تلك التي للإله على عباده أو تكاد.

أما عن الحضارة الهندية، فإن فلسفتها تُستنبط من كتابها (الفيدا) (Vedas)، ذلك الكتاب المقدس عند أصحابه. فهو روح الفلسفة الهندوسية وجامع أصولها في أقدم صورها. ويُرجع

(١) المرجع نفسه ١٨/٩-١١.

(٢) المرجع نفسه ١٨/٥٦-٥٧.

(٣) وهي الآن من محفوظات المتحف البريطاني، برقم (١٠٤٧٠)، باسم صاحبها (آني) كاتب القرابين المقدسة. انظر: كتاب الموتى ص ٥، ٧.

بعضهم تاريخ هذا الكتاب إلى سنة ١٥٠٠ ق.م^(١). ونصوص (الفيدا) عبارة عن أشعار في الحكمة وتمجيد المعبودات. ومعبودات (الفيدا) ليست موجودات ذات سمات بشرية، بل هي رموز للقوى الكونية، فهي التي تخلق الحياة وتدمرها، وتسيطر على فيض الوجود وغيضه^(٢).

ثم ألحقت بها بعد ذلك (فيما بين سنتي ٨٠٠-٥٠٠ ق.م) نصوص أخرى عرفت بـ(الأوبانيشاد). وأهم ما طرحه (الأوبانيشاد): (ما هي الطبيعة الحقة للواقع النهائي؟). إن طرح (الأوبانيشاد) هذا الأمر إذن يميز بين ما (يظهر) أنه واقع، وبين ما هو واقع حقا، ذلك أن المظهر لا ينظر إليه على أنه يكفي لتبرير وجوده الخاص، وإنما يعتقد على أنه يعتمد على واقع أسمى. فالبحث إذن لا ينصب في (الأوبانيشاد) على المحسوس (ما يظهر) من عالم الزمان والمكان، وإنما على الأسباب والشروط التي تجعل هذا العالم الظاهر أمرا ممكنا^(٣).

وتعد مدرسة (الساخايا) من المدارس الفلسفية الهندية التي تناولت قضية تفسير تاريخ العالم. إذ إنهم يرون أنه لا يمكن أن يكون وجود العالم ونظامه المطرد ناتجا عن المصادفة، بل إن ما يصيبه من حوادث متغيرة ومطرده ينبغي أن تكون لها أسبابها، وأن ما هو موجود أو سوف يوجد، إنما هو أثر لسبب سابق تستمد النتيجة سماتها منه. فالنتيجة إذن - في هذه النظرية - موجودة سلفا في سببها. ذلك أنه ما من شيء يحدث بغير سبب. ومن ثم فهذه النظرية تفسر عندهم شيئا من سر الوجود، وأنه لا يعقل أن ينبع الخلق من عدم، إذ كيف يُخلَق شيءٌ من لا شيء؟! فما ليس بوجود لا يمكن أن يتم إنتاجه، لأن هناك علاقة وطيدة بين السبب والنتيجة^(٤).

أما الحضارة الصينية القديمة، فإننا نجد هذا الشعور المتدفق بالانتماء إلى هذا العالم غير المتناهي، المنظور منه وغير المنظور. فهم كانوا يرون في الكون نبض الحياة، فكانوا يعاملون كل شيء فيه على أنه حي، وليس ميتا. « إن قداماء الصينيين كثيرا ما تحدثوا عن أرواح الأنهار والأشجار، ومعظم ما عداها من أشياء. وأسمى الأرواح منزلة هو (شانج تي)، (رب السماوات). وهناك زمالة^(٥) بين الناس وهذه الأرواح اللا بشرية تجري في المناسك الزراعية، والمنزلية، وفي الشعائر الدينية. وترامى الأمر في النهاية إلى أن أصبح الحاكم الأعلى للصين يلقب بلقب (ابن السماء) »^(٦).

(١) الفكر الشرقي القديم، لجون كولر، ترجمة كامل يوسف، ص ٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨٧-٨٨.

(٥) كذا في ترجمة النص، ولعله يقصد به معنى العلاقة.

(٦) التاريخ وكيف يفسرونه، ألبان ويدجيري، ترجمة عبد العزيز جاويد ١/٢٧.

ولكن مع ذلك فقد «ظل الشعب الصيني بأسره تقريبا على مدى تاريخه كله يمارس عبادة»^(١) الأجداد. وعبادة الأجداد تومئ إلى الإيمان بأن أرواح من ماتوا لا تزال تواصل العيش محتفظة بحاجاتها البشرية. ولن تتضح للأذهان أشكال القرابين، وزيارات المقابر، وشعائر الأسلاف المنزلية، إلا مقترنة بذلك المعتقد»^(٢).

وعلى أية حال، فقد كان من أبرز المذاهب الفلسفية التي نشأت وأثرت في فكر الحضارة الصينية، من حيث نظرتها إلى الإنسان وعلاقته بالكون خلقا وخالقا: مذهبا (التاوية)، و(الكونفوشيوسية)، اللتان شكلتا معا المصدر الرئيس بعد ذلك لما يعرف بالكونفوشيوسية الجديدة.

نشأ مذهب (التاوية) في ظل ظروف سياسية واجتماعية متردية للشعب الصيني في نحو القرن السادس قبل الميلاد، عانى فيها من سيطرة الإقطاعيين، فضلا عن العنف والتآمر الذين شكلا «الطابع السائد للساحة السياسية. وتغلبت النفعية على الأخلاق. وشكل الغش والخداع أساس المؤامرات التي حلت محل الحكم السياسي. وكانت عواقب هذه المؤامرات والحروب التي نجمت عنها، مما يتجاوز القدرة على التخيل، مما تمثل في الفقر والمعاناة والموت»^(٣).

وقد نشأ المذهب (التاوي) على يد (لاو تسو) (Lao Tzo) الذي ولد في أواسط القرن السادس قبل الميلاد. وقد أودع هذا الرجل خلاصة فلسفته كتابه (التاوي تشينج) (Tao Te Ching)^(٤). وتتلخص أهم آراء مذهبه في أن سبب الفقر والجوع حكام السوء، وأن الطمع والجشع سبب الحروب، وأن شهوة السلطة والثروة والمجد تجلب دمار المجتمع، وأن حيل البشر وأفاعيلهم تفضي إلى الشر والتعاسة. ويتعين عليهم للوصول إلى الرضا والسعادة أن يتبعوا طريق (التاو) الذي يدور الكون كله في فلكه، بل يكونوا وإياه شيئا واحدا، إذ إنهم جزء منه^(٥).

قلت: وكأنه بذلك يريد أن يرجع بالنفس البشرية إلى فطرتها الأولى، وإن كان ينزع في ذلك نزعة روحية صرفة يبتغي فيها تطهير هذه النفس من دنس المادة والسمو إلى تلك الحياة الروحية العالية. ومن يقرأ كتابه في (التاو) هذا يرى في مذهبه القول بوحدة الوجود، والحلول والاتحاد،

(١) أرى أن كلمة تقديس هنا أليق بسياق الكلام من كلمة (عبادة) وفرق بين الكلمتين. وراجع كتاب: التاو تي تشينج، ترجمة فراس سواح، ص ١١-١٢.

(٢) التاريخ وكيف يفسرونه، ألبان ويدجري، ترجمة عبد العزيز جاويد ١/٢٧.

(٣) الفكر الشرقي القديم، لجون كولر، ترجمة كامل يوسف، ص ٣٣٢-٣٣٣.

(٤) يعني: رسالة في التاو. وترجم عن الصينية عدة ترجمات بعدة لغات، ومنها ترجمة عربية نشرها فراس سواح.

(٥) انظر: التاو تي تشينج، ص ١٨، ١٩، والفكر الشرقي القديم ص ٣٧٤-٣٧٥.

الذي انتحله غلاة الصوفية في الإسلام بعد تقلبه عبر العصور والأمم قرونا طويلة تلقح فيها بكثير من الإضافات، حتى ألقى عصا التسيار في قلوب هؤلاء المغالين ممن تصوّف^(١).

وأيا كان الأمر، فهو يرى «أن الحياة المثالية هي الحياة البسيطة والمتناسقة. والحياة البسيطة هي الحياة العادية التي يتم فيها تجاهل الربح، والتخلي عن الحذق، وتقليل الأنانية إلى حدها الأدنى، وكبح جماح الرغبات.. وبناء على هذا فإن (التاوية) في جوانبها النقدية والسلبية تحلل العيوب والشور التي تواجه المجتمع البشري، وتصل إلى أنها تنبع في المقام الأول من وجهة النظر الخاطئة للإنسان والكون»^(٢).

أما المذهب الكونفوشي فقد ظهر على يد مصلح صيني يدعى كونفوشيوس (٥٥١-٤٧٩ ق.م)، في نفس الظروف السياسية والاجتماعية التي نشأت فيها الفلسفة التاوية. فقد كان هذا الرجل معاصراً لـ (لاو تسو) مؤسس مذهب (التاوية). وكان كونفوشيوس أصغر منه سناً. ويحكي بعضهم عن مؤرخ صيني قديم يدعى Ssu ma chien تكلم عن لقاء جمع كونفوشيوس، ولاو تسو، كان فيه كونفوشيوس زائراً للاو تسو، فعبر كونفوشيوس عن هذا اللقاء المؤثر بقوله: «اليوم رأيت لاو تسو، ولا أستطيع مقارنته إلا بالتنين»^(٣).

ولكن على الرغم من تشابه الفلسفتين في أصولهما، فإنها في نظر البعض: «تطورتا بطرق مختلفة تمام الاختلاف، بل ومتناقضة. فبينما شددت الكونفوشية على خير البشر الأخلاقي باعتباره مفتاحاً للسعادة، أكد التاويون على تناسق الطبيعة وكمالها»^(٤). وهذا الكلام يوضح لنا قوام المذهب الكونفوشي. فهو فلسفة إنسانية اجتماعية تدور في أساسها حول البشر ومجتمعهم، وليس الكون أو الطبيعة أصلاً فيها^(٥). فقد صب كونفوشيوس اهتمامه كله على السلوك الإنساني المجرد وجعله من أهم أولويات فلسفته. فاتجه بفلسفته نحو أخلاق البشر، وعلاقة بعضهم ببعض^(٦).

(١) إلا أن يكون يعني بهذا الاتحاد مع (التاو) الاستسلام لقدّره وأوامره وسننه التي يسير الكون وفق مشيئته فيها وأمره. وبذلك يكون في تشدد (التاوية) في هذا المذهب الروحي نزعة جبرية إن صح تفسيره هذا. وعلى كل، فإني ما زلت أصر على رأي رأيتُه قديماً، وهو أن هذه الحضارات وفكرها وعقائدها لا تزال في حاجة ماسة إلى دراسات واسعة، ولكن من وجهة نظر إسلامية حتى تُظهر لنا تفسيرات أقرب إلى الصحة من تلك التي نتجت عن دراسات الغرب الملحد.

(٢) الفكر الشرقي القديم، ص ٣٧٥.

(٣) انظر: التاوي تشينج، ص ١٨.

(٤) الفكر الشرقي القديم، لجون كولر، ص ٣٧٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٤٩.

(٦) التاريخ وكيف يفسرونه ٤٦/١.

ويرى بعض من اطلع على فلسفة كونفوشيوس أن الرجل كان يتجنب قدر استطاعته الخوض في أمور الغيب، وأن مبدأ فلسفة (التاوية) في وحدة الوجود واتحاده بـ(التاو) لم يرق لكونفوشيوس. ولكنه مع ذلك كان يعترف بوجود قوة تسيطر على حياة الناس، ومقدراتهم ينبغي الخضوع لها^(١).

أما الحضارة اليونانية القديمة: فإن البعض يعتبر (هوميروس) – في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد – بأعماله الأدبية التاريخية، وأهمها الإلياذة، والأوديسة، الإرهاصات التمهيدية الأولى لميلاد الفلسفة اليونانية القديمة، بما حوته تلك الأعمال من نظرات فلسفية^(٢). وقد بلغت فتنة اليونانيين بهذين العملين هوميروس أن جعلوها أساس التربية والتعليم في اليونان القديم، حتى سُمِّيَا بـ(إنجيل اليونان)^(٣).

وموضوع أحد هذين العملين – وهو الإلياذة التي تتناول حرب (طروادة)^(٤) الشهيرة في تاريخ اليونان نحو ١٢٠٠ أو ١١٠٠ ق.م – يقيمه بعض الباحثين بأن صاحبه لم يكن مؤرخاً فقط، بل حوى أثراً فلسفياً عميقاً في هذه المرحلة المبكرة، ذلك أن ما حدث في هذه الحرب لم يكن عند هوميروس نتيجة للصدفة العمياء، بل ثمة قانون وراء وقوع الحوادث، وأن هذه الحوادث لها أسبابها ونتائجها، «وأن يجب التسليم بوجود قوانين خَلْقِيَّة». وقد أدَّت تلك النظرة الفلسفية في هذا العمل بعض الباحثين إلى أن يَسَمَّها بفكرة القضاء والقدر، أو الجبر، التي رآها مسيطرة على أقاصيص هوميروس^(٥).

ولكن يعد (طاليس) بدءاً من القرن السادس قبل الميلاد، هو أول فلاسفة اليونان الفعليين، بل أول الحكماء السبعة. وليس يُعرَف الكثير عن هذا الرجل، إلا أن هيرودوت يقول بأصل فينيقي له. ويرجَّح أنه زار مصر ودرس فيها الهندسة^(٦). ومن أهم آراء هذا الرجل أن الماء هو مبدأ الأشياء، وأن هناك عقلاً إلهياً أوجد الأشياء من الماء. ثم هو بعد ذلك يرى أن في الكائنات قوى غامضة حية هي التي تحركها^(٧).

(١) التاريخ وكيف يفسرونه ٤٦/١، ٤٧.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، لمحمد علي أبو ريان، ص ٣٦-٣٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٧.

(٤) حرب طروادة أو حصار طروادة – مدينة في آسيا الصغرى – التي كانت بين الإغريق الذين حاصروا مدينة طروادة وأهلها ودامت عشر سنين، واحدة من أشهر الحروب في التاريخ وذلك لخلوها في ملحمتي هوميروس الإلياذة والأوديسة.

(٥) فجر الفلسفة اليونانية، لأحمد فؤاد الأهواني، ص ٢٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ٤٨.

(٧) فجر الفلسفة اليونانية، ص ٥١، ٥٤، وتاريخ الفكر الفلسفي ٦٠.

ثم نرى بعد (طاليس) فيلسوفاً آخر كان معاصراً لطاليس وصاحباً له، اسمه (أنكسمندريس)، ويقال إنه أول من دون الفلسفة. ومن أهم آرائه في تفسير وجود الخلق، أن العلة المادية، والعنصر الأول للأشياء هو (اللانهائي) وهو ليس ماء، ولا شيئاً من العناصر المعروفة، بل مادة مختلفة عنها، لا نهاية لها، وعنهما تنشأ جميع السموات والعوالم. فيقول: « (اللانهائي) هو المادة الأولى للأشياء الكائنة.. وهو الذي تعود إليه عند فنائها طبقاً للضرورة^(١).. فتخضع لحكم العدل^(٢).. هذا اللانهائي دائم أزلي، اللانهائي خالد لا يفنى^(٣)».

ثم يأتي أشهر مؤرخ عرفه العالم القديم (هيرودوت Herodotus) (٤٨٤ ق.م - حوالي ٤٢٥ ق.م) الذي يصفه بعضهم بأنه (أبو التاريخ). بكتابه المشهور باسم (ἱστορία) أو (historía) التي هي بمعنى (البحث أو الفحص والتمحيص)^(٤).

ويعد هيرودوت بكتابه هذا عند الباحثين المعاصرين أول مؤرخ تناول التاريخ كتابة وتفسيراً بطريقة منهجية ميزته عن غيره من سائر المؤرخين في العصور القديمة. ورصدوا من أهم مميزات هذا المنهج أنه لم يقتصر في كتابه على التاريخ السياسي فقط، بل اهتم أيضاً بالجوانب الحضارية منه. كما أنه لم يكتف بمجرد وصف الوقائع حتى ذهب إلى تحليلها وتفسير أسبابها. ذلك أنه يرى أن حوادث التاريخ نتجت عن بشر لها ما يبررها أو يبرر القيام في تفكير الإنسان. وهذا ما تؤكدته افتتاحية هذا الكتاب، وفيها: «هذه أبحاث هيرودوت الهاليكارناسي، كتبها ليبقى ذكر أفعال الرجال حياً، ومآثر الإغريق والبرابرة وأعمالهم المجيدة خالداً، وهدف منها توثيق أسباب النزاع بينهم^(٥)».

ولا يفوتنا في ختام هذا العرض الموجز لأهم النظرات الفلسفية القديمة التي مثلت اللبنة الأولى لفلسفة التاريخ وتفسير حوادثه أن نرصد هذا الأمر عند العرب في الجاهلية، فهذا أمر رأته مهملاً عند باحثي الشرق والغرب إذا تحدثوا عن هذا الباب الذي نحن بصددده، وكأن هؤلاء العرب لم يشاركوا الأمم قبلهم في هذه النظرة المعللة لسر الوجود، وعلاقة الإنسان به، وهذا - في رأيي - جور في حق هذه الأمة التي كانت لها من النظرات الفلسفية تجاه التاريخ الإنساني وعلاقته بالكون ما لا يقل عن غيرهم.

(١) كذا في الأصل مترجمة عن أصله الأجنبي، ولعله يقصد بذلك: (طبقاً لقاعدة الفناء وعودة الخلق إلى خالقه وجوباً) وكأنه في ذلك قولاً بوجوب البعث والإيمان به.

(٢) العبارة في الأصل مضطربة تبعاً لاضطراب الترجمة، ولعل ما استنبطته هو الصواب.

(٣) فجر الفلسفة اليونانية، ص ٥٧.

(٤) انظر: تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، ص ٢٢. وراجع ما سبق في معنى (التاريخ) في التمهيد.

(٥) تاريخ هيرودوت، ص ٢٩.

وقد سبقت الإشارة من قبل - عند الحديث عن نشأة الكتابة التاريخية عند العرب - أنهم كانوا قسمين: عرب الجنوب، وعرب الشمال. أما عرب الجنوب فأمرُ سجلاتهم وزُبرهم من الشهرة بمكان، وقد استفاد منها الحسن بن أحمد الهمداني (ت نحو ٣٦٠هـ) في تصانيفه، ومن أهمها كتابه (الإكليل). ولعل الدارس والمتأمل في هذه النقول التي نقلها الهمداني - ناهيك عن تلك النقوش اليمنية القديمة التي عُثر عليها وترجمت ونُشرت - يجد هذا الأثر الفلسفي في نفوس هؤلاء العرب، عند حديثهم عن معبوداتهم، وتأثيرها في كل جوانب حياتهم. فضلا عن سير ملوكهم.

أما عرب الشمال فقد كان في شعرهم وحكمهم أبلغ معاني النظرة الفلسفية تجاه الكون وعلاقتهم به. ولا غرو، فهي أمة بعث فيها الأنبياء والرسل منذ أزمنة سحيقة، كإبراهيم، وإسماعيل، وهود، وصالح، وشعيب - صلوات الله عليهم أجمعين - فعرفوا عن طريقهم الكثير من أسرار هذا الكون العجيب وخالقه، وأيضاً كثيرا عن أنفسهم عن السابقين قبلهم. فإن شعر الكثير منهم ينطق بهذا النظر الفلسفي العميق الذي يصف تجارب الأقدمين، والاستفادة منها، بما يدل حقا على أنهم لم يقلوا شأنا عن غيرهم من الأمم المعاصرة لهم في نظرتهم نحو التاريخ، وقدرتهم على تعليقه وتفسيره. فقد رأوا أن سقوط الأمم والدول سنة كونية حتمية، وأن الأيام دول، فالاغترار بالملك أمر مذموم لأنه لا يدوم، وإلا لدام لمن قبلهم ولما وصل إليهم. وفي ذلك يقول عمرو بن قميئة^(١):

قد كان من غسان قبلك	أملاكٌ ومن نصرٍ ذووهم
فتتوجوا ملكاً لهم همم	ففنوا فناءً أوائل الأمم
لا تحسبن الدهر مخلدكم	أو دائماً لكم، ولم يدم
لو دام لتبّع وذوي الـ	الأصناع من عادٍ ومن إرم

(١) ديوانه ص ١٨٩-١٩٠. والأبيات من بحر الكامل.

ويقول الأعشى الكبير^(١):

أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادَا
قَفَى عَلَى إِثْرِهِمْ قَدَارُ بَادُوا، فَلَمَّا أَنْ تَادُوا
طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهَا الْحِذَارُ وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ الْمَنِيَا
يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ وَحَلَّ بِالْحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ
لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ الْخِيَارُ وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَعُوا
جَائِحَةٌ عَقَبَهَا الدَّمَارُ فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي
مُؤَيَّدِ عَقْلُهُمْ جُفَارُ وَقَدْ غَنُوا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ
فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ، فَبَارُوا وَأَهْلُ جَوْأَتَتْ عَلَيْهِمْ
فَهَلَكْتَ جَهْرَةً وَبَارُ وَمَرَّ حَدُّ عَلَى وَبَارٍ

وشعر العرب في جاهليتهم ينطق بكثير من هذه الإشارات الفلسفية في نظرهم تجاه تاريخهم وتاريخ من قبلهم^(٢).



(١) ديوانه ص ٣٢١. والأبيات من بحر البسيط.

(٢) أحب أن أنوه على أنني بعدما بذلت جهداً ووقتها كبيرين في استقراء شعر العرب من أجل استخراج ما يدل على دورهم في مجال تفسير التاريخ، وقفت على كتاب اهتم بهذا الباب لعبد الغني أحمد زيتوني، بعنوان: الإنسان في الشعر الجاهلي. وفيه استفاض مؤلفه في الحديث عن مثل هذا الأمر عند العرب، وإن كان الكتاب لا يزال في حاجة إلى زيادة وتنقيح، إلا أنه رائد في بابه. من أجل ذلك أوجزت هنا أشد الإيجاز.

المبحث الثالث

تفسير التاريخ في الإسلام

يجوز كثير من الباحثين المعاصرين في حصرهم التفسير الإسلامي للتاريخ داخل مدرسة التفسير الديني للتاريخ، وذلك عند حديثهم عن مدارس التفسير المختلفة للتاريخ^(١). فالتفسير الإسلامي للتاريخ عندهم مجرد جانب من جوانب التفسير الديني للتاريخ، وليس منهاجا قائما بنفسه يعبر عن أصالة مصدره وتفرد بالحق من بين مناهج التفسير والفلسفات الأخرى: الروحية، والمادية. فالإسلام لم يعرف يوما الفصل بين الدين والدنيا. وما اعتبره الفلاسفة أمورا دنيوية يفسر بها التاريخ، هي - للمتشعب بروح الإسلام - من جملة الأمور المفسرة له في الإسلام أيضا. من أجل ذلك فصلت الحديث في شأن تفسير التاريخ في الإسلام عن بقية المدارس الفلسفية على غير المعتاد غالبا عند المعاصرين.

وهذا الجور تحف وطأته المؤلمة حين يكون مصدره حقد الأعداء وجهالتهم بهذا الدين. ولكن ما يزيد الشعور بالألم كون هذا الجور يشترك فيه الأبناء مع الأعداء. ومن ثم، فالألم مصدره - في رأبي - قسمة بين غفلة أو جهالة، وبين حقد أو عداوة.

أما عن سبب هذا الجور، فأمره عند المخالفين معلوم، وهو كما ذكرت، أنه واقع بين عداوة وجهالة. وأما سببه عند الأبناء فيتمثل في محاولتهم - على حين غفلة منهم - إسقاط هذه المناهج الوافدة بظروفها التي تمخضت ونشأت عنها، على واقع مخالف كل المخالفة في ظروفه، وعقيدته، وحضارته، وثقافته.

من أجل ذلك قدمت الحديث عنه قبل غيره من مدارس التفسير التي سيأتي الحديث عنها - ومنها مدرسة التفسير الديني التي تضم اليهود والنصارى - من أجل تقديم تمهيد أو توطئة يدرك بها القارئ الفرق بين تفسير التاريخ في الإسلام وبين غيره من مذاهب التفسير الأخرى الآتي الحديث عنها. فضلا عن أن مبدأ الإسلام في اعتقاد المسلمين الصحيح ليس ببعثة النبي ﷺ، بل هو دين الأنبياء جميعا منذ خلق آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، فهو دين الله في الأرض والسماء ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وإن اختلفت هذه الشرائع السماوية^(٢) ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا

(١) انظر المبحث الآتي: مدارس التفسير الوضعية ومناهجها.

(٢) وهناك فرق كبير بين قولهم (شرائع سماوية)، و(أديان سماوية) فإن السماء لم ينزل منها إلا دين واحد هو الإسلام بمفهومه العقدي الواسع الذي تقرره كتب العقيدة والتوحيد. أما الشرائع، فقد تعددت وتنوعت فروعها بالفعل.

مِنْكُمْ شَرَعَةً وَمِنْهَا جَاءَ ﴿ [المائدة: ٤٨]. إلا أننا ما دمنا نتكلم عن منهج الإسلام في تفسير التاريخ، فنحن إذن نتكلم عن منهج فكري عقدي أصيل تتفق في أصوله الشرائع كلها - وإن تعددت - بموجب اتحاد المصدر الذي صدر عنه هذا المنهج الواحد، وليس عن شريعة تخص فروع العبادة عند نبي واحد فقط هو النبي محمد ﷺ.

يرى البعض^(١) أن القرآن الكريم أول كتاب اهتم بالتاريخ عند المسلمين منذ بعث النبي ﷺ. والصواب في رأيي أنه أول كتاب اهتم بتفسير التاريخ، وليس بمجرد التاريخ. فالتأمل في القرآن يجد أن مجرد التأريخ والإخبار لم يكن من أولوياته ولا من غاياته، وإنما تفسير التاريخ هو أهم ما تناوله ونبه عليه من خلال آياته وقصصه وأخباره الكثيرة التي حوّاها بين دفتيه. فهو لم يكن تأريخاً بقدر ما كان تفسيراً للتاريخ.

فالقرآن الكريم عندي كما أنه كتاب تشريع، هو أيضاً كتابٌ في تفسير التاريخ، ومن ثم فهو ليس كتاباً في التاريخ، بل في تفسير التاريخ، والفرق بينهما كبير من حيث المنهاج والغاية. وهذا يحل مشكلات المعاصرين ويجيب عن سؤالهم الملح: لماذا لم يؤرخ القرآن للعصور السابقة واللاحقة كما أرّخت كتب سواوية أخرى؟ وبذلك يُرفع الحرج عن هؤلاء الذين تهبأوا للدفاع عنه بمحاولتهم أن يُثبتوا فيه ما ليس من منهاجه أصلاً - أعني القرآن - عند محاولتهم الرد على هؤلاء المخالفين.

وأحب قبل الخوض في أصول التفسير الإسلامي للتاريخ أن أرد أولاً على شبهة تثار بين الحين والآخر، وهي أن المسلمين لم يدركوا معنى تفسير التاريخ إلا في العصر الحديث بعد اطلاعهم على نتائج حركة النهضة الأوروبية.

وهذه شبهة سبق الرد على شيء منها عند الحديث عن القرآن، وأنه أول كتاب في تفسير التاريخ عند المسلمين. وأستطرد هنا قائلاً إن هذا الكتاب الحكيم فتح للمسلمين باباً لم يغلق أبداً في هذا الشأن، علّمهم فيه كيف ينظرون إلى تاريخهم وتاريخ من كان قبلهم على نحو لم يسبق له مثيل عند أمة سبقت، إذ هو آخر الكتب، بُعث به آخر الأنبياء لآخر الأمم وخيرها، خصها الله تعالى بكونها شاهدة على من سبقها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي السنة ما رواه البخاري وغيره من طريق أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمه فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم، أي رب. فيقول لأمه: هل بلغكم؟ فيقولون لا، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح: من يشهد لك؟

(١) انظر مثلاً: عبد الحليم عويس، تفسير التاريخ علم إسلامي، ص ٩٣.

فيقول: محمد ﷺ وأمة. فنشهد أنه قد بلغ. وهو قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. والوسط العدل^(١).

والشاهد في ذلك، أن الشهادة لا تجوز إلا لمن اطلع على أخبار هذه الأمم وأحوالها، وتاريخها وقصصها ومن ثم تصح الشهادة بعد ذلك لها أو عليها.

ولعل في قوله تعالى أمرا للمسلمين: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الروم: ٤٢]، خير دليل على أن تفسير التاريخ كان أمرا إلهيا، إذ إن في هذه الآية أمرا بالاعتبار والنظر في الماضي واستخلاص العبر التي تعين على فهم الحاضر. وهذا هو المعنى الحقيقي لتفسير التاريخ. وظن هؤلاء أن المسلمين لم يقدموا شيئا في تفسير التاريخ، ونسوا أن ما صنّفوه في كتب العقيدة والتوحيد والتفسير - على اختلاف مذاهبها ومناهج مؤلفيها - حوى الكثير والكثير من أصول وفروع هذا الباب. إذ إن هذه الكتب تقوم في أصل منهاجها على النظر إلى الكون وخالقه وعلاقة الإنسان بذلك كله، ثم تفسير ذلك كله في ضوء الكتاب والسنة. وكونهم لم يفرّدوا هذا الأمر بالتصنيف تحت عنوان من تلك العناوين التي عُرف به هذا الأمر في التاريخ الحديث، لا يعني أنهم لم يعرفوا هذا الباب.

وفي رأيي أن رؤية أصحاب هذه الشبهة من هذه الوجهة فيها جورٌ بين على المسلمين الأول أن نُحَكِّمَهُمْ إلى اصطلاحتنا ومناهج التصنيف المعاصرة. ومن ثم فإني أرى أنهم تناولوا هذا الأمر مفصلا ولكن من وجهة نظر مخالفة لما نحن عليه بعض الشيء، إذ إنهم رأوا ذلك يدخل في صميم العقيدة المكونة لفكر المسلم، أن يعتبر بقصص هؤلاء السابقين، ويبحث في أسباب هلاكهم، ويتعلم من ذلك كله ليستفيد منه في مستقبل أيامه، فردا كان أو شعبا، حاكما أو محكوما. فليس الحديث عن هذا الباب مجرد فلسفة تُقبل أو تُرد، يُتفق عليها أو يُختلف فيها، بل هي عقيدة راسخة، لا يحل لمسلم أن يهملها أو يتجاوز عنها.

فالمسلمون إذن ألفوا وكتبوا في هذا الباب أروع ما كتب، فالمشكلة إذن تكمن في أننا أخطأنا إصابة هذه المواضيع التي خصوها بالحديث عن هذا الباب بمقتضى الثقافة المعاصرة التي فصلت بين علوم وعلوم تبعا لتلك الثقافة الأعجمية التي نشأنا عليها وكانت سببا في هذا الشرخ الحاصل بين المناهج والعناصر المكونة لثقافتنا المعاصرة وبين مثيلاتها عند المتقدمين.

ولعل أبرز الأدلة على مدى إدراك المتقدمين لهذا الأمر وأنه كان واضحا لديهم - ولدى من خالط تراثهم وعقولهم - تمام الوضوح، عناوين تلك المصنفات التي عبرت بقوة عن نظرهم تجاه

(١) صحيح البخاري برقم ٣٣٣٩.

هذا الباب وأنه يخص عقيدة المسلم، فأغنتهم عناوين تلك الكتب عن تفصيل القول في كثير من بديياتٍ داخلية في أصول اعتقادهم، كان ذكُّها عند أكثرهم تحصيل حاصلٍ لدى المصنِّف والقارئ. فقد كان هذا الباب عندهم هو: (تاريخ الرسل والملوك)، و(مشاكلة الناس لزمانهم)، و(مرآة الزمان)، و(البداية والنهاية)، و(زاد المعاد)، و(سبل الهدى والرشاد) و(أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان)، و(العبر في خبر من غبر)، و(العبر وديوان المبتدأ والخبر)، و(اتعاظ الحنفا).. كان التاريخ عندهم هو الدنيا والآخرة.

وتفسير التاريخ في الإسلام يقوم على ثلاثة أركان، هي: الخالق ﷻ، ثم الكون، والإنسان. وأي إفراط أو تفريط في إدراك أيٍّ من هذه الأركان والعلاقة بينها، يؤدي إلى الانحراف حتماً عن المنهج الإسلامي الأصيل في تفسير التاريخ. وهذا ما وقع فيه أصحاب المذاهب الأخرى التي خالفت المنهج الإسلامي في تفسير حركة التاريخ الإنساني. حين أنكروا دور الوحي والعوامل الغيبية، وتطرفوا في اعتبار العوامل المادية.

ويستطيع الناظر إلى هذه الأركان الثلاثة أن يحدد معالم هذا المنهج المتفرد، إذ هو يجمع بين عاملَي الروح والمادة في عالمين لا ينفك أحدهما عن الآخر في مجال عملية التفسير، هما عالم الغيب والشهادة. وتفصيل القول في هذا الأمر يكشف لنا مدى الغبن والتشويه الذي تعرض له هذا المنهج حين تحكمت فيه مناهج الفلسفة الغربية الحديثة. ذلك أن إنكارهم لعامل الروح، وعالم الغيب أدى إلى تفرغ هذا المنهج الإسلامي من مضمونه، فصار لا معنى له، إذ أصبح قشراً فُرِّغ من لبابه. وفي المقابل، أدى إفراطهم في عامل المادة، وعالم الشهادة إلى قصور النتائج ونسبتيها.

ويعجبني في هذا المقام قول بعض الفضلاء من المختصين المعاصرين حين قال^(١): «لقد قامت دراسة الفكر الإسلامي في الجامعات المصرية حديثاً تحت اسم الفلسفة الإسلامية، هذا بالرغم من أن الإسلام ليس فلسفة، والفلسفة – أيا كان منشؤها واتجاهها – ليست إسلاماً. الفلسفة هي محاولة الفكر البشري الوصول إلى حقيقة الكون والحياة والإنسان.. في حالة يكون فيها^(٢) مستقلاً عن توجيه الوحي الإلهي غير مسترشد بما جاء فيه. والإسلام – كدين – هو عقيدة وشريعة، وكلاهما سماوي الأصل، إلهي الصبغة، رباني الأهداف. فلا يمكن بذلك أن يكون الفيلسوف إسلامياً إلا إذا كان الباحث مُسَلِّماً عقله وفكره ووجدانه لله، يهتدي بقرآنه، ويسترشد بسنة نبيه في الفكر والعمل. وحيث لا يكون الباحث فيلسوفاً، بل يكون مفكراً أو عالماً أو باحثاً مسلماً. كذلك لا يمكن أن يكون المفكر المسلم فيلسوفاً، لأنه لكي يكون فيلسوفاً، فيجب عليه

(١) فاروق أحمد الدسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، ص ٩.

(٢) يعني: الفكر البشري.

أن يعتمد على تفكيره العقلي المجرد، وتفكيره المنفصل من مبادئ الوحي والرافض ابتداءً لنصوصه وتوجيهاته، وحينئذ لا يكون مفكراً إسلامياً.

ومن ثم فإن هذه الأركان الثلاثة السابق ذكرها تجعلنا نضع أيدينا بقوة على أهم خصائص هذا المنهاج. فهو منهاج يوازن بين أصليين لا يمكن إنكار أحدهما على حساب الآخر، وإلا لاختل ميزان هذا المنهاج، أولهما: الإيثار بالغيب. وثانيهما: الاعتبار بعالم الشهادة. وبقدر إدراك التفاعل بين هذين الأصليين، تكون درجة التوازن، وقيمة النتائج.

وهذا هو الفارق بين الباحث المسلم، وبين غيره من أصحاب المذاهب الوضعية من حيث نظرة كل واحد منهما ومنهاجه تجاه هذه العوامل والأركان. ففي الوقت الذي ينظر الأول^(١) إلى تلك العوامل والأركان والعلاقة بينها على أنها سنن مطردة تسير وفق مشيئة ربانية، خارقة^(٢) أو جارية. يراها الآخر^(٣) أنها قوانين حتمية تحتكم إليها الطبيعة كلها بأسبابها ومُسبباتها قهراً وقسراً.

وفي ذلك يقول محمد رشيد رضا: «والماديون المنكرون لوجود الخالق والفلاسفة الذين يسمونه العلة الفاعلة للوجود يعبرون عن هذا النظام بنظرية (الميكانيكية) وهم يتكفون اختراع العلة والأسباب لكل ما يرونه مخالفاً لسننه المعروفة، ويسمون هذه الأمور المخالفة لها بفلتات الطبيعة، ويقيسون ما لم يظهر لهم تعليله على ما اقتنعوا بتعليل له وإن لم يقدّم عليه دليل يثبت، ويقولون: إن ما لم يظهر لنا اليوم فلا بد أن يظهر لنا أو لمن بعدنا غداً»^(٤). ثم يعقب هذا الكلام عنواناً يستطرد تحته كلاماً نفيساً: (سنن الله في عالم الشهادة وعالم الغيب) يقول فيه: «ونحن معشر المؤمنين بعالم الغيب وما فيه من الملائكة وهم جند الله الأكبر، وما لهم من التأثير والتدبير في عالم الشهادة المادي بإذن الله تعالى وتسخيره، نعتقد أن الله تعالى سُنناً في نظام ذلك العالم غير سننه الخاصة بعالم المادة، وأن الإنسان هو حلقة الاتصال بين العالمين. فجسده ووظائفه الحيوية من عالم الشهادة، وروحه من عالم الغيب..»^(٥).

ومن ثم ، فالذي أراه أن تلك السنن سواء كانت على العادة ، أو خرقت تلك العادة – فيما يُعرف بالمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء^(٦) – كلها في الإسلام سنن

(١) أعني الباحث المسلم.

(٢) أعني السنن.

(٣) أعني أصحاب المذاهب الوضعية.

(٤) تفسير المنار ١١/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٥) المرجع نفسه ١١/ ٢٢٤.

(٦) سواءً صحت تلك التسميات أم لم تصح. راجع في ذلك: مداخل إعجاز القرآن، لمحمود شاكر، ص ١٦،

١٩، وركائز الإيثار، لمحمد الغزالي، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

مطردة^(١) تسير وفق مشيئة الله ﷻ يصرف بها الكون كله خلقاً وإنشاءً، أمما وأفراداً، إعماراً وإهلاكاً.. ولا يدرك معنى ذلك بمعرفة متوازنة لا شطط فيها ولا مغالاة، إلا مسلم يؤمن بعالمي الغيب والشهادة إيماناً حقاً متوازناً من غير إفراط ولا تفريط. ولعل في تاريخ الأمم قبلنا تطبيقاً عملياً لما أقول بما جرى فيها من تلك السنن بقسميها. لا فصل في ذلك عندي بين الخارقة والجارية. وبسبب صعوبة هذا الأمر على الإنسان تسليماً وتصديقاً جعله الله تعالى شرطاً للإيمان

(١) على الرغم من اقتناعي بالفصل بين ما جرت به العادة من السنن وبين الخارقة منها، إلا أن بعضهم يخصص السنن المطردة فيما جرت به العادة، ويسمونها بـ(الجارية)، ويجعلون (الخارقة) استثناء. ولست أرى ذلك التمييز صائباً، وذلك وذلك وفق معطيات الكتاب و السنة، فإن الناظر إلى سننه تعالى في الأمم الغابرة، يجد أنها عمِلت - ولا تزال - فيها، بقسميها بطريقة مطردة. ومن أجل ذلك كان تحذيره جل شأنه من عاقبة البطر والظلم والفجور أن تجري في الأمم الحادثة سنته جل شأنه في الأمم الغابرة من الخسف والقصف والعذاب المهين بصورها الجارية أو الخارقة. بينما نجد في المقابل ترغيبه الأمم الحادثة أيضاً بسننه الجارية والخارقة لمن أطاع واتقى. فصور العذاب المختلفة، التي جعلها الله تعالى آيات للناس في كل العصور كان منها ما هو وفق المألوف والمشهود تبعاً للسنن الجارية، ومنها ما كان وفق العجيب تبعاً للسنن الخارقة، كالخسف، والصعق، والإغراق، فضلاً عما كان مع الأنبياء من الآيات وما أيدهم به الله من السنن الخارقة.. وفي الجهة المقابلة كانت صور النعيم وفق السنن نفسها بقسميها من الخير، والرزق، والبركة.. وعوامل ذلك كان منها المشهود ومنها الغيبي مثل ما كان في بني إسرائيل من أكلهم المن والسلوى، وتفجير أعين الماء، وفداء إسماعيل بالكبش العظيم، ونجاة إبراهيم من النار، ويونس من بطن الحوت.. ولم يجعل الله تعالى مخصوصاً بعصر دون عصر، بل قال في نموذج يونس: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وقال أيضاً: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَنظِّرِينَ﴾ [١٠٣] ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٢-١٠٣]. يعني أن مثل هذه السنن رغم كونها خارقة، إلا أنها مطردة لمن تحققت لديه أسبابها ووافق مشيئته جل شأنه. وما حديث الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار ببعيد عن تلك السنة المطردة في نجاة المؤمنين.. وهذا كثير مستفيض في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وسير الصالحين من الصحابة والتابعين. ورحم الله ابن تيمية حين قال: «ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا. ولولا القياس، واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها. والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره، كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة». (جامع الرسائل ١/ ٥٥). وأقرب من ذلك تلك النظرة لمحمد الغزالي رحمه الله حين قال: «وربما نتساءل: هل هذه الخوارق المصدوقة شذت عن قانون السببية؟ أم هي منسجمة مع قوانين أخرى لم نحط بها علماً؟ قد يكون هذا أو ذاك. فإن خالق الكون ومبدع نواميسه فوق هذه النواميس جل شأنه. إنه يحكمها ولا تحكمه، ويقف تنفيذها إذا شاء أو يمضيها في طريقه. ومن العلماء من يرى أن قوانين الكون لا تنخرم ولا تتوقف، لأنه هكذا شاء بارئها. وما يقع من خوارق إنما يتم وفق سنن كونية قد يكشف عنها العلم أو تبقى مستورة أبداً». (ركائز الايمان ٢٤١-٢٤٢).

الحق، فقال في مفتح كتابه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

ثم نبه بعدُ على أن العالمين معا - الغيب والشهادة - وما يجري فيها من سنن الخلق والعناية والتقدير والتدبير إنما هو من تصريف مشيئته وحده فيها ﴿عَلَّمَ﴾، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدِيرُ الْأُمُورَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٤-٧].

وعليه، فإن تفسير التاريخ في الإسلام، إذا أردناه أن يكون علماً منضبطاً صحيح النتائج، ينبغي أن ننظر إلى أصوله وفق قسمين من العوامل لا ينفك أحدهما عن الآخر: العوامل الغيبية، والعوامل المشهودة.

أولاً: العوامل الغيبية^(١):

ويمكن تعريف الغيب بأنه: ما أخبر عنه ولم يُر. وقد عرفه بعضهم بأنه «ما غاب علمه عن الناس»^(٢). قلت: وهذا تعريف قاصر، إذ إن وجود الله تعالى والملائكة، والجن والشياطين.. وأثر ذلك كله في عالم الشهادة، غيب مقطوع العلم به.

والعوامل الغيبية ليس في مقدور الحواس إدراكها، ولا يمكن للعقل أن يحيط بها، وإنما موقفه حيالها هو التلقي بالخبر الصادق، ثم الإيمان بالتصديق. ومن ثم فحقائق الغيب لا يمكن مناقشة أسبابها عقلياً أو منطقياً، وإنما يُنظر فيها كما هي، وليس للعقل تجاهها إلا محاولة الاستفادة منها كما هي عن طريق ربط المسببات بأسبابها، والاجتهاد في فهمها والتفقه فيها قدر الاستطاعة. وسبب ذلك هو قصور العقل البشري عن إدراك ذلك الغيب بكل جوانبه. وفي تكليفه بالبحث عن تلك الغيبات أمر لا يطيقه الإنسان، ولا يمكن لعقله أن يحيط به. لذلك لما كانت موضوعات الفلسفة المحضة هي نفس موضوعات الوحي ضلت وأضلت، ذلك أن الإنسان وضع عقله أمام موضوعات لم يخلق لها وليس من طاقته البحث فيها. فإن الله تعالى لو خلق

(١) راجع أهم ما كتب في هذا الباب: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، لمحمد رشاد خليل، دار المنار، القاهرة، ص ١٠٠، وكتاب القضاء والقدر في الإسلام، لفاروق الدسوقي - وهما من أهم ما استفدت منها في هذا الباب - وكتاب الإيمان بالغيب، لبسام سلامة، مكتبة المنار، الأردن، وكتاب أصول الإيمان بالغيب وآثاره، لفوز بنت عبداللطيف كردي، دار القاسم، الرياض. وهو في الأصل رسالة علمية (دكتوراه) في جامعة أم القرى.

(٢) المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، لمحمد رشاد خليل، ص ٩٩.

العقل البشري مؤهلاً لبحث هذه الموضوعات كما أرسل الرسل، ولما أنزل الكتب. فإرسال الرسل وإنزال الكتب لعلمه ﷻ أن الإنسان من غير الوحي لا هداية له إلى الحق والخير أبداً ما حيي.

وتعتبر المشيئة الإلهية العامل الغيبي المحرك للتاريخ كله، الإنساني والكوني على السواء. فهي التي تُسير الكون وفق سننه ﷻ بأسبابها ومُسبباتها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]. وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [الفصص: ٦٨]. وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. وهذا لا ينافي حرية الإنسان وأن له مشيئة، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. فقد جعل الله تعالى للإنسان حرية ومشيئة، إلا أنه قيدها بمشيئته وإذنه ﷻ، إن شاء أنفذها، وإن شاء منعها، فقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩]. وذلك أن الكون كله مقيد بسننه وحكمته تعالى فيها، وإلا لفسدت السموات الأرض أن ترك كلاً يعمل بهواه وعقله القاصر عن مدركات الكون بما يظن أنه الحق والصواب ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. فكل شيء في الكون متصل ببعضه، ويخدم بعضه بعضاً ﴿الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. وفساد الشيء منه يُفسد الجمع كله. فمن ثم كان تدخله بالدفع أو بالصرف إذا شاء حين يشاء منعا لهذا الفساد. فقال: ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. فمن أجل ذلك كان من شأنه جل وعلا أنه ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فهو أعلم بخلقه، وبما يصلحهم ويفسدهم.

وعليه، فاطراد السنن وثبات النظام لا ضامن له إلا الله وحده لا شريك له ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]. فاغترار الإنسان إذن بذلك الثبات حتى قال بعضهم بـ(الاحتمية) أمر لا يصح عقلاً ولا شرعاً. وتلك مشكلة أصحاب المذاهب الوضعية في تفسير التاريخ، حين اغتروا باطراد ظواهر عالم الشهادة حتى حسبوا ذلك حتماً على الخالق ﷻ. وذلك عند من كان يقول بوجود الإله - أو حتماً من طبيعة. فإن مُسِيرٌ ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى: ٣٢]، هو نفسه القائل: ﴿إِنْ شِئْنَا لَنُسَكِّنَ الرَّيْحَ فَيُظِلَّنَا رَوَاكِدَ عَلَيَّ ظَهْرِيَّةٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ..﴾ [الشورى: ٣٣]. فلذلك كانت

تفسيرات أصحاب هذه المدارس – ما بين مادية، وتجريبية، ومثالية.. إلى غير ذلك من تلك المذاهب الآتي الحديث عنها – في غاية الإشكال والاختلاف والقصور.

إذن فالخالق ﷻ هو الذي يقدر الأسباب فجعل منها المسببات، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨-٩]. فحين نجد أنفسنا عاجزين عن الوقوف على حقيقة الأسباب رغم إيماننا بآثارها الظاهرة، فإننا لا نجد مبررا عقليا تقوم به الأسباب إلا الله وحده. فالإيمان بالله الخالق المدبر هو الأصل الصحيح لتفسير حوادث الدهر، وإلا استحال ذلك – أعني التفسير – ضربا من العبث لا معنى له. وهذا سر اضطراب نظريات التفسير الوضعية وقصورها أن قصرت عن إدراك هذا الأصل. فمسيرة الكون ليست من تلقاء نفسها، فهي لا تستغني أبدا عن مدبر لها يدبر أمرها. ومن هنا تتضح لنا تلك العلاقة القوية بين الخالق والكون والإنسان التي عبر عنها ربنا في أكثر من موضع من كتابه بقوله: (جعل، وسخر). فحركة الدهر مرتبطة بحركة الكون، وكل في النهاية يسبح في فلك الله بمشيئته وإذنه، فهو الذي يُسَيِّرُ وَيُسَخِّرُ وَيُدَبِّرُ وَيَقْدِرُ.. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١].

وبناء على ما سبق، فواجب على المؤرخ أو مفسر التاريخ – ما دام مسلما – أن يعتبر أثر الغيب في حركة التاريخ إذا ثبت أثره، ولا يقتصر على مجرد العوامل المشهودة، وإلا فبم يفسر نبوة محمد ﷺ؟ وانتصار أهل بدر على من هم أكثر منهم عددا وعتادا! وحركة الفتوح الإسلامية! ومثل ذلك كثير في تاريخ البشر. وإهمال ذلك سيؤدي إلى خلل عظيم وفساد كبير في عملية التأريخ وتفسيره، وهو ما وقع لأصحاب المذاهب الوضعية ومن تبعهم. فهم قد فسروا الأولى بالعبقرية! والثانية بالإرادة! والثالثة برغبة التوسع وجلب المال! وهذا يخالف المنهج الإسلامي في التفسير جملة وتفصيلا، وصاحب ذلك على خطر عظيم، إن كان مسلما.

وليس فيما سبق ذكره وتأكيده ما يخالف المنهج العلمي كما يزعم البعض، ذلك لأن المنهج العلمي في الإسلام لا يجوز له بحال أن ينكر دور الخالق في وجود الأسباب والمسببات. هذا إذا أقمنا المنهج العلمي على قواعد ديننا لا على قواعد دين آخر أو ثقافة أخرى. فكم من ظاهرة كونية وإنسانية لا يمكن أن تخضع بحال لعالم الشهادة حتى يؤمن بها الإنسان فيفسر بموجبها تلك الظواهر. فهذه مغالطة من أسوأ المغالطات التي تصادم الفطرة السوية، والمنهاج القويم.

والشاهد على صحة هذا المنهج وأنه لا يناقض العقل – إذا صحت ثقافته – أولئك العلماء المسلمون الذين أبدعوا في حضارتنا كل إبداع في كافة مناحي الجوانب العلمية والثقافية، ولم يروا

في المنهج الإسلامي المعتمد على الإيمان بعالمي الغيب والشهادة أي عائق. فنرى في حضارتنا الفقيه المحدث المؤرخ، والمفسر الأديب، وهو في الوقت نفسه قد يكون طبيبا، أو كيميائيا، أو فلكيا..

ثانيا: العوامل المشهودة:

وهي الأمور المحسوسة بشيء من الحواس المعروفة لدى الإنسان، ويستطيع العقل إدراكها. وتلك التي تقتصر عليها مناهج جُل المذاهب الوضعية، ويطلق عليها (المادية). وهي - في رأي بعض المعاصرين - تدور عند أصحابها في فلك عاملين اثنين لا ثالث لهما: الإنسان. والظروف المحيطة به. أما الإنسان فباعتبار حرته عند قوم، وباعتبار خصائصه عند آخرين، وباعتبار موروثاته المكتسبة عند غيرهم. وأما الظروف، فهي تعني عندهم البيئة بمعناها الواسع الذي يشمل الجغرافيا، والعصر، والمجتمع بأشكال علاقاته المختلفة التي تشمل العلاقات السياسية، والاقتصادية، والتقاليد، والنظم، والثقافات..^(١).

وتلك كلها عوامل لا ينكرها المنهج الإسلامي، بل يقر بها ويشهد بدورها في التأثير في تفسير حركة التاريخ الإنساني على الأرض^(٢). أما حرية الإنسان، فقد سبق وذكرت أن الله تعالى وهب للإنسان نصيبا من الحرية، ويسر لها أسبابا تجري بالمقادير، وإلا فسدت الأرض. وبهذا القدر من الحرية يكون التكليف والثواب والعقاب في الدنيا والآخرة. فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]. وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُزِئْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقد بدأ التكليف للإنسان بمبدأ وجوده في الكون. وكان أول تكليف في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. وكان هذا أول اختبار وابتلاء لهذا القدر من الحرية التي وهبها الله تعالى للإنسان، وكان ذلك بدوره مبدأ عرض الأمانة على الإنسان، الذي قدّم نصيبه من الحرية في الاختيار حين عصى فعوى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوْءُ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾

(١) المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، لمحمد رشاد خليل، ص ١٠٨.

(٢) وهذا ما يميز المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ عن المذاهب الوضعية، فالإسلام يقر بتعدد العوامل المشهودة وتأثيرها في مسيرة تاريخ الإنسان، بينما كان أهم عيوب المذاهب الوضعية قولها بالعامل الواحد، ومن ثم تعددت مدارسه، فرأينا مدرسة التفسير المادي، والتفسير الجغرافي، والحضاري، والجنسي أو الغريزي.. وهذا - لا ريب - قصور في فهم التاريخ وتفسيره، أن تُحصَر العوامل المؤثرة في مسيرته بعامل واحد.

[طه: ١٢١]. وكان في ذلك أيضا إعمال أول سنة في بني آدم، ألا وهي سنة الابتلاء التي هي نصيبه من الجبر ﴿إِنَّمَا يَلْبُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ [النحل: ٩٢]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ...﴾ [الفجر: ١٥]. والتي ستلازم نصيبه من الحرية إلى قيام الساعة ﴿وَإِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

ومن ثم، فتاريخ الإنسانية كله يقوم على هذه السنة، سنة الابتلاء، وهي تمثل ذروة العلاقة بين الأركان الثلاثة: الله، ثم الكون، والإنسان. ذلك أن الابتلاء ما هو إلا تفاعل الإنسان مع هذه الأركان: مع مشيئة ربه بما يتبليه به من عناصر الكون الغيبية والمشهودة، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [فاطر: ٦] ﴿يَبْتَغِي أَدَمَ لَا يَفْنَدَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ...﴾ [يونس: ٢٢]. ثم بما يتبليه به من غيره من بني جلده أيضا، فابتلى الرسل بأمتهم، والحكام برعييتهم، والرعية بحكامهم، والضعيف بالقوي والقوي بالضعيف ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿رَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصِرَنَّكُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. وهذه حقائق قرآنية ثابتة بالكتاب والسنة.

وتلك السنة، وهي الابتلاء الذي هو صراع بين نصيب الإنسان من حرিতে، ونصيبه من الجبر، لا ريب أن كان له ثمنه الذي تميز به الإنسان عن غيره من خلق الله ممن نزع منه هذا النصيب من الحرية، وهو الثواب والعقاب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [١] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢].

وتعتبر النفس الإنسانية هي مناط الابتلاء بما أودع الله فيها من صفات الخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٢] ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]، ذلك أن النفس الإنسانية نسيج عجيب من أخلاق الكمال والقصور على السواء، وكأن في ذلك أثر امتزاج الروح بالمادة - الطين - فترى فيها الخبيث والطيب، والحسن والقيح، والخير والشر.. وغلبة شيء من هذه الأخلاق على غيرها أمر نسبي، يتغير بتغير عناصر الابتلاء على مر الأيام والليالي، في الأمم والأفراد. فإن «قلوب بني آدم كلها

بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»^(١)، ويوضح النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأى قلب أشرها نُكت فيه نكتة سوداء. وأى قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض. والآخر أسود مُربادًا كالكوز مُجْحِيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه»^(٢). ولذلك كان تحذيره ﷺ من فتن «كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا، ويمسى كافرا. أو يمسى مؤمنا، ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٣). ومن ثم كان تفسير التاريخ، الذي يقوم على رصد نتائج هذا الصراع المتغير باختلاف الزمان والمكان، واستنباط أحكامه للاستفادة منها.

وعناصر الابتلاء متعددة، فمنها ما هو كامن في النفس بموجب الجانب السيء الذي أودع فيها من الجزع، والشح، والضعف، وحب الدنيا وشهواتها.. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَامَسَّهُ الشَّرْجُوعًا ۝ وَإِذَامَسَّهُ الْخَيْرَ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١]، وقال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

ومنها ما هو خارج عنها كفساد المجتمع ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]، وتزيين الشيطان ووسوسته ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. وهكذا تعددت عناصر الابتلاء ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومن ثم، فإهمال هذه الحقائق القرآنية يؤدي إلى فساد عظيم في تفسير التاريخ. ومثال ذلك تفسير بعضهم حركة التاريخ الإنساني بأنها صراع بين الطبقات، فكانت النتيجة التي رأوها خيرا للبشرية نزع هذه الفوارق الطبقيّة بفرض الشيوعية أو الاشتراكية على الناس. فأدى هذا إلى خلل عظيم، وما ذلك إلا بسبب منافية هذا الأمر لحقيقة التفسير الإسلامي ممثلا في قوله تعالى: ﴿أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَمَنْ نَسِمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. ومثله ذلك المذهب الرأسمالي، حين أجاز احتكار المال لمن يقدر عليه، فأخل بحق الفقراء والمساكين فكان من جراء ذلك فساد أشد من سابقه.

(١) صحيح مسلم، برقم ١٤٤.

(٢) المصدر نفسه، برقم ٢٦٥٤.

(٣) المصدر نفسه، برقم ١١٨.

فأوجب الله تعالى لهؤلاء حقا على سبيل الفرض، وليس على سبيل المنّ، فقال: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]. فإنه جل شأنه أجاز للبشر امتلاك المال، بل نسبه لأصحابه بقوله ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾ ، ولكن في المقابل لم يُهمل حق الفقير والمسكين كما مر بنا.

وعليه، فإن أي تفسير للتاريخ يتعد عن تلك الحقائق التي قررها الكتاب والسنة يؤدي لا ريب إلى فساد كبير في المقدمات والنتائج.

وفي ضوء هذه المعطيات ينبغي أن يكون تدبير الإنسان لنفسه، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۗ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٥]. فلا ينبغي له أن يتعدى قدراتها وحدود فطرتها وتكليفاتها، وإلا ضل صاحبها وهلك، ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَآئِفَةٍ لَّنَا بِهِ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَمَّتْهَا﴾ [الطلاق: ٧]. وأن يعلم أنه مهما كان حرا مختارا أنه خاضع محتاج لا محالة لغيره: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. وأن حاجته لخالقه أشد ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وهذا كله يجرنا إلى أصل مهم يقرره المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ الإنساني، وهي أن وجود الإنسان على الأرض ما هو إلا من أجل مهمة واحدة خلق من أجلها يستوي فيها مع غيره من الخلائق جميعا، ألا وهي العبادة فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]،

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۗ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. فهو رغم ما أُعطي من نصيب من حرية إلا أنه داخل حتما في دائرة العبودية شاء أم أبى، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ﴿الَّذِينَ تَرَأَتْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]. إلا أن الفرق بين من شاء وبين من أبى، أن الأول مدعن لما أمر به وهو راض مختار طائع، فهو بذلك محقق لمعنى العبودية، جاعلا حياته كلها تدور في هذا النطاق ﴿قُلْ إِن صَلَآتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]. فهو يتعامل مع الأوامر والنواهي - التشريعات - على أنها أمر كوني يتساوى فيها مع بقية الخلائق، لا خيار له فيها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِّنَ

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿ [الأحزاب: ٣٦]، وهذا ما يسميه القرآن (إسلامًا)، وهو أن يسلم الإنسان إرادته ومشيتته حرا مختارا لله رب العالمين، فهو يتعامل مع القضاء التشريعي - أمرا ونهيًا - كأنه قضاء كوني ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ [آل عمران: ٨٣]، وذلك كمال الإيمان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿ [النساء: ٦٥] . ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [النور: ٥١] . ومن ثم تفضل الإنسان على بقية المخلوقات بالثواب في الدنيا والآخرة .

بيننا أساء الآخر - ذلك الذي أبى - استغلال نصيبه من الحرية في هذا الشأن فظن بجهله أنها تعني التفلت والإعفاء من كل تكليف، وأن له الحق في قبول ذلك أو تركه .

ولا شك أن كل ما سبق مؤثر في مسيرة دهر الإنسان . إذ إن تاريخ الإنسانية كله يدور - وفق المقادير - حسب تلك الاختيارات التي يختارها الإنسان تبعاً لتلك المشيئة المقيدة، ومن ثم يُصنع تاريخ البشر .

أما بالنسبة للموروثات فقد حَكَمَ الشارع العادة والعرف فيما ليس فيه نص حتى جرى ذلك قاعدة يحتكم إليها الفقهاء والأصوليون وعلماء الاجتماع بأن العادة محكمة، وأن المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً . ولكنه ﴿بَلَّغْ ذم من قدم العادات والتقاليد على أوامر الله ونواهيه، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَاتِ آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿ [البقرة: ١٧٠] .

أما الظروف المحيطة، أو البيئة كما سهاها البعض، فمن حكمة الله تعالى أنه خلق الإنسان من جنس الأرض التي يعيش عليها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿ [طه: ٥٥]، وذلك سبب التوافق بين الإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه، فهو - الإنسان - مؤثر فيه وكذلك محيطه يؤثر فيه أيضاً . ولكن الفارق أن الله خص بني آدم بالتكريم والتفضيل على كثير من خلقه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿ [الإسراء: ٧٠] . فبدأ خلقه من طين، سوياً متكلاً عالمياً بخالقه، مدرغاً لهذا الكون المحيط به ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿ [التين: ٤]، ثم جعل نسله بعد ذلك من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب . يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . وَيَدَّخُلُ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿[السجدة: ٧-٩]. في حين أهان الإنسان نفسه، وذلك حين جعل بدء نفسه بهيمة عجماء بكما جهلاء ثم جعل نسله من قرد مهين.

والخلاصة: أن تفسير التاريخ في الإسلام يحتاج إلى فقه وتبصر بسنن الله في خلقه، تلك السنن التي تقوم على ربط الأسباب بالمسببات، وربط النتائج بالمقدمات على نحو هو في غاية الثبات والدقة والاطراد. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. وإن أي تقصير في هذا الفهم أو الفقه بتلك السنن الشرعية التي ذكرت في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ سيؤدي حتما إلى نتائج مشوهة وهو ما تعاني منه الدراسات التاريخية المعاصرة، التي قامت على وهم (الموضوعية) و(التجرد)^(١)! وهذا زعم باطل، وضرب من الخيال لا حقيقة له في أي منهج يتسم بالعلمية أو المنهجية في مجال البحث التاريخي خاصة، والإنساني عامة. ذلك أنه ما من إنسان يدخل في قضية أو بحث أو مناظرة إلا وعنده انطباع بعينه يكون باعثا يدفع صاحبه للنظر في موضوع هذه القضية أو هذا البحث أو هذه المناظرة - وإلا ما اهتم بهذا الأمر أصلا - وهو بعد بين أمرين: إما أن ينافح عن انطباعه هذا وما يعتقد فيه أنه الحق، حتى يظهر له خلاف ذلك. وحينها، إما أن يدعن لدليل خصمه ويقبل الرأي المخالف على أنه الحق، ويترك ما كان عليه من الباطل. ويكون بذلك منصفًا أمينًا. وإما أن يجحد - بجهل منه أو بتعصب - دليل خصمه ورأيه. وحينها يكون مُصِرًّا على الباطل، مستكبرا، متبعًا لهواه. فلا هو على الحق، ولا اتبع ما عند خصمه من الحق.

ومن ثم، فزعمُ المنهجية العلمية في وجوب دخول الباحث أو المناظر موضوع بحث أو مناظرة مجردا من كل شيء حتى يتمكن من الوصول إلى الحق، زعمٌ باطل لا يمكن تحقيقه شرعا ولا عقلا! وهذه قضية خطيرة تناولها بعض المعاصرين الفضلاء^(٢). ومن أشار إليها د. عبد الوهاب المسيري وعزيز العظمة حين وضّحا المناصب الأولى، والأسس الحقيقية التي تقوم عليها في قولهما: «فهذا العلم - علم الاجتماع الغربي - شأنه شأن كل العلوم الإنسانية في الغرب، جزء من المجتمع الغربي، أُفِّقَه محدد بأفق مجتمعه في معظم الأحيان. ومرجعيته ومرجعية العلوم الغربية الإنسانية،

(١) وهو المنطق الذي نشأنا عليه منذ وعينا على البحث العلمي.

(٢) انظر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لمحمود شاكر، ص ٢٩، ٣١، ومنهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد ابن صامل السلمي، ص ١٤٨، ١٥٢.

ومنطلقاته ومنطلقاتها.. هي مرجعية ومنطلقات المجتمع الغربي^(١). ومما لا شك فيه أنها مرجعية ومنطلقات (علمانية). فعلى سبيل المثال ترى هذه العلوم: أنه يجب فصل الواقع (الحياة الدنيا) عن كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، حتى تصبح العلوم محايدة، خالية من القيمة (Value free). والخطاب التحليلي السائد في العلوم الإنسانية الغربية هو خطاب سيطرت عليه فكرة وحدة (أي واحدية) العلوم، والإيمان بأن ثمة قانونا واحدا يسري على الإنسان والطبيعة، ومن ثم فقد اتجهت العلوم الاجتماعية والإنسانية الغربية نحو النماذج الكمية والنماذج المادية لتركز الاهتمام على تلك الظواهر التي توجد داخل هذا النطاق وحسب^(٢).

إلا أن الإسلام في المقابل أمرنا بالأمانة، والعدل، والإنصاف^(٣) واتباع الحق – بالحجة والدليل – والإقرار بذلك والنطق به، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

مدخل إلى دراسة تاريخ الصحابة:

هذا أمر أردت أن أجعله فرعا من الحديث عن المنهج الإسلامي في تفسير التاريخ، إذ رأيت أنه داخل فيه، ذلك أن أولئك هم من أسس الله بهم تاريخ هذه الأمة، وهم من اصطفاهم الله ﷻ لحمل أمانة هذا الدين، فكان أليق الحديث عنهم هنا في هذا الموضوع.

ومن ثم، فإن سبب إدراج هذا المدخل هنا هو دخوله البديهي في عنوان الكتاب، إذ ما دمنا نتحدث عن علم التاريخ عند المسلمين، إذن فينبغي وضع قواعد وضوابط لدراسة هذه الفترة. وكذلك ينبغي أن يكون الأمر في كل عصر.

(١) ومن ثم، فهو تأكيد على خواء دعوى التجرد والموضوعية.. بل في ذلك هدم لتلك الكلمات الجوفاء من أصلها، إذ لا يمكن لأحد أن ينفك عن ثقافته ولسانه وعقله وما شابه ذلك من مكونات فكره التي نشأ عليها.

(٢) العلمانية تحت المجهر، ص ٢٨-٢٩.

(٣) وتلك هي معالم المنهج الإسلامي في البحث والمناظرة: الأمانة في النقل، والدقة في العرض، والإنصاف في النقد.. وذلك كله مع كون الباحث مسلما، يتكلم بلسان ثقافته، ودينه من غير تجرد من ذلك، بل يقبل ما يوافق دينه الحق وثقافته السوية، ويرد ما سوى ذلك. وهذا أيضا من الأمور التي تحتاج إلى دراسة مستقلة.

ولقد علمتُ أن أمرا كهذا لا تكفيه هذه المساحة الضيقة من هذا المبحث، فلقد فُصِّلت فيه دراسات مستقلة، وإذا أردت أن أوفيه حقه فلن أستطيع في هذه العجالة التي سأكتفي منها هنا بذكر مبادئ عامة موجزة تكون نبراسا لدارس التاريخ الإسلامي في هذا العصر، عصر الصحابة^(١).

وقد فُصِّلتُ هنا بين دولتين، الأولى: دولة الوحي والنبوة في عهد النبي ﷺ، والأخرى: دولة الخلافة الراشدة. ولهذا التفصيل دلالة عندي، ذلك أن الدارسين لهذه الحقبة - أعني عصر الصحابة بعد نبهم ﷺ - بين فريقين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ، فمنهم من برأهم من كل عيب ونقيصة متأولا لهم كل شيء حتى أضفى عليهم صفة العصمة وهو لا يشعر. ومنهم من أغرقهم بالتُّهم والآثام حتى خلع عنهم كل فضل فلم يعرف لأحدهم مكرمة.

وقبل كل شيء، وحتى تكون النتائج منضبطة، فإنه ينبغي لنا أولا أن نعي أننا نتكلم في ثلة من البشر ليسوا بأنبياء ولا معصومين. فهم إذن يصيبون ويخطئون. وهذا هو اعتقاد أهل السنة، وهو الحق إن شاء الله، ومن قال خلاف ذلك فقد افترى عليهم إثما مبينا^(٢). فهذه قاعدة عامة أرساها الشرع في البشر كافة من غير الأنبياء.

ولكن لا يعني ذلك أن نسلب ذوي المكارم منهم مكارمهم وفضائل خلعها الله عليهم ورسولُهُ، ومن يفعل ذلك فهو إما طاعن في الإسلام طبعاً، أو جاهل بفضلهم شرعاً. وكلاهما آثم، أن يتكلم أحداً في أحدٍ من غير معرفة الضوابط الشرعية لهذا الباب. وقد قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟.. ذكرُّك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(٣).

ومن أفضل مكارمهم دخولهم عامة في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم] ترثهم زكماً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطكهُ ففازرهُ فاستغلفهُ فاستوى على سوقهِ يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً ﴿ [الفتح: ٢٩]. وفي قوله ﷺ: «خير الناس - وفي رواية: أمتي - قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»^(٤).

(١) وذلك لحين التفرغ لدراسة مستقلة واسعة في هذا الباب إن شاء الله تعالى.

(٢) وفي ذلك إشارة إلى الشيعة الرافضة، الذين غلوا في دينهم غير الحق حتى ضلوا وأضلوا.

(٣) صحيح مسلم برقم ٢٥٨٩.

(٤) صحيح البخاري برقمي ٣٦٥٠، ٣٦٥١.

وكما سبق وأشرت، فهذه الخيرية لا تعني العصمة والبراءة من كل ذنب وخطيئة، فإن منهم من ارتكب الذنب في عهده ﷺ، والكبيرة من بعده، ومنهم من ارتد بعد وفاته ﷺ.. فجرد من معنى الصحبة الشرعية، وخرج من نطاق اصطلاحها. وهؤلاء وأمثالهم هم من قصدهم رسول الله ﷺ في قوله: «يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»^(١)، وفي رواية أخرى: «أنا فرطكم على الحوض، ولا يُرفَعَنَّ رجال منكم، ثم ليُخْتَلَجَنَّ^(٢) دوني، فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٣). وفي رواية مسلم: «ليردَنَّ على الحوض رجال ممن صاحبني، حتى إذا رأيتهم ورفَعُوا إِلَيَّ اخْتَلَجُوا دوني، فلاقولن: أي رب أصحابي أصحابي. فليقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٤).

وعلى أية حال، فإن من بقي منهم على دينه في عصره وبعد وفاته ﷺ فلم يبدل أو يُغيَّر فإنه على الأصل في هذه الخيرية وتلك العدالة التي خُصَّت بهم وبزمانهم في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٥)، ولا يباري في ذلك إلا جاهل أو جاحد، إلا أنهم كانوا مع ذلك طبقات عند الله وعند رسوله ﷺ، فليسوا جميعاً - ﷺ - طبقة واحدة، وهذا أمر كان يعلمه الصحابة أنفسهم تمام العلم^(٦).

(١) صحيح البخاري برقم ٤٧٤٠.

(٢) أي: يُنزعون أو يُجذبون مني. يقال: اختلجه منه: إذا نزع منه أو جذبته بغير إرادته.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٥٧٦.

(٤) صحيح مسلم برقم ٢٣٠٤.

(٥) صحيح البخاري برقم ٣٦٧٣.

(٦) وهذا واضح من حديث (لا تسبوا أصحابي) فإن النبي ﷺ كان يخاطب بهذا الحديث صحابة غير المقصودين في الحديث. وتمام الخبر كما في رواية مسلم [برقم ٢٥٤١] من طريق أبي صالح عن أبي سعيد قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحدا من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه». ويزداد وضوحاً فيما أخرجه البخاري في صحيحه [برقم ١٢٧٥] أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيَّ بَطْعَامٍ وَكَانَ صَائِماً فقال: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال - وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام». وكذلك ما رواه البخاري [برقم ١٣٣٧] عن أبي هريرة أن أسود - رجلاً أو امرأة - كان يقيم المسجد فمات، ولم يعلم النبي ﷺ بموته فذكره ذات يوم فقال: «ما فعل ذلك الإنسان». قالوا مات يا رسول الله. قال: «أفلا أذنتموني». فقالوا: إنه كان كذا وكذا قصته. قال فحقروا شأنه. قال: «فدلوني على قبره». فأتى قبره فصلى عليه.

يدل على ذلك هذا الخبر الذي أخرجه مسلم^(١) عن ابن شماسه المهري قال:

«حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، فحول وجهه إلى الحائط يبكي طويلا، وابنه يقول له: ما يبكيك، أما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا، أما بشرك بكذا؟ قال: وهو في ذلك يبكي ووجهه إلى الحائط قال: ثم أقبل بوجهه إلينا، فقال: إن أفضل مما تعد علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنني قد كنت على أطباق ثلاث: قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحب إلي من أن أستمكن منه فأقتله، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من أهل النار، ثم جعل الله الإسلام في قلبي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه، فقلت: ابسط يمينك أبايحك يا رسول الله، قال: فبسط يده، ثم إني قبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟ قال: فقلت: أردت أن أشرط، فقال: تشرط ماذا؟ فقلت: أشرط أن يغفر لي، فقال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، فقد رأيتني ما من الناس أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملا عيني إجلالا له، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء بعد فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني، فسنوا علي التراب سنا، فإذا فرغتم من قبوري، فامكثوا عند قبوري قدر ما ينحر جزور، ويقسم لحمها فإني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي».

وفي باب هذا الخبر ما أخرجه أبو داود الطيالسي^(٢)، وأحمد^(٣) وغيرهما عن أبي نوفل بن أبي

عقرب، قال:

«جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعا شديدا، فلما رأى ذلك ابنه عبد الله بن عمرو، قال: يا أبا عبد الله، ما هذا الجزع، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيك ويستعملك؟ قال: أي بني، قد كان ذلك، وسأخبرك عن ذلك: إني والله ما أدري أحببا كان ذلك، أم تألفا يتألفني، ولكنني أشهد على رجلين أنه قد فارق الدنيا وهو يجبهما: ابن سمية^(٤)، وابن

(١) صحيحه برقم ١٢١.

(٢) مسنده برقم ١٠٦٤.

(٣) المسند ٤/١٩٩-٢٠٠.

(٤) يعني عمار بن ياسر.

أم عبد^(١)، فلما حدثه وضع يده موضع الغلال من ذقنه وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، وكانت تلك هجيراً حتى مات».

ويفسر هذا وذاك ما رواه أحمد^(٢)، والنسائي^(٣)، والحاكم^(٤) عن الحسن البصري قال: قال عمرو بن العاص:

«إني لأرجو أن لا يكون النبي ﷺ مات يوم مات وهو يحب رجلاً، فيدخله الله النار. قالوا: قد كنا نراه يحبك، قد كان يستعملك قال: الله أعلم، أحبني أم تألفني، ولكننا قد كنا نراه يحب رجلاً. قالوا: من ذاك الرجل؟ قال: عمار بن ياسر. قالوا: فذاك قتلكم يوم صفين. قال: قد والله قتلناه»^(٥).

ففي هذين الخبرين دلالة على أن الصحابة طبقات عند الله وعند رسوله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ أحب قوماً مقطوع بغفران الله لهم، وتألف آخرين لا يُدرى ما الله صانع بهم. وقد يدل على ذلك قول الله عز وجل في وصف طبقات الصحابة ومعاصري النبي ﷺ وتمييزهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبَعُواهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ قوله تعالى ﴿وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٠-١٠٦]. فدللت الآيات على أصناف الصحابة ومن عاصره ﷺ، وأبرزهم المهاجرون، والأنصار، ومعلوم أن المهاجرين صفة من هاجر إلى المدينة حتى فتح مكة، إذ لا هجرة بعد الفتح^(٦)،

(١) يعني عبد الله بن مسعود.

(٢) المسند ٤/ ٢٠٣.

(٣) السنن الكبرى برقم ٨٢١٦.

(٤) المستدرک ٣/ ٣٩٢.

(٥) ذلك لفظ النسائي والحاكم، وأما لفظ أحمد: «قال رجل لعمرو بن العاص: رأيت رجلاً مات رسول الله ﷺ وهو يحبه، أليس رجلاً صالحاً؟ قال: بلى. قال: قد مات رسول الله ﷺ وهو يحبك، وقد استعملك. فقال: قد استعملني فوالله ما أدري أحبا كان لي منه، أو استعانة بي، ولكنني سأحدثك برجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين إن كان الحسن ابن أبي الحسن سمعه من عمرو بن العاص فإنه أدركه بالبصرة بلا شك». وقال الذهبي: مرسل.

(٦) أخرج البخاري في هذا الباب (بأرقام ٣٠٧٨، ٣٠٧٩، ٤٣٠٥، ٤٣٠٦) أن مجاشع بن مسعود جاء بأخيه مجالد إلى النبي ﷺ بعد فتح مكة فقال: «هذا مجالد يبائعك على الهجرة. فقال: لا هجرة بعد فتح مكة، =

والأنصار هم من نصروا الله ورسوله من أهل المدينة، فصار من البديهي أن المقصود بالتابعين في قوله ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ إنما هم من أسلم من بعد الفتح فما بعدهم، ومنهم - لا ريب - من رأى النبي ﷺ وصحبه، إلا أن الآية أخرجتهم من عموم إطلاق الرضا الذي كان مع المهاجرين والأنصار، وقيدت الرضا بمن اتبع منهم بإحسان، فاشترطت في فضلهم والرضا عنهم الاتباع بإحسان، وكأنهم لم يشفع لهم مجرد الرؤية، أو الصحبة^(١)، ولكن من قام بهذا الشرط منهم نال بلا شك فضيلة على من بعده بمقتضى حديث «خير الناس قرني».

وهذا أمر أدركه عمر رضي الله عنه تمام الإدراك عند قسمة العطاء بين الصحابة في خلافته، فقدمهم حسب مراتبهم ومنازلهم في الفضل والخيرية.

ومن فطن إلى ذلك البخاري في عنوان تاريخه المشهور بالتاريخ الأوسط، إذ سماه: (المختصر من تاريخ هجرة رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين بإحسان ومن بعدهم..).

ومن ثم، فلقد كانت منزلة السابقين إلى الإسلام أرفع ممن جاء بعدهم، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ولقد تبوأ أهل بدر مكانة لم تكن لغيرهم بعد ذلك حتى عهد عمر رضي الله عنه حين فضلهم على غيرهم. وفي ذلك يخبر معاذ بن رفاع بن رافع الزرقى عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة»^(٢).

ولكن آية ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ لا تعني الرخصة في أمور:

أولها: نفي الصحبة العامة عمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وليس من المهاجرين أو الأنصار، وإن كان منافقا، ما دام يظهر الإسلام. فقد أثبتها النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على معناها اللغوي في عبد الله بن أبي بن سلول في قوله: «دعه، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل

=ولكن أبايعه على الإسلام». وأخرج (برقم ٣٠٨٠) عن عائشة أيضا قالت: «انقطعت الهجرة منذ فتح الله على نبيه ﷺ مكة». وراجع في هذا الباب أيضا صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب لا هجرة بعد الفتح، وراجع فيه كذلك حديث رقم ٤٣١١.

(١) وقريب منهم هؤلاء الذين جاء ذكرهم في آخر الآيات، وهم أولئك الآخرون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا.

(٢) صحيح البخاري برقم ٣٩٩٢.

أصحابه»^(١). وهذا يفسر صنيع بعض مُصنِّفي كتب الطبقات والرجال حين ذكروا رجلا لا اتُّمِّمُوا في جملة تراجم الصحابة^(٢). ولا يعني قول مسلم^(٣) في أول كتابه الطبقات: «ذكر تسمية من روى عن رسول الله ﷺ من الرجال الذين صحبوه، ومن روى عنه ﷺ ممن رآه ولم يصحبه لصغر سن أو نأى دار»^(٤)، لا يعني قوله هذا إنكار الصحبة العامة، وإلا فهذا هو البخاري مر بنا أنه سمى تاريخه (المختصر من تاريخ هجرة رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين بإحسان ومن بعدهم..)، في حين بوب في أول كتاب فضائل الصحابة من صحيحه: (باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه)^(٥).

ثانيها: سب أو لعن من دون المهاجرين أو الأنصار، حتى وإن ارتكب الكبيرة، إذ لا دليل على ذلك من كتاب أو سنة، بل ورد الدليل بخلافه في قوله ﷺ: «إن المؤمن ليس باللعان، ولا الطعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(٦)، وأخرج البخاري أن رجلا على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارا، وكان يُضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي ﷺ: لا تلغوه، فوالله ما علمت أنه يجب الله ورسوله»^(٧). بل حتى وإن أتهم بالنفاق، ما دام يُظهر الإسلام، إلا أن يدل على ذلك نص بالتعيين – ولا يكون ذلك إلا في عهده ﷺ^(٨) – إذ لم يؤثر عن النبي ﷺ سنة في لعن أعيان المنافقين وسب آحادهم. وإلا فُتح على المسلمين باب لا ينقضى في اللعن والسب كل حسب مفهوم النفاق لديه. وقد جاء في الصحيح أن صحابة

(١) راجع تمام الخبر وقصته في صحيح البخاري برقمي ٤٩٠٥، ٤٩٠٧.

(٢) انظر على سبيل المثال ترجمة الضحاک بن خليفة عند ابن سعد في كتابه (الطبقات ٤/٢٣٩)، فقد جعله في الطبقة الثانية من الأنصار ممن لم يشهد بدرا وشهد أحدا. قال في ترجمته: «كان مغموصا عليه». وكذلك صنع مع سعد بن زرارة (انظر الطبقات ٥/٣١٧).

(٣) وكذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل في قوله في أكثر من موضع: له رؤية وليست له صحبة.

(٤) الطبقات لمسلم ١/١٤١.

(٥) الصحيح بعد حديث رقم ٣٦٤٨.

(٦) أخرجه أحمد ١/٤١٦، والبخاري في الأدب المفرد برقم ٣١٢، وابن حبان في صحيحه برقم ١٩٢.

(٧) صحيح البخاري برقم ٦٧٨٠.

(٨) كما كان مع الحكم بن أبي العاص، إذ ثبت لعنه على لسان رسول الله ﷺ فيما أخرجه أحمد (المسند ٢/١٦٣) أن عبد الله بن عمرو، قال: «كنا جلوسا عند النبي ﷺ، وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلاحقني، فقال ونحن عنده: ليدخلن عليكم رجل لعين. فوالله ما زلت وجلا، أتشوف داخلا وخارجا، حتى دخل فلان، يعني الحكم».

اجتمعوا ، فقال قائل منهم: «أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله، يريد بذلك وجه الله. قال الله ورسوله أعلم . قال فإننا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين. قال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»^(١).

ثالثها: تكفير من دون المهاجرين أو الأنصار، إلا من ثبتت رِدَّتُه^(٢)، أو أثر عن النبي ﷺ فيه خبر يدل على ذلك في حياته أو بعد وفاته ﷺ، مع جواز تحطئة أفعالهم، ونقد تصرفاتهم، ووصف هذه الأخطاء بأوصافها إذا استوفت معانيها في الشرع، صغيرة كانت أو كبيرة^(٣)، تحقيقاً لأصل عدم العصمة في حقهم، إذ تجوز عليهم الذنوب بصغيرها وكبيرها، ولكن لا نقطع بكفر واحد منهم، ولا بعذاب الله له كما نقطع بالغفران والجنة للسابقين من المهاجرين والأنصار، فإنما قطعنا لهؤلاء بالغفران والجنة بمقتضى إخبار الكتاب والسنة، في حين يُرد أمر أصحاب الذنوب والأخطاء من الصحابة من غير المهاجرين والأنصار إلى الله، كما قال عز وجل ﴿وَأَخْرُوتَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]، إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، مع قَطْعِنَا بوصف أخطائهم بصفاتهما إذا استوفت تلك الصفات، كبيرة كانت أو صغيرة.

وأما عن خطأ من أخطأ منهم - في غير رِدَّة أو فسق^(٤) - متأولاً من غير عمد، فينبغي التنبيه مرة أخرى على أنه ليس لواحد من الصحابة عصمة تعصمه من الخطأ، وخطأ المتأول منهم إذا كان عن اجتهاد شرعي، فصاحبه مأجور، وقد قال رسول الله ﷺ «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^(٥). فهم قد أصابوا وأخطأوا، ولكل أجره.

ولابن عبد البر كلام نفيس ونُقُولٌ مهمة في هذا الباب أنقلها بطولها لأهميتها، حيث قال:

(١) صحيح البخاري برقم ٤٢٥.

(٢) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

(٣) كالزنا، والقذف، وشرب الخمر، وقتل نفس بغير حق.. وهذه الذنوب وأشباهها لا يجوز التأول ولا الاجتهاد فيها بحال، إذ هي من المعلوم من الدين بالضرورة.

(٤) ومن الفسق ارتكاب الكبائر السابق عرض بعضها.

(٥) صحيح البخاري برقم ٧٣٥٢.

«اختلف الفقهاء في تأويل هذا الحديث.. وقال الشافعي رحمه الله ومن قال بقوله: يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ؛ لأن الخطأ في الدين لم يؤمر به أحد وإنما يؤجر لإرادته الحق الذي أخطأه.

قال المزني: فقد أثبت الشافعي في قوله هذا أن المجتهد المخطئ أحدث في الدين ما لم يؤمر به ولم يكلفه، وإنما أجر في نيته لا في خطئه..

قال أبو عمر^(١): والذي أقول به: إن المجتهد المخطئ لا يأثم إذا قصد الحق وكان ممن له الاجتهاد، وأرجو أن يكون له في قصده الصواب وأراد به، له أجر واحد إذا صحت نيته في ذلك، والله أعلم. إن الاختلاف إذا تدافع فهو خطأ وصواب وسئل مالك عن اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فقال: خطأ وصواب فانظر في ذلك.

وقال ابن القاسم: سمعت مالكا، والليث، يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ ليس كما قال ناس: فيه توسعة ليس كذلك إنما هو خطأ وصواب.

وعن مالك، أنه قال: في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطئ ومصيب فعليك بالاجتهاد.

وعن ابن وهب قال: قال لي مالك: يا عبد الله أد ما سمعت وحسبك ولا تحمل لأحد على ظهرك^(٢) واعلم أنها هو خطأ وصواب فانظر لنفسك، فإنه كان يقال: أخسر الناس من باع آخرته بدنياه وأخسر منه من باع آخرته بدنياه غيره.

قال إسماعيل القاضي: إنما التوسعة في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ توسعة في اجتهاد الرأي فأما أن يكون توسعة لأن يقول الناس بقول واحد منهم من غير أن يكون الحق عنده فيه فلا ولكن اختلافهم يدل على أنهم اجتهدوا فاختلّفوا.

وقال الشافعي في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ أصير منها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح في القياس. وقال المزني: وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطأ بعضهم بعضا ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صوابا عندهم لما فعلوا ذلك قال أبو عمر: الاختلاف ليس بحجة عند أحد علمته من فقهاء الأمة إلا

(١) هو ابن عبد البر.

(٢) يعني من الإثم.

من لا بصر له ولا معرفة عنده، ولا حجة في قوله. وهذا باب يتسع فيه القول وقد جمع الفقهاء من أهل النظر في هذا وطولوا وفيها لَوْحًا مقنع ونصاب كاف لمن فهمه وأنصف نفسه ولم يخادعها بتقليد الرجال.^(١)

ولله در أبي بكر رضي الله عنه حين فقه هذا الباب وهو يدفع عن خالد بن الوليد رضي الله عنه التهمة قائلاً: «تأول فأخطأ»^(٢).

ومن ثم، فهم وإن اجتهدوا فأخطأوا، فإن الإسلام - وإن أجرهم - براءٌ من هذا الخطأ، ذلك أنه أجرهم على اجتهادهم لا على خطأهم. فالخطأ كل الخطأ، قياس الإسلام بالبشر، ولكن الصواب خلاف ذلك، أن يقاس البشر بالإسلام. وصدق من قال: «إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»^(٣).

وسبب هذا الخلط عند الكثيرين أنهم ظنوا أن الشريعة جاءت لإنشاء المدينة الفاضلة التي طال بحث الفلاسفة عنها، وجعلوا أنهم لن يجدوها أبداً في الدنيا، دار الفناء والشقاء ﴿فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]. تلك الدار التي تحكمها سنن الابتلاء بأسبابه^(٤)، من زخرف، وزينة، وأموال، وأولاد... ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكُ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الرَّحُوفُ: ٣٥]، والمتاع لا يكون إلا لظاعن مُتَبَلِّغٍ^(٥).

والحق أن الشريعة إنما أنزلت لتنظيم علاقة هذا الإنسان على ما فيه - من قصور لن ينفك عنه مهما كانت صفته من ضعف وظلم وجهالة - بنفسه، وبخالقه، وبالكون المحيط به في هذه الدار الفانية، دار الابتلاء ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. فما كان لله أن يخلقه ثم يتركه وذريته هملاً ليستغنوا بعقولهم في البحث عن خالقهم، وذاتهم كما يزعم الفلاسفة ويفعلون ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. لذلك كانت الحكمة في إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۗ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٩].

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٧٨-٩٢٧ بتصرف واختصار في النقل من غير تدخل في اللفظ.
(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٦٨. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنكر قتل خالد بن الوليد للملك بن نويرة في حروب الردة، وقام على خالد فيه وأغلظ له، ولكن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله.

(٣) هذا قول ينسب لعلي بن أبي طالب. انظر: أنساب الأشراف ٣/ ٦٤.

(٤) وتلك حكمة الخالق في خلقه، وسنته فيهم: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [المالك: ٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

(٥) وكفى بذكر الموت مؤزقاً لمضجع مواطن هذه المدينة!

ولم يجعل الأمر كذلك حتى تفضل عليهم بأن جعل لهم الجزاء من جنس عملهم - إيماناً كان أو كفراً - فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]. مع سريان سنة الابتلاء في هذا كله ما دام ذلك النعيم كله على الأرض في دار الدنيا، ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذْقًا ﴿١٦﴾ لِنُقِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧]. وذلك ليجزي الله الصادقين بشكرهم وتقواهم، فيزيدهم من فضله، وأما من غرته النعمة - ابتلاء منه جل شأنه - فإنه يقترف بذلك موجبات سنة أخرى، فتُنزع منه تلك النعمة، فيكون من الهالكين، إلا أن يرجع ﴿وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ﴿وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِرِينَ وَنَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عُدْوَانَكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. وفي ذلك كله التوطئة للفضل العظيم، والفوز المبين بنتيجة الابتلاء وسننه لمن نجح فيه، إنها دار الخلد والنعيم المقيم، التي لا ابتلاء فيها ولا شقاء، إنها الفردوس الحقيقي، الجنة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا﴾ [البقرة: ٢١٤]. وتلك سنة من سننه جل شأنه في الدنيا، فقال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. ولقد كان في (سبأ) خير آية ومثل في تحقيق هذه السنة حيث أخبر تعالى عنها بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ يَنْتَهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [سبأ: ١٧]. ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً عَذْقًا ﴿١٦﴾ لِنُقِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧].

وهذا ما فضل به القرن الأول على غيره من القرون أن كان أقرب إلى المثالية حينما حققوا هذه السنة في أنفسهم وقاموا بها خير قيام. وخصّوا في ذلك بقربهم من الإرشاد الإلهي المباشر الممثل في الوحي. فلم تكن حروبهم مع بعضهم نقصاناً في إيمانهم بجملة تقواهم، وإنما كان تأويلاً منهم واجتهاداً.

ومع ذلك، فإنه لم تنحصر الخيرية في عهد الصحابة فقط، فهو وإن خصهم بأعلى الدرجات منها إلا انه لم ينفها عن هذه الأمة إلى يوم الدين، شريطة تحقيق أصول ومبادئ هذه السنة، وذلك وعده جل شأنه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. ومن ثم، فإن حصر تاريخ الإسلام في حدود عهد النبوة والخلافة الراشدة أمر غير مقبول ولا سائغ شرعا ولا عقلا، إذ إن في ذلك اتهام الشريعة بالقصور أنها لم تصلح للرسالة الخاتمة إلا لحين من الدهر لم تعد بعده قادرة على الاستمرار. وعقلا بتعجيز البشرية أن يقيموا مجتمعا صالحا عادلا عفيفا. وهذا محال قطعا فقد برز في التاريخ نماذج عدة استطاعت بمشيئة من الله وحكمة أن تقيم نماذج لهذه المجتمعات الصالحة على مدار التاريخ كله حين أخذت بأسباب ذلك ومقوماته^(١).

ومن خلال ذكر هذه الخيرية ينبغي تقرير قاعدة شرعية عظيمة، وهي أن السيئة مجبها الحسنات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فتغمرها استفاضة الأعمال الصالحات للمرء. فإنه ما لم يتعمد بذلك كفرا ولا فسوقا ولا عصيانا، فلا عبرة لتلك الهفوات التي لا عصمة لإنسان منها، وإلا كُلف الإنسان ما لا يطيق، أن يكون ملكا، أو نبيا معصوما، فقال: ﴿فَأَنفِقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ النَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لِكُمُ لِشُكْرِوَاللَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧].

وهذا عين ما كان منه ﷺ في تعامله مع أصحابه، ومن ذلك قصته مع حاطب بن أبي بلتعة حين كاتب المشركين وهو يظن متأولا هو ان ما أقدم عليه، فعذره رسول الله ﷺ بقوله: «.. أليس من أهل بدر.. لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم»^(٢)، وكذلك لم ينف الله تعالى بسبب ذلك الفعل الشنيع عنه صفة الإيمان حين أنزل

(١) ولبعض المعاصرين كلمة طيبة في هذا الشأن، إذ يقول: «دع عنك ما يقوله بعض الذين سقطوا أسرى تشويه التاريخ الإسلامي، من أن (هناك فرقا بين الإسلام والمسلمين، وأن الإسلام يحكم على المسلمين، ولا يحكم المسلمون على الإسلام). فهذا القول - على وجهته - غاية ما يصل إليه أصحابه أن الإسلام منهاج رباني سماوي، ولكنه مثالي، ينوء البشر بتطبيقه، وتقعدهم نوازعهم وشهواتهم عن القيام به، والسمو إلى ما يدعوه له ويرمي إليه». عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص ٥٦.

(٢) صحيح البخاري (برقمي ٣٩٨٣، ٦٩٣٩). وتمام الخبر كما جاء في صحيح البخاري (برقم ٤٨٩٠) عن علي ﷺ يقول بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها =

بعقب ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة: ١]. ولو لم يكن لهذه العصابة من فضل غير نصرتهم للنبي ﷺ، ومؤازرتهم له في نشر الدعوة، وتكبدتهم عناء نشر هذا الدين لكفاهم ذلك. فينبغي للباحث في تاريخ الإسلام أن يفرق جيدا بين أحكام الشرع وبين أخطاء البشر.



=ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت ما معى من كتاب. فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ « ما هذا يا حاطب ». قال لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتنى من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني. فقال النبي ﷺ: « إنه قد صدقكم ». فقال عمر: دعنى يا رسول الله فأضرب عنقه. فقال: « إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ».

المبحث الرابع

أبرز مدارس التفسير الوضعية ومناهجها^(١)

مدخل:

كان من نتائج المبحث السابق، الفصل بين الرسالات أو الشرائع السماوية، التي جاء بها الأنبياء جميعاً - وتتبع كلها ديناً واحداً هو الإسلام الذي هو دين الله - وبين اليهودية أو النصرانية أو ما شئت من دين بعد حين عبثت به أيدي البشر بالتحريف^(٢).

ولا شك أن التحريف إنما نبع في المقام الأول من صدام بين فكر بشري محدود، ووحي معصوم، فحين لم يملك العقل حيال ذلك صرفاً ولا تأويلاً^(٣)، تدخل في النص تدخلا حاول فيه إخضاعه للعقل إما بالتأويل^(٤) - وهذا عمل أصحاب الفرق داخل الدين الواحد - أو بالتحريف - وهو عمل الأخبار والرهبان ممن ضعف دينهم - وكان العكس هو الذي ينبغي، وهو أن يسلم العقل للنص كما هو من غير تأويل ولا تعطيل. وذلك هو سبب التحريف على مر العصور، وتبعاً لعقل كل عصر، ولعصر كل عقل، ساهم في هذا التحريف. ومن ثم، كان من أهم سمات هذه الأديان المحرفة تفشى التناقض فيها، فضلاً عن الأغلاط، والخرافات، و(الأساطير)، والمستحيلات..

(١) سوف أكتفي في الحديث عن كل مذهب مما يأتي بأبرز وأهم ما يتميز به المذهب عن غيره، وإلا فمواضع الاشتراك والاختلاف لا حصر لها، واستيعابها لا يناسب هذا المقام الضيق الذي يهدف إلى الإيجاز بغرض العرض وليس التفصيل، وهذا أمر فُصل في دراسات مستقلة مستوعبة واسعة، من أهمها: في فلسفة التاريخ، لأحمد محمود صبحي، وكتاب التاريخ وكيف يفسرونه، لمؤلفه (ويد جري)، والتفسير الديني للتاريخ، لمحمود الشرقاوي. هذا فضلاً عن الرسائل والدراسات الواسعة المستقلة لكل مذهب تفسيري على حدة، سواء تبعاً لفكر كل مذهب، أو لكل رجل من رجاله. وحسبي هنا أني أردت الكشف عن أهم الأصول التي تقوم عليها هذه المدارس.

(٢) وإن كان الله تعالى قد ميز اليهود والنصارى عن غيرهم ممن حرف دين الله تعالى عن مساره الأول الذي جاء به الأنبياء به (أهل الكتاب).

(٣) وأقصد بالتأويل هنا التفسير الصحيح، وهو بعكس المذموم الآتي الإشارة إليه.

(٤) وأقصد به هنا المذموم.

إذن فالنظر في تفسير التاريخ في هذه الأديان والمذاهب غير الإسلام إنما هو في الغالب نظر في عقول بشر محرفين اختلط تحريفهم بخط النور الأول. وهذا ما ينبغي وضعه في الاعتبار عند تناول هذه القضية في كل دين غير الإسلام. وهذا يُصعّب أحيانا عمل هذا النظر، إذ إن صاحبه مُطالب أحيانا بتمييز ما هو صحيح مما هو محرف^(١). وقد رأينا طرفا من هذا فيما مر بنا، حيث كان مما اشتركت فيه الأديان جميعا وبقي من خط النور الأول عند نظرتها للتاريخ هو وجود الإله المصرف لهذا الخلق، فضلا عن إيمان ظاهر بعالم الغيب - بغض النظر عن قيمة هذا العالم ومفرداته عندهم - وهذا هو الفارق الرئيس بين التفسير في الأديان، وبين التفسير عند أصحاب المذاهب العلمانية الحديثة^(٢).

وفي المقابل نجد أن أهم ما اشتركت فيه صور التحريف في كل دين سوى الإسلام بكل أنواعها، هو تغليب جانب الروح على المادة في تفسير حركة التاريخ الكوني والإنساني سواء بسواء، حتى نسبت كل شيء تقريبا لعالم الغيب، حتى امتلأ هذا التفسير بالأساطير.

أولا: تفسير التاريخ عند أهل الكتاب (التفسير الديني)^(٣):

١. اليهود^(٤):

إن أهم ما يميز الفكر اليهودي في تفسيره للتاريخ عن غيره من الأديان كونه يدور على العنصرية الجنسية، وهو اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وأهم مصادرهم التي استقوا منها هذا المعتقد توراتهم، وتلمودهم^(٥).

(١) ذلك أن في رفض هذا الخلط كله جملة، هو رفض للدين كله، ومن ثم إنكاره كله. وهذا ما وقع عند أصحاب المذاهب العلمانية الحديثة، عندما أنكرت الدين كله جملة واحدة، واكتفت بعقل الإنسان وحده في تفسير كل شيء.
(٢) إذ لا يعني ذلك انعدام فوارق أخرى كان لها تأثيرها في تلك النظرة التفسيرية للتاريخ.
(٣) يقصدون بهذا الوصف غالبا أهل الكتاب - ويدرجون معهم الإسلام، وهذا أمر نرفضه كما سبق وأشرت - وإلا فما سبق الحديث عنهم في نشأة تفسير التاريخ وأطواره، هي أيضا تفسيرات تتبع أديان هذه الأمم الغابرة!

(٤) فرق الله تعالى في القرآن بين اليهود وبني إسرائيل، فذكر اليهود مقرون دوما بالذم، بخلاف الأمر مع (بني إسرائيل) إذ فيه الرفق بالتذكير بالعهد الأول لإسلامهم بالله حقا، وهو دين جدتهم إبراهيم، وابنه إسحاق، وولده إسرائيل (يعقوب): ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُانَا وَحَدًّا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

(٥) التلمود: يعني بالعبري: (تعليم)، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية ومدنية وشروح وتفسيرات وتعاليم وروايات كانت تنقل وتدرس شفويا، دُوّنت بعد ذلك خشية ضياعها. وتوجد لدينا=

أما في التوراة فيحتجون بقول الرب لإسرائيل:

«أنت شعبٌ مقدسٌ للرب إلهك. إياك قد اختارَ الربُّ إلهُك لتكون له شعباً
أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من
سائر الشعوب التصق الربُّ بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل
من محبة الرب إياكم وحفظه القَسَم الذي أقسم لأبائكم..»^(١).

وغدَى التلمود هذا المعتقد. وفيه أن الإسرائيليين معتبر عند الله أفضل من الملائكة، فإذا ضرب
أمِّي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية.. وإن لم يخلق اليهود انعدمت البركة من الأرض، والفرق
بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب.. فإن النطفة التي خلقت منها بقية
الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان. أرواح اليهود مصدرها روح الله، وأما
باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة..^(٢).

ولكن من يتأمل النصين يجد فروقا عظيمة، فالأول لا يزال في روحه المعنى الإلهي الأول
رغم التحريف الذي أصابه بسبب من الترجمة، أو المترجم. بينما في النص الآخر نجد استعلاء
وغرورا عنصريا هو من وضع البشر المجرد، لا يمت لروح التشريع الإلهي بصلة.

وأمر التفصيل ثابت في القرآن حقا في قوله تعالى: ﴿يَبْقَى إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نَعْمَى أَلَيْ- أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]. ولكن أصل الخطأ الذي اعتمده ديننا وعقيدة في هذا الأمر أنهم
ظنوا - غرورا منهم - أن اصطفاءهم مطلق من غير شروط، على الرغم من تقييد فحوى النص
له. وفي كتاب ربنا الصدق المبرأ من التحريف ترجمة واضحة لهذا المعنى الذي حرفه هؤلاء في
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ
أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿١١﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا
حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

=نسختان مختلفتان من التلمود: التلمود الأورشليمي، والتلمود البابلي. ولا تعرف له إلى الآن ترجمة عربية
كاملة، فنسخه بالعبرية، وله ترجمة إنجليزية. وقد نما إلى علمي أن هناك بعض الدور المعاصرة تعكف على
ترجمته إلى العربية. ومن أهم الدراسات التي تناولته: إسرائيل والتلمود، لإبراهيم خليل أحمد (سابقا القس
إبراهيم خليل فليس)، والتلمود كتاب اليهود المقدس، لأحمد أيّيش.

(١) التثنية ٧: ٦-٨.

(٢) من التلمود، كتاب صدر مع مجلة منبر الإسلام العدد الخامس، السنة ٢٥، جمادى الآخرة
١٣٨٧هـ/ أغسطس ١٩٦٧، ص ٤٣-٤٤.

[المائدة: ١٣] فالخيرية هنا مشروطة بإيمانهم وطاعتهم. كما أنها مقيدة بزمانهم. وهذا سبب تفضيلهم حينئذ، إذ كانوا وحدهم آنذاك هم المصطفون بالكتب من ربهم، وبالرسل من جنسهم، في زمانهم دون غيرهم من الشعوب والأمم في هذا الوقت: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]. وإلا فهي - الخيرية - كذلك في أتباع كل نبي إذا حققوا شرطها، وإلا نزع منكم صفة النبي بهم ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِزْهِيمِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. بل إنه موجب للعذاب من غير محاباة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨].

٢. النصرى^(١):

ومحور الفكر النصراني عن تاريخ الإنسان وعلاقته بخالقه، ثم بالكون، يدور كله حول اعتقاد الخطيئة البشرية، وعقيدة الخلاص الإلهي من هذه الخطيئة. ولعل من أفضل ما كتب في هذا الباب هو ما كتبه (ويد جري)^(٢)، إذ يقول: «تقدم المسيحية التاريخ في صورة صَرْب من الدراما المسرحية. والفصل الأول في المسرحية هو سقوط آدم، بما أعقبه من استمرار الخطيئة التي هي تباعد عن الله بين ذرية آدم. والفصل الثاني هو دخول الله في التاريخ متجسدا في صورة بشرية في (يسوع المسيح). وتضمن هذا الفصل ما يلي:

- تأسيسه الكنيسة بجمعه التلاميذ بتأثيره الشخصي، وأسلوب حياته وتعاليمه.

- تخليصه البشرية بوفاته على الصليب^(٣).

- بعثه وصعوده إلى السماء معطيا البشر تأكيدا بخلودهم.

والفصل الثالث هو تبشير العالم بالإنجيل تبشيرا مضى مع اتساع الكنيسة المسيحية. ولا يزال هذا الفصل مستمرا.

(١) كذا ساهم الله تعالى في كتابه، فلم يطلق عليهم اسما ولا وصفا غيره، إذ في قولهم (مسيحي) نسبة ما هم عليه من كفر لنبي الله عيسى، وحاشاه أن يكون قال عن نفسه ما يفترون ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

(٢) وذلك في كتابه التاريخ وكيف يفسرونه.

(٣) يتكلم (ويد جري) من منطلق اعتقاد بني جلدته، وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن سُبُّهُمُ﴾ [النساء: ١٥٧].

فأما الفصل الرابع والنهائي، فهو عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم جالبا معه (يوم الحساب)، وافتتاح مملكة السماء الموسومة بالكمال، والمقرونة بأتم البركات.

فأما فيما يتعلق بحياة المسيحيين وانتشار المسيحية في التاريخ، فإن الله حاضر في صورة (الروح القدس). وبهذا المفهوم تصورت المسيحية الله صورة ثالث في واحد: (الأب والإبن والروح القدس). وهم يرون أن (الأب) يعد بصورة سامية لا تُلحق، خالق الدنيا، وبارئ البشر، وأنه بذلك قد طوع ظهور التاريخ. ويرون في (الإبن) مخلصاً قصد به أن يرد التاريخ إلى هدفه الذي أراده الله منه. ويرون أن (الروح القدس) هو الذي يطهر الناس في أثناء عملية التاريخ.

وهناك نقطة جوهرية في هذه النظرة المسيحية التقليدية، هي الاعتقاد بأنه بعد تلوث البشر بالخطيئة التي جرت على يد آدم، صار من الضروري أن يجيء الله إلى التاريخ في صورة بشرية^(١). وينتهي (ويدجري) بعد هذا العرض الدقيق للفكرة النصرانية عن التاريخ إلى أن خلاصة هذه الفكرة في النهاية تقوم على اتجاه روحي اختاره الإله للبشر في حياتهم، «قطب الرحي فيه حب الله، والطاعة لإرادته، وهي المؤدية إلى الحب الخالص للنفس وللجيران أيضا بقدر حب النفس. وقد تقبل آلام الصليب بوصف كونها راجعة إلى إرادة (الأب)، وبتلك الآلام محا خطايا العالم. وقد وعد بحياة سعادة قابلة في (جنة الفردوس)»^(٢).

ويتضح من هذا العرض كله تلك النظرة المثالية العجيبة للتاريخ التي تدور حول العناية الإلهية بالبشر، ورأفته بهم بالتطهير، والخلص، وجنات النعيم. وهذه الفكرة كانت هي المسيطرة على فلاسفة الفكر النصراني طوال عهود طويلة حتى عصر النهضة الأوروبية.

ويعد (القديس أوغسطين ٣٥٤-٤٣٠م)^(٣)، من أهم من مثّل الفكر النصراني في تفسير التاريخ، بما قدمه في هذا الباب من كتب حوت نظرات فلسفية تكفلت بها دراسات مستقلة واسعة، يضيق المقام بالخوض فيها^(٤).

(١) التاريخ وكيف يفسرونه، ويدجري ١/١٧٣ فما بعدها.

(٢) التاريخ وكيف يفسرونه ١/١٧٥.

(٣) ولد في الجزائر مملكة نوميديا من أم أمازيغية، وأب وثني. تلقى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو. من أهم مؤلفاته: مدينة الله، والاعترافات، التي تعتبر أول سيرة ذاتية في الغرب - لا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم.

(٤) من أهمها: لاهوت التاريخ عن القديس أوغسطين، لزينب الخضير.

ثانياً: تفسير التاريخ في الفكر العلماني الغربي:

سبق القول إن أهم سمات الفكر المحرف لأهل الكتاب هو تغليب جانب الروح على المادة في تفسير حركة التاريخ الكوني والإنساني على السواء، حتى نسبت كل شيء تقريباً لعالم الغيب، وكان أن استغل المحرّف استتار عالم الغيب عن ناظره أسوأ استغلال، فملاً هذا التفسير بالأساطير والخرافات.

وعندما تسلمت الكنيسة سجل التاريخ منذ القرن الثالث الميلادي - وتحديدًا منذ عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧م) - ردت هي الأخرى هذا التفسير بمزيد من مظاهر الوثنية اليونانية بأساطيرها، وخرافاتهما. فاختلط ذلك بالفكر الكنسي حتى صار مكوناً من مكونات العقيدة النصرانية طوال قرون طويلة تحبّط فيه أوروبا تحبّطاً مزريراً فكرياً وحضارياً، مارس فيه باباوات الكنيسة كافة صور القهر الفكري^(١).

وكان - لما سبق - أثره الخطير في الفكر الأوربي في العصر الحديث حين رأوا أن التحلل من مظاهر هذا الفكر المنحرف المتقنع بوشاح الدين هو السبيل الوحيد لتحرر الفكر ومن ثمّ سمّوا بدءً تاريخ هذا التحلل بـ(عصر النهضة)، ليظهر لنا خلاله فكر جديد ينبذ الدين - بزعمه - وراء ظهره، وينكر الغيب جملة وتفصيلاً، متجهاً نحو الحقائق المادية المجردة. وهو يظن أن الدين كان سبب تخلفه. وجَهَل أن أيدي محرفي الدين هي سبب التخلف وليس الدين نفسه. فأعرّض عن الدين بجَهله، ولم يعلم أنه لم يُعرّض عن الدين كما يزعم، ولكنه استبدل العلم بالكنيسة، ورضي به ديناً - إذ لا بد للإنسان من دين أياً كان مصدره - وهو ما عُرف بعد ذلك بالفكر العلماني، الذي نزع إلى اعتبار العقل وحده، والإيمان بالمادة، ونبذ المغيبات^(٢).

وفي الحقيقة، كنتُ أظن في بداية قراءتي عن فلسفة التاريخ عند الغرب، أنها مدارس محددة المعالم، معروفة الاتجاهات، لكل مدرسة فلسفتها المميّزة لها عن غيرها. إلا أنني بعد شيء من التوسع في الاطلاع على هذه الفلسفة، وجدت أنهم أكثر اختلافاً مما كنتُ أظن، حتى صار من

(١) انظر: ج.ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم، ٧-٣١.
(٢) يعتبر اصطلاح (العلمانية) من المصطلحات المشكّلة تعريفاً ودلالة وتاريخاً، ومن أفضل الكتب التي تناولت هذا الباب كتاب (العلمانية تحت المجهر)، وكتاب (العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة)، كلاهما لعبد الوهاب المسيري. ولسفر بن عبد الرحمن الحوالي رسالة ماجستير بعنوان: (العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة). وعلى الرغم من تناول الأخير هذه القضية من منظور إسلامي، إلا أنها لم تبلغ في الاتساع والشمول من حيث العرض التاريخي والتأصيلي للمصطلح مبلغ كتابي عبد الوهاب المسيري، وإن تميز عنه بالنظرة الإسلامية.

الممكن أن تجعل الواحد منهم يمثل مدرسة وحده بما اختلف به عن غيره من بني جلدته. فعلمتُ أن تصنيف هذه المدارس إنما هو عمل اجتهادي من بعض المعاصرين^(١)، يختلف تبعاً لاختلاف كل طائفة منهم حسب اطلاعها واتساعها وتعمقها في تلك الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة^(٢). حتى إنك ترى اختلافاً أحياناً بين هؤلاء المعاصرين في تلك القسمة. ومن ثم فسوف أكتفي بعرض ما يمكن أن يمثل اتجاهها عاماً لأوجه الاتفاق^(٣) بين طائفة منتخبة من أشهر هؤلاء الفلاسفة الغربيين ممن كان لفكره أثر في الحضارة الأوروبية المعاصرة، يمثلون أبرز ثلاثة اتجاهات لمدارس التفسير الوضعي للتاريخ عند الغرب. وإلا فإن هذا أمر واسع لا يمكن استيعابه بحال في هذا المقام الضيق، فليس هذا الباب من اختصاص هذه الدراسة.

وقبل عرض أهم المدارس العلمانية الحديثة في تفسير التاريخ، نود أولاً أن ننبه على أننا سنخوض في معنى (إيسطوريا) أو (History) ودلالته عند الغرب الذي سبق عرض شيء من قضاياها عند الغرب ومشكلته عند العرب والمسلمين في العصر الحديث منذ عصر النهضة الأوروبية^(٤). وذلك حتى لا نقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه غيرنا عند النظر إلى التاريخ بالمفهوم المخلط الذي يؤدي في النهاية إلى نتائج مشكلة كل الإشكال مع مفهوم التاريخ عند المسلمين^(٥).

(١) قلد فيه بعضهم بعضاً.

(٢) وكان من أبرز العرب اطلاعاً وتعمقاً في هذا الباب - فيما رأيت - د. عبد الرحمن بدوي في أعماله، ومصنفاته، ومقالاته!

(٣) مع اتفاقها على أنها جميعاً تمثل اجتهادات إحدادية وضعية لا تمثل عند أصحابها وجهة نظر دين بعينه، غير دينهم القائل بالمادة والعقل.

(٤) راجع التمهيد.

(٥) راجع فيما يأتي من حديث عن المدارس العلمانية الحديثة وتاريخها: فلسفة التاريخ، لعبد العزيز الدوري، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، ١٩٧١، ص ٦٥. فهو من أفضل ما كُتب في هذه الباب، من حيث العرض، والتحليل، والتأريخ، ناهيك عن التأصيل المرجعي، إذ رجع المؤلف إلى المصادر الأجنبية الأصلية لهذا الباب. وراجع أيضاً: في فلسفة التاريخ، لمحمود صبحي. وأحدث النظريات في فلسفة التاريخ، لعبد الرحمن بدوي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الأول، ١٩٧٤، ص ٢١٥. وتفسير التاريخ، لعبد الحميد صديقي. وتفسير مسار التاريخ، لرأفت الشيخ. وعلم التاريخ ومناهجه، لسيد أحمد علي الناصري، وفلسفة التاريخ، لمصطفى النشار. ناهيك عن تلك الدراسات والرسائل العلمية الكثيرة المستقلة عن كل مدرسة، وعن كل رائد لمدرسة بعينها، فضلاً عن كتب أصحاب هذه المدارس نفسها، وأكثرها مترجم مطبوع.

١ — مدرسة التفسير المادي:

على الرغم من أن النظرية التطورية ظهرت وانتشرت على أيدي التطوريين من المهتمين بنشأة الإنسان وخلقهِ (البيولوجيين)^(١)، فإن فتنة الغرب بها في عصر نهضتهم جعلتهم يطبقونها في علوم الاجتماع والحضارة الإنسانية، وتقوم هذه النظرية على «أن الصفة الغالبة على سير الحضارة هي التقدم، وأن التدهور ليس إلا حالة استثنائية عارضة ومؤقتة، وأن الحياة تسير بالضرورة نحو تحقيق مزيد من التقدم والرقى. فالنظم الاجتماعية، والمجتمعات الإنسانية ذاتها تقدمت، أو هي تتقدم بالضرورة من حالة التأخر والبدائية إلى التضرر والتمدين مرة أثناء ذلك بمراحل معينة يختلف عددها وخصائصها ومقوماتها من عالم لآخر، ولكنها تتفق كلها في أن المرحلة اللاحقة فيها تكون أعلى من السابقة وأكثر منها رقىا وتقدما، كما أنها تهيئ الفرصة لقيام مرحلة أرقى منها هي ذاتها، فكما أن الكائنات الحية ارتقت وتقدمت بحيث وصل الأمر بها في النهاية إلى ظهور الإنسان الذي يمثل قمة التطور البيولوجي، والذي هو في الوقت ذاته يقود كل الخلائق الأخرى باعتباره أعلاها وأسماها جميعا. كذلك تطور المجتمع من مراحل الجمع والالتقاط وما يياثلها إلى مرحلة الصناعة التي تمثل أرقى أشكال النشاط الاقتصادي وأكثرها تعقدا.

وربما كان الفيلسوف الاجتماعي البريطاني هربرت سبنسر هو أكثر من استخدم كلمة (تقدم) في كتاباته بهذا المعنى التطوري دون أن يضمناها في الوقت نفسه أي معان أخلاقية أو معيارية مثلما فعل غيره من الكتاب التطوريين في القرن الماضي. فقد كان سبنسر يرى ببساطة أن كل شيء يتقدم ويتطور في هذا الكون، وأن هذا التقدم ينعكس في التحول من التجانس إلى التغير، وهو تحول يطرأ على كل فروع ومجالات النشاط البشري بما في ذلك النظم الحكومية والاقتصادية، بل وأيضا الموسيقى والشعر واللغة وما إليها^(٢).

وكان من نتائج هذه النظرية: القول بمبدأ الحتمية، أو نظرية التقدم (التطور) الحتمي للتاريخ، التي تمثل الأساس الذي قامت عليه مدارس التفسير المادي للتاريخ عند الغرب^(٣)، ومن أهمها مدرسة كارل ماركس وأصحابه.

(١) ومن أهمهم وأخطرهم (داروين) بكتابه (أصل الأنواع) في عام ١٨٥٩ م. وراجع بإيجاز تاريخ هذا الفكر التطوري وأثره في العلوم الإنسانية: التطورية الاجتماعية، لأحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد ٤، ١٩٧٣، ص ١٠٥. وتقوم هذه النظرية على مبدأ حتمية التقدم والارتقاء للإنسان خلقاً، وحضارة.

(٢) التطورية الاجتماعية، د. أحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الرابع، ١٩٧٣، ص ١١١-١١٢.

(٣) وهذا من الدوافع التي دفعت بعض المعاصرين الفضلاء — هو د. محمد رشاد خليل — إلى التنبيه على وجوب الفصل بين كلمتي (تطور) و(أطور)، فيقول: «أشير إلى لبس حدث في الفكر الحديث بين =

وضع قواعد هذه المدرسة كارل ماركس^(١) (١٨١٨ - ١٨٨٣ م)، وفريدريك إنجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥ م). ويقوم هذا المذهب على أن التاريخ جملة من الصراعات بين الطبقات، وأن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر الذي يحرك التاريخ ويتحكم في مسيرته، وعلى المفسر أن يبحث عن البواعث الاقتصادية الكامنة وراء الظواهر التاريخية في المجتمع..

والمجتمع في هذا المذهب ليس مجموع الأفراد، بل هو مجموع العلاقات الاجتماعية القائمة على طريقة الإنتاج كما تحررت عينياً وتاريخياً. ووجود الطبقات والصراع بينها لا يتوقف على أمان الناس ورغباتهم، بل مرتبط بأحوال الإنتاج كل الارتباط، وهي بدورها تتوقف على قوى الإنتاج.

٢ - مدرسة التفسير المثالي:

ويعد فولتير^(٢) (Voltaire) (١٦٩٤ - ١٧٧٨ م) من أبرز رواد هذه المدرسة. وتنادي هذه المدرسة بالإيمان بالعقل المطلق، والتفكير الحر، وطبائع البشر، ونبذ الهرطقة الدينية، التي حولت الرجال من قواد أقوياء إلى رهبان لا يعرفون سوى الدخول في مجادلات دينية عقيمة، فانتقلت القيادة والزعامة من أمثال شيرون وقيصر إلى رجال الكنيسة الذين أودوا بحياة الإمبراطورية الرومانية العظيمة.

=كلمتي (أطور) و(تطور)، كان من نتيجته أن تساهل بعض المفكرين المسلمين في استعمال كلمة (تطور) بصورة أدت إلى شيوع هذا الاستعمال على ألسنة الناس.. حسبوا أن التطور هو الأطور، وذلك خطأ، وفسروا الأطور بالتدرج الذي يعني اطراد التقدم بغير المعنى الإلحادي، وذلك خطأ. وأساس هذا اللبس هو الخطأ الذي وقع في ترجمة كلمة (Evolution) إلى العربية بسبب جهل المترجم بمصطلح العرب، والذي ما جهل الناس واختلفوا إلا بسبب جهلهم بهذا المصطلح كما نبه إلى ذلك الإمام الشافعي. ذلك أن الطور في العربية هو الحالة والتارة، والأطور هي الحالة بعد الحالة، دون أن يفيد ذلك معنى التقدم إلا بقرائن دالة. فقد يكون الانتقال من الحالة الأدنى إلى الأعلى، وقد يكون العكس. وقد يكون الانتقال بمعنى المغايرة دون أن يفيد الصعود أو النزول.. فالأطور تفيد معنى الاختلاف والتغاير أكثر مما تفيد معنى التدرج.. أما التدرج أو اطراد التقدم فتدل عليه ألفاظ أخرى مثل تدرج، اطراد، تحسين، ترقى». راجع: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، ص ٩٤-٩٥.

(١) هو فيلسوف ألماني، سياسي، وصحفي، ومنظر اجتماعي، ولد لعائلة يهودية. قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية. لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.

(٢) كاتب فرنسي عاش فيما يعرف بعصر التنوير، وهو أيضاً كاتب وفيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة.

وخلاصة رأي فولتير أن (التطور التاريخي) هو نتيجة لتطور طبائع الشعوب في مراحل متعددة، ونتيجة لتطور آرائهم، وأفكارهم، ويمثل لذلك بطبائع الرومان القديمة التي صنعت من أصحابها أمة من أقوى الأمم في الأرض آنذاك، قضت عليها (المسيحية) التي حولتهم إلى سلبين مسلمين، إذا ضربهم أحد على خدهم الأيمن، مدوا الأيسر، وإذا نازعهم أحد جزءاً من ثوبهم تركوا له الثوب كله.. ومن ثم وهنت الإمبراطورية واندثرت.

ويرى البعض في فلسفة هيغل^(١) (Hegel) (١٧٧٠ - ١٨٣٠ م) امتداداً لتلك المدرسة. الذي يعد من أكبر الفلاسفة المثاليين الذين يقولون بأن الروح والفكر هو أساس ما هو موجود، وأن المادة ليست إلا صورة من صور وجود العقل المطلق^(٢).

وكان من أبرز ما واجهته هذه المدرسة من نقد، هو تجاهلها للعوامل الاقتصادية والمادية في حركة التاريخ، لذلك كانت المدرسة المادية من ألد خصوم هذه المدرسة.

٣ — مدرسة التفسير الحضاري:

وتقوم هذه المدرسة على فكرة جديدة تعرف بنظرية (التحدّي والاستجابة)^(٣) المستلّة من علم النفس السلوكي، ومفادها أنّ الفرد عندما يتعرض لصدمة يفقد توازنه لفترة ما، ومن ثم قد يستجيب لها بنوعين من الاستجابة، الأولى: النكوص إلى الماضي لاستعادة التوازن والتمسك به بديلاً عن واقعه المر، فيصبح انطوائياً (استجابة سلبية). والثانية: قبول الصدمة والاعتراف بها ثم محاولة التغلب عليها، فيكون في هذه الحالة انبساطياً (استجابة إيجابية).

وصاحب هذه النظرية هو المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) (١٨٨٩ - ١٩٧٥ م). وهو يرى أن التحدي والاستجابة هو قانون تحول المجتمعات من الحالة البدائية المتوحشة إلى الحالة الحضارية، تحول من الركود إلى الحركة الدافعة. فالظروف الصعبة - وليست السهلة - هي التي تستثير في الأمم قيام الحضارات). والتحديات عند توينبي كثيرة ومتنوعة، أسطورية وطبيعية، واجتماعية ونفسية فردية.



(١) فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت، في المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. وهو يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان من حيث كونه من مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

(٢) دراسات في منهج البحث التاريخي، لعلي بركات، ص ٢٨.

(٣) ويسمى البعض (نظرية الدوائر اللولبية). انظر: علم التاريخ ومناهجه، لسيد أحمد علي الناصري ص ٤٢.

وهكذا نخلص من هذا الفصل بأن تفسير التاريخ، هو: التلطف في تأمل الأخبار والوقائع التاريخية - بعد التثبت من صحتها - من أجل الوقوف على أسبابها ومُسَبِّباتها، بغرض استنباط السنن الحاكمة في مسيرة تاريخ الأمم والشعوب.

ورأينا أنه على الرغم من حداثة اصطلاح (تفسير التاريخ)، أو (فلسفة التاريخ)، فإن مدلوله ومعناه قديم قَدَم الإنسان على الأرض، ذلك أن التفكير من خصائص الإنسان بموجب حقه في الاختيار. فهو أمر فطري يتصل بالإنسان منذ كلفه الله تعالى بعمارة الأرض، يدور حول سر وجود الإنسان، ووظيفته في الدنيا.

كما رأينا أثر ذلك في نماذج عرضناها لبعض الحضارات القديمة كالسومرية، والصينية والهندية، والمصرية القديمة.

كما تبين لنا من هذا الفصل جور كثير من الباحثين المعاصرين في حصرهم التفسير الإسلامي للتاريخ داخل مدرسة التفسير الديني للتاريخ، وذلك عند حديثهم عن مدارس التفسير المختلفة للتاريخ. فالتفسير الإسلامي للتاريخ عندهم مجرد جانب من جوانب التفسير الديني للتاريخ، وليس منهاجا قائما بنفسه يعبر عن أصالة مصدره وتفرد به بالحق من بين مناهج التفسير والفلسفات الأخرى: الروحية، والمادية. فالإسلام لم يعرف يوما الفصل بين الدين والدنيا. وما اعتبره الفلاسفة أمورا دنيوية يفسر بها التاريخ، هي - للمتشیع بروح الإسلام - من جملة الأمور المفسرة له في الإسلام أيضا. لذلك وجدنا كيف أنه تتحكم فيه عوامل غيبية ومشهودة سبق تفصيل القول فيها.



الفصل الثالث

**أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره
عند أهل السنة**

مدخل:

من ينظر إلى منهج العرض للتاريخ عند أهل السنة رواية وتفسيرا، يجدهم صنفين اثنين، الأول منهما: أصحاب الإسناد، والآخر: أصحاب الانتخاب والسر. في حين ينقسم كل صنف منهم بدوره من حيث المادة المتناولة للرواية إلى ثلاثة أنواع: المحدثون، والمؤرخون، والأخباريون.

أولا: أصحاب الإسناد:

يعتمد منهاج أصحاب الأسانيد في المقام الأول على الحفظ للخبر المسند - سواء في الصدور أو في الكتب - وهو يعتبر الإسناد وحدة البناء في العلم الذي تتبع له الرواية، بغض النظر عن مدى ترابط موضوع الروايات أو تسلسلها. ويمثل الإسناد عندهم وسيلة التوثيق المثلى لهذا الحفظ، وقديما قالوا: «من أسند فقد أحال»^(١). فحفظوا بذلك كما هائلا من الروايات، إلا أنهم برئوا من عهدها بتوثيق أسانيدها وذكر رواياتها. ثم لم يكتفوا بذلك حتى تكلموا في هؤلاء الرواة بما يجب في حقهم من حيث العدالة والجرح وفق منهاج آخر تميزوا فيه بالصرامة والحزم.

وعلى الرغم من هذا المنهاج العام لأصحاب الأسانيد كافة فإنه قد اختلفت شروط كل فريق منهم بما يميزه عن غيره في الرواية، فهناك من تشدد في الرواية تحملا وأداء، ومنهم من كان دون ذلك، فكانوا طبقات مختلفة ودرجات بعضها فوق بعض.

وأيا ما كان الأمر، فإنهم بذلك قد حفظوا لنا تراث أيامهم وأيام الذين من قبلهم بغيته وسمينه، ثم مهدوا بمقتضى منهاجهم هذا - مهما اختلفت شروطهم في تطبيقه - لمن بعدهم سبيل النقد والتثبت من هذا الكم الغزير من الروايات، فحمد لهم بذلك فضلا: حفظهم هذا التراث بكل ما فيه. ثم تيسير السبيل إلى نقده.

وعليه، فهم لم يرووا ذلك الكم الهائل من الروايات التاريخية والأخبارية على أنه صحيح كله، بل على أنه تراثهم وتراث من قبلهم حفظوه من الضياع، من أراد منه شيئا فليُنظر أيها أذكى متنا وأصح إسنادا فيأخذ به، وي طرح ما سواه.

ومن ثم فقد احتوت كتبهم على الصحيح والسقيم، كل حسب شرطه ومذهبه في الرواية، ولا يعيبهم ذلك، فهم قد أدوا أمانتهم لأهل زمانهم وفق منهاجهم الذي اصطالحوا عليه، ولكن مع مرور الدهر وبعث الزمان، غاب كثير من معالم منهاج هذا الصدر الأول عن كثير ممن جاء

(١) هذه عبارة لا تعرف لها صاحبا. أثرت عن المحدثين واشتهرت بينهم حتى صارت عندهم قاعدة في رواية الأخبار وإن لم تصح ما داموا قد ذكروا إسناد ما يروونه.

بعدهم، فكان من جراء ذلك تهاونٌ صاحبَه تساهلٌ أدى إلى سلبيات كثيرة، منها قبول الضعيف والموضوع أحيانا، أو القول بالشيء ونقيضه أحيانا أخرى، ناهيك عن سلبيات أخرى قد يكشف عنها الشرح والبيان عند الحديث عن كل طائفة فيما يأتي إن شاء الله تعالى. وسوف نتخذ من فترة الخلافة الراشدة نماذج للتطبيق.

وينقسم أصحاب الأسانيد في الرواية التاريخية إلى أقسام ثلاثة تداخل أصحابها فيما بينهم بمقتضى وحدة منهاجهم ولم يُمَيِّز بينهم غالبا إلا نوع الرواية التي أكثروا الاشتغال بها:

١ - المحدثون:

وهم أولئك القوم الذين اختصوا برواية سنة النبي ﷺ وما يتصل بها من سنن الصحابة في القول والفعل والسمت.

ويأتي في المرتبة الأولى من هؤلاء: أصحاب الصحاح من الجوامع والسنن والمسانيد الأولى. يليهم أصحاب المصنّفات، والمستدركات، والمعاجم، والمشيخات.

وقد ورد في كتبهم الكثير من أخبار الصحابة وتاريخهم في فترة الخلافة الراشدة، ولكنهم اختلفوا أحيانا في شروط الرواية من حيث التشدد والتساهل، فمنهم من اختص بالصحيح فقط^(١)، ومنهم من جمع فأوعى، وترك النقد لغيره مكتفيا بذكر إسناده..

ومن ثم فهذا يحتاج منا إلى اليقظة والنظر الدقيق، فلا نقبل خبرا إلا بعد نقده وتمحيصه وفق معايير خاصة اصطلاح عليها هؤلاء - سبق عرض شيء منها - وإن أي تهاون في هذا الأمر سيؤدي إلى أخطاء عظيمة في الحكم على الرواية من جهة، وتفسيرها والبناء عليها من جهة أخرى.

وهم على أية حال أشد أصحاب الإسناد اهتماما بمروياتهم، وأكثرهم دقة، إلا أنه على الرغم من ذلك لم تسلم كتب بعضهم من آفة الوضع، وبخاصة فيما يتعلق بما نحن بصده من الرواية التاريخية، على اختلاف في نوعه من حيث كونه مقصودا أو غير مقصود، وهذا أمر سيأتي تفصيل القول فيه بالنظر والتطبيق إن شاء الله تعالى.

٢ - المؤرخون:

وهم قوم اشتهروا برواية التاريخ على الرغم من اشتغالهم بفروع أخرى من فروع علم الرواية، فغلب عليهم بذلك منهاج الحفظ والإسناد، مما أعان كثيرا على نقد مروياتهم وفق هذا

(١) على اختلاف بينهم في هذا الشرط أيضا، فالصحة عند القدماء لها مراتب ومنازل، وسبيل تحقيق هذه المرتبة يحتاج إلى دراسة منهاجهم في النقد، ويتطلب ذلك دُرْبَة وممارسة، نظرا لصعوبة هذا المنهج ودقته عندهم.

المنهاج المنضبط، ولكنهم لم يبلغوا في عنايتهم بمروياتهم - انتقاء وانتخابا - مبلغ المحدثين، فكانت نسبة الوضع والضعف في مروياتهم أعلى من المحدثين، مما يعني وجوب مضاعفة الجهد في النقد والتمحيص.

ويمثل هذا القسم أصحاب كتب الحوليات، والطبقات، والأنساب، وكتب الرجال.. وأبرز رجال هذا القسم: ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)^(١)، وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)^(٢)، ويعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ)^(٣)، والبلاذري (ت ٢٧٩هـ)^(٤)، وأبو زرعة الدمشقي (ت ٢٨١هـ)^(٥)، والطبري (ت ٣١٠هـ)، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ).

٣ - الأخباريون:

وهم قوم على الرغم من اشتغالهم كسابقهم بعلم الرواية بمنهاجه المعروف عند أصحابه، والذي يقوم على الحفظ والإسناد، إلا أن شهرتهم برواية الأخبار بفروعها المتعددة - من السير والمغازي والفتوح والقصص - غلبت على مروياتهم فتميزوا بها عن غيرهم. إلا أنهم لم يبلغوا في العناية بمروياتهم مبلغ المحدثين والمؤرخين، فجاءت مروياتهم على الدرجة الدنيا من حيث القيمة بسبب تفشي ما لا يصح فيها من الأباطيل، والموضوعات، والمناكير باختلاف ألوانها وأشكالها. مما يعني مزيد جهد في النقد والتمحيص.

وأبرز رجال هذا القسم: ابن إسحاق (ت ١٥١هـ)^(٦)، وسيف بن عمر (ت ١٨١هـ)^(٧)، والواقدي (ت ٢٠٧هـ)^(٨)، ومحمد بن عبدالله الأزدي (ق ٢هـ)^(٩)، والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)^(١٠)..

(١) وكتابه: (الطبقات الكبير) من أشهر التصانيف.

(٢) وله: (التاريخ)، و(الطبقات).

(٣) ومن كتبه: (المعرفة والتاريخ).

(٤) ومن أهم كتبه: (أنساب الأشراف).

(٥) وله كتاب (التاريخ).

(٦) وكتابه في (المغازي والسير) من أشهر ما صُنِّف في بابه.

(٧) ومن أهم كتبه: (الردة) و(موقعة الجمل).

(٨) وكتابه في (المغازي) معروف مشهور.

(٩) وله كتاب (فتوح الشام).

(١٠) ومن كتبه: (الأخبار الموقيات).

ثانياً: أصحاب الانتخاب والسردي:

ونقصد بأصحاب الانتخاب والسردي أولئك الذين تقوم تصانيفهم على منهج الانتقاء، من حيث انتخاب مرويات بعينها دون غيرها وسردها معلقة الأسانيد، أو مجردة منها، في سياق متصل مترابط المعاني.

وتخضع عملية الانتقاء عند أصحاب هذا المنهج لخصائص معينة، تتفاوت من مصنف لآخر، حسب ميوله العلمية، واتجاهاته الفكرية، ومعايير المنهجية من حيث الشدة والتساهل.. وإن كان الجميع يتفق في خط عام يمكن ملاحظته بوضوح، ألا وهو سلامة النية تجاه الصحابة عموماً، فيظهرون فضائلهم، ويتأولون أخطأهم، ويدفعون عنهم ما قد يلصق بهم من تُهم، وذلك كله وفق منظومة لها ملامحها الواضحة والمميّزة لأصحاب هذا الاتجاه دون غيرهم في عمليتي انتقاء المرويات وتفسيرها.

ولكنك مع ذلك قد تجد على طول هذا الخط مَنْ يُشَطِّطُ فيه تعصُّباً، والمبالغ فيه تأوُّلاً، والمسرف في سلامة نيته.. حتى وقع بعضهم فيما اتَّهمَ به خصمه، فتسرَّبت إلى اختياراته ما لا يصح من المرويات ما كان له أثره السيء في منهجه - من حيث الانتخاب والسردي -.

ومنهم من كان متساهلاً في هذه النية فكانت الأباطيل في اختياراته أوفر حظاً من سابقه، مما كان لذلك أثره الأسوأ في كتاباتهم ونتائج مصنفاتهم تجاه أهل هذا القرن الذي يؤرخون له، فضلاً عن كونه يفتح لأعداء هذا الصدر أعيناً عمياً، وأذناناً صماً. فكنا كمن أُتِيَ من قبل نفسه.

ولكنهم - أعني أهل السنة - على أية حال، كانوا أخف وطأة في إيراد الأباطيل والمناكير من غيرهم ممن سيأتي ذكرهم، كالشيعة وأصحاب المذاهب الحديثة.

وقد ذاع منهج هؤلاء في الانتخاب والسردي واشتهر منذ القرن الرابع الهجري، بعد أن كان الإسناد هو الضابط للرواية عند أهل القرون الثلاثة الأولى إلا فيما ندر، إذ لم يكن أحد يجروء على منهج الانتخاب والسردي في هذا الزمان المتقدم إلا ضعيف، أو أديب غالباً^(١)، ذلك أن مَنْ تقدم من أهل السنة ينكر هذا المنهج ويأبونه^(٢).

(١) كما هو الحال عند أبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) صاحب الأخبار الطوال، إذ كان في أصله لغوياً أديباً.
(٢) ينبغي التنبيه على أننا نتكلم هنا على أهل السنة، وإلا فإن المؤرخين والأخباريين الشيعة سبقوا إلى منهج الانتخاب والسردي - وفق معاييرهم التي سيأتي الحديث عنها - قبل أقرانهم من أهل السنة. والفارق لا ريب كبير، فإن أصحاب الانتخاب والسردي من أهل السنة رأوا أن التوثيق في تصانيف من سبقهم من إخوانهم أصحاب الإسناد - إسناداً، وجرحاً، وتعديلاً - ما يغنيهم عن ذلك في زمانهم المتأخر بعد أن كفاهم أولئك السابقون عناء هذا كله في زمانهم المتقدم. في حين أن ذلك الأمر لم يكن يشغل بال كثير من المصنفين الشيعة - وبخاصة الرافضة - الذين رأوا في حب آل البيت العصمة للراوي والمروي ومن يروى عليه من أي كذب، أو خطأ، أو نسيان.

وانتشار منهاج الانتخاب فيما بعد القرن الثالث الهجري هذا ليس غريباً، فبعد الزمان يعني طول الإسناد، وهذا قد يعني الملالة لمصنّف وقارئٍ تأخر زمنه عن قرن يُلاحق حوادثه، يبتغي منه العظة والعبرة قبل أي شيء آخر في زمانه المتأخر.

ولكن الغريب للناظر في تصانيف هؤلاء من أصحاب منهاج الانتخاب، اتحاد أكثرهم في بعض مصادرهم اتحاداً^(١)، وكأنهم اتفقوا على ذلك وتواصوا به عن ملام منهم ينهلون منه في مؤلفاتهم^(٢)! يتمثل هذا المصدر في تاريخ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي اتخذ أكثر أصحاب هذا المبحث إماماً، يرفده بعضهم بمصادر أخرى، ومنهم من اكتفى به فلم يزد عليه إلا الشيء بعد الشيء^(٣). ويرجع ذلك كله إلى درجة همة المصنّف، وسعة مكتبته، وقوة شرطه - في الانتقاء والتصنيف على السواء - في اختيار روافده والنقل عنها. فمن نزع منهم نزعة المحدثين، يجعل من مصادر الحديث - من مسانيد، وصحاح، وجوامع، وسنن، ومستدركات - أهمّ روافده التي يستعين بها في تصانيفه^(٤). ومن نزع منهم نزعة الأخباريين فلا بأس عنده أن يُشَرِّق ويُعَرِّب - إذا تطلب الأمر ذلك - بحثاً عن الخبر بعد الخبر يثري به تصنيفه، أو يرفد به مصدره الأصيل^(٥).

بقيت ملاحظة أخيرة فيما يخص أمر مصادر أصحاب الانتخاب والسرد، وبخاصة المحدثين، والمعاصرين^(٦) ممن نزع عرق المحدثين منهم، وهي أنه كلما تأخر بهم الزمن تجدهم يكادون يُشركون مع الطبري إماماً آخر، هو عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي، المعروف بابن كثير

(١) إلا إذا استثنينا أبا حنيفة الدينوري، بحكم قدمه.

(٢) وتلك السمة نفسها التي سنلاحظها عند أصحاب المدارس الحديثة.

(٣) ومن أبرز من يمثل هذا الصنف الأخير: ابن الأثير في الكامل - إلا في الأبواب التي لم يتطرق إليها الطبري - وأبو الفدا في المختصر في أخبار البشر، وابن خلدون في تاريخه.

(٤) ومن أبرز من يمثل هذا القسم: الذهبي في تاريخ الإسلام، وابن كثير في البداية والنهاية، والسيوطي في تاريخ الخلفاء.

(٥) ومن أبرز من يمثل هذا القسم: مسكويه في تجارب الأمم. ويدخل أبو حنيفة الدينوري بكتابه الأخبار الطوال في هذا القسم من أوسع أبوابه لأنه سابق على الطبري فاستقل بمصادره، وكلها أخبارية صرفة، لم يخالطها شيء.

(٦) فيما يخص كتب المحدثين - بتخفيف الدال - في كل مطلب مما يأتي، فإنه من المعلوم وفرة كتبهم في دراسة هذه الفترة، وغزارة مؤلفاتهم على اختلاف توجهاتهم، حتى صار حصرها واستيعابها أمراً معجزاً، فانتهجت منهج الانتقاء من تلك الكتابات المتأخرة، شَرَطِي فيه ما ذاع صيته واشتهر بين الناس، من باب الكشف والتحذير والبيان.

(ت ٧٧٤هـ) صاحب البداية والنهاية، يتغنون من وراء ذلك درايته الحديثية التي ترفع عنهم الكثير من الوقت والجهد في نقد المرويات إسنادا وامتنا، حتى شابه بعضهم بعضاً في كثير من الاختيارات تبعا لهذه التبعية، فضلا عن تقليد أعمى نلمسه أحيانا في النقد والتفسير والتعليل، حتى يظن الظان أن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، من خالفه خالف طريق أهل الحق! الأمر الذي أضر كثيرا عند التفسير والتعليل من جهة، ثم عند الرد على المخالف من جهة أخرى. وهو أمر سوف تكشف عنه الصفحات الآتية.

في حين يكاد يُشرك غيرهم - ممن خفتت نزعتهم الحديثية - ابن الأثير بكتابه الكامل، يتبعون ترتيبه، ويرضون اختياراته، يهتدون بذلك في بحر الطبري المتلاطم الأمواج بغزارة مروياته واختلاف بعضها أحيانا.

لا ريب أن اتحاد أصحاب الانتخاب والسرد في بعض مصادرهم كان له أثره الواضح في اشتراك بعضهم في مرويات بعينها. الأمر الذي يفسر لنا سبب ذبوع هذه المرويات وشهرتها بعينها في تلك التصانيف.

ومن أهم الكتب التي تمثل أبرز النماذج لمصادر الانتخاب والسرد: تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، والمختصر في تاريخ البشر لأبي الفدا (ت ٧٣٢هـ)، والرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ)، وتاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وتاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١هـ)..

وعلى الرغم من كون الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري من مصادر الانتخاب والسرد، إلا أني استثنيتها من تلك المصادر المنتخبة لدراسة أثر الوضع فيها في هذا المبحث، وذلك أنه حكى أخبارا لا تعدو - عند التذوق والمقابلة بأصولها المسندة - كونها حكايات شعبية لاكتها السنة العامة ممن كان في عصر أبي حنيفة، فهي تتسم بالركة، والضعف.

وآخر ما ينبغي التنبيه عليه في هذا المدخل المهم لهذا الفصل، أنه يتبين بوضوح للباحث في مجال الرواية التاريخية والأخبارية عند المسلمين اتفاق أهل السنة في أصول عامة يركز عليها منهاجهم في الرواية التاريخية وتفسيرها، تنحصر - حسب استنباطي - في ثلاثة أصول:

- صحة الخبر إسنادا وامتنا.

- رد المنكر من الأخبار ولو كان ظاهر إسناده الصحة.

- معرفة فضل الصحابة، وتأويل أخطائهم، وتحريم الطعن في إيمانهم ونياتهم.

وعلى الرغم من الاتفاق في هذه الأصول العامة لمنهاج رواية التاريخ عند المسلمين وتفسيره، فإن هذا لم يمنع اختلافاً وقع بينهم في منهاج عملية التفسير. ويرجع السبب في ذلك إلى شرط كل مفسر في كل أصل من هذه الأصول السابقة.

فمنهج إثبات صحة الخبر مثلاً - ومثله رد المنكر من الأخبار ولو كان ظاهر إسناده الصحة - يختلف من مفسر لآخر، على الرغم من كونهم يتبعون إطاراً عاماً محددًا في ذلك الأمر. وهذا أمر رأيتُه يختلف ليس من فرد لآخر فقط، بل كذلك من عصر لعصر أيضاً، وذلك تبعاً لدرجة التمكن في هذا المنهاج وشرط كل امرئ فيه. فمنهاج المتقدمين مثلاً واصطلاحاتهم في قبول الخبر أو رده تختلف أحياناً عن المتأخرين، وكذلك العكس. لذلك فقد نجد من الأخبار ما يضعفه بعض المتقدمين، في حين نجد من المتأخرين من يصححه، بل أحياناً يردُّ المتأخر على المتقدم تضعيفه أو تصحيحه. وهذا أمر مرّ طرف منه فيما سبق عند الحديث عن أثر الوضع في الرواية التاريخية، وسوف يأتي أمثلة له أيضاً عند عرض تفسير تلك النماذج من فترة الخلافة الراشدة.

وأما عن الصحابة وأخطائهم، فهذا أمر يرجع إلى مدى جرأة المفسر أو تحرزه عند ولوجه هذه الحقبة. وهذا أمر - لا شك - نسبي، يختلف من مفسر لآخر. تبعاً لدرجة تمكن المفسر من هواه وما يعتقد تجاه كل قضية يتناولها بالبحث والنظر.

ومن ثم - بناء على ما سبق - تختلف الدلالة المستنبطة من كل خبر باختلاف كل مفسر تبعاً لمنهاجه في قبول الخبر أو رده، وتبعاً لهواه وما يعتقد تجاه محتوى هذا الخبر.

وهذا أوان الشروع في تناول نماذج من عصر الخلافة الراشدة ودراساتها رواية وتفسيراً. وسوف يصاحب ذلك الرد والتعليق والمناقشة، في محاولة تطبيقية تكشف بها شيئاً من أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره.

وقد سبق التنبيه على أنني لست أعني بالوضع فقط ما قد يذهب إليه الخاطر الأول أنه كل ما في إسناده كذاب أو متروك.. فهذا أمر هين يدركه الباحث للوهلة الأولى، وإنما المشقة هنا هو إخراج آثار ما أُدخل على الروايات التي ظاهر إسنادهما الصحة، حتى غرَّت بعض الباحثين فأوجب حكم الصحة لمتونها. وهذا أمر من الخفاء والدقة بحيث يحتاج من الباحثين مشقة وعنتا أن يتتبع مرويات الباب ثم يقابل بعضها ببعض، ويعرض بعضها على بعض حتى يمكنه الوقوف على المدخول في الرواية وليس منها.

ولما كنت سوف أتناول أبواباً فيها من المرويات الكم الكبير، بلغ الخلاف بينها أحياناً درجة الاضطراب في الباب الواحد بما تباينت فيه صحة وسقمًا، وطولاً وقصرًا، وتفصيلاً واختصارًا،

بل أحيانا لفظا ومعنى، الأمر الذي يجعل مهمة الباحث في هذه المروييات في غاية الصعوبة والمشقة، ذلك أنّ عليه أن يشقّ عباب بحر جُيِّ فيه من الخطر ما فيه. ولما كان الأمر كذلك، فقد حَتَّمَ عليّ ذلك أنّ أدرس هذه المروييات وفق منهاج عسير أراه - على الرغم من صعوبته ومشقته - المنهاج الأمثل الذي يعين على دراسة قضية الوضع وآثاره وطرقه وأسبابه في الرواية التاريخية^(١) وتفسيرها. فأستعين الله على ذلك.



(١) بل في كل رواية تُعتبر الإسناد أصلا في العلم التابعة له.

المبحث الأول

استخلاف أبي بكر الصديق

سوف أعرض في هذا المبحث لثلاثة مطالب تختص بقضية استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أولها: هل استخلف النبي ﷺ أبا بكر قبل موته؟ أناقش فيه ما روي عن النبي ﷺ في هذا الشأن. يليه بعد ذلك دراسة مرويات خبر السقيفة، وما جرى بين الصحابة في هذا اليوم حتى انتهى باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه. ليكون ختام هذا المبحث بالحديث عن الخلاف حولبيعة الصحابة لأبي بكر رضي الله عنه، هل أقر بها جميع الصحابة من أول يوم، أم وقع إعراض من بعضهم.

المطلب الأول

هل استخلف النبي ﷺ أبا بكر قبل موته

توفي النبي ﷺ ولم يستخلف أحدا من بعده. هذا ما اتفق عليه جمهور أهل السنة، وهو الصحيح الراجح الذي لا مرية فيه عندي، أن النبي ﷺ مات ولم يعهد من بعده لأحد^(١). دل على ذلك عندهم صحيح المرويات في هذا الباب^(٢)، ومن ذلك ما رواه مسلم^(٣)، وغيره من طريق مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«ما ترك رسول الله ﷺ دينارا، ولا درهما، ولا شاة، ولا بعيرا، ولا أوصى بشيء».

وأخرج البخاري^(٤)، ومسلم^(٥)، وغيرهما من طريق عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمر قال:

(١) هذا ما اجتمع عليه الباب بعد نقده وتمحيصه، اللهم إلا إشارات أشار بها النبي ﷺ أظهرت رغبته، ولكن لما لم ينزل في هذا الأمر وحي أعرض عن التصريح بذلك تاركا إياه للمسلمين يقضي الله فيهم ما يشاء.

(٢) انظر الملحق بآخر الرسالة.

(٣) صحيحه برقم ١٦٣٥.

(٤) صحيحه برقم ٧٢١٨.

(٥) صحيحه برقم ١٨٢٣.

«قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر. وإن أترك، فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ».

وأخرج مسلم^(١) وغيره من طريق ابن أبي مليكة قال:

«سمعت عائشة وسئلت: مَنْ كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم مَنْ بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: مَنْ بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا».

إلا أنه مع ذلك وردت إشارات منه ﷺ تشير إلى الخليفة من بعده، منها إصراره ﷺ على إمامة أبي بكر المسلمين في الصلاة في مرضه وإقراره على ذلك دون غيره، من ذلك ما صح عن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها أنها قالت^(٢):

«إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلي بالناس. قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس. فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس. ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: مه، إنكن لأتتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا».

وكذلك ما صح عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر في رؤيا النبي ﷺ^(٣)، وهو كثير، منها^(٤): عن ابن عمر قال:

«قال رسول الله ﷺ: بينما أنا على بئر أنزع منها، جاءني أبو بكر وعمر، فأخذ أبو بكر الدلو، فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعها ضعف، والله يغفر له. ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غربا، فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه، فنزع حتى ضرب الناس بعطن».

وأخرج البخاري^(٥) من طريق نافع عن ابن عمر قال:

(١) صحيحه برقم ٢٣٨٥.

(٢) صحيح البخاري برقم ٦٧٩.

(٣) انظر في رواية أبي هريرة من الصحيحين: البخاري بأرقام ٣٦٦٤، ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥، ومسلم برقم ٢٣٩٢ (١٧، ١٨)، وانظر في رواية ابن عمر من الصحيحين أيضا: البخاري بأرقام ٣٦٣٣، ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠. ومسلم برقم ٢٣٩٣.

(٤) المتن متن البخاري من رواية ابن عمر برقم ٣٦٧٦.

(٥) صحيحه برقمي ٣٦٥٥، ٣٦٩٧.

«كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم»^(١).

وكان العلة في ذلك أنه لم يوح إليه في ذلك بشيء نصا، فاكتفى بالإشارة لما كان يرجوه من ربه والمؤمنين، فتحقق ما رغب فيه، باتفاق المسلمين من بعده على أبي بكر رضى الله. هذا ما يدل عليه تذوق النصوص بعد نقدها، وتمحيصها.

ولكننا وجدنا بعد ذلك من أهل السنة من قال بخلافة أبي بكر نصا. كابن حزم، وابن حجر الهيثمي.. وغيرهما. يقول ابن أبي العز الحنفي: «اختلف أهل السنة في خلافة الصديق ﷺ: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الحنفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي. وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار. والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك.. حديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر). رواه أهل السنن. وفي الصحيحين^(٢) عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها، قالت: (دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتابا، ثم قال: يا أبا الله والمسلمون إلا أبا بكر). وفي رواية: (فلا يطمع في هذا الأمر طامع). وفي رواية: قال: (ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه، ثم قال. معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر)^(٣).

وفي ذلك يقول ابن حزم: «وقالت طائفة: بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصا جليا. وبهذا نقول، لبراهين.. فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها في مرضه الذي توفي فيه عليه السلام: (لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فاكتب كتابا، وأعهد عهدا لكيلا يقول قائل أنا أحق، أو يتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر). وروى أيضا: (ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر). فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام أبا بكر على ولاية الأمة بعده»^(٤).

وهذا ابن حجر الهيثمي، يعدد من الأدلة على وجود النص الجلي من النبي ﷺ باستخلاف أبي بكر، فيقول: «أما النصوص الواردة عنه المصرحة بخلافته والمشيرة إليها فكثيرة جدا»^(٥). قلت: وسوف أختار منها ما يأتي حسب ترتيب الهيثمي في كتابه:

(١) ولن يكون ذلك إلا بما ظهر من تفضيل رسول الله ﷺ لهم.

(٢) ما سيورده رواية مسلم بلفظه، وليست رواية البخاري.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧١-٤٧٢.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/١٠٧-١٠٨.

(٥) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ١/٥٣.

«الثاني: أخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً)..»

الثالث: أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود..

السادس: أخرج مسلم عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)..»

الثامن: أخرج ابن حبان عن سفينة: لما بنى رسول الله المسجد، وضع في البناء حجرا، وقال لأبي بكر: (ضع حجرك إلى جنب حجري). ثم قال لعمر: (ضع حجرك إلى جنب حجرك إلى جنب حجرك إلى جنب حجرك). ثم قال لعثمان: (ضع حجرك إلى جنب حجرك). ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي).

الخامس عشر: أخرج البزار عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله لما اشتد به وجعه قال: (أتوني بدواة وكتف أو قرطاس أكتب لأبي بكر كتابا، أن لا يختلف الناس عليه. ثم قال: معاذ الله أن يختلف الناس على أبي بكر). فهذا نص صريح كما قاله بعض المحققين على خلافة أبي بكر، وأنه إنما ترك، مُعَوَّلًا كتابه على أنه لا يقع إلا كذلك..»^(١).

وهكذا، فإنه يظهر مما سبق من نُقُولٍ أن جملة ما استند عليه أصحاب هذا القول يدور على مرويات لم تبرأ من العلل خالفت الصحيح من مرويات الباب^(٢). ويمكن حصر أهم هذه المرويات في الأحاديث الآتية:

الفرع الأول

حديث: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن

ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»

وأصل باب هذا الخبر ما رواه البخاري^(٣) من طريق يحيى بن يحيى النيسابوري، عن سليمان ابن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنها^(٤):

(١) المصدر نفسه ١/٥٨-٦٨.

(٢) هذا بخلاف التأويل الفاسد - من قبل هؤلاء القائلين بالنص الجلي - لبعض النصوص الصحيحة. واختصاصي هنا ليس بهذا القسم - قسم التأويلات الفاسدة - بقدر ما هو مختص بأثر الوضع والوهم من المروي في التفسير.

(٣) صحيحه برقمي ٥٦٦٦، ٧٢١٧.

(٤) المتن متن البخاري.

«وارأساه. فقال رسول الله ﷺ ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك. فقالت عائشة وأثكلياه، والله إنى لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسًا ببعض أزواجك. فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه، لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المؤمنون. ثم قلت: يا أبا الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

فهذا خبر صحيح عرف به يحيى بن يحيى النيسابوري، لم يصح بهذا اللفظ - بإطلاق عهد النبي ﷺ الوارد في الخبر من غير تخصيص - إلا من طريقه، حتى حُكي تفرد به بإسناده. ولكن مع ذلك نجده لم يسلم من محاولات الوضع فيه متنا وإسنادا، إما بعث عابث، أو وهم واهم. وعلة ذلك:

١ - الأهواء من جهة، ممن أراد أن يكثر طرق هذا الخبر، أو ممن أضاف إليه ما يزيد الخبر إفصاحا عن مضمون فيه لم تفصح عنه الرواية بما فيها من إشارة اختصاص النبي ﷺ عند موته بعهد منه إلى أبي بكر وولده بشيء أسرته الرواية فلم تفصح عن هذا الذي أراد النبي ﷺ أن يعهد به إلى أبي بكر وولده.

٢ - والعلة الأخرى الوهم والخطأ الذي لا يسلم منه بشر، فظهر ذلك إما في الإسناد أو في المتن أيضا.

فهذا الخبر قد أخرجه أيضا - عدا من سبق - الطبراني^(١) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن العلاء، ثنا عمرو بن الحارث، عن عبد الله بن سالم، عن الزبيدي قال: قال عبد الرحمن بن القاسم ابن محمد: أخبرني القاسم عن عائشة به..

قلت: هذا إسناد لا يصح، فالحديث حديث يحيى بن يحيى، وهذا الإسناد وُضع على ذلك المتن الصحيح إما عن عمد أو وهم - والأول هو الراجح عندي - فإن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبريق، يغلب عليه الضعف، خاصة في روايته عن عمرو بن الحارث كما هو هنا، قال فيه النسائي: «ليس بثقة عن عمرو بن الحارث»^(٢). واتهمه بلديه محمد بن عوف الطائي - وهو أعلم بحديث بلده ورجاله^(٣) - فقال: «ما أشك أن إسحاق بن إبراهيم بن زبريق يكذب»^(٤).

(١) مسند الشاميين برقم ١٨٢٥.

(٢) تاريخ دمشق ٨/١٠٩.

(٣) جاء عن يحيى بن معين أن ابن عوف أعرف بحديث بلده (تهذيب الكمال ٢٦/٢٣٩).

(٤) سؤالات الأجرى لأبي داود برقم ١٦٨٢.

وأما عمرو بن الحارث هذا فإنه لا يُعرف حاله. قال الذهبي^(١): «عمرو بن الحارث الزبيدي الحمصي، عن عبد الله بن سالم الأشعري فقط، وله عنه نسخة تفرد بالرواية عنه إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن زبريق، ومولاة له اسمها علوة، فهو غير معروف العدالة، وابن زبريق ضعيف».

وأخرجه كذلك أبو نعيم^(٢)، وابن عساكر^(٣) من طريق عبد العزيز بن يحيى المدني قال: ثنا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال سمعت القاسم بن محمد يقول قالت عائشة رضي الله عنها:

«وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك. فقالت عائشة: واثكلناه، إني والله لأظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك. فقال رسول الله ﷺ: بل أنا ووارأساه. لقد هممت، أو أردت، أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يا أباي الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

فالخبر هنا مسروق إسنادا ومنتنا، والمتهم به هنا عبد العزيز بن يحيى المدني، وهو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد الله بن عمرو بن أوس. جاء عن البخاري قوله: «ليس من أهل الحديث يضع الحديث»^(٤). وقال ابن أبي حاتم: «سألت أبا زرعة عن عبد العزيز بن يحيى المدني فقال: ليس يصدق، ذكرته لإبراهيم بن المنذر فكذبه، وذكرته لأبي مصعب فقلت يحدث عن سليمان بن بلال فقال كذب، أنا أكبر منه ما أدركته»^(٥).

وأخرجه ابن عساكر^(٦) أيضا من طريق الحسن بن عبد العزيز الجروي نا يحيى بن حسان نا سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال:

«قالت عائشة ووارأساه فقال رسول الله ﷺ: إن كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك قالت عائشة واثكلناه والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت معرسا ببعض أزواجك فقال رسول الله ﷺ: بل أنا ووارأساه لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد إليه أن يقول القائلون ويتمناه المتمنون».

(١) ميزان الاعتدال ٥ / ٣٠٥.

(٢) حلية الأولياء ٢ / ١٨٥.

(٣) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٦٦. والمتن متنه.

(٤) تهذيب الكمال ١٨ / ٢١٩.

(٥) الجرح والتعديل ٥ / ٤٠٠.

(٦) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٦٦. والمتن متنه.

قلت: وهذا إسناد لا يصح، فالحديث كما قلنا حديث يحيى بن يحيى النيسابوري، وعلته هنا وقوع الوهم من بعض رواته فيه^(١) رغم كونهم ثقات. كما أن في متنه لفظة منكرة ليست بمحفوظة، وهي قوله: «لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد إليه». فلفظة (إليه) موضوعة ليست في طريق من طرق هذا الخبر. ذلك أن العهد هنا مطلق من غير تقييد بأبي بكر.

ويؤكد ما ذكرت في ضعف هذا الطريق أن أبا نعيم جعل هذين الطريقين الأخيرين مع طريق الزبيدي السالف من المفاريد والغرائب^(٢) لهذه الرواية عن القاسم^(٣). وقد صدق، فالحديث كما قلنا حديث يحيى بن يحيى النيسابوري كما عند البخاري. قال ابن حجر: «ويقال إنه^(٤) تفرد بهذا الإسناد وإن أحمد كان يتمنى لو أمكنه الخروج إلى نيسابور لسمع منه هذا الحديث، ولكن أخرجه أبو نعيم في المستخرج من وجهين آخرين عن سليمان بن بلال^(٥)». قلت: وكأن ابن حجر يرتاب من قولهم (تفرد به يحيى بن يحيى) بحجة إخراج أبي نعيم له من وجهين آخرين. وقد أوضح أبو نعيم في الحلية - كما مر بنا - أنهما من المفاريد والغرائب يعني ليس هذان الطريقان بالمحفوظين. بدليل أنه لم يخرج طريق يحيى بن يحيى من جملة هذه المفاريد والغرائب رغم اشتهار يحيى بن يحيى به مما يعني إشارته بعدم صحته إلا من طريق يحيى بن يحيى فقط.

ولكن ما يعكر بالفعل صفو تفرد يحيى بهذا الخبر، متابعة الواقدي له فيما رواه عنه كاتبه محمد ابن سعد^(٦)، قال^(٧): أخبرنا محمد بن عمر - الواقدي - حدثني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة. قال محمد بن عمر: وأخبرنا هشام بن عمار، عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن القاسم بن محمد، عن عائشة. (ح) وأخبرنا محمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. (ح) وأخبرنا الحكم بن القاسم، عن عفيف بن عمرو، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالت:

«بدئ برسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أقول: وارأساه، فقال: لو كان ذلك وأنا حي فاستغفر لك، وأدعوك، وأكفئك وأدفئك، فقلت: واثكلاه، والله إنك لتحب موتي، ولو كان ذلك لظلت يومك

(١) لعله من الحسن بن عبد العزيز الجروي، أو ممن دونه.

(٢) في إشارة إلى ضعفها كما هو على منهاج القدماء في المعروف عندهم من قولهم مفاريد وغرائب.

(٣) حلية الأولياء ٢/ ١٨٦.

(٤) يعني: يحيى بن يحيى.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٤٠.

(٦) ولعل ذلك هو سبب عدم ذكره في كتب الأفراد.

(٧) الطبقات الكبير ٢/ ١٩٩.

معرسا ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه، لقد هممت، أو أردت أن أرسل إلى أبيك وإلى أخيك فأقضي أمري، وأعهد عهدي، فلا يطمع في الأمر طامع، ولا يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قال: كلا، يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون، وقال بعضهم في حديثه: ويأبى الله إلا أبا بكر».

والواقدي وإن كان متروكاً، إلا أنه ليس عندي ممن يكذب، كان رَاوِيَةً واسع الحفظ، وإنما تُرك لآفات فيه غير الكذب على الراجح عندي، من أهمها جمعه أسانيد الثقات بالضعفاء وحكاية المتون نسقا واحدا لا يمكن معه تمييز الصحيح من السقيم^(١) - كما هو هنا - مما أهدر قيمة متابعته^(٢)، فلم يلتفت إليها أحد.

وفي الباب من طريق القاسم عن عائشة أيضا ما رواه ابنُ سعد^(٣)، والدارمي^(٤)، والطبراني^(٥)، من طريق سعيد بن منصور أخبرنا فليح بن سليمان، عن سليمان بن عبد الرحمن، عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت:

«أوذَن النبي ﷺ بالصلاة في مرضه، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. ثم أغمي عليه. فلما سُري عنه قال: هل أمرتن أبا بكر يصلي بالناس؟ فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر. قال: إنكن صواحب يوسف! مروا أبا بكر فليصل بالناس، فرب قائل ومتمن، ويأبى الله والمؤمنون».

قال الطبراني عقب روايته هذا الحديث: «لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن محمد إلا سليمان بن عبد الرحمن، تفرد به فليح بن سليمان».

قلت: وفليح تُكَلِّم فيه^(٦)، ولا يجتمل التفرد، خاصة إذا خالف غيره، إلا في أحاديث عُرفت عنه أخرجها له أصحاب الصحاح. وكأنه خلط هنا بين حديثين مستقلين.

(١) كما أنه كان ممن جمع فأوعى عن كل أحد: الثقة والضعيف، الحر والعبد، حتى ربات البيوت، ومَن ليس يُعرف بالرواية من الأبناء والأحفاد والموالي، مما أكثر من غرابته حتى اتُّهم هو بها، في حين أن الآفة غالبا ما تكون ممن دونه.

(٢) اللهم إلا في تعزيز مخرج الخبر فقط. فهذا خبر أصله مدني، وأصول إسناده مدنية، وكذلك الواقدي، مما يعني معرفة أهل المدينة لهذا الخبر وأنه لم يغيب عن كلهم.

(٣) الطبقات ٢/ ١٩٤.

(٤) مسنده برقم ٨٣.

(٥) في المعجم الأوسط برقم ٦٣٢٩، وفي مسند الشاميين برقم ١٨٢٥.

(٦) انظر: الجرح والتعديل ٧/ ٨٤، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/ ٣٠، وتهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٧.

وقد رُوي نحوه من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة قال^(١):

«لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي للناس. فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبا، فقلت: يا عمر، قم فصل بالناس. فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلا مجهرا، قال: فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون. فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس.»

ولكنه خبر تُكلم في إسناده وامتته، والراجح رده^(٢).

والنتيجة التي توصل إليها تحقيق هذه الرواية: أن العهد فيها مطلق من غير تقييد بأبي بكر كما فهم بعض المتأخرين، وإلا صار ابنُ أبي بكر مشاركا في هذا العهد أيضا وهذا محال طبعاً. ولكن ما يفهم من الرواية أن النبي ﷺ أراد أن يكتب عهدا في حضور أبي بكر وابنه، أيا كان العهد، سواء كان لأبي بكر، أو لغيره، في الخلافة من بعده، أو في شأن آخر. المهم أنه لم ينص على شيء في هذه الرواية لأحد.

إلا أنه يبقى بعد ذلك معضلة العضلات في مرويات هذا الباب، وهو حديثنا الذي خصصنا له هذا الفرع، فقد رواه ابن سعد^(٣)، وأحمد^(٤)، ومسلم^(٥)، والنسائي^(٦)، وابن حبان^(٧)،

(١) المتن متن أبي داود.

(٢) رواه أحمد ٤/٣٢٢، وأبو داود برقم ٤٦٢٧، والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/٢٤٣، وابن أبي عاصم في السنة برقم ١١٦١، والطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم ٤٢٥٣، والطبراني في الكبير برقم ٤٤٦، والحاكم في المستدرک ٣/٦٤١. وروي أيضا عن الزهري مراسلا، رواه: عبد الرزاق ٥/٤٣٢، وأحمد ٦/٣٤. وقد أفاض محققو مسند أحمد (٣١/٢٠٣، ٤٠/٦٩ ط الرسالة) القول فيه وذهبوا إلى ضعفه لانقطاعه بحجة عنعنة ابن إسحاق وأنه لم يُصَرَّحَ بسماعه من الزهري إلا من طريق أبي داود في سننه، مع تصويبه المرسَل منه عن الزهري. قلت: وقد فاتهم تخرجه من الأحاديث المختارة للضياء (برقم ٣٢٣)، وفيه ما يعضد طريق أبي داود، إذ رواه عن الطبراني من طريقين إلى ابن إسحاق صرَّح في أحدهما بالسماع كما عند أبي داود. كما أنه رُوي بنحوه من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن عبد الله بن زمعة. رواه ابن عساکر (تاريخ دمشق ٣٠/٢٦٢-٢٦٣). وعلى كل حال فإن في متنه نكارة وغرابة.

(٣) الطبقات ٣/١٦٤.

(٤) مسنده ٦/١٤٤.

(٥) صحيحه برقم ٢٣٨٧.

(٦) السنن الكبرى برقم ٧٠٤٤.

(٧) صحيحه برقم ٦٥٩٨.

والطبراني^(١)، وغيرهم جميعاً من طريق يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إبراهيم بن سعد، حدثنا صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت^(٢):

«قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادعى لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

قال الطبراني عقب رواية هذا الحديث: «لم يرو هذا الحديث عن الزهري إلا صالح بن كيسان ولا رواه عن صالح بن كيسان إلا إبراهيم بن سعد تفرد به يزيد بن هارون وأحمد بن محمد بن أيوب».

قلت: ومعضلة هذا الحديث زيادة «إلا أبابكر» الواردة في متن هذا الطريق، في حين لم ترد في متن البخاري. ذلك أن الباب يُردّها إن كانت تحمل معنى الاستخلاف من بعده ﷺ. فالصحيح في متون هذا الباب من غير هذه الزيادة، وكأنها أُدرجت من بعض رواة هذا الخبر يفسر بها فيما رجح عنده معنى قوله «ويأبى الله والمؤمنون»، وقد سبق مثل هذا في رواية ضعيفة، من قول روي عن عائشة قالت: «فأبى الله والمؤمنون إلا أن يكون أبي، فكان أبي». ولو ثبتت هذه الزيادة عند الصحابة لكانت فصلاً في تعيين الخليفة من بعده ﷺ دون نزاع أو خلاف بينهم يوم السقيفة.

يزيد في تلك الريبة من تلك الزيادة صنيع النسائي^(٣) عند تخريجه هذا الطريق حيث جاء به بعد حديثين قبله في الباب من طرق عن الزهري يكرر في كل مرة قوله: «خالفه فلان فرواه عن فلان..» وكأنه يوحى بشيء في نفسه من هذا الطريق وزيادته، ناهيك عن عدم إخراج هذا الحديث في سننه الصغرى.

وكذلك إعراض البخاري عن إخراج هذا الطريق المشهور وإخراجه لطريق آخر يتفرد بها عن الخمسة دونه، أصحاب السنن والصحاح^(٤)!

كما أن أهم ما يعارضه في الباب ما صح عن عائشة نفسها حين سُئلت: «من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت أبو بكر. فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر. ثم قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا»^(٥). فهذا أقوى معارض أن يكون النبي ﷺ ذكر مثل هذه الزيادة لعائشة، ثم تقول عائشة هذا الذي صح عنها واتسق مع بقية الباب أن

(١) في المعجم الأوسط برقم ٦٥٧١.

(٢) المتن متن مسلم.

(٣) راجع التخریج.

(٤) وهو طريق القاسم بن محمد عن عائشة السالف.

(٥) صحيح مسلم برقم ٢٣٨٥.

النبي ﷺ مات ولم ينص على استخلاف أحد، ذلك أن هذه الزيادة نص في استخلافه وإن لم يكتب، فأوامر النبي ﷺ كلها عند الصحابة نصوص، ومنها نصه على إقرار أسامة على إمرة الجيش في آخر عهده على الرغم من علمه بمعارضة بعض الصحابة، ولم يجعل النص كتابة ليكون عهداً من بعده. إلا أن يكون التوفيق بين هذه الزيادة وبين أحاديث الباب أن يكون النبي ﷺ قصد شيئاً آخر غير الاستخلاف وكان هذا ما فهمته عائشة فلم تنص عليه لأحد من الصحابة. وجدير بالذكر أن هذا الطريق رواه أحمد^(١) من طريق سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة:

«أن النبي ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة: فكرهت أن يتشاءم الناس بأبي، فقلت لحفصة: قولي إن أبا بكر رجل رقيق، ومتى ما يقيم مقامك بيك، فلو أمرت عمر؟ فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت عائشة: فأعادت عليه. فقال: إنكن صواحبات يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس، يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

إلا أن سفيان عَقَبَ عَقِبَ رواية هذا الخبر بقوله: ولم أسمع من الزهري، حدثونا عنه. قلت: وهذا يعني انقطاعه. ويشبهه متن هذا الطريق متون ثلاثة طرق لا تصح:
الأول: طريق الماجشون عن عائشة: رواه الطبراني^(٢)، قال: حدثنا عبدان بن أحمد قال حدثنا عبد الله بن حماد بن نمير قال حدثنا حصين بن نمير قال حدثنا سفيان بن حسين عن الزهري عن الماجشون عن عائشة قالت:

«دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أشتكي فقلت: وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: فما عليك أن يكون ذلك فأقوم عليك، وأليكِ بنفسِي. قلت: وكأني بك لو قد كان ذلك لقد أعرست ببعض نسائك. قالت: فلم أمس في يومى ذلك حتى قال رسول الله ﷺ: بل أنا وارأساه، فادعي لي أباك والرجال، فإنه سيتمنى متمنون، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الزهري عن الماجشون وهو عبد الله بن أبي سلمة إلا سفيان بن حسين تفرد به حصين بن نمير.
قلت: إسناد هذا الطريق لا يصح، وليس هذا من حديث الزهري، علته سفيان بن حسين، فهو ثقة إلا في حديثه عن الزهري، فإنه فيه ضعيف^(٣). قال ابن حبان: يروى عن الزهري

(١) فضائل الصحابة برقم ٥٨٩.

(٢) المعجم الأوسط برقم ٤٥٦٧.

(٣) انظر تهذيب الكمال ١١/١٣٩.

المقلوبات وإذا روى عن غيره أشبه حديثه حديث الأثبات، وذلك أن صحيفة الزهري اختلطت عليه فكان يأتي بها على التوهم، فالإنصاف في أمره تَنكُّب ما روى عن الزهري والاحتجاج بما روى عن غيره^(١).

الثاني: طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عنها: رواه ابن طهمان^(٢) عن عباد بن إسحاق عن محمد بن مسلم الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة أنها قالت:

«بدأ رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبضه الله فيه في بيت ميمونة، فجاءني يهادي بين رجلين تخط قدماه في الأرض، فلما دخل قلت: واراأساه. فقال: لوددت أن ذلك كان فأشهدك وأصلى عليك. فقلت: إني أظن ذلك لو كان ما أمسيت من يومك حتى تعرس ببعض نسائك. ثم قال: واراأساه. مرتين. ثم قال: ألا ادعوا أبا بكر وابنه فاعهد إليه، أن لا يطمع في الأمر طامع، أو يقول فيه قائل. مرتين أو ثلاثا. ثم قال يأبى الله ويدفع المؤمنين. مرتين أو ثلاثا».

وهذه الرواية بهذا المتن باطلة، تفرد بها عباد بن إسحاق، فالمحفوظ من هذه الرواية من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله - زادت بعض المصادر: عن عروة - عن عائشة اقتضت على ذكر بدء وجع النبي ﷺ فقط دون ذكر لهذه الزيادة في شأن عهد النبي ﷺ لأبي بكر^(٣)، وكان هذه الرواية اختلطت على راويها، فأدرج فيها ما ليس منها. والمتهم بها عباد، وهو: عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث المدني، ويقال له عباد بن إسحاق. نقل المزي عن البخاري قوله: «ليس ممن يُعتمد على حفظه إذا خالف من ليس بدونه»^(٤). وقال ابن عدي: «في حديثه بعض ما ينكر ولا يتابع عليه»^(٥). قلت: وذلك منها لا ريب.

الثالث: طريق أنس عنها: رواه ابن سمعون^(٦)، وأبو نعيم^(٧)، ابن عساكر^(٨) من طريق الخليل بن زكريا، ثنا محمد بن ثابت البناني، قال: حدثني أبي، ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال:

(١) المجروحين ١/٣٥٨ (١/٤٥٤ ط السلفي).

(٢) مشيخته برقم ٥.

(٣) انظر من مصادر تخريج هذه الرواية: مسند أحمد ٤٣/٨١ (ط الرسالة)، والسنن الكبرى للنسائي برقمي

٧٠٤٢، ٧٠٤٣، وصحيح ابن حبان برقم ٦٥٨٦.

(٤) تهذيب الكمال ١٦/٥٢٤.

(٥) الكامل في الضعفاء ٤/٣٠٣.

(٦) أماليه برقمي ٣٣، ٦٣.

(٧) فضائل الخلفاء الأربعة برقم ١٧٣.

(٨) تاريخ دمشق ٣٠/٢٧٠.

«قال رسول الله ﷺ في شكايته التي توفي فيها: يا عائشة، ادعي عبد الرحمن بن أبي بكر حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه من بعدي. قال رسول الله ﷺ: دعيه، معاذ الله أن يختلف على أبي بكر أحد من المؤمنين».

قال الدارقطني: تفرد به الخليل بن زكريا، عن محمد^(١).

قلت: وهذا المتن بهذا الإسناد موضوع، علته الخليل بن زكريا، قال فيه القاسم بن زكريا المطرز: هو والله كذاب^(٢). وقال العقيلي: يحدث بالبواطيل عن الثقات^(٣).

وخلاصة هذا الفرع أن أصل لفظه الصحيح هو ما رواه البخاري السالف ذكره أول حديثنا في هذا الفرع، وهو قول النبي ﷺ: «لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون. ثم قلت: يا أبا الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

الفرع الثاني

حديث: «لما بنى رسول الله المسجد وضع في البناء حجرا وقال لأبي بكر ضع حجرك إلى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك إلى جنب حجرك ثم قال لعثمان ضع حجرك إلى جنب حجرك ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي»

وهذا خبر أخرجه الحارث بن أبي أسامة^(٤)، وابن أبي عاصم^(٥)، وأبو يعلى^(٦)، والعقيلي^(٧)، وابن حبان في المجروحين^(٨)، وابن عدي^(٩)، والحاكم^(١٠)، وأبو نعيم^(١١)،

(١) أطراف الغرائب والأفراد برقم ٧٣٩.

(٢) سؤالات السهمي للدارقطني برقم ٢٨٩.

(٣) الضعفاء ٢/٢٤٣.

(٤) انظر: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث برقم ٥٩٣، والمطالب العالية برقم ٣٨١٧.

(٥) السنة برقم ١١٥٧.

(٦) انظر: المفاريد عن رسول الله برقم ١٠٥، والمطالب العالية برقم ٣٨١٧. ورواه أبو يعلى أيضا في مسنده

(برقم ٤٨٨٥) من وجه آخر عن عائشة قال: حدثنا عبد الله بن مطيع حدثنا هشيم عن العوام عمن حدثه:

عن عائشة قالت: لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه وجاء أبو بكر بحجر فوضعه

وجاء عمر بحجر فوضعه وجاء عثمان بحجر فوضعه قالت: فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: هذا أمر

الخلافة من بعدي». وفيه ضعف وانقطاع، لا يصح بحال.

(٧) الضعفاء ٢/١٤٠.

(٨) المجروحين ٢/٢٧٧.

(٩) الكامل في الضعفاء ٧/٢٥٦.

(١٠) المستدرک ٣/١٣.

(١١) أخبار أصبهان ٢/٢٢٦.

والبيهقي^(١)، والديلمى^(٢)، وابن الجوزي^(٣)، وابن عساكر^(٤)، جميعهم من طريق حَشْرَج بن نُباتة، عن سعيد بن جُمهان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال:

«بنى رسول الله ﷺ مسجدا، فقال لأبي بكر: ضع حجرا إلى جنب حجري، ثم قال لعمر: ضع حجرا إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر»، ثم قال: هؤلاء الخلفاء من بعدي».

ولم يعرف أحمد هذا الحديث^(٥). وأورد البخاري طرفا منه في تاريخه^(٦) ثم أنكره بقوله: «وهذا لم يُتَابِع عليه - يعني حَشْرَج - لأن عمر بن الخطاب، وعليهما قالوا: لم يستخلف النبي ﷺ». وفي هذا إشارة إلى تضعيفه إياه.

وقال ابن الجوزي - وقد سبق روايته له في العلل المتناهية -: «هذا الحديث لا يصح، قال البخاري: لا يُتَابِع حَشْرَج، لأن عمر وعليهما قالوا: لم يستخلف النبي ﷺ. وقال ابن حبان: حَشْرَج منكر الرواية لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد»^(٧).

قال ابن عدي: «وهذا الذي أنكر البخاري على حَشْرَج هذا الحديث، وهذا الحديث قد رُوي بغير هذا الإسناد: حدثناه علي بن إسماعيل بن أبي النجم، ثنا عقبة بن موسى بن عقبة، عن أبيه، عن محمد بن الفضل بن عطية، عن زياد بن علاقة، عن قطبة بن مالك: لما بنى ﷺ المسجد وضع حجرا فذكر هذه القصة^(٨).. وقد قمت بعذره في الحديث الذي أنكره البخاري عليه وأوردت بابا آخر لذلك الحديث ولذلك المتن وغير ذلك الحديث لا بأس به فيه».

قال ابن حجر^(٩): «الإسناد الذي زعم ابن عدي أنه متابع لحَشْرَج أضعف من الأول لأنه من رواية محمد بن الفضل بن عطية وهو ساقط»^(١٠).

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥٥٣.

(٢) رياض الأئس لعقلاء الإنس ق ٥٣ ب.

(٣) العلل المتناهية برقم ٣٣١.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠/ ٢١٨، ٢١٩، ٣٩/ ١١٦، ١٧١، ٤٤/ ٢٣٤.

(٥) المنتخب من العلل للخلال برقم ١٢٩.

(٦) التاريخ الكبير ٣/ ١١٧. والتاريخ الأوسط برقم ٨٣٥. وانظر الضعفاء له أيضا برقم ١٠٠.

(٧) العلل المتناهية برقم ٣٣١.

(٨) روى هذا الطريق أيضا ابن حبان في المجروحين ٢/ ٢٧٩ - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل برقم ٣٣٠ - والخطيب في المتفق والمفترق ص ١٨٩٤، برقم ١٤٩٤.

(٩) تهذيب التهذيب ١/ ٥٤٥.

(١٠) قال طارق عوض الله: «مراد ابن عدي تبرئة حَشْرَج، لا تقوية الحديث، فالحديث المنكر لا يتقوى أبدا، فكأن ابن عدي يرى أنه أخطأ في الإسناد فحسب، فلذا ذكر أن المتن يروى بإسناد آخر، فكأنه يرى أن هذا =

ورواه الحاكم^(١) من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثني عمي، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«أول حجر، حملة النبي ﷺ لبناء المسجد ثم حمل أبو بكر حجرا آخر، ثم حمل عثمان حجرا آخر فقلت: يا رسول الله، ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك؟ فقال: يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدي».

ثم قال الحاكم عقب روايته هذه: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وإنما اشتهر بإسناد واه من رواية محمد بن الفضل بن عطية فلذلك هُجر»، وعلق الذهبي عليه بقوله: «أحمد [بن عبد الرحمن بن وهب] منكر الحديث، وهو ممن نقم على مسلم إخراجهم في الصحيح، ويحيى وإن كان ثقة فقد ضعف، ثم لو صح هذا لكان نصا في خلافة الثلاثة، ولا يصح بوجه عام، فإن عائشة لم تكن يومئذ دخل بها النبي ﷺ وهي محجوبة صغيرة، فقولها هذا يدل على بطلان الحديث. قال الحاكم: وإنما اشتهر بإسناد واه من رواية محمد بن الفضل بن عطية فلذلك هُجر. قلت - القائل هو الذهبي -: ابن عطية متروك»^(٢).

وخلاصة هذا الفرع أنه لا يصح خبره بوجه من الوجوه.

الفرع الثالث

حديث: «يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلا»

وهذا خبر أخرجه ابن أبي عاصم^(٣)، والطبراني^(٤)، والآجري^(٥)، وابن عدي^(٦) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف، أنه حدثه أنه جلس يوما مع شفي الأصبحي، فقال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون اثنا عشر خليفة، منهم أبو بكر الصديق، لا يلبث بعدي إلا قليلا».

=المتن إسناده هو الإسناد الآخر الذي ذكره، أخطأ حشرج فرواه بإسناده المذكور والله أعلم. (المنتخب من العلل للخلال ص ٢١٩-٢٢٠، حاشية رقم ٣).

(١) المستدرک ٩٦/٣.

(٢) انظر تلخيصه على هامش المستدرک ٩٧/٣، ومختصر استدرک الذهبي على مستدرک الحاكم لابن الملقن ١٢٤٤/٣.

(٣) في السنة برقم ١١٥٢، وفي الأحاد والمثاني برقم ١٣.

(٤) المعجم الكبير برقم ١٢.

(٥) الشريعة برقم ١١٨١.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢٠٨/٤.

ولا يصح هذا الخبر بحال، وقد جعله ابن عدي مما أخذ على عبد الله بن صالح، وقال فيه «يقع في حديثه في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب»^(١). قلت: وفي إسناده أيضا ربيعة بن سيف المعافري. قال عنه البخاري: «منكر الحديث»^(٢).

وخلاصة هذا الفرع أنه لا يصح بحال.

الفرع الرابع

حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»

وهذا خبر أخرجه الحميدي^(٣) - ومن طريقه الحاكم^(٤)، وابن عبد البر^(٥) - وابن سعد^(٦)، وأحمد^(٧)، والترمذي^(٨)، والبزار^(٩)، والطحاوي^(١٠)، جميعهم من طريق سفيان بن عيينة، ثنا زائدة^(١١) بن قدامة الثقفني، عن عبد الملك بن عمير^(١٢) عن ربعي بن حراش، عن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر». قال الترمذي: «وقال

(١) الكامل في الضعفاء ٤ / ٢٠٨.

(٢) التاريخ الأوسط ٣ / ٢٣٤.

(٣) مسنده برقم ٤٤٩.

(٤) المستدرک ٣ / ٧٥، إلا أنه وهم في إسناده فجعله عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير عن هلال مولى ربعي عن ربعي بن حراش.

(٥) جامع بيان العلم برقم ٢٣٠٨، ووقع في إسناده: «عن سفيان بن عيينة، ثنا زائدة بن قدامة، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى لربعي، عن ربعي»، كذا وفي مسند الحميدي نفسه - وغيره ممن رواه عن ابن عيينة - من غير قوله «مولى لربعي»، فهذه الزيادة في طريق سفيان الثوري فقط!

(٦) الطبقات ٢ / ٢٨٩.

(٧) المسند ٥ / ٣٨٢.

(٨) الجامع برقم ٣٦٦٢.

(٩) مسنده برقم ٢٨٢٧.

(١٠) شرح مشكل الآثار بأرقام ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨.

(١١) قال الترمذي: «وكان سفيان بن عيينة يدلّس في هذا الحديث، فربما ذكره عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، وربما لم يذكر فيه عن زائدة» (الجامع الكبير برقم ٣٦٦٢). وقال ابن أبي حاتم: «قال أبي: كان - يعني ابن عيينة - يُحدّث به أيام الموسم عن عبد الملك بن عمير، ولم يذكر زائدة، ثم قال: لم أخذه من عبد الملك، إنما حدثناه زائدة، عن عبد الملك وقال سفيان: إذا ذكرت لهم زائدة لم يسألوني عنه، وهذا حديث فيه فضيلة للشيخين» (العلل برقم ٢٦٤٨). وقال الترمذي أيضا: «وكان سفيان بن عيينة يروي هذا ولا يذكر فيه (عن زائدة) في كل وقت» (العلل الكبير برقم ٦٨٩).

(١٢) ورواه غير زائدة عن ابن عمير أيضا: رواه مسعر بن كدام عنه به. انظره في: زوائد عبد الله على فضائل الصحابة لأحمد برقم ٢٩٣، والمعجم الأوسط للطبراني برقم ٥٨٤٠، والكامل لابن عدي ٢ / ٣٩٠، والأفراد للدارقطني (أطراف الغرائب برقم)، والحاكم في المستدرک ٣ / ٧٤، ٧٥، وابن عساكر ٣٣ / ١١٤.

الثوري: عن عبد الملك، عن مولى لربعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال النبي . وهو الصحيح»^(١).

وكذلك قال أبو حاتم^(٢). قلت: وليس المراد بقول الترمذي «وهو الصحيح» تصحيح الخبر، وإنما لطريق بعينه فيه زيادة مولى ربعي، عن الطريق الآخر الذي ليس فيه ذكر لهذا المولى في الإسناد، وإلا فالخبر هنا واه كما سيأتي.

قلت: وطريق الثوري هذا رواه ابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وأحمد^(٥)، والبخاري في التاريخ الكبير^(٦)، والفسوي^(٧)، وابن ماجه^(٨)، وابن أبي عاصم^(٩)، والبخاري^(١٠)، وأبو حاتم^(١١)، والطحاوي^(١٢)، والطبراني^(١٣)، والحاكم^(١٤)، والبيهقي^(١٥)، والخطيب^(١٦)، جميعاً من طريق سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى ربعي^(١٧)، عن ربعي، عن حذيفة رضي الله عنه، قال:

(١) العلل الكبير برقم ٦٨٩، وكذلك صوّب أبو حاتم طريق الثوري وجوده على الطريق الاول. انظر العلل لابن أبي حاتم برقم ٢٦٥٥.

(٢) العلل لولده برقم ٢٦٥٥.

(٣) الطبقات ٢/٢٨٩.

(٤) المصنف برقمي ٣٢٦٠٥، ٣٨٢٠٤.

(٥) المسند ٥/٣٨٥، ٤٠٢.

(٦) التاريخ الكبير ٨/٢٠٩.

(٧) المعرفة والتاريخ ١/٤٨٠.

(٨) السنن برقم ٩٧.

(٩) السنة برقمي ١٤٢٤، ١٤٢٥.

(١٠) مسنده برقمي ٢٨٢٨، ٢٨٢٩.

(١١) العلل لولده برقم ٢٦٥٥.

(١٢) شرح مشكل الآثار بأرقام ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢.

(١٣) المعجم الأوسط برقم ٥٥٠٣.

(١٤) المستدرک ٣/٧٥.

(١٥) السنن الكبرى ٨/١٥٣.

(١٦) تاريخ بغداد ٤/٣٤٧، والفتاوى والمتفق برقم ٩٩٠.

(١٧) جاء تعيينه في إسناد البخاري، والفسوي، وابن أبي عاصم، والبخاري، والطحاوي، والطبراني، والبيهقي، من طريق إبراهيم بن سعد، عن الثوري، عن ابن عمير، عن هلال مولى ربعي، به. وقد رُوِيَ على الخطأ عند القطيعي في زوائده على فضائل الصحابة لأحمد (برقم ٥٢٦)، من طريق مؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن عبد الملك بن عمير، عن منذر عن ربعي.. كذا! والصواب: «عن مولى ربعي».

«كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فقال: إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود من شيء فصدقوه».

قال البزار: «حديث عرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين^(١) حديث ثابت صحيح، وهو أصح إسنادا من حديث حذيفة: (اقتدوا باللذين من بعدي)، لأنه مختلف في إسناده ومتكلم فيه من أجل مولى ربي، هو مجهول عندهم»^(٢).

قال ابن عبد البر: «هو كما قال البزار: حديث عرباض حديث ثابت، وحديث حذيفة حديث حسن، وقد روى عن مولى ربي عبد الملك بن عمير، وهو كبير^(٣)، ولكن البزار وطائفة من أهل الحديث يذهبون إلى أن المحدث إذا لم يرو عنه رجلا فصاعدا فهو مجهول»^(٤).

وقال ابن حزم: «وأما الرواية اقتدوا باللذين من بعدي.. فحديث لا يصح، لأنه مروى عن مولى لربي مجهول.. وقد سمى بعضهم المولى فقال: هلال مولى ربي. وهو مجهول، لا يعرف من هو أصلا»^(٥).

وأخرج هذا الخبر ابن سعد^(٦)، وأحمد^(٧)، والترمذي^(٨)، والطحاوي^(٩)، والعقيلي^(١٠)، وابن

(١) وهو «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي».
(٢) وذلك فيما رواه عنه ابن عبد البر (جامع بيان العلم برقم ٢٣٠٦).
(٣) ناهيك عما قيل في عبد الملك، فهو على الرغم من كونه ثقة، إلا أنه عند المحدثين ممن يضطرب في حديثه جدا، قال أحمد: «عبد الملك بن عمير مضطرب جدا في حديثه، اختلف عنه الحفاظ يعني فيما روى عنه» «سؤالات أبي داود لأحمد برقم ٣٥٤». وقال ابن رجب فيه عند معرض حديثه عن أشباه عبد الملك من المشهورين بالاضطراب: «وقد ذكر الترمذي أن هؤلاء وأمثالهم ممن تكلم فيه من قبل حفظه وكثرة خطئه لا يحتاج بحديث أحد منهم إذا انفرد» (شرح علل الترمذي ١/٤٢٣).
(٤) جامع بيان العلم ٢/١١٦٥، ينبغي التنبيه على أن وصف ابن عبد البر لحديثنا هنا أنه حسن لا يعني تقويته وتصحيحه، ولكن يُجمل على اصطلاح القدماء فيه وهو يعبر عندهم غالبا عن الغرائب والأفراد، وكثيرا ما كان يصف ابن عبد البر في كتابه هذا أحاديث عدة بقوله «حديث حسن جدا»، ولكن ليس له إسناد قوي، «هذا حديث لا يحتاج بمثله لضعف إسناده، ولكنه حديث حسن نقله الناس وذكرناه لتقف على ذلك وتعرفه».

(٥) الإحكام ٦/٨٠، ٨١.

(٦) الطبقات ٢/٢٨٩.

(٧) المسند ٥/٣٩٩، وفي الفضائل برقم ٤٧٩.

(٨) الجامع برقم ٣٦٦٣.

(٩) شرح مشكل الآثار برقم ١٢٣٣.

(١٠) الضعفاء ٢/٥٥٩.

حبان^(١)، والطبراني^(٢)، جميعا من طريق سالم أبي العلاء المرادي، عن عمرو بن هَرَم، عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه، بنحو حديث الثوري السابق.

وهو طريق كذلك غير صحيح، ضعفه العقيلي بإخراجه في ترجمة سالم، وكذلك ابن حزم، وقال: «سالم ضعيف»^(٣).

وروي مثله من رواية أخرى لا تصح، عن ابن مسعود^(٤)، رواها الترمذي^(٥)، وأبو بكر الدينوري^(٦)، والطبراني^(٧)، وابن عدي^(٨)، والحاكم^(٩)، وتمام^(١٠)، وأبو نعيم^(١١)، وابن عساكر^(١٢)، من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن سلمة بن كهيل أبي الزعراء عن ابن مسعود. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث».

قلت: ولا يصح في هذا الباب خبر، ولا يُحتج فيه بشيء، ناهيك عن رد الباب لذلك كله، اللهم إلا ما جاء عند مسلم^(١٣) في معرض واقعة مخصوصة وقعت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واختلف فيها الناس جاء فيها: «قال - صلى الله عليه وسلم -: «ما ترون الناس صنعوا». قال: ثم قال: «أصبح الناس فقدوا نبيهم». فقال أبو بكر وعمر: رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم لم يكن ليخلفكم. وقال الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أيديكم، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا».

(١) صحيحه برقم ٦٩٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ٤/٣٤٧.

(٣) الإحكام ٦/٨١.

(٤) وفي الباب أيضا عن أبي الدرداء (المعجم الكبير للطبراني كما في مجمع الزوائد ٩/٥٣، ومسند الشاميين برقم ٩١٣، ومن طريقه ابن عساكر ٣٠/٢٢٩)، وعن ابن عمر (الضعفاء للعقيلي ٥/٣١٤، وجزء بيبي بنت عبد الصمد برقم ١١٨، وتاريخ دمشق ٣٠/٢٢٨، ٢٢٩)، وعن أنس (الثقات لابن حبان ٢/١٩٠، الكامل لابن عدي ٢/٢٤٩، ومن طريقه ابن عساكر ٣٣/١١٩، ٤٤/٢٣٣)، وعن أبي هريرة (الروض البسام بترتيب وتخريج فوائده تمام برقم ١٤٦٥)، وعن أبي بكر (تاريخ دمشق)، وعن عبد الله بن أبي الهذيل العتري عن جدته (الإحكام لابن حزم ٦/٨١)، ولا يصح في ذلك كله شيء.

(٥) الجامع برقم ٣٨٠٥.

(٦) المجالسة وجواهر العلم برقم ٣٥٢٨.

(٧) المعجم الكبير برقم ٨٤٢٦، والأوسط برقم ٧١٧٧.

(٨) الكامل ٧/٢٦٥٤.

(٩) المستدرک ٣/٧٥-٧٦.

(١٠) الروض البسام برقم ١٤٦٤.

(١١) معرفة الصحابة ترجمة ابن مسعود.

(١٢) تاريخ دمشق ٣٠/٢٢٨.

(١٣) صحيحه برقم ٦٨١، ورواه أيضا أحمد ٥/٢٩٨، وابن حبان في صحيحه برقم ٦٩٠١.

ومن ثم، فإنه لا يُقبل تصحيح البعض له بزعم كثرة الشواهد والمتابعات. ويبدو أن هذا الحديث استهواه كثير من أهل السنة، فتساهل في روايته بعض الثقات، في حين كان يسرقه أكثر الضعفاء.

الخلاصة:

ومن ثم، يمكن القول إن ما استدل به القائلون بالنص الجلي باستخلاف النبي ﷺ لأبي بكر، لا يصمد أمام النقد، إذ هو أولاً مخالف لما اجتمع عليه صحيح الباب، كما أنه يتعذر الجمع بينه وبين تلك المرويات المخالفة، وإلا وقعنا في التناقض والتضاد الجلي بين هذه النصوص. ذلك أن في بعض هذه النصوص - غير الصحيحة مما سبق - من التصريح البيّن الذي يدفع بقوة أي خلاف يجري بعد وفاته ﷺ عند اختيار الخليفة.

ولعل في خبر السقيفة الصحيح الذي رواه البخاري وغيره ما يبين ذلك بوضوح. إذ إننا أمام واقعة يجبر بها شاهد عيان بنفسه على بيعة أول خليفة بعد النبي ﷺ، بل كان هذا الشاهد مشاركاً فيها بدور بارز، ألا وهو عمر بن الخطاب ؓ، في هذا الخطاب الطويل - خبر السقيفة - الذي ألقاه في آخر حياته مصرحاً فيه بكثير من خفايا لم يُكشف عنها من قبل في شأن ما جرى في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الأمة عند اختيار أول خليفة لها^(١). وقراءة هذا النص بتأمل تفند بقوة كل تلك الأخبار الواهية السابق عرضها.

فقد أخرج البخاري^(٢) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس ؓ قال:

«كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان، يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة^(٣) فتمت. فغضب عمر، ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذروهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على

(١) انظر قول ابن عباس في تمام الخبر الآتي: «ليقولن - يعني عمر بن الخطاب - العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف».

(٢) صحيحه برقم ٦٨٣٠.

(٣) قال القسطلاني: «أي فجأة من غير مشورة مع جميع من كان ينبغي أن يشاوروا، أو المراد أن أبا بكر ومن معه تفلتوا في ذهابهم إلى الأنصار فبايعوا أبا بكر بحضرتهم، وقال ابن حبان: إنما كانت فلتة لأن ابتداءها كان من غير ملاء كثير» (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠ / ٢١).

مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل
 الفقه وأشرف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعى أهل العلم مقالتك،
 ويضعونها على مواضعها. فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول
 مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذى الحجة، فلما كان
 يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن
 عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم
 أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو
 بن نفيل، ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر على وقال: ما
 عسيت أن يقول ما لم يقل قبله. فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام
 فأثنى على الله بما هو أهله قال: أما بعد، فإنني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن
 أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث
 انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي.. ثم
 إنه بلغني أن قائلنا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانا. فلا يغترن امرؤ
 أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت. ألا وإنما قد كانت كذلك، ولكن
 الله وقى شرها، وليس منكم من تقطع الأعناق^(١) إليه مثل أبي بكر، من بايع
 رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه تَغْرَةً^(٢) أن
 يُقتلا. وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا،
 واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بنى ساعدة، وخالف عنا على والزبير ومن معهم،
 واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى
 إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلا
 صالحا، فذكر ما تمالأ عليه القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟
 فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالوا: لا عليكم أن لا تقر بهم اقضوا
 أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بنى ساعدة، فإذا
 رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد. فقلت:
 ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو
 أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار، الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر
 المهاجرين رهط، وقد دَفَّتْ دَافَةٌ^(٣) من قومكم، فإذا هم يريدون أن يَحْتَرِلُونَا^(٤)

(١) قال القسطلاني: «أي أعناق الإبل من كثرة السير» (إرشاد الساري ١٠ / ٢١).

(٢) قال القسطلاني: «المعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضها للقتل» (إرشاد الساري
 ١٠ / ٢٤).

(٣) قال القسطلاني: «(دَفَّتْ) بفتح الدال المهملة والفاء المشددة: سارت. (دافَةٌ) بزيادة ألف بين الدال والفاء:
 رفقة قليلة من مكة إلينا من الفقر» (إرشاد الساري ١٠ / ٢٢).

(٤) قال القسطلاني: «(يَحْتَرِلُونَا) بفتح التحتية وسكون الخاء المعجمة وفتح الفوقية وكسر الزاي بعدها لام:
 يقطعونا» (إرشاد الساري ١٠ / ٢٢).

من أصلنا، وأن يحضنونا^(١) من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زورت^(٢) مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدارى منه بعض الحد^(٣)، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم منى وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت، فقال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربنى ذلك من إثم، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلى نفسى عند الموت شيئا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكَ^(٤)، وعُدَيْقُهَا الْمُرَجَّب^(٥)، منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثرت اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف. فقلت ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونَزَوْنَا^(٦) على سعد بن عبادَةَ فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادَةَ. فقلت: قتل الله سعد بن عبادَةَ.

(١) قال القسطلاني: « (يحضنونا من الأمر) أي من الإمارة ويستأثروا بها علينا ويحضنونا بالحاء المهملة الساكنة وضم الصاد المعجمة وتكسر. ولأبي ذر عن المستملي: أي يخرجونا. قاله أبو عبيدة .. يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر: أخرجه في ناحية عنه، واستبد به، أو حبسه عنه. وفي رواية: يَحْتَضُّونَا. بمثناة فوقية قبل الصاد المهملة المشددة. قال: وللكشميهني: يحصونا. بإسقاط الفوقية، وهي بمعنى: الاقتطاع والاستئصال» (إرشاد الساري ٢٢/١٠).

(٢) قال القسطلاني: « (زورت) بفتح الزاي والواو المشددة بعدها ساكنة: هيأت وحسنت » (إرشاد الساري ٢٢/١٠).

(٣) قال القسطلاني: « (الحدّ) بالحاء المفتوحة والذال المشددة المهملتين، أي: الحدّة كالغضب ونحوه» (إرشاد الساري ٢٢/١٠).

(٤) قال القسطلاني: « (أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكَ) بضم الجيم وفتح الذال المعجمة، مصغر (الجدل) بفتح الجيم وكسرها وسكون المعجمة، وهو أصل الشجر، ويراد به هنا الجذع الذي تربط إليه الإبل الجرباء وتنضم إليه لتحتك، والتصغير للتعظيم. و(المحكك) بضم الميم وفتح الحاء وفتح الكاف الأولى مشددة، اسم مفعول. ووصفه بذلك لأنه صار أملس لكثرة ذلك. يعني أنا ممن يستشفى به كما تستشفى الإبل الجرباء بهذا الاحتكاك» (إرشاد الساري ٢٣/١٠).

(٥) قال القسطلاني: « (عُدَيْقُهَا) بالذال المعجمة والقاف، مصغر (عَدَق) بفتح العين وسكون المعجمة النخلة، وبالكسر: العرجون. (المرجّب) بضم الميم وفتح الراء والجيم المشددة بعدها موحدة: اسم مفعول من قولك: رجبت النخلة ترجيبًا. إذا دعمتها ببناء أو غيره خشية عليها لكرامتها وطولها وكثرة حملها أن تقع أو ينكسر شيء من أغصانها أو يسقط شيء من حملها. وقيل هو ضم أعذاقها إلى سعفها وشدها بالخصوص لثلاث تنفضها الريح، أو هو وضع الشوك حولها لثلاث تصل إليها الأيدي المتفرقة» (إرشاد الساري ٢٣/١٠).

(٦) قال القسطلاني: « (نَزَوْنَا) بنون وزاي مفتوحتين: وثبنا » (إرشاد الساري ٢٣/١٠).

قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر،
خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا».

فنحن كما أسلفتُ أمام خبر من شاهد عيان هو من أصدق رجالات الأمة، وهو الخليفة عمر
بن الخطاب رضي الله عنه الثاني، يخبر بهذا الخبر في آخر حياته (في نحو سنة ٢٣هـ) كما في الخبر:
«في آخر حجة حجها»، يحكي فيه قصة قوم حضرهم وشارك معهم، تنازعوا في اختيار خليفتهم،
حتى «كثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فرق من الاختلاف». ثم توافقوا على رجل توافقا لا
يُعرف فيه نص من حينه وعلى مدى قرابة ثلاث عشرة سنة ليخبر به هذا الشاهد - عمر بن
الخطاب رضي الله عنه - في آخر حياته ليبين صحة اجتهاد القوم أو خطأه يوم اختاروا خليفتهم الأول أبا
بكر الصديق رضي الله عنه!

بل إننا أمام رجل في الخبر لا يُعرف، يقسم بالله قسما يؤكد فيه عدم معرفة هذا الصدر كله
لنصّ يقول بخلافة أبي بكر إذ يقول: «فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت».

بل أشد من ذلك، إبرار عمر نفسه قسم هذا الرجل وأن بيعة أبي بكر كانت فلتة في فترة
عصية غاب فيها من النصوص ما يعصم من الخلاف والنزاع الذي كان من الممكن أن ينقلب إلى
شر لولا حفظ الله، فيقول: «فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت. ألا وإنما
قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها». ويزيد الأمر تأكيدا في علة اختيارهم لأبي بكر وأنه لم
يكن عن نص حاسم، وإنما عن فضل رأوا أبا بكر أهلا له: «وليس منكم من تقطع الأعناق إليه
مثل أبي بكر».

وأدهى من ذلك أن هذا الرجل الذي تروي الروايات الواهية أنه المنصوص على خلافته من
النبي صلى الله عليه وسلم نصابا^(١)، إذا به يفاجئ الجميع بأنه لا يعرف شيئا من تلك النصوص التي تنص عليه ولا
على غيره - وهو أعلم الناس بخليله وحببيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيقول للحاضر والغائب «وقد
رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة بن الجراح»!
ويزيد الأمر عجبا، استمرار الحاكي - عمر وهو في آخر عهده - على إقرار أن الخليفة الأول
أبا بكر إنما بويع له ليس عن وصية ولا نص، وإنما عن اجتهاد، فقال: «وإنا والله ما وجدنا فيما
حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر».

(١) ومنها تلك الرواية التي رويت عن ابنته عائشة رضي الله عنها «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني
أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى وأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

وأخيراً، أعجب العجب، خشية الثلاثة - أبي بكر، وعمر، وأبي عبيدة - إن فارقوا القوم من غير بيعة لقرشي أن يبايعوا لغيرهم، وذلك في قوله: «خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا». وهذا فصل في أن الصحابة قاطبة لم يعلموا شيئاً عن وصية أو نص من النبي ﷺ لأحد، لا لأبي بكر ولا لغيره.

يبقى من الأدلة أنه ما كان من علي بن أبي طالب أن يتأخر ستة أشهر عن بيعة رجل نص النبي ﷺ على خلافته كما هو في رواية أخرى صحيحة^(١).

ومن ثم، فليس في الباب شيء يصح يعضد هذا القول القائل بالنص الجلي. بل إننا في المقابل نجد تواتراً يعضد باب كون النبي ﷺ مات ولم يوص بالخلافة لأحد من بعده.

المطلب الثاني

خبر السقيفة

وهو الخبر الذي تحدث عما جرى في سقيفة بني ساعدة عند اجتماع المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي ﷺ لتعيين الخليفة من بعده، وما نجم عن ذلك الاجتماع الذي انتهى باستخلاف أبي بكر. وأهم رواية في هذا الباب رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس.

وهذه الرواية هي أصل في بابها، وهي تدور في مجملها على ما حكاه عمر ﷺ في خلافته حين بلغه أن بعض الناس يقول: «لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة^(٢) فتمت»، فقال: «إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلانا. فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنما قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها». ثم أخذ في سرد ما كان في ذلك اليوم حين أرادت الأنصار أن تجعل الإمرة فيها، فخطبهم أبو بكر بأن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فاختلفوا، فدرأ عمر الفتنة ببيعته أبا بكر، فتتابع المهاجرون والأنصار بعده إلى بيعته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (أرقام ٣٧١٢، ٤٢٤٠، ٤٢٤١).

(٢) جاء في بعض الروايات تفسير قوله (فلتة) في مصنف ابن أبي شيبة بإسناد صحيح برقم (٣٨١٩٧): «عن ابن عباس، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: حج عمر فأراد أن يخطب الناس خطبة، فقال عبد الرحمن بن عوف: إنه قد اجتمع عندك رعاك الناس وسفلتهم، فأخر ذلك حتى تأتي المدينة، قال: فلما قدمت المدينة دنوت قريباً من المنبر، فسمعتة يقول: إني قد عرفت، أن أناساً يقولون: إن خلافة أبي بكر فلتة، وإنما كانت فلتة، ولكن الله وقى شرها، إنه لا خلافة إلا عن مشورة». يعني أنها كانت عن غير مشورة.

وقد أُسندت قصةُ السقيفة وما جرى فيها في هذه الرواية عن الزهري من تسعة طرق إليه^(١)، وقد صحح - عند دراسة طرق هذه الرواية - إسناد ستة من هذه الطرق إلى الزهري، هي مما يأتي: الأول، والثاني، والرابع، والخامس، والسادس، والسابع. أما الطرق الأخرى فقد أعلتها عللٌ أفقدت قيمتها إلا أنّ لها مع ذلك نصيباً مشاركا في دراسة قضية الوضع في الرواية التاريخية وتفسيرها. ولكن تبين أنّ صحة الإسناد لهذه الطرق الستة لا تكفي للفصل في شأن هذه الرواية وما ورد في متون بعضها من خلاف يحتاج إلى تحرير وتوجيه لرفع الإشكال عن بعض معانيه. ويمكن دراسة هذه الطرق تخريجا ومقابلة على النحو الآتي:

- الطريق الأول: طريق عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥هـ) عن الزهري به: < التخريج: رواه ابن هشام في السيرة^(٢) عن البكائي عن ابن إسحاق قال: إنَّ عبد الله بن أبي بكر حدثني عن ابن شهاب الزهري عن عبيد الله عن عبد الله به. ومن طريق ابن إسحاق أيضا أخرجه ابن أبي شيبه في المصنف^(٣) قال: حدثنا عبد الأعلى عن ابن إسحاق، به.

< مقابلة النصوص: من المفترض أن يكون متنا هذا الطريق نصًّا واحداً، فقد رواه ابن إسحاق ومن طريقه ابن هشام وابن أبي شيبه، إلا أننا مع ذلك نجد اختلافا ظاهرا في بعض مواضع المتين لفظا ومعنى يمكن حصر أهم أوجهه على النحو الآتي^(٤):

* متن ابن هشام: «إنه كان من خبرنا حين [١] توفي الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرفهم [٢] في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام ومن معها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر. فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نؤمهم [٣] حتى لقينا منهم رجلا صالحا، [٤] فذكرنا لنا ما تمألا عليه القوم، وقال: أين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالوا: [٥] فلا عليكم أن لا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنا عليهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عباد. فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطيبهم، فأثنى

(١) أعرضت عن تلك الأسانيد التي أُشير فيها إلى هذه القصة ولم تروها.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦٥٧/٢.

(٣) المصنف ٥٧٥/٢٠.

(٤) سوف أختار متنا من متون الطريق يكون أصلا، أضع خطوطا فيه تحت العبارات والألفاظ التي فيها خلاف مع بقية متون الطريق، وقبل الخط رقم بين حاصرتين سيكون مسلسلا في النص لأحيل عليه عند المقابلة.

على الله بما هو له أهل، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة من قومكم. قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم وقد زوّرت في نفسي مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد. فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر. فكرهت أن أغضبه، فتكلم، وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديته، أو مثلها، أو أفضل، حتى سكت، قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، [٦] ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. وأخذ بيدي، وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. [٧] قال [٨] قائل من الأنصار: [٩] أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب. قال: فكثرت اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. [١٠] فبسط يده فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد، فقال قائل منهم: قتلت سعد بن عباد. قال [١١] فقلت: قتل الله سعد بن عباد. قال ابن إسحاق: قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير: أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة: عويم بن ساعدة، والآخر معن بن عدي أخو بني العجلان».

< أوجه الخلاف^(١):

- [١] في متن ابن أبي شيبة: «أن رسول الله ﷺ توفي، فأتينا، فقبل لنا: إن الأنصار قد اجتمعت».
- [٢] في متن ابن أبي شيبة: «في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عباد يبايعونه».
- [٣] في متن ابن أبي شيبة: «فلقينا رجلا من الأنصار؛ رجلا صدق، عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي». هذه الزيادة في تعيين هذين الرجلين الأنصارين مدرجة من رواية أخرى لابن إسحاق - عن الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير - مذكورة في آخر متن ابن هشام الذي معنا هنا.
- [٤] لم يأت في رواية ابن أبي شيبة أن هذين الأنصارين ذكرا شيئا مما تمالأ عليه القوم في السقيفة.
- [٥] في متن ابن أبي شيبة: «فقالا: أين تريدون؟ فقلنا: قومكم، لما بلغنا من أمرهم، فقالا: ارجعوا فإنكم لن تُخالفوا، ولن يؤتَى شيء تكرهونه».
- [٦] في متن ابن أبي شيبة: «ولكنكم قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب، ليس بها غيرهم، وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم».

(١) اقتصر على أهم هذه الأوجه.

[٧] زاد متن ابن أبي شيبة عبارة ليست في متن ابن هشام هي: «قال: ثم قلت^(١): يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين، إن أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده، ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السباق المتين»، وهي عبارة مدرجة من رواية أخرى غير رواية الزهري عن عبيد الله.

[٨] صرح متن ابن أبي شيبة باسمه، وأنه الحباب بن المنذر، وهذا مدرج من رواية أخرى غير رواية الزهري عن عبيد الله، إذ لم ترد تسمية الحباب من رواية الزهري عن عبيد الله.

[٩] في متن ابن أبي شيبة: «أنا جدي لها المحكك، وعذيقها المرجب، إن شئتم والله رددناها جذعة».

[١٠] في متن ابن أبي شيبة: «ثم أخذت بيده، وبادرنى رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتتابع الناس». وهي زيادة مدرجة من رواية أخرى مرسله رواها ابن عساكر^(٢).

[١١] في متن ابن أبي شيبة: «فقال الناس: قُتل سعد، فقلت: اقتلوه، قتله الله».

< نتائج المقابلة:

○ من يقرأ المتين - متن ابن هشام و متن ابن أبي شيبة - بدقة يلحظ التصرف الواضح في متن ابن أبي شيبة من قبل بعض ناقله^(٣)، وكأنه رواه بالمعنى أو من حفظه فخالف كثيرا مما ورد في متن ابن هشام.

○ تظهر ركة واضحة في ألفاظ وعبارات كثيرة من متن ابن أبي شيبة، وكأن راويه حكاها على المعنى بلسان عصره المتأخر.

○ يظهر الإدراج واضحاً في متن ابن أبي شيبة، وهو فيه على نوعين: إدراج من نصوص أخرى من غير رواية الزهري عن عبيد الله أصلاً، نحو رواية ابن إسحاق من طريق عروة في تعيين الأنصاريين الذين لقيا أبا بكر وعمر، وكذلك العبارة المنسوبة إلى عمر في تزكية أبي بكر بأنه «ثاني اثنين إذ هما في الغار» فهي مدرجة من رواية أخرى من غير طريق الزهري عن عبيد الله. والنوع الثاني من الإدراج هنا: إدراج من لفظ الراوي وتصرفه. وقد يرجع ذلك كله إما لسوء الحفظ، أو الرواية بالمعنى.

(١) يعني: عمر رضي الله عنه.

(٢) تاريخه ٣٠/٢٧٦.

(٣) وأراه عبد الأعلى، وهو: أبو محمد عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي البصري، من بني سامة بن لؤي، من أهل الطبقة الثانية من أصحاب ابن إسحاق الذين رووا عنه المغازي، توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر: تهذيب الكمال ١٦/٣٥٩، ورواة محمد بن إسحاق في المغازي، لمطاع الطرابيشي، ص ٢٤٠.

○ توجد زيادة مهمة هنا في متن ابن هشام ليست في متن ابن أبي شيبة هي: «قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا»، إذ فيها إشارة إلى فصل مقول القول هنا عن سابقه، وهي على خلاف بين متون الأصول الصحيحة هل القائل هنا خطيب الأنصار أم عمر.

○ متن ابن هشام هو الأقرب للصواب عندي^(١)، وهو الأوفق في اللفظ والمعنى لجمهرة الأصول الصحيحة التي نقلت هذه الرواية عن الزهري عن عبيد الله.

- الطريق الثاني: طريق صالح بن كيسان (ت نحو ١٤٥هـ) عن الزهري به:

< التخريج: رواه ابن سعد في موضعين من كتابه^(٢)، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح به، مختصرا.

ورواه البخاري في الصحيح^(٣)، مطولا قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح به.

ورواه البيهقي^(٤) من طريق يعقوب بن سفيان، حدثني عبد العزيز بن عبد الله الأويسى، ثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح به.

< مقابلة النصوص: لم تختلف روايتا البخاري والبيهقي كثيرا، بينما اختصر ابن سعد متنه مقتصرا على الشاهد منها في ترجمة كل من عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي، مع وجود إدراج في متن الموضع الثاني^(٥) في ترجمته معن بن عدي.

* متن البخاري: «وإنه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بنى ساعدة، وخالف عنا على والزبير

(١) وروايته عن البكائي أبي محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري الكوفي، وهو من أهل الطبقة الأولى من أصحاب ابن إسحاق، وأوثق الناس في مغازي ابن إسحاق، روى الخطيب عن أبي علي صالح بن محمد قال: «ليس كتاب المغازي عند أحد أصح منه عند زياد البكائي، وزياد في نفسه ضعيف، ولكنه هو من أثبت الناس في هذا الكتاب، وذلك أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب»، توفي سنة ١٨٣هـ. انظر: الجرح والتعديل ٣/٥٣٧، وتاريخ بغداد ٨/٤٧٨، وتهذيب الكمال ٩/٤٨٥، ورواية محمد بن إسحاق في المغازي، للطرابيشي ص ١٩٠.

(٢) الطبقات ٣/٤٢٦، ٤٣١.

(٣) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٤) السنن الكبرى ٨/١٤٢.

(٥) الطبقات الكبرى ٣/٤٣١.

ومن معها، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم [١] لقينا منهم رجلاً صالحاً، فذكر ما تمالأ عليه القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالوا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتيهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار، الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدارى منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت، فقال: ما ذكرتكم فيكم من خير فأنتم له أهل، [٢] ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلى نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثرت اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف. فقلت ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد. فقلت: قتل الله سعد بن عباد. قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيها حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا».

< أوجه الخلاف:

[١] أدرج متن ابن سعد في الموضع الثاني من كتابه^(١) زيادة من رواية أخرى غير رواية الزهري عن عبيد الله في تسمية الأنصارين - وهي رواية الزهري عن عروة - في حين جاء متن الموضع الأول^(٢) على الصحة في الفصل بين الروایتين.

[٢] في متن البيهقي: «ولن نعرف..». ولعله تصحيف ناسخ أو طابع.

(١) الطبقات الكبير ٣/ ٤٣١.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٤٢٦.

< نتائج المقابلة:

- اتفاق أصحاب المتون الثلاثة هنا مع متن ابن هشام عن البكائي عن ابن إسحاق في أمر إخبار الرجلين الأنصاريين أبا بكر وعمر ما تماماً عليه الأنصار في السقيفة.
- متن البخاري هو الأتم والموافق في اللفظ والمعنى لجمهرة الأصول الصحيحة التي نقلت هذه الرواية عن الزهري عن عبيد الله.

- الطريق الثالث: طريق محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ١٥٢هـ) عن الزهري به:

< التخريج: رواه ابن سعد عن الواقدي^(١) مخلطاً إياها بمتن طريق معمر الآتية، فقال:

«أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني معمر، ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن الأنصار حين توفي الله نبيه ﷺ اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ومعهم سعد بن عبادة [١] فتشاوروا في البيعة له، وبلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فخرجا حتى أتياهم ومعهما ناس من المهاجرين، [٢] فجرى بينهم وبين الأنصار كلام ومحاوراة في بيعة سعد بن عبادة، [٣] فقام خطيب الأنصار فقال: أنا جديها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثرت اللغط وارتفعت الأصوات فقال عمر: فقلت لأبي بكر: ابسط يدك. فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، وكان مزملين ظهرانيهم، فقلت: ما له؟ فقالوا: وجع. قال قائل منهم: قتلت سعدا. فقلت قتل الله سعدا».

< مقابلة النص: وعند مقابلة هذا المتن مع ما سبق من متون الأصول الصحيحة السابقة ظهر اختلافٌ بين لفظاً ومعنى تمثل في الأوجه الآتية:

[١]، [٢] تكرار التصريح برغبة الأنصار في بيعة سعد بن عبادة دون غيره، وهو ما ليس في متن صحيح من متون هذه الرواية.

[٣] اختلف المتن هنا مع ما عليه المتون الأخرى في الفصل بين قائل هذه العبارة - وهو الحباب بن المنذر كما سيأتي في رواية أخرى - وبين كلام خطيب الأنصار الذي افتتح الكلام في أول الرواية.

< نتائج المقابلة:

- غَلَبَ الواقدي هنا - عند خلطه بين طريقي معمر ومحمد - ألفاظ محمد بن عبد الله بن مسلم، عن عمه الزهري على لفظ معمر الآتي، الأمر الذي أثر كثيراً في بعض معانيه.

(١) المصدر نفسه ٣/ ٥٦٨.

○ اختلاف لفظ محمد عن كل متون رواية الزهري عن عبيد الله في تصريحه برغبة
للأنصار جميعاً في تولية الأمر سعد بن عبادة دون غيره، وفي هذا من الشذوذ ما فيه في
طرق هذه الرواية.

○ الواضح في طريق محمد بن عبد الله هذا أنه رُوي بالمعنى من حفظ رَاوِيته - أيَّ كان -
فأخطأ فيه رَاوِيته.

○ قد يكون محمد^(١) في رأيي هو علة هذا الطريق - رغم ثقته في نفسه^(٢) - خاصة وقد
تفرَّد بهذا اللفظ عن الزهري. إلا أن ذلك لا يجعل الواقدي الناقل عنه هذا الطريق
في معزل عن شيء من هذه التهمة^(٣) بسبب من خلطه هذا الذي صنعه في طريقنا
هذا.

- الطريق الرابع: طريق معمر بن راشد (ت ١٥٣هـ) عن الزهري به:

<التخريج: رواه عبد الرزاق^(٤) عن معمر عن الزهري به.

ورواه البلاذري^(٥) قال: حدثني بكر بن الهيثم، عن هشام بن يوسف عن معمر به.

(١) وهو: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري، ابن أخي الزهري، روى
عن عمه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، قال الواقدي: قتله غلماناًه بأمر ابنه، وكان ابنه سفيها شاطراً قتله
للميراث وذلك في سنة ١٥٢هـ. انظر الطبقات لابن سعد ٧/٥٧٩، وتهذيب الكمال ٢٥/٥٥٤.

(٢) اختُلف في محمد ابن أخي الزهري، فعن أحمد أنه لا بأس به، ووثقه أبو داود، في حين ضعفه ابن معين،
وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في المجروحين وقال: «كان رديء الحفظ كثير الوهم، يخطئ عن عمه في
الروايات ويخالفه فيما روى عنه الأثبات فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد». (انظر: الجرح والتعديل
٧/٣٠٤، وتاريخ عثمان الدارمي عن ابن معين ص ٤٨، والمجروحين ٢/٢٥٧، وتهذيب الكمال
٢٥/٥٥٤). ولكن على أية حال يؤخذ من جملة ما قيل فيه أنه أدنى طبقة في الزهري عمن روى عن
الزهري تلك الرواية التي نحن بصدها كمالك، ومعمر، وابن عيينة وكلهم لم يرد في طرقهم إلى الزهري
شيء من مثل لفظ محمد عن الزهري.

(٣) لم أخص الواقدي وحده بالتهمة في هذا الطريق رغم أنه متهم عند جمهرة النقاد، ذلك أن دراسة ما اتُّهم به
تجعلنا في حذر عند نسبة علة خبر هو فيه إليه، حتى تكون دراسة مقارنة بين نوع العلة في رواية رواها
الواقدي ونوع ما اتهم به الواقدي، وهذا أمر مهم ينبغي أخذه في الاعتبار عند تجريح الضعفاء ومروياتهم
يغفل عنه المعاصرون، إذ إنهم ينسبون التهمة جملة وتفصيلاً مع الوهلة الأولى لأي ضعيف قد يجدونه في
إسناد خبر بعينه، في حين أن المقارنة تظهر أحياناً أن الخطأ قد يكون من الثقة الذي في الطريق وليس
الضعيف.

(٤) المصنّف ٥/٤٣٩.

(٥) أنساب الأشراف ٢/٢٦١ (ص ٥٨١ ط حميد الله).

ورواه ابن حبان^(١)، قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة اللخمي بعسقلان ثنا محمد بن المتوكل ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري به.

ورواه اللالكائي^(٢) من طريق محمد بن يحيى الذهلي، قال: نا عبد الرزاق، قال: أنا معمر الزهري به.

< مقابلة النصوص: هذا طريق آخر من المفترض أيضا وقد اتحد مخرجه أن لا يكون بين متون مصادره كثير اختلاف، إلا أننا نرى شيئا من هذا الاختلاف كما يأتي:

* **متن عبد الرزاق:** «ثم إنه [١] بلغني أن فلانا منكم يقول: إنه لو قد مات أمير المؤمنين قد بايعت فلانا، فلا يغرن امرأ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقد كانت كذلك، إلا أن الله وقى شرها، وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، إنه كان من [٢] خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ، وإن عليا والزبير ومن معه تخلفوا عنه في بيت فاطمة، وتخلفت عنا الأنصار بأسرها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رحمه الله، فقلت: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم، فلقينا رجلين صالحين من الأنصار قد شهدا بدرا، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. قالوا: فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم. قال: قلت: فاقضوا، لنأيتهم. فأتيناهم، فإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل، قلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. قلت: وما شأنه؟ قالوا: هو وجع. قال: فقام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن الأنصار، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط منا، وقد دفت إلينا دافة منكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويحضوننا من الأمر. وكنت قد رويت في نفسي، وكنت أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر، وكنت أدارىء من أبي بكر بعض الحد، وكان هو أوقر مني وأجل. فلما أردت الكلام قال: على رسلك. فكرهت أن أعصيه، فحمد الله أبو بكر ﷺ وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: والله ما ترك كلمة كنت رويتها في نفسي إلا جاء بها أو بأحسن منها في بديته. ثم قال: أما بعد، فما ذكرت فيكم من خير يا معشر الأنصار فأنتم له أهل، [٣] ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فهم أوسط العرب دارا، ونسبا، وإني قد رضيت لكم هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. قال: فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح. قال: فوالله ما كرهت مما قال شيئا إلا هذه الكلمة، كنت لأن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر، فلما قضى أبو بكر مقالته، قام رجل من

(١) الثقات ٢/ ١٥٤.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ١٣٦٠.

الأنصار فقال: أنا جديله المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش، [٤] وإلا أجلبنا الحرب فيما بيننا وبينكم جدعا - [٥] قال معمر: قال قتادة: فقال عمر بن الخطاب: لا يصلح سيفان في غمد واحد، ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء - قال معمر: قال الزهري في حديثه بالإسناد: فارتفعت الأصوات بيننا، وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف، فقلت: يا أبا بكر، ابسط يدك أبايعك. قال: فبسط يده فبايعته، فبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار. قال: ونزونا على سعد حين قال قائل: قتلت سعدا. قال: قلت: قتل الله سعدا. وإنما والله ما رأينا فيما حضرنا من أمرنا أمرا كان أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقتنا القوم أن يحدثوا بيعة بعدنا، فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فسادا.. [٦] قال معمر: قال الزهري: وأخبرني عروة أن الرجلين الذين لقياهم من الأنصار: عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي. والذي قال أنا جديله المحكك وعذيقها المرجب: الحباب بن المنذر».

< أوجه الخلاف:

- [١] في متن البلاذري وحده: «بلغني أن الزبير قال: لو قد مات عمر بايعنا عليًا».
- [٢] كذا هي في متون عبد الرزاق، وابن حبان، واللالكائي عن معمر - ولم ترد مطلقا في متن البلاذري - وكأنه وصف من عمر لحال أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ. وفي بقية الطرق الأخرى من غير طريق معمر: «خبرنا».
- [٣] كذا في متني عبد الرزاق^(١) وابن حبان، وفي متن اللالكائي: «ولم تعرف».
- [٤] وافق طريق معمر في هذه العبارة ما في متن ابن أبي شيبه السابق عن عبد الأعلى عن ابن إسحاق.
- [٥] خُصَّ طريق معمر بفصل طريق عبارة عمر هذه بهذا الإسناد المرسل عن قتادة.
- [٦] في هذا الفصل لرواية الزهري عن عروة في تعيين الأنصارين اتفاق مع المتون الصحيحة لرواية الزهري عن عبيد الله.

< نتائج المقابلة:

- يظهر بوضوح الخلاف الظاهر الذي عليه متن البلاذري في اتهام الزبير بإعلان رغبته في البيعة لعلي بعد عمر، وهذا أمر لم يذكره طريق من طرق رواية الزهري عن عبيد الله مطلقا مما يعني نكارة متن البلاذري وشذوذه.

(١) وغيَّرها محققو طبعة ابن حبان إلى ما في مسند أحمد «ولم تعرف»، وأشاروا أن ما في أصلهم: «لن تعرف»، قلت: ولا يحق لكم ذلك أن تغيروا ما الأصل ما دام له وجه، فما بالكُم ولها أصل عن معمر!

○ والمتهم به في رأيي بكر بن الهيثم شيخ البلاذري، وهو امرؤ مجهول ليس له ذكر في كتب الرجال وكأنهم لم يعرفوه، فلم أجد له ترجمة رغم طول بحثي عنه، إلا أن البلاذري أكثر عنه جدا في الأنساب والبلدان ونسبه مرة إلى الأهواز، ونقل القزويني عنه أيضا في كتابه التدوين^(١)، وحكى الأخير نقل الخليل الحافظ عنه^(٢). ويبدو مما رُوي عنه أنه صاحب أخبار. ولا ريب أن هذه الجهالة تصيب بالريب خاصة وقد خالف هذه المخالفة المنكرة.

- الطريق الخامس: طريق مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) عن الزهري به:

< التخريج: رواه أحمد^(٣) - ومن طريقه ابن الجوزي^(٤) - قال: حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، حدثنا مالك بن أنس، حدثني ابن شهاب به.

ورواه ابن حبان في صحيحه^(٥)، قال: أخبرنا الحسن بن سفيان بنسأ، وأحمد بن علي بن المثني بالموصل، والفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة - واللفظ للحسن - قالوا: حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء بن أخي جويرية بن أسماء قال: حدثنا عمي جويرية بن أسماء عن مالك بن أنس، عن الزهري به.

ورواه ابن عساكر^(٦) من طريق الحسن بن سفيان النسوي، وأبي يعلى - واللفظ لأبي يعلى - قالوا: نا عبد الله بن محمد بن أسماء بن أخي جويرية بن أسماء، نا جويرية بن أسماء، عن مالك به.

< مقابلة النصوص: وقد شهدت متون هذا الطريق فروق واختلافات بالغة الأهمية أحيانا، من أهمها ما يأتي:

* متن أحمد: «وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر رضي الله عنه، ألا وإنه [١] كان من خبرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن كان معها تخلفوا في بيت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، [٢] واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عنه فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار. فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلا صالحا، فذكر لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر

(١) انظر التدوين في أخبار قزوين ١ / ٦١، ٦٨، ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ١ / ١١٢.

(٣) المسند ١ / ٥٥.

(٤) المنتظم ٤ / ٦٤.

(٥) صحيح ابن حبان برقم ٤١٤.

(٦) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٨٠.

المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالوا: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: وجع. فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله، وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله عز وجل، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم [٣] يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر. فلما سكت أردتُ أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر رضي الله عنه وقد كنت أداري منه بعض الحد، وهو كان أحلم مني وأوقر فقال أبو بكر رضي الله عنه: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، وكان أعلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديته وأفضل حتى سكت، فقال: أما بعد، فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، [٤] ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح فلم أكره مما قال غيرها وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه إلا أن تغير نفسي عند الموت فقال قائل من الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فقلت لمالك ما معنى أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب قال كأنه يقول أنا داهيتها قال وكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعدا [٥] فقلت: قتل الله سعدا.. [٦] قال مالك وأخبرني ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقياهما عويمر بن ساعدة ومعن بن عدي. [٧] قال ابن شهاب وأخبرني سعيد بن المسيب أن الذي قال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب الحباب بن المنذر».

< أوجه الخلاف:

[١] كذا في متن أحمد وابن الجوزي، وفي متني ابن حبان وابن عساكر: «كان من خيرنا».

[٢] زاد متنا ابن حبان وابن عساكر على هذه العبارة: «إذ رجل ينادي من وراء الجدار اخرج إلي يا ابن الخطاب فقلت إليك عني فإننا مشاغيل عنك فقال إنه قد حدث أمر لا بد منك فيه إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمرا فيكون بينكم وبينهم فيه حرب».

[٣] صرح متنا ابن حبان وابن عساكر بنسبة هذه العبارة إلى عمر، وفيها: «قال عمر: وإذا هم يريدون أن يختزلونا..».

[٤] في متنيّ ابن حبان وابن عساكر: «ولن تعرف العرب..».

[٥] في متنيّ ابن حبان وابن عساكر: «قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر».

[٦] فصل متنا أحمد وابن حبان رواية مالك عن الزهري عن عروة في تعيين الأنصارين الذين لقيأ أبا بكر وعمر عن رواية الزهري عن عبيد الله في حديث السقيفة.

[٧] فصل متنا أحمد وابن حبان أيضا رواية مالك عن الزهري عن ابن المسيب في تعيين من

قال «أنا جدي لها المحكك..» عن رواية الزهري عن عبيد الله في حديث السقيفة.

< نتائج المقابلة:

- يظهر بوضوح اتساع الخلاف اللفظي بين بعض مواضع متن أحمد - ومن طريقه ابن الجوزي - من جهة، وبين مثيله في متنيّ ابن حبان وابن عساكر من جهة أخرى.
- متن أحمد - ومن طريقه ابن الجوزي - هو الأصوب الموافق لجمهرة الأصول الصحيحة التي نقلت هذه الرواية عن الزهري عن عبيد الله من متنيّ ابن حبان وابن عساكر.

- وسبب الخلاف في متنيّ ابن حبان وابن عساكر قد يكون من عبد الله بن محمد بن أسماء^(١)، أو من عمه جويرية بن أسماء^(٢)، لمخالفة لفظ طريقهما عما عليه جمهرة الأصول الصحيحة التي نقلت هذه الرواية عن الزهري عن عبيد الله.

- الطريق السادس: طريق سفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) عن الزهري به:

< التخريج: رواه البزار^(٣)، قال: حدثنا أحمد بن عبدة، وأبو بكر بن خلاد - واللفظ لأبي بكر وأكثر كلام هذا الحديث لأبي بكر بن خلاد - قالوا: حدثنا سفيان، عن الزهري به.

(١) هو: عبد الله بن محمد بن أسماء بن عبيد بن مخارق الضبعي، أبو عبد الرحمن البصري، ابن أخي جويرية بن أسماء، روى عن عمه جويرية بن أسماء، وعن جعفر بن سليمان الضبعي، قال فيه أبو زرعة الرازي: «لا بأس به، شيخ صالح»، وقال أبو حاتم فيه: «بصري ثقة»، توفي سنة ٢٣١هـ. انظر: الجرح والتعديل ١٥٩/٥، وتهذيب الكمال ١٦/٤٤.

(٢) هو: جويرية بن أسماء بن عبيد البصري الضبعي، روى عن نافع مولى ابن عمر، والوليد بن أبي هشام، قال فيه ابن معين: «ليس به بأس». وقال أحمد: «ليس به بأس ثقة»، وقال أبو حاتم: «صالح الحديث وهو في السن مثل مالك يحدث عن نافع»، وقال الدارقطني: «روى عن مالك كتابا عن الزهري»، توفي سنة ١٧٣هـ. انظر: الجرح والتعديل ٢/٢٣١، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ص ٧٩٥.

(٣) مسنده برقم ١٩٤.

ورواه ابن المقدّر الباغبان الأصبهاني^(١) في فوائده من حديثه^(٢)، من طريق أحمد بن محمد بن يحيى البزاز، ثنا يحيى بن الربيع المكي، ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري به.
ورواه ابن عساكر^(٣) من طريق إبراهيم بن السندي بن علي، ثنا أبو عبد الله الزبير بن أبي بكر، حدثني سفيان بن عيينة عن الزهري به.

< مقابلة النصوص: وقد شهدت متون هذا الطريق فروق واختلافات بالغة الأهمية أيضا:

* متن البزار: «قد كان من خبرنا لما توفي رسول الله ﷺ تخلف عنا [١] علي والعباس، ومن معهم في بيت فاطمة، فاجتمعت المهاجرون إلى أبي بكر، [٢] واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فخرجنا فلقينا منهم رجلين صالحين. [٣] قال الزهري: هما عويم ابن ساعدة، ومعن بن عدي، فقالا: أين تريدون يا معشر قريش؟ فقلنا: نريد إخواننا من الأنصار، فقال: أمهلوا حتى تقضوا أمركم بينكم فقلنا لنايتهم، فأتيناهم وإذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وإذا رجل مزمل، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا سعد، قلت: وما شأنه؟ قالوا: وعك، [٤] وقام خطيبا للأنصار، فقال: إنه قد دف إلينا منكم دافة يا معشر قريش، وأنتم إخواننا ونحن كتيبة الإسلام [٥] تريدون أن تحتزلونا وتختصمون بالأمر أو تستأثرون بالأمر دوننا، وقد كنت رويت مقالة أقولها بين يدي كلام أبي بكر، فلما ذهبت أن أتكلم بها قال لي: على رسلك فوالله ما ترك شيئا مما أردت أن أتكلم به إلا جاء به وبأحسن منه، فقال: يا معشر الأنصار، مهيا قلتم من خير فيكم فأنتم له أهل، ولكن العرب [٦] لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فكنت لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر أو أتولى على قوم فيهم أبو بكر، [٧] فقام الحباب بن المنذر، فقال: أنا جديها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير [٨] وإلا أعدنا الحرب بيننا وبينكم جذعة، [٩] فقلت: إنه لا يصلح سيفان في غمد واحد ولكن منا الأمراء ومنكم الوزراء، ابسط يدك يا أبا بكر أبايعك، [١٠] فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون والأنصار، وارتفعت الأصوات وكثر اللغط ونزوا على سعد، فقالوا: قتلتم سعدا، فقلت: قتل الله سعدا».

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن المقدّر الباغبان، أبو الخير الأصبهاني. ولد سنة بضع وستين وأربع مئة. حدث عنه: السمعاني، وغيره. قال ابن نقطة: هو ثقة صحيح السماع. توفي ثاني عشر شوال سنة تسع وخمسين وخمس مئة. انظر سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٢٠.

(٢) جمهرة الأجزاء الحديثية ص ٣٠٦.

(٣) تاريخ دمشق ٢٨٣/٣٠.

< أوجه الخلاف:

[١] خالف متن البزار متني ابن الباغبان، وابن عساكر - بل متون رواية الزهري عن عبيد الله جميعا - في قوله: «علي والعباس»، ذلك أن ما عليه متون طرق هذه الرواية جميعا أنها علي والزبير.

[٢] كذا في متني البزار وابن عساكر، وفي متن ابن الباغبان: «تخلفت عنا الأنصار مع سعد ابن عبادة».

[٣] كذا فصل متن البزار هذا القول ناسبا إياه للزهري مرسلاً، بينما أدرجه متناً ابن الباغبان وابن عساكر دون فصل وكأنه من أصل رواية الزهري عن عبيد الله.

[٤] كذا في متن البزار أن سعد بن عبادة هو الذي قام خطيباً في الأنصار، مخالفاً بذلك متني ابن الباغبان وابن عساكر، بل متون طرق رواية الزهري عن عبيد الله جميعا التي أبهمت تسمية خطيب الأنصار في هذه الرواية.

[٥] كذا في متن البزار، ونسب متناً ابن الباغبان وابن عساكر هذا القول لعمر: «قال عمر: فإذا هم يريدون أن يخرطونا..».

[٦] اجتمعت المتون الثلاثة هنا على هذه العبارة بصيغة النفي هذه.

[٧] كذا صرح الثلاثة بتعيين الحباب دون فصل وكأنه من أصل رواية الزهري عن عبيد الله.

[٨] اجتمعت المتون الثلاثة هنا على عبارة الحرب هذه.

[٩] تفرد متن البزار دون متني ابن الباغبان وابن عساكر على إدراج قول عمر هذا هنا وكأنه من أصل رواية الزهري عن عبيد الله، وقد مر بنا فصل طريق معمر لهذا القول وجعله من رواية قتادة مرسلاً.

[١٠] تفرد متن البزار بتأخير حدوث اللغظ بعد بيعة عمر لأبي بكر مخالفاً بذلك كل متون طرق هذه الرواية - رواية الزهري عن عبيد الله - وليس متني ابن الباغبان وابن عساكر فقط.

< نتائج المقابلة:

○ الواضح كثرة مخالفات متن البزار ليس لمتني ابن الباغبان وابن عساكر فحسب، بل أحيانا لكل طرق متون هذه الرواية، ناهيك عن نكارة ما تفرد به وغرابته.

○ قال البزار عقب رواية متنه: «وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عمر، بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، ورواه عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن عمر غير

واحد، وابن عيينة حسن السياق له»، قلت: ولا يُحمل وصف البزار بالحسن هنا على مجرد معنى القبول أو الصحة، ذلك أن محدّثي عصره كانوا يطلقون هذا اللفظ ويقصدون به أحيانا الأفراد والمناكير^(١)، ودليل ذلك أول عبارته هنا «هذا الحديث لا نعلمه يُروى عن عمر، بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه»، وكأنه اطلع على غرابة متنه ومخالفة كثير من ألفاظه ومعانيه فرواه في مسنده المعلل^(٢) دون غيره من الطرق التي قال فيها «ورواه عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن عمر غير واحد».

○ الرأي عندي ضعف متن البزار رغم قوة إسناده، لنكارة ما تفرد به هذا المتن مخالفا ماعليه متنيّ ابن الباغبان وابن عساكر، فضلا عن مخالفته بقية الطرق الصحيحة لرواية الزهري عن عبيد الله، ولعل سفيان أخذه عن غير الزهري ثم عنعه.

- الطريق السابع: طريق هشيم بن بشير (ت ١٨٣هـ) عن الزهري به:

رواه ابن حبان^(٣)، قال: أخبرنا أبو يعلى، قال: حدثنا سريح بن يونس، قال: حدثنا هشيم. وهو طريق صحيح الإسناد^(٤)، مستقيم المتن، لم يخالف الصحيح من متون طرق رواية الزهري عن عبيد الله في شيء.

- الطريق الثامن: طريق يزيد بن عياض بن جعدبة (ت ؟) عن الزهري به:

رواه البلاذري^(٥) معلقاً^(٦). قال: علي بن محمد المدائني، عن ابن جعدبة، عن الزهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس..

وهذا طريق ضعيف إسناداً ومتناً، أما إسناده فالمتهم به عندي ابن جعدبة هذا، فهو متفق على ضعفه، متهم بالكذب، قال عبد الرحمن بن القاسم: «سألت مالكا عن ابن سمعان. فقال:

(١) تحمل كلمة النكارة عند القدماء غالبا معنى الغرائب والأفراد، وفي هذا المعنى يقول ابن حجر: «من مظان الأحاديث الأفراد مسند أبي بكر البزار، فإنه أكثر فيه من إيراد ذلك وبيانه». انظر النكت على كتاب ابن الصلاح، ص ٢٨٠.

(٢) ينبغي التنبيه على أن مسند البزار في أصله من مظان ما أُعلل من الحديث.

(٣) صحيحه برقم ٤١٣.

(٤) قال ابن رجب الحنبلي: «هشيم لم يصح له السماع من الزهري إلا أربعة أحاديث، منها: حديث السقيفة، قال الإمام أحمد - يعني قاله الإمام أحمد -». انظر شرح علل الترمذي ص ٨٥٥ ط همام، وانظر نحو هذا القول عن إبراهيم بن عبد الله الهروي في سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٩١.

(٥) أنساب الأشراف ٢ / ٢٦٥ (ص ٥٨٣ ط حميد الله)

(٦) وكأنه أخذه وجادة.

كذاب. قلت: يزيد بن عياض؟ قال: أكذب وأكذب»^(١). وقال أحمد بن صالح المصري: «أظنه كان يضع للناس يعني الحديث»^(٢)، وقال فيه ابن حبان: «يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي من أهل المدينة، كنيته أبو الحكم، يروى عن عبدالرحمن بن مخراق وأهل المدينة، روى عنه عمرو بن دينار والناس، كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير والمقلوبات عن الثقات، فلما كثر ذلك في روايته صار ساقط الاحتجاج به»^(٣).

أما متنه فقد صدق إسناده، إذ فيه من الخلاف والتلفيق ما فيه، وهذا نصه:

«عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب خطب خطبة، قال فيها: إن فلانا وفلانا قالوا: لو قد مات عمر، بايعنا علياً فتمت بيعته، فإنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وفي الله شرها، وكذبا. والله ما كانت بيعة أبي بكر فلتة، ولقد أقامه رسول الله ﷺ مقامه واختاره لدينهم على غيره، وقال: يا أباي الله والمؤمنون إلا أبا بكر. فهل منكم أحد تقطع إليه الأعناق كما تقطع إلى أبي بكر؟ فمن بايع رجلاً على غير مشورة، فإنها أهل أن يقتلوا. وإني أقسم بالله، ليكفن الرجال أو ليقطعن أيديهم وأرجلهم وليصلبن في جذوع النخل. وإني أخبركم أن الله لما قبض رسوله، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، وتكلم خطيب الأنصار فقال: نحن الأنصار، وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرون رهط هنا؛ وإذا هم يريدون أن يخرجونا من أصلنا ويغضبونا أمرنا. فأردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر. فقال أبو بكر: على رسلك يا عمر. وتكلم أبو بكر فما ترك كلمة أعجبتني إلا قالها مع أمثالها حتى سكت. فقال: ما كان من خير فأنتم له أهل. ونحن، بعد، ممن نحن منه. ولن تعرف العرب الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وقد قال ﷺ: وهذا الشأن بعدي في قريش. فقال الحباب بن المنذر، أحد بني سلمة: قد نعرف لكم فضلكم، ولكن منا أمير ومنكم أمير، فذلك أحرى ألا يخالف أحد منا صاحبه، فإلا تفعلوا فأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب. ثم قال بشير بن سعد: الأمر بيننا وبينكم كشق الأبلمة. فقلت: وأنت أيضا يا أعور؟ نشدتك بالله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأئمة من قريش. قال: اللهم نعم، فرغم أنفي. قلت ففيم الكلام؟ وقال أبو بكر: أدعوكم إلى أي المهاجرين شئتم: عمر، أو غيره فهي التي كرهت من كلام أبي بكر؛ ولأن أقدم فيضرب عنقي أحب إلي من أن أزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ. ثم قال أبو بكر: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء وإخواننا في الدين، وأحب الناس إلينا. فأذهب الله عنهم نزع الشيطان».

(١) الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٢.

(٢) تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٢٤.

(٣) كتاب المجروحين ٣/ ١٠٨.

- الطريق التاسع: طريق عباد بن راشد (مُرْسَل) عن الزهري به:

رواه الطبري^(١)، قال: حدثني علي بن مسلم، قال: حدثنا عباد بن عباد قال: حدثنا عباد بن راشد قال: حَدَّثَنَا عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس..

وهو طريق فيه انقطاع - كما يظهر من إسناده - بين عباد بن راشد والزهري، إلا أن متنه صحيح مستقيم، لم يخالف المتفق عليه من صحيح متون طرق رواية الزهري عن عبيد الله عامة، وأهم ما فيه التصريح بنسبة عبارة «فلما رأيتهم يريدون أن يَحْتَزِلُونَا من أصلنا ويغصبونا الأمر» إلى عمر، وكذلك قوله: «وإنَّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش».

ملاحظات عامة على رواية الزهري عن عبيد الله

أ - يظهر من مطلع هذه الرواية أن صاحب حديث السقيفة - من الصحابة - وما جرى فيها إنما هو عمر بن الخطاب، أخبر به في آخر حياته بعد آخر حجة حجها، إذ جاء في مطلعها: «عن ابن عباس قال كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجعت إلى عبد الرحمن فقال لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فتمت. فغضب عمر ثم قال إني إن شاء الله لقاتم العشية في الناس، فمحذروهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول ما قلت متمكنا، فيعى أهل العلم مقاتلك، ويضعونها على مواضعها. فقال عمر أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتى ركبتة، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب، فلما رأيت مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف، فأنكر على وقال ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله. فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها

(١) تاريخه ٢٠٣/٣.

ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي». وهذا أمر سنحتاج إليه كثيرا ما دمنا ندرس قضية استخلاف أبي بكر.

ب. الواضح أن حديث السقيفة كان يستهوي السامعين قديما مما جعله حاضرا دائما ومحفوظا على ألسنة جمهرة من الرواة يروونه في أوقات كثيرة مما وسع دائرة الخلاف اللفظي بين الروايات، ويدل على ذلك قول الحميدي: «حَدَّثَنَا سَفِيَانُ قَالَ: أَتَيْنَا الزَّهْرِيَّ فِي دَارِ ابْنِ الْجَوَازِ فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمْ حَدِّثْتُمْ بَعْشَرِينَ حَدِيثًا، وَإِنْ شِئْتُمْ حَدِّثْتُمْ بِحَدِيثِ السَّقِيْفَةِ. وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَاشْتَهَيْتُ أَنْ لَا يَحْدُثَ بِهِ لَطْوَلُهُ، فَقَالَ الْقَوْمُ: حَدِّثْنَا بِحَدِيثِ السَّقِيْفَةِ. فَحَدَّثْنَا بِهِ الزَّهْرِيَّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ بَنِي عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ ثُمَّ حَدَّثَنِي بِقِيَّتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْمَرٌ»^(١).

ج. - مجموع المتون التي أوردت قصة السقيفة عشرون متناً، أصحها إسناداً وأتمها معنى - بعد تنحية المناكير وما شذَّ - تسعة متون، هي:

١. متن ابن هشام عن البكائي عن ابن إسحاق، من طريق عبد الله بن أبي بكر بن حزم.
٢. متن البخاري، من طريق صالح بن كيسان.
٣. متن البيهقي، من طريق صالح بن كيسان أيضا.
٤. متن عبد الرزاق، من طريق معمر.
٥. متن ابن حبان، من طريق معمر أيضا.
٦. متن اللالكائي، من طريق عبد الرزاق عن معمر أيضا.
٧. متن أحمد من طريق، مالك بن أنس.
٨. متن ابن الجوزي - من طريق أحمد - عن مالك أيضا.
٩. متن ابن حبان، من طريق هشيم بن بشير.

في حين لم تخلُ المتون الأخرى من عللٍ في أسانيدها^(٢)، أو من خللٍ في متونها نكارةً أو اضطراباً أنزلها عن مرتبة التسعة المذكورة آنفاً رغم قوة أسانيدها^(٣).

(١) مسند الحميدي ١/١٦.

(٢) وهي أربعة متون.

(٣) وهي سبعة متون.

د - صحة الإسناد لا تستوجب دائما صحة المتن^(١)، وقد ثبت ذلك فيما مر بنا آنفا عند عرض طرق رواية الزهري عن عبيد الله، ذلك أننا رأينا متونا صححت أسانيدنا إلا أنها خالفت مخالفة بيّنة أحيانا مع أصولها التي خرجت عنها، مما يوجب ردّها أو ردّ ما خالفت به.

هـ - هذا السبر الدقيق لرواية الزهري عن عبيد الله يجعل الطريق لاحبا سهلا نحو كشف الموضوع والمنكر في كثير من أخبار هذا الباب، وذلك أنه أثمر لنا هذه المتون التسعة التي صارت أصلا يُطمئن إليه في هذا الباب عند معارضة روايات الباب بها، الأمر الذي ينجينا من كثير من الحيرة والاضطراب عند أي اختلاف قد يرد معارضا أو مناقضا في باب السقيفة.

ومن نماذج هذا الباب أيضا رواية أبي نضرة المنذر بن مالك عن أبي سعيد الخدري: وهذه الرواية على الرغم من أن ظاهر إسنادها الصحة، إلا أنها غريبة المتن.. بل قد أضيف إلى متن بعض طرقها زيادات منكرا تضرب وبعض الروايات الصحيحة.

< التخريج: رواها أبو داود الطيالسي^(٢)، وابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وأحمد^(٥)، والطبراني^(٦)، وابن عدي^(٧)، والحاكم^(٨)، والبيهقي^(٩) - ومن طريقه ابن عساكر^(١٠) - جميعهم من طريق داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال^(١١):

«لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلا من أحدنا منكم، والآخر منا. قال: فتتابع خطباء الأنصار على ذلك، قال: فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول الله ﷺ كان

(١) وهذه قاعدة مقررة عند علماء الحديث.

(٢) مسنده برقم ٦٠٣.

(٣) الطبقات ٣/ ١٩٤.

(٤) المصنف برقم ٣٨١٩٥.

(٥) المسند ٥/ ١٨٦.

(٦) المعجم الكبير برقم ٤٧٨٥.

(٧) الكامل في الضعفاء ٣/ ٢٢٤.

(٨) المستدرک ٣/ ٧٦.

(٩) السنن الكبرى ٨/ ١٤٣.

(١٠) تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٧٧، ٢٧٨.

(١١) المتن لأحمد.

من المهاجرين، وإن الإمام إنما يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر، فقال: جزاكم الله خيرا من حيي يا معشر الأنصار، وثبت قائلكم. ثم قال: والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم».

وزاد متن الحاكم، والبيهقي، وابن عساكر قوله:

«ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فسأل عنه فقال ناس من الأنصار فأتوا به فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنته، أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاؤوا به فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال مثل قوله لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه». أ.هـ.

وهذه زيادة لم ترد في المصادر القديمة.

< نتائج: هذا خبر على الرغم من قوة إسناده فإن في متنه نكارة واضطرابا، ومخالفة لروايات صحيحة، وكأن صاحبها رواها من حفظه فأخطأ.

ويمكن إجمال أسباب رد هذه الرواية فيما يأتي:

١. تفرد هذه الرواية بتعدد خطباء الأنصار بينما ما عليه الروايات الصحيحة في هذا الباب أنه خطيب واحد هو الذي تكلم يومئذ.

٢. شذوذ هذه الرواية بذكر زيد بن ثابت وإسناد دور له في هذا اليوم، وهذا أمر لم تعرفه الروايات الصحيحة في هذا الباب.

٣. قوله «إن رسول الله ﷺ، كان إذا بعث رجلا منكم قرنه بآخر منا، فنحن نرى أن يلي هذا الأمر رجلا منكم ورجل منا»، فهذا معنى لا يكاد يُعرف من فعل النبي أنه كان إذا بعث رجلا من المهاجرين قرنه بآخر من الأنصار، بل المحفوظ من سنته ﷺ تأمير الفرد على الجماعة أيا كانت، أما تأمير النبي ﷺ بعض الأنصار في بعض سراياه وبعوثه فثابت.

٤. مخالفة ما نسب لزيد بن ثابت هنا - «إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام إنما يكون من المهاجرين» - لما قاله أبو بكر واتفقت عليه جماهير المسلمين بعد ذلك أن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، ولم يقل من المهاجرين، وهذا أدق في مثل هذا الموقف العصيب من هذا القول المطلق المنسوب لزيد.

٥. أما عن اضطراب وقع في هذه الرواية فمنه ما نُسب لأبي بكر هنا من قول. ذلك أن من طرق هذه الرواية ما نَسب هذا القول لعمر. وهو الطريق الذي يُحتج فيه بتصحيح مسلم لهذه الرواية، وهو طريق أبي بكر بن إسحاق بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب^(١)، قالوا:

«نا بندار بن بشار نا أبو هشام المخزومي، نا وهيب، نا داود بن أبي هند، نا أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قبض النبي ﷺ، واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر، وعمر قال: فقام خطيب الأنصار، فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم أما لو قلت غير هذا لم نتابعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم، فبايعوه. وبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر المنبر، فنظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير، فجاء، فقال: قلت: أين ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ. فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم، فلم ير علياً، فدعا بعلي بن أبي طالب، فجاء، فقال: قلت: ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه.. قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج، فسألني عن هذا الحديث، فكتبت له في رقعة، وقرأت عليه، وقال: هذا حديث يسوي بدنة^(٢). فقلت: يسوي بدنة! بل هذا يسوي بدرة^(٣)».

٦. ومن مخالفات هذه الرواية لما عليه الروايات الصحيحة ما ورد في بعض طرقه^(٤) أن زيد بن ثابت هو الذي أخذ بيد أبي بكر وقال ببيعته، وما عليه الصحيح أن عمر هو الذي بادر بيعة أبي بكر بعد اختلافهم ولغظهم درءاً للفتنة.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٨/١٤٣، وتاريخ دمشق ٣٠/٢٧٧.

(٢) البَدَنَةُ: الناقة أو البقرة. انظر لسان العرب مادة (بدن)، ص ٢٣٣.

(٣) البَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. انظر: تاج العروس من جواهر القاموس مادة (بدر) ١٠/١٤٢.

(٤) ومنه طريق الحاكم.

٧. ولعل هذه الرواية مما وهم فيه أبو نضرة، فهو على الرغم من ثقته في نفسه - وتكلم فيه بعضهم^(١) - إلا أنه كان ممن يخطئ^(٢).

٨. أما ما زاده طريق الحاكم والبيهقي، فهو من أنكر ما يكون مخالفة لما عليه الروايات الصحيحة في شأن بيعة علي بن أبي طالب، وهذا أمر يأتي الحديث عنه مفصلاً. والرأي عندي هنا أن هذه الزيادة أدرجت في زمن متأخر من رواية أخرى بمعناها عن أبي نضرة مرسلًا في هذا الشأن رواها البلاذري^(٣) عنه قال:

«حدثني هدبة بن خالد، ثنا حماد بن سلمة، أنبأ الجريري، عن أبي نضرة قال: لما بايع الناس أبا بكر، اعتزل علي والزبير، فبعث إليهما عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فأتيا منزل علي، فقرعا الباب، فنظر الزبير من فترة ثم رجع إلى علي فقال: هذان رجلان من أهل الجنة، وليس لنا أن نقاتلها. قال: افتح لهما. ثم خرجا معهما حتى أتيا أبا بكر، فقال أبو بكر: يا علي أنت ابن عم رسول الله وصهره، فتقول إني أحق بهذا الأمر، لاها الله لأنه أحق به منك. قال: لا تثريب، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعه. ثم قال للزبير: تقول أنا ابن عمه رسول الله وحواريه وفارسه وأنا أحق بالأمر، لاها الله لأنها أحق به منك. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه».

٩. أما ما احتج به بعضهم من تصحيح مسلم لهذه الرواية وزيادتها المنكرة هذه، فالعجب من رواية تسوي بدرجة يُدعى تصحيح مسلم إياها ولم يروها هو ولا أحد من أهل عصره حتى يروها ابن خزيمة (ت ٣١١هـ) ومن بعده الحاكم والبيهقي وابن عساكر فقط. وقد اغتر هؤلاء بقول مسلم هذا، فظنوا في إعجاب مسلم بهذا الخبر تصحيحاً له، وليس كذلك، إنما كان يقع مثل ذلك كثيراً بين المحدثين القدماء عند وقوفهم على ما يُعرف عندهم بالفوائد والأفراد من الحديث بغض النظر عن صحتها من عدمها - إذ إن لهذا عندهم شأنًا آخر^(٤) - ومنها هذا الخبر بزيادته.

(١) راجع: الطبقات لابن سعد، وتهذيب الكمال ٢٨/٥٠٨.

(٢) انظر الثقات لابن حبان ٥/٤٢٠.

(٣) أنساب الأشراف ٢/٢٦٧ (ص ٥٨٥ ط حميد الله)، وكذلك رواها ابن عساكر - من طريق أبي عبد الله المحاملي - في تاريخ دمشق ٣٠/٢٧٨، وبمعناها رواية ابن بطة في الإبانة برقم ١١٦. وإن تعجب فعجب من ابن كثير تصحيحه إياها وفيها من العلل ما فيها.

(٤) راجع في رواية كبار المحدثين لبعض الموضوعات والغرائب واهتمامهم بذلك: تاريخ دمشق ٣/٥، والمدخل إلى علم الحديث، لطارق عوض الله ص ٧٦.

ومن ثم، فخلاصة هذا الطريق أنه على الرغم من قوة إسناده فإنه لا يصح متناً لما فيه من نكارة واضطراب، ومخالفة لروايات صحيحة، وكأن صاحبها رواها من حفظه فأخطأ. ولعل هذه الرواية مما وهم فيه أبو نصر.

المطلب الثالث

الخلاف حولبيعة الصحابة لأبي بكر

يتفق أهل السنة جميعاً، قديماً - ومنهم الصحابة - وحديثاً، على فضل أبي بكر، وأنه أول خلفاء النبي ﷺ بعد موته، لا ينازع في ذلك أحدٌ. ولكنهم اختلفوا في أحقيته بهذه الخلافة، هل هي على الوجوب ناصاً؟ أم جاءت على الاجتهاد في الاختيار؟

أما الأول: فقد فرغنا من الحديث فيه، وأنه لا نص جلي يصح في استخلاف النبي ﷺ له، مع إقرارنا بوجود تلك الإشارات التي أظهرت رغبة النبي ﷺ في ذلك من غير فرض ولا نص. وهو قول جمهور أهل السنة.

أما الثاني: ففيه المعتبر. ذلك أن الاجتهاد لا يوجب الأحقية في هذا الاختيار - إذ هو يصيب ويخطئ - إلا إذا وقع الإجماع عليه في حينه. وهذا يؤدي إلى القول بجواز وقوع الاختيار على غير أبي بكر خليفة للنبي ﷺ. وهو ما رآه الأنصار يومئذ. وهنا كان اختلاف أهل السنة: هل وقع الإجماع على أبي بكر حين اختيار خليفة للمسلمين بعد موت النبي ﷺ؟

ذهبت طائفة من أهل السنة إلى القول بوقوع الإجماع على استخلاف أبي بكر وقت ترشيحه لهذا المنصب، فلم يتخلف عن بيعته أحد^(١).

في حين ذهبت طائفة أخرى إلى القول بتأخر هذا الإجماع، إذ إنهم يقولون بتخلف بعض الصحابة عن تلك البيعة في حينها^(٢).

وترتب على هذا الاختلاف أحكام فقهية تخص هذا الباب^(٣).

(١) راجع من مصادر هذا الرأي: الاعتقاد، للبيهقي ص ١٧٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/٨، ٩٤، ٩٤/٩٤. وغيرهما.

(٢) راجع من مصادر هذا الرأي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٤/٩٦، وشرح صحيح مسلم، للنووي ١٢/٧٧-٧٨.

(٣) من ذلك مثلاً قول بعضهم: «يكفي في بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب الاستيعاب ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ويضع يده في يده بل يكفي التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه». انظر فتح الباري ٩/٣٤٢. وانظر أيضاً: شرح صحيح مسلم، للنووي ١٢/٧٧-٧٨.

ويرجع ذلك كله بلا شك إلى منهج كل فريق في طريقة تفسيره لتلك المرويات التاريخية التي تخص هذا الباب.

وهذا يحتاج إلى سبرٍ لتلك الآراء، والنظر في أصول اجتهاد أصحابها التي بلغت بهم إلى هذه التفسيرات وما سلف من نتائج نتجت عنها.

أما أصحاب القول الأول^(١): فإن من أهم ما يستندون إليه في ذلك، هو ما رواه الطبري^(٢) من طريق سيف بن عمر عن الوليد بن عبدالله بن أبي ظبية البجلي قال حدثنا الوليد بن جميع الزهري قال قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد:

«أشهدت وفاة رسول الله ﷺ قال نعم قال فمتى بويع أبو بكر قال يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة قال فخالف عليه أحد قال لا إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار قال فهل قعد أحد من المهاجرين؟ قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم».

وهذا خبر واهٍ، في إسناده الوليد بن عبدالله بن أبي ظبية – وقيل: ابن أبي ظبية – البجلي، لا يعرف هو ولا أبوه، ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف، ولم يزد في ترجمته على أنه «يروى عن أبيه.. روى عنه سيف في الفتوح»^(٣).

ونضيف هنا أمراً آخر ينقض تلك الرواية، وهو أن أولئك الذين «كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة»، هم أنفسهم الذين مكثوا ثلاثة أيام – من غير حرج عليهم ولا بأس – بعد موت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإذنه حتى بايعوا إمام الجماعة بعد عمر، وهو عثمان بن عفان!

أما أصحاب القول الثاني^(٤): فهو المؤيد عندي^(٥) بما رجح به من أدلة.

فهم أولاً رأوا في قول أبي بكر يوم السقيفة: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا»^(٦) دليلاً من أهم الأدلة وأقواها في هذا الباب.

(١) القائل بوقوع الإجماع على أبي بكر فور استخلافه.

(٢) تاريخه ٣/٢٠٧.

(٣) المؤتلف والمختلف ص ١٤٧٨. وانظر المعجم الصغير لرواة الطبري ١/٣٣٥، ٢/٧٨٨.

(٤) وهو القول بتأخر هذا الإجماع على أبي بكر لاختلاف اجتهادهم في أحقية أبي بكر بالخلافة.

(٥) أعني بالمؤيد عندي: ترجيحي له، وتعصيدي إياه بمزيد من الأدلة فيما يأتي من غير تنبيه على ذلك.

(٦) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

ثم رأوا مثل ذلك في قول عمر يومها أيضا: «إنا والله ما وجدنا فيها حضرننا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا»^(١).

ومن الأدلة أيضا ما أخرجه البخاري^(٢)، وغيره من طريق عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها:

«.. فقال أبو بكر.. فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة. فقال عمر بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ..».

وكذلك ما أخرجه أحمد^(٣)، والنسائي^(٤)، وغيرهما من طريق زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود، قال^(٥):

«لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير. فأتاهم عمر، فقال: يا معشر الأنصار، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر».

وكذلك ما أخرجه أحمد^(٦)، وأبو نعيم^(٧) من طريقين إلى [يزيد بن] سعيد بن ذي عصوان العنسي، عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن رافع الطائي رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل، قال:

«وسألته عما قيل من بيعتهم، فقال وهو يحدثه عما تكلمت به الأنصار وما كلمهم به، وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه: فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة، وتكون بعدها ردة».

وهنا نعود مرة أخرى إلى ما سبق التساؤل عنه: هل اجتمع الصحابة حقا على بيعة أبي بكر ﷺ في حينه؟ ذلك أن في إجابة هذا السؤال مزيد بيان لأصول كل فريق في اجتهاده الناتج عن تفسيره للمرويات التاريخية لهذا الباب.

(١) صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٢) صحيحه برقمي ٣٦٦٧، ٣٦٦٨، وتاريخه الأوسط ١/٣٧٦.

(٣) المسند ١/٢١، ٤٠٥، وفي فضائل الصحابة ١/١٨٢.

(٤) السنن الكبرى برقم ٨٥٥.

(٥) المتن لأحمد.

(٦) المسند ١/٨.

(٧) أخبار أصبهان (٢/٥٩) في ترجمة عبد الله بن أحمد بن سوادة أبي طالب.

(٨) ساقط من المطبوع من أخبار أصبهان.

كشفت الروايات - صحيحها وسقيمها - عن إعراض بعض الصحابة عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه يوم بويج بالخلافة فور وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. الأمر الذي أنشأ خلافا بين المفسرين، ما بين مُقرِّ بوقوع هذا الإعراض، وبين مؤول له. ولا غرو أن لعبت الروايات المشبوهة والموضوعة دورها - لا شك - في هذا الخلاف.

ولعل أبرز من كشفت الروايات عن إعراضه عن بيعة الصديق يوم بويج، سعد بن عبادة، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

أولا: سعد بن عبادة:

أما سعد فقد اختلفت الروايات - ومن ثم تفسيراتها - حول موقفه من البيعة على ثلاثة مواقف متناقضة نسبتها إليه.

الأول: رضاه بالبيعة مختارا طائعا^(١). ويستند أصحاب هذا التفسير إلى ما أخرجه أحمد^(٢) - ومن طريقه ابن عساكر^(٣) - والطبري^(٤)، من طريق أبي عوانة قال حدثنا داود بن عبد الله الأودي عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال:

«جاء رجل يسعى فقال: هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلّة بني ساعدة يبايعون رجلا منهم، يقولون: منا أمير، ومن قريش أمير. قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان، حتى أتياهم فأراد عمر أن يتكلم، فنهاه أبو بكر فقال لا أعصي خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين. قال: فتكلم أبو بكر، فلم يترك شيئا نزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره، وقال: ولقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا، سلكت وادي الأنصار، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد: قريش ولالة هذا الأمر، فبِرّ الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال: فقال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء. قال: فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فلا بياعك. فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني - قال: وكان عمر أشد الرجلين، قال: وكان كل واحد منهما يريد صاحبه، يفتح يده يضرب عليها - ففتح عمر يد أبي بكر، وقال: إن لك قوتي مع قوتك. قال: فبايع الناس، واستثبتوا للبيعة. وتخلف علي والزبير، واخترط الزبير سيفه، وقال: لا أغمده حتى يبايع علي. فبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فقال عمر: خذوا سيف الزبير

(١) انظر البداية والنهاية ٨ / ٨٧.

(٢) المسند ١ / ٥.

(٣) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) تاريخه ٣ / ٢٠٣.

فاضربوا به الحجر. قال: فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تعباً، وقال: لتبايعان وأنتما طائعان، أو لتبايعان وأنتما كارهان. فبايعا.

فهذه رواية - فضلاً عن عدم صحتها - فيها من المناكير المخالفة للصحاح ما فيها. فهي أولاً رواية مرسلّة. حميد بن عبد الرحمن الحميري من التابعين لم يشهد الواقعة، ذكره ابن سعد^(١) في الطبقة الثانية من أهل البصرة^(٢). أما عن منكري هذه الرواية، فمنها قوله: «لا أعصي خليفة النبي ﷺ في يوم مرتين» فأبو بكر لم يكن ببيع له بعدُ آنذاك. وأيضاً من منكريها موقف الزبير الوارد فيها. وكذلك قوله: «فانطلق إليهم عمر فجاء بهما تعباً وقال لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا». فالصحيح كما سبق أن علياً لم يبايع ستة أشهر حتى ماتت زوجته فاطمة رضي الله عنها. هذا ولم يصح في موقف سعد بن عباد من استخلاف أبي بكر شيء كما سبق وبيّنتُ.

ومن أبرز منكري هذه الرواية قوله: «ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد قريش ولالة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم قال فقال سعد صدقت». ١. هـ. فإن هذا القول لو ثبت عن الصحابة رضوان عليهم في هذا الموقف العصيب، لكان فصلاً بينهم في تعيين خليفة رسول الله ﷺ، ولما تخلف عليٌّ عن بيعة أبي بكر ستة أشهر كما في الصحيح^(٣)، ولما أهمله عمر فيما صح عنه فيما أخبر به في آخر عمره عن يوم السقيفة أن بيعة أبي

(١) الطبقات ٩/ ٤٧.

(٢) أما قول ابن تيمية في هذا الخبر: ((فهذا مرسل حسن، ولعل حميدا أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك، وفيه فائدة جليّة جداً، وهي أن سعد بن عباد نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصدّيق بالإمارة)) (منهاج السنة ١/ ٥٣٦). قلت: الخبر على علته الأولى في كونه مرسلًا، والمرسل لا يصح عند المحدثين إلا بقريّة صحيحة في باب الخبر، وهو ما عُدِم في روايتنا المرسلّة هذه إذ إنها مفردة في بابها، وبقية الباب - وإن لم يصح فيه شيء أيضاً - على خلافه. ولا يُعتد عند المحدثين بقول: ((لعل حميدا أخذه عن بعض الصحابة)) إلا باعتضاد أمثال هذه المراسيل بالقرائن الصحيحة كما ذكرتُ آنفاً. وإلا حسنت المراسيل كلها بحجة هذا القول. ولكن هذا يُحمل من ابن تيمية على أنه يذكر مخارج من استند بهذه الرواية وتبرير قولهم، وذلك من باب زيادة النكير على المخالف الذي يجادل في كتابه (منهاج السنة) وتقرّيعه في ثنايا رده عليه في قضية أخرى غير قضية بيعة سعد بالاستفادة من مستند مذهب القائلين ببيعة سعد مختارًا، وإلا فإن المقدم عند ابن تيمية هو عدم بيعة سعد لأبي بكر، إذ يقول: ((الأنصار جميعهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عباد، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية)) (منهاج السنة ١/ ٥١٨)، وقال في موضع آخر: ((وأما أبو بكر فتخلف عن بيعته سعد لأنهم كانوا قد عينوه للإمارة، فبقي في نفسه ما يبقى في نفوس البشر، ولكن هو مع هذا رضي الله عنه لم يعارض، ولم يدفع حقا ولا أعان على باطل)) (منهاج السنة ١/ ٥٣٦). ثم حكى بعد ذلك رواية حميد بن عبد الرحمن الحميري المرسلّة السابق الحديث عنها.

(٣) انظر صحيح البخاري برقم ٣٧١٢، وسيأتي استيفاء تحريجه والكلام عليه رواية وتفسيراً.

بكر كانت فلتة، « وإنا والله ما وجدنا فيها حضرننا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا»^(١).

والثاني: إكراهه عليها. ويستند أصحاب هذا التفسير إلى ما رواه الطبري^(٢) من طريق سيف [بن عمر]، عن مبشر، عن جابر قال:

«قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر: إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة، وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة. فقالوا: إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة، ولكننا أجبرنا على الجماعة، فلا إقالة فيها، لئن نزعت يدا من طاعة، أو فرقت جماعة، لنضربن الذي فيه عينك».

فهذا خبر لا يصح، في إسناده مبشر، هو ابن الفضيل. قال العقيلي في الضعفاء: «مجهول بالنقل»^(٣)، وقال الذهبي: «شيخ سيف لا يدري من هو»^(٤). ومما ينقض هذا الخبر، أنه لا بيعة لمكره، ولا يعتد بها في الشرع^(٥). ثم لماذا لم يُجبر علي بن أبي طالب ومن تبعه من بني هاشم على هذه البيعة كما أُجبر عليها سعد بن عبادة؟

والثالث: إعراضه التام عن البيعة حتى وفاته - وهو ما أميل إليه وأرجحه - . ومستند هذا التفسير، إعراض المرويات الصحيحة عن ذكر شيء من موقفه تجاه بيعة أبي بكر بعد قول عمر في شأنه: «ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد

(١) انظر صحيح البخاري برقم ٦٨٣٠.

(٢) تاريخه ٣/ ٢٢٣.

(٣) الضعفاء ٦/ ١٠٢.

(٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٤.

(٥) الإكراه: حمل الإنسان على أمر لا يريد طبعاً أو شرعاً. والإكراه على أمر لا يجب به شيء، لأن المكروه غير مكلف، فإذا نطق بكلمة الكفر فإنه لا يؤخذ، وإذا قذف غيره فلا يقام عليه الحد، وإذا أقر فلا يؤخذ بإقراره، وإذا عقد عقد زواج أو هبة أو بيع فإن عقده لا ينعقد، وإذا حلف أو نذر فإنه لا يلزم بشيء، وإذا طلق زوجته أو راجعها فإن طلاقه لا يقع، ورجعته لا تصح. والأصل في هذا قول الله تعالى: ﴿لَا مَنَ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، والآية وإن كانت خاصة بالتلفظ بكلمة الكفر، إلا أنها تعم غيره. قال القرطبي: «لما سمح الله عز وجل بالكفر به، وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤخذ به، ولم يترتب عليه حكم، وبه جاء الأثر المشهور عن النبي ﷺ: (رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسِيَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ)، والخبر وإن لم يصح سنده فإن معناه صحيح باتفاق العلماء» (الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٨١). ويراجع في تفصيل هذه المسألة: الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية ٦/ ٩٨، وفقه السنة، للسيد سابق ٣/ ٢٤٢.

بن عبادة». مما يدل على عدم نقل شيء يثبت في هذا الأمر. ولو وجد شيء في هذا الباب لكان أدعى إلى نقله بالطريق الصحيح إلينا، وعدم إهماله بحال. وكيف يُهمل نقل بيعة أول مُعرض عن بيعة أول خليفة للأمة بعد رسول الله ﷺ، وليس هذا المعرض كغيره من المسلمين، بل هو سيد قومه، وصاحب المناقب الفاضلة في عهد النبي ﷺ^(١). وذلك بعكس موقف الرواة من علي بن أبي طالب كما سيأتي، إذ إنه على الرغم من إعراضه عن البيعة ستة أشهر، فإنهم لم يهملوا رصد بيعته بالنقل الصحيح بعد هذه الستة، ولم يغفلوا عن ذلك أبداً. وليس سعد في هذا الوقت أقل شأنًا من علي.

ولعل إعراض سعد عن بيعة الصديق أدى إلى وحشة بينه وبين بعض الصحابة، وهو موقف لا أشك في وقوعه. إذ قد رأينا شبيهاً له مع علي بن أبي طالب كما سيأتي. إلا أنه لم يصح في ذلك خبر، ولكن في بعض ما لا يصح من تلك الأخبار ما يشير إلى تلك النواة الصادقة في هذا الموقف الشديد على سعد، وهو كونه أثار بذلك الإعراض وحشة بينه وبين طائفة كبيرة من الصحابة، الأمر الذي دفعه إلى مغادرة موطنه والاستقرار في الشام حتى وفاته^(٢).

من هذه الأخبار - التي لا تصح - ما رواه ابن سعد^(٣) - ومن طريقه ابن عساکر^(٤) - قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني محمد بن صالح، عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي:

«أن أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبل فبايع. فقد بايع الناس وبايع قومك. فقال: لا والله، لا أبايع حتى أراميكم بما في كنانتي، وأقاتلكم بمن تبغني من قومي وعشيرتي. فلما جاء الخبر إلى أبي بكر قال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله، إنه قد أبى ولجّ، وليس بمبايعكم أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، فإنه ليس بضاركم، إنما هو رجل وحده ما ترك. فقَبِلَ أبو بكر نصيحة بشير، فترك سعدا، فلما ولي عمر، لقيه ذات يوم في طريق المدينة فقال: إيه يا سعد. فقال سعد: إيه يا عمر. فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه. فقال سعد: نعم، أنا ذاك، وقد أفضى إليك

(١) شهد سعد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد بدرًا - في قول بعضهم - قال ابن عبد البر: «كان سيداً في الأنصار مقدماً وجيهاً له رياسة وسيادة يعترف قومه له بها». انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ص ٥٩٥، والإصابة، لابن حجر ٦٥/٣.

(٢) أمر استقراره بالشام مشهور في كتب الرجال والطبقات. انظر مثلاً: الطبقات لابن سعد ٣٩٣/٩، وتاريخ دمشق ٢٣٧/٢٠.

(٣) الطبقات ٥٦٩/٣.

(٤) تاريخ دمشق ٢٦٥/٢٠.

هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أصبحت كارها لجوارك. فقال عمر: إنه من كره جوار جاره تحول عنه. فقال سعد: أما أني غير مستنسىء بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك. قال: فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب، فمات بحوران»^(١).

ومن ذلك أيضا ما رواه الطبري^(٢) عن أبي مخنف قال: قال عبدالله بن عبد الرحمن:

«.. فأقبل الناس من كل جانب يبائعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا، لا تطؤوه. فقال عمر: اقتلوه، قتله الله. ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك. فأخذ سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. فقال أبو بكر: مهلا يا عمر الرفق ها هنا أبلغ. فأعرض عنه عمر، وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة – ما أقوى على النهوض – لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يحرك وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه، فأدخلوه في داره، وترك أياما، ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك. فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي، وأخضب سنان رحمي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأفاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي، فلا أفعل. وإيم الله، لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي. فلما أتى أبو بكر بذلك، قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع. فقال له بشير ابن سعد: إنه قد لَجَّ وأبى، وليس بمبايعكم حتى يُقتل، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه، فليس تركه بضاركم، إنما هو رجل واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم، ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله».

وهذه رواية مرسل^(٣) مردودة إسنادا ومتنا.

(١) فهذا خبر لا يصح. فهو - أولا - مرسل. والزبير اختلف في تعيينه (تهذيب الكمال ٩/ ٣١٩، ٢٩٣، وإكمال تهذيب الكمال ٥/ ٣٩)، ومحمد بن صالح التمار مختلف فيه جدا، ففي الوقت الذي فصله بعضهم عن محمد بن صالح المدني الأزرق (تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٨٣، ٣٧٧، وتاريخ الإسلام ٤/ ٤٩٧، ٤٩٦). جعلهما ابن حجر واحدا (لسان الميزان ٧/ ٢٠٤، ٩/ ٤٠٨). وفي الوقت الذي وثق بعضهم محمد بن صالح التمار (تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٧٨). قال فيه الدارقطني: متروك (سؤالات البرقاني برقم ٤٣٩). وقال فيه أبو حاتم: شيخ ليس بالقوي، لا يعجبني حديثه (الجرح والتعديل ٧/ ٢٨٧).

(٢) تاريخه ٣/ ٢٢٢.

(٣) فإن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة صاحب هذه الرواية لم يدرك أحدا من الصحابة.

أما إسنادها فقد أخرجها الطبري^(١) قال: حُدِّثنا [عن]^(٢) هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري..

ورواها صاحب الإمامة والسياسة^(٣) من طريق ابن عفير، عن أبي عون، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري.

والعلة الرئيسة في طريقي الرواية معاً هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري^(٤) صاحب هذه الرواية، وهو رجل تحوم حوله شكوك كثيرة، ترجمه البخاري^(٥)، وابن أبي حاتم^(٦)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعليه فقد ذكره ابن حبان في الثقات^(٧) وفق شرطه^(٨). من أجل ذلك جهَّله بعض المعاصرين وضعفوا مروياته^(٩)، كان أبوه قاصاً ولكنه كان من الثقات الأثبات^(١٠).

والواضح من تتبع مرويات عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري في المصادر أنه رجل أخباري، صاحب قصص وأخبار، استهواه الضعفاء، فلم يرو عنه إلا ضعيف أو مجهول غالباً.

(١) تاريخه ٣/٢١٨.

(٢) ما بين حاصرتين ساقط من المطبوع، وانظر تاريخ التراث العربي لسزكين ٣/١٦٤.

(٣) الإمامة والسياسة ص ٤، وفي متنه زيادات لم ترد في متن الطبري الذي سيأتي ذكره. وهو مطعون في نسبه لابن قتيبة، ولا تصح تلك النسبة. وراجع في ذلك: كتب حذر منها العلماء، لمشهور حسن.

(٤) ينبغي التنبيه أن كل مَنْ تكلم على هذه الرواية لم يذكر لها إلا طريقاً واحداً هو طريق أبي مخنف الذي رواه الطبري، فأعلوه به غالباً لتشييعه واتهامه عند المحدثين، ولما تم كشف هذا الطريق الثاني، صار من الأخرى - رغم عدم صحة هذا الطريق الثاني أيضاً - أن نبحت في إسناده عن علة أخرى تكون هي السبب في رد هذه الرواية - بطريقها معاً - المخالفة لما عليه الروايات الصحيحة. حتى لا يكون ذلك مدعاة لبعض المخالفين ادعاء وجود أصل لهذه الرواية الباطلة، وأن أبا مخنف لم يتفرد بها كما يقول الباحثون السنة، وأقول مرة أخرى: إن تعليق رد الرواية على أول ضعيف يكون في الإسناد، أو أشهر متهم فيه ليس هو المنهج الأمثل في التعامل مع الأخبار، إذ قد يصدَّق الكاذب، ويُلَقَّن الصدوق أو يخطئ. وللعلامة محمود شاكر كلام نفيس في هذا الباب في الفصل الأخير من كتابه الماتع: نمط صعب ونمط مخيف ص ٣٢٥ فما بعدها.

(٥) التاريخ الكبير ٥/١٣٦.

(٦) الجرح والتعديل ٥/٩٦.

(٧) الثقات ٧/١٤٥.

(٨) المصدر نفسه ١/١٣، ومنه قوله: «العدُل من لم يُعرف منه الجرح ضد التعديل فمن لم يُعلم بجرح فهو عدُل إذا لم يبين ضده..».

(٩) انظر: إرواء الغليل ٥/٦٧، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٠/٧١٩، ومسند أحمد (١٦/٣٦٧ طبعة الرسالة) حاشية رقم ١.

(١٠) انظر ترجمته في: الطبقات لابن سعد ٧/٨٥، وتهذيب الكمال ١٧/٣١٨.

ويزيد الأمر سوءاً أن الطريقتين المؤدبين إليه يقعان من الوهن بالموقع الجلل، أما الأول ففيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبو مخنف لوط بن يحيى، وكلاهما متهم عند أهل الحديث.

أما الآخر، ففي إسناده جهالة، إذ يرويه صاحب الإمامة والسياسة - وهو مجهول يغلب على كتابه التشيع - عن سعيد بن كثير بن عفير المصري^(١)، عن أبي عون، عنه. وأبو عون هذا هو عمر بن عون بن عمرو بن تميم الانصاري، قال ابن أبي حاتم: «عمر بن عون بن عمرو بن تميم الانصاري أبو عون، روى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري، روى عنه سعيد بن كثير بن عفير المصري، نا عبد الرحمن قال: سألت أبي عنه، فقال: مجهول»^(٢).

أما متنها فالوضع فيه ظاهر لمن يتأمله، إذ فيه من الغرائب والمناكير ما لا تعرفه رواية صحيحة من تلك الروايات التي سبقت في هذا الباب، ويغلب على هذه الرواية طابع القصص الشعبي لقاص تنزعه نوازع قبلية عصبية تمخضت عن محن سياسية عاشها صاحب هذا الخبر وقومُه^(٣).

ثانياً: علي بن أبي طالب:

والأمر مع علي بن أبي طالب كان مثل ما كان مع سعد بن عبادة. فقد تناقضت الروايات في شأنه حتى اضطربت واختلقت اختلافاً كثيراً لا يمكن التوفيق بينه بحال. ولكن رأينا مع ذلك من أهل السنة من أراد أن يجمع بين هذه المتناقضات بتفسيرات متوافقة، ولكنه لم يفلح، بل أساء كل الإساءة وهو لا يشعر. إلا أنها كلها - على كل حال - محاولات انتهت بتأكيد بيعة علي بن أبي طالب للصديق. وإنما كان الخلاف في تفسير موقف علي من هذه البيعة بالآتي:

(١) له كتاب ذكره ابن عساكر ٥٧ / ١٣٠.

(٢) الجرح والتعديل ٦ / ٢٥٢.

(٣) وأشد ما يكون وضوحاً في هذا الشأن تلك الزيادة التي وردت في متن صاحب الإمامة والسياسة، وفيها: أنه بعدما تمت بيعة أبي بكر يوم السقيفة « قام الحباب بن المنذر إلى سيفه، فأخذه، فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه، فجعل يضرب بثوبه وجوههم، حتى فرغوا من البيعة، فقال: فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. قال أبو بكر: أمنا تخاف يا حباب؟ قال: ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك. قال أبو بكر: فإذا كان ذلك كذلك فالأمر إليك وإلى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة. قال الحباب: هيهات يا أبا بكر إذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم». وهذا من الأمور التي تجعلني أنسب علة هذه الرواية المنكرة إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة خاصة دون غيره، فهو رجل ينتهي بنسبه إلى أبي عمرة الصحابي الأنصاري الخزرجي، قُتل أبوه عبد الرحمن بن أبي عمرة الانصاري يوم صفين مع علي بن أبي طالب (الطبقات لابن سعد ٧ / ٨٥، ٨٦) فضلاً عن كون عبد الله من طبقة شهدت وقعة الحرة (سنة ٦٣ هـ) وما كان من إذلال بني أمية لأهل المدينة في عهد يزيد بن معاوية. انظر في وقعة الحرة: الطبقات الكبير لابن سعد ٧ / ٦٩.

الأول : رضاه بالبيعة مختاراً طائعا من أول يوم^(١) . ويستند أصحاب هذا التفسير إلى رواية أبي نصر المنذر بن مالك عن أبي سعيد الخدري . وقد سبق الحديث عنها والحكم عليها وأنها لا تصح . وكان من إشكالاتها التي تكلمنا فيها، ما زاده متن كل من الحاكم^(٢) ، والبيهقي^(٣) ، وابن عساكر^(٤) في قوله:

«ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبكم، فبايعوه. ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم ير علياً، فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ. فبايعه. ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ. فبايعاه».

ومما استدلوا به أيضا ما أخرجه الطبري^(٥) قال: حدثنا عبيد الله بن سعد قال أخبرني عمي قال: أخبرني سيف، عن عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال:

«كان علي في بيته، إذ أتى فقيلاً له: قد جلس أبو بكر للبيعة. فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجلاً، كراهية أن يبطن عنها، حتى بايعه، ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه فأتاه، فتجلله، ولزم مجلسه».

(١) من أنصار هذا الرأي ابن كثير (البداية والنهاية ٨ / ٩٢)، فهو يرى أن علياً بايع مرتين، الأولى في اليوم الأول أو الثاني من بيعة الصديق، والأخرى بعد ستة أشهر جدد فيها البيعة له!! ونسب ابن حجر مثل هذا الرأي في الفتح (٩ / ٣٤٤) لابن حبان فقال: «وقد صحح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن علياً بايع أبا بكر في أول الأمر». قلت: وقد بحثت عن هذا الأمر الذي نسبته ابن حجر لابن حبان فلم أجده، بل إن ما وجدته كان عكس ذلك تماماً، وهو اعتقاد ابن حبان بتأخر بيعة علي! إذ يقول في كتابه الثقات (٢ / ١٦١): «واستقام له الأمر بعد رسول الله ﷺ، وبايعه الناس، ورضوا به، وسموه خليفة رسول الله ﷺ إلا شردمة مع علي بن أبي طالب تخلفوا عن بيعته». وما ذكره ابن حجر في حديث أبي سعيد الخدري فهو يقصد خبر ابن خزيمة (شيخ ابن حبان) الذي نسب إلى مسلم فيه قوله أنه يساوي بدنة. قلت: ولعل الأمر اختلط على ابن حجر بصنيع ابن خزيمة، فإنه هو الذي صنع ما نسبته ابن حجر لابن حبان. وكثيراً ما يحكي ابن حجر من حفظه دون التزام بنص الأصول. ومن ذهب إلى هذا الرأي من أهل السنة أيضاً البيهقي. انظر: الاعتقاد للبيهقي ص ١٧٩-١٨٠، والسنن الكبرى ٦ / ٣٠٠.

(٢) المستدرک ٣ / ٧٦.

(٣) السنن الكبرى ٨ / ١٤٣.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) تاريخه ٣ / ٢٠٧.

قلت: ولا يصح. فإن في إسناده انقطاعا بين حبيب وعليّ. فضلا عن نكارة متنه، بمخالفته لما عليه الباب.

ومما استدل به بعض أصحاب هذا الرأي أيضا^(١) ما نقله ابن كثير^(٢) عن الدارقطني أن أبا بكر بعد بيعته، برز إلى ذي القصة، واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله.. إلخ.

قلت: وهذا خبر لا يصح، أشار ابن كثير نفسه إلى ضعفه عقب نقله إياه، بقوله: «هذا حديث غريب»^(٣). كما ذكره صاحب كنز العمال^(٤)، وعزاه للدارقطني في غرائب مالك، وللخلعي في الخلعيات وقال: «وفيه أبو غزية محمد بن يحيى الزهري متروك». قلت: ومنهم من كذّبه. قال فيه الدارقطني: يضع^(٥).

ومن أعجب ما جاء في هذا الباب ما أخرجه اللالكائي^(٦)، والعشاري^(٧)، والأصبهاني^(٨) من طريق سعيد بن المسيب قال:

«خرج علي بن أبي طالب لبيعة أبي بكر، والناس يتكلمون والأنصار، فنادى فيهم فأسمعهم: أيكم يؤخر من قدم رسول الله ﷺ؟ يعني أبا بكر، فجاء علي بكلمة لم يأت أحد بمثله».

وهو كذلك، لا يصح بمرّة. ففي إسناده من لم أعرف، فضلا عن انقطاع بين سعيد وعليّ، ناهيك عن مخالفة متنه لما عليه صحيح الباب.

ومما روي في هذا الباب ولا يصح ما أخرجه أحمد^(٩)، وولده عبد الله^(١٠)، والقطيبي^(١١)،

(١) علي الصلابي، الانسراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق ص ١٤٤..

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/٤٤٦.

(٣) البداية والنهاية ٩/٤٤٦.

(٤) كنز العمال، لابن حسام الهندي ٥/٦٥٨.

(٥) الضعفاء والمتروكين برقم ٤٨٣.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٢٤٤٠.

(٧) فضائل أبي بكر، ق.

(٨) الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني برقم ٣٣٢.

(٩) فضائل الصحابة برقم ١٠٢.

(١٠) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٠١.

(١١) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٣٣.

والبلاذري^(١)، والخلال^(٢)، والآجري^(٣)، وابن بطة العكبري^(٤)، جميعهم من طرق - لا تصح - إلى أبي الجحاف قال:

«لما بويغ أبو بكر، فبايعه علي وأصحابه، قام ثلاثا يستقبل الناس يقول: أيها الناس، قد أقتلكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي في أوائل الناس فيقول: والله لا نقتلك ولا نستقبلك أبدا، قدّمك رسول الله ﷺ تصلي بالناس، فمن ذا يؤخرك؟!».

لا يصح، فإنه فضلا عن تلف الطرق المؤدية إلى أبي الجحاف، فإن أبا الجحاف^(٥) لم يلتق أبا بكر ولا عليا. وهذا الخبر مخارجه متشعبة.

وقد أخرج الآجري^(٦)، نحوه من طريق سليمان بن الحكم، عن سليمان بن عمرو النخعي، عن عبد الملك بن عمير، عن سويد بن غفلة قال: لما بايع الناس أبا بكر.. إلخ. وهذا موضوع، سليمان بن عمرو النخعي كذاب، قال أحمد: «كان يضع الأحاديث المكذوبة»^(٧).

والثاني: إكراهه عليها. ويستند هذا التفسير إلى ما رواه موسى بن عقبة^(٨) عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف:

«أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير رضى الله عنهما، ثم قام أبو بكر رضى الله عنه فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغبا، ولا سألتها الله في سر ولا علانية، ولكنى أشفقت من الفتنة، وما لى فى الإمارة من راحة، ولكن قلّدت أمرا عظيما ما لى به طاقة ولا يدان، إلا بتقوية الله ولوددت أن أقوى الناس عليها مكانى عليها اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، وقال عليّ والزبير رضى الله عنهما: ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثانى اثنين، وإنا لنعرف شرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي».

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٠.

(٢) السنة برقم ٣٧٢.

(٣) الشريعة برقم ١١٩٠، ١١٩١.

(٤) الإبانة برقمى ٢١١، ٢١٢.

(٥) وهو داود بن أبي عوف سويد، شيعي صدوق. انظر: تهذيب الكمال ٨/ ٤٣٤.

(٦) الشريعة برقم ١١٩٥.

(٧) الجرح والتعديل ٤/ ١٣٢.

(٨) انظر: أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، انتخاب ابن قاضي شهبة، برقم ١٩، والمغازي لموسى ابن عقبة، جمع محمد باقشيش ص ٣٣٥.

وهذا خبر منقطع لا يصح. موسى بن عقبة لم يسمعه من سعد بن إبراهيم. قال علي بن
المديني: «كان سعد بن إبراهيم لا يحدث بالمدينة، فلذلك لم يكتب عنه أهل المدينة»^(١). قلت:
وموسى مدني.

ومن الأدلة على رد هذا الخبر أيضا، أن الصحيح في باب سيف الزبير أنه لم يُكسر يوماً، وإنما
فُلَّ فَلَةً^(٢) فقط يوم بدر، وبقي إلى عهد عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير سنة
٧٣هـ، وأخذ عروة بن الزبير من عبد الملك، ثم توارثه من بعده آل الزبير. ودليل ذلك ما رواه
البخاري من طريق هشام، عن عروة قال: «قال لي عبد الملك بن مروان حين قتل عبد الله بن
الزبير: يا عروة، هل تعرف سيف الزبير؟ قلت: نعم. قال فما فيه؟ قلت: فيه فَلَةٌ فُلَّهَا يوم بدر.
قال: صدقت. بهن فلول من قراع الكتائب. ثم رده على عروة. قال هشام فأقمناه^(٣) بيننا ثلاثة
آلاف، وأخذ بعضنا، ولوددت أني كنت أخذته»^(٤).

والراجح عندي أن هذا الخبر إنما هو من رواية إبراهيم بن سعد بن إبراهيم (ولد ١٠٨هـ -
توفي ١٨٣هـ)^(٥) في روايته لمغازي محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ)، عن الزهري مرسلًا^(٦). وأن
الوراقين عبثوا بشيء من نسخ هذه الرواية من المغازي (رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق)
فدخل فيها ما ليس منها^(٧)، وأن موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) نقله وجادة - دون أن يسمعا -

(١) الجرح والتعديل ٧٩/٤. وراجع في هذا الأمر: التعديل والتجريح، للباقي، برقم ١٣٠٣.

(٢) الفلّة: الثلثة في السيف وجمعها: فلول. انظر النهاية في غريب الحديث ٣/٩٢٣.

(٣) يعني: قومناه.

(٤) صحيح البخاري برقم ٣٩٧٣. وانظر شرح خلفيات هذا الخبر في فتح الباري ٩/٣٨. وراجع في باب
سيف الزبير أيضا صحيح البخاري برقم ٣٩٧٤.

(٥) وهو ممن بكر في رواية الحديث، روى عن أبيه (ت ١٢٧هـ)، والزهري (ت ١٢٤هـ).

(٦) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٢/٢٦٤، فقد روى قطعة من هذا الخبر في كتابه. وراجع روايات هذا
الخبر ونحوه من أوجه عن الزهري مرسلًا: أنساب الأشراف ٢/٢٦٢-٢٦٣، ٢٧٣-٢٧٤.

(٧) ويبدو أن عبث الرواة بهذه النسخة وعدم تدقيقهم في إخراجها كان قديما، مما أضرب بعض تلك النسخ
والروايات لهذه المغازي عن إبراهيم بن سعد، يقول فيه يعقوب بن شيبة: «أحمد بن أيوب البغدادي، أحد رواة
هذه المغازي عن إبراهيم بن سعد، يقول فيه يعقوب بن شيبة: «أحمد بن أيوب ليس من أصحاب الحديث
ولا يعرفه أحد بالطلب، وإنما كان وراقا، فذكر أنه نسخ كتاب المغازي الذي رواه إبراهيم بن سعد عن ابن
إسحاق لبعض البرامكة، وأنه أمره أن يأتي إبراهيم بن سعد فيصححها، فزعم أن إبراهيم بن سعد قرأها
عليه، وصححها. وقد ذكر أيضا أنه سمع مع الفضل بن يحيى بن خالد من إبراهيم بن سعد، وأنه هو الذي
كان يلي تصحيحها.. وسئل عنه يحيى بن معين فظعن في صدقه، وذكر أن إبراهيم بن سعد لم يقرأ هذا
الكتاب على الفضل بن يحيى وأنه قد كان نسخ له، فلم يسمعه ولم يقرأه إبراهيم بن سعد إلا على ولد نفسه،
وكان يحيى يحكى هذا الكلام عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد». انظر تاريخ مدينة السلام ٦/٦٣.

عن نسخة سقيمة وجدها في المدينة في آخر عمره على هذا النحو الباطل^(١). ويرجح ذلك عندي أن موسى بن عقبة صنف مغازيه في آخر عمره^(٢)، في حين تعتبر نسخة مغازي ابن إسحاق رواية إبراهيم بن سعد عنه من أقدم النسخ المدنية للمغازي لكون إبراهيم أقدم من روى المغازي عن ابن إسحاق^(٣)، رواها إبراهيم عن ابن إسحاق قديماً قبل أن يرحل ابن إسحاق عن المدينة.

ويؤكد كل هذه الترجيحات أن المحب الطبري نقل النص نفسه عن مغازي موسى بن عقبة^(٤)، عن الزهري مرسلاً، وليس عن سعد بن إبراهيم عن أبيه. فهل يكون موسى بن عقبة تدارك أمر نسخته السقيمة من مغازي ابن إسحاق رواية إبراهيم بن سعد عنه^(٥)، فصحح موسى مغازيه في إصدار أخير هو ذلك الذي اطلع عليه المحب الطبري، فنقله الأخير منه على الصحة من تلك النسخة؟

هذا وقد سبق وجوب نبذ فكرة الإكراه هذه عند تفسير مواقف الصحابة من بيعة الصديق^(٦)، فهي فكرة باطلة، ليست مقبولة بحال، وأن كل رواية في هذا الباب مردودة لا ريب. الأمر الذي دفع بعض المعاصرين إلى أن «يؤكد الحكم بوضع هذه الرويات» التي تنص على ذلك أو تشير إليه^(٧).

ومما يستند إليه أصحاب هذا التفسير أيضاً ما أخرجه ابن أبي شيبه^(٨)، وابن أبي عاصم^(٩)، والقطيعي^(١٠)، والخطيب^(١١)، وابن عبد البر^(١٢): كلهم من طريق محمد بن بشر، عن عبيد الله بن

(١) اللهم إلا أن يكون موسى بن عقبة هو الذي وهم أو أخطأ النقل. وهو احتمال وارد.

(٢) انظر: تهذيب الكمال ٢٩/ ١١٩.

(٣) قال ابن سعد: «كان محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها.. خرج من المدينة قديماً، فلم يرو عنه أحد منهم غير إبراهيم بن سعد». انظر الطبقات ٧/ ٥٥٢. وراجع في ذلك أيضاً: رواة محمد ابن إسحاق في المغازي، لمطاع الطرايشي ص ٦٦ فما بعدها.

(٤) الرياض النضرة ١/ ١٦٣، ١٦٤.

(٥) أو تدارك أنه أخطأ - إن كان وهم فيه -.

(٦) فقد كان زمانه ﷺ زمان فضل لا زمان فتنة، بعكس ما كان عند بيعة علي بن أبي طالب، فقد ثبت وقوع الإكراه على بعضهم - كما سيأتي في موضعه - إذ كان زمانه زمان فتنة.

(٧) د. حمدي شاهين، استخلاف أبي بكر الصديق بين روايات الحديث والتاريخ دراسة مقارنة، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ١٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٦٢.

(٨) المصنف برقم ٣٨٢٠٠.

(٩) الآحاد والمثاني برقم ٢٩٥٢، والمذكر والتذكير برقم ١٩.

(١٠) في زياداته على كتاب فضائل الصحابة لأحمد برقم ٥٣٢.

(١١) تاريخ مدينة السلام ٦/ ٧٥.

(١٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ٩٧٥.

عمر، عن زيد بن أسلم عن أبيه^(١):

«كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله ﷺ، والله ما من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله، ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء نفر عندك، أن أمر بهم أن يحرق عليهم البيت. قال: فلما خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمون أن عمر قد جاءني، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله، ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم، ولا ترجعوا إلي، فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها، حتى بايعوا لأبي بكر».

قلت: وهذا خبر لا يصح إسنادا ولا متناً^(٢). أما إسنادا: فقد ذكر ابن رجب الحنبلي فيمن ضَعَّف حديثه في بعض الأماكن دون بعض^(٣)، عن يعقوب بن شيبه: «أن سماع أهل الكوفة من عبيد الله فيه شيء»^(٤). قلت: ومحمد بن بشر الراوي عن عبيد الله هنا، هو ابن الفرافصة العبدي الكوفي^(٥)، وقد أخرج البخاري ومسلم حديثه عن عبيد الله بن عمر العمري، في المتابعات والشواهد، ولم أرهما احتجا بهذا الإسناد مفردا في باب من الأبواب.

هذا، وقد أخرجه الحاكم^(٦) مختصرا من طريق أحمد بن يوسف الهمداني، ثنا عبد المؤمن بن علي الزعفراني، ثنا عبد السلام بن حرب، عن عبيد الله بن عمر، به. وصححه الحاكم على شرط الشيخين! فتعقبه الذهبي في تلخيصه قائلا: «قلت: غريب عجيب!». والقول هنا قول الذهبي، فالخبر بالفعل غريب من هذا الطريق، لأنه محفوظ من طريق محمد بن بشر السابق.

قلت: والرأي عندي أن خبر الحاكم إما مسروق، أو وهم في إسناده بعض رواته، فألحق بعبد السلام بن حرب. وأرى أن هذا الوهم - أو تلك السرقة - متأخرة الزمان، ذلك أن كل من سبق الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) لم يعرف هذا الطريق ولم يروه أحد قبله ولا بعده!!

أما متنه فيكفيه نكارة مخالفته لما عليه صحيح الباب، أن عليا لم يبايع ستة أشهر حتى ماتت زوجته فاطمة رضي الله عنها.

(١) المتن لابن أبي شيبه.

(٢) والعجب كل العجب من تصحيح المعاصرين من أهل السنة له - ومنهم بعض محققي مصادر التخريج السالفة، والصلابي في كتابيه عن علي بن أبي طالب والحسن بن علي - مما فتح للشيعنة بابا دخلوا علينا منه بالطعن على الفاروق عمر، فجالوا وصالوا!

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب ٧٧٢ / ٢.

(٤) تهذيب الكمال ٥٢٠ / ٢٤.

(٥) المستدرک ١٥٥ / ٣.

قلت: وفي باب هذا الخبر أيضا ما أخرجه البلاذري^(١) قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون:

«أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر، ومعه قيس فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب، أتراك محرّقا عليّ باي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي، فبايع وقال: كنتُ عزمْتُ أن لا أخرج من منزلي حتى أجمع القرآن».

ولا يصح أيضا، إسناده منقطع بين ابن عون وأبي بكر رضي الله عنه.

والثالث: تأخر البيعة بعد الإعراض عنها ستة أشهر - وهو الصحيح الراجح عندي - ومستند هذا التفسير ما أخرجه عبد الرزاق^(٢)، والبخاري^(٣)، ومسلم^(٤)، وغيرهم من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة:

«أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال». وإنى والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت، دفنها زوجها على ليلا، ولم يؤذن بها أبو بكر وصلى عليها، وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن اتنا، ولا يأتنا أحد معك. كراهية لمحض عمر. فقال عمر لا والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر وما عسيتم أن يفعلوا بي، والله لا آتينهم. فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد علي، فقال: إنا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله ولم نفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقربتنا من رسول الله ﷺ نصيبا^(٥). حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسى بيده لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتى، وأما

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٢٦٨.

(٢) المصنف ٥/ ٤٧٢.

(٣) صحيحه بأرقام ٣٧١٢، ٤٢٤٠، ٤٢٤١.

(٤) صحيحه برقم ١٧٥٩.

(٥) كذا في متن البخاري، ووقع في جمهرة المتون الاخرى: «حقا».

الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال على لأبى بكر موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر، فتشهد وذكر شأن على، وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذى اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد على فعظم حق أبى بكر، وحدث أنه لم يحمل على الذى صنع نفاسة على أبى بكر، ولا إنكارا للذى فضله الله به، ولكننا نرى لنا فى هذا الأمر نصيبا، فاستبد علينا، فوجدنا فى أنفسنا، فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت. وكان المسلمون إلى على قريبا، حين راجع الأمر المعروف».

زاد متن عبد الرزاق^(١) - ومن طريقه مسلم^(٢) - فى طريقه عن معمر عن الزهري، قال: «قال معمر فقال رجل للزهري: فلم يبايعه على ستة أشهر؟ قال لا، ولا أحد من بني هاشم حتى يبايعه على».

فهذا متن صحيح بإسناد صحيح، يؤكد تأخر بيعة عليّ ﷺ بعد الإعراض عنها ستة أشهر. بل تتفضل علينا هذه الرواية أيضا بتفسير هذا التأخر ودافعه عند على رضى الله عنه.

والعجب من البيهقي حين ذهب يرد هذه الرواية ردا عجيبا بقوله: «والذى روي أن عليا لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة، إنما هو من قول الزهري، فأدرجه بعض الرواة فى الحديث فى قصة فاطمة رضى الله عنها وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلا وجعله من قول الزهري منقطعاً من الحديث»^(٣).

قلت: وهذا كلام مردود. فكل ما فى الأمر أن هذا الخبر روي عن الزهري بأكثر من طريق مطولا ومختصرا - وكذلك وقع الأمر مع من رواه عن الزهري -.

فقد رواه عن الزهري بنحوه مطولا ومختصرا كل من: معمر بن راشد^(٤)، وعقيل بن خالد الأيلي^(٥)، وشعيب بن أبي حمزة^(٦)، وصالح بن كيسان^(٧)، كلهم بإثبات ما كان بين على وأبى بكر

(١) ومن طريقه مسلم فى صحيحه (مختصرا من غير قول الزهري هذا) برقم ١٧٥٩ (٥٣).

(٢) برقم ١٧٥٩ (٥٣)، إلا أنه روى المتن مختصرا فلم يورد لذلك قول الزهري هذا، ولكن انظر: الجمع بين الصحيحين برقم ٦ (١٤/١)، وجامع الأصول (٤/١٠٤)، وفتح الباري ٩/٣٤٤.

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص ١٨٠.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ٥/٤٧٢، وصحيح البخاري بأرقام ٤٠٣٥، ٤٠٣٦، ٦٧٢٥، ٦٧٢٦، وصحيح مسلم برقم ١٧٥٩ (٥٣)، وتاريخ الطبري ٣/٢٠٧-٢٠٨.

(٥) مسند أحمد ١/٩، وصحيح البخاري برقمي ٤٢٤٠، ٤٢٤١، وصحيح مسلم برقم ١٧٥٩، وصحيح ابن حبان برقم ٦٦٠٧.

(٦) صحيح البخاري برقمي ٣٧١١، ٣٧١٢، وصحيح ابن حبان برقم ٤٨٢٣، والطبراني فى مسند الشاميين برقم ٣٠٩٧.

(٧) صحيح البخاري برقمي ٣٠٩٢، ٣٠٩٣، ومسند أبى يعلى برقم ٤٣.

على نحو ما سبق في الرواية المطولة السابقة. وأقل هذه المرويات شأنًا من حيث اختصار ما دار بين علي وأبي بكر تنص على أن علياً ﷺ لم يؤذن أبا بكر بموت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ بستة أشهر، وأنه - أعني عليا - هو الذي صلى عليها ودفنها ليلا. وأن عليا عاتب أبا بكر في حقه وقرابته من النبي ﷺ. وقد أقر البيهقي نفسه بصحة ذلك الجزء الأخير المختصر - الذي يشير إلى معنى الرواية المطولة في معاتبه علي بن أبي طالب لأبي بكر -^(١) رغم إصراره على إنكار ما روي مطولا في شأن تأخر بيعة علي لأبي بكر^(٢)!

وعن معمر رواه عبد الرزاق، وهشام بن يوسف الصنعاني^(٣). وعن عبد الرزاق رواه إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن رافع، وعبد بن حميد^(٤). .. فلست أدري من يكون صاحب هذا الإدراج الذي يقول به البيهقي وكلهم يتابع بعضهم بعضًا ويشهد بعضهم لبعض على صحة ذلك المعنى العام المذكور في المتن السابق؟! ولو أخذنا نعدد طرق كل رواية لوجدنا تعاضدا يؤكد استحالة أن يجتمع كل هؤلاء الرواة على رواية مدرجة تعددت عن الزهري طرقها وألفاظها طولًا وقصرًا، الأمر الذي ينتهي بنا إلى تأكيد صحة تأخر بيعة علي لأبي بكر.

فالعلة إذن ليست في وقوع الإدراج في رواية وانعدامه من أخرى كما ظن البيهقي، وإنما العلة في وقوع الاختصار من قبل كل رواية حسب ما يريد من تلك الرواية الطويلة. وإلا فإن الزهري رواه مرة مفصلا مطولا، ورؤي عنه أخرى مختصرا^(٥). هذا ما تدل عليه متون تلك الطرق التي سبق الإشارة إليها^(٦).

ولكن أثير بعد ذلك اختلاف آخر بين من يُقرّ من المؤرخين بتأخر بيعة علي بعد الإعراض عنها ستة أشهر في أسباب هذا التأخر على ثلاثة أقوال يفسرون بها هذا (الحق) أو هذا (النصيب) الذي استبد أبو بكر بالرأي فيه:

الأول: رؤية علي أنه أحق بالخلافة. وهو قول الشيعة، ولم أر أحدا من أهل السنة قال به سوى المحب الطبري^(٧)، واستناده في ذلك إلى استدلالات منطقية وعقلية لا نص فيها معتبر.

(١) راجع السنن الكبرى للبيهقي ٢٩/٤، باب من قال الوالي أحق بالصلاة على الميت من الوالي.

(٢) راجع السنن الكبرى للبيهقي ٣٠٠/٦.

(٣) راجع تخريج طريق معمر.

(٤) راجع تخريج طريق معمر.

(٥) بل ظهر لي أنه أحيانا كان يُتصرّف في صيغ بعض متون تلك الطرق، وكان هذا التصرف إما من قبل الزهري، أو من روى عنه.

(٦) طرق معمر، وعقيل، وشعيب. وراجع مظان تلك المتون فيما سبق من التخريجات.

(٧) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص ١٦٤-١٧٠.

والثاني: الشورى في أمر الخلافة. ومستند هذا الرأي عند أصحابه ما رواه موسى بن عقبة^(١)
عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف:

«..قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لأننا أخرجنا عن المشاورة، وإنما
نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين،
وإننا لنعرف شرفه وكبره ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي».

وقد سبق رد هذا الخبر، وأنه لا يصح.

والثالث: ميراث النبي ﷺ. وهو أرجح الأقوال عندي، بدلالة النص السابق لمن يتذوق
ألفاظه، ولكن مع تصحيح الغرض من شأن هذا الميراث. فقد وقع لأكثر المفسرين لهذه الرواية
أن سبب غضب فاطمة ووجد علي، هو رأيي لهما أن لفاطمة حقا في ميراث أبيها! وليس كذلك،
فهما أعلم الناس بصدق حديث «لا نورث..»^(٢). وإنما الصواب أنهما رأيا لأنفسهما - ومعهما
العباس وبنو هاشم - الحق في التصرف في هذه التركة بالعمل فيها عملاً النبي ﷺ فيها قبل موته،
وليس الإرث بمعنى الإرث - فالميراث هنا بمعنى التركة - وهذا اجتهاد منهم أقره عمر بعد
توليه الخلافة بعامين^(٣). وهذا يوضح أن الأمر كان سببه اختلافاً في الاجتهاد بين أبي بكر وعلي
في تركة النبي ﷺ، وليس في الخلافة. وهو اجتهاد ظل علي موصراً عليه حتى أقره عمر عليه في
خلافته - وراجع صيغة المضارع في آخر الخبر السابق: «ولكننا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً» -
وهذا أمر يحتاج إلى مزيد تفصيل ودراسة ليس هذا موضعه. ولكن لزم التنويه.



(١) انظر: أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، انتخاب ابن قاضي شهبة، برقم ١٩، والمغازي لموسى
بن عقبة، جمع محمد باقشيش ص ٣٣٥.

(٢) انظر صحيح البخاري برقم ٣٠٩٤، وهو خبر طويل مهم جداً في هذا الشأن.

(٣) راجع مرة أخرى صحيح البخاري برقم ٣٠٩٤.

المبحث الثاني

موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خالد بن الوليد

وأَسباب الخلاف بينهما رضي الله عنها

لم يصح في ذلك الباب إلا قليل جدا من المرويات. وآفة هذا الباب التي بسببها كثرت الأباطيل الموضوعات هنا إنما كانت من ضعفاء الأخباريين والقصاص، فقد استهواهم هذا الباب فاخترعوا من بواطيل الشعر والأخبار. إذ من الواضح أن أخبار مالك بن نويرة أجبتها مراثي أخيه «مُتَمِّم»، فكان هذا الباب مادة أخبارية يطلبها عرب الجزيرة خاصة دون العجم، حتى صارت ميدانا رغبيا له رواده ومعجبهوه منذ أواخر عصر الخلافة الراشدة^(١).

ومن ثم، فلا غرو أن تعددت تفسيرات المؤرخين من أهل السنة لحال عمر بن الخطاب مع خالد بن الوليد، وما كان بينهما تبعا للرواية التي يعتمد عليه المفسر.

وكان شأن مالك بن نويرة وقتل خالد إياه من أبرز القضايا التي تناولها المفسرون في أمر العلاقة بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما. وهذا أمر اختلط فيه الحق بالباطل. وفي رأبي أنه لم يكن هو السبب الرئيس في وجد عمر عليه وعزله، فقد كفى أبو بكر خالدا حين دفع عنه هذا الأمر بقوله: «تأول فأخطأ».

وأيا كان الأمر، فإن من أهم ما استند إليه أصحاب هذا الرأي^(٢) في شأن سبب وجد عمر على خالد، ما أخرجه الطبري^(٣): من طريق عثمان بن سويد عن سويد بن مثةبة الرياحي قال:

«..ولما قدم خالد البطاح.. فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، من عاصم، وعبيد، وعرين، وجعفر، فاختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة، فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا. فلما اختلفوا فيهم، أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء، وجعلت تزداد بردا، فأمر

(١) وفي ذلك يقول ابن سلام الجمحي: «مالك بن نويرة، وكان قتله خالد بن الوليد بن المغيرة حين وجهه أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل الردة، فمن الحديث ما جاء على وجهه، ومنه ما ذهب معناه علينا للاختلاف فيه، وحديث مالك مما اختلف فيه، فلم نقف منه على ما نريد، وقد سمعت فيه أقاويل شتى، غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر قتله وقام على خالد فيه وأغلظ له، وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله».

انظر: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٠٤.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٩/ ٤٦٢، وحقبة من التاريخ، لعثمان الخميس ص ٢٩٩.

(٣) تاريخه ٣/ ٢٧٧-٢٧٨، وانظر الأغاني للأصفهاني ١٥/ ٣٠٠، ٣٠١.

خالد مناديا، فنادى: أدفئوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه. دَفَّئَهُ: قَتَلَهُ. وفي لغة غيرهم: أَدَفَّاهُ فاقْتلَهُ. فظن القوم – وهي في لغتهم القتل – أنه أراد القتل. فقتلوهم. فقتل ضرار بن الأزور مالكا. وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم. فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه. وقد اختلف القوم فيهم، فقال أبو قتادة: هذا عملك! فزبره خالد، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر فيه، فلم يرض إلا أن يرجع إليه. فرجع إليه حتى قدم معه المدينة، وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهال، وتركها لينقضي طهرها. وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايره. وقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالد رهقا. فإن لم يكن هذا حقا، حق عليه أن تقيده. وأكثر عليه في ذلك. وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وَزَعَتِهِ. فقال: هيه يا عمر، تأول فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. وودي مالكا، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه. ففعل. فأخبره خبره، فعذره، وقبل منه، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك».

لا يصح، هذا خبر منقطع بين سويد وخالد وعثمان بن سويد هذا لم أجد له ترجمة. ولعل من أهم ما فسروا به عزل عمر لخالد، أن عمر أراد إعلام المسلمين أن النصر من عند الله وليس من عند خالد^(١). ومستند هذا الرأي ما أخرجه ابن أبي شيبه^(٢) من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، قال:

«لما أتى أبو عبيدة الشام حصر هو وأصحابه.. قال زيد: قال أبي: فإني لقائم في السوق، إذ أقبل قوم مبيضين، قد هبطوا من الثنية، فيهم حذيفة بن اليمان يبشرون، قال: فخرجت أشتد حتى دخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر بنصر الله والفتح، فقال عمر: الله أكبر، رب قائل لو كان خالد بن الوليد».

قلت: وإسناده صحيح. وهو أصح شيء في هذا الباب، لم يصح فيه غيره، ولكن يُلاحظ أن فرحة عمر كانت في هذا الحدث عارضة، ولم تكن دافعا لعزل خالد كما سيأتي في روايات لم تصح، جعلت هذا الأمر أصلا في بابه، أن عمر إنما عزل خالد لهذا السبب. من ذلك ما أخرجه ابن سعد^(٣)، وخليفة بن خياط^(٤)، وابن أبي عاصم^(٥) من طريقين إلى ابن سيرين قال:

«لأعزلن خالدًا حتى يعلم أن الله إنما ينصر دينه».

(١) انظر: عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره، د. علي الصلابي، ص ٤٢٤، وعصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٧٢.
(٢) المصنف برقم ٣٤٥٣٢.
(٣) الطبقات ٣/ ٢٦٥.
(٤) تاريخه ص ٨١ (ص ١٢٢ ط العمري).
(٥) الآحاد والمثاني برقم ٧٠١.

وأخرج ابن أبي شيبة^(١) نحوه عن وكيع، قال: حدثنا مبارك، عن الحسن البصري.
قلت: وكلاهما مرسل.

وأخرج ابن عساكر^(٢) من طريق السُّدِّيِّ عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال:
«قال عمر: أما والله لئن صَيَّرَ اللهُ هذا الأمرَ إليّ، لأعزلنَّ المشى بن حارثة عن
العراق، وخالد بن الوليد عن الشام، حتى يعلما أنها نصر الله دينه، ليس إياهما
نصر.»

كذا إسناده في الأصل، وأبو السدي الراوي عن أبي صالح، هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن
أبي كريمة، السدي الكبير، اختلف في توثيقه^(٣). أما ولده الراوي عنه، فلعله عبد الله، ذكره المزي
فيمن روى عن أبيه السدي الكبير^(٤)، ولم أقف عليه. أما أبو صالح، فهو باذام، ويقال باذام،
ويغلب على حاله الضعف^(٥). ومن ثم فهذا خبر لا يصح.

وأخرج الطبري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق سيف بن عمر عن عبد الله بن المستورد عن أبيه
عن عدي بن سهيل قال:

«كتب عمر في الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه، ولكن الناس
فُتِنُوا به، فخشيت أن ياكلوا إليه ويتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع،
وأن لا يكونوا بعرض فتنة.»

وفي إسناده ضعف وجهالة. فعبد الله بن المستورد هو أبو ضمرة الأنصاري^(٨)، أما أبوه فلم
أعرفه. وعدي بن سهيل لم أجد له ترجمة، وإن ذُكر أنه ممن شهد فتوح العراق^(٩). ومن ثم فهذا
عندي خبر لا يصح.

(١) المصنف برقم ٣٤٥٣٤.

(٢) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦١.

(٣) تهذيب الكمال ٣ / ١٣٢.

(٤) المصدر نفسه ٣ / ١٣٣.

(٥) المصدر نفسه ٤ / ٧.

(٦) تاريخه ٤ / ٦٨.

(٧) تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٨.

(٨) راجع: تاريخ دمشق ٤٤ / ٢٥٥. وقال فيه ابن معين: صالح. (الجرح والتعديل ٥ / ١٧٠). (تنبيه: وقع
هذا الإسناد في أكثر من موضع من المطبوع من تاريخ الطبري (مثلا ٣ / ٥٨٧): عن أبي ضمرة، عن عبد الله
بن المستورد) وهو خطأ نساخ، والتصويب من تاريخ دمشق ١٦ / ٢٦٨، وكنز العمال ٥ / ٦٨١).

(٩) وراجع أيضا: المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري ١ / ٣٧٣.

ثم أخرج الطبري^(١)، وابن عساكر^(٢) عقب هذا الخبر من طريق سيف أيضا عن مبشر عن سالم قال:

«ولما قدم خالد على عمر قال متمثلا:

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقبام فالله أصنع
فأغرمه شيئا ثم عوضه منه وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم
وليبرهم».

قلت: وهذا خبر لا يصح، فهو فضلا عن انقطاع إسناده بين سالم وخالد، فإن فيه مبشر بن فضيل قال فيه العقيلي: «مجهول بالنقل»^(٣).

ولكن أهم ما فسّر به أمر ما كان بين عمر وخالد: التصرف الحر من قبل خالد بن الوليد في المال في عمله حسب رؤيته وتقديره هو دون الرجوع للخليفة، فأثار ذلك حفيظة عمر في عهد أبي بكر فلما ولي الخلافة كان ذلك من أهم أسباب عزله لخالد^(٤).

قلت: وهذا عندي هو أرجح الآراء في تفسير موقف عمر من خالد، دل على ذلك نصوص صحت في هذا الشأن، منها ما أخرجه أحمد^(٥)، والنسائي^(٦)، وغيرهما من طريق علي بن رباح، عن ناشرة بن سُمي اليزني قال:

«سمعت عمر بن الخطاب يقول يوم الجابية، فذكر الحديث، وقال فيه: إني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعت وأمرتُ أبا عبيدة بن الجراح. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزلت عاملا استعمله رسول الله ﷺ، وغمدت سيفاً سلّه رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم. فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك».

(١) تاريخه ٦٨/٤.

(٢) تاريخ دمشق ٢٦٨/١٦.

(٣) الضعفاء ١٠٢/٦.

(٤) انظر: عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري ص ١٢٥.

(٥) المسند ٤٧٦/٣، والمتن له.

(٦) السنن الكبرى برقم ٨٢٢٥.

المطلب الثالث

استخلاف عثمان وفتنة مقتله ﷺ

وسوف أتناول في هذا المبحث قضية استخلاف عثمان وفتنة مقتله رضي الله عنه، عبر مطلبين، الأول سأناقش فيه مرويات استخلاف عثمان رضي الله عنه التي تكلمت عن الكيفية التي اختار الصحابة - وعلى رأسهم الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بها عثمان رضي الله عنه.

في حين سوف يعقب ذلك المطلب الثاني، وسوف أتناول فيه فتنة مقتل عثمان ﷺ عبر ثلاثة فروع، الأول: سأناقش فيه مدى صحة خبر قميص عثمان الذي روي عن النبي ﷺ أنه قال: «يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا، فإن أراذك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه». أما الفرع الثاني، فسيكون الكلام فيه عن عبد الله بن سبأ ودوره في الفتنة، ثم أخيرا الفرع الثالث، وفيه الكلام على خبر محمد بن عيسى بن سميع الطويل في شأن هذه الفتنة.

المطلب الأول

استخلاف عثمان ﷺ

ومن أهم مرويات هذا الباب رواية المسور بن مخرمة التي رواها البخاري^(١)، واللالكائي^(٢)، والبيهقي^(٣)، وابن عساكر^(٤)، من طريق جويرية عن مالك عن الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره^(٥):

«أن الرهط الذين ولّاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم. فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فقال الناس على عبد الرحمن،

(١) صحيحه برقم ٧٢٠٧، والتاريخ الأوسط (برقم ١٦٢)، وزاد في الأخير: «فلما أصبح صلى صهيب بالناس، ثم جلس عبد الرحمن وقد أحضر هؤلاء نفر فحمد الله...».

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٢٥٤٨.

(٣) السنن الكبرى ١٤٧/٨.

(٤) تاريخ دمشق ١٩٢/٣٩.

(٥) المتن متن البخاري.

حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطاء عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي. حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها، فبايعنا عثمان قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائما، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا. فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني فقال: ادع لي عليا. فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل^(١)، ثم قام عليٌّ من عنده، وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليٍّ شيئا، ثم قال: ادع لي عثمان. فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل علي نفسك سبيلا. فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده. فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون».

ورواه ابن عساكر^(٢)، ورشيد الدين ابن مسلمة^(٣) بنحوه من طريق يزيد بن عبد ربه، عن محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة. ورواه البخاري^(٤) - ومن طريقه ابن عساكر^(٥) - عن عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال:

«جاءني عبد الرحمن بن عوف بعد هجيع من الليل، قال: ما ذقت عينا كثيرا نوم من هذه الثلاث ليال. قال: فقال لي: ادع لي فلانا - يعني عثمان - وعليا وسعدا والزبير. فدعوتهم، فجعل يخلو بواحد واحد، فيأخذ عليه، فلما أصبح صلى صهيب بالناس، ثم جلس عبد الرحمن وقد أحضر هؤلاء نفر فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: إني رأيت الناس يابون إلا عثمان».

ورواه عبد الرزاق^(٦)، عن معمر قال: قال الزهري فأخبرني حميد بن عبد الرحمن عن المسور

ابن مخرمة قال:

(١) ابهار: ذهب عامته وأكثره. انظر تاج العروس ١٠/٢٦٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٩/١٩٢.

(٣) المشيخة البغدادية ١/٥٧-٥٨.

(٤) التاريخ الأوسط برقم ١٦٢.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩/١٩٢.

(٦) المصنف ٥/٤٧٧.

«أتاني عبد الرحمن بن عوف ليلة الثالثة من أيام الشورى بعد ما ذهب من الليل ماشاء الله فوجدني نائماً فقال: أيقظوه. فأيقظوني فقال: ألا أراك نائماً؟! والله ما اكتحلت بكثير نوم منذ هذه الثلاث، اذهب فادع لي فلانا وفلانا - ناسا من أهل السابقة من الأنصار - فدعوتهم، فخلا بهم في المسجد طويلاً، ثم قاموا، ثم قال: اذهب فادع لي الزبير وطلحة وسعدا. فدعوتهم، فناجاهم طويلاً ثم قاموا من عنده ثم قال: ادع لي عليا. فدعوته فناجاه طويلاً، ثم قام من عنده. ثم قال: ادع لي عثمان. فدعوته فجعل يناجيه، فما فرق بينهما إلا أذان الصبح، ثم صلى صهيب بالناس فلما فرغ اجتمع الناس إلى عبد الرحمن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا علي على نفسك سبيلاً. ثم قال: عليك يا عثمان عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله ﷺ أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبما عمل به الخليفتان من بعده. قال: نعم فمسح على يده فبايعه، ثم بايعه الناس، ثم بايعه علي، ثم خرج فلقيه ابن عباس فقال: خدعت. فقال علي: أو خديعة هي؟ قال: فعمل بعمل صاحبيه ستا لا يخرم شيئاً إلى ست سنين، ثم إن الشيخ رق وضعف فغلب على أمره».

ومن يتأمل طرق هذه الرواية ومتونها يرى - رغم صحة أسانيدها - عجباً، فإنه على الرغم من أن مدار هذه الرواية على الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة، إلا أننا نجد بينها اختلافات متباينة أحياناً، من أهمها - سوى ما رأيناه بين متن عبد الرزاق، و متن البخاري مثلاً - حذف بعض هذه المتون لعبارة: «ثم قام علي من عنده، وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً».

بل أعجب من ذلك وجود اختلافات بين متني الطريقتين الواحد. مثال ذلك متن البيهقي واللالكائي، فقد رواهما كل منهما عن علي بن أحمد بن عبدان، عن أحمد بن عبيد الصفار، عن إسماعيل بن إسحاق، عن عبد الله بن محمد بن أسماء، عن جويرية عن مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة.

أما متن البيهقي فهو أقرب المتنين صحة و اتفاقاً مع متون الباب في حين اختلف معه متن اللالكائي اختلافاً كبيراً في بعض مواضعه إذ جاء فيه: «فادع الزبير. فدعوته، فناجاه حتى إبهار الليل، ثم قام من عنده على طمع، وكان عبد الرحمن يخفي^(١) من علي شيئاً!!^(٢)».

(١) كذا في المطبوعة، ولعلها تصحيف ناسخ أو طابع، وروايات الباب: يخشى.

(٢) ومما يتصل بما روي عن المسور ما أخرجه ابن سعد (الطبقات ٣/ ١٢٤، ٦/ ٥٢٣) من طريقين إلى عبد الله ابن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، عن أبيها قال:

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الأثر الذي يتركه الراوية في رواية خبرا بعينه - عمدا أو بغير عمد - وأن تحري المفسر لذلك عند التحليل والنظر واجب حتى يخرج بالتفسير الصائب، وإلا أخطأ التفسير والاستنباط.

ومن نماذج هذا الباب أيضا رواية معدان بن أبي طلحة: وقد رواها الحميدي^(١)، وأبو داود الطيالسي^(٢)، وابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وأحمد^(٥)، ومسلم^(٦)، وغيرهم من طريق قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة:

«أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله ﷺ، وذكر أبا بكر قال: إني رأيت كأن ديكا نقرني ثلاث نقرات، وإني لا أراه إلا حضور أجلي، وإن أقواما يأمروني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه، ولا خلافته، ولا الذي بعث به نبيه ﷺ، فإن عجل بي أمر، فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وإني قد علمت أن أقواما يطعنون في هذا الأمر، أنا ضربتهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضلال».

وقد أعله الدارقطني بقوله: «وقد خالف قتادة في إسناده ثلاثة روه، عن سالم بن أبي الجعد، عن عمر، مرسلاً، لم يذكروا فيه معدان.. وقتادة وإن كان ثقة وزيادة الثقة مقبولة عندنا فإنه يدلس ولم يذكر فيه سماعه من سالم فاشتبه أن يكون بلغه فرواه عنه»^(٧). قلت: وقد أعله مسلم

لما ولي عبد الرحمن بن عوف الشورى كان أحب الناس إلي أن يليه، فإن تركه فسعد بن أبي وقاص، فلحقني عمرو بن العاص فقال: ما ظن خالك بالله أن ولي هذا الأمر أحدا، وهو يعلم أنه خير منه. قال: فقال لي ما أحب، فأتيت عبد الرحمن فذكرت ذلك له، فقال: من قال ذلك لك؟ فقلت: لا أخبرك، فقال: لئن لم تخبرني لا أكلمك أبدا، فقلت: عمرو بن العاص، فقال عبد الرحمن: فوالله لأن تؤخذ مديّة فتوضع في حلقي، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر أحب إلي من ذلك».

(١) مسنده برقم ٢٩.

(٢) مسنده برقم ٥٣.

(٣) الطبقات الكبير ٣/٣١١.

(٤) المصنف برقم ٣٨٢١٧.

(٥) المسند ١/١٥، ٢٧، ٤٨.

(٦) صحيح مسلم برقم ٥٦٧، والمتن له.

(٧) التتبع برقم ٢٠٩، وانظر العلل له أيضا ٢/٢١٧.

نفسه - في صحيحه من قبل الدارقطني - بإشاراته الخفية على نهج المتقدمين في آخر باب هذه الرواية^(١). وذلك الحق إن شاء الله، فالخبر ليس عندي بحجة، فضلا عن مخالفته ما عليه الباب، أن عمر إنما أوصى عند موته، من غير ذم لأحد.

ومن نماذج هذا الباب أيضا ما ما أخرجه الطبري^(٢) عن سلم بن جنادة أبي السائب قال: حدثنا سليمان بن عبدالعزيز بن أبي ثابت بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف قال: حدثنا أبي، عن عبدالله بن جعفر، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة: قال عبدالرحمن لعلي وعثمان:

«..إني قد سألت عنكما وعن غيركما، فلم أجد الناس يعدلون بكما، هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. فالتفت إلى عثمان فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. فأشار بيده إلى كتفيه وقال: إذا شئتما. فنهضنا حتى دخلنا المسجد، وصاح صائح: الصلاة جامعة. قال عثمان: فتأخرت والله حياء لما رأيت من إسرعه إلى علي، فكنت في آخر المسجد. قال: وخرج عبدالرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله ﷺ متقلدا سيفه حتى ركب المنبر، فوقف وقوفا طويلا، ثم دعا بما لم يسمعه الناس، ثم تكلم فقال: أيها الناس إني قد سألتكم سرا وجهرا عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين، إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي. فقام إليه عليٌّ فوقف تحت المنبر، فأخذ عبدالرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. قال: فأرسل يده ثم نادى: قم إلي يا عثمان. فأخذ بيده وهو في موقف علي الذي كان فيه، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان. قال: وازدحم الناس يبائعون عثمان حتى غشوه عند المنبر فقعد عبدالرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبائعونه وتلكأ علي، فقال عبدالرحمن: فمن نكث فإنها ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتاه أجرا عظيما. فرجع علي يشق الناس حتى بايع وهو يقول: خدعة وأيما خدعة..».

(١) والكلام في ذلك يطول: أن مسلماً إنما كان يخرج المعل أحيانا آخر الباب لتبيين حال الصحيح في أوله وما اختلف عليه فيه. وهذا أمر أشار إلى طرف منه في مقدمته لصحيحه. ومن أهم الدراسات في هذا الباب: عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح، لحمزة المليباري. ومقدمة مصنف ابن أبي شيبة، لمحمد عوامة.

(٢) تاريخه ٤ / ٢٣٤. وهي كذلك رواية طويلة اقتضت منها على موضع الشاهد.

لا يصح بمرّة، سليمان بن عبد العزيز لم أجد له ترجمة. وعبد العزيز بن أبي ثابت، هو عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، متروك الحديث. قال فيه البخاري: منكر الحديث، لا يُكتب حديثه^(١).

ومن بلايا هذا الخبر، قوله:

«.. فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي. قال: فأرسل يده ثم نادى: قم إليّ يا عثمان. فأخذ بيده وهو في موقف علي الذي كان فيه، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم.. إلخ».

فهذا كلامٌ - في رأيي - أراد به راويه شينَ عثمان رضي الله عنه أنه خالف عهده في اتباع سنة أبي بكر وعمر بعدما أُلزم بذلك فاستحقّ الذم.

ومن بابِه ما أخرجه عبد الله بن أحمد^(٢) من طريق سفيان بن وكيع، حدثني قبيصة، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي وائل، قال:

«قلت لعبد الرحمن بن عوف: كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا؟ قال: ما ذنبي؟ قد بدأت بعلي، فقلت: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر. قال: فقال: فيما استطعت. قال: ثم عرضتها على عثمان، فقبلها».

وهذا خبر لا يصح، إسنادا ولا متنا، أما إسناده ففيه سفيان بن وكيع، اتهم بالكذب. وكانت آفته من وراق له كان يُدخل في كتبه ما ليس من حديثه^(٣).

وأما متنه، فإني أتساءل: هل ضمن عبدُ الرحمن بن عوف تلك الإجابة أن يغامر بسؤال كهذا؟ ذلك أنه كان من الممكن أن يخالف عليّ قوله، أو عثمانُ قوله، فتكون تلك مغامرة من عبد الرحمن لا تحمد عقباها. وليس هذا من كيس عبد الرحمن ولا من فطنته أن يفعل ذلك.

وإن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ أمرُ ابن حجر أن يُحَسِّنَه^(٤)، ثم يعضده بشاهد لا يصح أيضا أخرجه ابن عساكر^(٥) من طريق محمد بن يحيى الذهلي أنا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن

(١) الضعفاء للبخاري ص ٨٨، وتهذيب الكمال ١٨ / ١٧٨.

(٢) زوائده على المسند ١ / ٧٥، واختاره السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٣٩.

(٣) الجرح والتعديل ٤ / ٢٣١.

(٤) موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر، لابن حجر، تحقيق حمدي السلفي ٢ / ٤٣٤.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩ / ١٩٥.

زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف الزهري ثنا عمران بن عبدالعزيز عن عمر بن سعيد بن سريج ومحمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة عن المسور بن مخرمة قال:

«..وكان عبدالرحمن رجلا لا يتكلف للكلام ولا الخطب قال: فما رأيته خطب مثل تلك الليلة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في قوله: إني قد فليت الناس عنكما فأشيرا عليّ وأعيناني على أنفسكما. هل أنت يا علي مباعي إن وليتك هذا الأمر على سنة الله وسنة رسوله بعهد الله وميثاقه وسنة الماضين قبل؟ قال: لا، ولكنني على طاقتي. قال: فصمت شيئا، ثم تكلم كلاما دون كلامه الأول. قال: ثم قال عثمان: أنا يا أبا محمد أباعك إن وليتني هذا الأمر على سنة الله وسنة رسوله وميثاقه وسنة الماضين قبل. قالها عثمان في الثلاث. قال: ثم كانت الثالثة..».

وذكر ابن حجر عقبه: عمران بن عبد العزيز المدني فيه لين. قلت: بل هو منكر الحديث^(١). قال ابن حبان: «عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري.. منكر الحديث جدا، ينفرد بالأشياء التي لا يتابع عليها، وجب التنكب عن أخباره وترك الاحتجاج بآثاره»^(٢).

ثم وجدت ابن تيمية بعد ذلك يقول مضعفا هذه العبارة: «وأما ما ذكره بعض الناس من أنه اشترط على عليّ سيرة الشيخين فلم يُجب، إما لعجزه عن مثل سيرتهما، وإما لأن التقليد غير واجب أو غير جائز، وأنه اشترط على عثمان سيرة الشيخين فأجابه، لإمكان متابعتها، أو جواز تقليدهما. فهذا النقل باطل ليس له إسناد ثابت، فإنه مخالف للنقل الثابت في الصحيح الذي فيه أن عبد الرحمن بقي ثلاثة أيام لم يغتمض في لياليها بكثير نوم، في كل ذلك يشاور المسلمين، ولم يرههم يعدلون بعثمان غيره، بل رأوه أحق وأشبه بالأمر من غيره، وأن عبد الرحمن لم يشترط على عليّ إلا العدل، فقال لكل منهما: الله عليك إن وليتك لتعدلن، وإن وليت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ فيقول: نعم. فشرط على المتولي العدل، وعلى المتولي عليه السمع والطاعة، وهذا حكم الله ورسوله كما دل عليه الكتاب والسنة»^(٣).

قلت: والصحيح في هذا الباب ما رواه البخاري^(٤)، وغيره من طريق جويرية عن مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة:

(١) الضعفاء للبخاري ص ١٠٤.

(٢) المجروحين ٢/١٢٥.

(٣) منهاج السنة ٦/٣٥١-٣٥٢.

(٤) سبق تخريجه.

«.. فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا. فقال^(١): أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده..».

المطلب الثاني

فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

الفرع الأول

خبر قميص عثمان رضي الله عنه

وهو الخبر الذي برَّرَ به أهل السنة رَفَضَ عثمان رضي الله عنه ترك منصبه حين طلب المعارضون منه ذلك. وهذا الخبر من العضلات، وأهم روايات هذا الشأن:

أولا: رواية النعمان عن عائشة: ولها عدة طرق إليها:

– الطريق الأول: طريق الوليد بن سليمان عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عنها:

أخرجه أحمد^(٢) – ومن طريقه ابن عساكر^(٣) – والطبراني^(٤) من طريق الوليد بن سليمان، قال: حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن عائشة، قالت^(٥):

«أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلام كلمه، أن ضرب منكبه، وقال: يا عثمان، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني، يا عثمان، إن الله عسى أن يلبسك قميصا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني. ثلاثا، فقلت لها:

(١) يعني: عثمان.

(٢) المسند ٦/٨٦، ٨٧، وفضائل الصحابة برقم ٨١٦.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/٢٧٩.

(٤) مسند الشاميين برقم ١٢٣٤.

(٥) تنبيه: روى هذا الطريق أيضا عمر بن شبة (٣/١٠٦٩)، وابن أبي عاصم (السنة برقم ١١٧٩)، وابن

عساكر (١٩/٥٣) من طريق الوليد بن مسلم عن الوليد بن سليمان عن – (كذا عند ابن أبي عاصم وابن

عساكر – معننا وهو الصواب، وعند ابن شبة: حدثنا!) – عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن

عائشة. قلت: وليس في إسنادها ربيعة بن يزيد! والعجيب عدم انتباه محققي مسند أحمد (٤١/١١٤) إلى

هذا!!

يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيت، والله فما ذكرته. قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان، فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتاباً.

وهو أمثل طريق في باب هذا الخبر من حيث إسناده وهو ما رجحه الدارقطني^(١). قلت: على الرغم من تصحيح بعض المعاصرين لهذه الرواية، فإن محقق كتاب شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين^(٢)، أعله بعدم ثبوت سماع عبد الله بن عامر من النعمان. قلت: وقد رأيت أن الحق معه، فهذا الحديث على أهميته أعرض عنه أصحاب الكتب الستة فلم يروه منهم إلا الترمذي ثم ضعفه على اصطلاحه، فقال فيه: حسن غريب^(٣). أما عن عدم ثبوت سماع عبد الله بن عامر من النعمان، فهذا بالفعل أمر لم يذكره المتقدمون، فهم لم يثبتوا لعبد الله بن عامر سماعاً إلا من معاوية بن أبي سفيان، وفضالة بن عبيد الأنصاري^(٤)، حتى أن المزي لم يذكره في المشهورين من الرواة عن النعمان في ترجمة النعمان، فلم يذكره إلا في ترجمة ابن عامر لإخراج الترمذي له هذا الخبر في جامعه.

- الطريق الثاني: طريق معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد: واضطرب فيه معاوية، فرواه من أوجه:

فتارة يرويه عن: ربيعة بن يزيد، بإسناد الوليد السابق نفسه. روى ذلك عنه الليث بن سعد، وغندر، وعبد الله بن وهب. وقد أخرج هذا الوجه الترمذي^(٥)، وابن أبي عاصم^(٦)، والمزي^(٧).

وتارة يرويه عن: ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر أن النعمان بن بشير حدثه.. روى ذلك عنه أسد بن موسى، وعبد الله بن صالح. وقد أخرج هذا الوجه عمر بن شبة^(٨)، والطبراني^(٩)،

(١) انظر العلل للدارقطني ١٤/٨٨.

(٢) شرح مذاهب أهل السنة، لابن شاهين، تحقيق عادل محمد، مؤسسة قرطبة ص ١٤٢ حاشية ١٠٢.

(٣) للدكتور عبد القادر المحمدي دراسة في هذا الشأن بعنوان: الحديث الحسن عند الترمذي دراسة تطبيقية. وقد استفدت منه عن طريق مقال للمؤلف نفسه، وأحال عليه. وفي هذا الباب دراسات حديثة تثبت ذلك الذي يذكره عبد القادر.

(٤) انظر في أوسع الكتب ترجمة لعبد الله بن عامر: تاريخ دمشق ٢٩/٢٨٢، وقد نقل في ترجمته من عدة مصادر قديمة كلها لا تذكر النعمان في شيوخ ابن عامر.

(٥) الجامع الكبير برقم ٣٧٠٥.

(٦) السنة برقم ١١٧٣.

(٧) تهذيب الكمال ١٥/١٤٨.

(٨) أخبار المدينة ٣/١٠٦٧.

(٩) مسند الشاميين برقم ١٩٣٤.

ومن طريقه ابن عساكر^(١). إلا أن البخاري أخرج في تاريخه^(٢) قطعة منه من طريق عبد الله بن صالح - من غير ذكر القميص - على الصواب من إسناده بالعنعنة من غير تصريح بالسماع، تماماً كما في طريق الوليد بن سليمان. مما يؤكد أن الصحيح موافقة هذا الطريق لغيره من الطرق من حيث كونه معنعنا.

وتارة يرويه عن: ربيعة بن يزيد الدمشقي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس، سمع النعمان عن عائشة.. روى ذلك عنه عبد الرحمن بن مهدي. وقد أخرج هذا الوجه أحمد^(٣)، ومن طريقه الخلال^(٤)، وابن عساكر^(٥). وخطأ ابن حبان هذا الوجه^(٦).

وتارة يرويه عن: ربيعة بن يزيد الدمشقي، حدثنا عبد الله بن قيس، سمع النعمان عن عائشة.. روى ذلك عنه زيد بن الحباب. وقد أخرج هذا الوجه ابن أبي شيبة^(٧) - ومن طريقه ابن أبي عاصم^(٨) - وابن حبان^(٩). وقال ابن حبان: إن هذا هو الصواب في هذا الوجه، وأنه عبد الله بن قيس، وليس عبد الله بن أبي قيس، فقال: «هذا عبد الله بن قيس اللخمي مات سنة أربع وعشرين ومئة وليس هذا بعبد الله بن أبي قيس صاحب عائشة»^(١٠). وصحح ابن حبان هذا الطريق بإخراجه إياه في صحيحه، بينما لم يصوبه الدارقطني^(١١).

ومن ثم، فاضطراب معاوية بن صالح في رواية هذا الخبر تعني أنه لم يضبطه مما يشكك في الاحتجاج بروايته تلك إلا ما جاء موافقا للطريق الأول، طريق الوليد بن سليمان^(١٢). قلت: ومعاوية على الرغم من صدقه إلا أنه يهيم، قال فيه ابن أبي حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به^(١٣).

(١) تاريخ دمشق ٣٩ / ٢٧٩.

(٢) الأوسط ٢ / ٨٢٠.

(٣) المسند ٦ / ١٤٩.

(٤) السنة برقم ٤١٨.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩ / ٢٨٠.

(٦) صحيحه ١٥ / ٣٤٧.

(٧) المصنف برقم ٣٢٧٠٨، ٣٨٨١٠.

(٨) السنة برقم ١١٧٢.

(٩) صحيحه برقم ٦٩١٥.

(١٠) صحيحه ١٥ / ٣٤٧.

(١١) انظر العلل للدارقطني ١٤ / ٨٨.

(١٢) راجع العلل للدارقطني ١٤ / ٨٨.

(١٣) راجع: الجرح والتعديل ٨ / ٣٢٨-٣٢٩، تهذيب الكمال ٢٨ / ٨٦.

- الطريق الثالث: رواه ابن أبي عاصم^(١)، والطبراني^(٢) - ومن طريقه ابن عساكر^(٣) - من طريق محمد بن مصفى نا بقية عن صفوان بن عمرو عن يزيد بن أيهم عن النعمان بن بشير قال: حججت فأتيت عائشة أم المؤمنين.. إلخ

قلت: وبقية بن الوليد متهم بتدليس التسوية، وهو شر أنواع التدليس. وأكثر من ذلك ما قاله ابن حبان: «امتحن بقية بتلاميذ له كانوا يسقطون الضعفاء من حديثه ويسوونه»^(٤). قلت: ومحمد بن مصفى كان متهما أيضا بتدليس التسوية. وقال ابن حبان: كان يخطئ^(٥). فضلا عن تشكيك المزي في سماع يزيد من النعمان بقول: «أراه مرسلًا»^(٦).

ثانيا: رواية عروة، عن عائشة:

الطريق الأول: أخرجه أحمد^(٧)، وعمر بن شبة^(٨)، والحاكم^(٩)، وابن عساكر^(١٠) من طريق فرج بن فضالة، عن محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت:

«كنت عند النبي ﷺ فقال: يا عائشة، لو كان عندنا من يحدثنا؟ قالت: قلت: يا رسول الله، ألا أبعث إلى أبي بكر؟ فسكت، ثم قال: لو كان عندنا من يحدثنا، فقلت: ألا أبعث إلى عمر؟ فسكت، قالت: ثم دعا وصيفا بين يديه، فساره، فذهب، قالت: فإذا عثمان يستأذن، فأذن له، فدخل، فواجه النبي ﷺ طويلا، ثم قال: يا عثمان إن الله عز وجل مقمصك قميصا، فإن أردك المنافقون على أن تخلعه، فلا تخلعه لهم، ولا كرامة. يقولها: له مرتين أو ثلاثا».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعلق عليه الذهبي في التلخيص قائلا: أتى له الصحة ومداره على فرج بن فضالة.

-
- (١) السنة برقم ١١٧٨.
 - (٢) مسند الشاميين برقم ١٠٣٠.
 - (٣) تاريخ دمشق ٣٩/٢٧٨.
 - (٤) المجروحين ١/٢٠١.
 - (٥) المجروحين ١/٩٤، والثقات ٩/١٠١.
 - (٦) تهذيب الكمال ٣٢/٩١.
 - (٧) المسند ٦/٧٥، وفضائل الصحابة برقم ٨١٥.
 - (٨) أخبار المدينة ٣/١٠٦٧ (وسقط من إسناد هذا الموضع عروة)، ١٠٦٩ (وسقط من إسناد هذا الموضع الزهري).
 - (٩) المستدرک ٣/٩٩-١٠٠.
 - (١٠) تاريخ دمشق ٣٩/٢٨٢.

ورواه ابن شبة^(١)، والطبراني^(٢) من طريق فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد، عن الزهري، عن القاسم بن محمد، عن النعمان بن بشير، عن عائشة.

ورد أبو زرعة ذلك الطريق كله، فقال: ليس هذا من حديث الزهري، إنما يرويه الفرغ عن ربيعة^(٣).

قلت: وهذا الذي رجحه أبو زرعة رواه ابن ماجه^(٤) من طريق الفرغ بن فضالة عن ربيعة بن يزيد الدمشقي عن النعمان بن بشير عن عائشة..

قلت: وفرج بن فضالة هذا صدوق يغلب عليه الضعف، وقال أحمد: يحدث عن ثقات أحاديث مناكير^(٥).

- الطريق الثاني: أخرجه العقيلي^(٦)، وابن سمعون^(٧)، واللالكائي^(٨) من طريق المنهال

ابن بحر أبي سلمة العقيلي قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة:

أن رسول الله ﷺ، وجد يوماً لما فأرسل إلى عثمان، رضي الله عنه، قالت: فسمعتة يقول له: «يا عثمان إن الله عز وجل، يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه»، فقيل لها: فأين كنت، لم تذكرى هذا؟ قالت نسيت.

قلت: لا يصح، قال العقيلي: «منهال في حديثه نظر لا يتابع عليه، وقد روي بغير هذا الإسناد». وأخرج العقيلي هذا الخبر في ترجمة منهال للدلالة على نكارة هذا الطريق.

ثالثاً: رواية أبي سهلة، عن عائشة:

أخرجه الحميدي^(٩) قال: قال سفيان وحدثوني عن ابن أبي خالد عن قيس عن أبي سهلة فقالت عائشة في هذا الحديث:

فلم أحفظ من قوله إلا أنه قال: وإن سألوك أن تنخلع من قميص قمصك الله عز وجل فلا تفعل.

وواضح من هذه الرواية أن سفيان لم يسمعه من إسماعيل بن أبي خالد.

(١) أخبار المدينة ٣/١٠٦٦-١٠٦٧.

(٢) المعجم الأوسط برقم ٢٨٣٣.

(٣) العلل لابن أبي حاتم برقم ٢٥٩٧.

(٤) السنن برقم ١١٢.

(٥) سؤالات أبي داود لأحمد برقم ٣٠٠.

(٦) الضعفاء ٦/١٠٥.

(٧) أماليه برقم ١٢.

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦/١٥١.

(٩) مسنده برقم ٢٦٨.

رابعاً: رواية عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه:

أخرجها أحمد^(١) - ومن طريقه الخلال^(٢) - من طريق إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال:

قال رسول الله ﷺ لعثمان: إن الله عز وجل كساك يوماً قميصاً وإن أرادك المنافقون أن تخلعه فلا تخلعه.

وهذه رواية مرسله، جبير بن نفير من تابعي أهل الشام، يروي عن النبي ﷺ مرسلًا^(٣).

رابعاً: رواية عبد الله بن عمر، عن حفصة:

أخرجها عمر بن شبة^(٤)، وأبو يعلى^(٥)، وابن عدي^(٦)، من طريق أبي معشر قال، حدثنا إبراهيم بن عمر بن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، عن حفصة رضي الله عنها قالت:

«بينما أنا وعائشة مع رسول الله ﷺ يتحدث معي فقالت عائشة: ألا أرسل إلى عمر. فقال: لا ولكن أرسلني إلى عثمان، فدخل عليه عثمان، فأقامنا من عنده يتحدث معه، ثم قال: يا عثمان إنك مستشهد فاصبر صبرك الله، ولا تخلعن قميصاً قمصك الله. فقال عثمان: أستعين الله وأسأله الصبر، ادع الله لي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: اللهم صبره وأعنه. ثم قام عثمان حتى إذا أدبر صرخ به رسول الله ﷺ فقال له: اصبر صبرك الله فإنك سوف تستشهد وأنت صائم ففطر معي. قال إبراهيم: وحدثني أبي عن عبد الرحمن بن أبي بكر؛ أن عائشة حدثته بمثل ذلك».

لا يصح، فيه إبراهيم بن عمر بن أبان: منكر الحديث^(٧). قلت: ورواية ابن عدي له في الكامل في الضعفاء للدلالة على نكارة هذا الطريق.

خامساً: رواية شفي الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو:

أخرجها ابن أبي عاصم^(٨)، والطبراني^(٩) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف أنه حدثه، عن شفي الأصبحي، عن عبد الله بن عمرو، قال:

(١) فضائل الصحابة برقم ٧٢٨.

(٢) السنة برقم ٤٢٣.

(٣) تهذيب الكمال ٤/ ٥٠٩.

(٤) أخبار المدينة ٣/ ١٠٦٩.

(٥) مسنده برقم ٧٠٤٥.

(٦) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٦٣.

(٧) الضعفاء للبخاري برقم ٤، والجرح والتعديل ٢/ ١١٤، والكامل في الضعفاء ١/ ٢٦٤.

(٨) السنة برقم ١١٧١.

(٩) المعجم الكبير برقم ١٤٢.

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يكون اثنا عشر خليفة »، فذكر أبا بكر وعمر، ثم التفت إلى عثمان، فقال: وأنت سيسألك الناس أن تخلع قميصا كسأكه الله. والذي نفسي بيده لئن خلعتة، لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».

لا يصح، أورده ابن حبان في (المجروحين)^(١) على أنه من مناكير عبد الله بن صالح. وقال فيه: «منكر الحديث جدا. يروى عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات، وعنده المناكير الكثيرة عن أقوام مشاهير أئمة. وكان في نفسه صدوقا يكتب لليث بن سعد الحساب وكان كاتبه على الغلات. إنما وقع المناكير في حديثه من قبل جاره رجل سوء»^(٢). قلت: وربيعه بن سيف، قال فيه البخاري: عنده مناكير^(٣).

سادسا: رواية الشعبي عن زيد بن أرقم:

أخرج الآجري^(٤)، والطبراني^(٥) من طريق عبد الأعلى بن أبي المساور عن الشعبي عن زيد بن أرقم قال:

«أرسلني النبي ﷺ إلى أبي بكر ﷺ فبشرته بالجنة، ثم أرسلني إلى عمر ﷺ فبشرته بالجنة، ثم أرسلني إلى عثمان فبشرته بالجنة على بلوي تصيبه. فأخذ عثمان بيدي فانطلق أو ذهب بي حتى أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما هذه البلوي التي تصيبني؟ فوالله ما تعنيت ولا تمنيت، ولا مسست فرجي يميني منذ أسلمت أو منذ بايعت رسول الله ﷺ، ولا زنت في جاهلية ولا إسلام فقال له: إن الله مقمصك قميصا، فإن أردك المنافقون على خلعه فلا تخلعه».

قلت: لا يصح، عبد الأعلى بن أبي المساور قال فيه ابن معين: كذاب^(٦).

ويبدو أن هذا الخبر اشتهر في الشام قديما جدا، في أيام الفتنة نفسها، أو في عهد معاوية على أكثر تقدير، ثم استهواه الضعفاء ممن له نزعة أموية عثمانية، فكان يسرقه بعضهم من بعض، فكثرت طرقه بينهم واشتهرت من غير طائل وراءها، إذ لا يخلو طريق منها على كثرتها من جهالة، أو ضعف، أو انقطاع.

ومن ثم، فإن الراجح عندي أن أخبار هذا الباب على الرغم من تعددها، لا ريب عندي في وضعها، لأسباب كثيرة:

(١) المجروحين ٢/ ٤٢.

(٢) المجروحين ٢/ ٤٠.

(٣) التاريخ الكبير ٣/ ٢٩٠.

(٤) الشريعة برقم ١٤٢٥.

(٥) المعجم الكبير برقم ٥٠٦١.

(٦) سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، برقم ٤١٧.

إن خبرا كهذا لو صح عند القوم في حينه لكان فصلا في نزع فتيل تلك الفتنة، ولانتفض الصحابة جميعا عن بكرة أبيهم ليدفعوا عن عثمان أهل السوء من أصحاب الفتنة ممن قتلوه. ثم إن الخبر يحمل في ثناياه أدلة رَدّه ونكارتة في أمور، منها قوله: «إن الله عسى أن يلبسك قميصا، فإن أَرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني». فقد كان من المشاركين في هذه الفتنة بتأويل منهم بعض الصحابة كعمار بن ياسر الذي «أجاره الله على لسان نبيه ﷺ، يعنى من الشيطان»^(١).

ثم إن كان في قوله: «إن الله عسى أن يلبسك قميصا.. فلا تخلعه حتى تلقاني»، خصيصة لعثمان فلمَ لم يخبر به مُحاصريه يوم حوصر، أو قاتليه يوم قتل؟

وإن كانت عامة لكل حاكم أو خليفة، فلماذا جرى التحكيم يوم جرى على محاولة عزل علي ابن أبي طالب من غير نكير لكي يكون الأمر شورى في غيره للمؤمنين يرون أولاهم بالخلافة؟ ثم يظهر من الخبر محاولة واضعه إخفاء ما قد يفضح صنيعه، بتبرير غياب الخبر عند الصحابة زمان الفتنة، حتى يدفع التهمة عن الخبر بقوله على لسان النعمان بن بشير: «فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيت، والله فما ذكرته». وغفل هذا الواضع أنه لا يجوز في الشرع تأخير البيان عن وقت الحاجة^(٢). فإن نسيت عائشة رضي الله عنها، فقد وجب على عثمان ﷺ إظهاره من غير أن يستشير أحدا في شأن ذلك، ولدفع عن نفسه نار الفتنة وما أدت إليه من اختلاف في الأمة، خاصة وأنه كان يعلم أن في مقتله اختلافا للأمة من بعده. فكان واجبا عليه أن يظهر طاعته لأمر نبيه ﷺ في هذا الشأن إن كان صحيحا، وما هو بصحيح.

وتعد مرويات قميص عثمان عندي من الأدلة الشاهدة على قدم حركة الوضع – سواء عن قصد أو عن غير قصد – وأثره القوي في تفسير حوادث هذا العصر وما بعده، وتغلغل ذلك حتى كان له أثره الشديد على الفكر الإسلامي في باب السياسة الشرعية. فإنه من الواضح أن هذا الخبر وضع قديما جدا، حتى تناولته ألسنة كثيرة كانت سببا في تعدد طرقه على مدار العصور بعد ذلك.

(١) صحيح البخاري برقمي ٣٧٤٣، ٦٢٧٨.

(٢) راجع في هذا الباب أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، د. عياض بن نامي السلمي، دار التدمرية، الرياض، ص ٤١٠. وانظر كذلك: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني ٢/ ٥٠٥.

ومن ثم، فالنتيجة النهائية لهذا الخبر أنه لا يصح مرفوعاً إلى النبي ﷺ. في حين صح عن ابن عمر موقوفاً. رواه ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبة^(٢)، وخليفة بن خياط^(٣)، وأحمد^(٤)، وعمر بن شبة^(٥)، والبلاذري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق يعلى بن حكيم، عن نافع قال: حدثني عبد الله ابن عمر قال:

«قال لي عثمان وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأحنس، قال: قلت: ما أشار به عليك؟ قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني، وإن لم أخلع قتلوني، قال: قلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلداً في الدنيا، قال: لا. قال: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا. قال: فقلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ قال: لا. قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصاً قمصكه الله».

فهذا إسناد صحيح موقوف على ابن عمر. ولعله كان النواة التي أوحى بفكرة الخبر المرفوع السابق بطرقه واختلاف ألفاظه حسب رواته. ومن يتأمل هذه الرواية الموقوفة الصحيحة وما فيه من استشارة عثمان لابن عمر يجد فيه ما ينقد الرواية المرفوعة، فإن عثمان ﷺ لو كان عنده من النبي ﷺ علم في ذلك، لَمَا احتاج إلى مشورة ابن عمر الذي أفتاه برأيه.

الفرع الثاني

عبد الله بن سبأ ودوره في الفتنة

والحق أنه لم يصح لعبد الله بن سبأ في الفتنة وشأنها خبر، وإن اتفقت كتب الفرق على كونه رأس فرقة ضالة تقول بالرفض، وتؤمن بالرجعة^(٨)، بثَّت فكرها بين جهلة المسلمين ومنافقيهم من رؤوس الفتن ونحوهم.

(١) الطبقات الكبير ٦٢ / ٣.

(٢) المصنف برقم ٣٨٨١١.

(٣) تاريخه ص ١٢٦.

(٤) فضائل الصحابة برقم ٧٦٧، وفضائل عثمان برقم ٥٧.

(٥) أخبار المدينة ٤ / ١٢٢٣.

(٦) أنساب الأشراف ٥ / ٥٦٧.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩ / ٣٥٧.

(٨) وسيأتي عند الحديث عن الرافضة في فصل أثر الوضع في الرواية التاريخية عند الشيعة نُقول صَحَّت، تزيد من إيضاح هذا الأمر. منها ما أخرجه ابن أبي خيثمة من طريق زيد بن وهب، قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: «مالي ولهذا الحميت الأسود. يعني عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر» (تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٥٨). وكذلك ما أخرجه ابن أبي خيثمة أيضاً من طريق عمار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجية أتى به مُلبَّبه - يعني: ابن السوداء - وعليُّ على المنبر، فقال عليُّ: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله ﷺ (تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٦٠).

وفي رأبي أن مَثَل دوره في الفتنة كمثل غيره من أهل الزيغ والكذب والنفاق - كُرْشِيد الهَجْرِي^(١)، وأتباع مُسيلمَة، وأمثالهم من أذئاب المرتدين، ومنافقي أهل الكتاب ومواليهم - الذين لم يفتروا يوماً عن تقويض دعائم الدولة الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ إلى وقتنا هذا. فكل منهم له نصيبه الذي لا يمكن إنكاره من هذه الفتنة من غير تعيين ولا تهويل لِدَوْرٍ واحد منهم على الآخر، فكلهم فيها سواء. يتقلد كل منهم دوره في بث الفرقة والنزاع والشقاق، يتعاونون من غير ترتيب بينهم على الإثم والعدوان.

ويرجع سبب هذا التهويل من قدر ابن سبأ ودوره في الفتنة إلى أخباري قديم يدعى سيف ابن عمر التميمي (ت ١٨٠ هـ)، وهو رجل اتهم أهل الحديث مروياته. ومن أهم علل مرويات هذا الرجل صدورها - في غالب أحوالها - عن المجاهيل والمتهمين ومن لا يُعرف حاله^(٢). وتتمثل أهمية قضية هذا الرجل - ابن سبأ - عند أهل السنة في تحميل هذا الرجل جُل أسباب هذه الفتنة، على تفاوت بينهم ما بين إفراط وتقتير في إبراز دوره في هذا الشأن. فيقول ابن تيمية مثلاً: «عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً فأسلم وكان ممن أقام الفتنة على عثمان ثم أظهر موالاته علي»^(٣).

وكذلك الأمر عند محمد بن يحيى المالمقي الأندلسي، فإن لابن سبأ عنده دوره الكبير في الفتنة، «فهو أول من بث دعاة في الناس يدعون إلى الخروج»^(٤).

وأما ابن كثير فيرى أن «توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان ليقتلوه وكان الذي جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ، المعروف بابن السوداء»^(٥).

(١) رُشِيد الهَجْرِي - بضم الراء وفتح التاء - عداده في أهل الكوفة، كان يؤمن بالرجعة. قال الشعبي: دخلت عليه يوماً، فقال: خرجت حاجاً، فقلت لأعهدن بأمر المؤمنين عهداً فأتيت بيت علي رضي الله عنه، فقلت لانسان: استاذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم، والله إنه ليتنفس الآن تنفس الحي، فقال: أما إذا عرفت سر آل محمد فادخل. قال: فدخلت على أمير المؤمنين، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذباً فلعنك الله. وبلغ الخبر زياداً، فبعث إلى رشيد، فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث. قال: رشيد الهجري ليس برشيد. انظر: الأنساب، للسمعاني ٦٢٧/٥، ولسان الميزان، لابن حجر ٤٧٢/٢.

(٢) راجع الكلام عليه باستفاضة في مقدمة كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، لخالد بن محمد الغيث ص ١٩ وما بعدها.

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية ٢٦٠/١.

(٤) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان، ص ١٨٩.

(٥) البداية والنهاية ٤٨٤/١٠.

وبلغ الأمر مبلغه عند إحسان إلهي ظهير - رحمه الله - حين ادعى إجماع «المؤرخين قاطبة، شيعة كانوا أم أهل السنة، أن الذي أضرم نار الفتنة والفساد، ومشى بين المدن والقرى بالتحريض والإغراء على أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين عثمان بن عفان»^(١)!

في حين رأينا بعضهم وقد بالغ في ذلك مبالغةً أشد من سابقه، حين علل أخطاء بعض الصحابة في هذه الفتنة بتأثير ابن سبأ فيهم^(٢)! حتى رأينا منهم من ينسب إلى عمار بن ياسر تأثره بهذا الرجل في عبارة مستشعنة يقول فيها: «وفي هذه الموقعة أيضا - يعني صفين - قُتل عمار بن ياسر، أحد الذين خدعتهم دعايات السبئية وشعاراتهم المكذوبة»^(٣)!! وهذا آخر يعتقد اعتقادا بتأثير ابن سبأ في أبي ذر في تلك الفتنة بتأليب على عثمان ومعاوية^(٤).

ولا ريب أن في ذلك اتهاما مهيناً لهؤلاء الكرام أن يُسلم بعضهم عقله لأفكار بيّنة الضلالة تؤثر فيه، وهم الذين قرأوا التنزيل، وعلموا الوحي صافيا، على يد خير البشر نبهم محمد ﷺ!

بل أدى هذا الأمر أحيانا إلى محاولة بعضهم تبرئة الصحابة من كل دور في هذه الفتنة اجتهدا أو تأويلا منهم ونسبة ذلك كله إلى أمثال ابن سبأ. على الرغم من ورود مرويات صحيحة تشير إلى ضلوع بعض الصحابة في هذه الفتنة - بتأويل منهم - أهملها أهل السنة، بل منهم من ينكرها، أو يتدخل فيها بالتأويل الفاسد!

ولا شك أن تلك التفسيرات كلها ترجع إلى مرويات استند أصحابها إليها، في حين أنه كما سبق وأوضحنا، أنه لم يصح لابن سبأ في الفتنة وشأنها خبر، مع إقرارنا لما اتفقت عليه كتب الفرق، بكونه رأس فرقة ضالة تقول بالرفض، وتؤمن بالرجعة، بثت فكرها بين جهلة المسلمين ومنافقيهم من رؤوس الفتن ونحوهم^(٥).

(١) الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير ص ٣١.

(٢) انظر على سبيل المثال: كتاب عائشة والسياسة، لسعيد الأفغاني.

(٣) د.حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها، ص ١٧٩.

(٤) سعيد الأفغاني، عائشة والسياسة، ص ٦١، ٦٢. وانظر: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان بن حمد العودة، ص ٤٩، ٥٠.

(٥) ومحاولة بعضهم في إنكار وجوده جملة وتفصيلا تعسف ينقضه واقع القراءة الصحيحة للتراث، والدراسات المنصفة. انظر في تلك الدراسات المثبتة لشخصه: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان بن حمد العودة. وعبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال، لسعدي الهاشمي. وانظر فيمن نفى وجوده: عبد الله بن سبأ، دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، لعبد العزيز صالح الهلابي. وعبد الله بن سبأ وأساطير أخرى للمرتضى العسكري.

ومن ثم، فإني أؤكد مرة أخرى أن مثل دور ابن سبأ في الفتنة هو في رأيي كمثل غيره من أهل الزيف والنفاق - كأتباع مسيلمة، وأمثاله من أذئاب المرتدين، ومنافقي أهل الكتاب ومواليهم - الذين لم يفتروا يوماً عن تقويض دعائم الدولة الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ إلى وقتنا هذا. فكل منهم له نصيبه الذي لا يمكن إنكاره من هذه الفتنة من غير تعيين ولا تهويل لدور أحد منهم على الآخر، فكلهم فيها سواء. يتقلد كل منهم دوره في بث الفرقة والنزاع والشقاق، يتعاونون من غير ترتيب بينهم على الإثم والعدوان.

ولعل من آثار تحميل هذا الرجل وحده جل أسباب الفتنة أدى إلى تقصير بعض أهل السنة أحياناً في تقصي الأسباب الأخرى على وجه مبين يبرز معالم أسباب هذه الفتنة بتفسير أكثر وضوحاً وجلاءً. وعليه فتخصيص ذكره على أنه ركن ركين من أسباب هذه الفتن مبالغة لم يصح فيها خبر.

ولكن لا بأس أن نُظهِر بعضاً من نصوص تلك الروايات التي كان لها أثرها الواضح في تفسير شيء من هذه الفتنة عند أهل السنة.

ومن أشهر تلك الروايات ما أخرجه الطبري^(١) عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال:

«كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى. قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء. ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب علي وصي رسول الله ﷺ، وتناول أمر الأمة. ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ، فانفضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعواهم إلى هذا الأمر. فبث دعواته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى

(١) تاريخه ٤/ ٣٤٠.

مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبديون، فيقول أهل كل مصر: إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء. إلا أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار. فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس. وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا: فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة. قالوا: إنا قد أتانا. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شركائي، وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك، أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبدالله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم. وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم. واستبطنوا الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفاجئهم إلا كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبدالله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر».

وهذه وغيرها من مرويات تخص هذا الشأن، تدور على مجاهيل وضعفاء، وأسانيد ما بين إرسال وانقطاع لا تسلم أمام النقد بحال.

الفرع الثالث

خبر محمد بن عيسى بن سميع

وهو من أهم نماذج هذا الباب، وتأتي أهميته لشهرته في مصادر بعض أهل السنة، لذلك خصصته فرعا وحده. وهو ما أخرجه عمر بن شبة^(١)، والبلاذري^(٢)، وابن عساكر^(٣) من طريق هشام بن عمار قال، حدثنا محمد بن عيسى بن سميع القرشي، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، عن الزهري قال:

«قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان رضي الله عنه؟ وما كان شأن الناس وشأنه؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: قتل عثمان رضي الله عنه مظلوما، ومن قتله كان ظلما، ومن خذله كان معذورا. قال قلت: وكيف كان ذلك؟

(١) أخبار المدينة ٤/ ١١٥٧، ١٣٠٤.

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٣٤، ١٨٣.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤١٥.

قال: إن عثمان رضي الله عنه لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن عثمان رضي الله عنه كان يحب قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجة، وكان كثيرا مما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة، فكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يستعذب منهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم، وأشرك معهم، وأمرهم بتقوى الله، وولى عبد الله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه. وقد كان قبل ذلك من عثمان رضي الله عنه هنات إلى عبد الله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، فكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لمكان عبد الله بن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان رضي الله عنه لمكان عمار بن ياسر، وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح، فكتب إليه عثمان رضي الله عنه كتابا يتهده فيه، فأبى أن يقبل ما نهاه عنه عثمان رضي الله عنه وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر يتظلم منه فقتله، فخرج من أهل مصر سبعائة إلى المدينة فنزلوا المسجد، وشكوا إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان رضي الله عنه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة فقالت: قد تقدم إليك أصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلا فاقضهم من عاملك. ودخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وكان متكلم القوم - فقال: إنما سألوك رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما، فاعزله عنهم واقض بينهم، وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر، فقالوا: استعمل علينا محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه، وخرج معه عدة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح، فخرج محمد ومن كان معه، فلما كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمد: ما قصتك وما شأنك، كأنك هارب أو طالب؟ فقال: أنا غلام أمير المؤمنين، وجهني إلى عامل مصر. قال له رجل: هذا عامل مصر معنا. قال: ليس هذا أريد. وأخبروا بأمره محمد بن أبي بكر، فبعث في طلبه رجلا، فأخذه فجاءوا به إليه، فقال له: يا غلام من أنت؟ فأقبل مرة يقول غلام أمير المؤمنين، ومرة يقول غلام مروان، حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بإذا؟ قال: برسالة. قال: أمعك كتاب؟ قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا، وكانت معه إداوة قد يبست، فيها شئ يتقلقل، فحركوه ليخرج فلم يخرج، فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان فاحتل لقتلهم، وأبطل كتابه، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي في ذلك، واحبس من

يحيى إلي يتظلم منك، ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى. قال: فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة، وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه، ودفع الكتاب إلى رجل منهم، فقدم المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام، وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقا وغيظا، وقام أصحاب محمد فلاحقوا بمنازلهم، وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تميم وغيرهم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة رضي الله عنها تقبحه كثيرا. فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من أصحاب النبي ﷺ كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ﷺ ومعه الكتاب والبعير والغلام، فقال له علي: هذا الغلام غلامك؟ قال: نعم. قال: فالبعير بعيرك؟ قال: نعم. قال: وأنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: لا، وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به. قال له علي ﷺ: فالخاتم خاتمك؟! قال: نعم. فقال له علي ﷺ: كيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلمه؟! فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب، ولا أمرت به، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر. فأما الخط فعرفوا أنه خط مروان، وشكوا في أمر عثمان ﷺ، وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى - وكان مروان عنده في الدار - فخرج أصحاب محمد ﷺ من عنده غضابا، وشكوا في أمره، وعلموا أنه لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا: لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نثخنه، ونعرف حال الكتاب، فكيف يؤمر بقتل رجل من أصحاب محمد ﷺ بغير حق؟! فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان، ولزموا بيوتهم، وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان، وخشى عليه القتل، وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء.

زاد متن ابن عساكر:

«فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا. قال: فسكت. ثم قال: ألا أحد يبلغ فيسقيننا ماء؟ فبلغ ذلك عليا، فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة، فما كادت تصل إليه وجرح في سببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان، فأما قتل عثمان فلا. وقال للحسن وللحسين: اذهبوا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه. وبعث الزبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدة من أصحاب محمد أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان. فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم وهو في الدار، وخضب محمد بن طلحة، وشجق قنبر مولى علي فخشي محمد

بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثرونها ففتنة، فأخذ بيد الرجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد، ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد. فتسور محمد وصاحبا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته فقال لهما محمد: مكانكما، فإن معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول، فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجاه حتى تقتلاه. فدخل محمد فأخذ بلحيته، فقال له عثمان: والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني. فتراخت يده، ودخل الرجلان عليه فتوجاه حتى قتلاه وخرجوا هارين من حيث دخلوا، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الجلبة وصعدت امرأته إلى الناس فقالت: إن أمير المؤمنين قد قتل. فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا، فانكبوا عليه يبكون وخرجوا ودخل الناس فوجدوه مذبوحا، وبلغ علي بن أبي طالب الخبر وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا، فاسترجعوا وقال علي لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟! ورفع يده فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشم محمد بن طلحة، ولعن عبدالله بن الزبير، وخرج علي وهو غضبان فلقبه طلحة فقال: ما لك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين؟ فقال: عليك وعليهما لعنة الله، إلا أن يسؤوني ذلك بقتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بينة ولا حجة. فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل. فقال علي: لو أخرج إليكم مروان قتل قبل أن تثبت عليه حكومة. وخرج علي فأتى منزله وجاء الناس كلهم يهرعون إلى علي حتى دخلوا عليه داره فقالوا له: نبايعك، فمد يدك فلا بد من أمير. فقال علي: ليس ذلك إليكم، إنما ذلك لأهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا فقالوا: ما نرى أحدا أحق بها منك، مد يدك نبايعك. فقال: أين طلحة والزبير؟ فكان أول من بايعه طلحة بلسانه، وسعد بيده، فلما رأى ذلك علي خرج إلى المسجد فصعد المنبر فكان أول من صعد إليه طلحة، فبايعه بيده ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي ﷺ ثم نزل فدعا الناس، وطلب مروان فهرب منه، وطلب نفرا من ولد مروان وبنو أبي معيط، فهربوا منه، وخرجت عائشة باكية تقول: قتل عثمان! وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما إلا أن أرى وجوههما، وكان معهما محمد بن أبي بكر وأخبرت عليا والناس ما صنع محمد فدعا علي محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد: لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لي أبي فقمتم عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته. فقالت امرأته: صدق ولكنه أدخلهما».

وهذا خبر لا يصح بمرة. قال البخاري في تاريخه^(١): «محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع شامي عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن سعيد في مقتل عثمان سمع منه هشام بن عمار، ويقال إنه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث».

قال ابن شبة^(٢): «وهذا حديث كثير التخليط، منكر الإسناد، لا يعرف صاحبه الذي رواه عن ابن أبي ذئب، وأما ابن أبي ذئب ومن فوقه فأقوياء».

قال ابن أبي حاتم^(٣): «سألت أبي، عن حديث، رواه هشام بن عمار، عن ابن سميع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب في مقتل عثمان بن عفان. قال أبي: سألت محمود بن عيسى بن سميع عن هذا الحديث فحدثني وقال في كتاب ابن سميع حدثني رجل من أهل المدينة، عن ابن أبي ذئب».

وقال ابن حبان^(٤): «محمد بن عيسى بن القاسم بن سميع القرشي كنيته أبو سفيان وقد قيل أبو الحكم من أهل الشام يروى عن بن أبي ذئب وعبيد الله بن عمر روى عنه هشام بن عمار وأهل الشام مستقيم الحديث إذا بين السماع في خبره فأما خبره الذي روى عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن سعيد بن المسيب في مقتل عثمان لم يسمعه من ابن أبي ذئب، سمعه من إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي عن ابن أبي ذئب فدلس عنه وإسماعيل واه».

وقال ابن عدي^(٥): «سمعت عبدان يقول سمعت ابن أبي سميع يقول لم يسمع أبي حديث مقتل عثمان من ابن أبي ذئب إنما هو في كتاب أبي عن قاص». ثم قال ابن عدي: «وهو حسن الحديث والذي أنكر عليه حديث مقتل عثمان أنه لم يسمعه من ابن أبي ذئب».

وأخرج الخطيب^(٦) من طريق صالح بن محمد يعني البغدادي قال: «حدثنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن عيسى بن القاسم، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري حديث مقتل عثمان بن عفان قال: فجهدت به الجهد أن يقول حدثنا ابن أبي ذئب، فأبى أن يقول إلا عن ابن أبي ذئب. قال صالح بن محمد: فقال لي محمود ابن ابنة محمد بن عيسى: هو في كتاب جدي عن إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله عن ابن أبي ذئب. قال صالح وإسماعيل بن يحيى: هذا يضع الحديث»^(٧).

(١) الكبير ١/ ٢٠٣.

(٢) أخبار المدينة ٤/ ١٣٠٦.

(٣) العلل برقم ٢٧٨٢.

(٤) الثقات ٩/ ٤٣.

(٥) الكامل ٦/ ٢٤٦.

(٦) موضح أو هام الجمع والتفريق ١/ ٤٥، ٤٦.

(٧) ونبه في ختام الكلام على هذه الرواية، أن هناك رواية أخرى في بابها أخرجها خليفة بن خياط (تاريخه ص ١٢٤-١٢٥، ١٢٩) - ومن طريقه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٢٣) - وعمر بن شبة (أخبار المدينة =

المبحث الرابع

خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام

وسوف أتناول في هذا المبحث مسألة خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وأبرز ما كان في عهده، وذلك عبر ثلاثة مطالب، الأول: استخلاف علي عليه السلام وكيف تم هذا الاستخلاف عقب مقتل عثمان رضي الله عنه، وموقف كل من طلحة والزبير رضي الله عنهما تجاه بيعة عليّ. أما المطلب الثاني فكان الحديث فيه عن وقعة الجمل بمناقشة أبرز مرويات هذه الواقعة، وذلك من خلال أربعة فروع، الفرع الأول: أتناول فيه مرويات خروج عائشة وطلحة والزبير للجمل. أما الفرع الثاني، فقد تناولت فيه قصة كلاب الحوآب التي تروى عن عائشة رضي الله عنها أبحث في مدى صحتها. ثم كان الفرع الثالث، وكان الكلام فيه على حديث: «لتقاتلنه وأنت له ظالم». وأخيرا الفرع الرابع، وفيه بحث قصة قتل مروان بن الحكم لطلحة عليه السلام. ثم أخيرا يأتي المطلب الثالث، وفي تناولت أبرز ما روي في صفين، وقضية التحكيم التي كانت بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما.

المطلب الأول

استخلاف علي عليه السلام

يذهب جمهور متأخري أهل السنة إلى إنكار أن يكون كل من طلحة والزبير بايعا مكرهين^(١). حتى ذهب بعضهم إلى اعتبار هذا الرأي من الشُّبه التي أُدخلت على بيعة علي عليه السلام، فعنده أن

= ٣/ ١١٢٨ - ١١٢٩، ١١٣٢ - ١١٣٤، ١١٤٩/٤ - ١١٥٠، ١١٩١ - ١١٩٢، ١٢٨٥)، وأبو عبد الله الزبيدي (أمالیه ص ١٠٤)، والطبري (تاريخه ٣٨٣/٤)، وابن حبان (صحيحه برقم ٦٩١٩) من طريق أبي نضرة: عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: «سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه الى المكان الذي هو فيه فقالوا له: ادع المصحف فدعا بالمصحف فقالوا له: افتح السابعة قال: وكانوا يسمون سورة يونس السابعة فقرأها.. إلخ» وهي رواية طويلة أيضا وهي - كما يبدو من إسنادها - من طريق أبي نضرة: عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري، وقد سبق أن أبا نضرة على الرغم من توثيقه فإن له مرويات منكرة في حق عثمان، رواها عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الذي لم يرو عنه غير أبي نضرة (الثقات لابن حبان ٥/ ٤٢٠).

(١) انظر على سبيل المثال: العواصم من القواصم، لابن العربي المالكي، ص ١٤٨، ١٥٥، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، لمحمد أمخزون ٨١/٢. ومن خالف هذا الرأي: أبو نعيم الأصبهاني، كتاب الإمامة، ص ٣٦٩، وأكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، ص ٦٠، وعبد الحميد بن علي ناصر فقيهي، خلافة علي بن أبي طالب ١/ ١٠٣.

«أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها سند صحيح»، وأن الصحيح أنه «لم يتخلف عن على أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة، أما البيعة فلم يتخلف أحد عنها». وقد أدى هذا الرأي بصاحبه إلى القول بـ «إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته»^(١)!

قلت: والعكس هو الصحيح. فإن ما أنكروه هو الثابت، وما ذهبوا إليه - من أن بيعة طلحة والزبير كانت طوعا - لم يصح فيه خبر. ومن أهم ما صح في هذا الباب ما أخرجه نعيم بن حماد^(٢)، وابن أبي شيبة^(٣)، والحربي^(٤) من طريق شعبة، عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن، قال: سمعت أبي يقول:

«بلغ علي بن أبي طالب أن طلحة يقول: إنها بايعت واللج على قفاي. فأرسل ابن عباس فسأله. قال: فقال أسامة^(٥): أما اللج على قفاه فلا، ولكن قد بايع وهو كاره، قال: فوثب الناس إليه حتى كادوا أن يقتلوه، قال: فخرج صهيب وأنا إلى جنبه، فالتفت إلي فقال: قد علمت أن أم عوف حائنة^(٦)».

أما من ذهب إلى أن طلحة والزبير بايعا طوعا، فيستند إلى جملة أخبار لا تصح، إذ لا يخلو طريق منها من علة. من أهمها:

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، د. علي الصلابي، ص ٢١٢، ٢١٣.

(٢) الفتن برقم ٤٠٨.

(٣) المصنف برقمي ٣١٢٤١، ٣٨٩٢٨.

(٤) غريب الحديث ١ / ١٣١.

(٥) هو أسامة بن زيد.

(٦) قد يفسر شيئا مما يأتي من هذا الخبر الملعز ما جاء في رواية سيف عن محمد وطلحة: «.. فخرج كعب [بن سور] حتى يقدم المدينة، فاجتمع الناس لقدمه وكان قدومه يوم الجمعة، فقام كعب فقال: يا أهل المدينة، إني رسول أهل البصرة إليكم، أكره هؤلاء القوم هذين الرجلين - يعني طلحة والزبير - على بيعة علي أم أتيها طائعين؟ فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد، فإنه قام فقال: اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان. فأمر به تمام فوائبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة فقال: اللهم نعم، فانفرجوا عن الرجل. فانفرجوا عنه، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله، وقال: قد علمت أن أم عامر حامقة، أما وسعك ما وسعنا من السكوت! قال: لا والله، ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت وقد أبلسنا لعظيم». انظر تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٧. وقوله: «أم عوف حائنة» إنما هو مثل، فسره محقق مصنف ابن أبي شيبة بقوله: «أم عوف: الجرادة. وحائنة: هالكة».

أخرج ابن أبي شيبة^(١)، وعمر بن شبة^(٢)، والطبري^(٣) من طريق أبي بكر بن عياش، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، قال:

«قلت للأشتر: لقد كنت كارها ليوم الدار فكيف رجعت عن رأيك، فقال: أجل، والله إن كنت لكارها ليوم الدار ولكن جئت بأُم حبيبة بنت أبي سفيان لأدخلها الدار، وأردت أن أخرج عثمان في هودج، فأبوا أن يدعوني وقالوا: ما لنا ولك يا أشتر، ولكنني رأيت طلحة والزبير والقوم بايعوا عليا طائعين غير مكرهين^(٤)، ثم نكثوا عليه».

هذا خبر قبَّله ابن حجر^(٥)، وردّه غيره^(٦)، وهذا هو الصواب أنه مردود لا يصح، فإن حديث مُغيرة بن مِقْسَم عن إبراهيم النخعي مدخول^(٧) كما قال أحمد بن حنبل: «حديث مغيرة بن مقسم مدخول، عامة ما رَوَى عن إبراهيم إنما سمعه من حماد، ومن يزيد بن الوليد، والحارث العكلي، وعبيدة، وغيرهم. وجعل يضعف حديث مغيرة عن إبراهيم وحده»^(٨). وقال العجلي: «مغيرة بن مِقْسَم الصَّبِيّ.. كوفي ثقة وكان من فقهاء أصحاب إبراهيم، وكان عثمانيا.. إلا أنه كان يرسل الحديث عن إبراهيم، وإذا أوقف أخبرهم عن سمعه. وكان يحمل عليَّ عليَّ بعض الحمل»^(٩).

ومثل هذا الخبر ما أخرجه ابن أبي شيبة^(١٠)، وعمر بن شبة^(١١) من طريق جعفر بن زياد، عن أُمِّي الصيرفي، عن صفوان بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال:

«لما قتل عثمان قلت: ما يقيمني بالعراق، وإنما الجماعة بالمدينة عند المهاجرين والأنصار، قال: فخرجت فأخبرت، أن الناس قد بايعوا عليا، قال: فانتهيت إلى

(١) المصنف برقم ٣٨٨٤٦.

(٢) أخبار المدينة ٤/١٣١٣.

(٣) تاريخه ٤/٥٢٠.

(٤) أخبر الأشتر عما ظنّه حين رآه.

(٥) فتح الباري ١٦/٥١٥، ٥٢٠.

(٦) انظر: خلافة علي بن أبي طالب، دراسة نقدية للروايات من خلال كتب السنة والتاريخ، عبد الحميد فقيهي ٢/٥٦١.

(٧) قلت: وإن كانت له مرويات عن إبراهيم عند البخاري ومسلم ولكن صحت لهما بعد التثبت منها.

(٨) العلل ومعرفة الرجال، ١/٢٠٧، والجرح والتعديل ٨/٢٢٩.

(٩) الثقات للعجلي ٢/٢٩٣.

(١٠) المصنف برقم ٣٨٩٥٤.

(١١) أخبار المدينة ٤/١٢٥٧.

الربذة وإذا علي بها، فوضع له رحل فقعد عليه، فكان كقيام الرجل، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال إن طلحة والزبير قد بايعا طائعين غير مكرهين، ثم أراد أن يفسدا الأمر ويشقا عصا المسلمين، وحرص على قتالهم، قال: فقام الحسن بن علي، فقال: ألم أقل لك إن العرب ستكون لهم جولة عند قتل هذا الرجل، فلو أقمت بدارك التي كنت بها، يعني المدينة فإني أخاف أن تقتل بحال مضیعة لا ناصر لك، قال: فقال علي: اجلس فإنما تخن كما تخن الجارية^(١)، أو إن لك خنينا كخنين الجارية، الله أجلس بالمدينة كالضبع تستمع اللدم^(٢)، لقد ضربت هذا الأمر ظهره وبطنه، أو رأسه وعينه، فما وجدت إلا السيف، أو الكفر».

وأخرج البخاري في تاريخه^(٣)، والبلاذري^(٤)، والحاكم^(٥) من طريق شريك عن أمي^(٦) الصيرفي عن أبي قبيصة عمر^(٧) بن قبيصة عن طارق بن شهاب قال:

«رأيت علياً عليه السلام على رحل رث بالربذة وهو يقول للحسن والحسين: مالكما تخنان خنين الجارية، والله لقد ضربت هذا الأمر ظهرها لبطن فما وجدت بُداً من قتال القوم، أو الكفر بما أنزل على محمد».

قال البخاري عقب تخريجه الخبر: «أبو قبيصة لا أدري من هو». ومن ثم فهو خبر لا يصح كذلك.

وأخرج أبو نعيم^(٨)، وابن عساکر^(٩) من طريق إبراهيم بن يوسف الصيرفي نا أبي عن أمي^(٦) الصيرفي عن يحيى بن عروة المرادي قال:

-
- (١) الخنين: ضرب من البكاء دون الانتحاب. انظر النهاية في غريب الأثر ٢/ ٨٥.
- (٢) قال الأزهرى: «وروى عن علي عليه السلام أن الحسن قال له في مخرجه إلى العراق: إنه غير صواب، فقال: والله لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتصاد. ذلك أن الصياد يجيء إلى جحرها فيصوت بحجر فتخرج الضبع فياخذها وهي من أحمق الدواب». انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١٣٥.
- (٣) الكبير ٢/ ٦٧.
- (٤) أنساب الأشراف ٣/ ٣٣.
- (٥) المستدرک ٣/ ١١٥.
- (٦) عند الحاكم. والبلاذري: «أبي». والتصويب من التاريخ الكبير. وهو: أمي بن ربيعة الصيرفي أبو عبدالرحمن كوفي روى عن الشعبي وأبي قبيصة وأبي الهيثم صاحب القصب روى عنه وكيع وأبو نعيم. انظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٤٧، وتهذيب الكمال ٣/ ٣٢٨.
- (٧) كذا عند الحاكم. وعند البلاذري: عمرو. ولعل الصواب: صفوان. وانظر: رجال الحاكم في المستدرک، لمقبل بن هادي الوادعي ١/ ٤٢٥.
- (٨) الإمامة ص ٣٦٩.
- (٩) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٣٩.

«سمعت علي بن أبي طالب قال: قبض رسول الله ﷺ وأنا أرى أني أحق الناس بهذا الأمر، فاجتمع الناس على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر حضر، فكنت أرى أن لا يعدلها عني، فولي عمر، فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب، فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في ستة أنا أحدهم، فولاها عثمان، فسمعت وأطعت، ثم إن عثمان قُتل فجاءوني، فبايعوني طائعين غير مكرهين، فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولا يصح، إسناده منقطع، يحيى هو ابن هانئ بن عروة المرادي، لم يدرك علياً^(١)، ولا ريب أن لفظ السماع هنا خطأ وقع من بعض الرواة، ولعله إبراهيم بن يوسف الصيرفي، فقد قال فيه النسائي: «ليس بالقوي»^(٢).

ومنها ما أخرجه الطبري^(٣) عن عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أخبرنا أبو بكر الهذلي، عن أبي المليح، قال:

«لما قتل عثمان ﷺ، خرج علي إلى السوق، وذلك يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، فاتبعه الناس وبهشوا^(٤) في وجهه، فدخل حائط بني عمرو بن مبدول، وقال لأبي عمرة بن عمرو بن محسن: أغلق الباب، فجاء الناس فقرعوا الباب، فدخلوا، فيهم طلحة والزبير، فقالا: يا علي ابسط يدك. فبايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع، فقال: أول من بدأ بالبيعة يد شلاء؛ لا يتم هذا الأمر».

لا يصح، أبو بكر الهذلي متهم بالكذب متروك^(٥).

ومنها أيضاً ما أخرجه الطبري^(٦) عن جعفر بن عبدالله المحمدي قال: حدثنا عمرو بن حماد، وعلي بن حسين قالوا: حدثنا حسين بن عيسى، عن أبيه، عن أبي ميمونة، عن أبي بشير العابدي قال:

(١) تاريخ دمشق ٥١/٦٥.

(٢) تهذيب الكمال ٢/٢٥٥.

(٣) تاريخه ٤/٤٢٨.

(٤) بهش الرجل، إذا تهيأ للبيكاء. وبهشت إلى الرجل، وبهش إلي: تهيأت للبيكاء، وتهيأ له. وبهش إذا تهيأ للضحك، أيضاً، فأصل البهش: الإقبال على الشيء. انظر تاج العروس ١٧/٨٨.

(٥) الجرح والتعديل ٤/٣١٣.

(٦) تاريخه ٤/٤٢٧.

«كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليا، فقالوا: يا أبا حسن، هلم نبايعك. فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختروا والله. فقالوا: ما نختار غيرك. قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان رضي الله عنه مرارا، ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة، وقد طال الأمر. فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتهم، وإني قائل لكم قولاً، إن قبلتموه قبلت أمركم، وإلا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه فقال: إني كنت كارها لأمركم، فأبيتهم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم رضيتهم. قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك. قال أبو بشير وأنا يومئذ عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع ما يقول».

ولا يصح بهذا اللفظ، إسناده مظلم، جعفر بن عبدالله المحمدي، وعلي بن حسين بن عيسى ابن زيد، لا يُعرفان^(١). وعمرو بن حماد بن طلحة القناد، الكوفي، صدوق رمي بالرفض^(٢)، وحسين بن عيسى بن زيد بن علي بن حسين بن أبي طالب، لم أجده إلا عند ابن أبي حاتم وسكت عنه^(٣)، وأبو ميمونة لا يعرف حاله أيضا، قال فيه يحيى بن معين: «شيخ كوفي مفرق»^(٤). وأبو بشير العابدي لم أجده له ترجمة.

وإنما صح بلفظ آخر ليس فيه ذكر (طلحة والزبير)، من رواية أحمد^(٥)، والبلاذري^(٦)، والطبري^(٧)، والخلال^(٨)، والآجري^(٩)، وابن بطة^(١٠)، من طريق سلمة بن كهيل عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال:

«كنت مع علي وعثمان محصور قال فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي. قال محمد:

(١) انظر معجم شيوخ الطبري، أكرم الفالوجي، دار ابن عفان، ص ١٦٤.

(٢) التقريب ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) الجرح والتعديل ٦٠ / ٣.

(٤) تاريخ يحيى بن معين رواية الدوري برقم ٢٠٤٣.

(٥) فضائل الصحابة برقم ٩٦٩.

(٦) أنساب الأشراف ١١ / ٣.

(٧) تاريخه ٤٢٧ / ٤.

(٨) السنة برقمي ٦٢٠، ٦٢٢، والمنتخب من العلل برقم ١٣٠.

(٩) الشريعة برقم ١٢١٥.

(١٠) الإبانة جزء فضائل الصحابة ٣٠٤ / ١.

فأخذت بوسطه تحوفا عليه، فقال: خل لا أم لك. قال: فأتى عليّ الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير. فقالوا: لا والله، ما نعلم أحدا أحق بها منك. قال: فإن أبيتم عليّ، فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس».

وأخرج عمر بن شبة^(١) عن المدائني عن العلاء أبي محمد عن أبيه قال:

«جاء رجل إلى علي وهو بالزاوية فقال علام تقاتل هؤلاء؟ قال: على الحق. قال فإنهم يقولون إنهم على الحق. قال أقاتلهم على الخروج من الجماعة ونكث البيعة».

خبر موضوع، العلاء أبو محمد هو العلاء بن زيد الثقفي، متروك يضع الحديث^(٢).

وأخرج أبو الفرج الأصفهاني^(٣)، وابن عساكر^(٤) من طريق عمرو بن عبد الغفار الفقيمي^(٥)، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين قال حدثني ابن عباس قال: «قال لي علي عليه السلام: أئت الزبير فقل له: يقول لك علي بن أبي طالب: نشدتك الله ألسنت قد بايعتني طائعا غير مكره؟ فما الذي أحدثت فاستحللت به قتالي؟ وقال أحمد بن يحيى في حديثه: قل لهما: إن أحكما يقرأ عليكما السلام ويقول: هل نعمتما عليّ جورا في حكم، أو استثنارا بفيء؟ فقالا: لا ولا واحدة منهما، ولكن الخوف وشدة الطمع. وقال محمد بن خلف في خبره: فقال الزبير مع الخوف شدة المطامع..».

لا يصح، عمرو بن عبد الغفار الفقيمي قال أبو حاتم: «متروك الحديث»^(٦). وقال ابن عدي: «يتهمونه بأنه يضع في فضائل أهل البيت ومثالب غيرهم»^(٧).

(١) انظر فتح الباري ١٦/٥١٩.

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/٥٠٦.

(٣) الأغاني ١٨/٥٦.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/٤١٠.

(٥) في المطبوع من تاريخ دمشق: «عمر الفقيمي». والتصويب من الأغاني.

(٦) الجرح والتعديل ٦/٢٤٦.

(٧) الكامل في الضعفاء ٥/١٤٦.

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة^(١)، وأحمد^(٢)، والبخاري في تاريخه^(٣)، والبلاذري^(٤)، والطبري^(٥) من طريق حصين، عن عمر بن جاون، عن الأحنف بن قيس، قال:

«قدمنا المدينة ونحن نريد الحج، قال الأحنف: فانطلقت فأتيت طلحة والزبير، فقلت: من تأمراني به وترضيانه لي؟ فإني ما أرى هذا إلا مقتولا، يعني عثمان، قالوا: نأمرك بعلي، قلت تأمراني به وترضيانه لي؟ قالوا: نعم، قال: ثم انطلقت حاجا حتى قدمت مكة، فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان، وبها عائشة أم المؤمنين، فلقيتها، فقلت: من تأمريني به أن أبايع؟ قالت: علي، قلت: أتأمريني به وترضيانه لي؟ قالت: نعم، فمررت على علي بالمدينة فبايعته، ثم رجعت إلى البصرة وأنا أرى أن الأمر قد استقام. فبينما أنا كذلك إذ أتاني آت، فقال: هذه عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريبة، قال: فقلت: ما جاء بهم؟ قالوا: أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان، قتل مظلوما، قال: فأتاني أفضح أمر أتاني قط، قال: قلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ لشديد، وإن قتالي ابن عم رسول الله ﷺ بعد أن أمروني ببيعته لشديد. قال: فلما أتيتهم، قالوا: جئنا نستنصرك على دم عثمان قتل مظلوما، قال: قلت: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله أقلت لك: من تأمريني فقلت: علي، وقلت: تأمريني به وترضيانه لي؟ قلت: نعم؟ قالت: نعم، ولكنه بدل، فقلت: يا زبير يا حواري رسول الله ﷺ، يا طلحة، نشدتكما بالله: أقلت لكما: من تأمراني به، فقلتما: عليا، فقلت: تأمراني به وترضيانه لي، فقلتما: نعم؟ قالوا: بلى، ولكنه بدل».

لا يصح، عمر - وقيل عمرو - بن جاون مجهول، قال الذهبي: لا يعرف^(٦). وروى ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان الواسطي قال: سمعت علي بن عاصم قال: قلت لحصين: «من عمر بن جاون؟ فقال: شيخ صحبني في السفينة»^(٧). وقال ابن حجر فيه «مقبول»^(٨)، قلت: من أجل قال بتصحيح الخبر^(٩)، إلا أن الراجح في ابن جاون الجهالة^(١٠). وقد ذكره ابن حبان في

(١) المصنف برقمي ٣١٢٧١، ٣٨٩٥٣.

(٢) المسند ١/٧٠.

(٣) التاريخ الأوسط ١/٥٣٠.

(٤) أنساب الأشراف ٣/٣٠.

(٥) تاريخه ٤/٤٩٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/٢٥٠.

(٧) الجرح والتعديل ٦/١٠١.

(٨) التقريب ص ٣٥٧.

(٩) فتح الباري ١٦/٤٨٤.

(١٠) وراجع: تحرير تقريب التهذيب، لبشار عواد، وشعيب الأرنؤوط، ٣/٨٨، حيث عقبنا على ابن حجر بقولهما: «بل مجهول، تفرد بالرواية عنه حصين بن عبد الرحمن».

الثقات^(١)، على شرطه في توثيق المجاهيل.

وأخرج البلاذري^(٢)، والطبري^(٣) من طريق هشيم بن بشير، حدثنا حميد، عن الحسن البصري قال:

«رأيت الزبير بايع علياً في حش من أحشاش المدينة».

قال علي بن المديني في هذا الخبر: «ليس من صحيح حديث هشيم. والحسن لم ير علياً إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام»^(٤).

وأخرج الطبري^(٥) عن علي بن مسلم قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا جعفر بن سليمان عن عوف قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول:

«إن علياً جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال لطلحة: أنت أحمق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك. قال: فبسط علي يده فبايعه».

وهذا خبر مرسل، يعارض ما عليه صحيح الباب، والصحيح المسند أولى بالتقديم. وكذلك لا بد أن يكون الحق إن شاء الله، وإلا فإن قتالهما - طلحة والزبير - علياً بعد البيعة طوعاً، نقض للعهد والميثاق، وفي هذا الوعيد الشديد من النبي ﷺ^(٦). ولكنها لما بايعا مكرهين فكأن لم يبايعا، وسبق أنه (لا بيعة لمكره). ومن ثم فإن القول ببيعتهما كرها - وهو ما دل عليه صحيح الباب - أليق بهما في تفسير قتالهما علياً - وهو ولي الأمر والدم إذ كانا يطلبان بدم عثمان - وإلا كان في الأخرى - وهو القول ببيعتهما طوعاً - النقص الشديد في دينهما وما كانا عليه من فقه.

(١) الثقات ١٦٨/٧.

(٢) أنساب الأشراف ١٦/٢.

(٣) تاريخه ٤٢٩/٤.

(٤) العلل ص ١٠٣.

(٥) تاريخه ٤٣٤/٤.

(٦) من ذلك ما رواه مسلم (صحيحه برقم ١٨٤٢): أن النبي ﷺ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم». وروى كذلك (في صحيحه برقم ١٨٤٤) قوله ﷺ: «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر».

ويمكن تأويل بعض المراسيل - إن صحت عند من يحتج بالمراسيل - التي تقول ببيعة طلحة والزبير طوعاً، فلعل الرواة حكوا ما رأوا ولم يعلموا ما وقع في نفسَي طلحة والزبير، إذ كانت البيعة بيعة عامة شهدها الجمع. والله أعلم بنفوس المبايعين، وهو ما صح، فالكل رأى طلحة والزبير بايعاً عليّاً، ولكن الإكراه جعلهما في صورة الطائعتين بينما كانا مكرهين.

المطلب الثاني

وقعة الجمل

الفرع الأول

خروج عائشة وطلحة والزبير للجمل

من الأمور التي فسر بها طائفة من أهل السنة سبب خروج عائشة وطلحة والزبير في موقعة الجمل، هو أنهم خرجوا في طلب الصلح^(١). ولست أرى ذلك إلا تأويلاً فاسداً لنصوص صحت، أو استناداً إلى مرويات أخرى لا تصح. من تلك المرويات غير الصحيحة ما رواه الطبري^(٢) عن سيف عن محمد وطلحة أن القعقاع بن عمرو لما قدم البصرة بدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال:

«أي أمه، ما أشخصك، وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس. قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما، فجاءا فقال: إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس. فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قال: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح. قال: قتلة عثمان رضي الله عنه، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به، كان إحياءً للقرآن. فقال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة إلا رجلاً فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني حُرْقُوص بن زهير^(٣) - فمنعه ستة آلاف، وهم على رجل،

(١) انظر: العواصم من القواصم، لابن العربي، ص ١٥٥-١٥٧، وتحقيق مواقف الصحابة في الفتنة ١١٦/٢، وخلافة علي بن أبي طالب، لعبد الحميد بن علي ناصر فقيهي ١٩٦/١.

(٢) تاريخه ٤٨٧/٤-٤٨٨.

(٣) قال ابن حجر: حُرْقُوص - بضم أوله وسكون الراء والقاف بعدها واو ساكنة ثم صاد مهملة - بن زهير السعدي، له ذكر في فتوح العراق وزعم أبو عمر: أنه ذو الخويصرة التميمي رأس الخوارج المقتول =

فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم، فأديلوا عليكم، فالذي حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وأنتم أحميتهم مضر وربيعه من هذه البلاد، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصره لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير...».

قلت: وهذا إسناد فيه جهالة محمد^(١) وطلحة^(٢)، فضلا عن انقطاعه من الراويين إلى الواقعة. ونقل ابن حبان^(٣) أن:

«زيد بن صوحان قدم من عند عائشة معه كتابان من عائشة إلى أبي موسى، وإلى الكوفة، وإذا في كل كتاب منها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عائشة أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري، سلام عليك، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مُصلحة بين الناس، فمُرَّ مَنْ قَبْلِكَ بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية، حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة، وأحلوا بأنفسهم البوار. فلما قرأ الكتابين وثب عمار بن ياسر فقال: أمرت عائشة بأمر، وأمرنا بغيره، أمرت أن تقرر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فهو ذا تأمرنا بها أمرت، وركبت ما أمرنا به...».

قلت: ولم أقف على هذا الخبر مسندا في مصدر من المصادر، اللهم إلا ما أخرجه الطبري^(٤) من طريق أبي مخنف عن مجالد بن سعيد قال:

«لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة، كتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدّم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي. فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، أما بعد، فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك، وإلا فأنا أول من نابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين، أمرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه.»

=بالنهران. وذكر الطبري أن عتبة بن غزوان كتب إلى عمر يستمده فأمده بحرقوص بن زهير، وكانت له صحبة، وأمره على القتال على ما غلب عليه، ففتح سوق الأهواز. وذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي ﷺ وأنه قتل معهم يوم النهر وان قال فسألت عن ذلك فلم أجد أحدا يعرفه. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٤٩/٢.

(١) هو محمد بن عبد الله بن سواد بن نويرة، لم أجد له ترجمة.

(٢) هو طلحة بن الأعمى أبو الهيثم، الكوفي، سكت عنه البخاري وقال: «سمع الشعبي» (التاريخ الكبير ٣٤٩/٤)، وقال أبو حاتم: «شيخ» (الجرح والتعديل ٤٨٢/٤)، وذكره ابن حبان في (الثقات ٤٨٨/٦) على شرطه في توثيق المجاهيل.

(٣) الثقات ٢٨٢/٢.

(٤) تاريخه ٤٧٦/٤-٤٧٧.

قلت: ولا يصح، فإن في إسناده ضعف أبي مخنف ومجالد، وانقطاعا بين مجالد وبين عائشة.

وحكى ابن العماد الحنبلي^(١) أن عليا لما ظهر جاء إلى عائشة فقال:

«غفر الله لك. قالت: ولك. ما أردت إلا الإصلاح..».

قلت: وهذا خبر لم أجده بهذا اللفظ، ولست أدري من أين أتى به ابن العماد. إلا أن الطبري^(٢) روى من طريق سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن جده قال:

«انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار، فقطع الأنساع^(٣) عن الهودج، واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال: أخوك محمد. فقالت: مُدِّمَّ! قال يا أخية هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذلك. قال: فمن إذا! الضلال؟! قالت: بل الهداة. وانتهى إليها علي، فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك.».

قلت: الصعب بن حكيم عن أبيه. قال الذهبي لا يعرفان^(٤). قلت: وذكرهما ابن حبان في الثقات^(٥) على شرطه في توثيق المجاهيل.

وأخرج البيهقي^(٦) - ومن طريقه ابن عساكر^(٧) - أن الزبير لما أراد الرجوع يوم الجمل قال له ولده عبد الله:

« ما لك ؟ فقال: ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، سمعته يقول: لتقاتلنه وأنت له ظالم، فلا أقاتله. قال: وللقتال جئت؟ إنما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر، قال: قد حلفت ألا أقاتله، قال: فأعتق غلامك جرجس وقف حتى تصلح بين الناس، فأعتق غلامه، ووقف فلما اختلف أمر الناس ذهب علي فرسه.».

ولا يصح إسناده كذلك، ففي إسناده مجاهيل لا يعرفون^(٨). وقد استغربه ابن كثير^(٩).

(١) شذرات الذهب، لابن العماد، ٤١ / ٢.

(٢) تاريخه ٥٣٤ / ٤.

(٣) النَّسْع، سَيْرٌ يُضْفَرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعْنَةِ النِّعَالِ تُشَدُّ بِهِ الرَّحَالُ. انظر لسان العرب، مادة (نسع) ص ٤٤١٠.

(٤) ميزان الاعتدال ٤٣١ / ٣، ٣٥٤ / ٢.

(٥) الثقات ٢١٤ / ٦، ٣٢٣ / ٨.

(٦) دلائل النبوة ٤١٥ / ٦.

(٧) تاريخ دمشق ٤١٠ / ١٨.

(٨) وراجع مختصر استدراك الذهبي على مستدرک الحاكم ٢٠٧٥ / ٤.

(٩) البداية والنهاية ١٩١ / ٩ - ١٩٢.

ولست أدري كيف يكون الخروج إلى صلح يُعد من أجله السلاح إعداداً، والنية فيه للحرب والقتال مبيتة، ومعلوم ما قد يتبع ذلك من دماء قد تهراق في سبيل هذا الأمر. فكيف يجتمع الصلح والقتال معا^(١)! فكان أحرى بهم التقدم بتلك الشكاية إلى علي فهو ولي الأمر^(٢)، وذلك عند من يقول بيعة طلحة والزبير طوعاً^(٣).

ولعل ما يأتي في تلك الرواية الصحيحة ما يدل على ذلك، وهو ما أخرجه ابن أبي شيبه^(٤)، والطحاوي^(٥)، من طريق زائدة، عن عمر بن قيس الماصر، عن زيد بن وهب، قال:

«أقبل طلحة والزبير حتى نزلا البصرة وطرحوا سهل بن حنيف، فبلغ ذلك علياً، وعلي كان بعثه عليها، فأقبل حتى نزل بذي قار، فأرسل عبد الله بن عباس إلى الكوفة فأبطؤوا عليه، ثم أتاهم عمار فخرجوا، قال زيد: فكنت فيمن خرج معه، قال: فكف عن طلحة والزبير وأصحابهم، ودعاهم حتى بدأوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف ممن كان يذب عنه، فقال علي: لا تتموا جريحا ولا تقتلوا مدبرا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن فلم يكن قتالهم إلا تلك العشية وحدها. فجاءوا بالغد يكلمون علياً في الغنيمة فقرأ علي هذه الآية، فقال: أما إن الله يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أيكم لعائشة فقالوا: سبحان الله، أمنا، فقال: أحرام هي، قالوا: نعم، قال علي: فإنه يحرم من بناتها ما يحرم منها قال: أفليس عليهن أن يعتددن من القتلى أربعة أشهر وعشرا، قالوا: بلى، قال: أفليس لهن الربع والثلث من أزواجهن، قالوا: بلى، قال: ثم قال: ما بال يتامى لا يأخذون أموالهم، ثم قال: يا قنبر، من عرف شيئا فليأخذه، قال زيد: فرد ما كان في العسكر وغيره. قال: وقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان، فقال علي: ليس عندي دم عثمان».

(١) إذ المعلوم أن الصلح يكون بين فريقين يقتتلان، فإن بغت إحداهما كان قتالاً للباغية حتى ترجع، فإن رجعت كُفَّ السلاح، وارتفع صوت الصلح بالسلم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

(٢) تماما كما كان الأمر عقب مقتل عمر بن الخطاب حين احتدم الخلاف على عبيد الله بن عمر قاتل الهرمزان، فلما استخلف عثمان، ووكل إليه النظر في شأن هذه القضية بحكم إمامته الشرعية للمسلمين، قضى فيها بقضاء فصل، رضي به من رضي، وسخط عليه من سخط، ولم يكن قتال ولا امتناع عن بيعة، ولا خروج على خليفة.

(٣) والعجيب أن من يرى أن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين إنما خرجوا للصلح، هو من يقول بيعة طلحة والزبير لعلي طائعين!

(٤) المصنف برقم ٣٨٩٨٨.

(٥) شرح معاني الآثار ٢١٢/٣. واقتصر على أوله بلفظ: «أقبل علي حتى نزل بذي قار، فأرسل عبد الله بن عباس إلى أهل الكوفة فأبطؤوا عليه ثم دعاهم عمار، فخرجوا. قال زيد: فكنت فيمن خرج معه. قال: فكف عن طلحة والزبير وأصحابهم، ودعاهم حتى بدءوا فقاتلهم».

والراجع - وهو الحق عندي إن شاء الله - أن الصحابة ممن خرج إلى البصرة في موقعة الجمل، إنما خرجوا بتأويل منهم من أجل الطلب بدم عثمان رضي الله عنه. وهو اجتهاد غير صائب، والله يغفر لهم. فلئن أرادوا الطلب بدم عثمان فليس عند عليٍّ يكون الدم بقتاله، وإنما بالمخاصمة والقضاء، فإن في قتاله اتهاماً له، إذ ليس هو بقاتله ليقاتل! ولئن أرادوا الصلح - عند من يقول بذلك - فلعمري لقد اقترفوا من المفاسد أعظم مما كان يبغون من المصالح. ولئن لم يروا القتال عند من يرى ذلك استناداً إلى ما أخرجه خليفة بن خياط^(١) بإسناد صحيح من طريق أبي رجاء العطاردي قال:

«أتيت طلحة بن عبيد الله غشيه الناس وهو على دابته فجعل يقول: يا أيها الناس أنصتوا. فجعل يركبونه ولا ينصتون. فقال: أف أف، فَرَأَش نَار، وَذَبَّان طَمَع».

وقد تأكد هذا الخبر بما جاء في الرواية السالفة: «فكف - عليٌّ - عن طلحة والزبير وأصحابهما، ودعاهم حتى بدأه فقاتلهم». قلت: فهذا الشأن بمعسكر المصلحين، وحالٍ من فيه. فما بالهم بحال معسكرٍ يجمع من المنافقين من قتلة عثمان وغيرهم كما يقولون، وهو معسكر علي!!

ومن ثم ففي كل ما سبق تأكيد ما ذهبنا إليه من قبل، وأن طلحة والزبير لم يبايعا إلا مكرهين، الأمر الذي سوَّغ لهما اجتهادهما في الطلب بدم عثمان بقتال علي ومن معه حتى يقاد لعثمان ممن قتله أو شارك في قتله. وإلا ما جاز لهما هذا الاجتهاد بحال أبداً.

والعجب من قوم خرجوا لإصلاح ذات البين ثم ينقل عنهم بعد ندمهم على ما فعلوا بعد. وهو صنيع جمهور أهل السنة - وشاركهم فيه الشيعة - حين نسبوا لعائشة، وطلحة، والزبير ندمهم على ما فعلوا. ومن وقع في هذا الأمر العجيب الإمام ابن تيمية رحمه الله! إذ يقول: «إن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها^(٢)، وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم»^(٣).

(١) تاريخه ص ١٣٦.

(٢) قلت: هذا خبر لا يصح، رواه البلاذري (أنساب الأشراف ٦٠/٣) عن محمد بن حاتم بن ميمون، وروح بن عبد المؤمن، قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى قال: حدثني من سمع عائشة تقرأ: «وقرن في بيوتكن». فبكي حتى تبل خمارها. ورواه ابن سعد (الطبقات ٧٩/١٠) عن محمد بن عمر، حدثنا سفيان الثوري، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، قال: حدثني من سمع عائشة.. بنحوه. وعلته - كما هو واضح من الطريقتين - جهالة الراوي عن عائشة.

(٣) منهاج السنة ٣١٦/٤.

الفرع الثاني قصة كلاب الحوَّاب

تكاد تتفق مصادر أهل السنة على صحة ذلك الخبر الذي أخرجه ابن أبي شيبه^(١)، وأحمد^(٢)، وابن حبان^(٣)، وغيرهم من طريق قيس بن أبي حازم، أن عائشة قالت:

«لما أتت على الحوَّاب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوَّاب؟ فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس».

ولم يكذب يثمد عنهم من أهل السنة فيما رأيت إلا ابن العربي المالكي^(٤)، إذ ذهب إلى عدم صحة هذا الخبر بحال، فقال: «وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوَّاب، فقد يؤتم في ذكرها بأعظم حوب، ما كان قط شيء مما ذكرتم، ولا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت شهادتكم بهذا الباطل وسوف تسألون».

في حين اعتبره كثيرون من دلائل نبوته ﷺ^(٥). وهذا خبر يحمل آفات ضعفه في متنه وأسانيده. فضلا عن نكارة متنه، فإن في أسانيد طرقه عللا لا يسلم منها، من ذلك:

ما أخرجه ابن أبي شيبه^(٦)، والبخاري^(٧)، والطحاوي^(٨) من طريق عصام بن قدامة الكوفي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج فتنبحها كلاب الحوَّاب، يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير، ثم تنجو بعدما قد كادت».

قلت: على الرغم من كون رجال هذا الإسناد ثقات، إلا أنه خبر منكر لا يصح. قال ابن أبي حاتم: «قال أبي: لم يرو هذا الحديث غير عصام، وهو حديث منكر. وسئل أبو زرعة عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث منكر، لا يروى من طريق غيره»^(٩).

(١) المصنف برقم ٣٨٩٢٦.

(٢) المسند ٦/٥٢، ٩٧.

(٣) صحيحه برقم ٦٧٣٢.

(٤) العواصم من القواصم ص ١٦٢.

(٥) انظر منهم: ابن عبد البر، الاستيعاب ٤/١٨٨٥، والسيوطي، الخصائص الكبرى ٢/٤٨٥.

(٦) المصنف برقم ٣٨٩٤٠.

(٧) مسند البخاري برقم ٤٧٧٧.

(٨) شرح مشكل الآثار برقم ٥٦١١.

(٩) العلل برقم ٢٧٨٧.

وكذلك ما أخرجه نعيم بن حماد^(١)، وابن أبي شيبه^(٢)، وأحمد^(٣)، وابن حبان^(٤)، والحاكم^(٥)، من طريق قيس بن أبي حازم، أن عائشة، قالت:

«لما أتت على الحوآب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوآب؟ فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس».

قلت: خبر منكر. قيس بن أبي حازم^(٦) على الرغم من ثقته وصدقه وقدمه، إلا أنه لا يُعرف له سماع من عائشة^(٧) فهو على الرغم من قدمه^(٨)، فإنه روى عن أقوام لم يلقهم^(٩). كما أن له مناكير، أحسن ما قيل فيها إنها غرائب^(١٠)، ومن مناكيره هذا الخبر. قال علي بن المديني: «قال لي يحيى بن سعيد: قيس بن أبي حازم منكر الحديث. ثم ذكر له يحيى أحاديث مناكير، منها حديث كلاب الحوآب»^(١١). قلت: ومن نكارتة أنه لا يجوز لأَم المؤمنين - وقد تذكَّرت حديثاً عن حبيبها رسول الله ﷺ يذم هذا الموقف الذي كانت فيه - أن تخالف قوله. ثم كيف بالزبير حوارى رسول

(١) الفتن برقم ١٨٨.

(٢) المصنف برقم ٣٨٩٢٦.

(٣) المسند ٦/٥٢، ٩٧.

(٤) صحيح ابن حبان برقم ٦٧٣٢.

(٥) المستدرک ٣/١٢٠.

(٦) قال يعقوب بن شيبه: «وقيس من قدماء التابعين، يكنى أبا عبد الله، وقد روى عن أبي بكر الصديق فمن دونه، وأدركه وهو رجل كامل، ويقال إنه ليس أحد من التابعين جمع أن روى عن العشرة مثله، إلا عبد الرحمن بن عوف فإننا لا نعلمه روى عنه شيئاً. ثم قد روى بعد العشرة عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ وكبرائهم، وهو متقن الرواية، وقد تكلم أصحابنا فيه، فمنهم من رفع قدره وعظمه وجعل الحديث عنه من أصح الإسناد، ومنهم من حمل عليه، وقال: له أحاديث مناكير. والذين أطروه يحملون هذه الأحاديث عنه على أنها عندهم غير مناكير، وقالوا: هي غرائب. ومنهم من لم يحمل عليه في شيء من الحديث، وحمل عليه في مذهبه، وقالوا: كان يحمل على علي رحمه الله، وعلى جميع الصحابة، والمشهور عنه أنه كان يقدم عثمان، ولذلك تجنب كثير من قدماء الكوفيين الرواية عنه. ومنهم من قال عنه: إنه مع شهرته لم يرو عنه كبير أحد. وليس الأمر عندنا كما قال هؤلاء». انظر: تاريخ دمشق ٤٩/٤٩، ٤٦٢، وتهذيب الكمال ٢٤/١٤.

(٧) راجع تاريخ دمشق ٤٩/٤٩-٤٥٩، والعلل لابن المديني ص ٨٦-٩١.

(٨) فقد روى عن أبي بكر والعشرة عدا عبد الرحمن بن عوف.

(٩) انظر: المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٦٨، تهذيب الكمال ٢٤/١٠، وتاريخ الإسلام ٢/١١٥٩.

(١٠) راجع مقالة يعقوب بن شيبه في حاشية سبقت منذ قليل.

(١١) تاريخ دمشق ٤٩/٤٦٤، وتهذيب الكمال ٢٤/١٤.

الله ﷺ يسمع ذلك من أم المؤمنين ثم يرى رأيه خيرا من رأي رسول الله ﷺ؟! فلست أشم من هذا الخبر غير ریح من أراد شين صحابة رسول الله ﷺ. فهذا عندي خبر مرسل. يؤكد ذلك أن صيغة رواية هذا الخبر جاءت في بعض مصادر التخریج بلفظ: «عن إسماعيل، حدثنا قيس قال: لما أقبلت عائشة». فتأمل هذه الصيغة لرجل لم يشهد الجمل^(١).

قلت: ويبدو أن هذا الخبر مشتهر منذ القدم، فقد أخرج عبد الرزاق^(٢) - ومن طريقه نعيم بن حماد^(٣) - عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه:

«أن النبي ﷺ قال لنسائه: أيتكن تنبجها كلاب ماء كذا وكذا يعني الحوآب. فلما خرجت عائشة إلى البصرة نبحتها الكلاب، فقالت: ما اسم هذا الماء؟ فأخبروها. فقالت: ردوني. فأبى عليها ابن الزبير».

قلت: وهذا خبر مرسل عن النبي ﷺ إرسال قيس عن عائشة.

وعليه أكرر، أن في قبول خبر كهذا وجوب اتهام عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم أجمعين. إذ لا يجوز لأم المؤمنين وقد تذكرت حديثا عن حبيبها رسول الله ﷺ يذم هذا الموقف الذي كانت فيه أن تخالف قوله! ثم كيف بالزبير حوارى رسول الله ﷺ يسمع ذلك من أم المؤمنين ثم يرى رأيه خيرا من قول رسول الله ﷺ؟!!

الفرع الثالث

حديث: «لتقاتلنه وأنت له ظالم»

وهو ما روي أن عليا قال للزبير يوم الجمل:

«هل سمعت رسول الله ﷺ يقول لتقاتلنه وأنت له ظالم قال اللهم نعم وما ذكرت ذلك قبل موقعي هذا ثم ولى منصرفا».

لا يصح في باب هذا الخبر شيء^(٤)، على الرغم من أنه روي من أوجه عدة، إلا أنه لا يصح منها وجه واحد^(٥). وقال بذلك جملة من أهل العلم، على رأسهم العقيلي في قوله: ولا يروى هذا

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٩ / ٤٦٠.

(٢) المصنف ١١ / ٣٦٥.

(٣) الفتن برقم ١٨٩.

(٤) إلا في باب مقتله في هذا اليوم، فقد روى البخاري (صحيحه برقم ٣١٢٩) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقممت إلى جنبه فقال يا بنى، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأقتل اليوم مظلوما..

(٥) مختصر استدراك الذهبي ٤ / ٢٠٧٠ - ٢٠٧٧، والمطالب العالية ١٨ / ١٣٤، وما بعدها.

المتن من وجه يثبت. وقد استوفى تخرجه وتحقيقه محقق (مختصر استدراك الذهبي)^(١)، ومحقق المطالب العالية^(٢) بما يغني عن إعادة القول فيه.

فلم يصح في باب هذا الخبر شيء اللهم إلا في باب مقتله ﷺ في هذا اليوم، فقد روى البخاري^(٣) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال:

«لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمتم إلى جنبه فقال يا بنى، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأقتل اليوم مظلوما..».

الفرع الرابع

قصة قتل مروان بن الحكم لطلحة ﷺ

وأما ما روي في قتل مروان لطلحة، فإنه أيضا لم يصح في ذلك خبر. ونقل عن أحمد ما يفيد شكه في هذا القول، وذلك فيما رواه الخلال من طريق مهنّي قال: «سألت أحمد عن طلحة بن عبيدالله من قتله؟ قال: يقولون مروان»^(٤).

ومن أبرز مرويات هذا الشأن:

ما أخرجه ابن سعد^(٥)، وابن أبي شيبة^(٦)، وخليفة بن خياط^(٧)، والبلاذري^(٨) من طريق إسماعيل بن أبي خالد قال: أخبرني قيس بن أبي حازم قال:

«رمى مروان بن الحكم طلحة يوم الجمل في ركبته فجعل الدم يغذو يسيل، فإذا أمسكوه استمسك، وإذا تركوه سال، قال: والله ما بلغت إلينا سهامهم بعد، ثم قال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، فمات فدفنوه على شط الكلاء، فرأى بعض أهله أنه قال: ألا تريحوني من هذا الماء، فإني قد غرقت ثلاث مرات، يقولها، فنبشوه من قبره أخضر كأنه السلق، فنزفوا عنه الماء ثم استخرجوه، فإذا ما يلي الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض، فاشتروا دارا من دور أبي بكر فدفنوه فيها».

(١) مختصر استدراك الذهبي على مستدرک الحاكم، لابن الملتن، تحقيق عبد الله بن حمد اللحيان ٤ / ٢٠٧٠-٢٠٧٧.

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر (١٨ / ١٣٤)، وما بعدها) حقق هذا الجزء: عبد القادر ابن عبد الكريم جوندل.

(٣) صحيح البخاري برقم ٣١٢٩.

(٤) السنة برقم ٨٣٩.

(٥) الطبقات ٣ / ٢٠٤.

(٦) المصنف بأرقام ١٢٢٢٢، ٣١٢١٩، ٣٨٩٢٥، ٣٨٩٥٨.

(٧) تاريخه ص ١٣٩.

(٨) أنساب الأشراف ١٠ / ١٢٦.

ولفظ البلاذري:

«قال مروان بن الحكم يوم الجمل: لا أطلب أحدًا بثأري في عثمان بعد اليوم. فرمى طلحة بسهم فأصاب ركبته فكان الدم يسيل، فإذا أمسكوا ركبته انتفخت، فقال: دعوه فإنما هو سهم أرسله الله، اللهم خذ لعثمان مني حتى يرضى».

وخالف الطبراني^(١)، والحاكم^(٢) في رواية هذا الخبر فروياه بإسنادهما إلى إسماعيل بن أبي خالد قال: أخبرني قيس بن أبي حازم قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة..

قلت: سبق أن قيس بن أبي حازم لم يشهد الجمل. وصيغة رواية الخبر تدل على أنه مرسل. أما ما ورد في إسنادي الطبراني، والحاكم فلا يصح، وهو مخالف للمحفوظ من هذا الخبر. فقد روياه من طريق يحيى بن سليمان الجعفي عن وكيع عن إسماعيل به. وقد وهم فيه يحيى بن سليمان^(٣)، فإن المحفوظ عن وكيع كما أخرجه من طريقه ابن أبي شيبة، والبلاذري^(٤) من غير لفظة «رأيت» هذه.

وأخرج ابن سعد^(٥)، والبلاذري^(٦)، والحاكم^(٧) من طريق ابن عون، عن نافع قال:

«كان مروان مع طلحة في الخيل فرأى فرجة في درع طلحة فرماه بسهم فقتله».

ومتن الحاكم:

«طلحة بن عبيد الله قتله مروان بن الحكم».

وأخرج ابن سعد^(٨) عن موسى بن إسماعيل، قال: حدثني جويرية بن أسماء، عن نافع، قال:

«ضرب مروان يوم الدار ضربة جدت أذنيه، فجاء رجل، وهو يريد أن يجهز عليه. قال: فقالت له أمه: سبحان الله، تمثل بجسد ميت، فتركه. قالوا: فلما قتل

(١) المعجم الكبير برقم ٢٠١.

(٢) المستدرک ٣/٣٧٠.

(٣) فهو صدوق يخطئ، كما أنه صاحب مناكير، ربما أعرب. انظر: الثقات لابن حبان ٩/٢٦٣، وتهذيب الكمال ٣١/٣٧١، والتقريب لابن حجر.

(٤) راجع التخريج.

(٥) الطبقات الكبير ٣/٢٠٤.

(٦) أنساب الأشراف ١٠/١٢٦.

(٧) المستدرک ٣/٣٧٠.

(٨) الطبقات ٧/٤٢.

عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم ، فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا ، فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا ، فقال : والله ، إن دم عثمان إلا عند هذا ، هو كان أشد الناس عليه ، وما أطلب أثرا بعد عين ، ففوق له بسهم ، فرماه به فقتله ، وقاتل مروان أيضا حتى ارتث ، فحمل إلى بيت امرأة من عنزة ، فداووه ، وقاموا عليه ، فما زال آل مروان يشكرون ذلك لهم» .

قلت : ونافع مولى ابن عمر لم يشهد الجمل ، إذ لم يشهد ابن عمر شيئا من حروب هذه الفتنة .

وأخرج خليفة بن خياط^(١) ، وابن أبي خيثمة^(٢) ، والخلال^(٣) من طريق قتادة ، عن الجارود بن أبي سبرة الهذلي قال :

«نظر مروان إلى طلحة يوم الجمل فقال لا أطلب بثأري بعد اليوم . فرماه بسهم فقتله» .

قتادة مدلس ، وقد عنعن . وليس لقتادة عن الجارود غير هذا الخبر فيما رأيت . وحين سئل أحمد عن هذا الإسناد قال : ما أدري^(٤) .

وأخرج ابن سعد^(٥) ، وخليفة بن خياط^(٦) ، والبلاذري^(٧) ، والخلال^(٨) من طريق حماد بن زيد عن قرّة بن خالد عن ابن سيرين قال :

«إن مروان رمى طلحة لما جال الناس يوم الجمل بسهم فأصابه فقتله» .

إسناده منقطع بين ابن سيرين فإنه لم يدرك الجمل .

(١) تاريخه ص ١٣٥ ، ١٣٩ .

(٢) تاريخه ٧٦/٢ برقم ١٨٠٠ .

(٣) السنة برقم ٨٣٩ .

(٤) السنة برقم ٨٣٩ .

(٥) الطبقات ٣/٢٠٤ .

(٦) تاريخه ص ١٣٩ .

(٧) أنساب الأشراف ١٠/١٢٧ .

(٨) السنة للخلال برقم ٨٣٩ .

وأخرج البخاري في تاريخه^(١)، والحاكم^(٢) من طريق شريك بن الخطاب حدثني عتبة بن صعصعة بن الأحنف عن عكراش قال:

«كنا نقاتل علياً مع طلحة و معناه مروان قال: فانهزنا قال: فقال مروان: لا أدرك بثأري بعد اليوم من طلحة قال: فرماه بسهم فقتله».

لا يصح، في إسناده من لا يعرف حاله. قال البخاري: «عكراش بن ذؤيب روى عنه ابنه عبيد الله، ولم يصح إسناده»^(٣).

قلت: وكأن هذه الأخبار وضعت لشين بني أمية من قبل منافسيهم ممن يبغضونهم.

المطلب الثالث

صِفِين وقضية التحكيم

كثرت لغظ كثير من المؤرخين والأخباريين قديماً وحديثاً حول ما جرى في صفين من رفع المصاحف والدعوة إلى التحكيم. فجعل بعضهم من هذا الأمر حيلة من حيل الصحابي عمرو بن العاص ووسموه بالكيد والمكر. كما أظهر بعضهم أن علياً أُجبر على قبول التحكيم، وأنه لم يكن يرضى بأبي موسى الأشعري حكماً فأجبر عليه، وأن التحكيم انتهى إلى اختلاف الصحابة بالسب والإهانة..

ولا شك أن كل تلك التفسيرات تستند إلى مرويات تحتاج منا إلى فحص وتمحيص.

أما فيما يخص رفع المصاحف وتحليل عمرو بن العاص وكون علياً أُجبر على التحكيم. فهذا لا يصح منه شيء، ومن أهم ما يستند إليه أصحاب هذا التفسير:

ما أخرجه النسائي^(٤) من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن علقمة بن قيس قال:

«قلت لعلي: تجعل بينك وبين ابن آكلة الأكباد حكماً؟ قال: إني كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو علمنا أنه رسول الله ما قاتلناه، أمها. فقلت: هو والله رسول الله، وإن رغم أنفك، لا والله لا أمها. فقال رسول الله ﷺ: أرني مكانها. فأريته، فمحاها، وقال: أما إن لك مثلها ستأتيها وأنت مضطر».

(١) التاريخ الكبير ٨٩ / ٧.

(٢) المستدرک ٣ / ٣٧٠.

(٣) التاريخ الكبير ٨٩ / ٧.

(٤) السنن الكبرى برقم ٨٥٢٣.

قلت: محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وقد دلسه عن بريدة بن سفيان بن فروة. فقد أخرج ابن عدي^(١) من طريق محمد بن إسحاق، عن بريدة بن سفيان بن فروة، عن محمد بن كعب القرظي عن علقمة بن قيس قال:

«لما حَكَّم عليُّ الحَكَمين يوم صفين، كتب الكتاب، وكتب: هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان فقال معاوية: لو شهدت أنك أمير المؤمنين ما قاتلتك».

وسبق أن بريدة بن سفيان ضعيف، قال الدارقطني فيه متروك.

وأخرج ابن سعد^(٢) عن محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمرو بن الحكم قال:

«لما التقى الناس بدومة الجندل قال ابن عباس للأشعري: احذر عمرا، فإنها يريد أن يقدمك، ويقول: أنت صاحب رسول الله ﷺ وأسن مني، فكن متديرا لكلامه، فكانا إذا التقيا يقول عمرو: إنك صحبت رسول الله ﷺ قبلي وأنت أسن مني فتكلم، ثم أتكلم وإنما يريد عمرو أن يقدم أبا موسى في الكلام ليخلع علياً، فاجتمعا على أمرهما، فأراه عمر و علي معاوية، فأبى، وقال أبو موسى: عبد الله بن عمر. فقال عمرو: أخبرني عن رأيك، فقال أبو موسى: أرى أن نخلع هذين الرجلين، ونجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين، فيختارون لأنفسهم من أحبوا. قال عمرو: الرأي ما رأيت. فأقبلا على الناس وهم مجتمعون، فقال له عمرو: يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع، فتكلم أبو موسى، فقال أبو موسى: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح به أمر هذه الأمة، فقال عمرو: صدق وبر ونعم الناظر للإسلام وأهله، فتكلم يا أبا موسى، فأتاه ابن عباس، فخلا به، فقال: أنت في خدعة ألم أقل لك: لا تبدأه، وتعقبه؟ فإني أخشى أن يكون أعطاك أمرا خاليا، ثم ينزع عنه على ملا من الناس واجتمعتهم، فقال الأشعري: لا تخش ذلك، قد اجتمعنا واصطلحنا فقام أبو موسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هو أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أن لا نبتز أمورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك عن رضى منها وتشاور، وقد اجتمعت أنا وصاحبى على أمر واحد على خلع علي ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيكون شورى بينهم يولون منهم من أحبوا عليهم وإني قد خلعت عليا ومعاوية، فولوا أمركم من رأيتم، ثم تنحى. فأقبل عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى

(١) الكامل ٦١ / ٢.

(٢) الطبقات ٧٧-٧٨ / ٥.

عليه ، ثم قال: إن هذا قد قال ما قد سمعتم ، وخلع صاحبه وإني أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية ، فإنه ولي ابن عفان، والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه. فقال سعد بن أبي وقاص: ويحك يا أبا موسى ما أضعفك عن عمرو ومكائده، فقال أبو موسى: فما أصنع جامعني على أمر ثم نزع عنه، فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى، الذنب لغيرك للذي قدمك في هذا المقام، فقال أبو موسى: رحمك الله غدرني فما أصنع؟ وقال أبو موسى لعمرو: إنما مثلك كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال له عمرو: إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا، فقال ابن عمر: إلام صيرت هذه الأمة، إلى رجل لا يبالي ما صنع وآخر ضعيف؟ وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لو مات الأشعري من قبل هذا كان خيرا له».

خبر موضوع، سبق أن أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة متروك، متهم بالوضع. وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، متروك متهم كذلك قال أحمد لا تحل الرواية عنه^(١). وقد روى الطبري^(٢) نحوه بإسناد تالف عن أبي مخنف، عن أبي جناب الكلبي.

والحق في هذه القضية أن شيئا من ذلك لم يحدث، بل هو من تأويلات أصحاب الأهواء المغرضة. ذلك أن عمرا لما أشار بهذا الرأي في رفع المصاحف لم يظهر فيها صح من مرويات هذا الشأن أن يحتال أو يكيد أو يمكر. كما أن عليا لم يجبر على التحكيم بل كان مسارعا إليه برغبة منه. دل على ذلك كله تلك الرواية التي صحت في هذا الباب، وهي ما أخرجها ابن أبي شيبة^(٣)، وأحمد^(٤)، والبخاري^(٥)، وابن زنجويه^(٦) من طريق عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

«أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان، فيما استجابوا له، وفيما فارقه، وفيما استحل قتالهم، قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل، فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي:

(١) تهذيب الكمال ٤٤٦/٢.

(٢) تاريخه ٧٠-٧١.

(٣) المصنف برقم ٣٩٠٦٨، والخبر فيه أطول فراجع.

(٤) المسند ٤٨٥-٤٨٦/٣.

(٥) صحيحه برقم ٤٨٤٤.

(٦) الأموال برقم ٦٥٦.

نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما نتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس اتمموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالا لقاتلنا..».

وهكذا فأهم ما نخلص منه في هذا الفصل: أن الوضع تغلغل في ثنايا مرويات ظن البعض صحتها لظاهر إسنادها، ولكن تبين عند الدراسة والبحث كيف أنها لا يمكن أن تصح بحال، لتعارضها واضطرابها، وعدم إمكان التوفيق بينها لتنافر ما بينها، فكان من العلل ما خفي، ومنها ما جَلَّ، على حسب كل رواية، إلا أن أهم ما ينبغي ذكره في تلك الخلاصة، أن أكثر أسباب الوضع عند أهل السنة إنما جاءت من باب الوهم والغفلة والنسيان، مقابلة مع ما رُدَّ لتهمة الكذب العمد. وذلك بعكس ما سوف يأتي في الفصل التالي.



الفصل الرابع

أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند الشيعة

مدخل:

أفاضت كتب الفرق والتواريخ في بيان أمر التشيع وتفصيل القول فيه. وهذا أمر أرى أنه لا يتم بيانه وتعريف شأنه على الوجه، إلا بعد تفصيل القول في أصناف أهله، ومن ثم يسهل تبين أثرهم في رواية الأخبار والتاريخ، وأثر الوضع في تلك الرواية، والبحث عن أسبابه، ومظاهره، وأطواره، ثم يتبع عرض نماذج من فترة الخلافة الراشدة محل الدراسة.

إن التشيع المعروف بصوره المذهبية الآتي الحديث عنها لم يظهر فجأة، بل تعددت أطواره - طورا بعد طور - واختلفت أسباب كل طور، مما كان لذلك أثره في الرواية فهو ليس على صورة واحدة، ولا على طور واحد.

من المعلوم أن ما يميز أهل السنة عن الشيعة تفضيل أبي بكر على عمر، وعمر على عثمان، وعثمان على علي رضي الله عنهم أجمعين. ولأهل السنة من الأدلة على ذلك ما أفاضت كتب الفرق في ذكره، وأشهر الأدلة عندهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نُخَيَّرُ بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فَنُخَيَّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»^(١). وفي رواية: «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدّل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم»^(٢). وهذا ما كان عليه الصحابة حتى نشبت الفتنة، وتفرّق الناس شيعا. وهذا هو الفارق الأول المتفق عليه بين أهل السنة كافة والشيعة عامة. ولو كان للتشيع بمعناه المذهبي وجود قبل الفتنة لَمَا اجتمعت الأمة راضية على أبي بكر، ومن بعده على عمر، ومن بعده على عثمان، من غير نكير من أحد.

إذن فالتشيع بمعناه المذهبي لا يمكن أن نلمس له أثرا في عصر ما قبل الفتنة إلا في معناه اللغوي النابع من العصبية النَّسَبِيَّة، أو القَبَلِيَّة، أو العَقَدِيَّة. ومن يقول بغير ذلك فهو مغالط لحقائق التاريخ وما دلّ عليه صحيح الأخبار في هذا الباب.

إن المتأمل في تاريخ التشيع - بمعناه المذهبي - يمكن أن يميز بوضوح بين ثلاثة أطوار للتشيع أفرزت لنا تبعا لذلك ثلاثة أصناف للشيعة، هي: الشيعة الأولى، والتشيع الغالي، والتشيع الرافضي. وهم جميعا يتسمون بانحرافهم عن بني أمية. وكان من جراء ذلك تشويههم إياهم، إما بوضع الكذابين والمتهمين منهم الأخبار في ذمهم وشينهم، أو بتدليس بعض الثقات منهم عن الضعفاء بما يشينهم، أو بالتأويل الباطل لما يصح بما لا يصح.

هذا، ويمكن تفصيل الحديث عن هذا الأمر على النحو التالي:

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٥٥.

(٢) المصدر نفسه برقم ٣٦٩٧.

المبلى الأول

الشيعة الأولى

بدأ هذا الطور من التشيع في عهد عليٍّ عليه السلام نفسه بما عرف عند أهل السنة بهذا الاسم: (الشيعة الأولى). وهم أولئك الذين فضلوا علياً على عثمان، مع تفضيلهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما على الصحابة جميعاً. وكان أهل الصدر الأول يميّزون بينهم بقولهم: شيعي، وعثماني. ولو لم يكن لهذه التقسمة ما تدل عليه لَمَا صار لها معنى.

روى يحيى بن معين عن المبارك بن سعيد، عن أبي الجحاف قال: «أدركت الشيعة الأولى، والغالي فيهم الذي يفضل علياً على أبي بكر، وعمر»^(١).

وروى اللالكائي من طريق ابن شوذب عن ليث بن أبي سليم قال: «أدركت الشيعة الأولى ما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً»^(٢).

وقال ابن خلكان: «كان - يحيى بن يعمر - شيعياً من الشيعة الأولى القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم»^(٣).

ويقول ابن تيمية: «كانت الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان النزاع في علي وعثمان. ولهذا قال شريك بن عبد الله: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر. فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا. وهو الذي قال هذا على أعواد منبره أفنكذبه فيما قال؟ ولهذا قال سفيان الثوري: من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»^(٤).

ويقول ابن حجر: «التشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليٍّ على عثمان، وأن علياً كان مصيباً في حروبه وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما»^(٥).

(١) معرفة الرجال ٢ / ٢٤.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٢٤٧١.

(٣) وفيات الأعيان ٦ / ١٧٣.

(٤) الفتاوى ١٣ / ٣٤.

(٥) تهذيب التهذيب ١ / ٦٣.

ومن أوائل أولئك الشيعة الأولى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية الذي صح عنه أنه قال: «قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين»^(١).

وسبب نشأة هذا الطور بهذه الصورة المذهبية ما نقمه بعضهم على عثمان في أواخر خلافته. وإلا ما اتفقوا عليه إماماً لهم من قبل وهم راضون بإجماع يكاد لا يُعرف له مثيل في تاريخ الإسلام. وهو ما ظهر معناه في قول عبد الرحمن بن عوف يوم استخلاف عثمان: «يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان»^(٢).

وهذا الصنف من التشيع وإن كان يخالف ما عليه أهل السنة تجاه الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة، إلا أن أهل السنة لم يتهموا أصحاب هذا المذهب، بل اتفقوا على عدالتهم، وصدق من صدق منهم، وشهدوا بإيمانهم، فلم يُفسقوهم أو يُبدعوهم، فقبلوا منهم مروياتهم. بل منهم من اعتبر أصحاب هذا المذهب من جملة أهل السنة، وأنه من جملة الخلاف السائغ بينهم، بما لا ينكر بعضهم على بعض فيه.

يقول ابن تيمية: «بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل. فقدّم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربّعوا بعلي. وقدّم قوم علياً، وقومٌ توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان. وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلُّ المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. لكن المسألة التي يضلُّ المخالف فيها هي (مسألة الخلافة)، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله»^(٣).

ويقتضي موضوع هذه الرسالة - من حيث الرواية التاريخية - أن يُقسّم هذا الصنف بدوره قسمين: أصحاب الإسناد، وأصحاب الانتخاب والسرود.

(١) صحيح البخاري برقم ٣٦٧١.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٢٠٧.

(٣) الفتاوى ١٥٣/٣.

المطلب الأول أصحاب الإسناد

ومرويات هؤلاء تختلط بأسانيد أهل السنة، يروونها عنهم، ويقبلون منها ويردون، تبعا لمنهاج أهل الرواية المتبع في هذا الباب.

ويلاحظ أن مرويات هذا الباب إنما تُؤْتَى غالبا من قبل التدليس، والانقطاع، والإرسال، والنكارة، والشذوذ.. فتلك أبرز السبل التي تجوز عن طريقها ما لا يصح من المرويات الباطلة والموضوعة ونحو ذلك. يقول أبو إسحاق الجوزجاني: «كان قوم من أهل الكوفة لا يحمّد الناس مذاهبهم - يعني التشيع - هم رؤوس محدثي الكوفة، مثل أبي إسحاق عمرو بن عبد الله^(١)، ومنصور^(٢)، والأعمش^(٣)، وزبيد بن الحارث الياامي^(٤)، وغيرهم من أقرانهم، احتملهم الناس على صدق ألسنتهم في الحديث، ووقفوا عندما أرسلوا لما خافوا أن لا تكون مخارجها صحيحة. فأما أبو إسحاق فروى عن قوم لا يُعرفون ولم ينتشر عنهم عند أهل العلم إلا ما حكى أبو إسحاق عنهم. فإذا روى تلك الأشياء التي إذا عرضتها الأمة على ميزان القسط الذي جرى عليه سلف المسلمين وأئمتهم الذين هم الموثل لم تتفق عليها كان الوقف في ذلك عندي الصواب.. وقال وهب بن زمعة: سمعت عبد الله^(٥) يقول: إنما أفسد حديث أهل الكوفة الأعمش وأبو إسحاق - يعني للتدليس -»^(٦).

ساعد على رواج مثل هذه المرويات عندهم تساهل أصحاب هذا المذهب في الرواية التاريخية عامة بمنهاجه المعروف عنهم قديما^(٧)، وتسامحهم في مثل هذه المرويات المتشعبة خاصة.

(١) هو السَّيِّعِي. سيأتي.

(٢) هو: منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلميّ، قال العجلي: كوفي ثقة ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة.. متعبد رجل صالح.. كان فيه تشيع قليل ولم يكن بغال. قال ابن سعد: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر: معرفة الثقات، للعجلي ٢/٢٩٩، والطبقات الكبير لابن سعد ٨/٤٥٦، وتهذيب الكمال ٢٨/٥٤٦.

(٣) سيأتي.

(٤) هو: زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن عمرو بن كعب الياامي - ويقال الإياامي أيضا - أبو عبد الرحمن - ويقال أبو عبد الله الكوفي - روى عن إبراهيم بن يزيد النخعي، وشقيق بن سلمة. كان ثقة ثبتا. قال ابن حبان: كان من العباد الخشن مع الفقه في الدين ولزوم الورع الشديد. مات سنة ١٢٢ هـ انظر الأنساب ١/٣٩٩، والثقات لابن حبان ٦/٣٤١، وتهذيب الكمال ٩/٢٨٩.

(٥) هو عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ).

(٦) أحوال الرجال، للجوزجاني ص ١٢٣-١٢٥، وتهذيب التهذيب، لابن حجر ٤/٣٥٨.

(٧) وسبق الحديث عن ذلك في قضية معنى التساهل في الرواية التاريخية.

ومن أبرز من رأيته يمثل أصحاب هذا المطلب من الشيعة الأولى:

- أبو نضرة المنذر بن مالك بن قِطعة البصري: روى عن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس.. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث في ثورته سنة ٨٢هـ. وكان أبو نضرة من شيعة علي^(١). وهو على الرغم من توثيقه فإن له مرويات منكرة في حق عثمان، رواها عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الذي لم يرو عنه غير أبي نضرة. توفي سنة ثمان أو تسع ومائة^(٢).

- أبو إسحاق السَّبيعي عمرو بن عبد الله الكوفي: قيل إنه ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه. وكان ثقة، إلا أنه تغير بأخرة. توفي سنة ١٢٧هـ. وقيل غير ذلك^(٣). ومما روي عنه قوله: «خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون»^(٤).

- سالم بن عبد الواحد المرادي الأنعمي، أبو العلاء الكوفي: روى عن: الحسن البصري.. وممن روى عنه: وكيع بن الجراح.. قال أبو عبيد الآجري: «سألت أبا داود عن سالم المرادي فقال كان شيعيا»^(٥). قلت: وقد اختلف في تضعيف روايته^(٦). ومن أهم مروياته حديث: «إني لست أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا بالذين من بعدي - يشير إلى أبي بكر وعمر - واهدوا هدي عمار، وعهد ابن أم عبد»^(٧). وليس يصح.

- عوف بن أبي جميلة الأعرابي، أبو سهل، البصري: كان من الثقات في الرواية. وقال ابن سعد وغيره: كان يتشيع^(٨). مات سنة ١٤٦هـ^(٩). من مروياته: «أن أم سلمة، حدثته قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يوما إذ قالت الخادم: إن عليا وفاطمة بالسُّدَّة»^(١٠)، قالت: فقال لي: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي. قالت: فقممت فتنحيت في البيت قريبا، فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيين، فوضعهما في حجره، فقبلهما. قال: واعتنق

(١) المنتخب من ذيل المذيل، للطبري ص ٦٦٤.

(٢) الثقات لابن حبان ٥/٤٢٠.

(٣) انظر تهذيب الكمال ٢٢/١٠٢.

(٤) منهاج السنة، لابن تيمية ٦/١٣٥-١٣٦.

(٥) سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود برقم ٣٧٥.

(٦) انظر تهذيب الكمال ١٠/١٦٠.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٨٢. والترمذي في الجامع برقم ٣٦٦٣.

(٨) الطبقات ٩/٢٥٧.

(٩) الطبقات ٩/٢٥٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٧/٥٨.

(١٠) السُّدَّة، بالضم: باب الدار. والسُدَّة في كلام العرب: الفناء. انظر تاج العروس ٨/١٨٢.

علياً بإحدى يديه، وفاطمة باليد الأخرى، فقبل فاطمة وقبل علياً، فأغدف^(١) عليهم خيصة سوداء، فقال: اللهم إليك، لا إلى النار، أنا وأهل بيتي. قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله؟ فقال: وأنت^(٢). وليس يصح.

- سليمان بن مهران، الأعمش: أبو محمد الكوفي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس. كان مولده أول سنة إحدى وستين. مات سنة سبع وأربعين أو ثمان وأربعين ومائة^(٣). قال ابن معين: كان يتشيع. وقال أحمد: لم يبلغنا أنه كان في تشيعه ينتقص أحداً من السلف^(٤).

- أحمد بن شعيب بن علي النسائي: صاحب السنن. ولد سنة ٢١٥ هـ. كان من الأئمة الحفاظ الأثبات. توفي سنة ٣٠٣ هـ. قال الذهبي: «وهو جارٍ في مضمار البخاري، وأبي زرعة، إلا أن فيه قليل تشيع وانحراف عن خصوم الامام علي، كعواوية وعمرو^(٥). ومن تصانيفه الدالة على ما ذكر الذهبي، كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)^(٦) الذي أفرده في ذكر فضائل علي رضي الله عنه. وقد تساهل في مرويات هذا الكتاب ما لم نره في بقية كتبه، فأدخل فيه الكثير من تلك المرويات التي لا تصح.

- الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه: يعرف بابن البيع. قال الخطيب البغدادي: «كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة^(٧). توفي سنة ٤٠٥ هـ. وكتابه (المستدرک على الصحيحين) مشحون بتلك الأباطيل التي أنكرها عليه علماء الرواية. روى الخطيب عن إبراهيم بن محمد الأرموي بنيسابور قال: «جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم، يلزمها إخراجها في صحيحهما.. فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك، ولم يلتفتوا فيه إلى قوله، ولا صوبوه في فعله^(٨). وأتهم الحاكم بالرفض إلا أن الذهبي نفى عنه ذلك قائلاً: كلا ليس هو رافضياً، بلى يتشيع^(٩). قلت: والأمر كما قال. ذلك أن الرجل أخرج في كتابه (المستدرک) فضائل عثمان، وجعله في ترتيبه بعد أبي بكر، وعمر، ثم رَّبَع بعلي رضي الله عنهم أجمعين.

(١) أغدف: أسبغ. انظر تاج العروس ٢٤ / ٢٠١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦ / ٢٩٦.

(٣) تقريب التهذيب برقم ٢٦١٥.

(٤) إكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي ٦ / ٩٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤ / ١٣٣.

(٦) وهو جزء من كتابه الكبير (السنن الكبرى) وقد أفرده بعض المحققين والناشرين بالتحقيق والنشر.

(٧) تاريخ مدينة السلام ٣ / ٥٠٩.

(٨) تاريخ مدينة السلام ٣ / ٥١٠.

(٩) سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٤.

وعامة الأُول من أهل الكوفة من هذا الباب. روى الخلال عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: «أهل الكوفة يفضلون علياً على عثمان..»^(١). ورَوَى عن أحمد أيضاً: «أهل الكوفة كلهم يفضّلون»^(٢). قلت: وذلك قبل أن يفشو فيهم الغلو والرفض.

وأما عن أبرز مرويات هذه الطائفة وأثر الوضع فيها:

١. ما أخرجه الحاكم^(٣) وغيره من طريق أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال^(٤):

«.. لما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه فقال ناس من الأنصار فأتوا به فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وخنتته، أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاؤوا به فقال: ابن عمه رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال مثل قوله لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه»..

وقد سبق استيفاء تحريجه وتفصيل القول فيه، وأنه لا يصح.

٢. وأخرج النسائي في مسند علي^(٥)، وأبو يعلى^(٦)، والمحاملي^(٧) - ومن طريقه الخطيب^(٨)، وابن

عساكر^(٩) - والضياء المقدسي^(١٠)، من طريق الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن سالم بن أبي

الجعد، عن عبد الله بن سبع قال^(١١):

«خطبنا علي بن أبي طالب فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه - يعني لحيته من دم رأسه - قال: فقال رجل: والله لا يقول ذاك أحد إلا أبرنا عترته فقال: أذكر الله أو أنشد الله أن تقتل بي إلا قاتلي. فقال رجل: ألا

(١) السنة، للخلال، برقم ٥٦٩.

(٢) المصدر نفسه برقم ٥٦٨.

(٣) سبق تحريجه.

(٤) المتن لأحمد.

(٥) انظر تهذيب الكمال ١٥/٥-٦.

(٦) مسنده برقم ٥٩٠.

(٧) أماليه برواية ابن البيع برقم ١٥٠، ١٩٨.

(٨) تاريخ بغداد ١٣/٥٧ (١٣/٥٢٠ ط بشار).

(٩) تاريخ دمشق ٤٢/٥٤٠.

(١٠) الأحاديث المختارة برقم ٥٩٥.

(١١) المتن متن أبي يعلى.

تستخلف يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ قالوا: فما تقول لله إذا لقيتَه؟ قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ثم توفيتني وتركتك فيهم فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم».

ورواه ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبه^(٢)، وأحمد^(٣)، وابن أبي الدنيا^(٤)، وأبو يعلى^(٥)، وابن عساكر^(٦)، والضياء المقدسي^(٧)، من طريق الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن سبيع، قال: سمعت علياً.. الخبر بنحوه.

ورواه أحمد^(٨)، والخُلدي^(٩)، وابن عساكر^(١٠)، من طريق سلمة بن كهيل، عن عبد الله بن سبيع، قال: خطبنا علياً.. بنحوه.

ورواه البزار^(١١)، والبيهقي^(١٢)، وابن عساكر^(١٣) من طريق عمار بن رزيق، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: قال علي.. بنحوه. وقال الدارقطني^(١٤): «ولم يضبط - يعني عماراً - إسناده وقال في متن الحديث مقال عبد الله بن سبيع».

ورواه أبو الشيخ^(١٥)، وابن عساكر^(١٦)، من طريق حكيم بن جبير عن سالم بن أبي الجعد، عن علي قال.. بنحوه^(١٧). قال ابن عساكر: «سالم لم يسمعه من علي وإنما يرويه عن عبد الله بن سبيع».

(١) الطبقات ٣/٣٢.

(٢) المصنف برقم ٣٨٢٥٣.

(٣) المسند ١/١٣٠.

(٤) مقتل علي ص ١٩.

(٥) مسنده برقم ٣٤١.

(٦) تاريخ دمشق ٤٢/٥٣٨.

(٧) الأحاديث المختارة برقم ٥٩٤.

(٨) المسند ١/١٥٦.

(٩) فوائده، ضمن كتاب مجموع فيه ثلاثة أجزاء حديثية، برقمي ٣٥٥، ٣٥٦.

(١٠) تاريخ دمشق ٤٢/٥٤١.

(١١) مسنده برقم ٨٧١.

(١٢) القضاء والقدر، برقم ٣٨٤.

(١٣) تاريخ دمشق ٤٢/٥٤٢.

(١٤) العلل ٣/٢٦٦.

(١٥) طبقات المحدثين بأصبهان ٣/١٠٤.

(١٦) تاريخ دمشق ٤٢/٥٣٧.

(١٧) ذكر الدارقطني أن منصور بن المعتمر رواه كذلك عن سالم بن أبي الجعد مرسلًا عن علي. العلل ٣/٢٦٦.

قلت: ومدار هذا الخبر على الأعمش، ورجح الدارقطني أن الصواب من هذه الطرق إلى ابن سبع إنما هو الأول^(١). وهي على كل حال رواية ضعيفة، فهي فضلا عن اضطراب إسنادها، معلة، فصاحبها عبد الله بن سبع هذا، لا يعرف إلا برواية سالم بن أبي الجعد عنه، فحاله مجهولة^(٢). وسالم وإن كان ثقة، إلا أنه كثير الإرسال والتدليس^(٣)، وقد تساهل الأعمش في رواية هذا الخبر، لتشيع فيه، وكذلك النسائي.

٣. وأخرج إسحاق بن راهويه^(٤)، وابن عساكر^(٥) من طرق عن سالم المرادي أبي العلاء، قال: سمعت الحسن^(٦) يقول:

«لما قدم علي^{عليه السلام} البصرة في أمر طلحة وأصحابه رضي الله عنهم، قام عبد الله بن الكواء وابن عباد فقالا: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن مسيرك هذا، أوصية أوصاك بها رسول الله^{صلى الله عليه وسلم}، أم عهدا عهدته عندك، أو رأيا رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت كلمتها؟ فقال^{عليه السلام}: ما أكون أول كاذب عليه^{صلى الله عليه وسلم}، والله ما مات رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} موت فجأة، ولا قتل قتلا، ولقد مكث^{صلى الله عليه وسلم} في مرضه، كل ذلك يأتيه المؤذن، فيؤذنه بالصلاة، فيقول^{صلى الله عليه وسلم}: مروا أبا بكر فليصل بالناس، ولقد تركني وهو^{صلى الله عليه وسلم} يرى مكاني، ولو عهد إلي شيئا لقمته به، حتى عارضت في ذلك امرأة من نسائه^{صلى الله عليه وسلم}، فقالت: إن أبا بكر^{صلى الله عليه وسلم} رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر^{صلى الله عليه وسلم} فليصل بالناس، فقال^{صلى الله عليه وسلم}: إنكن صواحب يوسف. فلما قبض رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} نظر المسلمون في أمرهم، فإذا رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} قد ولى أبا بكر^{صلى الله عليه وسلم} أمر دينهم، فولوه أمر دنياهم، فبايعه المسلمون، وبايعته معهم، فكنت أغزو إذا أغزاني وأخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه^{صلى الله عليه وسلم} في إقامة الحدود، فلو كان محاباة عند حضور موته^{صلى الله عليه وسلم} لجعلها في ولده، فأشار بعمر^{صلى الله عليه وسلم}، ولم يأل، فبايعه المسلمون، وبايعته معهم، وكنت أغزوا إذا أغزاني وأخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه^{صلى الله عليه وسلم} في إقامة الحدود، فلو كان محاباة عند حضور موته^{صلى الله عليه وسلم} لجعلها في ولده، وكره أن يتخير من معشر قريش رجلا، فيوليه أمر الأمة، فلا يكون فيه إساءة من بعده إلا لحقت عمر^{صلى الله عليه وسلم} في قبره، فاخترنا من ستة. أنا فيهم، لنختار للأمة رجلا، فلما اجتمعنا وثب عبد الرحمن بن عوف^{صلى الله عليه وسلم}، فوهب لنا نصيبه منها على أن نعطيه موثيق على أن يختار من الخمسة رجلا

(١) العلل ٢٦٦/٣. وراجع التاريخ الكبير للبخاري ٩٨/٥.

(٢) انظر: لسان الميزان، لابن حجر ٣٤٠/٩.

(٣) انظر: المراسيل لابن أبي حاتم ص ٧٩-٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٠٨/٥.

(٤) انظر المطالب العالية برقم ٤٣٩٤.

(٥) تاريخ دمشق ٤٢/٤٤٠، ٤٤٣.

(٦) يعني البصري.

فيوليه أمر الأمة، فأعطيناه موثيقنا، فأخذ بيده عثمان رضي الله عنه فبايعه، ولقد عرض في نفسي عند ذلك، فلما نظرت في أمري، فإذا عهدي قد سبق بيعتي، فبايعت وسلمت، وكنت أغزو إذا أغزاني وآخذ إذا أعطاني، وكنت سوطا بين يديه رضي الله عنه في إقامة الحدود، فلما قتل عثمان رضي الله عنه، نظرت في أمري، فإذا الموثقة التي كانت في عنقي لأبي بكر، وعمر قد انجلت، وإذا العهد لعثمان رضي الله عنه قد وفيت به، وأنا رجل من المسلمين، ليس لأحد عندي دعوى، ولا طلبه، فوثب فيها من ليس مثلي - يعني معاوية - لا قرابته قرابتي، ولا علمه كعلمي، ولا سابقته كسابقتي، وكنت أحق بها منه. قالوا: صدقت، فأخبرنا عن قتالك هذين الرجلين - يعنيان طلحة والزبير - صاحبك في الهجرة، وصاحبك في بيعة الرضوان، وصاحبك في المشورة، فقال رضي الله عنه: بايعاني بالمدينة، وخالفاني بالبصرة، ولو أن رجلا ممن بايع أبا بكر رضي الله عنه خلع لقاتلناه، ولو أن رجلا ممن بايع عمر رضي الله عنه خلع لقاتلناه».

فهذا خبر مرسل لا يصح، وفي إسناده سالم المرادي ضعفه بعضهم ووثقه آخرون فيه، وسبق أنه كان يتشيع.

وأخرج البلاذري^(١)، وابن عساكر^(٢) نحوه من طريق أبي بكر الهذلي، عن الحسن بن علي. قلت: وأبو بكر الهذلي متروك.

وأخرج البلاذري^(٣) أيضا قطعة منه مختصرة من طريق المدائني، عن النضر بن إسحاق، عن عبد الله بن حازم، عن الحسن، عن علي. قلت: في إسناده من لا يُعرف.

٤. وأخرج إسحاق بن راهويه^(٤) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال:

«إن عثمان بن عفان رضي الله عنه نهى عن العمرة في أشهر الحج، أو عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فأهل بها علي مكانه، فنزل عثمان رضي الله عنه عن المنبر، فأخذ شيئا فمشى به إلى علي رضي الله عنه، فقام طلحة والزبير رضي الله عنهما فانتزعاها منه، فمشى إلى علي رضي الله عنه، فكاد أن ينخس عينه بإصبعه ويقول له: إنك لضال مضل ولا يرد علي رضي الله عنه عليه شيئا».

هذا الخبر من منكرات أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. وقد تساهل أبو نضرة في روايته لتشيعه، وسبق أنه كان من الشيعة الأولى.

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٢٣١.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٤١.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٢٣١.

(٤) انظر المطالب العالية برقم ٢١٣٦.

٥. أخرج ابن سعد^(١)، وابن عبد البر، واللالكائي، وغيرهم جميعاً من طريق إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون قال:

«.. قال عمر: لو ولوها الأجلح^(٢) سلك بهم الطريق، فقال له ابن عمر: فما يمنعك يا أمير المؤمنين^(٣)؟ قال: أكره أن أتحمّلها حياً وميتاً،».

وروى البلاذري^(٤) أيضاً قطعة منه من طريق معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون. وهي قول عمر: لئن ولوها الأجلح ليركبن بهم الطريق.

وهذا الطريق لا يصح، فيه أيضاً تدليس أبي إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله، فضلاً عن تشيع فيه^(٥). فقد عُرف أبو إسحاق بالتدليس - على الرغم من كونه ثقة - حتى قيل: «ما أفسد أحد حديث الكوفة إلا أبو إسحاق يعني السبيعي وسليمان الأعمش»^(٦). وذلك لما اشتهر به من التدليس، خاصة وأنه روى عن مائة شيخ لا يحدث عنهم غيره منهم من لا يُعرف^(٧). وفي ذلك يقول يعقوب بن سفيان: «وحديث سفيان [الثوري]، وأبي إسحاق، والأعمش ما لم يُعلم أنه مدلس يقوم مقام الحجة»^(٨).

٦. أخرج عبد الرزاق^(٩)، عن معمر قال: قال الزهري فأخبرني حميد بن عبد الرحمن عن المسور ابن مخرمة قال:

«.. اجتمع الناس إلى عبد الرحمن، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنني نظرت في الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا علي على نفسك سيلاً. ثم قال: عليك يا عثمان عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ أن تعمل بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وبما عمل به الخليفتان من بعده؟ قال: نعم. فمسح على يده، فبايعه ثم بايعه الناس، ثم بايعه علي، ثم خرج فلقيه ابن عباس فقال: خدعت. فقال علي: أو خديعة هي؟ قال: فعمل بعمل صاحبيه ستاً لا يجرم شيئاً إلى ست سنين، ثم إن الشيخ رق وضعف فغلب على أمره».

(١) الطبقات ٣/٣١٦.

(٢) زاد متن اللالكائي، وابن عبد البر: «يعني علياً». وكذلك ذكر الذهبي هذه القطعة من الرواية في ترجمة علي. راجع تاريخ الإسلام ٢/٣٦٣.

(٣) عند ابن عبد البر: «ما يمنعك أن تقدم علياً».

(٤) أنساب الأشراف ٢/٣٥٣.

(٥) المعرفة والتاريخ ٢/٦٣٧.

(٦) العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل ١/٢٤٤.

(٧) أحوال الرجال للجزجاني برقم ١٠٥، وسؤالات الأجرى برقم ١٧٣.

(٨) المعرفة والتاريخ ٢/٦٣٧.

(٩) المصنف ٥/٤٧٧.

قلت: في قوله: «..بايعه عليٌّ ثم خرج فلقية ابن عباس فقال: خُذت! فقال عليٌّ: أو خديعة هي؟ قال: فعمل بعمل صاحبيه ستا لا يخرم شيئا إلى ست سنين، ثم إن الشيخ رق وضعف، فعُلب على أمره» زيادة منكورة لم ترد فيما سبق من طرق هذا الباب.

وفي الباب عن المسور أيضا ما رواه ابن عساكر^(١) من طريق عمران بن عبدالعزيز عن عمر بن سعيد بن سريج ومحمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف عن ابن شهاب عن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة عن المسور بن مخرمة قال:

«كنت أعلم الناس بأمر الشورى، لأنني كنت رسول عبدالرحمن بن عوف قال: لما كانت الليلة الثالثة وعبدالرحمن في دار القضاء قد جاءت الأنصار من دورها والمسجد كالرمانة، ينتظرون ما كان في صباح ذلك اليوم، فكلمه سعد فقال: يا أبا محمد، ما كان أحق بهذا الأمر منك. قال: إنك يا سعد تحب أن يقال ابن عمه خليفة، وإنك يا مسور تحب أن يقال خاله خليفة، والله لئن تؤخذ مديّة وأشار إلى نُبتّه فتوضع ها هنا ومر بيده إلى نُبتّه أحب إلي من أن ألي أمر الناس شيئا. قال: فقام سعد إلى بيته فقال: يا أبا إسحاق، اشهد الصبح والبس السيف قال: ودعاني عبدالرحمن فقال: اذهب إلى علي وعثمان فائتني بهما. قال: وكان هوأي في علي، فأحببت أن أعلم ما في نفسه. قال: فقلت: بأيهما أبدأ؟ قال: بأيهما شئت. قلت: آتيك بهما فرادى أو جميعا؟ قال: لا، بل جميعا. قال: فبدأت بعلي، وكان هوأي فيه، قال: فقلت: أرسلني إليك خالي. قال: أرسل معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى عثمان. قال: فبأينا أمرك أن تبدأ؟ قال: لا، قد سألته، فقال: بأيهما شئت. وقد بدأت بك. فقال: جميعا أو فرادى. فقصد علي موضع الجنائز وقال: أذهب إلى عنقه في آخر الليل فقلت: إن خالي أرسلني إليك. فقال: هل أرسل معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى علي. قال: فسألته يعني بأينا يبدأ؟ قال: سألته، قال: بأيهما شئت، وقد بدأت بعلي، وهو ينتظر على موضع الجنائز. فخرجت أنا وعثمان حتى جئنا عليا، ثم خرجنا ثلاثتنا حتى جئنا عبدالرحمن في مجلسه. قال: وكان عبدالرحمن رجلا لا يتكلف للكلام ولا الخطب، قال: فما رأيته خطب مثل تلك الليلة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال في قوله: إني قد فليت الناس عنكما فأشيرا عليّ وأعيناني على أنفسكما، هل أنت يا علي مبايعي إن وليتك هذا الأمر على سنة الله وسنة رسوله بعهد الله وميثاقه وسنة الماضين قبل؟ قال: لا، ولكنني على طاقتي. قال: فصمت شيئا ثم تكلم كلاما دون كلامه الأول، ثم قال في قوله: إني قد فليت الناس عنكما فأشيرا عليّ وأعيناني على أنفسكما، هل أنت يا علي مبايعي إن وليتك هذا الأمر على سنة الله وسنة رسوله ﷺ بعهد الله وميثاقه وسنة الماضين قبل؟ قال: لا، ولكنني على طاقتي. قال ثم قال عثمان: أنا يا

(١) تاريخ دمشق ٣٩ / ١٩٤.

أبا محمد أبيك إن وليتني هذا الأمر على سنة الله وسنة رسوله وميثاقه وسنة الماضين قبل. قالها عثمان في الثلاث قال: ثم كانت الثالثة، فقال: اسمع أبا عبدالله، قد قال ما ترى، وعسى الله أن يجعل في ذلك خيرا. قال: فأحب أن يقوم عنه فقال: ما شئتما أو إن شئتما. فقاما عنه، فقام عبدالرحمن فاعتم، ولبس السيف ثم خرج إلى المسجد فقعد، ولا أشك أنه يبايع لعلي لما رأيت من حرصه على عليّ، قال: فلما صليت الصبح رقي عبدالرحمن على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أشار إلى عثمان حجرة من الناس ما هو بقريب، فقال: ادن فبايعوا على سنة الله وسنة رسوله بعهد الله وميثاقه. فعرفت أن خالي كان أصوب أشكال عليه رجلا، فأعطاه أحدهما وثيقة ومنعه الآخر إياها».

قلت: وهذا خبر باطل بهذا المتن، لم يقله المسور، ولا يصح عن الزهري بمرة. فعمران بن عبدالعزيز، لم أقف له على ترجمة^(١). وعمر بن سعيد بن سريج - قال أبو زرعة - ضعيف الحديث يروى عن الزهري أحاديث مقلوبة^(٢). وقال ابن عدي: أحاديثه عن الزهري ليست مستقيمة^(٣). وأما محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف، قال البخاري: منكر الحديث^(٤). وقال ابن حبان: كان ممن يروى عن الثقات المعضلات^(٥). وذكر أبو حاتم أنه ليس له عن الزهري حديث صحيح^(٦). قلت: وذكره الشيعة في كتبهم، وذكر بعضهم أنه من أصحاب جعفر الصادق^(٧).
٧. أخرج عمر بن شبة^(٨) من طريق جعفر بن سليمان الضبعي، عن عوف قال:

«إنما أفسد عثمان رضي الله عنه بطانة استبطنها من الطلقاء، وحصره المصريون ومعهم رجال من أهل الكوفة قلت: تعرف كم كانوا؟ قال: زهاء سبعمائة».

في إسناده انقطاع، عوف - هو ابن أبي جميلة الأعرابي - لم يدرك عثمان، فضلا عن تشيع عوف وجعفر ابن سليمان.

(١) إلا أن يكون أخا محمد بن عبدالعزيز بن عمر الآتي الكلام عليه، قال أبو حاتم: هم ثلاثة إخوة محمد وعبدالله وعمران ليس لهم حديث مستقيم. انظر الجرح والتعديل ٧/٨.

(٢) سؤالات البرذعي.

(٣) الكامل في الضعفاء ٥/٦٢.

(٤) التاريخ الكبير ١/١٦٧.

(٥) المجروحين ٢/٢٦٣-٢٦٤.

(٦) الجرح والتعديل ٧/٨.

(٧) معجم رجال الحديث، لأبي القاسم الموسوي الخوئي ١٧/١٧٥.

(٨) أخبار المدينة ٤/١٢٨٣.

٨. أخرج عبد الرزاق^(١) عن معمر عن أبي إسحاق السبيعي قال:

«جاء أبو ذر إلى عثمان، فعاب عليه شيئاً ثم قام، فجاء علي معتمداً على عصا حتى وقف على عثمان فقال له عثمان: ما تأمرنا في هذا الكتاب على الله وعلى رسوله؟ فقال علي: أنزله منزلة مؤمن آل فرعون، إن يك كاذباً فعليه كذبه، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم، فقال له عثمان: اسكت فيك التراب. فقال علي: بل فيك التراب، استأمرتنا فأمرناك».

مرسل. أبو إسحاق لم يدرك الواقعة.

٩. أخرج خليفة بن خياط^(٢) عن أبي غسان قال: نايعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة قال:

«كان مع علي يوم الجمل ثمانمائة من الأنصار وأربعة مائة ممن شهد بيعة الرضوان».

لا يصح، يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي، صدوق، إلا أن الدارقطني قال فيه: «ليس بالقوي»^(٣).

وقال فيه ابن كثير: «فيه تشيع وضعف»^(٤). وقال ابن حجر: «صدوق يهيم»^(٥). وجعفر بن أبي المغيرة القمي لم يوثقه غير ابن حبان وابن شاهين، وقال ابن حجر: «صدوق يهيم»^(٦). ناهيك عن انقطاعه، سعيد لم يدرك الجمل.

المطلب الثاني

أصحاب الانتخاب والسر

لم تختلف مختارات أصحاب الانتخاب والسر كثيراً عن مختارات أهل السنة، وهذا أمر يبدو طبيعياً لمذهب لا تبدو الفروق فيه كثيرة بينه وبين مذهب أهل السنة. لذلك أعرضت عن تلك المختارات التي اتفق معها أصحاب هذا المذهب مع أهل السنة، وأهمها المرويات التي تلقي باللوم من طرف خفي على عبدالرحمن بن عوف عندما اختار عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الشورى.

(١) المصنف ١١/٣٤٩.

(٢) تاريخه ص ١٣٨.

(٣) العلل ٣/٩٢.

(٤) البداية والنهاية ١٢/٢٠٦.

(٥) تقريب التهذيب ص ٥٣٧.

(٦) نفسه ص ٨١.

فضلا عن التعريض الخفي بطلحة والزبير في عدم الوفاء ببيعتهما لعلي والخروج عليه وقتالهما إياه يوم الجمل. فضلا على اختيار ما يدل على ندم عائشة رضي الله عنها على خروجها، رغم نباح كلاب الحوآب، وقد ذم النبي ﷺ وجود امرأة من نسائه في هذا الموضوع. ناهيك عن إظهارهم - بما اختاروه من مرويات - عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة بمظهر المخادعين المحتالين يوم صفين ويوم التحكيم، وأن عليا كان كارها للتحكيم، وأنه أكره عليه وعلى اختيار أبي موسى الأشعري حكما ندا لعمرو بن العاص رغم غفلته..

ومن أبرز من رأيته يمثل أصحاب هذا المطلب من الشيعة الأولى أو من نهج نهجهم من المتأخرين:

- **المطهر بن طاهر المقدسي** (ت بعد ٣٩٠هـ): ولا يُعرف عن هذا الرجل الكثير، فلم يترجم له أحد من القدماء حسب علمي، إلا إشارات خاطفة عند أبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) في كتابه (غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم) ^(١). وأخرى عند ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ^(٢).

وكتابه (البدء والتاريخ) ينطق على كثير من عقيدته ^(٣). ويُظهر القسم التاريخي من هذا الكتاب هذا النفس الواضح والاقتراب الشديد لمذهب الشيعة الأولى.

- **ابن الطُّقْطُقي** (ت ٧٠٩هـ): وهو: محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطُّقْطُقي: ولا يعرف عنه الكثير أيضا، إذ لا نكاد نقف له على ترجمة وافية، إلا ما قاله الزركلي بأنه: مؤرخ من أهل الموصل. خلف أباه في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء ^(٤). ومن أهم كتبه: الفخري في الآداب السلطانية.

ومن أهم مختارات أصحاب هذا المطلب:

١. ما اختاره **المطهر بن طاهر المقدسي** ^(٥)، و**ابن الطُّقْطُقي** ^(٦)، وأخرجه **البلاذري** ^(٧)، و**الطبري** ^(٨) من طريق وهب بن جرير بن حازم قال: سمعت أبي قال: سمعت يونس بن يزيد الأيلي عن

(١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسد بتهران، ١٩٦٣م، طبعة مصورة عن طبعة باريس، تحقيق: زتنبرج، ص ٥٠١.

(٢) معجم البلدان ٣ / ٧٩.

(٣) انظر دراسة في هذا الرجل لمحمد السيد إبراهيم البساطي، بعنوان: المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

(٤) الأعلام ٦ / ٢٨٣.

(٥) البدء والتاريخ ٥ / ٢١٣.

(٦) الفخري في الآداب السلطانية ص ٩١.

(٧) أنساب الأشراف ٣ / ٥١. مختصرا.

(٨) تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٩.

الزهري في قصة ذكرها من خبر علي وطلحة والزبير وعائشة في مسيرهم الذي نحن في ذكره في هذا الموضع قال:

«.. فلما توافقوا خرج عليّ على فرسه فدعا الزبير، فتواقفا فقال علي للزبير: ما جاء بك؟ قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا. فقال علي: لست له أهلا بعد عثمان، قد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك وعظم عليه أشياء، فذكر أن النبي ﷺ مر عليهما فقال لعلي: ما يقول ابن عمك ليقاتلنك وهو لك ظالم. فانصرف عنه الزبير وقال: فيإني لا أقاتلك. فرجع إلى ابنه عبدالله فقال: مالي في هذه الحرب بصيرة. فقال له ابنه: إنك قد خرجت على بصيرة ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت فجبنت. فأحفظه حتى أُرعد وغضب وقال: ويحك إني قد حلفت له ألا أقاتله. فقال له ابنه: كَفَّر عن يمينك بعتق غلامك سرجس. فأعتقه وقام في الصف معهم، وكان عليّ قال للزبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتها، سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره. وقال علي: يا طلحة، جئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك وعلى عنقي اللج..»^(١).

قلت: وهذا إسناد مرسل، وللخبر طريق آخر مرسل رواه البلاذري^(٢)، والطبري^(٣) من طريقين عن قتادة بنحوه مرسلا أيضا. وفي قوله: «ليقاتلنك وهو لك ظالم» نكارة، إذ إن الزبير لم يقاتل في هذه الموقعة، بل انصرف منها غير مقاتل، وبذلك يُكذَّب واضح الخبر النبوي ﷺ! ٢. ومما اختاره المطهر بن طاهر المقدسي^(٤): ما أورده المسعودي^(٥)، والشريف الرضي^(٦) وغيرهم أن عليًّا دخل البصرة وخطبهم فقال:

«يا أهل السبخة، يا أهل المؤتفكة، اتتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة يا جند المرأة يا تَباع البهيمة، رغا فأجبتم، وعُقر فانهزمتم، أخلاقكم رقاق، وأعمالكم نفاق، وماؤكم زعاق..».

وهذا خبر لا أصل، لم أقف له على إسناد^(٧).

(١) رغم اختيار ابن الأثير (الكامل ٣/ ١٢٢) لهذه الرواية، إلا أنها لم تشتهر بين أهل السنة اشتهاً غيرها من المرويات الباطلة، وكأنها لم ترق لهم. وقد أوردها ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٤٥٧) إلا أنه أنكرها إنكاراً شديداً.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٤٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٢.

(٤) البدء والتاريخ ٥/ ٢١٦.

(٥) مروج الذهب ٢/ ٢٧٧.

(٦) نهج البلاغة ١/ ٤٤-٤٥.

(٧) وقد حاول السيد عبد الزهراء الحسيني بمهاتراتٍ فارغةٍ أن يرفع لهذا الخبر راية في كتابه: مصادر نهج البلاغة وأسانيده (١/ ٣٤٢-٣٤٨)، فكثر الكلام فيه من غير طائل!

المبحث الثاني

التشيع الغالي

سبقت عبارة أبي الجحاف التي رواها يحيى بن معين: « أدركتُ الشيعة الأولى، والغالي فيهم الذي يفضل عليًّا على أبي بكر، وعمر»^(١). ومن هذه العبارة يتضح حدُّ أصحاب هذا المبحث، وأنهم قوم غالوا في حبِّ عليٍّ حتى فضلوه على مَنْ فضَّلَ عليُّ نفسه على نفسه - كما مر في الصحيح عنه - . يضاف إلى ذلك بغضهم عثمانَ، وطلحة، والزبير، والحط من قدرهم، بل النيل منهم أحياناً، وسبهم أحياناً أخرى. والحد الفاصل بين هؤلاء وبين الرافضة، إنكارُ الرافضة لفضل أبي بكر، وعمر، ورفضُ خلافتهما، وسبُّهما، بل تكفيرُهما والصحابة إلا مَنْ نصر عليًّا وآزره في خلافته وحرَّوبه. ويمكن إدخال الزيدية في هذا الصنف^(٢).

وينبغي التنبيه أن بعض المصنِّفين قد يطلق لفظ الغالي، ويقصد به الرفض، ويتضح ذلك بقرائن تبين ذلك وتوضحه.

المطلب الأول

أصحاب الإسناد

وأفة مرويات أصحاب هذا المذهب واختياراتهم إنما أتت كذلك من قبل التدليس، والانقطاع، والإرسال، والنكارة، والشذوذ.. يضاف إلى ذلك عندهم كثرة روايتهم عن المجهولين، والمتروكين، بل الكذابين أحياناً، هذا فضلاً عما ابتُلوا به ممن استغل غلوهم فكذب عليهم.

ومن أبرز من يمثل أصحاب هذا المذهب:

- عثمان بن عمير: هو أبو اليقظان عثمان بن عمير الكوفي. كان غالباً في التشيع منكر الحديث. قال الجوزجاني: «غالي المذهب منكر الحديث سمعت ابن حنبل يقول هو منكر الحديث»^(٣).

(١) معرفة الرجال ٢ / ٢٤.

(٢) هم طائفة من الشيعة تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ) تقول بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وأن علي بن أبي طالب أفضل الصحابة. ولكنهم لا يكفرون أحداً من الصحابة. انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري ص ٦٥، وتاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبو زهرة، ص ٤٢.

(٣) أحوال الرجال برقم ٢٣.

وقال ابن عدي: «وعثمان بن عمير أبو اليقظان هذا رديء المذهب غال في التشيع يؤمن بالرجعة»^(١). قال ابن حجر: «ضعيف، واختلط. وكان يدلّس، ويغلو في التشيع، مات في حدود الخمسين ومائة»^(٢).

- أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم: كان جده مخنف ممن صحب النبي ﷺ، بينما كان أبوه يحيى من أصحاب علي رضي الله عنه. وهو وآله كانوا من الشيعة، شهدوا مع علي مشاهدته، فولي مخنف أصبهان لعلي، وكان رأس أزد الكوفة يوم الجمل، وقتل فيها ولداه الصقعب، وعبد الله. وشهد ولده محمد معه صفين وعمره سبع عشرة سنة. وذُكر أن مخنفا كان ممن ندموا على موقفهم المتخاذل تجاه الحسين، فخرج مع سليمان بن صُرد وقتل في عين الوردية - فيما يعرف بثورة التوابين، سنة خمس وستين^(٣). وتاريخ هذه الأسرة يبين لنا بالفعل مدى التشيع الذي سيكون عليه أفرادها، وأنه لن يقل عن درجة الغلو. إلا أني لم أر ما يدل على أنه بلغ درجة الرفض والقول بالرجعة والتقيّة والوصية، فإن هذا أمر لم يعرفه الصحابة مطلقاً - ومنهم مخنف جد لوط - أو كبار التابعين، فهو بعيد عنهم كل البعد. ولا شك أن ذلك كله سوف يلقي بظلاله على الحفيد أبي مخنف لوط بن يحيى، الذي اشتهر برواية الأخبار والتصنيف فيها. وكان أهم ما اشتغل به منها أخبار العراق في عصر الخلافة الراشدة وبنو أمية. يقول النديم: «قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة، وقد اشتركوا في فتوح الشام»^(٤). فلا غرو بعد ذلك أن يعتبره الشيعة من كبار مؤرخيهم. وفي المقابل نجده وقد اتهم في روايته عند أهل السنة فضعفوه وتركوا روايته^(٥). ويبدو من مروياته فيما تراءى لي أن غلوه في التشيع كان سبباً مهماً من أسباب ضعفه، فقد أداه ذلك إلى كثرة الرواية عن المجاهيل والضعفاء والمتروكين. فترك، فتلقف جمهرة من الضعفاء والمتهمين مروياته وتصانيفه، فعبثوا بها وبدّلوا وحرفوا، وقد أمّنوا جانب الرقابة عليهم، إذ ترك الرجل عند جمهرة المحدثين، مما زاد الطين بلة، فتحول الأمر من الاتهام إلى التكذيب. إلا أني مع ما رأيت في مروياته ما يؤكد غلوه في التشيع واحتراقه فيه، لم أر ما يدل على رفضه سوى اتهامات اتهمه بها بعض المحدثين من غير بينة، ساعد على ذلك اعتداد الإمامية به. وقد توفي أبو مخنف سنة ١٥٧ هـ.

(١) الكامل ١٦٧/٥.

(٢) التقريب برقم ٤٥٠٧.

(٣) راجع في ذلك تلك الدراسة المفصلة: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري)، ليحيى بن إبراهيم اليحيى ص ٢٧.

(٤) الفهرست ٢٩٣/١.

(٥) انظر: الجرح والتعديل ١٨٢/٧، ولسان الميزان ٤٠٣/٦.

- جعفر بن سليمان الضُّبَيْي: قال فيه ابن معين: «ثقة يتشيع»^(١). وذكر أبو داود: أنه كان يقدم أبا بكر وعمر^(٢). وقال أحمد بن حنبل: «جعفر بن سليمان لا بأس به. فقيل له ان سليمان بن حرب يقول لا يكتب حديثه. قال حماد بن زيد لم يكن ينهى عنه، كان ينهى عن عبد الوارث ولا ينهى عن جعفر، إنما كان يتشيع، وكان يحدث بأحاديث في عليّ، وأهل البصرة يغلون في علي»^(٣). ورؤى أنه: «قيل لجعفر بن سليمان زعموا أنك تسب أبا بكر وعمر؟ فقال: أما السب فلا ولكن بغضا بالكل»^(٤)^(٥). وحكى مغلطاي عن الدوري قال: «كان جعفر إذا ذكر معاوية شتمه وإذا ذكر علي قعد يبكي»^(٦). وقد توفي سنة ١٧٨ هـ^(٧).

- عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني: قال يحيى بن معين: «سمعت من عبد الرزاق كلاما يوما فاستدللت به على ما ذكر عنه من المذهب فقلت له إن أستاذيك الذين أخذت عنهم ثقات كلهم أصحاب سنة معمر ومالك بن أنس وابن جريج وسفيان الثوري والأوزاعي.. فعمن أخذت هذا المذهب؟ فقال: قدم علينا جعفر بن سليمان الضبعي فرأيته فاضلا حسن الهدي فأخذت هذا عنه»^(٨). وقال ابن عدي: «ولعبد الرزاق بن همام أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه، ولم يروا بحديثه بأسا، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقها عليها أحد من الثقات، فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم مما لم أذكره في كتابي هذا. وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به، إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير»^(٩). توفي سنة ٢١١ هـ.

(١) من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال برقم ١٧٧.

(٢) سؤالات أبي عبيد الأجرى لأبي داود برقم ١٢٨٧.

(٣) الكامل في الضعفاء، لابن عدي ٢/١٤٥.

(٤) كذا في مطبوعة الكامل لابن عدي. وفي مصادر أخرى: «يا لك»، و«ما شئت» - انظر تخريج الخبر - مما يعني أنه اختلاف قديم بين المصادر والنسخ في قراءة هذه الكلمة المشكلة. قلت: ويقع في ظني أنها قد تكون: «باله»، يعني آل أبي بكر، وكان من تيم، يعرض في ذلك بطلحة وعائشة وصنيعها في قتالها علي بن أبي طالب. ذلك أن جعفر له مرويات في فضائل الشيخين (انظر ميزان الاعتدال ٢/١٣٦). فليس يُعقل أن يبغضها ويروي فضائل لهما عن النبي ﷺ!

(٥) انظر: الكامل لابن عدي ٢/١٤٥. ووالضعفاء للعقيلي ١/٤٩٥، والثقات لابن حبان ٦/١٤٠. وقد حاول بعضهم دفع ذلك عنه، فضعف الذهبي هذا الخبر عنه (سير أعلام النبلاء ٨/١٧٦)، وتأوله الساجي فيما رواه ابن عدي عنه أن كان يعني جارين له (الكامل ٢/١٤٥، وطعن محقق تهذيب الكمال - ٥/٤٣ حاشية ٢ - في هذا التأويل) وراجع الحاشية السابقة.

(٦) إكمال تهذيب الكمال ٣/٢٢٠.

(٧) تهذيب الكمال - ٥/٤٣.

(٨) تاريخ دمشق ٣٦/١٨٧، وتهذيب الكمال ١٨/٥٩.

(٩) الكامل في الضعفاء، لابن عدي ٥/٣١٥.

- خالد بن مخلد القَطَوَانِي، أبو الهيثم الكوفي: على الرغم من صدقه، قال ابن سعد: «كان متشيعا.. وكان منكر الحديث في التشيع مفرطاً»^(١). وقال أحمد: «له أحاديث مناكير»^(٢). وقد سبق له خبر في موقعة الجمل لا يصح يأتي تفصيل القول فيه. توفي سنة ٢١٣ هـ.

- علي بن غراب الفزاري: قال ابن حبان: «كان غالياً في التشيع، كثير الخطأ فيما يروى، حتى وجد الأسانيد المقلوبة في روايته كثيراً، والأشياء الموضوعة التي يرويها عن الثقات، فبطل الاحتجاج به»^(٣). قال أحمد: «كان يدلّس ولا أراه إلا صدوقاً»^(٤). توفي سنة ١٨٤ هـ^(٥).
وأما عن أبرز مرويات هذه الطائفة وأثر الوضع فيها:

١. ما أخرجه البزار^(٦)، والحاكم^(٧)، وأبو نعيم^(٨) من طريق أبي اليقظان عثمان بن عمير، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه قال:

«قالوا: يا رسول الله، ألا تستخلف علينا؟ قال: إني إن استخلفت عليكم فتعصون خليفتي ينزل عليكم العذاب، قالوا: ألا تستخلف أبا بكر؟ قال: إن تستخلفوه تجدوه ضعيفاً في بدنه، قويا في أمر الله، قالوا: ألا تستخلف عمر؟ قال: إن تستخلفوه تجدوه قويا في بدنه، قويا في أمر الله، قالوا: ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تستخلفوه ولن تفعلوا يسلك بكم الطريق وتجدوه هادياً مهدياً».

هذا خبر منكر، ولا شك عندي في كونه موضوعاً. وعلته عثمان بن عمير هذا. وقد سبق بيان حاله آنفاً.

وقد أخرجه بنحوه أحمد^(٩)، والبزار^(١٠)، والحاكم^(١١)، وابن الجوزي^(١٢) والضياء المقدسي^(١٣)،

-
- (١) الطبقات ٨ / ٥٣٠.
 - (٢) العلل ومعرفة الرجال ١٨ / ٢.
 - (٣) المجروحين ١٠٥ / ٢.
 - (٤) التاريخ الأوسط للبخاري ٨٨٥ / ٤.
 - (٥) تاريخ مدينة السلام ٥٠٤ / ١٣.
 - (٦) مسنده برقم ٢٨٩٥.
 - (٧) المستدرک ٧٠ / ٣.
 - (٨) حلية الأولياء ٤٦ / ١.
 - (٩) المسند ١٠٩ / ١.
 - (١٠) مسنده برقم ٧٨٣.
 - (١١) المستدرک ٧٠ / ٣. وقد رواه أيضاً في موضع آخر (٣ / ١٤٢) من طريق أبي إسحاق عن ابن يثيع عن حذيفة وصححه على شرط الشيخين فأخطأ، وقد أعله هو نفسه في معرفة علوم الحديث (ص ٣٦، ٣٧) بالانقطاع. وانظر كلام محققي مسند أحمد (٢ / ٢١٥ ط الرسالة).
 - (١٢) العلل المتناهية ١ / ٢٥١، ٢٥٢.
 - (١٣) الأحاديث المختارة برقم ٤٦٣.

من طريق أبي إسحاق، عن زيد بن يثيع، عن علي، قال: قيل يا رسول الله، من نؤمر بعدك.. إلخ ولا يصح كذلك قال الذهبي: «منكر»^(١). قلت: أبو إسحاق - وهو عمرو بن عبد الله السبيعي - تغير بأخرة، وقد اضطرب في هذا الخبر، فتارة يرويه عن زيد بن يثيع عن علي، وتارة عن زيد عن حذيفة، وتارة عن زيد عن سلمان الفارسي، وتارة أخرى يرويه عن زيد بن يثيع مرسلًا، قال الدارقطني^(٢) بعد ذكر هذا الاختلاف: والمرسل أشبه بالصواب^(٣).

٢. ما أخرجه عبد الله بن أحمد^(٤)، والقطيعي^(٥)، والبلاذري^(٦)، والخلال^(٧)، والآجري^(٨)، وابن بطة العكبري^(٩)، من طريقين إلى أبي الجحاف قال:

«لما بويع أبو بكر فبايعه علي وأصحابه، قام ثلاثا يستقبل الناس يقول: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي في أوائل الناس فيقول: والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبدا، قدمك رسول الله ﷺ تصلي بالناس فمن ذا يؤخرك».

قلت: هذا خبر منقطع، أبو الجحاف لم يدرك أبا بكر. وفي كل طريق من طريقه شيعي غالي التشيع، هما: علي بن هاشم بن البريد، وتليد بن سليمان، وتليد متهم^(١٠).

٣. ما أخرجه ابن أبي شيبه^(١١) عن خالد بن مخلد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبرى، قال:

«انتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج يوم الجمل، فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله، أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان، فقلت: إن عثمان قد قتل فما تأمريني. فقلت لي: الزم عليًا، فوالله ما غير ولا بدل، فسكتت، ثم أعاد

(١) تلخيصه على حاشية المستدرک ٣/ ٧٠.

(٢) العلل ٣/ ٢١٦.

(٣) وانظر أيضا كلام الخطيب عليه (تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٢)، ومحققي مسند أحمد (٢/ ٢١٤ ط الرسالة حاشية ٢)، ومحقق تاريخ مدينة السلام (٤/ ٤٨٥ حاشية ٣). وراجع في هذا الخبر والذي قبله: مختصر استدرک الذهبي (٣/ ١١٧٠-١١٨٢).

(٤) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٠١.

(٥) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٣٣.

(٦) أنساب الأشراف ٢/ ٢٧٠.

(٧) السنة برقم ٣٧٢.

(٨) الشريعة برقم ١١٩٠، ١١٩١.

(٩) الإبانة برقمي ٢١١، ٢١٢.

(١٠) انظر الضعفاء لأبي نعيم ص ٦٨.

(١١) المصنف برقم ٣٨٩٨٦.

عليها ثلاث مرات، فسكتت، فقال: اعقروا الجمل، فعقروه، قال: فنزلت أنا وأخوها محمد بن أبي بكر واحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدي علي، فأمر به علي فأدخل في منزل عبد الله بن بديل، قال جعفر بن أبي المغيرة: وكانت عمتي عند عبد الله بن بديل، فحدثتني عمتي، أن عائشة قالت لها: أدخليني، قالت: فأدخلتها الداخل وأتيتها بطشت وإبريق وأجفت عليها الباب، قالت: فاطلعت عليها من خلل الباب وهي تعالج شيئاً في رأسها ما أدري شجة، أو رمية».

لا يصح، خالد بن مخلد، على الرغم من صدقه، قال ابن سعد: «كان متشيعاً.. وكان منكر الحديث، في التشيع مفرطاً»^(١). وقال أحمد: «له أحاديث مناكير»^(٢). ويعقوب هو: ابن عبد الله بن سعد القمي، سبق الكلام عليه وأن فيه تشيع وضعف. وعليه، فليس إسناد هذا الخبر بالجيد كما قال ابن حجر^(٣)، خاصة إذا كان الخبر عن عبد الرحمن بن أبزي، كما هو في المطبوع من الفتح، فإنه يكون بذلك منقطعاً، فجعفر إنما يروى عن ولده سعيد، وهو الصواب في إسناد هذا الخبر. وعليه فتظل علة الانقطاع قائمة، فإن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي لا تُعرف له رواية عن عبد الله بن بديل.

٤. ما أخرجه خليفة بن خياط^(٤) - ومن طريقه ابن عساكر^(٥) - وعمر بن شبة^(٦)، والحاكم^(٧)، والبيهقي^(٨) من طريق جويرية بن أسماء عن يحيى بن سعيد ثنا عمي قال:

«لما كان يوم الجمل نادى علي في الناس: لا ترموا أحداً بسهم، ولا تطعنوا برمح، ولا تضربوا بسيف، ولا تطلبوا القوم، فإن هذا مقام من أفلح يوم القيامة. قال: فتوافقنا ثم إن القوم قالوا بأجمع يا ثارات عثمان قال: وابن حنيفة أمامنا بربوة معه اللواء قال: فناداه علي قال: فأقبل علينا يعرض وجهه فقال: يا أمير المؤمنين يقولون: يا ثارات عثمان فمد علي يده وقال: اللهم أكب قتلة عثمان اليوم بوجوههم، ثم إن الزبير قال للأساورة كانوا معه قال: ارموهم برشق و كأنه أراد أن ينشب القتال فلما نظر أصحابه إلى الانتشاب لم ينتظروا وحملوا

(١) الطبقات ٨ / ٥٣٠.

(٢) العلل ومعرفة الرجال ٢ / ١٨.

(٣) فتح الباري ١٦ / ٥٢٠.

(٤) تاريخه ص ١٣٥، ١٣٩.

(٥) تاريخ دمشق ١٨ / ٤١٦.

(٦) أخبار المدينة ٤ / ١١٧٠، ١٢٦٧.

(٧) المستدرک ٣ / ٣٧١.

(٨) السنن الكبرى ٨ / ١٨٠.

فهزمهم الله ورمى مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله بسهم فشك ساقه بجنب فرسه فقبض به الفرس حتى لحقه فذبحه فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان وهو معه فقال: لقد كفيتك أحد قتلة أبيك».

أجهدني التنقيب عن يحيى بن سعيد هذا، وعن عمه، اللذَّين لهما بالتتابع أخبار منكرة في الجمل وصفين لا تَرِدُ غالباً إلا بهذا الإسناد. حتى تبين لي أنهما: يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، والد أبي مخنف لوط بن يحيى، وعمه محمد بن مخنف بن سليم.

أما يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم، والد أبي مخنف لوط بن يحيى: فإني لم أجد له ترجمة إلا في كتب الشيعة، وفيها: «يحيى بن سعيد بن مخنف هو: والد لوط بن يحيى، على ما ذكره النجاشي، وتقدم عن الشيخ في ترجمة ابنه أنه من أصحاب علي عليه السلام»^(١). قلت: ولا يعتد بمثل هذا عند أهل السنة، فهو إذن مجهول. وأما محمد بن مخنف بن سليم، عم يحيى بن سعيد: قال الذهبي فيه: مجهول^(٢). قلت: أخبر عنه حفيده لوط أنه شهد صفين مع أبيه مخنف بن سليم - له صحبة - وهو ابن سبع عشرة سنة^(٣).

وقد روى أبو مخنف هذا الإسناد في أكثر من موضع من تاريخ الطبري. قلت: وجويرية من طبقة أبي مخنف. وُجِّلَ أخبار جويرية عن يحيى عن عمه هي من طريق وهب بن جرير. وقد أشرت من قبل أن هناك كتاباً في صفين والجمل رواه خلف بن سالم وأحمد بن حنبل ورجحت كونه لوهب. إذن فكأن هذه نقول وروايات من هذا الكتاب المفقود ذي النزعة الشيعية. وعلى كل فاستقرأ أخبار هذا الكتاب المفقود من مظانه تكشف لنا عن نزعة تشيع عند كل من مصنفه وهب بن جرير وشيخه جويرية.

٥. ما أخرجه البلاذري^(٤) عن خلف بن سالم، حدثنا وهب بن جرير، عن جويرية، عن يحيى بن سعيد قال:

«كتب معاوية إلى الزبير: أن أقبل إلي أبايعك ومن يحضرنى. فكتم ذلك طلحة وعائشة، ثم بلغها فكبر ذلك عليهما، وأخبرت عائشة به ابن الزبير، فقال لأبيه، أتريد أن تلحق بمعاوية؟ فقال: نعم ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر؟! ثم بدا له في ذلك، وأحسبه كان حلف ليفعلن، فدعا غلاماً له فأعتقه، وعاد إلى الحرب».

وقد سبق الحديث عن هذا الإسناد في الخبر السابق.

(١) معجم رجال الحديث، لأبي القاسم الموسوي الخوئي برقم ١٣٥٤٤.

(٢) أخبار المدينة ٤/ ١٢٦٧.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٥/ ٢٦١.

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ٥٣.

٦. أخرج أبو العرب التميمي^(١)، وابن عساكر^(٢) من طريق يزيد بن أبي زياد قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

«سمعت علياً يقول يوم الجمل: أين الزبير؟ فجعلت أتخلل الدواب حتى نظرت إليهما قد اختلفت أعناق دابتيهما، وعليّ يقول له: أتذكر أتذكر.. فانصرف الزبير راجعاً فقال طلحة: ما شأنه؟ فأخبروه، فركب يشيعه فرماه مروان بن الحكم فقتله».

وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، من كبار الشيعة، لا يحتج بحديثه. قال ابن حبان: كان يتلقن ما لقن، فوقع المناكير في حديثه من تلقين غيره إياه وإجابته فيما ليس من حديثه لسوء حفظه^(٣).

٧. أخرج الطبراني^(٤) من طريق عبد المنعم بن بشير الأنصاري، نا علي بن غراب المحاربي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه قال:

«كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب، وعن يمينه عمار بن ياسر، وعن يساره محمد بن أبي بكر إذ جاء غراب بن فلان الديدني، فقال: يا أمير المؤمنين ما تقول في عثمان؟ فبدره الرجلان فقالا: عم تسأل عن رجل كفر بالله من بعد إيمانه، وناق؟ فقال الرجل لهما: لست إياكما أسأل، ولا إليكما جئت. فقال له علي: لست أقول ما قالوا: فقالا له جميعاً: فلم قتلناه إذا؟ قال: ولي عليكم فأساء الولاية في آخر أيامه، وجزعتم فأسأتم الجزع، والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان كما قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْرَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مِّنْقَلِيلٍ﴾ [الحجر: ٤٧].»

هذا خبر موضوع، فضلاً عن انقطاعه. فسعيد بن أبي هند عن عليّ - قال أبو زرعة - مرسل^(٥). قلت: علي بن غراب مدلس غالي التشيع. وقد سبق بيان حاله. كما أن في إسناده عبد المنعم بن بشير. قال الخليلي: «وضّاع على الأئمة»^(٦).

٨. أخرج أحمد^(٧) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن أبي نصر، قال: حدثني مساور الحميري، عن أمه، قالت: سمعت أم سلمة، تقول:

-
- (١) المحن ص ١١١.
 - (٢) تاريخ دمشق ٤١٢/١٨.
 - (٣) المجروحين ٣/١٠٠. وانظر تهذيب الكمال ١٣٥/٣٢.
 - (٤) المعجم الكبير برقم ١١١.
 - (٥) المراسيل لابن أبي حاتم ص ٧٥.
 - (٦) الإرشاد ص ٧.
 - (٧) المسند ٦/٢٩٢.

«سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق».

لا يصح في باب هذا الخبر شيء^(١) رغم إخراج مسلم نحوه^(٢). وقد أفاض محققو مسند أحمد الكلام في هذا الحديث بما يغني عن إعادة الكلام فيه^(٣). قلت: وفي إسناده عدي بن ثابت، ثقة، إلا أنه كان شيعياً غالباً. قال ابن معين: «كان يفرط في التشيع»^(٤).

٩. أخرج نعيم بن حماد^(٥) عن المطلب بن زياد حدثنا كثير أبو إسماعيل عن ابن عباس قال:

«دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت السلام عليك يا أمه. قالت: وعليك يا بني. قال: قلت لها: ما أخرجك علينا مع منافقي قريش؟ قالت: كان ذلك قدرا مقدورا».

قلت: في إسناده انقطاع بين كثير أبو إسماعيل وبين ابن عباس، وكثير ضعفه بعضهم وتركه آخرون، وقال فيه ابن عدي: كان غالباً في التشيع مفرطاً فيه^(٦).

المطلب الثاني

أصحاب الانتخاب والسر

وأبرز من رأيتُه يمثل أصحاب هذا المطلب من الشيعة الغالية:

- ابن أعثم الكوفي (ت بعد ٣٢٠هـ): وهو: أبو محمد أحمد بن أعثم بن نذير بن الحباب بن كعب بن حبيب الأزدي الكوفي. من شيوخ ابن عدي (ت ٣٦٠هـ)، وحمزة بن يوسف السهمي (ت ٤٢٧هـ). قال ياقوت: «كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف. وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلًا على الأول، رأيت الكتابين»^(٧).

(١) راجع في شيء منه: البداية والنهاية ١١ / ٨٤ وما بعدها.

(٢) صحيحه برقم ٧٨. وقد انتقد الدارقطني في كتابه (التتبع) ص ٤٢٧ مُسلماً لإخراجه هذا الحديث. وكذلك ابن تيمية في (منهاج السنة) ٤ / ٤٠. قلت: وفاتهم أن من منهاج مسلم في صحيحه إخراج بعض المعل عقب الصحيح لتبيين الشذوذ والنعارة (راجع في هذا الباب كتاب: عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح) لحمزة المليباري. فضلاً عن أن ترجمة الباب التي في الصحيح (باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان...) إنما هي من صنع النووي، وليس من مسلم.

(٣) راجع مسند أحمد ط الرسالة ٢ / ٧١، حاشية ٤.

(٤) التاريخ، رواية الدوري برقم ٢٥٥٩.

(٥) الفتن برقم ٢٠٣.

(٦) انظر الكامل في الضعفاء ٦ / ٦٦.

(٧) انظر: تاريخ جرجان للسهمي برقم ٢٨، والإكمال لابن ماکولا ٧ / ٣٣٦، ومعجم الأدباء لياقوت برقم ٢٠٢، ولسان الميزان لابن حجر ١ / ٤٠٧.

- عبد الحميد بن هبة الله، ابن أبي الحديد: قال ابن كثير: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين، أبو حامد بن أبي الحديد، عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلدا، ولد بالمداين سنة ست وثمانين وخمسمائة^(١). وتوفي ابن أبي الحديد سنة ٦٥٦ هـ^(٢).

ويعد ابن اعثم بكتابه (الفتوح) أقرب إلى أصحاب هذا المطلب. ولولا أن كتابه المطبوع حاليا لا يوثق بنسبة ما فيه إليه، لجزمتُ بذلك. إلا أن مجمل هذا الكتاب يعطي انطبعا عاما أن صاحبه لم يكن رافضيا^(٣).

وهو في رأيي - أعني كتاب الفتوح - إما موضوع على ابن أعثم، أو عبثت به يد كاذب فأفرغ الكتاب من مضمونه حتى ما عدنا نستطيع أن نجزم بصحة شيء منه إلى ابن أعثم. والراجح أن هذا العايب أو الواضع من أهل القرون المتأخرة (القرن السادس فما بعده). ومما ورد في هذا الكتاب:

«قالت أم سلمة لعائشة^(٤):

سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: عليٌّ خليفتي عليكم في حياتي ومماتي، فمن عصاه فقد عصاني. أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا؟ فقالت: اللهم نعم. فقالت أم سلمة رحمة الله عليها: فاتقي الله يا عائشة في نفسك، واحذري ما حذرَك الله ورسوله، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوَّاب، ولا يغرنك الزبير وطلحة، فإنهما لا يغنيان عنك من الله شيئا. قال: فخرجت عائشة من عند أم سلمة وهي حنقة عليها، ثم إنها بعثت إلى حفصة فسألتهَا أن تخرج معها إلى البصرة. قال: وكتبت أم سلمة رحمة الله عليها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لعبد الله علي أمير المؤمنين.. فإن طلحة والزبير وعائشة وبنها بني السوء، وشيعة الضلال خرجوا مع ابن الجزار عبد الله بن عامر إلى البصرة يزعمون أن عثمان بن عفان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه..».

ومن النماذج التي انتخبها ابن أبي الحديد^(٥):

(١) البداية والنهاية ١٧ / ٣٥٤.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ١٤ / ٧٧٩.

(٣) انظر دراسة محمد جبر أبو سعدة في هذا الباب بعنوان: ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح.

(٤) الفتوح ١ / ٩٧.

(٥) شرح نهج البلاغة ٣ / ٥٦.

«أن الواقدي روى بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذى فعلت وفعلت! فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتنى، ونصحت صاحبك فاستغشني، فقال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت^(١) الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك، لا يكن لأحد عليك كلام. قال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك! قال أبو ذر: والله ما وجدت لى عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فغضب عثمان وقال: أشيروا على فى هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الاسلام. فتكلم على عليه السلام - وكان حاضرا - وقال: أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ، لأحب ذكره، وأجابه عليه السلام بمثله، قال: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر، أو يكلموه، فمكث كذلك أياما ثم أمر أن يؤتى به، فلما أتى به وقف بين يديه، قال: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر وعمر! هل رأيت هذا هديهم! إنك لتبطش بى بطش جبار، فقال: اخرج عنا من بلادنا، فقال أبو ذر: ما أبغض إليّ جوارك! فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال: فأخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ قال: إنما جلبتكم من الشام لما قد أفسدتها أفاردك إليها! قال: فأخرج إلى العراق؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: تقدم على قوم أهل شُبه وطعن في الائمة قال: فأخرج إلى مصر؟ قال: لا، قال: فإلى أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال أبو ذر: فهو إذن التعرب بعد الهجرة، فأخرج إلى نجد؟ فقال عثمان: الشرف الأبعد أقصى فأقصى، امض على وجهك هذا، ولا تعدون الربذة. فخرج إليها».

ومما اختاره ابن أبي الحديد أيضا^(٢):

«أبو مخنف عن ابن عباس، قال: لما دخل على عليه السلام المسجد، وجاء الناس ليبياعوه، خفت أن يتكلم بعض أهل الشنآن لعلي عليه السلام ممن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته فى حياة رسول الله ﷺ، فيزهد عليّ في الأمر ويتركه، فكنت أرصد ذلك وأتخوفه، فلم يتكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين».

ومما اختاره ابن أبي الحديد أيضا^(٣):

(١) أنغل: أفسد. انظر تاج العروس ١٥/٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٠/٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦/١١.

«أن شيخه أبا عثمان قال: أرسل طلحة والزبير إلى علي عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة مع محمد بن طلحة وقالوا: لا تقل له: يا أمير المؤمنين، ولكن قل له: يا أبا الحسن، لقد قال فيك رأينا، وخاب ظننا أصلحنا لك الأمر، ووطننا لك الإمرة، وأجلبنا على عثمان حتى قتل، فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك وبايعناك، وقدنا إليك أعناق العرب ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا، ورفضتنا رفض التريكة^(١)، وأذلتنا إذالة^(٢) الإمام، وملكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبله وغيرهما من الأعراب ونزاع الأمصار فكنا فيما رجوناك منك وأملناه من ناحيتك كما قال الأول:

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقراق آل فوق رابية صلد

فلما جاء محمد بن طلحة أبلغه ذلك، فقال: اذهب إليهما فقل لهما: فما الذي يرضيكما؟ فذهب وجاءه فقال: إنها يقولان: ولأحدنا البصرة والآخر الكوفة. فقال: لاها الله، إذن يحلم الأديم، ويستشرى الفساد، وتنتقض علي البلاد من أقطارها، والله إنى لا آمنهما وهما عندي بالمدينة، فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقيين؟! اذهب إليهما فقل: أيها الشيخان، احذرا من سطوة الله ونقمته، ولا تبغيا للمسلمين غائلة وكيدا وقد سمعنا قول الله تعالى ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَنْ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصل: ٨٣]. فقام محمد بن طلحة فأتاهما ولم يعد إليه، وتأخرا عنه أياما ثم جاءاه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما ألا ينقضا بيعته، ولا يغدرا به، ولا يشقا عصا المسلمين، ولا يوقعا الفرقة بينهم، وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة. فحلفنا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا».

ومما اختاره ابن أبي الحديد^(٣):

«أن الهيثم بن عدى روى عن مجالد بن سعيد، قال:..أقبل رجل من الأزدي، فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضب^(٤) على أبي بكر، فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قط كان أسلس قيادا لرجل، ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر، فأقبل على الشعبي وقال: هذا مما سألت عنه، ثم أقبل على الرجل وقال: يا أخوا الأزدي، فكيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرها! أترى عدوا يقول في عدو يريد

(١) التريكة: التي تترك فلا يتزوجها أحد.

(٢) الإذالة: الإهانة.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٩.

(٤) الضب: الحقد والعداوة.

أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبى بكر. فقال الرجل: سبحان الله! أنت تقول ذلك يا أبا عمرو! فقال الشعبي: أنا أقوله، قاله عمر بن الخطاب على رؤس الأشهاد، فلمه أو دع. فنهض الرجل مغضبا وهو يهمهم في الكلام بشئ لم أفهمه، قال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلا سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس ويبثه فيهم! قال: إذن والله لا أحفل به، وشئ لم يحفل به عمر حين قام على رؤوس الأشهاد من المهاجرين والأنصار أحفل به أنا! أذيعوه أنتم عنى أيضا ما بدا لكم.

ونخلص من هذا المبحث، أن التشيع الغالي صفة قوم غالوا في حب علي حتى فضلوه على من فضل علي نفسه على نفسه - كما مر في الصحيح عنه - . يضاف إلى ذلك بغضهم عثمان، وطلحة، والزبير، والحط من قدرهم، بل النيل منهم أحيانا، وسبهم أحيانا أخرى.

وذكرنا أنهم ينقسمون من حيث الرواية والأخبار إلى قسمين:

الأول: أصحاب الإسناد: وآفة مروياتهم واختياراتهم إنما أتت كذلك من قبل التدليس، والانقطاع، والإرسال، والنكارة، والشذوذ.. يضاف إلى ذلك عندهم كثرة روايتهم عن المجهولين، والمتروكين، بل الكذابين أحيانا، هذا فضلا عما ابتلوا به ممن استغل غلوهم فكذب عليهم.

الثاني: أصحاب الانتخاب والسرد، ورأينا من النماذج التي عرضنا لها وهن مروياتهم، واختياراتهم بحكم المذهب.



المجلد الثالث

التشيع الرافضي الخبيث

ذكرت قبل أن الحد الفاصل بين الشيعة الغالية وبين الرافضة، إنكار الرافضة لفضل أبي بكر، وعمر، ورفض خلافتيهما، مع سبهما، بل تكفيرهما والصحابة إلا من نصر علياً وأزره في خلافته وحروبه. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «سألت أبي: من الرافضة؟ قال: الذين يسبون - أو يشتمون - أبا بكر وعمر»^(١).

ونشأة الفكر الرافضي تبدأ مع ظهور عبد الله بن سبأ، فقد أخرج ابن أبي خيثمة من طريق زيد بن وهب، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «مالي ولهذا الحميت الأسود. يعني عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر»^(٢). وكذلك ما أخرجه ابن أبي خيثمة أيضاً من طريق عمار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجية أتى به مُلبَّبه - يعني: ابن السوداء - وعليُّ على المنبر، فقال عليُّ: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

وممن كان على شاكلة ابن سبأ في توطيد دعائم مذهب الرافض لإضلال المسلمين: المعلى بن خنيس^(٤).

(١) السنة لعبد الله برقم ١٢٧٣، والسنة للخلال برقم ٧٧٧.

(٢) تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٥٨. وانظر فتنه مقتل عثمان، لمحمد الغبان ٢/ ٧٢٦.

(٣) تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٦٠.

(٤) هو: المعلى بن خنيس، أبو عبد الله مولى الصادق جعفر بن محمد، كوفي، بزاز، ذكره ابن حجر في لسان الميزان (١١١ / ٨). وقال فيه: «من كبار الروافض». وقال ابن الغضائري - وهو شيعي -: «معلى بن خنيس مولى أبي عبد الله عليه السلام: كان أول أمره مغيرياً، ثم دعا إلى محمد بن عبد الله بن الحسن، وفي هذه الظنة أخذه داود بن علي فقتله. والغلاة يضيفون إليه كثيراً. ولا أرى الاعتماد على شيء من حديثه» (الرجال لابن الغضائري ٦ / ٢). وقال فيه النجاشي - وهو شيعي كذلك -: «ضعيف جداً، لا يعول عليه، له كتاب يرويه جماعة» (رجال النجاشي ص ٢٩٩). إلا أن ذلك لم يعجب بعض الروافض فأنكر ذلك قائلاً: «الرجل جليل القدر ومن خالصي شيعة أبي عبد الله، فإن الروايات في مدحه متضافرة، على أن جملة منها صحاح كما مر، وفيها التصريح بأنه كان من أهل الجنة قتله داود بن علي، ويظهر من ذلك أنه كان خيراً في نفسه، ومستحقاً لدخول الجنة، ولو أن داود بن علي لم يقتله. نعم، لا مضايقه في أن تكون له درجة لا ينالها إلا بالقتل، كما صرح به في بعض ما تقدم من الروايات، ومقتضى ذلك أنه كان رجلاً صدوقاً، إذ كيف يمكن =

وذلك واضح في تلك الرواية التي رواها ابن سعد^(١)، وغيره من طريق شباية بن سوار قال أخبرنا فضيل بن مرزوق قال^(٢): سألت عمر بن علي^(٣)، وحسين بن علي^(٤) عمي جعفر قلت:

«هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ذلك، ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية؟ فقالوا: لا والله ما هذا فينا، من قال هذا فينا فهو كذاب. قال: فقلت لعمر بن علي: رحمك الله إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي إن النبي ﷺ أوصى إليه، ثم كانت للحسن إن عليا أوصى إليه، ثم كانت للحسين إن الحسن أوصى إليه، ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسين أوصى إليه، ثم كانت لمحمد بن علي إن عليا أوصى إليه. فقال: والله لمات أبي فما أوصى^(٥) بحرفين، قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متأكلون بنا، هذا خنيس الحرؤ، ما خنيس الحرؤ؟ قال: قلت: المعلى بن خنيس؟! قال نعم المعلى بن خنيس، والله لفكرت على فراشي طويلا أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم المعلى ابن خنيس.

=أن يكون الكذاب مستحقا للجنة، ويكون موردا لعناية الصادق عليه السلام. ويؤكد ذلك شهادة الشيخ بأنه كان من السفراء الممدوحين وأنه مضى على منهج الصادق عليه السلام. ومع ذلك كله لا يعتنى بتضعيف النجاشي، وإن كان هو خرييت هذه الصناعة، ولعل منشأ تضعيفه - قدس الله نفسه - هو ما اشتهر من نسبة الغلو إليه، وقد نسب ذلك إليه الغلاة، وعلماء العامة الذين يريدون الازدراء بأصحاب أبي عبدالله عليه السلام، والله العالم. وأما ما تقدم من أبي الغضائري من تضعيفه، ومن نسبة أنه كان مغيريا، ثم دعاة إلى محمد بن عبدالله فلا يعتنى به لعدم ثبوت نسبة الكتاب إليه، كما تقدم غير مرة». ا.هـ (انظر: معجم رجال الحديث، للموسوي الخوئي ١٩ / ٢٠٤، والمفيد من معجم الرجال الحديث، لمحمد الجواهري ص ٦١٢). قلت: وصدق عمر بن علي، وحسين بن علي صاحبنا خبرنا هنا: «أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم المعلى بن خنيس».

(١) الطبقات ٧ / ٣١٩.

(٢) المتن متن ابن سعد.

(٣) هو: عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني وهو عمر بن علي الأصغر. نقل المزي أنه كان يفضل في ولد الحسين وكان كثير العبادة والاجتهاد. وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة. انظر: الطبقات لابن سعد ٧ / ٣١٨، وتهذيب الكمال ٢١ / ٤٦٦.

(٤) هو: حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخو عمر، قال ابن حبان: من جلة أهل البيت وسادات أهل المدينة مات بها. وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة، وقال: «كان حسين بن علي بن الحسين هذا أصغر ولد أبيه، وبقي حتى أدركه محمد بن عمر، وروى عنه، ولكننا ألحقناه بإخوته في طبقتهم، وليس هو مثلهم في سنهم ولقيهم». انظر: الطبقات لابن سعد ٧ / ٣٢١، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥٦.

(٥) في متن ابن عاصم: «فما أوصاني».

فلم يُعرف الكذب في قوم كما عُرف في الرافضة. فقد اعتبروه من أصول دينهم تحت مسمى (التَّقِيَّة). ومن كذبهم قولهم بالرجعة، وأن عليًّا أولى بالإمامة بعد رسول الله ﷺ، وأنه - ﷺ - أوصى له من بعده، ولكن جاز أصحابه عليه، فانتزعوها منه ظلماً وعدواناً..

ومن ثم، فإذا ذُكر الرافضة ذُكر الكذب. فهم قد اشتهروا به، حتى شُهد عليهم بذلك. يقول: الشعبي: «لو أردتُ أن أطأ رقابهم عبيداً، ويملؤوا بيتي ذهباً، على أن أكذب لهم على عليٍّ. ولكن والله لا أكذب عليه أبداً»^(١).

وقال الشافعي: «لم أر أحداً أشهد بالزور من الرافضة»^(٢).

وقال أشهب بن عبد العزيز: «سئل مالك عن الرافضة فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون»^(٣).

وقال يزيد بن هارون: «لا يُكْتَب عن الرافضة فإنهم يكذبون»^(٤).

وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: «سمعت شريكاً يقول: احمل العلم، عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً»^(٥).

ويقول الآجري: «الرافضة أسوأ الناس حالة، وأنهم كذبة فجرة»^(٦).

ويقول ابن تيمية: «قد علم بالتواتر الذي لا يمكن حجه، كثرة الكذب و ظهوره في الشيعة من زمن علي و إلى اليوم»^(٧).

وهذا ما ثبت لي وأكدته هذه الدراسة، إذ لم أجد أكذب منهم في رواية التاريخ في تلك الحقبة محل الدراسة، وكذلك ما بعدها من تاريخ بني أمية. فلم أر كُتُباً، ولا مَرَوِيًّا أطفح بالكذب من كتبهم ومروياتهم.

وآخر ما ينبغي التنبيه عليه هنا: أن الرافضة ليست فرقة واحدة، بل عدة طوائف وفرق، تباينت مذاهبها عبر التاريخ بمقتضى ظروف كل عصر. وأبرز طوائف الرافضة التي قدر الله لها

(١) السنة لعبد الله برقم ١٢٧٩، والسنة للخلال برقم ٧٩١.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٨/١٠.

(٣) ميزان الاعتدال ١٤٦/١.

(٤) الجرح والتعديل ٢٨/٢.

(٥) ميزان الاعتدال ١٤٦/١.

(٦) الشريعة ص ٢٥٣٥.

(٧) منهاج السنة ٤١٢/٧.

أن تبقى إلى زماننا هذا هم الإمامية الإثنا عشرية^(١). وسوف يكون هذا المذهب الرافضي محور حديثي هنا، وذلك لوفرة أتباعهم في هذا الزمان. كما أن أصحاب هذا المذهب هم أكثر فرق الشيعة كتباً على مر العصور، ومن ثم فهو يكاد يكون أبرز مذاهب الرافضة الذي قد يكشف عن الكثير من قضية الوضع وأثره في الرواية عند الرافضة بوجه عام، حيث إنهم يشتركون جميعاً في الخطوط العامة لهذا الباب.

المطلب الأول

أصحاب الإسناد

وآفة الرواية عند أصحاب هذا المذهب تكمن في تعمدهم الكذب غالباً، ذلك أن دينهم كما سبق وبيّنتُ محلّ لهم ذلك، بل يجعله أصلاً في معتقدتهم باسم التقيّة. ومن أعجب خصائص الكذب عندهم أنه لا ينقضي بزمان بعينه، إذ تجد لهم في كل عصر كذباً جديداً قد لا نجده عند أسلافهم^(٢)!

(١) الإثنا عشرية، أو الإمامية: هو مذهب رافضي، يقول بإمامة اثني عشر معصوماً من نسل علي بن أبي طالب نصّاً، ورفض إمامة أبي بكر، وعمر وعثمان. بل يسبونهم متهمين إياهم أنهم غاصبين الخلافة من صاحبها المنصوص عليه، وهو علي أول أئمتهم المعصومين. وهم يحلون الكذب باسم التقيّة، ويعتبرونها من أصول دينهم. كما أنهم يقولون بالرجعة. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٦، تاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبي زهرة ص ٤٦.

(٢) ومن عجائب ذلك عندهم ما ذكروه في دافع محدثهم النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) لتأليف كتابه مستدرك الوسائل: «عثور المؤلف على بعض الكتب المهمة التي لم تسجل في جوامع الشيعة من قبل!!». (انظر الذريعة ٢/ ١١٠، والتوثيق بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، لأحمد حارس ص ٢٠١). يقول بعض الباحثين المعاصرين: «ويلاحظ أن مدوناتهم الأربع المتأخرة ألّفت في القرن الحادي عشر فما بعده، وآخرها ألفه النوري الطبرسي وهو من معاصري الشيخ محمد عبده، وقد جمع فيه ثلاثة وعشرين ألف حديث عن الأئمة لم تُعرف من قبل، فهي متأخرة عن عصور الأئمة بمئات السنين. فإذا كان هؤلاء قد جمعوا تلك الأحاديث عن طريق السند والرواية، فكيف يثق عاقل برواية لم تسجل طيلة أحد عشر قرناً أو ثلاثة عشر قرناً!! وإذا كانت مدونة في كتب فلم لم يعثر على هذه الكتب إلا في القرون المتأخرة؟ ولم لم يجمع تلك الروايات متقدموهم ولم تذكر تلك الكتب وتسجل في كتبهم القديمة؟ كيف لم يسجلها الكليني وهو بحضرة السفراء الأربعة سفراء المهدي، وقد سماه الكافي لأنه كاف للشيعة. بل إن الطوسي قال بأنه جمع في كتابه تهذيب الأحكام جميع ما يتعلق بالفقه من أحاديث أصحابهم وكتبهم وأصولهم لم يتخلف عن ذلك إلا قليل وشاذ ويسير!! فهل هذه الكتب وضعت فيما بعد في أيام الدولة الصفوية ونسبت لشيوخهم الأوائل؟ وهذا ليس ببعيد». انظر: أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله القفاري ١/ ٣٥٩، والتوثيق بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، لأحمد حارس سحيمي ص ٢٠٢-٢٠٣.

ومن أبرز من رأيته يمثل أصحاب هذا المذهب:

- محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكلبي: متفق على ضعفه وتشيعه، وخبث مذهبه. فقد روى ابن أبي حاتم أنه «قيل لزائدة: لم لا تروى عن الكلبي؟ قال كنت أختلف إليه فسمعتة يوما وهو يقول مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ فأتيت آل محمد صلى الله عليه وسلم فنفضوا في فيَّ فحفظت ما كنت نسيت، فقلت: لا والله لا أروى عنك بعد هذا شيئا فتركته»^(١). وقال ابن حبان: «كان الكلبي سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ من أولئك الذين يقولون إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها»^(٢). وهو متهم بالكذب. روى ابن أبي حاتم أن «سفيان الثوري قال: قال لنا الكلبي ما حدثت عنى عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا تروه»^(٣). وعن سفيان أيضا أنه قال لأصحابه: «اتقوا الكلبي فليل له، إنك تروى عنه؟ قال، أنا أعرف صدقه من كذبه»^(٤). وقد توفي سنة ١٤٠ هـ.

- هشام بن محمد بن السائب، أبو المنذر الكلبي: متفق على ضعفه كأبيه. قال ابن حبان: «كان غاليا في التشيع»^(٥). وقال ابن عساكر: «رافضي ليس بثقة»^(٦). قلت: وهو مترجم في كتب الشيعة. قال الحلي فيه: «الناسب العالم المشهور بالعلم والفضل العارف بالأيام. كان مختصا بمذهبننا. قال: اعتلتت علة عظيمة نسيت علمي فجلست إلى جعفر بن محمد فسقاني العلم في كأس فعاد إلي علمي، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقربه ويدنيه ويبسطه»^(٧). من أهم كتبه في هذا الباب كتاب (المثالب) جمع فيه مثالب أشرف العرب ومنهم صحابة^(٨). توفي سنة ٢٠٤ هـ.

- إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال، أبو إسحاق الثقفي: «كان غاليا في الرفض ترك حديثه»^(٩). وقال الحلي فيه: «كان زيديا أولا وانتقل إلى القول بالإمامية وصنف فيها»^(١٠). من

(١) الجرح والتعديل ٧ / ٢٧٠.

(٢) المجروحين ٢ / ٢٥٣.

(٣) الجرح والتعديل ٧ / ٢٧١.

(٤) المجروحين ٢ / ٢٥٦.

(٥) المجروحين ٣ / ٩١.

(٦) انظر لسان الميزان ٨ / ٣٣٨.

(٧) الرجال، لابن المطهر الحلي ص ٨٧.

(٨) وهو مطبوع. وعندى منه نسخة خطية.

(٩) لسان الميزان ١ / ٣٥١.

(١٠) الرجال، لابن المطهر الحلي ص ٤.

كتبه التي وصلت إلينا، كتاب (الغارات) ويتناول أخبار علي من بعد صفين بدءاً بالنهروان فما بعد ذلك وما جرى بينه وبين معاوية. ومن كتبه أيضاً: السقيفة، والردة، والشورى، ومقتل عثمان، وصفين والحكمين^(١). توفي سنة ٢٨٣هـ.

- محمد بن زكريا بن دينار، أبو عبد الله الغلابي البصري: كان أخبارياً متهماً بالوضع^(٢). ترجمه الشيعة في كتبهم. يقول النجاشي: كان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة، وكان أخبارياً واسع العلم^(٣). مات سنة ٢٩٨هـ.

- الهيثم بن عدي بن عبدالرحمن، أبو عبدالرحمن الطائي: أخبارياً متهم، تركوا الرواية عنه^(٤). كان من أهل الكوفة بها ولد ونشأ، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدث بها^(٥). توفي سنة ٢٠٧هـ.

- نصر بن مزاحم العطار، أبو الفضل المنقري: أخبارياً كوفي متهم، تركوه. قال فيه الجوزجاني: «كان زائغاً عن الحق مائلاً»^(٦). قال الخطيب البغدادي: «أراد بذلك غلوه في الرفض»^(٧). ونقل ابن حجر عن العجلي قال: «كان رافضياً غالياً»^(٨). من أهم تصانيفه كتاب (وقعة صفين)، وهو مطبوع مشهور. توفي سنة ٢١٢هـ.

وأما عن مرويات هذه الطائفة وأثر الوضع فيها، فإنها لا تنقضي بزمان بعينه، ولا بمصادر بعينها، بل تكاد تجد في كل عصر مرويات قد لا تجدها عند أسلافهم. فلم أجد في مرويِّ قومٍ من الوضع ما رأيت عند الرافضة. ومن ثم، فسوف أكتفي بعرض نوعين من نماذج الوضع في الرواية في هذا الباب:

الأول: ما كان في أسانيد أهل السنة وكتبهم ويوافق مذهب الرافضة.

والآخر: ما كان عند الرافضة من خالص كتبهم وأسانيدهم.

النوع الأول: ما كان في أسانيد أهل السنة وكتبهم ويوافق مذهب الرافضة:

(١) لسان الميزان ١/ ٣٥١.

(٢) سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني برقم ٢٠٦.

(٣) رجال النجاشي ٢/ ٦٢٠.

(٤) لسان الميزان ٨/ ٣٦١.

(٥) تاريخ مدينة السلام ١٦/ ٧٦.

(٦) أحوال الرجال برقم ١٠٩.

(٧) تاريخ مدينة السلام ١٥/ ٣٨٣.

(٨) لسان الميزان ٨/ ٢٦٧.

١. أخرج أحمد^(١)، وابن أبي عاصم^(٢)، والطبراني^(٣)، والحاكم^(٤)، وابن عساكر^(٥)، من طريق أبي بلج، حدثنا عمرو بن ميمون، قال:

«إني جالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا أبا عباس، إما أن تقوم معنا، وإما أن يخلونا هؤلاء، قال: فقال ابن عباس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدءوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه، ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له عشر.. خرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال له نبي الله: لا. فبكى علي، فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، قال: وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليي في كل مؤمن بعدي».

وأخرج ابن أبي عاصم^(٦) من طريق يحيى بن حماد، عن أبي عوانة، عن يحيى بن سليم أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، قال:

«قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست نبيا، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في كل مؤمن من بعدي».

قلت: ولا يصح بمرّة، فإن في متنه ألفاظا منكّرة، بل باطلة، لمنافرتها ما في الصحيح. ومن يقرأ هذا الخبر بروية وتأمل، يجد رائحة الرفض تفوح منه، وهو خبر منكر كما قال أحمد. وقال ابن الجوزي عن هذا الخبر - في جملة أخبار من هذا الباب -: «وهذه الأحاديث كلها من وضع الرافضة، قابلوا بها الحديث المتفق على صحته في سد الأبواب غير باب أبي بكر»^(٧). وقال ابن تيمية: «وفيه ألفاظ هي كذب على رسول الله ﷺ، كقوله: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنك لست بنبي، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي). فإن النبي ﷺ ذهب غير مرّة وخليفته على المدينة غير علي. كما اعتمر عمرة الحديبية وعلي معه وخليفته غيره. وغزا بعد ذلك خيبر ومعه علي وخليفته بالمدينة غيره، وغزا غزوة الفتح وعلي معه وخليفته في

(١) مسنده ١/ ٣٣٢، وفضائل الصحابة برقم ١١٦٨.

(٢) السنة برقمي ١١٨٨، ١٣٥١.

(٣) المعجم الكبير برقم ١٢٥٩٣.

(٤) المستدرک ٣/ ١٣٢.

(٥) تاريخ دمشق ٤٢/ ١٠٢.

(٦) السنة برقم ١١٨٨.

(٧) الموضوعات ٢/ ١٣٦.

المدينة غيره، وغزا حنينا والطائف وعلي معه، وخليفته بالمدينة غيره وحج حجة الوداع وعلي معه، وخليفته بالمدينة غيره، وغزا غزوة بدر ومعهم علي وخليفته بالمدينة غيره، وكل هذا معلوم بالأسانيد الصحيحة، وباتفاق أهل العلم بالحديث، وكان علي معه في غالب الغزوات وإن لم يكن فيها قتال، فإن قيل: استخلافه يدل على أنه لا يستخلف إلا الأفضل. لزم أن يكون علي مفضولا في عامة الغزوات، وفي عمرته، وحجته، لا سيما وكل مرة كان يكون الاستخلاف على رجال مؤمنين، وعام تبوك ما كان الإستخلاف إلا على النساء والصبيان، ومن عذر الله وعلي الثلاثة الذين خلفوا، أو متهم بالنفاق، وكانت المدينة آمنة لا يخاف على أهلها، ولا يحتاج المستخلف إلى جهاد كما يحتاج في أكثر الاستخلافات»^(١).

قلت: وقد أفاض محققو مسند أحمد الكلام فيه جدا^(٢) بما يغني عن إعادته. وقد أعله القدماء والمحدثون بعلل، أهمها تفرد أبي بلج به عن عمرو بن ميمون، ومثله لا يحتمل التفرد. قلت: وأبو بلج على الرغم من اختلافهم في توثيقه وتضعيفه، فإني لم أجد من اتهمه بالتشيع بله الرفض!! حتى وجدت قولاً لعبد الغني بن سعيد ذكره ابن رجب الحنبلي قال: «وذكر عبد الغني بن سعيد المصري الحافظ أن أبا بلج أخطأ في اسم عمرو بن ميمون هذا، وليس هو بعمرو بن ميمون المشهور، إنما هو ميمون أبو عبد الله مولى عبد الرحمن بن سمرة، وهو ضعيف»^(٣). قلت: وإذا علمنا أن أبا بلج كان ممن يخطئ^(٤)، وأن هذا الخبر يُعرف بميمون هذا كما قال ابن عدي^(٥)، تبين لنا وجهة كلام عبد الغني. وتتبع مرويات ميمون هذا وجدته لا يُعرف إلا بمثل هذه المرويات في علي وشيعته، وتفوح من مروياته ريح الرفض. وميمون ضعيف. قال فيه يحيى بن معين: ميمون أبو عبد الله لا شيء. وقال أحمد: أحاديثه مناكير^(٦). قلت: ويزيد تأكيد ما سبق أن عمرو بن ميمون لا تُعرف له رواية عن ابن عباس^(٧).

(١) منهاج السنة ٥ / ٣٤-٣٦.

(٢) مسند أحمد ٥ / ١٨١-١٨٨ ط الرسالة. وانظر أيضا كلام ابن تيمية في هذا الباب في منهاج السنة ٥ / ٣٤-٣٦.

(٣) شرح علل الترمذي، لابن رجب ٢ / ٨٢٢.

(٤) المجروحين ٣ / ١١٣.

(٥) الكامل لابن عدي ٦ / ٤١٣.

(٦) الجرح والتعديل ٨ / ٢٣٤-٢٣٥، والكامل لابن عدي ٦ / ٤١٣، وتهذيب الكمال ٢٩ / ٢٣١.

(٧) شرح علل الترمذي، لابن رجب ٢ / ٨٢١.

٢. أخرج عبد الرزاق^(١) - ومن طريقه أحمد^(٢)، والطبراني^(٣) - عن أبيه عن ميناء عن عبد الله بن مسعود قال:

«كنت مع النبي ﷺ ليلة وفد الجن، قال: فتنفس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله قال: نُعيت إلي نفسي يا بن مسعود. قلت: فاستخلف. قال: مَنْ؟ قلت: أبو بكر. قال: فسكت، ثم مضى ساعة، ثم تنفس، قال: فقلت: ما شأنك؟ قال: نُعيت إلي نفسي يا بن مسعود. قال: قلت: فاستخلف. قال: مَنْ؟ قلت: عمر. قال: فسكت، ثم مضى ساعة، ثم تنفس. قال: فقلت: ما شأنك؟ قال: نُعيت إلي نفسي يا بن مسعود. قال: قلت: فاستخلف. قال: مَنْ؟ قلت: علي بن أبي طالب. قال: أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين».

وهذا خبر موضوع، المتهم به ميناء، وهو ابن أبي مينا الخراز مولى عبد الرحمن بن عوف، كان شيعيا غالبا رُمي بالرفض، وكان متهما بالكذب متروكا^(٤).

وأخرج الطبراني^(٥) نحوه من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن حرب بن صبيح ثنا سعيد بن مسلم عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدي عن عبد الله بن مسعود، وفيه:

«..قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقته قلت: يا رسول الله، ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عني. فرأيت أنه لم يوافقته. قلت: يا رسول الله، ألا تستخلف عليا؟ قال: ذاك والذي لا إله غيره، لو بايعتموه وأطعتموه أدخلكم الجنة أكتعين».

قلت: ويحيى مضطرب الحديث، وحرب هذا لم أجده. وأبو مرة الصنعاني لم أعرفه.

٣. أخرج الطبري^(٦)، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن زياد بن كليب قال:

«أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتا السيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه».

(١) المصنف ١١/٣١٧.

(٢) المسند ١/٤٤٩.

(٣) المعجم الكبير برقم ٩٩٧٠.

(٤) انظر: الجرح والتعديل ٨/٣٩٥ - وفيه: كان يكذب - والكامل لابن عدي ٦/٤٥٩، وتقريب التهذيب ص ٤٨٨.

(٥) المعجم الكبير برقم ٩٩٦٩.

(٦) تاريخه ٣/٢٠٢.

هذا خبر منكر، محمد بن حميد الرازي شيخ الطبري، الراجح فيه أنه منكر الحديث. قال ابن حبان: كان ممن ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده. وقال أحمد: إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة وإذا حدث عن أهل بلده.. أتى بأشياء لا تعرف لا تدرى ما هي^(١). وكذبه أبو زرعة، وابن وارة الرازيان، قالوا: صح عندنا أنه يكذب^(٢). قلت: وجريرو الذي روى عنه ابن حميد هنا هو ابن عبد الحميد الرازي، أي إنه بلديّ ابن حميد. كما أن الخبر منقطع، زياد لم يدرك أبا بكر.

٤. أخرج البلاذري^(٣) قال: حدثني بكر بن الهيثم، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

«بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي حين قعد عن بيعته وقال: اتنني به بأعنف العنف، فلما أتاه، جرى بينهما كلام. فقال علي: احلب حلبا لك شطره^(٤). والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤمرك غداً وما نفس على أبي بكر هذا الأمر ولكننا أنكرنا ترككم مشاورتنا، وقلنا: إن لنا حقاً لا يجهلونه. ثم أتاه فبايعه».

لا يصح بمره، بكر بن الهيثم لم أجد له ترجمة، والكلبي هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر الكوفي، متهم بالكذب، ورمي بالرفض^(٥).

٥. أخرج أحمد^(٦)، وولده عبد الله^(٧)، والقطيبي^(٨)، والبلاذري^(٩)، وابن بطة العكبري^(١٠)، والخلال^(١١)، جميعهم من طريقين أبي الجحاف داود بن أبي عوف قال:

(١) المجروحين ٢/٢٠٣-٢٠٤.

(٢) نفسه ٢/٢٠٤.

(٣) أنساب الأشراف ٢/٢٦٩.

(٤) قولهم: «احلب حَلْبًا لك شطره»، يضرب مثلا للرجل يعين صاحبه على أمر له فيه نصيب. انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/٧٤.

(٥) الجرح والتعديل ٧/٢٧٠، وتقريب التهذيب ص ٤١٥.

(٦) فضائل الصحابة برقم ١٠٢.

(٧) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٠١.

(٨) زياداته على فضائل الصحابة برقم ١٣٣.

(٩) أنساب الأشراف ٢/٢٧٠.

(١٠) الإبانة برقمي ٢١١، ٢١٢.

(١١) السنة برقم ٣٧٢.

«لما بويع أبو بكر فبايعه علي وأصحابه، قام ثلاثا يستقبل الناس يقول: أيها الناس، قد أقتلكم ببيعتكم، هل من كاره؟ قال: فيقوم علي في أوائل الناس فيقول: والله لا نقتلك ولا نستقبلك ابدا، قدّمك رسول الله ﷺ تصلي بالناس فمن ذا يؤخرك؟!».

قلت: خبر لا يصح، فإسناده منقطع، أبو الجحاف فضلا عن تشيعه لم يدرك أبا بكر ولا عليا، كما أن طريقه إلى أبي الجحاف لم يسلم من شيعي متهم بالرفض، أو بالغلو. وقال ابن تيمية في نحو هذا الخبر ردا على بعض الرافضة: «قال الرافضي: (وقال: أقبيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم فإن كانت إمامته حقا كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن). والجواب أن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم. فإنه لم يقل: وعلي فيكم! بل الذي ثبت عنه في الصحيح أنه قال يوم السقيفة: بايعوا أحد هذين الرجلين، عمر بن الخطاب، وأبا عبيدة بن الجراح. فقال له عمر: بل أنت سيدنا وخيرنا»^(١).

٦. أخرج ابن سعد^(٢)، قال أخبرنا عمر بن عقبة الليثي عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال:

«أرسل العباس بن عبد المطلب إلى بني عبد المطلب، فجمعهم عنده قال: وكان علي عنده بمنزلة لم يكن أحد بها، فقال العباس: يا بن أخي، إني قد رأيت رأيا لم أحب أن أقطع فيه شيئا حتى أستشيرك. فقال علي: وما هو؟ قال: ندخل على النبي ﷺ فنسأله إلى من هذا الأمر من بعده، فإن كان فينا لم نسلمه والله ما بقي منا في الأرض طارف، وإن كان في غيرنا لم نطلبها بعده أبدا. فقال علي: يا عم، وهل هذا الأمر إلا إليك، وهل من أحد ينازعكم في هذا الأمر! قال: فتفرقوا ولم يدخلوا على النبي ﷺ».

قلت: عمر بن عقبة الليثي هذا لم أجد له ترجمة، وشعبة مولى ابن عباس ضَعْف^(٣).

٧. أخرج البلاذري^(٤)، قال: حدثني عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله قال:

«قال العباس لعلي: ما قدّمك إلى شيء إلا تأخرت عنه. وكان قال له لما قبض رسول الله ﷺ: اخرج حتى أبايعك على أعين الناس، فلا يختلف عليك اثنان.»

(١) منهاج السنة ٥/٤٦٨.

(٢) الطبقات ٢/٢١٦.

(٣) انظر تهذيب الكمال ١٢/٤٩٧.

(٤) أنساب الأشراف ٢/٢٦٥.

فأبى وقال: أو منهم من ينكر حقنا ويستبدّ علينا؟ فقال العباس: سترى أن ذلك سيكون. فلما بويع أبو بكر، قال له العباس: ألم أقل لك يا علي؟».

لا يصح، في إسناده، محمد بن السائب الكلبي، وسبق أنه رمي بالرفض. وهشام ولده - والد عباس بن هشام - ضُعبٌ أيضا.

٨. أخرج عمر بن شبة^(١) عن محمد بن منصور قال، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال، حدثنا جويرية قال:

«أرسل عثمان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه يستمده، فبعث معاوية رضي الله عنه يزيد بن أسد جد خالد القسري، وقال له: إذا أتيت ذا خشب^(٢) فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذئ خشب حتى قتل عثمان رضي الله عنه. فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمدا ليقتل عثمان رضي الله عنه فيدعو إلى نفسه».

قلت: إن كان جويرية هذا هو جويرية بن أسماء فهو منقطع - ولا أعرف لجعفر رواية عن جويرية بن أسماء - وإلا فإني لا أعرفه.

٩. أخرج عمر بن شبة^(٣) عن محمد بن يحيى قال، حدثني غسان بن عبد الحميد قال:

«قدم المسور بن مخرمة على معاوية رضي الله عنه، فدخل عليه وعنده أهل الشام فقال معاوية رضي الله عنه: يا أهل الشام هذا من قتلة عثمان، فقال المسور: إني والله ما قتلت عثمان، ولكن قتله سيرة أبي بكر وعمر، وكتب يستمدك بالجند فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء».

قلت: إسناده منقطع، فغسان بن عبد الحميد إنما يروي عن ابن إسحاق، وتوفي نحو سنة ١٧٠ هـ، وقال فيه أبو حاتم: مجهول^(٤).

١٠. أخرج عمر بن شبة^(٥) عن عبد الله بن عمرو قال، حدثنا عمرو بن ثابت، عن أبي فزارة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

(١) أخبار المدينة ٤/١٢٨٨-١٢٨٩.

(٢) حُشب: بضم أوله وثانيه وآخره باء موحدة: واد على مسيرة ليلة من المدينة. انظر معجم البلدان ٢/٣٧٢.

(٣) أخبار المدينة ٤/١٢٨٩.

(٤) الجرح والتعديل ٧/٥١. وانظر رواية محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، لمطاع الطرايشي، ص ٤٢٢.

(٥) أخبار المدينة ٤/١١٦٩.

«قال لي عبد الملك ابن مروان: أشهدت الدار؟ قلت: نعم فليسأل أمير المؤمنين عما أحب. قال: أين كان علي؟ قلت: في داره. قال: فأين كان الزبير؟ قلت: عند أحجار الزيت. قال: فأين كان طلحة؟ قلت نظرت فإذا مثل الحرة السوداء فقلت ما هذا؟ قالوا: طلحة واقف، فإن حال حائل دون عثمان قاتله. فقال: لولا أن أبي أخبرني يوم مرج راهط، أنه قتل طلحة ما تركت على وجه الأرض من بني تميم أحدا إلا قتلتته».

لا يصح، عمرو بن ثابت رافضي متروك^(١)، قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة ولا مأمون^(٢).

١١. أخرج الحاكم^(٣) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن شقيق، عن مسروق قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها:

«إني رأيتني على تل وحوالي بقر تنحر فقلت لها: لئن صدقت رؤياك لتكونن حولك ملحمة. قالت: أعود بالله من سرك! بئس ما قلت. فقلت لها: فلعله إن كان أمرا سيسوءك. فقالت: والله لئن أخرج من السماء أحب إلي من أن أفعل ذلك. فلما كان بعد ذكر عندها أن عليا عليه السلام قتل ذا الثدية فقالت لي: إذا أنت قدمت الكوفة فاكتب لي ناسا ممن شهد ذلك ممن تعرف من أهل البلد. فلما قدمت وجدت الناس أشياعا، فكتبت لها من كل شيع عشرة ممن شهد ذلك قال؟ فأتيتهما بشهادتهم فقالت: لعن الله عمرو بن العاص فإنه زعم لي أنه قتله بمصر».

قلت: وهذا متن أخطأ فيه جرير. فقد خالفه أبو معاوية الضرير - فيما أخرجه ابن أبي شيبة^(٤) - فرواه عن الأعمش عن شقيق، عن مسروق، عن عائشة، قالت:

«رأيتني على تل كأن حولي بقر تنحر، فقال مسروق: إن استطعت أن لا تكوني أنت هي فافعلي، قال: فابتليت بذلك رحمها الله».

من غير تلك الزيادة في اللعن! وأبو معاوية هو محمد بن خازم الضرير، وهو أوثق في الأعمش من جرير. قال ابن معين: «أبو معاوية أثبت من جرير في الأعمش»^(٥). وقال أيوب بن إسحاق: «سألت أحمد ويحيى عن أبي معاوية وجرير قالوا: أبو معاوية أحب إلينا. يعنيان في الأعمش»^(٦). وقال ابن نمير: «كان أبو معاوية لا يضبط شيئا من حديثه ضبطه لحديث الأعمش»^(٧).

(١) تهذيب الكمال ٥٥٣/٢١.

(٢) الجرح والتعديل ٢٢٣/٦.

(٣) المستدرک ١٣/٤، وفيه طول.

(٤) المصنف برقم ٣١١٥٣.

(٥) التاريخ رواية الدوري برقم ٢٦٢٥.

(٦) تاريخ مدينة السلام ١٤٤/٣.

(٧) المصدر نفسه ١٤٢/٣.

قلت: وما رواه البيهقي^(١) في هذا الباب قد يكشف لنا شيئاً من مصدر هذا الخطأ في تلك الرواية. فقد أخرج البيهقي من طريق عمر بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبان بن صالح، قال: هذا كتاب جدي محمد بن أبان فقرأت فيه: حدثنا الحسن بن الحر، قال: حدثنا الحكم بن عتيبة، وعبد الله بن أبي السفر، عن عامر الشعبي، عن مسروق، قال: قالت عائشة:

«عندك علم من ذي الثدية الذي أصابه علي عليه السلام في الحرورية؟ قلت: لا. قالت: فاكتب لي بشهادة من شهدهم» فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع. فكتبت شهادة عشرة من كل سبيع، ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها قالت: أكل هؤلاء عاينوه؟ قلت: لقد سألتهم فأخبروني أن كلهم قد عاينه. قالت: لعن الله فلانا فإنه كتب إلي أنه أصابهم بنيل مصر، ثم أرخت عينيها فبكت، فلما سكتت عبرتها قالت: رحم الله عليا لقد كان على الحق، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها».

قلت: عمر بن عبد الله بن محمد بن محمد بن أبان بن صالح. كذا هو في مطبوعة (الدلائل)، ولم أجده، فلست أدري، هل الطبعة صائبة والرجل مجهول العين والحال، أم أن هناك خطأ في المطبوعة وأن الصواب أنه عبد الله بن محمد بن محمد بن أبان بن صالح؟ والاحتمال الأخير عندي أرجح. وأن الصواب أنه عبد الله بن محمد بن محمد بن أبان بن صالح. فإن صح هذا الاحتمال فيكون الخبر منقطعاً. ذلك أن الرواية - كما في ظاهر الإسناد - وجادة، فهو لم يسمع كتاب جده. وعبد الله بن عمر وإن كان صدوقاً، إلا أنه كان غالباً في التشيع. فقد جاء عن صالح جزرة، قوله: «كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن كل من يجيئه من أصحاب الحديث فإنه كان غالباً في التشيع»^(٢)، وجدّه محمد بن أبان بن صالح بن عمير الجعفي الكوفي، ضعفه^(٣). قال ابن حبان: «كان ممن يقلب الاخبار وله الوهم الكثير في الآثار»^(٤).

ويبدو أن الخبر استهواه بعض المتهمين فسرقه. فقد رواه ابن الأعرابي^(٥) بنحوه عن سهل بن عامر البجلي، نا أبو خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة.. قلت: وسهل بن عامر قال أبو حاتم: «ضعيف الحديث، روى أحاديث بواطيل، أدركته بالكوفة وكان يفتعل الحديث»^(٦). وقال البخاري: «منكر الحديث»^(٧).

(١) دلائل النبوة ٦/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) تاريخ مدينة السلام ١٠/ ٤٤٤، وميزان الاعتدال ٤/ ١٥٣.

(٣) انظر الكامل لابن عدي ٦/ ١٢٨.

(٤) المجروحين ٢/ ٢٦٠.

(٥) معجم ابن الأعرابي برقم ٨٢٨.

(٦) الجرح والتعديل ٤/ ٢٠٢.

(٧) الكامل لابن عدي ٣/ ٤٤٢.

١٢. أخرج نعيم بن حماد^(١)، والبلاذري^(٢) من طريق جُميع بن عمير قال:
«قيل لعائشة: أخرجت علي علي؟ فقالت والله لوددت أني اقتديت ذلك المسير
بما عرض من شيء، ولكنه قدر».

جُميع بن عمير قال ابن حبان: كان رافضياً يضع الحديث^(٣). هذا، وقد أخرج نعيم بن حماد^(٤)
عن المطلب بن زياد حدثنا كثير أبو إسماعيل عن ابن عباس بنحوه. وقد سبق الكلام عليه.

النوع الثاني: ما كان عند الرافضة من خالص كتبهم وأسانيدهم:

وقبل عرض ما يدل على أثر الوضع في رواية التاريخ عند الرافضة من خالص كتبهم، ينبغي
أولا التعرف بإيجاز على الخطوط العامة التي تقوم عليها عملية الرواية عند القوم، إذ إنها
ستكشف لنا الكثير من جوانب تلك القضية - قضية الوضع في رواية التاريخ عند الرافضة -
فضلا عن أن تلك الخطوط العامة سوف تغنينا عن نقد تلك الروايات، بمقتضى قاعدة (ما بُني
على باطل فهو باطل). إذ إن أسس منهج الرواية عند القوم يفتقر إلى المنهج العلمي المنضبط
الذي يُمكن من الوثوق بالرواية أو التثبت من صحتها.

يقوم منهج الرواية عند الرافضة في أصله على أساس العصبية المذهبية المقيتة. وأهم عناصر
تلك المذهبية العصبية: عصمة الإمام، فعندهم أن «الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوماً من
جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنّ الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما
يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه،
حالمهم في ذلك حال النبي.. أمّا علمه: فهو يتلقّى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من
طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجدّ شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية
التي أودعها الله تعالى فيه»^(٥). ويستدلون على ذلك بحديث: «(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن
عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني)^(٦). وإذا كانت

(١) الفتن برقم ١٨٣.

(٢) أنساب الأشراف ٥٩/٣.

(٣) المجروحين ٢١٨/١.

(٤) الفتن برقم ٢٠٣.

(٥) عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، مركز الأبحاث العقائدية، ص ٧٥-٧٦.

(٦) لا يصح، رواه الحاكم (المستدرک ١٢١/٣)، وابن عدي (الكامل ٣٤٩/٤، ٢٣٣/٧)، وابن عساكر
(تاريخ دمشق ٤٢/٢٧٠، ٣٠٧)، في إسناده يحيى بن يعلى الأسلمي، كوفي شيعي. ضعفه ابن أبي حاتم
(الجرح والتعديل ١٩٦/٩). وقال البخاري «مضطرب الحديث». (التاريخ الأوسط ٨٠٢/٤)، وقال ابن
معين: «ليس بشيء». (الكامل ٢٣٣/٧). وقال ابن حبان: «يروى عن الثقات الأشياء المقلوبات». (المجروحين ١٢١/٣).

طاعة الله وطاعة الرسول وطاعة علي واحدة، فهل من معصية أو سهو أو خطأ يتصوّر في رسول الله وعلي والائمة الاطهار^(١).

فإذا علمنا أن أول هؤلاء الأئمة بتلك الصورة المذهبية عندهم هو علي بن أبي طالب، الذي اختلف مع بعض الصحابة، واختلف بعضهم معه، أدركنا أول الخلل في الأصول التي على أساسها يمكن تناول مرويات (المعصوم) عندهم، ومرويات عصره ثم تفسيرها!! فذلك أول مزلق الحرج، إذ كيف سنعالج تلك الفترة التاريخية العصبية رواية وتفسيراً وفق هذا المذهب؟!

فليس هناك شك أن أصول القوم في الرواية ستقوم على هذا الأصل العقدي المتعصب. وعليه، فإنه يمكن أن نُقدّر، بوضوح لا لبس فيه، قدر الشرخ الواسع، والبون الشاسع بين كل من المذهبيين - أهل السنة، والرافضة - في أصول الرواية وتفسيرها.

ومن يتأمل تاريخ أصول الرواية وقواعدها عند القوم يرى عجباً. فهم على الرغم من معرفتهم للإسناد في الرواية منذ صنّف لهم الكليني^(٢) كتابه (الكافي)، فإن هذا لم يشتهر عندهم. إذ لم يكن مُلزماً للرواية كما كان عند أهل السنة. ذلك أنه يكفي القوم أن يكون الرواية على مذهبهم ليكون إسناداً وحده، فيكون حجة في الرواية، ثقة فيما يقول، أسند أم لم يسند^(٣). ومما يشهد على ذلك عندهم ما نُقل عن شيخهم المجلسي^(٤): «إننا لا نحتاج إلى سند لهذه الأصول الأربعة^(٥)، وإذا أوردنا سنداً فليس إلا للتيمن والتبرك والافتداء بسنة السلف^(٦)».

(١) العصمة، لعلي الحسيني الميلاني، مركز الأبحاث العقائدية، ص ٣٥-٣٦.

(٢) هو: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني: فقيه إمامي من أهل كلين بالري. كان شيخ الشيعة ببغداد، من كتبه (الكافي في علم الدين) ثلاثة أجزاء: الأول في أصول الفقه، والأخيران في الفروع. وتوفي ببغداد سنة ٣٢٩هـ. انظر: فهرست الطوسي ص ٣٢٦، والأعلام للزركلي ١٤٥/٧.

(٣) وليس أدل على ذلك من قَطْعهم بصحة كتاب (نهج البلاغة) المنسوب للإمام علي، على الرغم من أنه كتاب جُمع بعد وفاة مَنْ نُسب إليه بنحو ثلاثة قرون أو يزيد، من غير أن يسند فيه خبر واحد.

(٤) هو: محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الاصفهاني: علامة إمامي. ولي مشيخة الاسلام في أصفهان. وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث. من أهم كتبه بحار الأنوار. توفي سنة ١١١١هـ. انظر: روضات الجنات في أحوال العلماء و السادات محمد باقر الموسوي الخوانساري ١/١١٨، والأعلام للزركلي ٤٨/٦.

(٥) تلك الكتب الأربعة المعتمدة في الفقه الشيعي الإمامي، وهي: (الكافي) للكليني (ت ٣٢٩هـ)، و(من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، ثم (تهذيب الأحكام)، و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) كلاهما لمحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

(٦) انظر: أصول مذهب الشيعة ١/٣٩١.

وهم لم يعرفوا معنى نقد الرواية إلا متأخراً - وهذا هو العجب - وتحديدًا بدءاً من القرن السابع تقريباً في عصر علامتهم ابن المطهر الحلي^(١)، عندما ضجروا من تشنيع أهل السنة عليهم أنهم لا دراية لهم بنقد الرواية ومعرفة الرواة وأحوالهم.. وفي ذلك يقول ابن تيمية حين ذكر ابن المطهر الحلي أن لهم أحاديث رواها (رجالهم الثقات) فقال: «يقال لهؤلاء الشيعة: من أين لكم أن الذين نقلوا هذه الأحاديث في الزمان القديم ثقات وأنتم لم تدركوهم، ولم تعلموا أحوالهم، ولا لكم كتب مصنفة تعتمدون عليها في أخبارهم التي يميز بها بين الثقة وغيره، ولا لكم أسانيد تعرفون رجالها»^(٢).

وهنا كانت غيرتهم المشوبة بالخزي هي التي دفعتهم إلى محاولة وضع شيء من قواعد نقد الرواية. وكانت حسرتهم أنهم لم يجدوا لهم سلفاً في هذا الأمر! فكانوا بين أمرين: إما التمحك فيمن عرف بميله الشيعي من أهل السنة وكانت له تصانيف في هذا الباب^(٣). وإما الاتكاء على أهل السنة في اقتباس أصول هذا الفن منهم بحكم سابقتهم المشهورة في هذا الباب.

وكان هذا الأمر الثاني هو الذي تواتر اعترافهم به، فلم يجدوا منه مناصاً أن يعترفوا بهذه الحقيقة. وذلك يعني من غير شك تأخرهم في طرُق باب النقد حين اقتبسوه من أهل السنة - كما سبق وأشرت آنفاً -.

فإنه يلاحظ أن بداية نقد الرواية عند الشيعة كانت في القرن السابع، وجاءت متوافقة مع حملة ابن تيمية عليهم في (منهاج السنة) حينما شنع على الشيعة قصورهم في معرفة علم الرجال، وقلة خبرتهم في ذلك، كما انبرى يكشف استدلالات الشيعة من كتب السنة ويبين جهلهم وكذبهم في هذا الباب حيث يستدلون بالضعيف والموضوع، وينقلون من المصادر غير المعتمدة.

(١) هو: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، جمال الدين، ويعرف عند الشيعة بالعلامة. من أئمتهم. نسبته إلى الحلة في العراق، مولده ووفاته فيها. توفي سنة ٧٢٦هـ. انظر: أمل الأمل للحر العاملي ٢/ ٨١، والأعلام للزركلي ٢/ ٢٢٧.

(٢) منهاج السنة ٧/ ٤١٢.

(٣) وهذا رأي شاذ، ممن تبناه من الرافضة: حسن الصدر في كتابه (الشيعة وفنون الإسلام) فقال: «أول من تصدى له أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وهو محمد بن عبد الله المشهور، المتوفى سنة خمس وأربع مائة هـ، صنف فيه كتاباً سماه «معرفة علوم الحديث» في خمسة أجزاء، ونوع فيه الحديث إلى خمسين نوعاً، وقد نص على تقدمه في ذلك في «كشف الظنون» قال: أول من تصدى له الحاكم، وتبعه في ذلك ابن الصلاح». انظر: (الشيعة وفنون الإسلام ص ٥٥) قلت: ولم يكن الحاكم ممن يتبع مذهب القوم في الرواية والدراية، وإلا لو طُبِّق ما أودعه كتابه (معرفة علوم الحديث) على ما روي في كتب الرافضة لقوّضت دعائم دين الرافض كلها بأصوله وفروعه وفق هذه القواعد التي ذكرها الحاكم في كتابه! ولكنه تمحك، وإفلاس.

إن التوافق الزمني بين رد شيخ الإسلام ووضعهم لهذا الاصطلاح قد ينبئ عن تأثيرهم بنقد ابن تيمية لهم، حيث اعترفوا بـ «أن هذا الاصطلاح مستحدث في زمن العلامة^(١)»^(٢). بل هناك ما يزيد هذا الأمر تأكيداً، وهو أن ابن المطهر الحلي هذا هو - كما يقول الفيض الكاشاني -: «أول من اصطلاح على ذلك وسلك هذا المسلك»^(٣). وقد اعترف شيخهم الحر العاملي بأن سبب وضع الشيعة لهذا الاصطلاح واتجاههم للعناية بالسند هو النقد الموجه لهم من أهل السنة فقال: «والفائدة في ذكره - أي السند - دفع تعيير الشيعة بأن أحاديثهم غير معننة، بل منقولة من أصول قدمائهم»^(٤). ويؤكد شيخهم الحر العاملي أن الاصطلاح الجديد - وهو تقسيم الحديث عندهم إلى صحيح وغيره - والذي وضعه ابن المطهر هو محاولة لتقليد أهل السنة حيث قال: «والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد العامة^(٥) واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتبع»^(٦). وهذا كله يفيد تأخر الشيعة في الاهتمام بهذه القضية، وإن الدافع لذلك ليس هو الوصول إلى صحة الحديث بقدر ما هو وقاية المذهب من نقد الخصوم والدفاع عنه^(٧).

وكانت المفاجأة لهم عندما حاولوا تطبيق شيء من هذا المنهاج النقدي المحدث عندهم، اكتشفهم انقطاع أسانيدهم، وبطلان كثير منها بمقتضى هذا المنهاج، ناهيك عن تناقض تلك الرويات واختلافها، فضلاً عن تأخرهم في تصانيف الرجال عندهم وضعفهم البين في ذلك.

أما عن الانقطاع، فيروي الكليني نفسه بإسناده إلى محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة؟! قال: «قلت لأبي جعفر الثاني (عليه السلام) جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مَشَائِخَنَا رَوَوْا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) وَكَانَتِ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً فَكُتِبُوا كُتُبُهُمْ وَلَمْ تُرَوْعْ عَنْهُمْ. فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتِ الْكُتُبُ إِلَيْنَا فَقَالَ حَدِّثُوا بِهَا فَإِنَّا حَقٌّ»^(٨). فكيف الوثوق بعد ذلك بمصادر نُقلت وذاعت على أيدي مجهولين؟!!

(١) إذا أطلق لقب العلامة في كتب الشيعة فإنها يقصد به ابن المطهر الحلي.

(٢) وسائل الشيعة في تسهيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ٢٠/١٠٢.

(٣) الوافي، للفيض الكاشاني ١/٢٢.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠/١٠٠.

(٥) لفظ العامة عند الرافضة يُقصد به أهل السنة.

(٦) وسائل الشيعة: ٢٠/١٠٠.

(٧) راجع في هذه الفقرة: أصول مذهب الشيعة ١/٣٨٤-٣٨٧.

(٨) أصول الكافي ١/١٠٦.

وأما عن البطلان والتناقض: فإن متون كتبهم ونصوصها يلاحظ فيها ظاهرة الاختلاف والتضاد بصورة عجيبة. ولقد تألم شيخهم محمد بن الحسن الطوسي «لما آلت إليه أحاديثهم من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد.. حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه»^(١). واعترف بأن هذا الاختلاف قد فاق ما عند أصحاب المذاهب الأخرى، وأن هذا كان من أعظم الطعون على مذهبهم، وأنه جعل بعض الشيعة يترك هذا المذهب لما انكشف له أمر هذا الاختلاف والتناقض.

من أجل ذلك قام الطوسي بمحاولة يائسة لتدارك هذا الاختلاف وتوجيه هذا التناقض فلم يفلح، بل زاد الطين بلة، حيث علق كثيراً من اختلاف الروايات على التقية بلا دليل سوى أن هذا الحديث أو ذاك يوافق أهل السنة. والدليل المادي على أن محاولته لم تنجح، هو كثرة اختلافهم، وقد اشتكى بعض شيوخهم من هذه الظاهرة وهو الفيض الكاشاني صاحب الوافي أحد الكتب الثمانية المعتمدة عندهم فقال عن اختلاف طائفته: «.. تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولاً أو ثلاثين قولاً أو أزيد، بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها أو في بعض متعلقاتها»^(٢). ومن الملاحظ أن اختلافهم هو اختلاف في الأحاديث أو النصوص وليس اختلافاً في الاستنباط، ولا شك أن التناقض أمانة على بطلان المذهب، وكذب الروايات^(٣).

وأما عن ضعفهم، وتناقضهم، وتأخرهم في تصنيفهم في الرجال: فإنه من خلال النظر في كتب الرجال عندهم يتبين بأنه لم يكن لديهم كتاب في أحوال الرجال حتى ألف الكشي^(٤) في المائة الرابعة كتاباً لهم في ذلك، جاء في غاية الاختصار، وليس فيه ما يغني في هذا الباب، وقد أورد فيه أخباراً متعارضة في الجرح والتعديل، كما أنه في كثير من الأسانيد قد وقع غلط واشتباه في أسامي الرجال وآبائهم أو كناههم، أو ألقابهم^(٥).

وهكذا فلم يسلم لهم هذا الباب أيضاً من التناقضات والاختلافات حتى قال شيخهم الفيض الكاشاني: «في الجرح والتعديل وشرائطها اختلافات وتناقضات واشتباها لا تكاد

(١) تهذيب الأحكام: ١/٢-٣.

(٢) الوافي، للكاشاني ١/١٦.

(٣) راجع في هذا الباب: أصول مذهب الشيعة ١/٣٦٠-٣٦١.

(٤) هو: محمد بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمرو، الكشي: فقيه إمامي. نسبته إلى (كش) من بلاد ما وراء النهر. اشتهر بكتابه (معرفة أخبار الرجال) توفي نحو ٣٢٠هـ. انظر: فهرست الطوسي ص ٣٠٩، والأعلام للزركلي ٦/٣١١.

(٥) أصول مذهب الشيعة ١/٣٦٩.

ترتفع بما تطمئن إليه النفوس كما لا يخفى إلى الخبير بها»^(١). وأوقعهم في هذا التناقض والاضطراب أن أكثر رجالهم متهمون إما في دينهم وعدالتهم، أو في صدقهم. ومن ذكر هذه الحقيقة المرة شيخهم الطوسي^(٢) إذ يذكر: «.. أن كثيراً من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة»^(٣). ولكن العجب منه أن يختتم هذه العبارة بقوله: «وإن كانت كتبهم معتمدة». فلست أدري كيف تستقيم هذه العبارة: «ينتحلون المذاهب الفاسدة وإن كانت كتبهم معتمدة»!! فكان توجيه بعضهم لهذا - مع اعترافهم بهذه الحقيقة المرة - بتأويلات عقيمة لا تنهض حجة تدفع عنهم هذه الحقيقة. من ذلك فزعهم إلى التقية لمواجهة هذا الذم. وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر - بعد اعترافه بأن جُلّ روايتهم قد ورد فيهم الذم من الأئمة ونقل كتب الشيعة نفسها لذلك - وهو في معرض حديثه عما جاء في هشام بن سالم الجواليقي من ذم قال: «وجاءت فيه مطاعن، كما جاءت في غيره من أجلة أنصار أهل البيت وأصحابهم الثقات والجواب عنها عامة مفهوم» - يقصد بذلك العلة المعروفة السائرة عندهم وهي التقيّة - ثم قال: "وكيف يصح في أمثال هؤلاء الأعاضم قدح؟ وهل قام دين الحق وظهر أمر أهل البيت إلا بصوارم حججهم»^(٤).

ومن تلك التأويلات العقيمة أن فساد مذهبهم إنما يرجع إلى ما ليس بقادح في أصول المعتقد عندهم. وفي ذلك يقول صاحبهم عبد الله المامقاني: «ولو كان الاعتقاد بما ليس بضروري البطلان عن اجتهاد، موجبا للقدح في الرجل، للزم القدح في كثير من علمائنا المتقدمين، لأن كلا منهم نسب إليه القول بما ظاهره مستنكر فاسد»^(٥). قلت: كيف وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أو التأويل تجريح شيوخ مذهبهم الأول بما يرد روايات كثير من هؤلاء الرواة جملة وتفصيلاً، إما بالقدح في عدالتهم ودينهم، أو باتهامهم بالكذب!

(١) الوافي، للكاشاني ١/ ٢٥.

(٢) هو: محمد بن الحسن بن علي، أبو جعفر الطوسي، شيخ الشيعة قدم بغداد، وتفقه أولاً للشافعي. ثم أخذ الكلام وأصول القوم عن الشيخ المفيد رأس الإمامية، ولزمه وبرع، وعمل التفسير، وأمل أحاديث ونوادر، عامتها عن شيخه المفيد. والطوسي هو صاحب كتابي (التهذيب)، و(الاستبصار) وهما من كتبهم الأربعة المعتمدة في الحديث. وصاحب كتابين أو ثلاثة من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرجال، وهي: (الفهرست) للطوسي، و(رجال الطوسي)، والكتاب الثالث وهو (رجال الكشي)، والذي قام بتهذيبه الطوسي، وقد فقد الأصل اليوم عند الشيعة فلا يوجد إلا تهذيب الطوسي. توفي سنة ٤٦٠ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٣٤، ولسان الميزان ٧ / ٨٣.

(٣) فهرست الطوسي ص ٣.

(٤) الإمام الصادق، لمحمد الحسين المظفر ص ١٧٨. وانظر: أصول مذهب الشيعة ١ / ٣٧٤.

(٥) مقياس الهداية في علم الدراية، لعبدالله المامقاني، ص ٤٩.

ولعل أمثال هذه التأويلات الفاسدة لتوثيق رواية المتهم عندهم هي التي دفعت متأخريهم إلى محاولة تعديل كثير من هؤلاء المتهمين من قبل شيوخهم الأول. وقد مر بنا هنا بعض نماذج من هؤلاء^(١).

وحين رأوا أن تطبيق هذا المنهاج بحذافيره على مروياتهم يعني هدم أصولهم وفروعهم جملة وتفصيلاً^(٢). فإنهم عمدوا إلى التزيد والإضافة إلى هذا المنهاج بما يحفظ أصولهم وفروعهم من السقوط.

فكان من أهم مظاهر مناهجهم في الرواية والنقد منذ ذلك الوقت^(٣) - وذلك بالطبع بعد التزيد والإضافة لما يحفظ دينهم من الهدم - أن يكون مع شروطه المعتمدة - الإسلام، والبلوغ، والعقل، والعدالة والضبط - الإيمان، والمراد بالإيمان عندهم أن يكون الراوي إمامياً اثني عشرياً. وهذا يقتضي عدم جواز العمل بخبر المخالفين ولا سائر فرق الشيعة غالباً.

وعليه، فإن الخبر الصحيح عندهم هو ما اتصل سنده إلى المعصوم (عليه السلام)، بنقل العدل الإمامي عن مثله في جميع الطبقات. وعليه، فإن أي خلل في شرط إمامية الراوية في أي طبقة من طبقات الإسناد عندهم، يؤثر عندهم في درجة الخبر من حيث الصحة فما دونها. هذا ولا يشترط عندهم أن يتصل سند الإمام إلى النبي ﷺ، لأن قول الإمام عندهم هو في ذاته حجة، فلا يسأل من أين أخذ هذا. ومن ثم فالإرسال عندهم إنما هو منوط بالإمام فقط، فالخبر إذا صح عندهم إلى الإمام فهو متصل، سواء عاصر الإمام هذا الحدث أو لا، وسواء رفعه الإمام إلى النبي ﷺ أو لا.

أما عن رواية المخالفين من فاسدي المعتقد - كأهل السنة في اعتقادهم وبقية الطوائف والفرق - فإنهم جؤزوا الأخذ بخبر المخالفين إذا رووه عن الأئمة المعصومين ولم يكن في روايات الأصحاب (الاثني عشرية) ما يخالفه. ثم هم بعد ذلك لا يقبلون خبر غير الإمامي ما لم يوثقه

(١) سبق الكلام على المعلی بن خنیس فی أول المبحث الثالث من الفصل الرابع.

(٢) حتى قال بعضهم: «إن أكثر أحاديث الأصول في الكافي غير صحيحة الإسناد ولكنها معتمدة لاعتبار متونها، وموافقتها للعقائد الحقة ولا ينظر في مثلها إلى الإسناد». انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية ٢٤٥ / ١. قلت: إذن لصار ذلك حجة أصحاب كل مذهب ضال، فليس لكم إذن أن تنكروا عليه إن قال بمثل مقالكم، وعليه فلن يسلم لنا حق من باطل، ولا خطأ من صواب!!

(٣) راجع في هذا الباب: كتاب أصول الرواية عند الشيعة الإمامية، لعمر محمد الفرماوي (وهي رسالة صاحبها للدكتوراه) ص ١٧٣ فما بعدها. وكتاب توثيق السنة بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، لأحمد حارس سحيمي (وهي رسالة صاحبها للماجستير) ص ١٥٩ فما بعدها. ومن ثم فسوف أوجز الكلام في ذلك اكتفاء بما فصله هذان الكتابان وغيرهما في هذا الباب.

علماء الإمامية أنفسهم، وذلك لأنهم لا يعتدون بتوثيق غيرهم. ويرى بعضهم أنه لكي يقبل خبر غير الإمامي أن يكون بقية رجال الإسناد إماميين إثني عشرية لتجبر رواية غير الإمامي بالإماميين.

قلت: ويزيد على ما سبق فيما يخص الرواية الأخبارية أو التاريخية خاصة - فيما رأيت من خلال هذا البحث - أنهم يقبلون رواية أهل السنة - أو العامة كما في اصطلاحهم - إذا وافق مذهبهم، سواء صحت هذه الرواية عند أهل السنة وفق شروطهم أم لم تصح!

أما أسباب الجرح والقدح عندهم، فإن منها ما يعود إلى فساد العقيدة، حين يكون الراوي غير إمامي - إلا إذا صدر التوثيق من قبلهم - ومنها ما يعود إلى ثلم في العدالة كارتكاب الكبائر، والإصرار على الصغائر.. أو كون الرجل من بني أمية إلا إذا كان ممن تبع مذهب الإمامية..

وأما أسباب المدح، فمنها كونه وكيلا لأحد الأئمة (عليهم السلام)، وذلك أعلى درجات التوثيق عندهم. ومنها أن يكون كثير الرواية عن الأئمة، ومنها أن يقول الثقة عندهم في نقله: «حدثني الثقة». ومنها أن يقول العدل عندهم: «حدثني بعض أصحابنا». فإن في ذلك كله إفادة التوثيق. ومنها وقوع الرواية في الإسناد الذي حكم العلامة بصحة متنه..

وهكذا، وبعد ذلك العرض الموجز لأصول القوم في الرواية والنقد عندهم، أظن أن ذلك يغني عن استعمال شيء في نقد مروياتهم، وما ذلك إلا لسقوط منهاجهم أصلا وفرعا في هذا الباب، وعليه فسوف أكتفي بعرض نماذج من أبرز كتبهم، وبأسانيدهم من غير تعليق مني على شيء منها اكتفاء بما سبق عرضه وتضمن الحكم المسبق على تلك المرويات.

وأبرز كتب هذا الباب: كتاب (السقيفة) المنسوب لسليم بن قيس الهلالي (ت نحو ٧٦هـ)، وكتاب (المثالب) لهشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، وكتاب (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ).

أما سليم فإنه لا يُعرف عنه الكثير عند أهل السنة^(١)، في حين يعتبره الشيعة الإثنا عشرية من مقدميهم.

(١) فلم يترجم له على حد علمي سوى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١٤/٤)، وأنه: سليم بن قيس العامري روى عن سحيم بن نوفل روى عنه أبان. ١.هـ. في حين تعدّه كتب الرجال الإمامية في الطبقة الأولى من رجالهم الذين صحبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والأئمة الحسن والحسين وعلي السجاد ومحمداً الباقر -، وقدر بعضهم وفاته بعام ٧٦هـ. ويُعدُّون هذا الكتاب المنسوب إليه من الأصول المعتمدة التي يعوّل عليها الإمامية الإثنا عشرية في بيان النص على إمامة علي وأحد عشر من ذريته بأسمائهم. وذكره النديم في الفهرست، في كلامه عن أخبار فقهاء الشيعة وما صنّفوه من كتب، وقال: «من أصحاب أمير =

ويعدون كتابه هذا «أبجد الشيعة»^(١)، «لا يوجد عند المسلمين بعد كتاب الله تعالى وموارِيث الأنبياء التي عند أهل البيت عليهم السلام كتاب أقدم من كتاب سُليم بن قيس رضوان الله عليه»^(٢).

وهو عبارة عن مجموعة من الأخبار زعم واضعها أن سُليم بن قيس أخذها عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعن أبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، كما ذُكر في مُفتتح الكتاب. ويتناول كتاب سُليم في بدايته وفاة رسول الله ﷺ، ثم أحاديث للرسول تبين فضائل علي بن أبي طالب بوجه عام، ويذكر قصة السقيفة مع أخبار علي ومن وقف بجانبه من الشيعة، ثم يذكر الفضائل التي أهلت عليا للإمامة خاصة فيذكر حديث المؤاخاة، وحديث المنزلة، وحديث الراية، وخبر حجة الوداع وغدير خم، ثم يذكر فرق الأمة بعد الرسول ﷺ وكلاما حول الإمامة، ويورد روايات في عدد الأئمة وأسمائهم، ثم يذكر أخبار العباس عم النبي ﷺ وأخبار خلافة علي وحرب الجمل وصفين، ثم يذكر المراسلات بين علي ومعاوية، ثم يذكر بعد هذا أخبار علي بن أبي طالب أيام أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، كما يتكلم عن سيرة أصحاب علي المقربين إليه من أمثال: سلمان، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، وحكايتهم لمناقبه. ويذكر أحوال الشيعة وما أصابهم من المحنة أيام الأمويين، ويذكر أخبار الحسن والحسين وعلي بن الحسين، ويورد أقوالا للباقر، ثم يروي قصة فدك وخبر وفاة السيدة فاطمة^(٣).

هذا، والأدلة على بطلان هذا الكتاب مستفيضة، ناقشها جمهرة من الباحثين بما يغني عن إعادة القول فيه مرة أخرى^(٤)، ولكن أكتفي هنا بشهادة بعض رجال القوم كابن

=المؤمنين - عليه السلام - سُليم بن قيس الهلالي، وكان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقتله، فلجأ إلى أبان بن أبي عيَّاش فأواه، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إن لك علي حقا وقد حضرني الوفاة يا بن أخي، إنه كان من أمر رسول الله ﷺ كيت وكيت، وأعطاه كتابا. وهو كتاب سُليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عيَّاش لم يروه عنه غيره. وقال أبان في حديثه: وكان [سُليم بن] قيس شيخا له نور يعلوه. وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سُليم بن قيس الهلالي، رواه أبان بن أبي عيَّاش لم يروه غيره» الفهرست ٦٩ / ٢.

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك / ١ / ٦٣، وزعم أنه كذلك سماه جعفر الصادق.

(٢) مقدمة محمد باقر لكتاب السقيفة المنسوب لسُليم بن قيس، ص ٨٦.

(٣) كل ذلك في ثمانية وأربعين خبرا، وزاد محمد باقر الأنصاري الزنجاني بعد ذلك في نشرته تنمة للكتاب في اثنين وعشرين خبرا زعم أنها جاءت في إحدى نسخ الكتاب، ثم أضاف مُستدركا جمع فيه ثمانية وعشرين خبرا من رواية سُليم بن قيس في الموسوعات الحديثية الشيعة؛ مرجحا أنها كانت في الأصل من كتاب سُليم أيضا؛ فيكون مجموع أخبار الكتاب في نشرته الأخيرة ثمانية وتسعين خبرا. انظر: كتاب سُليم بن قيس الهلالي بين الحقيقة والتلفيق، لمصعب الخير إدريس السيد مصطفى الإدريسي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان.

(٤) راجع أصول مذهب الشيعة ١ / ٢٢١، ومقال مصعب الخير إدريس السيد مصطفى: كتاب سُليم بن قيس الهلالي بين الحقيقة والتلفيق.

الغضائري^(١) يتهم فيها هذا الكتاب بالوضع، فيقول: «سليم بن قيس الهلالي العامري.. وينسب إليه هذا الكتاب المشهور^(٢).. والكتاب موضوع، لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه. منها: ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند موته^(٣)»^(٤). قلت: والمتهم به عندهم بشهادة الشيعة أنفسهم هو راويه، أبان بن أبي عياش. يقول الحسن بن علي بن داود الحلبي: «أبان بن أبي عياش، بالياء المثناة تحت والشين المعجمة، فيروزين. ضعيف، قيل إنه وضع كتاب سليم بن قيس»^(٥).

هذا وسيأتي عرض نماذج من تلك الكتب قريباً عند تفصيل القول في تفسيرهم لبعض حوادث تلك الفترة محل الدراسة.

المطلب الثاني

أصحاب الانتخاب والسر

وأبرز من رأيتُه يمثل أصحاب هذا المطلب من الشيعة الرافضة:

- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: صاحب التاريخ، يكاد لا تُعرف له ترجمة، سوى تلك الترجمة الموجزة التي صنعها له ياقوت في معجم الأدباء^(٦). ومن ثم فهو لا يكاد يعرف عنه الكثير، إلا أن كتابه في التاريخ ينطق عليه نطقاً فاضحاً بغلوه في الرفض.

من أهم كتبه: تاريخه المشهور به، وكتاب (البلدان)، وكتاب (مشاكلة الناس لزمانهم). توفي سنة ٢٩٢هـ^(٧).

- علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي: أخباري مؤرخ جغرافي رحالة، من أهل بغداد، قيل إنه من ذرية عبد الله بن مسعود، فتلك نسبته إليه. وقد اشتهر بعقيدته الإمامية

(١) هو: أحمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري، أبو الحسن البغدادي. له كتاب في الرجال صغير وجد منه قسم الضعفاء، طبع. وقد حاول بعض الشيعة التشكيك في صحة نسبة الكتاب إليه. ولكن أكثرهم يعتبر به. كان حياً بعد ٤١١هـ. انظر أمل الأمل للحر العاملي ١٢/٢.

(٢) يعني كتاب السقيفة.

(٣) ذلك أن محمد بن أبي بكر ولد في سنة حجة الوداع فكيف يعظ أباه وعمره ثلاث سنوات!!

(٤) رجال ابن الغضائري، تحقيق محمد رضا الحسيني، دار الحديث، قم، ترجمة سليم برقم ٥٥، ص ٦٣-٦٤.

(٥) رجال ابن داود الحلبي ص ٢٢٦.

(٦) معجم الأدباء ٥٥٧/٢.

(٧) الأعلام للزركلي ٩٥/١.

الرافضة. وكتبه تشهد عليه بذلك شهادة صريحة. ومن أهم كتبه: مروج الذهب ومعادن الجوهر، والتنبيه والإشراف، وإثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب. وكلها موجود مطبوع. توفي سنة ٣٤٦هـ^(١).

وأذكرُ أني سوف أكتفي بعرض نماذج من أبرز كتبهم، وبأسانيدهم من غير تعليق مني على شيء منها اكتفاء بما سبق عرضه وتضمن الحكم المسبق على تلك المرويات.

من أهم مختارات أصحاب هذا المطلب:

١. ما اختاره اليعقوبي^(٢):

«جاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم وقال: يا معشر بني هاشم، بويح أبو بكر. فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد. فقال العباس: فعلوها، ورب الكعبة.. وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في علي، فلما خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس، وكان لسان قريش، فقال: يا معشر قريش، إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم.. وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال: ما الرأي؟ قالوا: الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي، إذا مال معكم، فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلاً، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً، فمن عليهم بكونه بين أظهرهم، حتى اختار له ما عنده، فخلي على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين، فاختاروني عليهم واليا ولأمورهم راعياً، فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتشديده وهنأ، ولا حيرة، ولا جينا، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول الخلف على عامة المسلمين، يتخذكم لجأ، فتكون حصنه المنيع وخطبة البديع. فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عما مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك، ويكون لمن بعدك من

(١) انظر من مصادر ترجمته: رجال ابن المطهر الحلي ص ١٥٨، ولسان الميزان ٥/ ٥٣١.

(٢) تاريخه ٢/ ١٢٤.

عقبك إذ كنت عم رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك... عنكم، وعلى رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم. فقال عمر بن الخطاب: إي والله وأخرى، إنا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهاً أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم. فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبيا وللمؤمنين ولياً، فمنَّ على أمته به، حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده، فخلي على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبيين الحق، لا مائلين بزيغ الهوى، فإن كنت برسول الله فحقاً أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرضاً، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الأمر إننا وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين. ما أبعد قولك من انهم طعنوا عليك من قولك إنهم اختاروك ومالوا إليك، وما أبعد تسميتك بخليفة رسول الله ﷺ من قولك خلى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك، فأما ما قلت إنك تجعله لي، فإن كان حقاً للمؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك، فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.. وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجنن إلى الله! فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أياماً. ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع، ولم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً).

٢. ومما اختار المسعودي^(١):

«لما بويح أبو بكر في يوم السَّقِيفَة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج علي فقال: أفسدت علينا أمورنا، ولم تستشر، ولم ترعَ لنا حقاً، فقال أبو بكر: بلى، ولكنني خشيت الفتنة».

٣. ومما اختاره اليعقوبي^(٢):

«جمع عثمان القرآن وألفه، وصير الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل، وقيل أحرقتها، فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن

(١) مروج الذهب ٢/٣٠٧.

(٢) تاريخه ٢/١٧٠.

عامر، وكتب إليه عثمان: أن أشخصه، إنه لم يكن هذا الدين خبالاً، وهذه الأمة فساداً. فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنه قد قدمت عليكم دابة سوء، فكلمه ابن مسعود بكلام غليظ، فأمر به عثمان، فجز برجله حتى كسر له ضلعان».

٤ . ومما اختاره اليعقوبي^(١)، والمسعودي^(٢):

«..كتب معاوية إلى عثمان: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر، فكتب إليه: أن احملة على قتب بغير وطاء، فقدم به إلى المدينة، وقد ذهب لحم فخذيته.. فلم يقيم بالمدينة إلا أياماً حتى أرسل إليه عثمان: والله لتخرجن عنها! قال: أخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم، وأنفك راغم. قال: فإلى مكة؟ قال: لا! قال: فإلى البصرة؟ قال: لا! قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا! ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت بها. يا مروان! أخرجته، ولا تدع أحداً يكلمه، حتى يخرج. فأخرجته على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج وعلي والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمار بن ياسر ينظرون، فلما رأى أبو ذر علياً قام إليه فقبل يده ثم بكى وقال: إني إذا رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله ﷺ فلم أصبر حتى أبكي! فذهب علي يكلمه فقال له مروان: إن أمير المؤمنين قد نهى أن يكلمه أحد. فرفع علي السوط فضرب وجه ناقة مروان، وقال: تنح، نحاك الله إلى النار! ثم شيعه..».

٥ . ومما اختاره اليعقوبي^(٣):

«كانت عائشة بمكة، خرجت قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق لقيها ابن أم كلاب، فقالت له: ما فعل عثمان؟ قال: قتل! قالت: بعدا وسحقا! قالت: فمن بايع الناس؟ قال: طلحة. قالت: أيها ذو الإصبع. ثم لقيها آخر، فقالت: ما فعل الناس؟ قال: بايعوا علياً. قالت: والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه. ثم رجعت إلى مكة».

٦ . ومما اختاره المسعودي^(٤):

«سار القوم نحو البصرة في ستمائة راكب، فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحواب، عليه ناس من بني كلاب، فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة: ما اسم هذا الموضع؟ فقال لها السائق أجملها: الحواب، فاسترجعت

(١) تاريخه ١٧٢ / ٢ .

(٢) مروج الذهب ٣٥٠ / ٢ .

(٣) تاريخه ١٨٠ / ٢ .

(٤) مروج الذهب ٣٦٦-٣٦٧ / ٢ .

وذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردوني إلى حرم رسول الله ﷺ، لا حاجة لي في المسير، فقال الزبير: بالله ما هذا الحواب، ولقد غلط فيما أخبرك به، وكان طلحة في ساقية الناس، فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحواب، وشهد معها خمسون رجلاً ممن كان معهم، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام.

وهكذا نرى إلى أي مدى كان أثر الوضع متغلغلا في نشاط الرواية التاريخية عندهم بدرجة تفوق الوصف. فلا غرو أن يكون لهذا أثره بعد ذلك في التفسير.

ولكن يلاحظ المتأمل في منهج التفسير عند الرافضة أنه يقوم في أصله على العاطفة والميول والأهواء الحاكمة، فهم لا يقبلون دليلاً إلا إذا وافق هواهم، وإن كان واهياً، وإن صح فالتأويل بصرفه عن ظاهره واجب، ولو كان في أعلى درجات الصحة تواترا وثبوتاً^(١).

ومن الأمثلة على ذلك، تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، بقصة مكذوبة^(٢) على لسان سلمان الفارسي قال:

«.. أخبرتُ علياً عليه السلام وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله - بما صنع القوم، وقلت: إن أبا بكر الساعة لعلّ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ما يرضون يبائعونه بيد واحدة وإنهم ليبائعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله فقال علي عليه السلام: يا سلمان، وهل تدري من أول من بايعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: لا.. ولكنني رأيت شيخاً كبيراً يتوكأ على عصاه، بين عينيه سجادة شديدة التشمير، صعد المنبر أول من صعد وخر وهو يبكي.. قال: أتدري من هو؟ قلت: لا.. قال علي عليه السلام: فإن ذلك إبليس لعنه الله. أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله: إن إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاي يوم غدیر خم بأمر الله، وأخبرهم بأني أولى بهم من أنفسهم، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب. فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه فقالوا: (إن هذه الأمة أمة مرحومة معصومة، فما لك ولا لنا عليهم سبيل، وقد علموا مفزعهم وإمامهم بعد نبيهم). فانطلق إبليس كئيباً

(١) كما فعلوا مع القرآن نفسه حين صرفوا بعض آياته عن ظاهره بالتأويل الفاسد ليوافق هواهم وما يشتهون. فهم يثبتون كفر الصحابة بعد النبي ﷺ - إلا نذرا يسيراً منهم - بعدة آيات منها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿يَكْفُرُ الَّذِينَ آمَنُوا مِن بَرَدٍ مِّنكُمْ عَن دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. انظر تفسيرات هذه الآيات - وغيرها كثير عندهم - في مواضعها من كتبهم في تفسير القرآن، ومن أهمها: تفسير القمي علي بن إبراهيم، فإنه قد بالغ كثيراً في تأويلاته الفاسدة ليثبت كفر الصحابة كما أعرضوا بعد وفاة النبي ﷺ عن البيعة لعلي.

(٢) انظر كتاب السقيفة المنسوب لسليم بن قيس، ص ١٤٤.

حزينا. قال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك وقال: يبائع الناس أبا بكر في ظلة بني ساعدة بعد تحاصمهم بحقنا وحقنا. ثم يأتون المسجد فيكون أول من يباعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مشمر يقول كذا وكذا. ثم يخرج فيجمع أصحابه وشياطينه وأبالسته فيخرون سجدا فيقولون: (يا سيدنا، يا كبيرنا، أنت الذي أخرجت آدم من الجنة). فيقول: أي أمة لن تضل بعد نبياها؟ كلا، زعمتم أن ليس لي عليهم سلطان ولا سبيل؟ فكيف رأيتوني صنعت بهم حين تركوا ما أمرهم الله به من طاعته وأمرهم به رسول الله وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾...

من أجل ذلك نرى أثر الوضع في تفسير التاريخ عندهم واضحا جليا بدرجة لا تكاد لها مثيلا عند غيرهم من أصحاب الفرق.

ويمكن تناول أثر الوضع في تفسير التاريخ عند الرافضة عن طريق الفروع الآتية.

الفرع الأول

إمامة علي عليه السلام ووصية النبي صلى الله عليه وآله له بالخلافة

من الأصول التي قامت عليها عقائد الشيعة، القول بالإمامة، وعصمة صاحبها، فهي عندهم واجبة من قبل الله، ثابتة بالنص الجلي الذي لا مرية فيه، لا يكون بالاختيار، ولا يوكل أمره إلى البشر، حتى لو اجتمعوا عليه، ما دام لم يُنص عليه من الخالق عز وجل، ذلك لأن الله أجل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل^(١).

ويعتقد هؤلاء أن شروط الإمامة تلك لم تتحقق في بشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا في علي عليه السلام، فإن النبي نص على إمامته من بعده بوحي فيه الوصية بذلك^(٢).

(١) أصول الكافي، للكليني ٢٣٣/١، والعقائد، لمحمد باقر المجلسي، ص ٥٨، وعقائد الإمامية الاثنى عشرية، لإبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي ٧٧/١، وكفاية الأثر في النص على الاثمة الاثنى عشر، لعلي بن محمد بن علي الخزاز القمي ص ٤. وانظر من كتب أهل السنة: موقف الشيعة الاثنى عشرية من الصحابة رضي الله عنهم، لعبد القادر محمد عطا صوفي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١١هـ، ص ٥٩٣، وكتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية، لناصر بن عبد الله القفاري، ص ٦٤٩، وعقائد الشيعة في ضوء الكتاب والسنة وصحيح التاريخ، د.مصطفى حلمي، ص ١٩.

(٢) إثبات الوصية للإمام علي، للمسعودي، ص ١٣٢، وعقائد الإمامية الاثنى عشرية، لإبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي ٨٠/١.

ويبدو أن القول بهذا الرأي قديم جدا، فقد أخرج البخاري^(١)، وغيره من طريق إبراهيم عن الأسود قال:

«ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: مَنْ قاله! لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدرى، فدعا بالطست فانخث فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟!».

والرافضة يستندون في اعتقادهم الباطل هذا إلى نصوص كثيرة جدا لا تصح - وضعوها أو وضعت لهم - ثم اعتقدوا صحتها.

وينبغي التنبيه أولا على أمر سبقت الإشارة إليه، وهو أن هناك نوعان من نماذج الوضع في الرواية عند الرافضة:

النوع الأول: ما كان في أسانيد أهل السنة وكتبهم ويوافق مذهب الرافضة.

والنوع الآخر: ما كان عند الرافضة من خالص كتبهم وأسانيدهم.

أما النوع الأول فقد تسابق النقاد من أهل السنة إلى نقده قديما وحديثا. وقد سبق عرض نماذج من هذا النوع.

أما الآخر، فهو يقوم على أمور قامت عليها عملية الرواية عند الرافضة، وأن معرفتها تغني عن نقد تلك المرويات، بمقتضى قاعدة (ما بُني على باطل فهو باطل). إذ إن أسس منهج الرواية عند القوم يفتقر إلى المنهج العلمي المنضبط الذي يُمكن من الوثوق بالرواية أو التثبت من صحتها. وقد سبق أيضا عرض هذه الأمور أو الخطوط العامة الدالة على بطلان هذا المنهج للانضباط العلمي.

وقد قسّم الرافضة النص على إمامة عليّ إلى جلي وخفي:

أما الخفي، فمن النصوص التي أيدوا بها معتقدتهم ما روي أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنك لست نبيا، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في كل مؤمن من بعدي»^(٢). وكذلك قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٣).

وأما الجلي فأيدوه بما نُسب للنبي ﷺ: «علي إمامكم»^(٤). وكذلك ما روي: «إن وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام، قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من

(١) صحيحه برقمي ٢٧٤١، ٤٤٥٩.

(٢) وهذا خبر لا يصح، وسبق الكلام عليه.

(٣) رواه أحمد ١ / ٨٤، وغيره. وراجع مسند أحمد (٢ / ٧١ ط الرسالة حاشية ٢).

(٤) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، لمحمد بن الحسن الطوسي، ص ٢٠٣.

نصره، مخذول من خذله»^(١). وكذلك ما روي أنه: «خليفتي عليكم من بعدي»^(٢)!! وكذلك: «سلموا عليه بإمرة المؤمنين»^(٣)!! وعجائبهم في هذا لا تنقضي لمن له اطلاع على كتبهم.

ثم هم بعد ذلك ينسبون لعليّ إفكا مبينا، فوضعوا على لسانه أنه قال: «أنا أولى برسول الله حيا وميتا، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنة، وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور، وأذربكم لسانا، وأثبتكم جنانا»^(٤).

ومن ثم فإنهم يقولون بفساد خلافة أبي بكر، وعدم صحتها. ويرون كفر أصحاب النبي ﷺ وارتدادهم بعد وفاته ﷺ - إلا قليلا منهم - لما غضبوا حق عليّ ﷺ في الإمامة، ووجدوا نص النبي ﷺ في ذلك^(٥). ويرون في سلب عليّ حقه مؤامرة ومكيدة^(٦). وفي ذلك يقول حيدر الأملي: «الشيعة لا يقولون بإمامة أبي بكر بن أبي قحافة»^(٧).

الفرع الثاني

الصحابة ومواقفهم يوم السقيفة

يتسم التفسير الرافضي لمرويات تلك الفترة بالغلو والشطط، ويرجع ذلك إلى مروياتهم التي يستندون إليها، إذ سُحنت بالأكاذيب التي لا يقبلها عقل، فكان لذلك أبلغ الأثر في فكر هذه الطائفة ومعتقداتهم في هذا الشأن.

والرافضة يرون في خلافة أبي بكر مؤامرة دُبّرت بمكر ومكيدة انتزع فيها الحق من علي فأعطي لغيره. وفي ذلك بوب الطبرسي^(٨) بعض فصول كتابه (الاحتجاج على أهل

(١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، لعلي بن محمد بن علي الخزاز القمي ص ١٣٧.

(٢) الاقتصاد للطوسي ص ٢٠٣.

(٣) نفسه، ص ٢٠٣.

(٤) الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي ٧٣-٧٤.

(٥) الاقتصاد للطوسي، ص ١٩٧ فما بعدها. وانظر: موقف الشيعة الإثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ١٤٧.

(٦) الاقتصاد للطوسي، ص ١٩٧ فما بعدها. والاحتجاج للطوسي ٧٠/١. وانظر: موقف الشيعة الإثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ١٤٧.

(٧) الكشكول لحيدر الأملي ص ٢٥-٢٦. وانظر موقف الشيعة الإثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ٥٩٦.

(٨) هو: أحمد بن علي بن أبي طالب، أبو منصور الطبرسي: فقيه إمامي، من أهم تصانيفه: الاحتجاج على أهل اللجاج، وتاريخ الأئمة، وفضائل فاطمة الزهراء، والكافي من فقه الشيعة. توفي نحو ٥٦٠هـ. انظر: الكنى والألقاب، لعباس القمي منشورات مكتبة الصدر - طهران ٢/٤٤٤-٤٤٥، والأعلام للزركلي ١/١٧٣.

للججاج^(١) بقوله: «ذُكِرَ طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة من قبل من استحقها ومن لم يستحق والإشارة إلى شيء من إنكار من أنكر على من تأمر على علي بن أبي طالب عليه السلام تأمره وكيد من كاده من قبل ومن بعد»^(٢).

ويرى الراضية أنه لما مات رسول الله ﷺ واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد وجاءوا به إلى سقيفة بني ساعدة وسمع بذلك عمر أخبر بذلك أبا بكر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة بن الجراح وفي السقيفة خلق كثير من الأنصار وسعد بن عباد بينهم مريض فتنازعوا الأمر بينهم.

ويروون في ذلك أن الحباب بن المنذر الأنصاري قام يومها فقال: «يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم. وأثنى على الأنصار. ثم قال فإن أبي هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ولا نقنع بدون أن يكون منا ومنهم أمير». فقام عمر بن الخطاب فقال: «هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إنه لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع إلى توالي أمرها من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم، ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة، والسلطان البين، فما ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف بإثم، أو متورط في الهلكة، محب للفتنة»^(٣).

ومن يتأمل هذه العبارة الأخيرة التي نسبها لعمر رضي الله عنه «ولنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة والسلطان البين فما ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف بإثم أو متورط في الهلكة محب للفتنة»، سيجد أنهم يبغون من ورائها حجة باطلة يفسرون بها وجوب إمامة علي رضي الله عنه من بعد النبي ﷺ، وهو أن عليا كان بمقتضى هذه الحجة أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، لقربته من النبي ﷺ^(٤).

(١) يعد الطبرسي بهذا الكتاب من أهم من تناول هذه الفترة من الراضية تناولا أفصح إفصاحا بيّنا عن مجمل آراء طائفته في هذا الباب إلى عصره، والتي ستكون نبراسا لكثير منهم من بعده. قال فيه عباس القمي: «وهو كتاب معروف». ثم حكى عن المجلسي أنه قال: «وكتاب الاحتجاج وإن كان أكثر اخباره مراسيل، لكنه من الكتب المعروفة. وقد اثنى السيد ابن طاوس على الكتاب وعلى مؤلفه، وقد أخذ عنه أكثر المتأخرين.. وكثيرا ما ينقل الشهيد في شرح الارشاد فتاواه واقواله». ا.هـ. انظر: الكنى والألقاب، لعباس القمي ٢/ ٤٤٤-٤٤٥.

(٢) الاحتجاج ١/ ٧٠.

(٣) السقيفة للجوهري ص ٦٠، والاحتجاج ١/ ٧١.

(٤) الاحتجاج ١/ ٧٣-٧٤.

ويرؤون من هذا النزاع الذي جرى يوم السقيفة أن الحباب بن المنذر قام ثانية فقال: «يا معشر الأنصار أمسكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقال هذا الجاهل – يعنون بذلك عمر رضي الله عنه – وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، وإن أبوا أن يكون منا أمير ومنهم أمير فأجلوهم عن بلادكم وتولوا هذا الأمر عليهم، فأنتم والله أحق به منهم، فقد دان بأسيا فكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها، وأنا جذيلها المحكك وعذيقها المرحب المرجب. والله لئن أحد رد قولي لأحطمن أنفه بالسيف»^(١).

ويفسر الرافضة سبب بيعة بشير بن سعد لأبي بكر أنه لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عبادة لتأميمه حسده، وسعى في إفساد الأمر عليه، وتكلم في ذلك، ورضي بتأميم قريش، وحث الناس كلهم لا سيما الأنصار على الرضا بما يفعله المهاجرون. فلما قال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة شيخان من قريش فبايعوا أيهما شئتم قال عمر وأبو عبيدة: ما نتولى هذا الأمر عليك. امدد يدك نبايعك. فقال بشير بن سعد: وأنا ثالثكما^(٢).

وبالسبب نفسه يفسرون بيعة الأوس كلها أولا لأبي بكر. فإن بشير بن سعد كان سيد الأوس، وكان سعد بن عبادة سيد الخزرج، فلما رأت الأوس صنيع سيدها بشير وما دعت إليه الخزرج من تأميم سعد، أكبوا على أبي بكر بالبيعة، وتكاثروا على ذلك وتزاحموا، فجعلوا يطئون سعدا من شدة الزحمة وهو بينهم على فراشه مريض فقال: قتلتموني! قال عمر: اقتلوا سعدا، قتله الله^(٣).

ويبدو أن الرافضة يفسرون مقالة عمر المشهورة «قتله الله» بما لم تصح نسبته إليه في حق سعد، فقد حملوا قوله: «اقتلوه» على المعنى الحقيقي وليس على معنى الدعاء. فنرى روايتهم يذكر أن قيس بن سعد بن عبادة، وثب فأخذ بلحية عمر وقال: «والله يا بن صهاك الجبان في الحرب، والفرار الليث في الملا والأمن، لو حركت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة.. وقال سعد: يا بن صهاك – وكانت جدة عمر الحبشية – أما والله لو أن لي قوة على النهوض لسمعتها مني في سككها زئيرا أزعجك وأصحابك منها ولألحقتكم بقوم كنتما فيهم أذنابا أذلاء تابعين غير متبوعين. لقد اجترأتما. ثم قال للخزرج احمولوني من مكان الفتنة. فحملوه وأدخلوه منزله»^(٤).

(١) السقيفة للجوهري ص ٦٠، والاحتجاج ١/ ٧٢.

(٢) الاحتجاج ١/ ٧٢.

(٣) سبق الكلام على هذه الرواية.

(٤) الاحتجاج ١/ ٧٢.

ومن ثم، فإن الرافضة يرون أن سعد بن عباد لما أُجبر على البيعة لأبي بكر أبي أشد الإباء. ولا شك أن ذلك التفسير أبلغ لهم في التنقيص من شأن خلافة أبي بكر ثم ردها بأن الإجماع لم يقع عليها. وقد كان لذلك أثره بعد ذلك في أبواب السياسة الشرعية والفقه الإسلامي وتراث المتكلمين.

وعليه فقد وجب أن يبحثوا عن رواية لتعضدهم في ذلك. فكان اعتمادهم في هذا في هذا الباب على ما روي:

«أنّ أبا بكر بعث إلى سعد بن عباد أن أقبل فبايع. فقد بايع الناس وبايع قومك. فقال: لا والله، لا أبايع حتى أراميكم بما في كنانتي، وأقاتلكم بمن تبغني من قومي وعشيرتي. فلما جاء الخبر إلى أبي بكر قال بشير بن سعد: يا خليفة رسول الله، إنه قد أبى ولج، وليس بمبايعكم أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، فإنه ليس بضاركم، إنما هو رجل وحده ما ترك. فقَبِلَ أبو بكر نصيحة بشير، فترك سعدا، فلما ولي عمر، لقيه ذات يوم في طريق المدينة فقال: إيه يا سعد. فقال سعد: إيه يا عمر. فقال عمر: أنت صاحب ما أنت صاحبه. فقال سعد: نعم، أنا ذاك، وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد والله أصبحت كارها لجوارك. فقال عمر: إنه من كره جوار جاره تحول عنه. فقال سعد: أما أني غير مستنسى بذلك، وأنا متحول إلى جوار مَنْ هو خير منك. قال: فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج مهاجرا إلى الشام في أول خلافة عمر بن الخطاب، فمات بحوران»^(١).

ولم يكتفوا بذلك حتى أضافوا لسعد وصنيعه أعوانا في إعراضهم عن بيعة أبي بكر إمعانا في هذا التفسير المتعسف، فرووا عن أبان بن تغلب قال:

«قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق: جُعِلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكر على أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل، وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري»^(٢).

(١) لا يصح، سبق الكلام على هذا الخبر.

(٢) الاحتجاج ١/ ٧٥.

ولا ريب أن عليا عندهم كان من الرافضين لهذه البيعة وأنه أكره عليها، إذ كان يرى أنه أولى بها من غيره بحكم قرابته من رسول الله ﷺ. فيروون أن عمر ذهب في جماعة ممن بايع فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة إلى منزل علي ﷺ وفيه علي والزبير وبنو هاشم، فألفوهم مجتمعين فقالوا لهم:

«بايعوا أبا بكر، فقد بايعه الناس». فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: «عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره». فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده، فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم، ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر. فلما حضروا قالوا:

«بايعوا أبا بكر، فقد بايعه الناس، وإيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف. فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب. فقالوا له: بايع أبا بكر. فقال علي: أنا أحق بهذا الأمر منه، وأنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم الرسول، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا! أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لكانكم من رسول الله ﷺ، فأعطوكم المقادة، وسلموا لكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حيا وميتا، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، أول من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين، وأعرفكم بالكتاب والسنة، وأفقهكم في الدين، وأعلمكم بعواقب الأمور، وأدربكم لسانا، وأثبتكم جنانا. فعلام تنازعونا هذا الأمر؟! أنصفونا إن كنتم تحافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، وإلا فبوءوا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون. فقال عمر: يا علي أما لك بأهل بيتك أسوة؟ فقال علي: سلوهم عن ذلك. فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا: والله ما بيعتنا لكم بحجة على علي، ومعاذ الله أن نقول إنا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله ﷺ.

فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تباع طوعا أو كرها. فقال علي: احلب حلبا لك شطره، اشدد له اليوم ليرد عليك غدا. إذن والله لا أقبل قولك، ولا أحفل بمقامك، ولا أبايع. فقال أبو بكر: مهلا يا أبا الحسن، ما نشك فيك ولا نكرهك. فقام أبو عبيدة إلى علي: فقال يا ابن عم، لسنا ندفع قرابتك، ولا سابقتك، ولا علمك، ولا نصرتك، ولكنك حدث السن – وكان لعلي يومئذ ثلاث وثلاثون سنة – وأبو بكر شيخ من مشايخ قومك، وهو أحمل لثقل هذا الأمر، وقد مضى الأمر بما فيه فسلم له، فإن عمرك الله يسلموا هذا الأمر إليك، ولا يختلف فيك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق، ولا تبعث الفتنة في

أوان الفتنة، فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك. فقال أمير المؤمنين: يا معاشر المهاجرين والأنصار، الله الله، لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس، فوالله معاشر الجمع، إن الله قضى وحكم، ونبه أعلم، وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم. أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم..

قالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان فقال علي: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه وأخرج أنزع في سلطانه، والله ما خفت أحدا يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجة، ولا لقاتل مقالا، فأنشده الله رجلا سمع النبي يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع. قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدرية بذلك، وكنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ، فكتمت الشهادة يومئذ فدعا عليُّ عليَّ، فذهب بصري.

قال: وكثر الكلام في هذا المعنى، وارتفع الصوت، وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول عليَّ، ففسح المجلس، وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة. فانصرفوا يومهم ذلك^(١).

ثم هم بعد ذلك يرون أن هوى الأنصار كان مع علي، ولولا استبداد أبي بكر وعمر يوم السقيفة، وغياب عليَّ يومها لكان لهم في البيعة شأن آخر، إذ لن يبغوا عن عليَّ حولا^(٢). ومما يعتضدون به في هذا، ما روي عن أبي معشر زياد بن كليب، عن أبي أيوب، عن إبراهيم قال:

«.. قال: لما قبض النبي ﷺ، كان أبو بكر غائبا، فجاء بعد ثلاث، ولم يجترىء أحد أن يكشف عن وجهه حتى ازبد^(٣) بطنه، فكشف عن وجهه، وقبل بين عينيه، ثم قال بأبي أنت وأمي.. فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليباعوا سعد بن عباد، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟ فقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، عمر أو أبا عبيدة، إن النبي ﷺ جاءه قوم فقالوا: ابعث معنا أمينا. فقال: لأبعثن معكم أمينا

(١) الاحتجاج ١/ ٧٣-٧٤.

(٢) الاحتجاج ١/ ٧٤.

(٣) أي تغير لونه. انظر تاج العروس ٨/ ٨٣.

حق أمين. فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، وأنا أرضى لكم أبا عبيدة. فقام عمر فقال: أيكم تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما النبي ﷺ؟! فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً^(١).

وقد سبق الكلام عليه، وأنه لا يصح.

ويروون في ذلك أيضا أن عليا حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلا إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: «يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به»^(٢). قلت: عجبا، ألم يكن في نقل الخبر الصادق من علي ومن آزره من أهل بيته للصحابة بما سمع وعلم من مكنون علم النبي وأسرار الوحي، كفاية أن يصدقه المهاجرون والأنصار، ويقبلوا أبا بكر بيعته ثم يجعلوها في الوصي المنصوص على وصايته!!

ولم يكفهم هذا الكذب حتى ادعوا أن أبا بكر، وعمر أرسلنا من ضرب فاطمة، ويحرق بيتها بمن فيه لإكراههم على البيعة.. إلى غير ذلك من القصص العجيب^(٣).

وواضح مما سبق مدى بطلان ما يعتقدون، ووهاء ما يستندون إليه من الأباطيل المخالفة لصحيح النقل، والمناقضة لصريح العقل.

الفرع الثالث

قضية مالك بن نويرة

يزعم الرافضة أن مالك بن نويرة كان من شيعة علي!! فلا غرو بعد ذلك أن يعتبروه من المبشرين بالجنة^(٤)!

ويروي الشيعة في شأن مالك أنه لما بويع لأبي بكر، دخل مالك بن نويرة المدينة لينظر من قام بالأمر بعد رسول الله ﷺ وكان يوم الجمعة، فلما دخل المسجد وجد أبا بكر يخطب على منبر رسول الله ﷺ، فلما نظر إليه قال: هذا أخو تيم؟! قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله ﷺ

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠١.

(٢) انظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٤٦، والاحتجاج ١/ ١٠٩، وشرح نهج البلاغة ٦/ ١٣.

(٣) راجع مثل هذا القصص المكذوب، والمرويات الباطلة: كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٤٩ فما بعدها. والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، للمفيد، ص ١١٨، وكتاب بيت الأحزان في ذكر أحوال سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، لعباس القمي ص ١١٩ فما بعدها.

(٤) علم اليقين للكاشاني ٢/ ٦٢٨. وانظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ٤٦٨، ٥٧٤.

الذي أمرني رسول الله ﷺ باتباعه وموالاته؟ فقال له المغيرة بن شعبه: إنك غبت وشهدنا، والأمر يحدث بعده الأمر. فقال مالك: والله ما حدث شيء ولكنكم خنتم الله ورسوله. ثم تقدم إلى أبي بكر، فقال يا أبا بكر: لماذا رقيت منبر رسول الله ﷺ ووصي رسول الله عليه السلام جالس؟ فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبه من المسجد. فقام إليه عمر وخالد وقنفذ، فلم يزلوا يكزون في ظهره حتى أخرجوه من المسجد كرها بعد إهانة وضرب، فركب مالك راحلته وهو ينشد ويقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأنني وشأن أبي بكر
 إذا مات بكرٌ قام بكرٌ مكانه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
 يَدب وَيَغشاه العِشار كأنها يُجاهد جما أو يقوم على قبري
 فلو قام بالأمر الوصي عليهم أقمنا ولو كان القيام على الجمر

فلما توطأ الأمر لأبي بكر، بعث خالد بن الوليد في جيش وقال له: وقد علمت ما قال ابن نويرة في المسجد على رؤس الأشهاد وما أنشد من شعره، ولسنا نأمن أن يفتق علينا منه فتق لا يلتام، والرأي أنك تحدعه وتقتله وتقتل من كان يبارزك دونه، وتسبي حريمهم، فإنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة.

فسار خالد إليهم، فلما رأى مالك بن نويرة الجيش قد أقبل نحوه لبس لأمة حربه واستوى على متن جواده، وكان مالك شجاعاً من شجعان العرب يعد بمائة فارس، فلما رآه خالد قد برز، خاف منه وهابه وأعطاه العهود والمواثيق على الأمان، فلم يركن إليه، فحلف له بالأيمان المغلظة أنه لا يغدر به، فرجع مالك ونزع لأمة حربه وأضافهم تلك الليلة. فلما نام القوم دخل خالد بمن معه على مالك في بيته وقتله غدرا ودخل بإمرأته في ليلته، وأخذ رأسه فوضع في قدر فيه لحم جزور لوليمة العرس، وأمر أصحابه بأكله، ثم سباهم وسماههم أهل الردة افتراء على الله وعلى رسوله^(١).

ولا يشك عاقل في كذب هذا الخبر، وأنه موضوع. ولكن ما يدل عليه هذا الخبر أن مجرد اعتراض مالك على خلافة الصديق جعله عند الرافضة من المصطفين الأخيار! ومن أجله كان حرب أبي بكر إياه وقتل خالد له!

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، لعلي بن يونس البياضي ٢/ ٢٨٠، وبيت الأحزان ص ١١٤.

ومن الرافضة المعاصرين من يصرح بهذا الأمر فيقول - وهو متأثر باعتقاد طائفته في هذا الشأن في ضوء تلك النصوص - مفسرا حال مالك: «مالك بن نويرة عربي عريق المحتد، ومسلم صلب العقيدة، وصحابي صحيح الصحة، وقد ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه وجعله عاملا من قبله على بني يربوع.. وعندما رفض هذا الصحابي الخضوع للحكم الجديد بعد وفاة النبي ﷺ، ساق خالد بن الوليد الجيش لإخضاعه، وأسفر اللقاء عن مقتل مالك وجمع غفير من قومه بزعم كونهم مرتدين!»^(١).

وخشي القوم أن يُظن في غضب عمر من صنيع خالد تفسيرا بورع الرجل - عمر رضي الله عنه - فصرفوا عنه ذلك بقول بعضهم: «إن معاتبة عمر وغيبته على خالد في قتل مالك بن نويرة لم يكن مراقبة للدين، ورعاية لشريعة سيد المرسلين، وإنما تألم من قتله لأنه كان حليفا له في الجاهلية»^(٢). ثم هم بعد ذلك يتهمون أبا بكر بتعطيل الحدود وينسبونه بذلك إلى الجهل بحدود الله وبشرعه، ويستندون في ذلك إلى مقالة اخترعوها، ورواية وضعوها أو وضعت لهم تقول: «وبلغ من جهله أنه أهمل حدود الله، فترك إقامة الحد على خالد بن الوليد بن المغيرة الذي قتل مالك بن نويرة، وزنى بامرأته، ولم يقتله أبو بكر مع أن عمر أشار عليه بقتله، وقال عن خالد: إنه زان. وقالوا: إن مما يدل على أنه ترك إقامة الحد عليه رغم وضوح جرمه، كونه ودَّ عند موته لو أنه حد خالد على فعلته بمالك بن نويرة وزوجه»^(٣).

الفرع الرابع

تفسير مواقف الصحابة من بيعة علي رضي الله عنه والفتنة

أ - بيعة علي رضي الله عنه:^(٤)

ليس غريبا على الرافضة أن يروا في استخلاف عثمان غدر العلي الوصي، وخيانة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي نص عليه نسا، ويروون في ذلك: «أنه لما كان في يوم الشورى حضر عمار بن ياسر رضي الله عنه

(١) محمد حسن آل ياسين، نصوص الردة في تاريخ الطبري ص ٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٢٥٧/٨، وبيت الأحزان ص ١١٥.

(٣) تجريد العقائد للطوسي ص ١٤٣، وانظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ٥٧٤.

(٤) انظر فيما يأتي: النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، للمفيد محمد بن محمد بن النعمان. فهو في رأبي من أهم كتب الرافضة تناولا لهذا الباب تفسيرا وبيانا يعبر عن وجهتهم ومنهجهم تجاه هذه القضية. ومن أهم كتب السنة في هذا الباب: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة، لعبد القادر محمد عطا صوفي، ص ١١٤٠ فما بعدها.

فقام في الناس وقال: إن وليتموها عليا سمعنا وأطعنا، وإن وليتموها عثمان سمعنا وعصينا. فقام الوليد بن عقبة وقال: يا معشر الناس من أهل الشورى إن وليتموها عثمان سمعنا وأطعنا، وإن وليتموها عليا سمعنا وعصينا. فانتهره عمار وقال له: متى كان مثلك يا فاسق يعترض في أمور المسلمين وأسباب جمعها، وتسابا وتناوشا حتى حيل بينهما. فقال المقداد رضي الله عنه من وراء الباب، يا معشر المسلمين: إن وليتموها أحدا من القوم فلا تولوها من لم يحضر بدرا وانهمز يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان وولى الدبر يوم التقى الجمعان. فقال له عثمان: أما والله لئن وليتها لأردنك إلى زيك الأول. ولما صفق عبد الرحمن يده على يد عثمان، همس أمير المؤمنين وقال: مال الرجل إلى صهره ونبد دينه وراء ظهره، وأقبل على عبد الرحمن، فقال: والله ما أملت منه إلا ما أمل صاحبك من صاحبه دق الله بينكما عطر منشم. وانصرف مظهرا النكير على عبد الرحمن واعتزل بيعة عثمان فلم يبايعه حتى كان من أمره مع المسلمين ما كان. فقال في مقام بعد مقام: اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم ظلموني حقي ومنعوني إرثي وتمألوا علي. وقال: لم أزل مظلوما منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: لقد عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمة ستغدر بي من بعده. وقال: لقد ظلمت عدد الحجر والمدر. وقال: اللهم أجز قريشا عني الجوازي، فقد قطعت رحمي، ودفعتني عن حقي، وأغررت بي سفهاء الناس، وخاطرت بدمي^(١).

ثم هم بعد ذلك يذهبون إلى القول بالإجماع في بيعة علي وينسبون ذلك للصحابة جميعا وعلى رأسهم طلحة والزبير، وما ذلك بالطبع إلا ليفسروا حال من قاتله بعد ذلك بالخروج والارتداد ونكث البيعة.

وهم يروون في ذلك: «أن الصحابة لما كان من أمر عثمان ما كان التمسوا عليا، وبحثوا عن مكانه حتى وجدوه، فصاروا إليه وسألوه القيام بأمر الأمة، وشكوا إليه ما يخافونه من فساد الأمة، فكره إجابتهم إلى ذلك على الفور، والبدار لما علمه من عاقبة الأمور، وإقدام القوم على الخلاف عليه، والمظاهرة له بالعداوة والشنتان. فلم يمنعهم إباؤه من الإجابة عن الإلحاح فيما دعوه إليه، وأذكروه بالله عز وجل، وقالوا له: إنه لا يصلح للإمامة بالمسلمين سواك، ولا نجد أحدا يقوم بهذا الأمر غيرك، فاتق الله في الدين وكافة المسلمين. فامتحنهم عند ذلك بذكر من نكث بيعته بعد أن أعطاه بيده على الإيثار. وأوما لهم إلى مبايعة أحد الرجلين^(٢)، وضمن النصره لهما متى أرادا لإصلاح الدين وحيطة الإسلام فأبى القوم عليه تأمير من سواه والبيعة لمن عداه.

(١) النصره لسيد العترة في حرب البصرة، ص ١٢٢-١٢٤.

(٢) يعني طلحة، والزبير.

وبلغ ذلك طلحة والزبير فصارا إليه راغبين في بيعته، منتظرين للرضا بتقدمه فيهما وإمامته عليهما، فامتنع الاستظهار، فألحا عليه في قبول بيعتهما له. واتفقت الجماعة كلها على الرضا به، وترك العدول عنه إلى سواه، وقالوا: إن لم تجبنا إلى ما دعوناك إليه من تقليد الأمر، وقبول البيعة، انفتق في الإسلام ما لا يمكن رتقه، وانصدع في الدين ما لا يستطيع شعبه.

فلما سمع ذلك منهم بعد الذي ذكرناه من الإباء عليهم والامتناع لتأكيد الحجة لنفسه بسط يده لبيعتهم، فتداكوا عليه تذاك الإبل على حياضها يوم ورودها، حتى شقوا أعطافه، ووطئوا ابنه الحسن والحسين بأرجلهم لشدة ازدحامهم عليه وحرصهم على البيعة له والصفقة بها على يده، رغبة بتقديمه على كافتهم، وتوليته أمر جماعتهم، لا يجدون عنه معدلا، ولا يخطر ببالهم سواه لهم موقلا. فتمت بيعته بالمهاجرين والبدرين والأنصار والعقيين المجاهدين في الدين والسابقين إلى الإسلام من المؤمنين وأهل البلاء الحسن مع النبي ﷺ من الخيرة البررة الصالحين^(١).

ومن ثم فإنهم يرون أن عليا امتنع عن الخلافة يوم مقتل عثمان. وقد عقد المفيد في ذلك بابا بعنوان: «امتناع أمير المؤمنين عليه السلام من قبول الخلافة» ويستندون في ذلك إلى^(٢) ما رواه أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتابه المصنف في حرب البصرة عن سيف بن عمر عن محمد بن عبد الله بن سواده وطلحة بن الأعلم، وأبي عثمان أجمع قالوا:

«بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام أميرها الغافقي بن حرب، والناس يلتمسون من يجيهم إلى هذا الأمر، فلا يجدون فيأتي المصريون عليا، فيختبئ منهم، ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا أتوه يأبى عليهم».

قال: وروى إسحاق بن راشد عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن ابن أبنى قال:

«ألا أحدثك ما رأيت عيناى وسمعت أذناى؟ لما التقى الناس عند بيت المال، قال علي لطلحة: ابسط يدك أبايعك. فقال طلحة: أنت أحق بهذا الأمر مني، وقد اجتمع لك من أهواء الناس ما لم يجتمع لي. فقال له: ما خشينا غيرك. فقال طلحة: لا تخش، فو الله لا تؤتى من قبلي. وقام عمار بن ياسر وأبو الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان وأبو أيوب خالد بن زيد، فقالوا لعلي: إن هذا الأمر قد فسد وقد رأيت ما صنع عثمان وما أتاه من خلاف الكتاب والسنة، فابسط يدك نبايعك لتصلح من أمر الأمة ما قد فسد. فاستقال علي، وقال: قد رأيت ما صنع بي وعرفت رأي القوم فلا حاجة لي فيهم. فأقبلوا على الأنصار فقالوا: يا معاشر الأنصار، أنتم أنصار الله وأنصار رسوله وبرسوله

(١) النصر لسيد العترة في حرب البصرة، ص ٨٩-٩٠.

(٢) انظر فيما يأتي: النصر لسيد العترة في حرب البصرة، ص ١٢٨-١٣٠.

أكرمكم الله تعالى وقد علمتم فضل علي وسابقته في الإسلام وقرابته ومكانته التي كانت له من النبي ﷺ وإن ولي أنا لكم خيراً. فقال القوم: نحن أَرْضِي الناس به ما نريد به بدلاً. ثم اجتمعوا عليه فلم يزالوا به حتى بايعوه».

وروى سيف عن رجاله قال:

«اجتمع الناس إلى علي سألوه أن ينظر في أمورهم، وبذلوا له البيعة، فقال لهم: التمسوا غيري. فقالوا: نشدك الله، أما ترى الفتنة، ألا تخاف الله في ضياع هذه الأمة. فلما ألحوا عليه قال لهم: إني إن أجبتكم حملتكم على ما أعلمه، وإن تركتموني كنت كأحدكم. فقالوا: قد رضينا بحكمك، وما فينا مخالف لك، فاحملنا على ما تراه، ثم بايعته الجماعة».

وإني أتساءل بعد ذلك: ما دام الصحابة رغبوا في بيعة علي، وشهدوا له بالإمامة والفضل، لماذا لم يقرؤا له بما جحدوه من قبل بوصية النبي له بالإمامة - كما تزعم الشيعة - ليجعلوه يعدل عن رأيه ويقبل الخلافة؟!!

ثم كيف بوصي النبي ﷺ، المنصوص عليه بالوحي من قبل رب العالمين يرى أهليته يوم السقيفة يوم جحد أبو بكر وعمر إمامته ويطوف على الأنصار والمهاجرين بامرأته وأولاده يتظلم إليهم بما فعل حين جحدوا حقه في الخلافة - ولا ريب أن في ذلك مدعاة لفتنة قد تقوم بصنيع علي هذا يومئذ - ثم هو يعرض عنها يوم تموج الأرض بالفتنة؟ وفي هذا فساد لرأيه وفساد للدين أن يرى المعصوم وحدة الأمة بيده، ويرى إقبال الصحابة عليه بهذا الإجماع، ثم يعرض عن الإمامة التي عند الرافضة من أصول الدين؟ فلماذا يوقعهم علي في الحرج بعدما ثابوا إلى رشدهم من بعد الضلالة؟ هذه وأسئلة أخرى كثيرة تحتاج إلى إجابات وتفسيرات، ولن تكون لها إجابات صادقة، لأن أصل هذا الدين - الرفض - قام على موضوعات ومتناقضات، وكذلك الكذب!!

والعجيب أنهم على الرغم من إنكارهم على أبي بكر وعمر إجبارهما بعض الصحابة على البيعة لأبي بكر كما يدعي الرافضة، فإننا نجدهم في المقابل يميزون ذلك لعلي عند بيعته! وفي ذلك يقول المفيد: «لو ثبت الإكراه في بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) لما ادعى المخالفون إكراهه، لم يقدح ذلك في إمامته على أصول شيعته الدائنين بالنص عليه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن للإمام المنصوص عليه المفترض الطاعة على الأنام أن يُكره من أبا طاعته، ويضربه بالسوط والسيف على ذلك، حتى يفيء إلى أمر الله تعالى والانقياد له ويأمن بذلك ما يحذر من فتنته وفساده»^(١).

(١) المصدر نفسه، ص ١١٣-١١٤.

ب - قتال علي:

يقول الرافضة بكفر من حارب عليا، وإن كان لبعضهم تفصيل في هذا الحكم. فيقول المفيد: «وأجمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكنهم لم يخرجوهم بذلك عن حكم ملة الإسلام إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملة، ولم يكن كفر ردة عن الشرع مع إقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردة المخرج عن الإسلام، وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان مستحقين به اللعنة والخلود في النار»^(١).

كما يرون أن علياً كان مصيباً في حروبه كلها، وأن مخالفه في ذلك على ضلال. ويستدلون على ذلك بموضوعات نسبت للنبي ﷺ منها: «حربك يا علي حربي، وسلمك يا علي سلمي»، «يا علي أنا حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك»، «تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»^(٢).

ويقدم الرافضة بين يدي موقعة الجمل بمقدمات أرادوا بها اتهام من خالف علياً بعد ذلك. من تلك المقدمات ما سبق عرضه، وأن طلحة والزبير بايعا راضيين غير مكرهين، ومن ثم فإنها كانا في قتالهما علياً من الخوارج الناكثين للعهد بما يوجب عندهم بكفرهما! وهذا ما كان، فقد عقد المفيد فصلاً بعنوان: «فصل في نكث البيعة من قبل طلحة والزبير»^(٣).

ولكنهم قبل ذلك نسبوا إليهما ومعهما عائشة قتل عثمان رضي الله عنه. فيقول قائلهم: «ألا ترى أن طلحة والزبير وعائشة بإجماع العلماء بالسير والآثار هم الذين أوكدوا خلع عثمان وحصره وقتله»^(٤).

ويستندون في ذلك إلى ما رواه أبو حذيفة إسحاق بن بشر القرشي قال حدثني يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

«والله إني لأنظر إلى طلحة، وعثمان محصور، وهو على فرس أدهم، وبيده الرمح يجول حول الدار. وكأني أنظر إلى بياض ما وراء الدرع»^(٥).

وقالوا: روى أبو إسحاق؟! قال:

«لما اشتد بعثمان الحصار عمل بنو أمية على إخراجه ليلاً إلى مكة، وعرف الناس ذلك فجعلوا عليه حرساً، وكان على الحرس طلحة بن عبيد الله، وهو أول من

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٧٩، ٨٠.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٦.

(٥) المصدر نفسه ص ١٤٦.

رمى بسهم في دار عثمان. قال: وأطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمى من العطش، فنادى: أيها الناس اسقونا شربة من الماء، وأطعمونا مما رزقكم الله. فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل، لا والله، لا تذوقه»^(١).

وإلى ما رواه أبو حذيفة القرشي عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد الحماني قال:

«أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له يا أبا عبد الله قد حيل بين أهل الدار وبين الماء فنظر نحوهم وقال ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥٤]»^(٢).

أما عن دور عائشة رضي الله عنها في هذه الفتنة فلها عندهم النصيب الأوفى، ولم لا وهي عندهم عدوة علي الأولى، حتى نسبوا إليها: «لم يزل بيني وبين علي من التباعد ما يكون بين الأحماء.. لا جرم أني لا أحب عليا أبدا»^(٣).

ويروون في ذلك عن ثابت بن عجلان الأنصاري، عن ابن أبي عامر مولى الأنصار قال:

«كنت في المسجد فمر عثمان فنادته عائشة: يا غُدر، يا فُجر، أخفرت أمانتك وضيعت رعيتك ولو لا الصلوات الخمس لمشى إليك الرجال حتى يذبحوك ذبح الشاة. فقال عثمان ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]»^(٤).

ومن ثم، كانت عندهم أيضا من الناكثين المارقين، وعقد المفيد في ذلك فصلا بعنوان: (لحاق عائشة بالناكثين وعصيانها أمر الله). قال فيه: «سلكت عائشة في خلافها لأمر المؤمنين (عليه السلام) مسلكها»^(٥) في ذلك، فتظاهرت به من الطلب بدم عثمان والاقتصاص من قاتله. ومعلوم في شريعة المسلمين أن ذلك ليس لهما ولا إليهما، وأنها فيما تكلفاه منه على شبهة باطلة عند الناظرين، لأنهما لم يكونا أولياء لدم عثمان، ولا بينه وبينهما نسب يسوغهما للتخاصم في دمه، ولا إلى النساء أيضا الدخول في شيء من ذلك على وجه من الوجوه، إذ ليس عليهن جهاد، ولا لهن

(١) المصدر نفسه ص ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٧، ١٥٨.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤٨.

(٥) يعني طلحة والزبير.

أمر ولا نهي في البلاد والعباد، لاسيما مع ما خص الله به أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) في الحكم المضاد لما صنعت هذه المرأة وتبينت بالخلاف فيه للدين» (٢).

قلت: عجباً لكم - ولا ينقضي منكم العجب - ! ولو كان خروجها في نصرة علي لكان لها عندكم الشأن العظيم، ولبررتم فعلها بمحامد التبريرات، ولحملتم صنيعها هذا على أحسن وجه وأجمل تفسير، ولجعلتم اجتهادها في ذلك سنة وجب على كل نساء النبي ﷺ الاقتداء بها! هذا ما عهدناه عليكم، تماماً كما فعلتم بهالك بن نويرة وغيره ممن خالف في بيعة أبي بكر، ومن خرج على عثمان وبني أمية من آل البيت. ثم ألم تخرج فاطمة للطلب بميراثها من أبيها كما زعمتم. وأخرى - وهي أشد من ذلك إن خرجتم من الأولى - وهو ما رويتم أن: «علياً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره وتساءلهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به» (٣). فلم يكفكم أن يكفي الرجل أهله، حتى يخرجهم يستجدي بهم ملكاً زعمتموه له.

ويروون أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها بعد الجمل قال علي لها:

«ارتحلي عن هذه البلدة. قالت: لا أريم مكاني هذا. فقال لها: أم والله لترتحلن أو لأنفذن إليك نسوة من بكر بن وائل يأخذنك بشقاق حداد. فقالت لرسوله: أنا أرتحل فبالله أحلف ما كان مكان أبغض إلي من مكان يكون هو فيه» (٤).

ومن أجل ذلك البغض الذي يزعمونه من قبل عائشة لعلي يفسرون سبب السعادة المزعومة لعائشة رضي الله عنها بمقتل علي يوم جاء الخبر بمقتله، ويروون في ذلك ما اتفق عليه الرواة بما لا ريب في صحته عندهم! أنها لما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) جاء الناعي فنعاها لأهل المدينة، فلما سمعت عائشة بنعيه استبشرت وتمثلت بقول الشاعر:

فإن يك ناعياً فلقد نعاها بناع ليس في فيه التراب

فقالت لها زينب بنت أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا؟ فتضاحكت ثم قالت: أنسى، فإذا نسيت فذكروني، ثم خرت ساجدة شكراً على ما بلغها من قتله، ورفعت رأسها وهي تقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

(١) يعني القرار في بيوتهم.

(٢) النصرة لسيد العترة في حرب البصرة، ص ١٥٣.

(٣) انظر: كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٤٦، والاحتجاج ١/ ١٠٩، وشرح نهج البلاغة ٦/ ١٣.

(٤) النصرة لسيد العترة، ص ١٦٠.

وروي مسروق قال: دخلت عليها فاستدعت غلاما باسم عبد الرحمن فسألتها عنه. فقالت: عبدي. فقلت: كيف سميت به عبد الرحمن؟ قالت: حبا لعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي^(١)!!
وفي النهاية، فإنهم يذهبون إلى أن سبب قتال عائشة لعلي بزعم الطلب بدم عثمان، إنما كان بغضا منها له لما علمت توليه الخلافة، فجحدت ذلك حقدًا وبغضا، فادعت الخروج للطلب بدم عثمان^(٢).

أما طلحة والزبير فإنهما بايعا طمعا في الدنيا بالمال والإمرة، فلما أيسا من ذلك خرجا على علي بدعوى الطلب بدم عثمان. وفي ذلك يقول قائلهم: «الحق في ذلك ما ذهب إليه الشيعة في تعمدهم الخلف وأسباب ذلك العداوة له والشئتان مع الطمع في الدنيا، والسعي في عاجلها، والتأميل للتأمر على الناس، والتملك لأمرهم وبسط اليد عليهم. وأن الرجلين خاصة لما أيسا من نيل ما طمعا فيه من الأمر، فوجدا الأمة لا تعدل بأمر المؤمنين أحدا، وعرفا رأي المهاجرين والأنصار في ذلك، أرادا الخطوة عنده بالبدار إلى بيعته، وظنا أنها بذلك يشركانه في أمره، فلما استويا بالحال من بعد، وضح لهما أمره ورأيه، وتحققا أنها لا يليان معه أمرا، فامتحننا ذلك مع ما غلب في ظنهما كما ذكرناه بأن صاروا إليه بعد استقرار الأمر له ببيعة المهاجرين والأنصار وبني هاشم وكافة الناس، إلا من شذ من بطانة عثمان وكانوا على خفاء لأشخاصهم، مخافة على دمائهم من أهل الإيمان»^(٣).

ويروون في ذلك أنها لما صاروا إلى علي فخطب إليه طلحة ولاية العراق، وطلب منه الزبير ولاية الشام، فأمسك علي عن إجابتهما في شيء من ذلك.

فانصرفا وهما ساخطان منه، فعرفا ما كان غلب في ظنهما قبل من رأيه. فتركاه يومين أو ثلاثة أيام ثم صاروا إليه واستأذنا عليه، فأذن لهما، وكان في عليّة في داره فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه، وقالوا: يا أمير المؤمنين، قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئا نصلح به أحوالنا ونقضي به حقوقا علينا.

فقال علي: قد عرفتما مالي بينع، فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر. فقالا: لا حاجة لنا في مالك بينع. فقال لهما: فما أصنع؟ فقالا له: أعطنا من بيت المال شيئا فيه لنا كفاية.

فقال علي: سبحان الله وأي يد لي في بيت المال، ذلك للمسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم، فإن شئتما رقيت المنبر وسألتم ذلك مما شئتما فإن أذنوا فيه فعلت؛ وأنى لي بذلك وهو لكافة

(١) المصدر نفسه ص ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦٣ - ١٦٤.

المسلمين شاهدهم وغائبهم ، لكنني أبلي لكما عذرا. قالوا: ما كنا بالذي يكلفك ذلك ولو كلفناكه لما أجابك المسلمون. فقال لهما: فما أصنع؟ قالوا: سمعنا ما عندك ، ثم نزلنا من العلية وفي أرض الدار خادمة لأمر المؤمنين (عليه السلام) فسمعتهما يقولان: والله ما بايعناه بقلوبنا وإن كنا بايعناه بألسنتنا. فقال علي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]»^(١).

ج - التحكيم:

يذهب الشيعة إلى أن عليا عليه السلام كان مصيبا في تحكيمه لما أبى أصحابه إلا التحكيم، وامتنعوا من القتال فنظر للمسلمين ليتألفهم، وإنما أمرهما أن يحكما - يعني الحكيمين - بكتاب الله عز وجل. فخالفا. فهما اللذان ارتكبا الخطأ، وهو الذي أصاب، واعتلوا في ذلك بأن رسول الله ﷺ وادع أهل مكة ورد أبا جندل سهيل بن عمرو إلى المشركين يحجل في قيوده، وبتحكيمه سعد بن معاذ فيما بينه وبين بني قريظة والنضير من اليهود^(٢).

ومن ثم، فإن الرافضة يرون أن أبا موسى خدع عليا في التحكيم. يقول علي بن يونس البياضي: «خدع الأشعري في التحكيم، وقيل: إنما كان ذلك عن علم منه.. ولقد قال له عمرو: أنت كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وقال الأشعري له: أنت كالخمار يحمل أسفارا، ولعمري إنها صادقان، وقد أخرج البخاري في الشيطان لقد صدقك وهو كذوب»^(٣).

وفي هذا الشأن يقول بعض الفضلاء المعاصرين من أهل السنة ردا على ذلك الإفك^(٤): «من القضايا التي استطاع الشيعة من خلالها الدس في تاريخنا الإسلامي: قضية التحكيم، إذ إن المرويات التي أوردها أكثر مؤرخي أهل السنة في أسانيدنا راو أو أكثر من الشيعة. فأكثر المرويات التي أوردها ابن جرير الطبري مثلا في هذه القضية، في إسنادها أبو مخنف لوط بن يحيى الشيعي المحترق. ومرويات أبي مخنف تحمل في ثناياها أقبح الصور عن الخلاف والتحكيم».

ثم انتهى إلى قوله^(٥): «وخلاصة القول: إنه لا يصح شيء من مزاعم الشيعة عن أبي موسى الأشعري. والثابت عنه في قضية التحكيم أنه وعمرو بن العاص قاما بمهمتهما بحسب ما أدى إليه اجتهادهما، ولم يقصرا في ذلك، ولكن لم تكن وراءهما قوة تنفذ ما اتفقا عليه. لذلك لم يتغير الحال عما كان عليه قبل التحكيم».

(١) المصدر نفسه ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي، تحقيق هـ. ريتز، ص ١٤.

(٣) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، البياضي ١٧٧/٣.

(٤) عبد القادر محمد عطا صوفي، موقف الشيعة الإثني عشرية من الصحابة، ص ١٤١٠.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٤١٥.

وهكذا نخلص من هذا الفصل: أن الشيعة ليسوا على مذهب واحد، أو طور واحد، وإنما تعددت أطوارهم ومذاهبهم، إلا أن مناهج روايتهم للأخبار ومنهاج نقدهم وتفسيرهم إياها تباين من طائفة لأخر، فمنهم من لم يختلف عن منهاج أهل السنة، فكان أكثر ما دخل الوضع منه إلى مروياتهم إنما هو من باب التدليس والوهم والغفلة، وإن كان التدليس أكثر هذه الأسباب التي أدت إلى تطرق الوضع في الرواية وتفسيرها عند هذه الطائفة.

في حين كانت الرافضة أخبث هذه المذاهب في رواية التاريخ وتفسيره لشيوع الكذب بين أصحابها، فكان أثر على الروايات التاريخية وتفسيرها فاحشا.



الفصل الخامس الجامع

**أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره
عند أصحاب المدارس الحديثة**

مدخل:

وأعني بهذا الفصل تلك المرويات المجردة التي استند إليها أصحاب هذه المدرسة، واعتمدوها في كتبهم وأعمالهم، رغم عدم صحتها بحال، الأمر الذي سيكون له أثره في باب تفسير حوادث تلك الفترة الآتي الحديث عنها.

وأصحاب هذه المدرسة على صنفين، الأول: أصحاب تلك الحركة العلمية التي عرفت في التاريخ الحديث باسم الاستشراق. والثاني: من انتهج نهج هذه الحركة من العرب والمسلمين في تاريخنا المعاصر.

ويتضح من هذا التصنيف أن هناك مرحلة سبقت الأخرى في تأسيس هذه المدرسة ونشاطها. وهي مرحلة الاستشراق والمستشرقين. ومن ثم فسوف نبدأ بها، ثم نعقبها بالحديث عن المرحلة الأخرى.

أثر الوضع في رواية التاريخ ونماذج من تفسيره عند بعض المستشرقين

الاستشراق أو المستشرقون: تلك الطائفة من أعاجم الغرب التي ألزمت نفسها النظر في علوم الشرق - العرب ومن دونهم - بحثاً ودراسة^(١).

وتاريخ هذه الطائفة موغل في القدم، إلا أنه لا يعرف على وجه الدقة بدء هذا التاريخ. وقد تناولها بالدراسة جمهرة من الباحثين^(٢)، إلا أن ما يعيننا من شأنها هنا أمران:

أ - أهم دوافعها وأهدافها:

باستقراء شيء من تاريخ الاستشراق رأيتُ أن دوافعه وأهدافه قد اختلفت باختلاف الزمان والمكان، وعليه فلن نكون منصفين في حديثنا عن هذا الأمر إلا بعد أن ننجلي شيئاً من تاريخ هذه الطائفة، خاصة مع تباين وجهات نظر الباحثين المعاصرين في تحديد هذه الدوافع والأهداف.

إذا اعتبرنا أن الاستشراق هو نظر الأعجمي الغربي في علوم الشرق - كما عرفه الباحثون - فمن ثمَّ يكون تاريخ الاستشراق قديماً جداً، يسبق عصرنا الحاضر بكثير. ولعل أقدم إشارة إلى تاريخ هذه الطائفة ما ذكره جوستاف جرونباوم، في كتابه (حضارة الإسلام): عن الإسباني المتعصب (ألفارو) الذي قال في سنة ١٨٥٤م (٢٤٠هـ) متأسفاً: «يطرب إخواني المسيحيون لأشعار العرب وقصصهم، فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين لا لتفنيدها، بل للحصول على أسلوب عربي صحيح رشيق، فأين تجد اليوم علمانيا يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة؟ وأين ذلك الذي يدرس الإنجيل وكتب الأنبياء والرسول؟ وأسفاه! إن شباب المسيحيين الذين هم أبرز الناس مواهب ليسوا على علم بأي أدب ولا أية لغة غير العربية، فهم يقرأون كتب العرب ويدرسونها بلهفة وشغف وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة، وإنهم ليرتمون في كل مكان بمدح تراث العرب، وإنك لتراهم من الناحية الأخرى يحتجون في زراية إذا ذكرت الكتب المسيحية بأن تلك المؤلفات غير جديرة بالتفاتهم. فواحر

(١) راجع في هذا التعريف وما يتبعه: جمهرة تصانيف العرب ص ٣٦.

(٢) منهم: نجيب العقيلي: المستشرقون. ومصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون. وعبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، وذكريا هاشم: المستشرقون والإسلام، وعبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين..

قلبا! لقد نسي المسيحيون لغتهم، ولا يكاد يوجد منهم واحد في الألف قادر على إنشاء رسالة إلى صديق بلاتينية مستقيمة، ولكن إذا استدعى الأمر كتابة العربية فكم منهم من يستطيع أن يعبر عن نفسه في تلك اللغة بأعظم ما يكون من الرشاقة، بل لقد يقرضون من الشعر ما يفوق في صحة نظمه شعر العرب أنفسهم»^(١). اهـ.

هذه أقدم إشارة إلى تاريخ الاستشراق وقفتُ عليها^(٢) وهي تجلي للمتأمل ما ذكرته آنفا من تباين دوافع وأهداف الاستشراق تبعا لاختلاف الزمان والمكان.

فإن المتأمل لقول ألفارو: «فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين لا لتفنيدها..»، يرى الباعث الأول للاستشراق، وهو الإعجاب بهذا التراث وهذه الحضارة، وحاجتهم إلى الانتفاع بما فيها دون ضغائن أو أحقاد.

في حين كان تعبير ألفارو: «لا لتفنيدها» إعلان عن دافع آخر لهذه الحركة الاستشراقية، هو نقد هذا التراث في محاولة لهدمه على أصحابه من جهة، وتشويه صورته في أعين المعجبين به من جهة أخرى. وهذا يفصح من غير شك عن نية أخرى غير سابقتها مشحونة بالبغض والحقد والكرهية، فهو لم يمه بنى جلده عن النظر في علوم العرب والمسلمين، ولكن يحدد وجهة بعينها ينبغي لهم في رأيه أن يولوا وجوههم شطرها، ويتخذوا سبيلها تمثلت في قوله «لتفنيدها».

ومن ثم، تنحصر بواعث الاستشراق - في رأبي - منذ نشأته قبل عهد ألفارو (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) حتى عصرنا الحاضر في هذين الدافعين السابق الإشارة إليهما، فكانا يسيران جنبا إلى جنب لا ينفك أحدهما عن الآخر.

الأول: الانتفاع بتراث أمة العرب بدافع المصلحة.

الثاني: نقد وهدم تراث هذه الأمة بدافع التعصب.

(١) حضارة الإسلام، لجوستاف جرونيباوم، ترجمة عبد العزيز توفيق، ص ٨١، ٨٢.
(٢) ومن يظن إلى أن هذا القول مسبوق بتاريخ طويل لا يقل في رأبي عن خمسين إلى مائة سنة كاملة نهل فيها النصارى الأسباب من تراث المسلمين حتى ضاق بعد ذلك مثل ألفارو هذا بذلك ذرعا فقال ما قال، من يظن إلى ذلك يتبين له صدق ما ذكرته من إيغال تاريخ الاستشراق في القدم، في حين بدأه د. مصطفى السباعي بالراهب جربرت بابا كنيسة روما عام ٩٩٩ م، وبطرس المحترم (١٠٩٢ م - ١١٥٦ م)، وجيراردي كريمون (١١١٤ - ١١٨٧ م) الذين تعلموا في الأندلس ثم عادوا إلى بلادهم فنشروا ما تعلموه (الاستشراق والمستشرقون ص ١٥، ١٦). وبدأه د. عبد المجيد دياب بالقرن الثاني عشر الميلادي، وتحديدًا سنة ١١٤٣ م، عندما تمت أول ترجمة لاتينية للقرآن في الأندلس وكذلك ظهور أول قاموس لاتيني عربي (تحقيق التراث العربي ص ١٨٥).

هذا، ولست أرى ما قد يراه غيري من أن الاستعمار المسلح كان دافعا من دوافع الاستشراق أو باعثا له، ذلك أن المواجهات العسكرية بين الشرق والغرب، أو بين المسلمين والنصارى سبقت حركة الاستشراق بمفهومه المعاصر. ولكنني أقول أن الاستشراق كان خادما له - أعني الاستعمار - باشتراك طائفة من هؤلاء المستشرقين مع المستعمرين في الباعث الثاني من بواعث الاستشراق، وهو اجتماعهم على هدم هذه الأمة وتراثها بدافع التعصب، فكان كل طرف يجد في الآخر حاجته، فالأول يجد من الآخر عوناً في كشف مجاهل هذه الأمة الشائخة. والآخر يرى في الأول القوة والبأس بسلاحه وجيوشه، ويجد في ذلك رواء غليله وغيليل غيره من الحاقدين المتعصبين في هدم هذه الأمة ودينها^(١).

ب - أبرز توجهاتها العلمية:

وأقصد بها المعارف والعلوم التي شغلت عقول المستشرقين من تراث العرب منذ أنأتهم الأولى، حتى عصرنا الحاضر.

ولعل أول هذه الاتجاهات علم العربية وما يدور في فلكها من معارف لا تنفك عنه كالنحو والشعر والأدب. ولا غرو أن يكون هذا الاتجاه أسبق الاتجاهات، فهو الباب الذي سيلج منه هذا الأعجمي للتعرف على تراث هذه الأمة الغريب عنها. وعبر ألفارو عن هذا الاتجاه في مقولته السابق ذكرها، فوجدنا منهم من حفظ شعر العرب وأدبهم بل كلام ربهم^(٢).

ويلى هذا الاتجاه اتجاه ثان، تمثل اهتمام المستشرقين فيه بالفلسفة والطب والرياضيات، والفلك والجغرافيا، والملاحة.

ولا تخفى أهمية هذا الاتجاه عند أصحابه في تحقيق جانب المنفعة من تراث هذه الأمة، فكان من أشد الاتجاهات التي لقيت اهتماما كبيرا عند المستشرقين في مرحلة الاستشراق الوسطى، عن

(١) راجع مزيد استقصاء وتفصيل بيان في هذا الباب رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لمحمود شاكر، فقد فصل القول في هذا الباب تفصيلا يغني عن إعادة الكلام فيه هنا.

(٢) ومنهم (رايموندو لوليو) (١٢٣٥ - ١٣١٤ م)، الذي قضى في تعلم العربية تسع سنوات، وحفظ القرآن على عبد أسود، ثم قصد باريس، وانضم إلى الرهبانية الفرنسيسكانية، وأقنع ملك أراغون (١٢٧٦ م) بإنشاء مدرسة لها في ميرامار لتدريس العربية، وأشرف بنفسه عليها، فتخرج منها بالعربية أكثر من ثلاثة عشر راهبا. (المستشرقون ص ١٢٢). ومن أخبار هذا الاتجاه أيضا أن مجمع طليطلة قرر سنة ١٢٥٠ م الإنفاق على ثمانية من الرهبان الدومينيكيين كانوا قد انقطعوا لدراسة العربية، وصنف أحدهم أول معجم عربي أسباني سنة ١٢٣٠ م (المستشرقون ص ٩٠).

طريق الترجمة والدراسة، وكان لهذا الاتجاه تأثير قوي في فكرهم وعقائدهم فضلا عن مصالحتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية^(١).

(١) ومن مظاهر ذلك ما كان من (دون رايموند الأول) رئيس أساقفة طليطلة (١١٢٦-١١٥١م) الذي أنشأ فيها مكتب المترجمين سنة ١١٣٠م، الذي ترجمت فيه أمهات كتب الرياضيات، والفلك، والطب، والكيمياء، والطبيعة، وما وراء الطبيعة، وعلم النفس، والمنطق، والسياسة، إلى اللاتينية، ومن أشهرها أورجانون أرسطو بشرح الكندي، والفارابي، وابن سينا، والغزالي، ومختصراتهم له. وفي صقلية وإيطاليا ترجم فرج بن سالم الصقلي في نابولي كتاب الحاوي للرازي، وطبع في البندقية عام ١٥٤٢م، وستراسبورج سنة ١٥٣٢م، وكتاب تقويم الأبدان لابن جزلة، والطب التجريبي لجالينوس بترجمة حنين بن إسحاق، وكتاب الجراحة لابن ماسويه. أما فلسفة ابن رشد الذي اضطره معاصروه حتى ضاعت معظم أصول كتبه، إلا أنها بقيت ترجماتها. فضلا عن التأثير الواضح الذي كان لهذه الفلسفة وغيرها كفلسفة ابن سينا وغيره في النزعات الفكرية والاعتقادية في أوروبا مما أدى إلى اختلاف رجال الدين في شأنها. وكان أول من نشر فلسفة ابن رشد ميخائيل سكوت، وموريس الأسباني، واسكندر الهاليسي، فوجدها وليم الأوفرنى أسقف باريس قد استحوذت على عدد كبير من طلاب جامعة باريس سنة ١٢٤٠م، وكان الكاهن سيجردي بربان (١٢٣٥-١٢٨١م) من زعماء هذه الفلسفة الرشدية، الأمر الذي روع البابا ألكسندر الرابع. وذلك لما رأى خطر هذا التأثير الإسلامي على الكنيسة والعقيدة النصرانية. فكلف ألب الكبير أن يرد على هذه الفلسفة وأن يذهب إلى جامعة باريس لمناهضتها، فأناج عنه توما الأكويني الدومينيكي الذي كان على الرغم من خصومته للفلسفة الرشدية إلا أنه اعتمد عليها في الرد على الرشدية في التوفيق بين الفلسفة والدين (المستشرقون ص ٩٠، ١٠٣، ١٠٤) أو كما وصفه محمود شاكر رحمه الله بأنه كان متكئا اتكأ كاملا على القدر الذي استطاع أن يفهمه ويظفر به من عند كُتَّاب الإسلام وعلماؤه وفلاسفته ومتكلميه كابن رشد وابن سينا وغيرهم مريدا بكل ذلك إصلاح الخلل الواقع في الحياة المسيحية والذي أضعف سلطان الكنيسة والقسيسين والرهبان (الرسالة ص ٤٠) فصنف في سبيل ذلك تصانيف كثيرة طبع منها كما يقول نجيب العقيلي عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير اعترف فيها صراحة باقتباسه من ابن سينا والغزالي وابن رشد (المستشرقون ص ١١٨). وعلى الرغم من انتصار توما الأكويني على هذا الخطر الذي أدى إلى تحريم الكنيسة النظر في مثل هذه الفلسفات وإدانته سيجر وسجنه في روما سنة ١٢٧٧م، إلا أن هذا لم يمنع منعاً باتاً أثرها في نفوس الأوروبيين، بل ووقوع النزاعات بين الرهبانيات وبعضها طوال مائة عام، بل أحيانا داخل الرهبانية الواحدة، كما كان بين توما الأكويني المناهض لحركة الزيغ النصراني في عصره وبين زميله رايموندو مارتيني الدومينيكي الذي رد عليه في كتابه خنجر الإيمان مستندا فيه إلى حجج الغزالي وغيره (المستشرقون ص ١٠٧).

ولعل من مظاهر هذا التأثير الإسلامي في الثقافة الأوروبية ما أثبتته الأب أسين بلاثيوس من صلة (الكوميديا) الإلهية لدانتي برسالة الغفران للمعري، وكذلك ما أثبتته كل من مونيوث سندينو (في كتاب معراج محمد، مدريد ١٩٢٩م) وأنريكو تيرولي (في كتاب قصة المعراج والأصل العربي الأسباني للملهاة الإلهية، الفاتيكان، ١٩٤٩م) وأثبتنا بالرجوع إلى مخطوطات لاتينية في مكتبة باريس وغيرها اطلاع دانتي =

ثم كان الاتجاه الثالث - الذي مثَّل المرحلة المتأخرة - بدءاً من القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وما تلاهما من تاريخ الاستشراق، وكان الاهتمام فيه مُنصَباً على التعرف على تاريخ المسلمين، وعلى شريعتهم، وعلومها المتصلة بها من فقه، وحديث، وتفسير^(١). ومن يتأمل الظروف المحيطة بفترة هذا الاتجاه تاريخياً، يعلم أسبابه ودوافعه التي دفعت إليه في هذه الفترة، وهو كشف الجوانب الغامضة من هذه الأمة لمعرفة السبيل نحو تقويض دعائمها من جهة، وصرف الأوربيين عن الإعجاب بترائها من جهة أخرى، وذلك عن طريق الطعن على هذه الأمة ودينها ونبينا. فلا عجب بعد ذلك أن نجد من هذه الطبقة من كان عوناً للاستعمار في هذه الفترة، بل نجد دعم الأجهزة الاستعمارية لهذه الطبقة التي تُجلى لهم قدرات هذا العدو ومصادر قوته، ولكن لم نعد مع ذلك فئة غلب الإسلام عليها فأمنت^(٢).

ج- تقييم نتاج الاستشراق:

ولن يكون الحديث هنا عن مفردات ومظاهر هذا التقييم من حيث الدقة والموضوعية والأمانة.. ونحو ذلك، فذلك أمر لا ينقضي الكلام فيه لاختلاف هذا النتاج من مستشرق لآخر، ومن عمل لآخر، ومن زمان لآخر، فضلاً عن اختلاف النيات والأغراض، ولكن سوف ينصبُّ حديثي هنا عن معايير هذا التقييم وأصوله^(٣).

= على الثقافة العربية وإفادته منها في وصف الجنة والنار، وذُكر بعض أعلامها كالفارابي، والغزالي، وابن سينا وابن رشد الذي وضعه في المحيط الخارجي للجحيم في حين جعل الجنة مثوى سيجر دي برابان.. (المستشرقون ص ١٠٣).

(١) ومن طلائع هذه المرحلة لهذا الاتجاه المستشرق بوستل ج (١٥٠٥-١٥٨١م)، الذي كان من آثاره كتاب: (عادات وشريعة المسلمين)، وكتاب (وصف القاهرة). ومن رجال هذا الاتجاه أيضاً المستشرق بودي الذي كتب في سنة ١٦٧١م كتاب (حياة محمد)، ذلك الكتاب الذي وصف بأنه الكتاب الأول الذي وقف به الفرنسيون على الإسلام. وفي سنة ١٧٣٠م طبع الكونت دي بولنغية: (تاريخ العرب وحياة محمد). (المستشرقون ص ١٥٧).

(٢) وليس أدل على ماقلناه مما ذكره نجيب العقيلي أن كولبر وزير الملك لويس الرابع عشر رأى أن مقتضيات الدولة باتت في حاجة إلى علماء يتقنون اللغات بقرارات رسمية وقع عليها الملك في سنوات ١٦٩٩، ١٧١٨، ١٧٢١م، فتعلم فتيان فرنسا اللغات السامية في معاهد باريس، وفي مدرسة الشباب الملحق بمعهد لويس الكبير على نفقة الملك، ثم أرسلوا إلى القسطنطينية فلما تضرعوا منها ألحقوا بالسلك السياسي.. (المستشرقون ١/ ١٣٩) ومن ذلك أيضاً مدرسة السوربون التي ضمها نابليون سنة ١٨٠٨م إلى جامعة باريس، وعني معهد الآداب فيها بتاريخ الفن الإسلامي المغربي، وتاريخ الشعوب الشرقية، ثم ألحق بمعهد الآداب معهد الدراسات الإسلامية، الذي درست فيه اللغة والتاريخ والدراسات الشرقية (المستشرقون ص ١٤٠).

(٣) راجع في هذه التوطئة: جمهرة تصانيف العرب ص ٤٤.

وقد تباينت آراء المقيمين قبلي لهذا التناج، فمنهم من يقرر: «أن المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي.. وأنهم أول من نبهنا إلى كتبنا ونوادير مخطوطاتنا، وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاهم لم نعرفها..»^(١). ومنهم من رأى في أكثر ما نشر على أيديهم: «ما يفقدنا الثقة بماضينا وأجدادنا ورجالنا وقادتنا.. فهم مضلون، خائنون للعلم والمنهج والأمانة وطرق البحث»^(٢). ومنهم من توسط بين طرفي نقيض، فلم ينكر للمستشرقين فضلهم، وحمد لهم ذلك محذرا من أوهام وقعوا فيها، ومن نيات تباينت فيها الأغراض.

وكان ينبغي قبل تقييم هذا التناج أن نضع في الاعتبار عند هذا التقييم الهدف الرئيس لعمل الاستشراق، وهو تحقيق مصلحة الأوروبي، التي تمثلت فيما ذكرتُ قبلُ في نقل وترجمة كل ما من شأنه انتشال المجتمع الأوروبي من قاع التخلف الحضاري والجهل من جهة^(٣)، ثم إزهاق روح الإعجاب والانبهار من ذلك الأوروبي تجاه تراث هذا الدين من جهة أخرى^(٤)، وكلا الأمرين يخدم بهما المستشرق دينه وأمته عن طريق ما يقدمه في سبيل هاتين الغايتين من بحوث ودراسات يخاطب بها في المقام الأول إخوانه وعشيرته من بني جلدته شعوبا وأفرادا، وعقولا ووجدانا. فإذا نحن أدركنا هذا الأمر استطعنا بحق أن نقيّم نتاج هذه الطائفة بإنصاف، فإنهم حين أخرجوا هذا التراث لم يخرجوه لنا كما يظن البعض، بل أخرجوه لأنفسهم خدمة لمن تصدى منهم للكتابة إلى بني جلدته، يعينوه على تجلية ما يخفي عليه من هذه الحضارة علميا وأخلاقيا واجتماعيا ودينيا.

وليس أدل على ذلك من مقالة شاهد عصر يقول فيها^(٥): «لا تصدق من يقول لك إن الاستشراق قد خدم اللغة العربية وآدابها وتاريخها وعلومها لأنه نشر هذه الكتب التي اختارها مطبوعة، فهذا وهم باطل، كانوا لا يطبعون قط من أي كتاب نشره أكثر من خمس مائة نسخة ولم تزل هذه سنتهم إلى يومنا هذا، تُوزع على مراكز الاستشراق في أوروبا وأمريكا، وما فضل بعد ذلك وهو قليل جدا كانت تسقط منه إلى بلاد العرب المسلمين النسخة والنسختان والعشرة على الأكثر، لم يسعوا قط إلى تسويقها بين ملايين العرب والمسلمين كما يسوقون بضائعهم وتجاراتهم وسائر ما ينتجون بين هذه الملايين طلبا لربح المال». اهـ.

(١) قواعد تحقيق التراث، لصالح الدين المنجد، ص ٧.

(٢) المستشرقون والتراث، لعبد العظيم الديب، ص ٤٣.

(٣) وذلك سَمَتِ المرحلة الوسطى من تاريخ الاستشراق كما أوضحنا سابقا.

(٤) وذلك سَمَتِ المرحلة المتأخرة من تاريخ الاستشراق، وهي أعظمها خطرا. ولكن لم يمنع ذلك من خروج بعض هذه الطائفة على أصحابها ممن عجز عن إخفاء إعجابه بهذا التراث وهذه الحضارة فمنهم من أنصف ومنهم من أسلم.

(٥) هو العلامة محمود شاكر في حاشية ص ٥٤، ٥٥ من رسالته في الطريق إلى ثقافتنا.

ويؤكد هذه الشهادة ما ذكر أنه لما توفي المستشرق الإنجليزي إلياس جون جيب سنة ١٩٠١ م، أرادت والدته تخليد ذكره بمبرة دائمة الريع فاقترح عليها المستشرق إدوارد جرانفيل براون وقف مبلغ من المال ينفق ريعه على نشر البحوث العلمية في تاريخ العرب والفرس والترک وآدابهم وفلسفتهم وديانتهم، وهي العلوم التي كان ابنها قد تخصص فيها، ويتعذر على طلاب الاستشراق إيجاد ناشر يتكلف طبع مصنفاتهم فيها لكساد سوقها، فأوقفت مبلغا كبيرا من المال لذلك الغرض العلمي، وتألقت لجنة من أعلام المستشرقين لإنفاق ريعه على المؤلفات التي تختارها للتحقيق والنشر. وهي المعروفة بلجنة جيب التذكارية بلندن^(١).

وأوضح من ذلك مقالة فان فلوتن في مقدمة بعض كتبه إذ يقول: «أعتذر عن جرأتي على كتابة هذا البحث باللغة الفرنسية التي لا أحسن التعبير بها تماما. وهذا ضعف أعترف به عن طيب نفس. وإنما اضطررت إلى الكتابة بهذه اللغة لأنني لم أرد أن يكون هذا الكتاب خاصا بزملائي العلماء فحسب، بل اردت أن يكون في متناول المستشرقين من الذين يعنون بشمار الدراسات التي يقوم بها علماء الغرب»^(٢).

وعليه، فلا يمكن بحال عند تقييم هذا النتاج أن نقول فيهم: «أخرجوا لنا»، أو «نشروا لنا»، أو «وضعوا بين أيدينا»، وكذلك قول البعض: «أفسدوا علينا»، أو «خانوا المنهج».. ونحو ذلك، فما أخرجوه أو نشره وإن أفادنا فإنما كان ذلك عن غير قصد منهم، لأن هذا النتاج إنما خرج خدمة للاستشراق والمستشرقين، على منهاج لهم انتهجوه لأنفسهم واصطلحوا عليه، رأوا فيه - من حيث اختيار ما أرادوا نشره، ومن حيث طريقة إخراجه ونشره - رأوا في ذلك كله منهاجا اعتبروه السبيل القويم الذي يعينهم على تحقيق غاياتهم. وليس في ذلك كله معرة ولا مذمة، لأن هذا المستشرق «بلا شك قد أدى ما عليه لبني جلدته أحسن أداء وأتمه، ونصر أهل دينه وأخلص لهم كل الإخلاص، وكافح في سبيل هدفه بكل سلاح أجاد صقله وتقويمه»^(٣)، أما الذي هو حقيق بالذم والمعابة فذلك الذي تقبّل هذا النتاج بقبول حسن من غير تمحيص ولا نظر في هذا العمل.

وسبيل هذا التمحيص والنظر ثلاثة أسئلة تُكوّن إجاباتها معا معايير تقييم عمل المستشرق هي: من أخرج هذا العمل؟ لماذا أخرجته؟ كيف أخرجته؟

أما إجابة السؤال الأول فتتمثل في التعرف على أحوال المستشرق على غرار منهج المحدثين في معرفة أحوال الرواة جرحا وتعديلا، وسبيل ذلك استقراء أعماله البحثية والتحقيقية على

(١) انظر: المستشرقون ص ٤٦٢، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص ٢١٧.

(٢) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية ص ٣، ٤.

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٦٢.

السواء^(١) بما يمكن عن طريقه الوقوف على اتجاهاته الفكرية والنفسية والعقدية^(٢)، وبذلك يمكن التحقق من الأغراض والنيات، وعليها يقوم المعيار الثاني الآتي ذكره في إجابة السؤال الثاني من معايير التقييم.

أما إجابة السؤال الثاني: فتتمثل في الكشف عن الأسباب والدوافع التي دفعت المستشرق لإخراج هذا العمل خصوصا، أو سلسلة دراسات وتحقيقات في موضوع بعينه على وجه الخصوص، فدوافع العمل في المجال الفلسفي مثلا يختلف عن العمل في المجال الطبي يختلف عن اللغوي أو الشرعي.. وهكذا، وتحقيق هذا الأمر من الصعوبة بمكان، يعينك عليه المعيار الأول السابق ذكره. ومعرفة هذا الجانب يساعد في تقييم الجانب المنهجي عند المستشرق من حيث الدقة والإتقان من عدمهما، فضلا عن التعرف على خبرات المستشرق في مجال الجانب المعرفي الذي يعمل فيه ومدى دربته فيه. ومن ثم فهذا معيار يتعلق بما قبله، ويمهد لما بعده.

أما إجابة السؤال الثالث فهو أمر يفصح المستشرق عن جانب منه في مقدمة عمله إلا أنه لا يمنع القارئ أن ينظر في الجوانب المنهجية الأخرى التي قد لا يفصح المستشرق عنها لكونها أمورا متغلغلة في طبيعة تكوينه بحكم عجمة لسانه وثقافته الغربية عن العربية والإسلام، وللمعيارين السابقين أثر لا يمكن إغفاله في هذا الجانب. وهذا أمر يحتاج من القارئ أولا إلى رسوخ في ثقافته العربية والإسلامية حتى يستطيع أن يكشف هذا التباين الخفي الذي لا يكشفه إلا قليل ممن له حس تذوقي أكسبه إياه كثرة النظر وطول الممارسة في المطالعة والقراءة^(٣).

الاستشراق وتفسير التاريخ الإسلامي:

وبناء على ما سبق من حديث حول الاستشراق، فإن المتأمل في تفسير التاريخ الإسلامي عند المستشرقين، يجد أنه يعاني غالبا من محن ومشكلات تدور في اتجاهين، يؤثر الأول منهما في الآخر، ويتأثر الآخر فيه بالأول.

أما الاتجاه الأول: فهو منهج المستشرق في نقد المادة التاريخية للمسلمين. ولا يخلو هذا المنهج - للمتأمل المتعمق - من تحكيمات الأغراض أحيانا، والتعصب أحيانا أخرى، فضلا عن تحكيمات

(١) هذا إذا تعددت أعماله، فإن لم يكن له غير عمل واحد فاستقراؤه وحده قد يعين على ما ذكرنا بما يسطره المستشرق في مقدمة عمله وفي ثنايا تعليقاته.

(٢) خاصة إذا علمنا أن الغالب من جمهرة المستشرقين هم ممن انخرط في سلك الرهبنة وخدمة الكنيسة على اختلاف مذاهبها وطوائفها، ناهيك عن اليهود ثم العلمانيين، ولا ريب أن ذلك سيكون له أثره وانطباعه في أعمال هؤلاء.

(٣) ولعل من النماذج القليلة إن لم تكن النادرة في هذا الباب نموذج العلامة محمود شاكر بما امتلك من حسٍ تذوقي رفيع للنصوص من طول ممارسته واطلاعه أكسبه دُرْبَةً وخبرة بهذا الأمر وهو الكشف عن الجوانب الخفية في مناهج أعمال هذه الطائفة وغيرها - رحمه الله رحمة واسعة - وقراءة كتبه تفيد الباحث في هذا الجانب كثيرا.

الثقافة التي ينتمي إليها المستشرق رغما عنه، وفقاً لدينه ولسانه الذين نشأ فيهما. هذا ما أسفر عنه اطلاعي على كتب المستشرقين.

أما عن تحكّمت الثقافة واللسان، فهذا أمر واضح لا أراه يحتاج إلى بيان. وإنما الذي يهمني هنا تحكّمت الأغراض والتعصب، فهذا أمر لا يمكن إنكاره لمنصف تتبّع تاريخ الاستشراق، وكان من أهم مظاهر هذه الأغراض والتعصب: أهواء المستشرق تبعاً للجهة التي ينبعث منها، دينياً أو سياسياً أو حضارياً. وكلها في صالح بني جلدته.

ومن ثم فدعوى التجرد والموضوعية دعوى زائفة لا وجود لها عند المستشرق شاء أم أبى^(١). ولا ريب أن سيكون لهذا أثره الواضح في عملية تفسير تاريخ تلك الأمة الغربية - أعني الأمة الإسلامية على المستشرق - عند هذا المستشرق أو ذاك. وتمثّل هذا التأثير فيما يعرف عند البعض بالإسقاط^(٢)، وهو: تفسير أحوال الآخرين بمقتضى واقع المفسر وبيئته التي يعيش فيها، وثقافته التي نشأ فيها. وهذا أمر لاحظته ثلثة من المستشرقين في دراسات غالب بني جدتهم، فنبهوا عليه^(٣).

وتنحصر مظاهر عملية الإسقاط هذه - حسب رؤيتي وتتبعي - في ثلاث مدارس استشراقية تناولت التاريخ الإسلامي بالدراسة والتفسير، هي: التفسير الديني (الثيوقراطي)، والتفسير العقلي، والتفسير المادي^(٤).

وأما الاتجاه الآخر: فهو تلك المصادر التي تعتمد عليها الدراسة لدى المستشرق ومنهاج التعامل معها. وتتمثل مشكلات هذا الاتجاه عند المستشرقين في أمرين: الأول أن منهاجهم فيه ناقص، لا يقوم على الاستيعاب، وإنما يقوم على الانتقاء، سواء للكتب، أو للمرويات، أو للآراء. أما الأمر الثاني، فهو أنهم بعد ذلك لهم في هذا المنهج الناقص - من حيث انتقاء المصادر - منهاج آخر معيب في ترتيب هذه المصادر من حيث الأهمية والألوية. ويزداد العيب سوءاً عند الوقوف

(١) راجع كلامنا عن وهم الموضوعية والتجرد عند حديثنا عن العوامل المشهودة في تفسير التاريخ من المبحث الثالث من الفصل الثاني.

(٢) انظر: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، ص ١٥ - وعرفه بأنه: العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا ورغائبنا وعواطفنا على الآخرين أو على موضوع من الموضوعات - والمنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، د. عبد العظيم الديب، كتاب الأمة، ص ٩٩-١٠٠، والاستشراق في السيرة النبوية، لعبد الله محمد الأمين النعيم، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص ٣٤.

(٣) من هؤلاء فرانز روزنتال. انظر: علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٦. وهو - على الرغم من ذلك - وقع فيما حذر منه وهو لا يشعر. واستقراء أعماله واستنتاج دفائن معانيها، يكشف ذلك بوضوح للمتأمل.

(٤) قد سبق عرض شيء من مناهج هذه المدارس. وسوف يأتي عرض نماذج لأثر تلك المدارس وتفسيراتها لعصر الخلافة الراشدة محل الدراسة.

على منهاجهم في فحص هذه المصادر - سواء كان كتاباً أو رواية أو رأياً - ومردُّ أسباب تلك العيوب جميعاً إلى عيوب الاتجاه الأول السابق آنفاً.

وأخيراً، فهم درجات بعد ذلك في مواجهة تلك المشكلات. ومرة ذلك كله هو ما نراه في تفسيرهم لوقائع التاريخ، واستنتاجاتهم من كل واقعة من تلك الوقائع تكون محل دراسة كل مستشرق على حدة. وتتعدد مراتب تلك الدرجات ما بين:

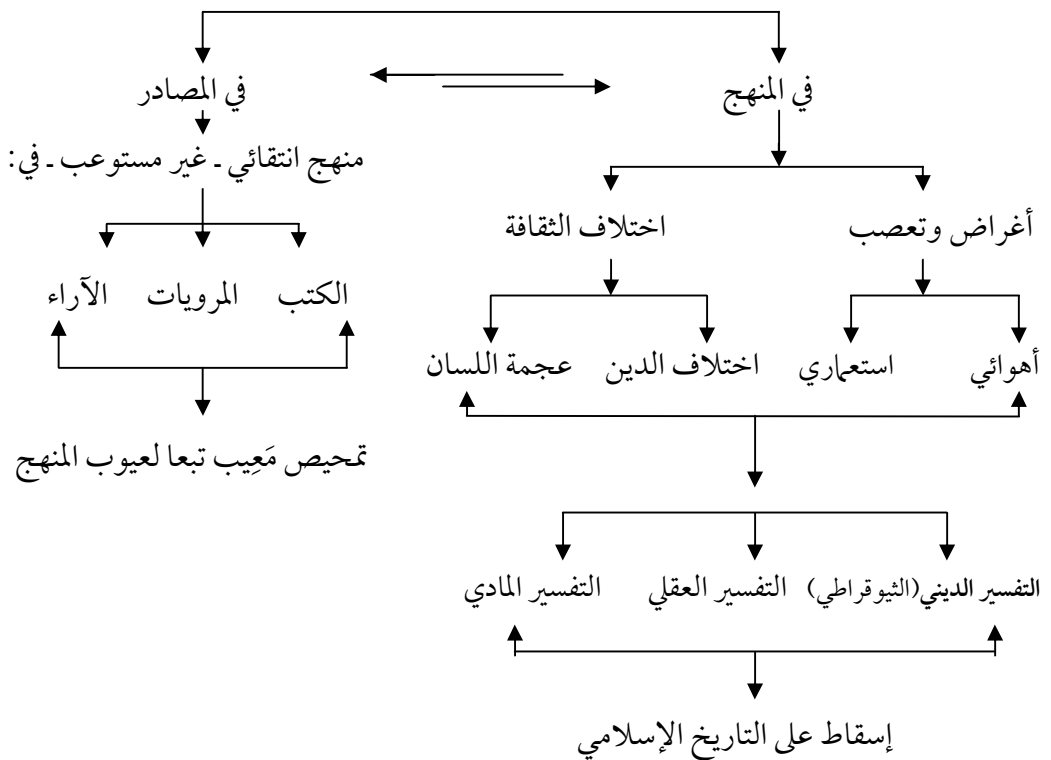
- التأويل الصحيح من النص الصحيح: ويقع غالباً من المستشرق المنصف، ودرجة الصحة هنا تقترب أو تتعد من صاحبها تبعاً لدرجة تمكن المنهاج الذي يتبعه في فحص النص، ثم تبعاً لدرجة تحكمه في هواه.

- والتأويل الفاسد من النص الصحيح: ويرجع ذلك إلى سوء فهم النص. وغالباً ما يصاحب هذا القسم تحريف وتزوير للنص إذا كان المستشرق ذا تعصب وهوى، وهم أكثر أصحاب هذا القسم.

- والتأويل الفاسد من النص الفاسد: وهذا الأمر هو ما تختص به دراستنا تلك. إذ تكفل بالأميرين السابقين دراسات أخرى^(١).

هذا ويمكن تيسير كل ما سبق عرضه بتنسيقه وترتيبه وفق المخطط الآتي:

مشكلات دراسة التاريخ الإسلامي وتفسيره عند المستشرقين



(١) من أهمها: افتراءات المستشرقين على الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية عرض وتحليل ونقد، لحسين عبد الباري سليمان، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وموقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، لسعد بن عبد الله بن سعد الماجد.

ومن ثم، فإن هذا العرض السابق يوضح لنا أنه على الرغم من النشأة المبكرة لحركة الاستشراق كصنف من صنفى المدرسة الحديثة التي تناولت تراثنا بالدراسة والبحث، فإن نشاطها في مجال التاريخ والأخبار تأخر بعض الشيء وفقا لظروف الزمان والمكان لحركة الاستشراق. ويمكن اعتبار النماذج الآتية من المستشرقين أهم من مثل أصحاب هذا المبحث في مجال التاريخ والأخبار رواية وتفسيراً^(١):

- سيمون أوكلي: (Simon Ockley): قسيس ومستشرق إنكليزي. ولد سنة ١٦٧٨ م. تعلم في جامعة كامبردج، ودرس بها العربية. واشتهر بكتاب له في (تاريخ المسلمين) ألفه في عشر سنوات ١٧٠٨ - ١٧١٨ وسماه (History of the Saracens). توفي سنة ١٧٢٠ م^(٢).

- سيديو (Louis Sedillot): مستشرق فرنسي. ولد في باريس سنة ١٨٠٨ م. وكان أبوه جان جاك إمانويل سيديو من المستشرقين أيضا. أخذ عنه ولده بعض اللغات الشرقية. وتخرج بكلية هنري الرابع، وعين مدرسا للتاريخ في كلية (بوربون) سنة ١٨٢٣ م، واشتغل بعلم الفلك، وعلت شهرته. ومن أهم أعماله كتاب (Histoire des Arabes) ألفه بالفرنسية، وأشرف علي مبارك باشا على ترجمته إلى العربية مهذبا، وسماه (خلاصة تاريخ العرب)، ثم ترجمه عادل زعيتر، كاملا، وسماه (تاريخ العرب العام). توفي سيديو سنة ١٨٧٥ م^(٣).

- فان فلوطن (G. Van Vloten): مستشرق هولندي، ولد عام ١٨٦٦ م. من أهم أعماله المنشورة والمترجمة: كتاب السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، وتحقيق كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي، وكتاب البخلاء للجاحظ، وتوفي عام ١٩٠٣ م^(٤).

- وليم موير (William Muir): مستشرق بريطاني اسكتلندي الأصل. ولد سنة ١٨١٩ م. أمضى حياته في خدمة الحكومة البريطانية بالهند. دخل البنغال سنة ١٨٣٧ وعمل في الاستخبارات، وكان سكرتيرا لحكومة الهند سنة ١٨٦٥ - ١٨٦٨ وتقلد مناصب أخرى. ثم

(١) سوف أكتفي فيما يأتي بالمستشرقين أصحاب التصانيف مستبعدا دائرة المعارف الإسلامية، إذ تناول ما فيها بعض الباحثين المعاصرين كما أشرت آنفا، من أهمها: افتراءات المستشرقين على الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية عرض وتحليل ونقد، لحسين عبد الباري سليمان، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وموقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم، لسعد بن عبد الله بن سعد الماجد.

(٢) انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي ٤٦/٢، والأعلام للزركلي ١٥٠/٣.

(٣) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي ص ٣٤٥، والأعلام للزركلي ٢٤٦/٥.

(٤) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي ص ٤١٠، والمستشرقون، لنجيب العقيقي ٣١٦/٢.

عين مديرا لجامعة ايدنبرج سنة ١٨٨٥ - ١٩٠٢ وتوفي بها في سنة ١٩٠٥ م. من أهم أعماله: كتاب حياة محمد، وكتاب الخلافة^(١).

- يوليوس فلهوزن (Julius Wellhausen): مستشرق ألماني، ناقد ومؤرخ لاهوتي، اهتم بتاريخ صدر الإسلام، ولد في ألمانيا سنة ١٨٤٤ م. من أبرز أعماله في باب الاستشراق: كتاب أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام. وكتاب الدولة العربية وسقوطها. ويقصد بها الدولة الأموية. وتوفي سنة ١٩٤٤ م^(٢).

- كارل بروكلمان (Carl Brockelmann): مستشرق ألماني ولد في سنة ١٨٦٨ م. درس العربية والسريانية، والآرامية الكتابية، وأتقن العبرية. بالإضافة إلى اليونانية واللاتينية. واهتم اهتماما بالغا بتراث العرب والمسلمين. انتخب عضوا في مجامع: برلين، وليبيج، وبودابست، وبون، ودمشق، وغيرها. من أهم أعماله: كتاب تاريخ الأدب العربي، وكتاب تاريخ الشعوب الإسلامية. توفي سنة ١٩٥٦ م^(٣).

- برنارد لويس (Bernard Louis): مستشرق معاصر. ولد في لندن سنة ١٩١٦ م من أسرة يهودية. اهتم باللغة العبرية، ثم انتقل إلى دراسة الآرامية والعربية، ثم بعد ذلك اللاتينية واليونانية، والفارسية والتركية. تخرج عام ١٩٣٦ م من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية في جامعة لندن في التاريخ مع تخصص في الشرق الأدنى والأوسط. حصل على الدكتوراه بعد ثلاث سنوات، من الكلية نفسها متخصصاً في تاريخ الإسلام. أثناء الحرب العالمية الثانية، خدم لويس في الجيش البريطاني في الهيئة الملكية المدرعة وهيئة الاستخبارات في ١٩٤٠. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة حيث عمل أستاذا محاضرا بجامعة برنستون، وجامعة كورنل في السبعينات. حصل على الجنسية الأمريكية سنة ١٩٨٢ كما حاز على العديد من الجوائز من قبل مؤسسات تعليمية أمريكية لكتبه ومقالاته في مجال الإنسانيات^(٤).

- ويلفرد ماديلونج (Wilferd Madelung): مستشرق معاصر مختص بالمذاهب والفرق الإسلامية. ولد في شتوتغارت بألمانيا سنة ١٩٣٠ م. انتقلت أسرته إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٤٧ م، ودرس في جامعة جورج تاون. ذهب الى مصر ١٩٥٢ م وأقام عاما ثم ترك مصر عائدا

(١) انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي ٥٩/٢، والأعلام للزركلي ١٢٤/٨.

(٢) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي ص ٤٠٨، والمستشرقون، لنجيب العقيقي ٣٨٦/٢.

(٣) انظر: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي ص ٩٨، والمستشرقون، لنجيب العقيقي ٤٢٤/٢.

(٤) انظر: منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي، إعداد: د. مازن بن صلاح مطبقاني.

إلى ألمانيا. وفي سنة ١٩٥٨م أرسلته الحكومة الألمانية إلى العراق للعمل في سفارتها هناك - وهذا يفسر نزعتة الشيعية الملاحظة في بعض كتبه - ثم عمل بعد ذلك أستاذا للغة العربية في جامعة أكسفورد ١٩٧٨م حتى ١٩٩٨م. ثم باحثا كبيرا في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وأهم أعماله كانت في المذاهب الإسلامية بخاصة الشيعة. ومن أهم كتبه: خلفاء محمد^(١) (دراسة في الخلافة المبكرة)، وكتاب الإسماعيلية، وكتاب الاتجاهات الدينية في إيران الإسلامية المبكرة^(٢).

وهذا أوان عرض نماذج من عصر الخلافة الراشدة نطلع فيه على أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند المستشرقين. ويمكن تناول تلك النماذج عن طريق المطالب الآتية:

المطلب الأول

استخلاف أبي بكر

يرى فلهوزن أنه «لما كانت حكومة النبي، وهو الوكيل الحي لله، والحاكم باسمه، قد انتهت، فإن أبا بكر وعمر جعلوا الحكم لله، بأن جعلوا مرجعها في الحكم على الأشياء الأخذ بها في القرآن.. واتباع سنة النبي. فهما لم يريدوا سوى أن يكونا خليفتين لرئيس الحكومة الثيوقراطية الشرعي الحقيقي الوحيد، وهو النبي»^(٣).

وعنده أن هذه الرغبة عند الشيخين لاقت قبولا عند القرشيين، ويعني بهم المهاجرين ومسلمة الفتح، الذين استغلوا حالة المنافسة القديمة بين قطبي الأنصار، الأوس والخزرج، وسماه بـ«الانقسام الخطير القديم بين القبيلتين»، الذي كان سببا مفيدا للقرشيين في امتلاك السلطة والاستئثار بها، لأن هذا «الانقسام الخطير القديم بين القبيلتين»، «لم يكن قد زال» حتى بعد وفاة النبي ﷺ، وأن هذه الغيرة بين القطبين كانت هي السبب الذي أفاد القرشيين في الاستيلاء على مقدرات تلك الدولة الثيوقراطية الجديدة بعد وفاة النبي ﷺ^(٤).

ومن ثم فإن الصحابة لما فوجئوا بحزم عمر وغيره من الصحابة يوم السقيفة، لم يلبث الأنصار «أن انقسموا بسبب ما كان بينهم من عداة قديم، وفقدوا الغالبية العددية بعد تدفق

(١) هذه ترجمة بالمعنى للعنوان الأجنبي (The Succession to Muḥammad)، حيث إن المعنى الحرفي يحمل في الأصل معنى التعاقب والإرث.

(٢) مجلة التسامح، وزارة الأوقاف بسلطنة عُمان، العدد الأول، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٥٢، وموسوعة ويكيبيديا الإلكترونية.

(٣) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ٣٤.

(٤) المرجع نفسه ص ٣٦.

المهاجرين من أعراب المناطق المجاورة إلى المدينة، وقد أخذ هؤلاء الأعراب جانب المهاجرين»^(١).

والواضح أن فلهوزن يستند في ذلك التفسير الباطل كله إلى رواية عبدالله بن عبد الرحمن الأنصاري التي رواها الطبري^(٢) وغيره في هذا الشأن، أنه «لما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم». وهي رواية واهية لا تصح بحال سبق تفصيل الكلام فيها.

وهكذا، نرى فلهوزن أقام صرحاً من الاستنتاجات والتفسيرات الباطلة قامت على أساس غير صحيح من رواية باطلة، ظلت ماثلة أمام عيني صاحبها وهو يفسر ويحلل تلك الفترة العصبية من تاريخ هذه الأمة. ومما يلاحظ على تلك الرواية أنها تمثل توجهها عاماً مشتركاً لحركة الاستشراق في تفسير واقعة السقيفة بناء على تلك الرواية الواهية^(٣).

وعلى أية حال فإنه يلاحظ مدى تأثر الكاتب - فلهوزن - بروح العصر الأوروبي الوسيط، وإسقاط ذلك على تفسيره لعصر الخلافة الراشدة. ذلك أن الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين لم تعرف ذلك المعنى الثيوقراطي الذي ساد في أوروبا في العصر الوسيط، عصر الدولة البابوية.

وليس أدل على تلك الروح التي غلبت على صاحبها عند تفسير تلك الفترة، من ذلك النص الصريح الذي فسر به موقف أصحاب الشورى بعد مقتل عمر رضي الله عنه، إذ يقول: «وكان أصحاب الشورى هم أقدم ستة كانوا لا يزالون أحياء من أصحاب النبي، وكان عليهم أن يتفقوا على واحد من بينهم، كأنهم مجلس من الكرادلة (Cardinalscollegium). أما بقية أهل المدينة فلم يكن لهم إلا الحق في المبايعة لمن يُنتخب، أو هم بالأحرى كان يجب عليهم ذلك. فكان لا بد من أن تجيء البيعة بعد الانتخاب، وكان لا بد أن تتم البيعة في المدينة»^(٤). ولا شك في أن هذا الكلام

(١) المرجع نفسه ص ٣٦-٣٧.

(٢) تاريخه ٢١٨/٣. وهي رواية عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري.

(٣) راجع على سبيل المثال:

Islam from Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople, Bernard Lewis, New York, Oxford, 1987, p 2-5.

(٤) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، لفلهوزن، ص ٣٨.

يجوي الكثير من المغالطات في التفسير، تبعا لأخطائه في المنهج وانتقاء المصادر، فقد فاته ما رواه البخاري^(١) وغيره أن هؤلاء الستة لما ولوا عبد الرحمن بن عوف أمرهم، «مال الناس على عبد الرحمن، حتى - والكلام لراوي الخبر - ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها، فبايعنا عثمان. حينها قال عبد الرحمن يوم البيعة لعثمان: أما بعد يا علي، إنى قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان».

ونرى بروكلمان يشير من بعيد إلى التفسير نفسه الذي فسر به فلهوزن ما كان عند استخلاف أبي بكر، إذ يقول: «والحق أن جميع الأحقاد السياسية التي كان النبي قد كتبها بنفوذه الأدبي لم تلبث - يعني بعد وفاته ﷺ - أن ذرت قرنها»^(٢).

وهذا جاك ريسلر^(٣) - ومثله ماديلونج^(٤) - لا يكاد يختلف كثيرا عن سابقه في التفسير العام لحادث استخلاف أبي بكر ﷺ، وإن اختلف بعض الشيء في إضافته لمظهر جديد من مظاهر اختلاف الصحابة يومئذ، إذ يقول: «لما توفي محمد لم يكن قد عين خلفا له، فمن جرى اختياره من بعده؟ لقد وقع ما يحدث غالبا عندما يكون القرار متعلقا بالحكم الشعبي^(٥)، فتكونت عدة أحزاب عارضت بعضها بعنف. فقد طالب بتعيين الخليفة حزب الصحابة المكون من مهاجري قبيلة النبي، مؤيديه الأوائل، ومن انصاره في المدينة الذين كانوا آووه بينهم. وعارض الشرعيون القائلون بمبدأ الحق الإلهي والمعادون للمبدأ الانتخابي^(٦)، وأيدوا في المقابل عليا ابن عم النبي...»^(٧).

ويتضح من تفسير جاك ريسلر استناده على رواية قالت بهذا التفسير الذي اختاره، ولا ريب في بطلان ما استند إليه. وتلك الرواية التي يستند إليها ريسلر في تفسيره ذلك، هو ما رواه الطبري^(٨) قال: حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير، عن مغيرة عن أبي معشر زياد بن كليب، عن أبي أيوب، عن إبراهيم قال:

(١) صحيحه برقم ٧٢٠٧.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٨٣.

(٣) الحضارة العربية، جاك ريسلر، ترجمة خليل أحمد خليل، ص ٤٥.

(٤) The Succession to Muhammad, A Study of the Early Caliphate, p 35.

(٥) لاحظ الإسقاط في تفسير الرجل!!

(٦) لاحظ الإسقاط مرة أخرى!!

(٧) الحضارة العربية، جاك ريسلر، ترجمة خليل أحمد خليل، ص ٤٥.

(٨) تاريخه ٣/٢٠١.

«.. قال: لما قبض النبي ﷺ كان أبو بكر غائبا، فجاء بعد ثلاث ولم يجترىء أحد أن يكشف عن وجهه حتى اربد بطنه، فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه ثم قال: بأبي أنت وأمي.. فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليباعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الأمراء ومنكم الوزراء ثم قال أبو بكر إني قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر أو أبا عبيدة إن النبي ﷺ جاءه قوم فقالوا ابعث معنا أمينا فقال لأبعثن معكم أمينا حق أمين فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا أرضى لكم أبا عبيدة فقام عمر فقال أيكم تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما النبي ﷺ فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا».

وهذه رواية مرسله منكورة فيها من الأباطيل ما فيها، من ذلك قوله: «فجاء بعد ثلاث ولم يجترىء أحد أن يكشف عن وجهه حتى اربد بطنه». وكذلك قوله: «فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلا عليا».

وعلة هذه الرواية ابن حميد هذا، فهو محمد بن حميد بن حيان الرازي، ضعيف عند جمهرة النقاد، ومنهم من اتهمه، وأوضح قول فيه قول ابن حبان - وقد ذكره في المجروحين^(١) - «كان ممن ينفرد عن الثقات بالاشياء المقلوبات، ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده.. قال ابن وارة: يا أبا عبد الله^(٢) رأيت محمد بن حميد؟ قال: نعم. قال كيف رأيت حديثه؟ قال: إذا حدث عن العراقيين يأتي بأشياء مستقيمة، وإذا حدث عن أهل بلده مثل إبراهيم بن المختار وغيره أتى بأشياء لا تعرف لا تدري ما هي قال: فقال أبو زرعة وابن وارة: صح عندنا أنه يكذب قال: فرأيت أبا بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده»^(٣).

قلت: وجريه - وهو ابن عبد الحميد الرازي - من شيوخ بلده، وفي الإسناد من لم أعرفه كأبي أيوب هذا، وإبراهيم صاحب الرواية، ولا أدري إن كان هو التيمي، أم النخعي، وإن كان زياد بن كليب من أصحاب النخعي ولكن رأيت في المصادر أنه يروي عنه مباشرة من غير واسطة. ولعل من يذهب إلى هذا الرأي من المستشرقين يعتبر برأي الرافضة ومروياتهم في هذا الشأن، إذ إن مصادرهم تفيض بالحديث عن هذا الأمر رواية وتفسيرا. وأشد المستشرقين تفسيرا بهذا المنطق الشيعي فيما رأيت كان ماديلونج^(٣)، وسيديو^(٤)، فالأمر عندهم مشابه لتفسير ريسلر.

(١) المجروحين ٢/٣٠٣.

(٢) هو أحمد بن حنبل.

(٣) The Succession to Muhammad, A Study of the Early Caliphate, Wilferd Madelung, p 35-36.

(٤) تاريخ العرب العام، سيديو، ترجمة عادل زعير، ص ١٠٩.

المطلب الثاني بين عمر وخالد رضي الله عنهما

تعتبر قضية عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما والعلاقة بينهما من القضايا التي تناقضت نتائجها وتفسيراتها عند المستشرقين تناقضا عجيبا. ففي الوقت الذي يستغل فيه بعضهم المرويات التي نسبت إلى الرجلين البغض والعداوة والنفور لأسباب عدة - منها سفكه دماء مالك بن نويرة، ونكاحه لزوجته الجميلة - يذهب بعضهم إلى طرف شديد التناقض، بأن كل ذلك افتراء على هذا القائد المظفر، وذهبوا في سبيل ذلك ينكرون أمورا ثبتت بالروايات الصحيحة، وفي المقابل حاولوا إثبات أمور أخرى بمرويات لم تصح.

وممن يمثل الفريق الأول بروكلمان الذي يرى في إصرار خالد على قتل مالك بن نويرة «طمعا منه في زوجة مالك الجميلة، على ما تقول الرواية»^(١). وهذه الرواية التي يستند إليها بروكلمان في هذا التفسير المزعوم لا إسناد لها. فهو يستند في ذلك إلى ما أورده ابن خلكان في وفيات الأعيان^(٢)، قال:

«.. قال مالك [بن نويرة]: يا خالد، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقد بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أفلتت، وتقدم إلى ضرار بن الأزور الأسدي بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته أم متمم وقال لخالد: هذه التي قتلني، وكانت في غاية الجمال.. ولما بلغ الخبر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، قال عمر لأبي بكر رضي الله عنه: إن خالداً قد زنى فارجه، قال: ما كنت لأرجمه فإنه تأول فأخطأ، قال: فإنه قتل مسلماً فاقتله به، قال: ما كنت لأقتله به، إنه تأول فأخطأ، قال فاعزله، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله عليهم أبداً».

وهذا خبر لا أصل له، جعله بروكلمان حجة في باب له تفسيرات كثيرة عند المؤرخين قديما وحديثا، فلماذا يختار هذا التفسير بعينه على الرغم من وهنه ووهن مصدره؟ لا ريب أن ذلك لا يدل إلا على حاجة في نفس بروكلمان قضاها.

بينما يعد كلاوس كلير أبرز من مثل الرأي الآخر من المستشرقين بما أفردته للحديث عن هذه العلاقة بين هذين الصحابييين دراسة وافية مستقلة^(٣)، ولا أعرف أحدا غيره تناول هذا الأمر بمثل ذلك التفصيل الذي تناوله به هذا المستشرق.

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٨٦.

(٢) وفيات الأعيان ٦/١٤-١٥.

(٣) وذلك بكتابه المطبوع مترجما بعنوان: خالد وعمر، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، ترجمة: محمد جديد، نشر قُدْمُس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١م.

ولكن يعيب منهج دراسته لهذه العلاقة اعتماده على عينة عشوائية من المصادر، لم يسلم أكثرها من الطعن، كفتوح ابن أعثم، وتاريخ اليعقوبي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. وخطورة منهجه اعتبار أمثال هذه المصادر ومروياته على قدم المساواة مع مصادر أخرى تختلف منهجا ومضمونا عن تلك العينات المتهم السابق ذكرها، كتاريخ خليفة، والبداية والنهاية. وكان حري به أن يضع شرطا لمختاراته في المصادر والمرويات، إذ إن ذلك سيكون له أثره لا محالة في نتائج بحثه.

والمهم هنا هو تلك النتيجة العجيبة التي انتهى إليها هذا المستشرق، فهو ذهب إلى إنكار كل ما من شأنه يشير إلى أي اختلاف كان بين عمر وخالد، بل ذهب إلى القول بكذبها وافترائها على خالد، وجعل كل اختلاف حكاة الرواة عن الصحابين إنما هو موضوع من الرواة من أجل أن يبرروا العزل المزعوم من قبل عمر لخالد، وهو أمر ينكره كلاوس كل الإنكار، ويكذب مروياته كلها حتى أنه اعتبرها تارة «مسرحية في كتابة التاريخ الكلاسيكية»^(١)، وتارة أخرى أساطير. فيقول: «أما عزل عمر له فأنا أود أن أحيله بعد تحقيقاتي على عالم الأسطورة جملة وتفصيلا. وبعد أن تبين أن خالدا لم يكن يتولى قيادة عامة رسمية، ما كان من الممكن أن يعزل عنها، ولم تكن ثمة حاجة إلى عزله. إن الارتباط القسري الموهوم بين عزل خالد وتعيين أبي عبيدة لا يصمد أمام التمحيص النقدي. وذلك أن أبا عبيدة عندما أرسل إلى الشام لم يتول وظيفة خالد، بل بات يعمل بصفته من أهل ثقة عمر، ويتميز بهذا الاعتبار بمركز رفيع بين أمراء الحرب، واحتفظ خالد بالقيادة على القوة الموضوعية تحت قيادته. وحتى الملاحظات التي لا حصر لها حول عداوة عميقة الجذور بين خالد وعمر، لم يجر إدخالها في نسيج الروايات على الأرجح إلا لتفسير العزل المزعوم»^(٢).

وأعجب من ذلك ذهابه إلى رأي لم يصح عليه دليل، وهو أن مالكا قُتل غدرا، محاربا مع قومه ضد خالد، فيقول: «وإنما قُتل - يعني خالد - مالكا في المعركة من أجل استقلال قبيلته، ولم يوجه عمر اتهامها بسبب قتل مالك»^(٣)!!

ويستدل على ذلك باستدلالات بعيدة منها رؤيته المتأملة لعبارة صدرت عن المسعودي قال فيها: «وسار - يعني خالد - إلى البطاح، وأثنخن في أرض تميم، وقتل مالكا بن نويرة اليربوعي، وسار إلى اليمامة»^(٤). فيعقب كلاوس على هذا الخبر بسؤال إجابته مكنونة في عالم الغيب، يحاول

(١) خالد وعمر، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، ص ٢٤٦.

(٢) المرجع نفسه ص ٣٦٩.

(٣) المرجع نفسه ص ٣٨٣-٣٨٤. وانظر أيضا ص ١٧٤-١٧٥ من المرجع نفسه.

(٤) التنبيه والإشراف، ص ٣٦٩.

أن يَخرج منه بأدلة موهومة في إثبات رأيه السالف، اندثرت في رأيه عبر الزمان! فيقول: «وهذا يفضي بادئ ذي بدء إلى مجرد سؤال: هل دَوْن المسعودي هذه الملاحظة هكذا ببساطة؟ أم أن المسألة تتعلق بإحدى البقايا القليلة التي أفلتت من عملية إعادة نظر كبرى في التاريخ؟»^(١).

وكان من أدلته التي استند إليها في هذا الرأي أيضا قول مرسل للبلاذري جاء فيه: «ثم سار خالد إلى مَنْ بالبطاح والبعوضة من بنى تميم فقاتلوه، ففض جمعهم وقتل مالك بن نويرة أخوا متمم بن نويرة»^(٢). هذا فضلا عن بعض الأبيات الشعرية المنسوبة لمتمم أخي مالك لا ندرى مدى صحة نسبتها إليه، إذ لم يقدم توثيقا لها. وهو في ذلك مثله مثل كثير من المستشرقين غيره، ليس في حاجة هنا إلى بحث مثل ذلك لقبوله أو رده ما دام ذلك يوافق وجهة نظر صاحبها. وهذا يؤكد مرة أخرى مدى المشكلات التي يعاني منها المنهج الاستشراقي عند التعامل مع التاريخ الإسلامي دراسة وتفسيرا.

ولا شك أن في تلك النتائج تعسفا واضحا، سببه قيام منهج الرجل على التفسير العقلي الذي تناول به دراسة الأسانيد والمتون. الأمر الذي أداه إلى تلك النتائج المتناقضة مع كل المصادر الإسلامية، حين قبل ما لا يصح – وهو أن مالكا قُتل في المعركة – ونبذ ما دل عليه صحيح الباب، وهو أن خالدا بالفعل قتل مالكا متأولا وتأويلا خطأ فيه، واعتذر له أبو بكر، بما صح عنه «تأول فأخطأ».

ولكن هذا هو ما قرأه كلاوس في المصادر العربية! وتلك النتيجة التفسيرية تعبر من غير شك عن طبيعة المنهج الذي اتبعه كلاوس في قراءة المرويات وتفسيرها، وهو المنهج العقلي الذي يُحْكَم الروايات إلى العقل يقبل ما يشاء، ويرد ما يشاء. والمتمعن في قراءة كتاب كلاوس يلحظ بقوة أن الرجل دخل بحثه هذا وفي نفسه تصورات وانطباعات مسبقة كان يسعى إلى إثباتها سعياً حثيثاً من مبدأ دراسته إلى آخرها.

المطلب الثالث

الفتنة الكبرى

يذهب جماعة من المستشرقين إلى أن علياً حُرِم منذ وفاة النبي ﷺ حقه في الخلافة التي اغتصبها منه أبو بكر وعمر وعثمان، وأن عليا كان يؤلمه ذلك في نفسه كثيرا، وهو يرى ملك ابن عمه يُغتصب منه في كل مرة يُقَصَى فيها عن الخلافة حين يُختار غيره. وهم يرون أن ذلك سيكون

(١) خالد وعمر، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، ص ١٧٢.

(٢) فتوح البلدان ١١٧/١ .

له أثره في ذلك الصراع الحزبي الذي يروونه واقع بين الصحابة منذ استُخلف أبو بكر، واشتد أثره في ذلك الصراع الذي نشب بعد ذلك وعرف باسم الفتنة الكبرى الذي أدى إلى مقتل عثمان، ثم الصراع بين علي ومعاوية بعد ذلك.

وليس من شك أن تلك الآراء تستند عند أصحابها إلى نصوص وروايات جعلتهم يذهبون هذه المذاهب المتقاربة عند تفسيرهم لحوادث تلك الفترة من تاريخ الأمة المسلمة.

فهذا فلهوزن يعتبر عمر هو «مؤسس الحكومة الثيوقراطية الثانية، الحكومة الثيوقراطية من غير نبي»^(١)، ويذهب إلى أن أبا بكر وعمر كانا «يعلمان أنهما لم يتوليا الخلافة بفضل حق شرعي، بل من طريق الاغتصاب»^(٢). ومن ثم، لم يكد عمر يتوفى حتى عادت مشكلة الخلافة من جديد، ذلك أن عمر «لم يكن قد أوصى لعلي، وكان لعلي بحكم أنه ابن عم النبي وزوج ابنته، مطامع في الخلافة، بل هو كان يشعر من قبل أنه قد نُحِطِي»^(٣).

ولعله يرى فيما رواه الطبري^(٤): «أن النبي ﷺ قبض وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ثم إن أبا بكر ﷺ هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس عمر بن الخطاب فبايعت كما بايعوا ثم إن عمر ﷺ هلك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فجعلني سهما من ستة أسهم فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا ثم سار الناس إلى عثمان ﷺ فقتلوه ثم أتوني فبايعوني».

وكذلك ما رواه البلاذري^(٥)، عن عباس بن هشام، عن أبيه، عن جده، عن أبي صالح، عن جابر بن عبد الله قال: قال العباس لعلي:

«ما قدّمتك إلى شيء إلا تأخرت عنه. وكان قال له لما قبض رسول الله ﷺ: اخرج حتى أبايعك على أعين الناس، فلا يختلف عليك اثنان. فأبى وقال: أو منهم من ينكر حقنا ويستبدّ علينا؟ فقال العباس: سترى أن ذلك سيكون. فلما بويع أبو بكر، قال له العباس: ألم أقل لك يا علي؟».

فلعل فلهوزن وغيره قد رأى في ذلك خير مستند لهذا الرأي السالف. ولكن مثل هذه النصوص لم تسلم من الطعن. ولكن مع افتراض صحة ذلك - إن صح - فإنه لا يضير ذلك عليا

(١) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(٤) تاريخه ٤/٤٥٨.

(٥) أنساب الأشراف ٢/٢٦٥.

أن ظن باجتهاد منه أنه أحق بالخلافة من غيره، كما ظنت الأنصار ذلك بنفسها. بل إن في تلك النصوص وغيرها^(١) مزيد تأكيد أن لا نص في ذلك من النبي ﷺ يوجب ذلك لعلي رضي الله عنه. كما أن في قوله: «فبايعت ورضيت»، تأكيد ما ورد في الصحيح أنه لم ينفس هذا الخير على أبي بكر، وكذلك عمر يوم بويعا. وإلا لَمَا بايع، أن يعلم أن غيره ليس بأهل ثم يقر بيعته، بل بطاعته.

وهنا يسرد لنا موير^(٢) مظاهر تلك المشكلة معتمدا على رواية لا تصح رواها الطبري^(٣)، عن عمرو بن ميمون الأودي:

«أن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له.. يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهدا. فقال قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر، فأولي رجلا أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق - وأشار إلى علي - .. ما أريد أن أتحمّلها حيًّا وميتًا، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ إنهم من أهل الجنة: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله، ولكن الستة: علي، وعثمان ابنا عبد مناف، وعبدالرحمن، وسعد، خلا رسول الله ﷺ، والزبير بن العوام حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته، وطلحة الخير ابن عبيدالله، فليختاروا منهم رجلا، فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته، وأعينوه، إن ائتمن أحدا منكم، فليؤد إليه أمانته. وخرجوا. فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم. قال: أكره الخلاف. قال: إذن ترى ما تكره. فلما أصبح عمر دعا عليا، وعثمان، وسعدا، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، فقال: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض، إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم، فيختلف الناس..

فدخلوا فتناجوا، ثم ارتفعت أصواتهم، فقال عبدالله بن عمر: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد، فأسمعته، فانتبه، فقال: ألا أعرضوا عن هذا أجمعون، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليُصلّ بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبدالله بن عمر مشيرا، ولا شيء له من الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره وأمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل

(١) من ذلك ما رواه البلاذري وغيره من طريق أبي عوانة، عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة: أن علياً أتاهم عائداً فقال: «ما لقي أحد من هذه الأمة ما لقيت، توفي رسول الله ﷺ وأنا أحق الناس بهذا الأمر؛ فبايع الناس أبا بكر، فاستخلف عمر، فبايعت ورضيت وسلمت، ثم بايع الناس عثمان فبايعت وسلمت ورضيت، وهم الآن يميلون بيني وبين معاوية». وسيأتي الحديث عن هذا الخبر وتأويله، وأنه أقوى شيء في هذا الباب.

(٢) The Caliphate, William Muir, London, p 207.

(٣) وقع في الطبعة المصرية لتاريخه تحت باب قصة الشورى، استغرق نحو سبع صفحات [٢٢٧/٤-٢٣٤]! وقد اختصرت منه بسبب طوله.

قدومه فاقضوا أمركم، ومن لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله. فقال عمر: أرجو ألا يخالف إن شاء الله، وما أظن أن يبلي إلا أحد هذين الرجلين: علي، أو عثمان، فإن ولي عثمان، فرجل فيه لين، وإن ولي علي، ففيه دعابة، وأحر به أن يحملهم على طريق الحق، وإن تولوا سعداً فأهلها هو، وإلا فليستن به الوالي، فإني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف، ونعم ذو الرأي عبدالرحمن بن عوف، مسدد رشيد له من الله حافظ، فاسمعوا منه. وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبدالرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد، فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكّموا عبدالله بن عمر، فأبي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فخرجوا فقال عليّ لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبداً. وتلقاه العباس فقال: عدلت عنا. فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون، فيوليها عبدالرحمن عثمان، أو يوليها عثمان عبدالرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بله إني لا أرجو إلا أحدهما. فقال له العباس: لم أرفعك في شيء إلا رجعت إلي مستأخراً بما أكره، أشرت عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن تسأله فيمن هذا الأمر، فأبيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر، فأبيت، وأشرت عليك حين سمّك عمر في الشورى ألا تدخل معهم، فأبيت. احفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا، وإيم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير. فقال علي: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى، ولئن مات ليتداولنها بينهم، ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون..

.. قال عبدالرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد. فقال: فأنا أنخلع منها. فقال عثمان: أنا أول من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أمين في الأرض، أمين في السماء. فقال القوم: قد رضينا. وعلي ساكت، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني موثقاً لتؤثرن الحق، ولا تتبع الهوى، ولا تخصص ذا رحم، ولا تألو الأمة. فقال: أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير، وأن ترضوا من اخترت لكم، عليّ ميثاق الله، ألا أخص ذا رحم لرحمه، ولا ألو المسلمين. فأخذ منهم ميثاقاً، وأعطاهم مثله، فقال لعلي: إنك تقول إني أحق

من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين، ولم تبعه، ولكن أرايت لو صُرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، مَنْ كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ قال: عثمان. وخلا بعثمان فقال: تقول: شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ، وابن عمه، لي سابقة وفضل، لم تبعه، فلن يُصرف هذا الأمر عني. ولكن لو لم تحضر، فأبي هؤلاء الرهط تراه أحق به؟ قال: علي. ثم خلا بالزبير، فكلمه بمثل ما كلم به عليا وعثمان، فقال: عثمان. ثم خلا بسعد، فكلمه، فقال: عثمان. فلقي عليَّ سعدا، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي حمزة منك، ألا تكون مع عبدالرحمن لعثمان ظهيرا عليَّ، فإني أدلي بما لا يدلي به عثمان. ودار عبدالرحمن ليليه يلقي أصحاب رسول الله ﷺ ومَنْ وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس يشاورهم، ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان.

.. فلما صلوا الصبح، جمع الرهط وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله، فقال: أيها الناس، إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم. فقال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلا. فقال: أشيروا عليَّ بغير هذا. فقال عمار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليا. فقال المقداد بن الأسود: صدق عمار، إن بايعت عليا، قلنا سمعنا وأطعنا. قال ابن أبي سرح: إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله بن أبي ربيعة: صدق، إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا. فشمتم عماراً ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار: أيها الناس، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه، فأني تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت منكم؟! فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها. فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبدالرحمن افرغ قبل أن يفتتن الناس. فقال عبدالرحمن: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا. ودعا عليا، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده. قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم. فبايعه، فقال علي: حبوته حبو دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن..».

وهذه رواية كما قلت لا تصح بحال، فهي ملفقة من عدة مراسيل فيها مَنْ لا يوثق به، فقد أخرجها الطبري عن عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم (ح)، ومحمد بن عبدالله الأنصاري، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب (ح)، وأبي مخنف، عن يوسف بن يزيد، عن عباس بن سهل (ح)، ومبارك بن فضالة، عن عبيدالله بن عمر (ح)، ويونس بن أبي إسحاق، جميعهم عن: عمرو بن ميمون الأودي، أن عمر ابن الخطاب..

وفي ضوء ذلك كله كانت النتيجة التي ذهب إليها سيديو أن علياً «أقصي من الخلافة بخدعة»^(١). وليس من شك أنه يعتضد في ذلك التفسير أو في تلك النتيجة بتلك الرواية التي رواها الطبري^(٢) - ولا تصح بحال - عن المسور بن مخرمة:

«.. قعد عبدالرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبائعونه، وتلكأ علي، فقال عبدالرحمن: ﴿فَمَنْ نَّكَتَ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ أَسْوَأُ مِنِّي أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، فرجع عليٌّ يشق الناس حتى بايع وهو يقول: خدعة وأيما خدعة. قال عبدالعزيز: وإنما سبب قول علي خدعة، أن عمرو بن العاص كان قد لقي علياً في ليالي الشورى فقال: إن عبدالرحمن رجل مجتهد، وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك، ولكن الجهد والطاقة فإنه أرغب له فيك. قال: ثم لقي عثمان فقال: إن عبدالرحمن رجل مجتهد، وليس والله يبائعك إلا بالعزيمة، فاقبل. فلذلك قال علي: خدعة. قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس، فجلس والناس معه، فقام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال: يا أبا محمد، الحمد لله الذي وفقك، والله ما كان لها غير عثمان. وعليٌّ جالس، فقال عبدالرحمن: يابن الدباغ ما أنت وذاك، والله ما كنت أبائع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة»^(٣).

ولا شك أن ذلك يفسر عندهم جميعاً سبب قبول عليٍّ للخلافة على الفور بعد مقتل عثمان، خاصة وأنه خشي ضياع الفرصة منه مرة أخرى في ظل وجود منافسين آخرين له كانا - مثله - من أشد الناقمين على عثمان، هما طلحة والزبير.

فقد كان هؤلاء الثلاثة - علي وطلحة والزبير - من الناقمين على عثمان، وكان كل منهم في نظر فيليب حتى «يمتني نفسه بمنصب الخلافة»^(٤). ومن ثم، فإنه - فيليب - يرى أن الفتنة «أصلى ناراها أنصار علي»^(٥). لينتهي إلى أنه بمقتل عثمان يكون «الحكم الجمهوري الذي تركت الزعامة فيه في مدينة النبي على أساس مشيخي طافح بذكريات الرسول وروعته وهيبته وعميق أثرها في النفوس، قد انتهى الآن بحرب أهلية في سبيل الخلافة أولاً بين علي وطلحة والزبير، ثم بين علي وطامح جديد، هو معاوية زعيم البيت الأموي، هذا البيت الذي كان منه عثمان الخليفة المقتول»^(٦).

(١) تاريخ العرب العام، ص ١٠٩.

(٢) تاريخه ٤/ ٢٣٤-٢٣٩.

(٣) سبق الكلام عليه.

(٤) تاريخ العرب، لفليب، ص ٢٣٦.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٣٦.

وتتجلى هذه الأطماع بين الثلاثة الذين ذكرهم فيليب، عند سيديو في قوله: «جمع زوج فاطمة في شخصه حقوق الوراثة، وحقوق الانتخاب، ووجب على كل واحد أن ينحني أمام صاحب هذا المجد العظيم الخالص. وما كان هذا ليحدث. فلما رفض عليّ أن يولي صاحبي آل معاوية طلحة والزبير الكوفة والبصرة، انقلبت صداقة هذين الصاحبين إلى حقد شديد»^(١).

ومطامع طلحة والزبير التي زعمها سيديو لهما في الكوفة والبصرة، مستندها رواية لا تصح عن الزهري مرسلًا، رواها البلاذري^(٢) من طريق يونس بن يزيد الأيلي: عن الزهري قال:

«سأل طلحة والزبير علياً أن يوليها البصرة والكوفة فقال: تكونان عندي فأتجمل بكما، فإني أستوحش لفراقكما».

ولكن على أية حال، هذا ما رأته طائفة من المستشرقين. لذلك كانت نتيجة هذا عند فيليب حتى أن تلك «أول مشكلة اهتم بها علي. هي التخلص من منافسيه: طلحة والزبير، زعيمة الحزب المكي»^(٣).

ويدخل المغيرة بن شعبة بطلا جديدا في قصة مشكلة عليّ في قضية «التخلص من منافسيه». فقد كان مما اختاره موير^(٤)، وسيمون أوكلي^(٥) واعتمدا عليه في هذا الشأن: ما أخرجه الطبري^(٦) عن الواقدي قال حدثني ابن أبي سبرة عن عبدالمجيد بن سهيل عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال:

«دعاني عثمان فاستعملني على الحج، فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فحبسني حتى خرج من عنده فقلت: ماذا قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبدالله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم ويبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلاد، ويسكنون الناس. فأبيت ذلك عليه يومئذ، وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى. قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنني مخطئ ثم عاد إلي الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه، ثم رأيت بعد

(١) تاريخ العرب العام، ص ١١٠.

(٢) أنساب الأشراف ١٨/٢.

(٣) تاريخ العرب، ص ٢٣٨.

(٤) The Caliphate, William Muir, London, p 250.

(٥) The History of The Saracens, Simon Ockley, London, 1890. p 292.

(٦) تاريخه ٤٣٩/٤.

ذلك رأيا وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان. قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الآخرة فقد غشك. قال له علي: ولم نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يباليوا بمن ولي هذا الأمر. ومتى تعزلهم يقولوا: أخذ هذا الأمر بغير شوري، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكررا عليك. فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم، فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحها، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان، فوالله لا أولى منهم أحدا أبدا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف. قال ابن عباس: فأطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة، وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا. فأبى علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتها. فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله على الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان أو أدنى ما هو صانع، أن يجسني فيتحكم علي. فقال له علي: ولم؟ قال: لقراة ما بيني وبينك، وإن كل ما حمل عليك حمل علي، ولكن اكتب إلى معاوية فمَنَّهُ وعِدّه. فأبى علي، وقال: والله لا كان هذا أبدا».

قلت: وهذا خبر لا يصح. أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة سبق أنه متروك، متهم بالوضع^(١).

أما عن هذه الحرب الأهلية التي ذكرها فيليب أنفا، فقد فصل فلهوزن القول فيها فصلا مستقلا بعنوان (علي والحرب الأهلية الأولى)^(٢)، انتهى بإجبار علي وإكراهه على قبول التحكيم بينه وبين معاوية^(٣).

والقول بإكراه عليّ على التحكيم، يستند إلى مرويات لا تصح في هذا الشأن منها ما رواه الطبري^(٤) عن أبي مخنف حدثني فضيل بن خديج الكندي عن رجل من النخع أنه رأى إبراهيم ابن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير قال كنت عند عليّ حين أكرهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك...

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدي ٧/ ٢٩٥.

(٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص ٧٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٤.

(٤) تاريخه ٥/ ٤٩.

في إسناد الخبر تشيع أبي مخنف، وجهالة فضيل بن خديج^(١)، وجهالة من روى عنه فضيل بن خديج أيضا.

وعلى أية حال، فهو قول يناقض ما صحح، وهو ما رواه أحمد^(٢)، والبخاري^(٣)، وابن زنجويه^(٤) من طريق عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

«أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهر وان، فيما استجابوا له، وفيما فارقه، وفيما استحل قتالهم، قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل، فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنُصِبْنَا لَهُمُ الْمُحْرَبِينَ يَكُونُوا يَكْتُمُونَ إِلَى اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما نتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالا لقاتلنا...».



(١) الجرح والتعديل ٧ / ٧٢.

(٢) المسند ٣ / ٤٨٥-٤٨٦.

(٣) صحيحه برقم ٤٨٤٤.

(٤) الأموال برقم ٦٥٦.

المبحث الثاني

أثر الوضع عند أصحاب المدرسة الحديثة من العرب

يرى بعض الباحثين أن محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) هو مؤسس هذه المدرسة عند العرب^(١). ولكنني أرى أن مرحلة التأسيس كانت أسبق من ذلك. فقد سبقت الإشارة أن نشأة هذه المدرسة عند العرب قامت بعد الاطلاع على نشاط حركة الاستشراق ونتاجه الفكري. وقد مر بنا من قبل أن رفاة الطهطاوي (١٢١٦ - ١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٣م) - وتلاميذه - كان من أوائل من اطلع على هذا الفكر الغربي، بل ساهم في نقله إلى بني جلدته من العرب عن طريق ترجمته وتصانيفه. فكان بذلك أول متأثر بكثير من أصول الفكر الغربي ومنهاجه. وذلك واضح في مؤلفاته، وترجماته، وترجمات تلاميذه.

ولعل في إنشائه مدرسة الألسن أول لبنة في صرح هذه المدرسة في تاريخنا الحديث. تلك المدرسة التي ينبغي أن يكون من أصول منهاجها التضلع من هذا الفكر الوافد الذي سيطلق عليه بعد ذلك (المدرسة الحديثة)، أو (المدرسة العقلية الحديثة). وقد أثرت هذه المدرسة^(٢) - لا ريب - في كثير من معاصريها من العرب والمسلمين. إذ إنها يسَّرت لهم الاطلاع على فكر المدرسة الغربية وثقافتها.

تلاه علي بن مبارك بن سليمان (١٢٣٩ - ١٣١١هـ / ١٨٢٤ - ١٨٩٣م) المعروف بعلي باشا مبارك. وكان ممن سافر سنة ١٢٦٠هـ مع بعثة مصرية إلى باريس، فتعلم فني الاستحكام والفرقعات والحركات الحربية^(٣). ولكنه أولى التاريخ اهتماما كبيرا فصنف فيه وترجم^(٤).

وإذا كان من أبرز أعمال رفاة تأسيسه لمدرسة الألسن التي كانت نواة المدرسة الحديثة، فإن أبرز ما قام به علي مبارك إنشاء مدرسة دار العلوم، التي جمعت بين منهاج المدرستين: القديمة والحديثة.

(١) حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ١ / ٢٣٤.

(٢) أعني: الألسن والقائمين عليها آنذاك.

(٣) انظر: الأعلام، للزركلي ٤ / ٣٢٢.

(٤) ومن أهم تصانيفه: الخطط التوفيقية. ومن أهم ما ترجمه: خلاصة تاريخ العرب، لسيديو.

ولعل أول كتاب تاريخي دُرِّس في هذه المدرسة يكشف لنا - بعنوانه ومادته - ذلك بوضوح. وهو كتاب: (الدرس التام في التاريخ العام الملخص من كتب التواريخ الأوروبية والعربية)، جمع وتعريب: أبي السعود أفندي، المترجم بديوان المعارف العمومية^(١).

وكان أهم رافد لتلك المدرسة الحديثة بعد ذلك، تلك البعثات التي لم تتوقف منذ عهد رفاة إلى وقتنا هذا. ناهيك عن حركة الترجمة التي لم تهدأ منذ نشأة هذه المدرسة على أيدي أبنائها من العرب.

ولكن ينبغي التنبيه على أن أفراد هذه المدرسة لم يكن تأثرهم بمنهاج المدرسة الغربية على درجة واحدة من ذلك، بل تفاوتوا في درجة التقبل ما بين متشبع كامل التبعية، وآخر ينتقي. كل وفق مشربه وثقافته.

وأبرز من رأيته يمثل هذه المدرسة في مجال دراستنا^(٢):

- جرجي زيدان: ولد في بيروت سنة ١٨٦١ م، وتعلم فيها. ثم رحل إلى مصر، فأصدر مجلة الهلال وتوفي بالقاهرة سنة ١٩١٤ م. من أهم أعماله - غير قصصه التاريخية - كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، وكتاب تاريخ العرب قبل الإسلام.

- محمد رشيد رضا: ولد في القلمون - من أعمال طرابلس الشام - سنة ١٨٦٥ م، وتعلم فيها وفي طرابلس. ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. وكانت وفاته سنة ١٩٣٥ م. من أهم أعماله التاريخية: كتاب: أبو بكر الصديق، وكتاب: الفاروق عمر بن الخطاب، وكتاب: ذو النورين عثمان بن عفان، وكتاب: الإمام علي بن أبي طالب.

- أحمد أمين: ولد في القاهرة سنة ١٨٧٨ م. قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة ١٩٢١ م، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وانتخب عميدا لها سنة ١٩٣٩ م. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد. ومنحته جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨ م لقب (دكتور) فخري. توفي سنة ١٩٥٤ م. ومن أهم أعماله التاريخية: كتاب فجر الإسلام، وكتاب ضحى الإسلام، وكتاب ظهر الإسلام.

(١) انظر ترجمته في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤٦/١٠. وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة وادي النيل المصرية الكائنة بخط باب الشعرية بمصر القاهرة، سنة ١٢٨٩ هـ.

(٢) راجع فيما يأتي كتاب الأعلام للزركلي صفحات: ١١٧/٢، ١٢٦/٦، ١٠١/١، ١٠٧/٦، ٢٦٦/٣، ٢٣١/٣ على التوالي.

- محمد حسين هيكل: ولد سنة ١٨٨٨ م في قرية كفر غنام (بالدقهلية) وتخرج في مدرسة الحقوق بالقاهرة سنة ١٩٠٩ م. وحصل على (الدكتوراه) في الحقوق من السربون بفرنسا عام ١٩١٢ م. وتوفي سنة ١٩٥٦ م. من أهم أعماله التاريخية: كتاب حياة محمد، وكتاب الصديق أبو بكر، وكتاب الفاروق عمر، وكتاب عثمان بن عفان.

- عباس العقاد: ولد عباس في أسوان سنة ١٨٨٩ م. وتعلم في مدرستها الابتدائية. وشغف بالمطالعة. وسعى للرزق فكان موظفا بالسكة الحديدية وبوزارة الاوقاف بالقاهرة ثم معلما في بعض المدارس الاهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر. تعلم الانكليزية في صباه وأجادها ثم ألم بالالمانية والفرنسية. توفي سنة ١٩٦٤ م. من أهم أعماله التاريخية: سلسلة العبقريات، كعبقرية محمد، وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر.

- طه حسين: ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا سنة ١٨٨٩ م. وأصيب بالجذري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر (١٩٠٢ م) ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) منها عام ١٩١٤ م بكتاب (ذكرى أبي العلاء). وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون (١٩١٨) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم كان عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المرسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر. توفي سنة ١٩٧٣ م. من أهم أعماله في مجال التاريخ الإسلامي: كتاب الشيخان، وكتاب الفتنة الكبرى.

ومن ثم، فقد كان من أهم ما اتسم به أصحاب هذه المدرسة من العرب، هو التأثير الواضح والقوي بحركة الاستشراق ومناهج أصحابها. إلا أن أهم ما يمكن للمتأمل ملاحظته في كتابات أصحاب هذه المدرسة هو تلك النوازع المصطرعة في نفوس أصحاب هذه الكتابات بين أصولهم العربية والإسلامية بما فيها من واقعية الاتصال المباشر بروح تلك الحضارة بحكم الانتماء واللسان والثقافة الأولى التي أشبعها أصحاب هذه المدرسة ورضعوا لبانها صغارا. وبين تلك المناهج الوافدة التي اطلعوا عليها كبارا، والتي تمثل عامل التأثير فيها في دعاوى العقلانية، والموضوعية، والتجرد.. في عصر غلب عليه التصوف، والجهل، والإيمان بالخرافات.

ويعبر بعض المعاصرين الفضلاء عن هذا الأمر تعبيرا بالغيا في قوله^(١):

«إن القوة المادية والعلمية التي وصل إليها الغربيون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدخلت في نفوس علمائهم ومؤرخيهم وكتابهم قدرا كبيرا من الغرور، حتى اعتقدوا أن الغربيين أصل جميع الحضارات في التاريخ - ما عدا

(١) د. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص ٧٩-٨٢.

المصرية - وأن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً، أما غيرهم من الشعوب - وخاصة الإسلامية - فإن عقليتهم بسيطة ساذجة، أو بالأصح (ذرية) كما عبر بذلك المستشرق (جب) في كتابه (وجهة الإسلام) ويقصد بذلك أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً. وهم لم يحكموا بذلك إلا على ضوء ما رأوه بأعينهم من ضعف الشعوب التي استعمروها، وما سادها من جهل، وما شملها من تأخر في كل نواحي الحياة. فلما بدأ اتصالنا بالحضارة الغربية في أوائل هذا القرن، وانتشرت الثقافة بيننا، لم يجد المثقفون - من غير علماء الشريعة - أمامهم طريقاً ممهداً للحديث عن تراثنا المبعثر في كتب قديمة غير منظمة تنظيمياً يتفق وتنظيم الكتب العلمية عند الغربيين، إلا كتب المستشرقين الذين أفنوا أعمارهم في دراسة ثقافتنا، وتتبع مصادرها في خزائن الكتب العامة عندهم، حتى ليظل أحدهم عشرين عاماً في تأليف كتاب عن ناحية من نواحي ثقافتنا، يرجع فيه إلى كل ما وصلت إليه يده من مصادر قديمة من كتب علمائنا الأولين. وبهذا الدأب المتواصل عند علمائهم، والتفرغ الكامل له، والرغبة الاستعمارية والدينية التي ألمحت إليها، استطاعوا أن ينظموا الحديث عن ثقافتنا تنظيمياً بهر أبصار (مثقفيها) واستولى على ألبابهم، وخاصة عندما قارنوا بين أسلوبهم وبين أسلوب كتبنا العلمية القديمة، فاندفعوا إلى الاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة اطلاعهم، ظانين أنهم لا يقولون إلا الحق، وأنهم - فيما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا - أصح حكماً، وأصوب رأياً، لأنهم يسرون وفق منهج علمي دقيق لا يجيدون عنه. ومن هنا نشأت الثقة ببحوث هؤلاء الغربيين والاعتماد على آرائهم. ولم يتح لهؤلاء المثقفين أن يرجعوا إلى المصادر الإسلامية التي استقى منها المستشرقون وغيرهم من الباحثين الغربيين، إما لصعوبة الرجوع إلى مصادرها، أو الرغبة في سرعة الإنتاج العلمي، أو لشهوة الإتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد في أوساطنا العلمية والدينية وغيرها. وكانت فترة من الزمان طغى علينا هذا الشعور بالنقص والضعف وعدم الثقة بأنفسنا إزاء الباحثين الغربيين، وإعظامهم وإكبارهم وعدم سوء الظن بهم، حتى إذا بدأت حركات الوعي السياسي وبدأ استقلالنا السياسي عن سيطرة الغربيين، ابتدأ عندنا الشعور بوجود الاستقلال الفكري، الشعور بشخصيتنا وقيمة حضارتنا وتراثنا، الشعور بالحجل لموقفنا السابق من اتكالنا على المستشرقين في معرفة ما عندنا من تراث وعقيدة وتشريع، وانتشر هذا الوعي في أوساطنا المثقفة من دينية وغيرها، فبدأنا نكتشف الحقيقة، حقيقة هؤلاء المستشرقين في أبحاثهم وأهدافهم الدينية والاستعمارية من ورائها».

ولا ريب أن ذلك التأثير أدى إلى سلبات كثيرة في نتائج دراسات أصحاب هذه المدرسة، ومن أهمها ما كان في مجال التاريخ الإسلامي، حين أهمل كثير منهم أن «الفكر الإسلامي له

تفسير للتاريخ يختلف عن التفسير الغربي المادي، والشرقي الروحي على السواء. وإن التفسير الغربي لا يصلح لفهم التاريخ الإسلامي. فالتاريخ الإسلامي لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا في ضوء النظرة الإسلامية للحياة الإنسانية. وكل تفسير يقوم على غير هذا الأساس فهو ضرب من الخطأ العلمي، لا يجوز أن يرتكبه باحث جاد، أو مؤرخ يبتغي وجه الحق وحده. ولذلك فإن كل مؤرخ عربي يفسر التاريخ الإسلامي وفق منهجه الغربي يقع في الخطأ الذي يتمثل في بعده عن ظاهرة أساسية، هذه الظاهرة هي وحدة المناهج الإسلامية، والفكر الإسلامي في مختلف فروعها وتكاملها. بينما يؤمن الغربي بتجزئة هذه المفاهيم، والفصل بين الله والطبيعة والعلم والدين. والإسلام وحده هو الذي يجمع بين العلم والدين في وحدة تامة غير متناقضة. ومن هنا فإن تطبيق التجزئة الغربي يحول بين الباحث وبين الوصول إلى الحقيقة، ويجعل الأمور أمامه مضطربة غامضة»^(١).

والعجيب تَبَّه المنصفين من المستشرقين إلى هذا الأمر، ومنهم (تريتون) في كتابه (الإسلام: عقيدته ومبادئه) إذ يقول: «إذا صح في القول إن التفسير المادي يمكن أن يكون صالحاً في تحليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها، فإن هذا التفسير المادي يفشل فشلاً ذريعاً حين يرغب في أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم، واتساع رقعتهم، وثبات أقدامهم، فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية، ليروا أنها تقع في هذا الشيء الجديد، ألا وهو الإسلام»^(٢).

وعلى أية حال، فقد تباينت مناهج أصحاب هذه المدرسة تبعاً لدرجة تأثر كل فرد فيها بنوع المدرسة الغربية التي يميل إليها. وقد ظهر أثر ذلك واضحاً في تلك الدراسات التي قدمها أصحاب هذه المدرسة في كافة العلوم الإسلامية، ومن أهمها علم التاريخ الإسلامي، الذي بلغ التأثير مداه حتى ظهر في التبعية شبه الكاملة في انتقاء المصادر والمرويات والاستدلالات.. حتى لا تكاد تجد جديداً في تلك الكتابات والدراسات من الدراسات الاستشراقية. وهذا أمر يراه الدارس في أعمال هؤلاء رأي العين.

ففي الوقت الذي نجد التأثير الواضح من المدرسة الفرنسية في منهج طه حسين ممثلاً في منهج الشك العقلي المنسوب لديكارت، نجد تأثر العقاد في تحليله وكتابات بتلك الدراسات النفسية الأوروبية^(٣). ويطول الأمر إذا تتبعنا أثر المناهج الغربية والاستشراقية في أصحاب المدرسة الحديثة عند العرب.

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، لأنور الجندي، ص ٢٩-٣٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠-٣١.

(٣) نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات، لصالح بن سعد اللحدان، ص ١٦.

ولكن من أهم ما يعيب كتابات أصحاب هذه المدرسة فيما يخص موضوع بحثنا، هو تقديم هذه المناهج الغريبة على المناهج الإسلامية الأصيلة عند تعارض المنهجين، وكان أخرى بهم تقديم المناهج التي خرجت تلك العلوم من رحمها من حيث العرض والنقد.

وأكثر ما نلاحظ هذا الأمر عند طه حسين، الذي أسرف في شكه العقلي إسرافاً، كذَّب معه مرويات غاية في الصحة، وفي المقابل صدَّق مرويات أخرى لا شك في كذبها! ذلك لأن العقل عنده هو ميزان نقده في المقام الأول وليس دراسة الأسانيد والمتون تبعاً للأسانيد – ما دام يعمل في حقل الرواية العربية التابع لميدان العلوم الإسلامية.

والملاحظ أن عباراته الدالة على ما ذكرتُ آنفاً في كتبه وأعماله تفوق الحصر. فهو دائماً «يشك أعظم الشك فيما روي عن هذه الأحداث»^(١)، «ويشك كل الشك»^(٢)، وما ذلك عنده غالباً إلا لأن «هذه أمور لا تستقيم للعقل»^(٣). ناهيك عن اتهاماته الجذافية دائماً للرواة المسلمين بعدم المعرفة، والجهل بالتحقيق والبحث^(٤)، بل بلغ الأمر مداه إلى حد اتهامه المطلق لهم بالتخليط^(٥)، وبالكذب^(٦)!

المطلب الأول

استخلاف أبي بكر

تعتبر رواية عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري في السقيفة هي الأساس – غالباً – الذي اعتمد عليه أصحاب المدرسة الحديثة من العرب في تفسيرهم لحادثة استخلاف أبي بكر. تلك الرواية التي رواها الطبري^(٧) وغيره:

«أن النبي ﷺ لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عباد. وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض. فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشكواي أن

(١) الشيخان ص ٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٣) الفتنة الكبرى ١ / ١٣٤.

(٤) الشيخان، ص ٨، ٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٨.

(٦) وقد وقع ذلك منه عند اتهامه رواية البخاري القائلة بتأخر بيعة علي بن أبي طالب لأبي بكر ستة أشهر، فيقول: «وواضح ما في هذا من الكذب أيضاً!» الشيخان ص ٣٩.

(٧) تاريخه ٣ / ٢١٨.

أسمع القوم كلهم كلامي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهموه. فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله فيرفع صوته فيسمع أصحابه. فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار، لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلا رجال قليل، وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموا به، حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم، وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض، وبكم قدير عين، استبدوا بهذا الأمر، فإنه لكم دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقنا في الرأي وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، ونوليك هذا الأمر، فإنك فينا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش؟ فقالوا: نحن المهاجرون، وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده؟ فقال طائفة منهم: فإننا نقول إذا منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً. فقال سعد بن عبادة حين سمعها: هذا أول الوهن... إلخ.

وقد سبق من قبل أنها رواية مرسلة لا تصح بحال، واعتماد أصحاب هذه المدرسة على تلك الرواية مع الإعراض عما ورد في الصحاح يعبر عن مدى القصور الذي بلغ بكثير من أصحاب هذه المدرسة. وسبب ذلك هو ما سلف ذكره، وهو تلك التبعية الظاهرة لحركة الاستشراق في هذا الميدان، ميدان التاريخ الإسلامي وتفسيره، إذ إنهم أول من اعتد بتلك الرواية غير الصحيحة، وجعلوها أساس تفسير تلك الحادثة. وقد سبق القول أنه مما يلاحظ على تلك الرواية أنها مثلت توجهها عاماً مشتركاً لحركة الاستشراق في تفسير واقعة السقيفة بناء على تلك الرواية الواهية.

أما عن صور اعتداد أصحاب المدرسة الحديثة من العرب بتلك الرواية في تفسير تلك الفترة التي نحن بصددتها فنراها واضحة عند طائفة ليست بالهينة من أصحاب هذه المدرسة.

فإن طه حسين يستخلص من هذه الرواية أن الانصار أشفقوا «بعد وفاة النبي من أن يلي المهاجرون من قريش الخلافة، فيصير هذا سنة، وتستأثر قريش بالأمر، فإذا ذهب الصالحون من أصحاب النبي، لم يعرف من يأتي بعدهم من قريش حق الأنصار فظلموهم وجاروا عليهم،

فأراد الأنصار إذن أن يحتاطوا للمستقبل، وكأنهم أحسوا قبل أن يأتيتهم أبو بكر وصاحبه أن قريش لن ترضى منهم بهذا الأمر، فأزمعوا أن يعرضوا على المهاجرين أن يكون الأمر في المهاجرين والأنصار»^(١).

في حين يظن محمد حسين هيكل «بأن سعد بن عبادة إنما قال حين نظر إلى القوم في السقيفة يستمعون إلى من يقول (منا أمير ومن قريش أمير): «هذا أول الوهن»، لأن أصحاب هذه المقالة كانوا من بني الأوس»^(٢).

وتلك النظرة نفسها نجدها عند العقاد، فنراه يقول:

«وكان القوم فريقين متنافسين منذ زمن قديم، وهم الخزرج والأوس، وبينهما ملاحاة دائمة تهون معها كل ملاحاة بين الأنصار والمهاجرين. وكانت يقظة عمر وأصحابه أسرع من فتنة القوم. فبلغوا السقيفة في إبانها، وعالجوا الأمر حق علاجه، وقال كل منهم كلمة كانت أنفذ من سهم، وأقهر من جيش. قال أبو بكر: (إن هذا الأمر إن تولته الأوس نفسته عليهم الخزرج، وإن تولته الخزرج نفسته عليهم الأوس، ولا تدين العرب لغير هذا الحي من قريش.. نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة، ولا تُقضى دونكم الأمور.. فبايعه زعيم من الأوس، بشير بن سعد وهو يقول: (كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم). وقال النقيب أسيد بن حضير: (والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم نصيبا أبدا فقوموا بايعوا).. وماتت الفتنة في مهدها..»^(٣).

وهنا نلاحظ أن العقاد يدعم الرواية السابقة بزيادة لم أجدها في مصدر من المصادر وذلك فيما نسبته لأبي بكر: «إن هذا الأمر إن تولته الأوس نفسته عليهم الخزرج، وإن تولته الخزرج نفسته عليهم الأوس..!!»

ثم يذهب العقاد بعد ذلك إلى «أن سعد بن عبادة لو كان صحيحا غير مريض، وكان الأحزاب حزبا واحدا غير منقسم، وكان المهاجرون الثلاثة متخلفين عن الموعد الحاسم، أو كانوا غير أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، أو كانوا جمعاً يَحْفِزُ العداة والمقاومة، لجاز أن يتغير مجرى الأمور، وأن يكون للتاريخ الإسلامي شأن غير شأنه الذي عرفناه»^(٤).

(١) الشيخان، ص ٣٦.

(٢) الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، ص ٦١.

(٣) عبقرية الصديق، ص ٣٦-٣٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٨.

بينما اتجه نظر محمد رشيد رضا في تلك الرواية إلى زاوية أخرى، إذ رأى في كلام الحباب لاجحة في الخصومة، وتحريضا للأنصار «على إجلاء المهاجرين من المدينة إذا لم يولوهم الخلافة وتوعدهم بالشر لذلك قال له عمر محتدا إذن يقتلك الله. قال: بل إياك يقتل»^(١).

وليس من شك أن تلك كلها تفسيرات جانبها الصواب. والعلة في ذلك وهن الرواية التي اعتمدت عليها تلك التفسيرات السابقة من أصحاب تلك المدرسة التي نحن بصدددها.

المطلب الثاني

الفتنة الكبرى

من إرهاصات الفتنة التي أشار إليها كل من طه حسين^(٢)، ومحمد رشيد رضا^(٣) ما صنعه عثمان رضي الله عنه في عزل كبار الصحابة عن الأنصار، وتوليها أقربائه. ويشير طه حسين إلى ذلك في معرض حديثه عن عزل عثمان لسعد بن أبي وقاص عن الكوفة، فيقول متحاملا على أقرباء عثمان رضي الله عنه من بني أمية، وآل أبي معيط:

«وأكد أعتقد أن وجه الحق في عزل سعد أن بني أمية وآل أبي معيط كانوا يتعجلون الولاية، ويحتالون في الوصول إليها، ويلحون على عثمان في أن يمهد لهم إليها الطريق. وآية ذلك فيما أظن أن عثمان حين عزل سعدا لم يزل على الكوفة أحدا من كبار أصحاب النبي، لا من المهاجرين، ولا من الأنصار. لم يرسل إليها طلحة، ولا الزبير، ولا عبد الرحمن، ولا محمد بن مسلمة، ولا أبا طلحة. وإنما أرسل إليها الوليد بن عقبة بن أبي معيط. ولم يكن المسلمون يطمئنون إلى الوليد بن عقبة، لأنه غش النبي، وكذب عليه، وكفر بعد إسلامه، وأنزل فيه قرآنا، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمُ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] كان ذلك حين أرسله النبي مصدقا في بني المصطلق، فعاد إلى النبي يزعم أنهم منعه الصدقة. فخرج إليهم النبي غازيا، ثم تبين كيد الوليد وأنبأه الله بجلية الأمر. وقد عاد الوليد إلى إسلامه حين لم يكن بد من العودة إلى الإسلام، وأصلح من سيرته ما استطاع. وقيل إن عمر قد استعمله على صدقة بني تغلب. والفرق بين أن يرسله عمر أو وال من الولاية إلى صدقة حي من نصارى العرب البادين في الجزيرة، وبين أن يوليه عثمان مصرا من أعظم أمصار المسلمين، وأكثرها ثغورا، وأن يوليه مكان سعد بن أبي وقاص، هذا الفرق عظيم جدا. فالذين أنكروا تولية الوليد على الكوفة مكان سعد لم يبعدوا، فليس من شك في أن هذه التولية كانت أمرا عظيما»^(٤).

(١) أبو بكر الصديق، محمد رشيد رضا، ص ٣٠.

(٢) الفتنة الكبرى ١/ ٩٣.

(٣) عثمان بن عفان، ص ٣٩.

(٤) الفتنة الكبرى ١/ ٩٣.

ويلاحظ هنا تعريضه بالوليد بن عقبة واتهامه بتهمة لا يصح فيها خبر، وهو كونه المقصود بها في تلك الآية المشار إليها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيبٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

ومن إرهابات الفتنة التي أشار إليها طه حسين^(١)، ومحمد رشيد رضا^(٢) هو ما أنبأت به بعض الروايات غير الصحيحة بما كان بين عمرو بن العاص، وعثمان بن عفان بشأن مصر، حين عزل الأخير عمرو بن العاص عن مصر، وولاها عبد الله بن سعد بن أبي السرح - وهو عند طه رجلٌ صاحب دنيا ولم يكن صاحب دين ولا رجل صدق^(٣) - وتذكر هذه الرواية أن:

«عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر، وأقره على الجند والصلاة، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح الخراج، فتباغيا، فكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان: أن عمرا قد كسر عليّ الخراج. وكتب عمرو بن العاص إلى عثمان أن عبد الله بن سعد قد كسر عليّ مكيمة الحرب. فعزل عثمان عمرو بن العاص عن الجند والصلاة، وولى ذلك عبد الله بن سعد مع الخراج، فانصرف عمرو مغضبا فقدم المدينة فجعل يطعن على عثمان ويعيبه. ودخل عليه يوما وعليه جبة له يمانية محشوة بقطن فقال له عثمان: ما حشو جبتك هذه يا عمرو؟ قال: حشوها عمرو، قال: لم أرد هذا يا ابن النابغة، ما أسرع ما قمل جربان جبتك، وإنما عهدك بالعمل عام أول أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بأخر. فقال عمرو: إن كثيرا مما ينقل الناس إلي ولاتهم باطل. فقال عثمان: استعملتك على ظلعك. فقال عمرو: قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض. فخرج عمرو من عند عثمان وهو متحقر عليه، فجعل يؤلب عليه الناس ويحرضهم، فلما حُصر عثمان الحصر الأول خرج عمرو من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع، فنزل في قصر يقال له العجلان، فلما أتاه قتل عثمان قال: أنا أبو عبد الله إذا أحك قرحة نكأتها، يعني إني قتلته بتحريض عليه وأنا بالسبع»^(٤).

وهذه رواية مرسلّة لا تصح. فهي عن أسامة بن زيد الليثي عن يزيد بن أبي حبيب مرسلّا. ويرى طه في ولاية ابن أبي السرح أنها كانت شؤما على جماعة المسلمين، فيقول: «وكانت تولية عثمان لهذا الرجل مصر شؤما على جماعة المسلمين، فمن مصر خرج الثائرون الأولون على عثمان، واجتمع إليهم بعد ذلك غيرهم من أهل المصّرَيْن الآخرين في العراق»^(٥).

(١) الفتنة الكبرى ١/ ١٢٤.

(٢) عثمان بن عفان، ص ٤٨.

(٣) الفتنة الكبرى ١/ ١٢٤-١٢٥.

(٤) انظر: الطبقات لابن سعد ٥/ ٧٣، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٥٦.

(٥) الفتنة الكبرى ١/ ١٢٥.

وكان طه يرى في ولاية ابن أبي السرح الشرارة الأولى للفتنة، تبعها الأمصار، حتى كان ما كان. وواضح اعتماد ذلك على مرويات لا تصح، فإن الفتنة كانت لها أسباب أشد قوة من ذلك الذي ذهب إليه طه حسين.

وعند طه^(١) أن من أشد المعارضين لعثمان والثائرين عليه من كبار الصحابة كان عمار بن ياسر. ومستنده في ذلك ما أخرجه البلاذري^(٢) عن عباس بن هشام بن محمد عن أبي مخنف في إسناده قال:

«كان في بيت المال بالمدينة سَفَطٌ^(٣) فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حُلِي به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه، فخطب فقال: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له علي: إذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه، وقال عمار بن ياسر: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، فقال عثمان: أَعَلَيَّْ يا بن المتكأ^(٤) تجترئ؟ خذوه، فأخذ. ودخل عثمان فدعا به، فضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلّى وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فيه في الله. وقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي - وكان عمار حليفاً لبني مخزوم - فقال: يا عثمان، أما عليّ فاتقيته وبني أبيه، وأما نحن فاجترأت علينا، وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أمية عظيم السرة. فقال عثمان: وإنك لها هنا يا بن القسرية، قال فإنهما قسريتان، وكانت أمه وجدته قسريتين من بجيلة، فشتمه عثمان وأمر به فأخرج، فأتى أم سلمة وإذا هي غضبت لعمار، وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه ونعلًا من نعاله. ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم وهذا شعره وثوبه ونعله ولم يبيل بعد. فغضب عثمان غضباً شديداً حتى ما درى ما يقول».

وهذه رواية مرسلّة باطلّة، إسناده مبهم، لا يُعرف من بعد أبي مخنف المتهم باحتراقه في التشيع.

ويخرج طه من هذه الرواية وأشباهاها - سواء فيما يخص عماراً، أو في تلك التي تخص أبا ذر وحاله مع معاوية وعثمان ومزاعم النفي، وتلك التي كانت مع عمرو بن العاص - بتفسير يقول

(١) الفتنة الكبرى ١/ ١٦٦-١٦٧.

(٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٦١.

(٣) السَّفَطُ: الذي يُعَبَّى فيه الطَّيب، وما أشبهه من من أدوات النساء. لسان العرب، مادة (سَفَط) ص ٢٠٢٧.

(٤) المتكأ: البظراء.

فيه: «ومهما يكن من شيء فقد كان عمار من أشد الناس معارضة لعثمان، وأكثرهم تشهيراً به، وطعنا عليه.. هؤلاء هم زعماء المعارضة في المدينة، وكلهم كما ترى من من كبار الصحابة وأعلام المهاجرين»^(١)!!

وأما فيما يخص علياً وموقف الصحابة من حربه وقتاله، فيذهب رواد تلك المدرسة التي نحن بصددنا إلى أن عائشة رضي الله عنها كانت ترغب بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في أن يتولى طلحة الخلافة من بعده، وأنها لم علمت بتولي علي الخلافة، سخطت، وحرضت على قتاله بدعوى الطلب بدم عثمان.

فيقول طه: «وقد أخذت عائشة طريقها إلى المدينة بعد أن قضت مناسكها، وعرفت أثناء سفرها مقتل عثمان، وخبرت بأن طلحة قد بويع له. فأظهرت بذلك ابتهاجا، فقد كان طلحة مثلها تيمياً. ولكنها لقيت في طريقها من أنبأها بحقيقة الأمر بأن علياً هو الذي تمت له البيعة في المدينة. فضاقت بذلك ضيقاً شديداً، وأعلنت أنها كانت تؤثر انطباق السماء على الأرض قبل أن ترى علياً وقد أصبح للمسلمين إماماً. ثم قالت لمن كان معها: ردوني. فرجعوا بها أدراجهم إلى مكة. وكان معروفًا أن عائشة رحمها الله لم تكن تحب علياً ولا تهواه»^(٢)

ويقول محمد رشيد رضا: «فقد كانت عائشة رضي الله عنها.. تود أن يلي الخلافة طلحة الذي كان شديداً على عثمان، فتعود الخلافة تيمية كما كانت، وتكره أن يلي الخلافة علي»^(٣).

ويقول العقاد: «فحشدوا جموعهم إلى البصرة، وصحبتهم السيدة عائشة لأنها كانت ترغب في خلافة طلحة»^(٤).

ويُظهر محمد رضا^(٥)، والعقاد^(٦) مستند هذا الرأي الذي ذهبوا إليه وهو خبر موضوع رواه الطبري^(٧) أن ابن عباس قال: قال لي عثمان رضي الله عنه:

«إني قد استعملت خالد بن العاص بن هشام على مكة، وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس، فأنا خائف أن يمنعوه الموقف، فيأبى فيقاتلهم في حرم الله - جل

(١) الفتنة الكبرى ١/١٦٧.

(٢) الفتنة الكبرى ٢/٢٥.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب ص ٨٠.

(٤) عبقرية الإمام علي، ص ٧٥.

(٥) المرجع نفسه ص ٨٠.

(٦) عبقرية الإمام علي، ص ٧٦.

(٧) تاريخه ٤/٤٠٧.

وعز - وأمنه، وإن قوما جاءوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، فرأيت أن أولئك أمر الموسم. وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره، فخرج ابن عباس فمر بعائشة في الصُّلُصُل^(١)، فقالت: يابن عباس، أنشدك الله، فإنك قد أعطيت لسانا إزعيلا^(٢)، أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يَلِيسِرَ بسيرة ابن عمه أبي بكر. قال: قلت: يا أمّه، لو حدث بالرجل حَدَثٌ ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: إيهاً عنك، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^(٣).

ولكن يذهب العقاد إلى أن قتال طلحة والزبير لعلي إنما كان دافعه مطامع الدنيا، ممثلاً ذلك عنده في «ولاية العراق واليمن»^(٤).

أما في التحكيم، فقد سلك أصحاب هذه المدرسة مسلك المستشرقين، وهو أن رفع المصاحف يوم صفين والدعوة إلى تحكيم القرآن، إنما كان مكيدة من عمرو بن العاص احتال بها على عليٍّ وجيشه يوم صفين^(٥).

وواضح استناد هذا التفسير إلى مرويات لا تصح سبق الحديث عنها، من ذلك ما رواه الطبري^(٦) من حديث أبي مخنف - دون تعيين إسناده - أن:

«عمرو بن العاص لما رأى أن أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال: نعم. قال: نرفع المصاحف، ثم نقول: ما فيها حَكْمٌ بيننا وبينكم. فإن أبى بعضهم أن يقبلها، وجدت فيهم من يقول: بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين. فرفعوا المصاحف بالرماح، وقالوا: هذا كتاب الله عز و جل بيننا وبينكم، مَنْ لثغور أهل الشام بعد أهل الشام؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق؟ فلما رأى الناس المصاحف قد رُفعت، قالوا: نجيب إلى كتاب الله عز و جل وننيب إليه».

(١) الصُّلُصُل: موضع بطريق المدينة. انظر: تاج العروس، ٣٢٦/٢٩.

(٢) إزعيلا: نشيط مستن. انظر لسان العرب، مادة (زعل) ص ١٨٣٤.

(٣) في إسناده أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة، سبق أنه متروك، متهم بالوضع.

(٤) عبقرية الإمام علي، ص ٧٤.

(٥) الإمام علي بن أبي طالب ص ٨٠، لمحمد رضا ص ٢١٢، والفتنة الكبرى ٢/٢٢، وتاريخ التمدن

الإسلامي، لجرجي زيدان ١/٨٥.

(٦) تاريخه ٥/٤٨.

فهذا خبر لا أصل له، يعقب عليه محمد رشيد رضا بقوله مستنبطاً مفسراً أن: « هذه هي الحيلة التي لجأ إليها عمرو بن العاص، وأطاعه معاوية لإحداث الفرقة في جيش عليّ رضي الله عنه، ولوقف القتال حيناً بعد أن أعيتهم الحيل للتغلب على جيش عليّ وبعد أن رأى عمرو أن جيش الشام على وشك الانهزام. على أن الرجوع إلى كتاب الله في هذه الحالة أمر غامض. ولم يغيب عن ذهن علي أن في ذلك حيلة وخديعة ومكيدة»^(١).

قلت: وهذا لا شك يخالف ما سبقت الإشارة إليه من مرويات صحيحة^(٢) وفيه عن حبيب ابن أبي ثابت، قال:

«أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان، فيما استجابوا له، وفيما فارقه، وفيما استحل قتالهم، قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل، فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكِتَابِ وَاللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَتَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما نتظر بهؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس اتمموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا...».

فليس في تلك الرواية الصحيحة ما يدل على مكيدة أو حيلة أو نحو ذلك من تلك الترهات التي ذكرتها المرويات غير الصحيحة في هذا الباب. ومن ثم، وكما ذكرت قبل فليس هناك إكراه وقع على عليّ في قبول التحكيم، بل كما هو الواضح من الرواية الصحيحة أن علياً قبل الصلح طوعاً، ودعا إليه جيشه، ومن ثم خرج عليه الخوارج لما رأوا علياً أجاب إلى هذه الدعوة عن رضا منه.

وهكذا نخلص من هذا الفصل: أن حركة الاستشراق كان لها أبلغ الأثر في تاريخنا الحديث في نشر الموضوع وما لا يصح من الروايات والتفسيرات التي شوهت صوراً كثيرة من تاريخنا المشرق. ويرجع ذلك كما مر بنا إلى تلك المشكلات التي تعانيتها حركة الاستشراق في المنهج الذي

(١) الإمام علي بن أبي طالب ص ٢١٣ .

(٢) صحيح البخاري برقم ٤٨٤٤ .

تأثر بالأغراض - بما فيها من أهواء ومصالح استعمارية في هذا الحين - واختلاف الثقافة - بسبب اختلاف الدين وعجمة اللسان - فكان لهذا أثره الخطير عندما أسقطوا هذه المشكلات على المرويات التاريخية وتفسيرها.

وكان الخطر أشد مع حركة التأريخ الحديثة عند العرب ممن اطلع على أعمال ومناهج هؤلاء المستشرقين. إذ تأسوا بهم في كثير من الاقتباسات والنقول، ناهيك عن التفسيرات المشوهة التي انتشرت بين أبناء هذا الجيل وأجيال لاحقة.



حائمه

لقد آثرت أن أخص هذه الخاتمة بعرضٍ مجملٍ لمعالم المنهج الذي أسفر عنه البحث، وأتبعه الباحث في بحثه. إذ هو في رأيي من أهم النتائج التي أفرزتها تلك الدراسة. ناهيك عن أن إعراض الباحثين عنه، أدى إلى ثغرات نفذ منها أعداؤنا يطعنون في هذا التاريخ المشرق لهذه الأمة العريقة.

وأول ما أستهل به هذه الخاتمة، التنبيه على أن هذه الدراسة تناولت قضية – هي في نظري – من أخطر القضايا أثرا في علم التاريخ عند المسلمين، رواية وتفسيرا، ألا وهي قضية الوضع. وتزداد تلك الخطورة شدة إذا كان النموذج الذي تم التطبيق عليه فترةً من أهم فترات التاريخ، العبث فيها إنما هو عبث في الدين، والطعن فيها طعن في الإسلام كله، ألا وهي فترة الخلافة الراشدة.

ومن ثم، اتخذها^(١) الواضعون من الرواة – قديما – غرضا، ينصرون بذلك أهواءً اختلفت باختلاف أصحابها. فلما استقرت الرواية، وألقت عصا التسيار في ختام القرن الرابع من الهجرة تقريبا، ولم يعد الوضع في الرواية فيما يخص هذه الفترة من السهولة بمكان، لجأوا إلى تحقيق مآربهم عن طريق وسائل أخرى، منها اتخاذ المكذوب من المروي عمادا لصرح التفسير الباطل لحوادث تلك الفترة. هذا فضلا عن التفسير الباطل من المروي الصحيح. وتلك وسيلة أخرى لقضية أخرى ليست محل بحثنا هنا.

وقد ساعد على استفحال هذا الخطر بعد الزمان الذي كان يتأخر قرنا بعد قرن، حتى إذا ما ورثنا هذا التراث بكل ما فيه من سقيم وصحيح، وجدنا أنفسنا أمام حصيلة هائلة من الروايات والتفسيرات التي احتاجت منا إلى التمحيص الدقيق، والتذوق السليم.

ولكن لم يكن الوارثون طبقةً واحدةً في التعامل مع هذا الإرث، إذ إنهم تفاوتوا في ذلك بحسب قدراتهم، واختلاف مناهجهم، وميولهم، وأهوائهم هم أيضا. الأمر الذي أدى إلى ركام جديد من تفسيرات تباينت هي الأخرى بتباين المناهج والأهواء. وهكذا سنظل ندور في دائرة المناهج والأهواء طبقة بعد طبقة، وجيلا بعد جيل، إلى قيام الساعة.

وهنا يطرح السؤال نفسه: ما هو العاصم إذن من اختلاف المناهج، وتنوع الأهواء؟ وتحدد الإجابة عندي في أن ذلك يرجع إلى طبيعة كل فترة يدرسها الباحث، إذ إن لكل عصر ظروفه التي تحتم على الباحث أن يتبع فيه منهاجا بعينه، ويُحْكَم فيه نظرةً بعينها تختلف عن نظرة غيره لعصر غيره.. وإلا قصر في النتائج وظلم أهل الفترة التي يبحث فيها. وهو ما أسميه:

(١) أعني فترة الخلافة الراشدة.

تحرير المقدمات: ذلك أن من أخطر آفات البحث العلمي، الخلط بين المقدمات، إذ إن ذلك سيؤدي بدوره إلى الخلط في النتائج أيضا.

ويكون هذا التحرير في كل ما يخص العصر الذي يُدرَس، من حيث المفاهيم والمدلولات لمفردات العصر محل الدراسة. وهذا أمر لاحتضانه عند تحرير اصطلاح التاريخ والأخبار، وغيرها من المصطلحات المتصلة بالباب. فقد رأينا كيف أن الخلط بين مدلول هذا المصطلح وبين غيره من المصطلحات يؤدي إلى قصور وأخطاء في النتائج الناتجة عن دراسة عصر بعينه. ومن ثم، فهذا يوجب عدة أمور مهمة:

أ - محاكمة العصر بمفهوم أهله: وهذا ما وقع في هذا البحث. ذلك أن الفترة محل الدراسة - وهي فترة الخلافة الراشدة - ألزمت الباحث أن ينظر إليها بنظرة ومنهاج أهل العصر الذي يبحث فيه. وقد ظهر هذا واضحا عند الحديث عن الدوافع التي صار كل من التاريخ والأخبار بموجبها عند المسلمين - حسب مدلولهما لديهم - علما له معالمه الواضحة وخصائصه المميزة له عن غيره من علوم كثيرة أنضجها الإسلام أو أنشأها. وتمثلت أهم هذه الدوافع في: نشأة علم الحديث، ونشأة علم المغازي والسيرة النبوية، ونشأة علم التفسير، ونشأة علوم اللغة، وظهور العصبية القبلية، وانتشار الفتوح وتوسعها، واهتمام الأمراء به، والخلافات السياسية.

ب: دراسة العصر بلسان قومه: ذلك أن اختلاف اللسان لكل عصر^(١)، وتحكيم لسان على آخر يؤدي إلى اختلاف المقدمات، ومن ثم النتائج. وذلك أمر وَصَح كل الوضوح في قضية مصطلح التاريخ بين المسلمين والغرب. مما كان لذلك أثره البالغ في منهج دراسة التاريخ الإسلامي رواية وتفسيرا، حين حَكَمْنَا كثيرا من مناهج الغرب تبعا لذلك الخطأ في الترجمة، فأدت إلى خلل كبير في المنهج وأخطاء عظيمة في النتائج.

ج - التأصيل: وذلك في كل شيء يخص الفترة محل الدراسة، من حيث المصطلحات، والمصادر، والآراء.. ذلك أن اعتماد الوسائط يؤثر كثيرا في النتائج. وقد رأينا كيف أن اعتماد الوسائط قدم نتائج مخرجة في تفسير تاريخ الخلافة الراشدة، عندما اتبع كثير من أصحاب المدرسة الحديثة مناهج واستدلالات المستشرقين في تفسير مواقف الصحابة من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، ومن فتنة مقتل عثمان، وحروب علي رضي الله عنه.

(١) ويدخل في معنى اللسان هنا اللهجات واختلاف مدلولات الألفاظ التي تختلف من عصر لآخر رغم اتحاد اللفظ والكلمة.

د - تحديد الجهة المخاطبة: وهذا أمر في غاية الأهمية، أن يحدد الباحث الجهة التي سيخاطبها في دراسته، لأنه يترتب عليه تحديد المنهج الذي سيتبعه الباحث في دراسته، فضلا عن الأدلة التي سيستعين بها، إذ إن خطاب العقلية المسلمة يختلف عن الملحدة، وخطاب العقلية العربية يختلف عن الأعجمية، وكذلك خطاب العقلية الشيعية يختلف عن السُّنِّيَّة.. ذلك أن التعميم في هذه النظرة يؤدي إلى تفكك الدراسة، وتشتت وجهات صاحبها، وذلك من حيث طبيعة الأدلة، وطريقة الاستدلال، والعرض.. الأمر الذي سيكون له أثره في بنية البحث من حيث القوة والضعف. وهذا أمر لاحظناه بقوة في جانب الدراسات الاستشراقية، إذ كان أصحابها يخاطبون بني جلدتهم في المقام الأول، فكان لذلك تأثيره الواضح في مناهج دراساتهم ونتائجها، تبعا لعقلية المخاطب^(١).

هـ - تحديد النيات: وهذا وإن جعلته آخر العناصر العامة إلا أنه في الحقيقة عمود أمر الباحث المسلم في بحثه الذي سوف يُسأل عنه يوم القيامة، فما من امرئ إلا لديه رقيب عتيد يسطر ما يقوله ويكتبه، وهذا أصل أدرك المسلمون الأول معناه، فأعمالهم كلها كانت عندهم بالنية، بمقتضى قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». والله در البخاري فيما نُقل عنه أنه قال: «ما وضعتُ في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلتُ قبل ذلك وصليت ركعتين»^(٢). ويحكى ابن الجزري عن شيخه ابن كثير وما جرى له من جراء عكوفه على تصنيف كتابه (جامع المسانيد والسنن) فيقول: «أجهد نفسه كثيرا، وتعب فيه تعباً عظيماً، فجاء لا نظير له في العالم، وأكماله إلا بعض مسند أبي هريرة، فإنه مات قبل أن يكمله، فإنه عوجل بكف بصره، وقال لي رحمه الله: لا زلت أكب فيه الليل والسراج ينونص حتى ذهب بصري معه، ولعل الله يقيض له من يكمله، مع أنه سهل، فإن معجم الطبراني الكبير لم يكن فيه شيء من مسند أبي هريرة»^(٣). فلم يحزن ابن كثير على ذهاب بصره ولكن كان حزنه على فوات شيء من تصنيف رأي فيه نفعاً للمسلمين! والأمثلة على ذلك كثيرة.

(١) ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك في تاريخ التصنيف، ما كان من ابن العبري، الذي صنف نسختين من تاريخه في مختصر الدول، نسخة بالسريانية تعصب فيها لأمته وأهل دينه، إذ كان يخاطبهم فيه، ثم صنف نسخة أخرى عربية خاطب بها العرب فحذف منها ما قد يثير ضده اعراب والمسلمين. وانظر في ذلك: التاريخ العربي والمؤرخون، لشاكر مصطفى ٢/ ٤٣٢، ٤٥٥.

(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر ٥/ ٣٤.

(٣) المصعد الأحمدي ٣٩، ٤٠، ومقدمة جامع المسانيد للمحقق ص ٢٤٨.

فالعجب من إهمال كثير المعاصرين لهذا الأمر، فتجد الواحد منهم ينهض للبحث والدراسة في موضوع بعينه، ولمَّا يصلح نيته قبل الخوض في عمله الذي سينهض إليه. وليس من شك أن بُعد هؤلاء عن تلك المعاني الغيبية أداهم إلى ذلك. على الرغم من كونها من أصول دين المرء المسلم. ومن ثم فهذا أمر نؤكد عليه، فإن بركة العمل والانتفاع به إنما تكون بدرجة نية الباحث في عمله.

وبعد هذه المقدمة العامة، أنتقل الآن إلى الخطوط العريضة التي ينبغي أن يسير عليها منهج البحث فيما يخص دراسة التاريخ الإسلامي.

وبعد هذه المقدمة العامة، أنتقل الآن إلى الخطوط العريضة التي سار عليها منهج البحث فيما يخص دراسة التاريخ الإسلامي.

- أولاً: الجمع والتقييس:

وتلك أولى خطوات المنهج في رأيي، لمن أراد الخوض في دراسة تاريخ الإسلام عامة، وعصر الخلافة الراشدة خاصة. إذ إن تراث هذه الأمة في مصادرها ومروياتها جمعت المتناقضات أحياناً، وفيها الغث والسمين. مما يعني وجوب الاستيعاب، من أجل ألا يفوت الباحث شيئاً قد يكون له أهميته في اكتمال صورة بعينها، أو في منهج دراستها من حيث قبول الخبر أو رده من جهة، ومن حيث التفسير من جهة أخرى.

وتلك سنة اتبعها أكثر المتقدمين، حتى ظهرت في مقولة بعضهم: «إذا كتبت فقمّش، وإذا حدثت ففتّش»^(١). ومعناه عندهم كما يقول السخاوي: «يقولون: إذا كتبت فقمّش. أي جَمَعَ ما وجدت. وإذا حدثت ففتّش. أي تثبت عند الرواية»^(٢).

وتتمثل هذه الخطوة في عمليتين اثنتين:

الأول: جمع المصادر والأصول قدر الطاقة: فإن النقص في جمع المصادر قد يؤدي إلى التقصير في بنیان صورة حدث بعينه بفقدان بعض جوانبه.

الثاني: حصر مرويات الخبر على وجه الاستيعاب: وذلك من أجل قيام عملية التمحيص على الوجه الأمثل.

ويدخل هذان الأمران عند أصحاب العصر الذي ندرسه فيما يعرف بجمع الباب. وهو أمر مهم جداً، إهماله سيؤدي إلى نتائج قاصرة، بل أحياناً غير صحيحة. وقد سبق في ذلك قول علي

(١) تاريخ مدينة السلام، للخطيب ١ / ٣٤٤، والجامع لأدب الراوي وأخلاق السامع برقم ١٦٧٠.

(٢) فتح المغيث ٢ / ٤١٩.

بن المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه». وقال عبدالله بن المبارك: «إذا أردت أن يصح لك الحديث فاضرب بعضه ببعض». وقال يحيى بن معين: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه». أي لم يُدرَك موضع الخطأ من الصواب. وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: «كل حديث لا يكون عندي من مائة وجه، فأنا فيه يتيم». يريد طرقه وعلله واختلاف ألفاظه. وقال أبو بكر الخطيب: «السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه. وينظر في اختلاف رواته ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم من الإتقان والضبط». وقال مسلم: «فبجمع هذه الرويات ومقابلة بعضها ببعض يتميز صحيحها من سقيمها». ويقول أحمد شاكر: «والطريق إلى معرفة العلة: جمع طرق الحديث، والنظر في اختلاف رواته، وفي ضبطهم وإتقانهم، فيقع في نفس العالم العارف بهذا الشأن أن الحديث معلول، ويغلب على ظنه، فيحكم بعدم صحته، أو يتردد فيتوقف فيه».

قلت: ذلك أن الاعتماد على مجرد التصديق المطلق للرواية، أو الراوية، أو المصنّف، سيؤدي إلى قبول القول ونقيضه، والشيء وضده. و على أية حال، فإن أهمية هذه الخطوة تتمثل في كونها خطوة سابقة، وسبيلا ممهّدة للخطوة التالية.

- ثانيا: ترتيب الأصول والنصوص:

وتتمثل صورة الترتيب في أمرين اثنين أيضا:

الأول: الترتيب الزمني (التاريخي) للمصادر والروايات: وفي ذلك أهميته، من حيث معرفة أصل الخبر ثم مراحل انتقاله وأطواره ثم انتهائه.

الثاني: الترتيب المكاني (الجغرافي) للمصادر والروايات: إذ إن في ذلك تحديد مسارات الخبر عند انتقاله، ومدى تأثير المكان وأهله في محتواه. فإن لأهل كل مصر اختصاصه أحيانا في مروي بعينه. ناهيك عن أثر أهواء أهله ومذهبهم في الرواية - ومعلوم مدى تأثير الأهواء في بناء الخبر - وهذا أمر لاحظناه فيما يخص مرويات الفتنة عند أهل العراق مثلا دون غيرهم. ولعل فيما سبق من مقولة لسفيان بن عيينة خير معبر عن ذلك حين قال: «من أراد المناسك فعليه بأهل مكة، ومن أراد مواقيت الصلاة، فعليه بأهل المدينة، ومن أراد السّير، فعليه بأهل الشام، ومن أراد شيئا لا يعرف حقه من باطله، فعليه بأهل العراق».

- ثالثا: تصنيف الأصول:

وفي هذا المعترك، وبه تتباين دراسة عن أخرى، وباحث عن آخر. والتقصير فيه خطير. وترجع دقة التصنيف لمدى درجة تمكن الباحث ومهارته في معرفة أحوال الرواة والمصنفين.

ومن ثم، فإن هذا الأمر يتمثل في:

أولاً: معرفة توجهات وميول أصحاب الأصول.

ثانياً: معرفة الجرح والتعديل لرواة الأخبار والنصوص.

وكلاهما أمر أدركه القدماء تمام الإدراك، فيسروا السبيل فيه لمن بعدهم تمام التيسير، بما صنّفوه في هذا الباب من كتب الرجال، والجرح والتعديل. وهذا أمر يشهد له هذا البحث، إذ إنه قام عليه قياماً في كل فصوله ومباحثه. وهو ما فرّق هذه الأمة عن غيرها من الأمم.

- رابعاً: نقد الأصول:

ونقد الأصول يعني التمحيص عن طريق السبر والاعتبار. وهو - أعني الاعتبار والسبر - منهج يقوم على تتبع مرويات الباب الواحد^(١) وجمعه بالاستقراء الكامل قدر الطاقة، ثم سبرها بعرض بعضه على بعض، لكشف مواضع الاتفاق والاختلاف، وبذلك يتم تشخيص الداء الذي يتم التعامل معه وفق قاعدته المصطلح عليها عند أهل هذا الفن.

لذلك كان الاعتبار عندهم ميزان الرواية الذي به يستبين المحفوظ والصحيح والثابت، من الغريب والمنكر والشاذ والباطل والموضوع. وسبيل ذلك عندهم - كما في لسانهم - جمع الباب. وهذا أمر - أعني جمع الباب - سبق توضيحه.

ومظنة تطبيق هذا المنهج في الرواية التاريخية، إنما يكون في أمرين اثنين، إسناد الخبر، ومتمته:

أولاً: نقد الأسانيد: ويكون ذلك وفق المنهج المعترف به عند أهله، وهم هنا أهل الحديث، فهم أصحاب هذا المنهج الدقيق، الذي به نصل به إلى قبول متن الخبر - محل الاستشهاد - أو ردّه. وتحكيم أي منهج آخر غيره لا يقيم دراسة صحيحة بحال، ما دمنا نبحت في حقل الرواية الإسلامية.

ثانياً: نقد المتن: وفيه تعترك العقول والأفهام، إذ إنه يختلف لا شك من باحث لآخر، وذلك تبعاً لمنهجه في دراسة الإسناد، ثم تبعاً لدرجة تحكّمه في أهوائه ونوازعه. وهذا القسم هو مظنة التفسير دائماً للحدث المخبر عنه في هذا المتن أو ذاك.

- خامساً: القراءة المتذوقة، والفهم الصحيح لمقاصد الأصول والنصوص الصحيحة:

ولا شك في أن تذوق النص - أو استبانة ما فيه - بعد ثبوت صحته، لا بد أن يصحبه صحة في الفهم من غير هوى مضل، أو تعصب أعمى. وإلا كان الخلل في النتائج مفعجاً. وهذا أمر

(١) سواء كان هذا الباب يخص موضوعاً بعينه، أو مرويات رجل بعينه.

حاولت جاهدا إقامة البحث عليه فيما يخص تلك الفترة العصبية محل الدراسة نظيرا وتطبيقا. فكان هذا الأمر لهذه الدراسة بمثابة الروح التي كانت تسري بين أبوابه وفصوله ومباحثه. وأهم ما ينبغي أن تتسم به هذا المنهج التشرب التام لروح العصر الذي سيُدْرَس. وسبيل ذلك: دراسة كل ما أفرزه هذا العصر أو ذاك من أعمال تدل عليه. وأقصد بالأعمال هنا كل ما نطق به لسان حال العصر محل الدراسة وقام شاهدا على أهله، بما روته ألسنتهم، وسطرته أيديهم، بل كذلك بما شيدته سواعدهم. وهذا يعني طول انغماس الباحث في الفترة التي سيدرسها حتى يصل إلى درجة التشبع بروح أصحابها.

ذلك أن الكلام المركب من الأحرف، والكلمات، والجمل، تحمل في تركيبها آثار الطبائع والغرائز، والأهواء، والنوازع، التي تنطوي عليها السرائر والضمائر المغيية. ثم هي بعد ذلك تحمل أيضا - كما يقول العلامة محمود شاكر^(١) - فوق ذلك: «ضروبا أخرى من الدلالات الخفية والظاهرة، والكامنة والمنسابة، تدل على هيئة صاحبها، وعلى حركاته عند إنشاء الكلام، وعلى شمائله الظاهرة، وعلى سمته، وعلى صوته، حتى كأنك ترى صاحب الكلام ماثلا أمامك، يشير، أو يتحرك، أو يهمس، أو يصرخ.. مئات لا تعد من السمات الظاهرة والخفية التي يتميز بها متكلم عن متكلم. كل ذلك ممكن أن تراه أو تحسه وهو يطل مُلثَّمًا أو سافرا من خلل الأحرف والكلمات والجمل، مغروسا في حافاتها وحواشيها، بل مغروسا أيضا في معاطف المعاني التي يدل عليها هذا الكلام المركب.. ومعنى ذلك أن الكلام محمّل بدلالات مميزة، تجعل صاحبه متفردا بخصائصه عن سائر إخوانه من البشر المتكلمين».

ولكن ينبغي التنبيه على أن نحترس من الوهم الذي يجعل مجرد مطابقة ما يقوله المرء أو يكتبه لما نعتقده نحن أو نتوهمه، دليل على صدقه. «فهذا باطل أيضا، لأن مخالفته كل المخالفة في الاعتقاد أو التوهم، ممكن أيضا أن يكون فيما قاله صادقا كل الصدق وإن لم يقع كلامه عندنا موقع الرضا والقبول والتسليم. فلم يبق إلا طريق واحد: أن يكون الكلام المركب من الأحرف والكلمات والجمل والتراكيب، وما تؤدي إليه من المعاني، كلها حاملا لآثار عالقة في جميعها، أستطيع أنا أو أنت بالاعتقاد على التذوق.. أن نحسه إحساسا ما»^(٢).

(١) انظر فيما يأتي: جبهة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، (المتنبي ليتني ما عرفته) ١١٦٢/٢، ١١٧٠. وفي كل كتب الشيخ (رحمه الله) إبانة عن هذا المنهج، منهج التذوق، إذ كان هو محييه في هذا الزمان، وخير من عبّر عنه. وقد كانت استفادتي من هذا المنهج عظيمة فيما يخص نقد المتون والنصوص. والتمكن من هذا المنهج يحتاج من الباحث صبرا وممارسة وطول زمان، إذ إنه ليس بالأمر الهين. وتكمن صعوبته في مواجهته الدائمة مع عدوه اللدود، الأهواء.

(٢) جبهة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ١١٧٢/٢.

وهذه الحاسة في التذوق والاستبانة أثبتتها علماء الإنسان في الحَطُّ، والنحت، والتصوير، والموسيقى.. فهل يمكن «أن يكون الحَطُّ وسائر الفنون الدنيا من نحت وتصوير وموسيقى جميعا، قادرا على حمل آثار العواطف والأخلاق والشمائل، ثم لا تكون الأحرف والكلمات والجمل والتراكيب والمعاني التي تقيد بالحط، وهي الدالة على الفن الأعلى المتفرد بالسمو على سائر الفنون: الشعر والنثر والكتابة، غير قادرة على حمل هذه الآثار نفسها؟ أمكن هذا؟ كلا، هي على ذلك أقدر وأثبت وأقوم وأصدق شهادة. هي (الوثيقة الجامعة)، التي تميز إنسانا من إنسان.. وعليها تنعكس صور حياته كلها ظاهرة وباطنة»^(١).

فالتذوق إذن هو الطريق إلى بعث هذه الصور، وإلى استنطاقها، وإلى حل رموزها المعقدة. ثم هو بعد ذلك معنى عام مشترك الدلالة بين الناس جميعا، إلا أنه متفاوت بينهم، فهو «يقل ويكثر، ويعلو ويسفل، ويصقل ويصدأ، ويجود ويفسد»^(٢). من أجل ذلك تتباين التفسيرات وتختلف للنص الواحد، تبعا لاختلاف تلك القدرات والملكات.

- سادسا: الترجيح والتعليل:

وأعني بالترجيح والتعليل: التفسير والحكم على الحوادث. وهي - ما دنا نبحت في التاريخ الإسلامي - ينبغي أن تتم وفق ضوابط وشروط، من أهمها:

أولا: الوعي السليم والإدراك التام بطبيعة العهد المؤرَّخ له: سواء كان سياسيا، أو اجتماعيا، أو حضاريا.. وقد كان هذا هو السبب الأول في أخطاء المستشرقين المتكررة في دراسة تاريخ المسلمين، وهو عدم الإمام الكامل بطبيعة العصر الذي يؤرخون له أو يفسرون حوادثه. فدرسوه بمقتضى حضارتهم هم، فرأينا التفسير المادي، والثيوقراطي، والعلماني، لأمة لم تعرف ذلك في تراثها. فرأينا كيف جعلوا من أبي بكر وعمر غاصبين للسلطة مستبدين بها. وكيف جعلوا من قتال علي مع الصحابة كذلك صراعا على السلطة والنفوذ. وكانوا من قبل قد جعلوا من أسباب فتوح المسلمين في الأرض البحث عن الموارد، والأموال.

ثانيا: دراسة ثقافة ومعارف العصر المؤرَّخ له: وهذا هو أهم شيء حاولت تقديمه في هذه الدراسة، وهو دراسة العصر الذي أبحث فيه وفق ثقافته، وعقلية أهله، وليس وفق ثقافتنا نحن. فكانت محاكمتهم إلى مناهجهم ومعارفهم هو الأصل عندي، وذلك حتى لا أكون لهم ظلما، إذا حاكمتهم إلى منهجي العلمي المعاصر، أو إلى أي منهاج آخر لعصر آخر. وهذا ما يوجد لدينا

(١) المرجع نفسه ٢ / ١١٧٤.

(٢) المرجع نفسه ٢ / ١١٧٤، ١١٧٦.

الآن في جامعاتنا حين يُنقد البحث التاريخي لعصر الدولة الإسلامية الأولى إذا قام على منهج حديثي مثلا في دراسة مرويات ذلك العصر بأن ذلك ليس من خصائص المناهج العلمية لأقسام التاريخ في العصر الراهن. الأمر الذي أدى إلى خلل كبير في نتائج الدراسات المعاصرة وأحكامها عن هذا العصر الأول الذي اعتمد الرواية أصلا في توثيق حوادثه. ولم يترك الأمر حتى وضع لنفسه ضوابط لهذه الرواية ليحتكم إليها ويحاكم بها عند الخلاف أو النزاع، فتركنا ذلك وحاكمناهم إلى مناهج أخرى فظلموا.

ثالثا: صحة التصور عن الخالق والكون والإنسان: سبق أن تفسير التاريخ في الإسلام يقوم على ثلاثة أركان، هي: الخالق ﷻ، ثم الكون، والإنسان. وأي إفراط أو تفريط في إدراك أيٍّ من هذه الأركان والعلاقة بينها، يؤدي إلى الانحراف حتما عن المنهاج الإسلامي الأصيل في تفسير التاريخ. وهذا ما وقع فيه أصحاب المذاهب الأخرى التي خالفت المنهج الإسلامي في تفسير حركة التاريخ الإنساني. حين أنكروا دور الوحي والعوامل الغيبية، وتطرفوا في اعتبار العوامل المادية.

رابعا الفهم الصحيح للعلاقة الرابطة بينهم: وتتمثل هذه العلاقة في الجمع بين عاملي الروح والمادة في عالمين لا ينفك أحدهما عن الآخر في مجال عملية التفسير، هما عالم الغيب والشهادة. والتقليل من قيمة هذا الأمر في بعض الدراسات المعاصرة يكشف لنا مدى الظلم الذي تعرض له هذا المنهاج الإسلامي لعملية التفسير حين تحكمت فيه مناهج الفلسفة الغربية الحديثة. ذلك أن إنكارهم لعامل الروح، وعالم الغيب أدى إلى تفرغ هذا المنهاج الإسلامي من مضمونه، فصار لا معنى له، إذ أصبح قشرا فُرغ من لبابه. وفي المقابل، أدى إفراطهم في عامل المادة، وعالم الشهادة إلى قصور النتائج ونسبيتها تبعا لاختلاف كل عقل.

خامسا: الإيمان بالغيب وأثره في توجيه التاريخ: وسبق أن الغيب هو: ما أُخبر عنه ولم يُر. ومن أهم معاني الغيب، وجود الله تعالى والملائكة، والجن والشياطين.. وحقائق الغيب لا يمكن مناقشة أسبابها عقليا أو منطقيا، وإنما يُنظر فيها كما هي، وليس للعقل تجاهها إلا محاولة الاستفادة منها كما هي عن طريق ربط المسببات بأسبابها، والاجتهاد في فهمها والتفقه فيها قدر الاستطاعة. وسبب ذلك هو قصور العقل البشري عن إدراك ذلك الغيب بكل جوانبه. وفي تكليفه بالبحث عن تلك الغيبات أمر لا يطيقه الإنسان، ولا يمكن لعقله أن يحيط به.

ومن ثم، فواجب على المؤرخ أو مفسر التاريخ - ما دام يبحث في تاريخ الإسلام - أن يعتبر أثر الغيب في حركة التاريخ إذا ثبت أثره، ولا يقتصر على مجرد العوامل المشهودة، وإلا فبم يفسر نبوة محمد ﷺ؟ وانتصار أهل بدر على مَنْ هم أكثر منهم عددا وعتادا! وحركة الفتوح

الإسلامية! ومثل ذلك كثير في تاريخ البشرية. وإهمال ذلك سيؤدي إلى خلل عظيم وفساد كبير في عملية التأريخ وتفسيره، وهو ما وقع لأصحاب المذاهب الوضعية ومن تبعهم. فهم قد فسروا الأولى بالعبرية! والثانية بالإرادة! والثالثة برغبة التوسع وجلب المال! وهذا يخالف المنهج الإسلامي في التفسير جملة وتفصيلاً، وصاحب ذلك على خطر عظيم، إن كان مسلماً.

سادساً: الإيمان بالسنن الإلهية وأثرها في مسيرة التاريخ: ذكرتُ من قبل أن الكون كله مقيد بسننه جل شأنه وحكمته فيها. وإلا لفسدت السموات الأرض أن ترك كُلاً يعمل بهواه. ومما ذكرته في هذا الباب أيضاً أن المشيئة الإلهية تأتي على رأس العوامل الغيبية المحركة للتاريخ كله، الإنساني والكوني على السواء. فهي التي تُسَيِّر الكون وفق سننه ﷻ وأسبابها ومُسَبِّباتها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]. وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. وهذا لا ينافي حرية الإنسان وأن له مشيئة، فقد قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. فقد جعل الله تعالى للإنسان حرية ومشية، إلا أنه قيدها بمشيئته وإذنه ﷻ، إن شاء أنفذها، وإن شاء منعها، فقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩].

سابعاً: وجوب التفريق بين أخطاء البشر وأحكام الشرع: ذلك أن الخلط في هذا الشأن يؤدي بالباحث في تاريخ الإسلام إلى نتائج مغلوطة. ومن أخطر هذه الأغاليط قول بعضهم: «إن هناك فرقاً بين الإسلام والمسلمين، وأن الإسلام يحكم على المسلمين، ولا يحكم المسلمون على الإسلام». فإن غاية ما يبغيه أصحاب هذا القول أن الإسلام منهاج رباني سماوي، مثالي، ينوء البشر بتطبيقه، وتقعدهم نوازعهم وشهواتهم عن القيام به، والسمو إلى ما يدعوه له ويرمي إليه^(١)!

ومن ثم، فليس لبشر عصمة من الخطأ، حتى وإن كان من الصحابة. ولكن أهم ما ينبغي البحث عنه هو نوع الخطأ، هل هو عن عمد، أم عن خطأ لتأويل مجتهد. وفرق بين الأمرين. فهم وإن اجتهدوا فأخطأوا، فإن الإسلام - وإن آجرهم - براءً من هذا الخطأ، ذلك أنه آجرهم على اجتهدهم لا على خطأهم. فالخطأ كل الخطأ، قياس الإسلام بالبشر، ولكن الصواب خلاف ذلك، أن يقاس البشر بالإسلام. وذكرنا من قبل قول بعضهم: «إن الحق لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله».

(١) عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص ٥٦.

وسبب هذا الخلط عند الكثيرين أنهم ظنوا أن الشريعة جاءت لإنشاء المدينة الفاضلة التي طال بحث الفلاسفة عنها. وهذا أمر غير متحقق ما دمنا في الدنيا، إذ إن ذلك من خصائص دار الخلود يوم القيامة. فالحق إذن أن الشريعة إنما أنزلت لتنظيم علاقة هذا الإنسان على ما فيه - من قصور لن ينفك عنه مهما كانت صفته - من ضعف وظلم، وجهالة بنفسه، وبخالقه، وبالكون المحيط به في هذه الدار الفانية، دار الابتلاء.

أما عن أهم التوصيات: فإن كثيرا من الباحثين المعاصرين يرى أن تلك الفترة التي تناولتها هذه الدراسة أُشبعَت بحثًا، حتى لم تعد الدراسات فيها إلا اجترارا. وفي رأبي أن تلك الفترة لا تزال في حاجة ماسة إلى دراسات موسعة تجلي جوانب كثيرة من معالمها السياسية، والحضارية، والاجتماعية والفكرية.. إذ إن كل ما قدمته تلك الدراسة إنما هو نماذج فقط لبعض نواحي الجانب السياسي لهذا العصر، في حين بقيت جوانب أخرى ما زالت في حاجة إلى دراسة وتمحيص، ولكن وفق هذا المنهاج العسر الذي أُتبِع في هذه الدراسة. ذلك أن كثيرا من الدراسات المعاصرة لتلك الفترة أراها تتسم بكثير من السطحية، وذلك تبعا للمناهج التي اتبعتها تلك الدراسات وتتسم بالقصور والضعف، وما ذلك إلا بسبب إغراض أصحابها عن مناهج النقد المعتبرة في دراسة مرويات وأخبار ذلك العصر.

بيد أن أهم تلك الجوانب التي أراها في حاجة إلى إعادة بحث ونظر في تلك الفترة، هي تلك الجوانب الاجتماعية والحضارية لهذا العصر الذي ظلم وشوّه كثيرا بسبب اعتماد دارسيه على تلك المناهج القاصرة السابق الإشارة إليها، ومن أوجه قصورها ابتعادها عن مظان مهمة ومصادر أصيلة، كمصادر السنن، والحديث، والأدب، والشعر.. فكم تحوي هذه المصادر من معلومات مهمة لا تقل في أهميتها عن المصادر التاريخية المشهورة.

وما سلف ذكره يؤدي بنا إلى التوصية بوجوب اعتماد مناهج النقد الحديثية والمختصة بعلوم الرواية - من مصطلح، وجرح وتعديل - في مجال الدراسات التاريخية، ومن ثم فإني أهيب بكليات وأقسام العلوم الإنسانية أن تعتمد هذه العلوم - علوم الرواية - في موادها المقررة على طلابها، تماما كما تفرض عليهم اللغات الأجنبية. ذلك أن مجرد اعتمادهم على اجتهادات غيرهم وتقليدهم في الحكم على الروايات في هذا الميدان، ميدان التاريخ والأخبار، يؤدي إلى نسبية النتائج تبعا لاختلاف علم كل مرويّ بعينه. في حين أن اجتهاد كل باحث في تعلم هذه العلوم واعتمادها منهاجا أصيلا في النقد لمرويات علمه الذي يدرسه، ستؤدي إلى نتائج أقرب إلى اليقينية في كثير من القضايا التاريخية المحيِّرة.

مطلق

**بما صح عندي من المرويات
المتصلة بالنماذج محل الدراسة
من عصر الخلافة الراشدة**

مرويات هذا الملحق هي التي اعتبرتها الميزان لفصول الرسالة التطبيقية الثلاثة، وهي ما كنت أطلقت عليه في المقدمة (مرويات الباب). وقد أردت من إثبات هذا الملحق هنا جمع شتات ما صح عندي من مرويات تخص النماذج محل الدراسة نُثرت هنا وهناك في ثنايا البحث، فضلا عن مرويات أخرى صحت ولم تُذكر، فأردت أن أقيدها هنا لعلها تفيد الباحثين في هذا العصر من حيث مضمونها، أو من حيث المنهاج الذي أُتبع في تحريرها ودراستها، وهو منهاج جمع الباب السابق الكلام عنه.

استخلاف أبي بكر رضي الله عنه

أ. هل أوصى النبي ﷺ لأحد من بعده؟

والصحيح الراجح الذي لا مرية فيه عندي أن النبي ﷺ مات ولم يعهد من بعده لأحد^(١). هذا ما دل عليه جمع الباب ونقده وتمحيصه. وهي تلك المرويات التي تدور - بعد دراستها وتمحيصها - في دائرة الاحتجاج والقبول وفقا لمنهاج أهل السنة فيها، وهي نحو إحدى عشرة رواية - من غير الطرق التي تتبع بعضها - يمكن تقسيمها بدورها كالاتي:

أولاً: ما جاء في أن النبي ﷺ مات ولم يستخلف:

١. رواية عمر بن الخطاب: رواها عبد الرزاق^(٢) - ومن طريقه أحمد^(٣)، ومسلم^(٤)، وأبو داود^(٥)، والترمذي^(٦)، والبخاري^(٧)، والبزار^(٨) - عن معمر، عن الزهري عن سالم عن ابن عمر. ورواها أحمد^(٩)، والبخاري^(٩)، ومسلم^(١٠)، وأبو يعلى^(١١)، وابن حبان^(١٢)، والبيهقي^(١٣) من طريق هشام بن عروة، عن

(١) اللهم إلا إشارات أشار بها النبي ﷺ أظهرت رغبته، ولكن لما لم ينزل في هذا الأمر وحي أعرض عن التصريح بذلك تاركا إياه للمسلمين يقضي الله فيهم ما يشاء.

(٢) المصنف ٥/٤٤٨.

(٣) المسند ١/٤٧.

(٤) صحيحه برقم ١٨٢٣.

(٥) السنن برقم ٢٩٣٢.

(٦) الجامع برقم ٢٢٢٥.

(٧) مسنده برقم ١٠٦.

(٨) المسند ١/٤٣.

(٩) صحيحه برقم ٧٢١٨.

(١٠) صحيحه برقم ١٨٢٣.

(١١) مسنده برقم ٢٠٦.

(١٢) صحيحه برقم ٤٤٧٨.

(١٣) السنن الكبرى ٨/١٤٨.

أبيه، عن عبد الله بن عمر قال^(١):

قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر. وإن أترك، فقد ترك من هو خير مني: رسول الله ﷺ.

قلت: وفي الباب عن عمر أيضا ما رواه الطيالسي^(٢)، وابن سعد^(٣)، وأحمد^(٤)، بإسناد صحيح من طريق داود بن عبد الله الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري حدثنا ابن عباس، بالبصرة، قال:

أنا أول من أتى عمر حين طعن، فقال: احفظ عني ثلاثا، فإني أخاف أن لا يدركني الناس: أما أنا فلم أقض في الكلاله قضاء. ولم أستخلف على الناس خليفة. وكل مملوك له عتيق. فقال له الناس: استخلف. فقال: أي ذلك أفعل فقد فعله من هو خير مني، إن أدع إلى الناس أمرهم، فقد تركه نبي الله عليه الصلاة والسلام، وإن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني: أبو بكر.

٢. رواية علي بن أبي طالب:

أ- طريق أبي الطفيل عنه: رواه ابن أبي شيبة^(٥)، وأحمد^(٦)، ومسلم^(٧)، والنسائي^(٨)، والبيهقي^(٩)، من طريق منصور بن حيان حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة قال^(١٠):

كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل فقال: ما كان النبي ﷺ يُسرّ إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي ﷺ يُسرّ إليّ شيئا يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع. قال فقال ما هن يا أمير المؤمنين قال: قال: لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غيّر منار الأرض.

ورواه أحمد^(١١)، والبخاري في الأدب المفرد^(١٢)، ومسلم^(١٣)، وأبو يعلى^(١٤)، وابن

(١) المتن متن البخاري.

(٢) مسنده برقم ٢٦.

(٣) الطبقات ٣/٣٢٧.

(٤) المسند ١/٤٦.

(٥) المصنف برقم ٢٢٤٤٩.

(٦) مسنده ١/١٠٨.

(٧) صحيحه برقم ١٩٧٨ (٤٣، ٤٤).

(٨) السنن ٧/٢٣٢.

(٩) السنن الكبرى ٦/٩٩.

(١٠) المتن متن مسلم.

(١١) المسند ١/١١٨.

(١٢) الأدب المفرد برقم ١٧.

(١٣) صحيحه برقم ١٩٧٨ (٤٥).

(١٤) مسنده برقم ٦٠٢.

حبان^(١)، من طريق شعبة عن القاسم بن أبي بزة يحدث عن أبي الطفيل بلفظ:

سئل عليّ: أخصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا. قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً».

ب- طريق سفيان الثوري بإسناده إلى عليّ: رواها نعيم بن حماد^(٢)، وأحمد^(٣)، وابن أبي عاصم^(٤)، والنسائي في مسند علي^(٥)، والعقيلي^(٦)، واللالكائي^(٧)، والبيهقي^(٨)، والخطيب^(٩)، وابن عساكر^(١٠)، والضياء المقدسي^(١١)، والدارقطني^(١٢): من طريق سفيان الثوري بطرق إلى عليّ ﷺ أنه قال يوم الجمل:

إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استخلف عمر رحمة الله، على عمر، فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه^(١٣).

وهو حديث مضطرب الإسناد من بعد الثوري، تكلم الدارقطني عليه وطرقه ثم قال: «والثوري رحمه الله كان يضطرب فيه ولم يثبت إسناده»^(١٤). قلت: والثوري وإن لم يضبط إسناده، إلا أن متنه عندي ليس باطلاً، فليس في الباب ما يرد معناه، بل يتسق معه ويُعضد به.

٣. رواية عمار بن ياسر: رواها عبد الله بن المبارك^(١٥)، والطيالسي^(١٦)،

(١) صحيحه برقم ٥٨٩٦.

(٢) الفتن برقم ١٩٧.

(٣) مسنده ١/١١٤، وفي الفضائل برقم ٤٧٧.

(٤) السنة برقم ١٢١٨.

(٥) انظر تهذيب الكمال ٢٤/٩٢، ٩٣.

(٦) الضعفاء ١/٤٧٦.

(٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم ٢٥٢٧.

(٨) دلائل النبوة ٧/٢٢٣.

(٩) تاريخ بغداد ٣/١٦٤ (٤/٢٧٦ ط بشار)، والفوائد المنتخبة برقم ٨.

(١٠) تاريخ دمشق ٣٠/٢٩١-٢٩٣.

(١١) الأحاديث المختارة برقمي ٤٧٠، ٤٧١.

(١٢) العلل ٤/٨٦-٨٨.

(١٣) وراجع الحاكم ٣/١٠٤.

(١٤) انظر: العلل للدارقطني ٤/٨٣-٨٨، والعلل لابن أبي حاتم برقم ٢٦٣٨، وتاريخ مدينة السلام ٤/٢٧٥.

(١٥) مسنده برقم ٢٥١.

(١٦) مسنده برقم ٦٨٣.

وأحمد^(١)، ومسلم^(٢)، وابن أبي عاصم^(٣)، والبخاري^(٤)، وأبو يعلى^(٥)، والبيهقي^(٦)، من طريق أبي نضرة عن قيس بن عباد قال قلت لعمار^(٧):

أرأيتم صنعكم هذا الذي صنعتم في أمر علي، أرايأ رأيتموه؟ أو شيئاً عهدته إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهد به إلى الناس كافة.

٤. رواية عبد الله بن عباس^(٨): رواها عبد الرزاق^(٩)، وابن هشام^(١٠)، وأحمد^(١١)، والبخاري^(١٢)، والبيهقي^(١٣)، وابن عساکر^(١٤)، من طريق الزهري قال: أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري أن عبد الله بن عباس أخبره^(١٥):

أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإنى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله ﷺ فممنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإنى والله لا أسأله رسول الله ﷺ^(١٦).

زاد عبد الرزاق قوله^(١٧):

(١) المسند ٤/ ٣٢٠، ٢٦٢، ٢٦٣، ٥/ ٣٩٠.

(٢) صحيحه برقم ٢٧٧٩.

(٣) الآحاد والمثاني برقم ١٢٧٠.

(٤) مسند برقم ٢٧٨٨.

(٥) مسنده برقم ١٦١٦.

(٦) السنن الكبرى ٨/ ١٩٨.

(٧) المتن متن مسلم.

(٨) راجع في شبه هذه الرواية الطبقات لابن سعد ٢/ ٢١٦ آخر فقرة.

(٩) المصنف ٥/ ٤٣٥، وفي أماليه برقم ٣.

(١٠) السيرة النبوية من طريق ابن إسحاق ٢/ ٦٥٤.

(١١) المسند ١/ ٢٦٣.

(١٢) صحيحه برقمي ٤٤٤٧، ٦٢٦٦.

(١٣) السنن الكبرى ٨/ ١٤٩، ودلائل النبوة ٧/ ٢٢٣.

(١٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٢٣، ٤٢٤.

(١٥) المتن متن البخاري.

(١٦) ذكر البيهقي عقب رواية هذا الخبر في السنن أن فيه دلالة على "أن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً بالنص عليه".

(١٧) راجع من الإحالات السابقة: أماليه، ودلائل النبوة، وتاريخ دمشق. وفي هذا دلالة قاطعة على عدم وصية النبي ﷺ لعلي قبل موته، وتواتر هذا الأمر حتى عصر عبد الرزاق (ت ٢١١هـ) على الرغم من تشيع فيه.

فكان معمر يقول لنا أيها كان أصوب عندكم رأياً؟ فنقول العباس. فيأبى، ثم قال: لو أن علياً سأله عنها فأعطاه أيها فمنعه الناس كانوا قد كفروا. قال عبد الرزاق: فحدثت به ابن عيينة فقال: قال الشعبي: لو أن علياً سأله عنها كان خيراً له من ماله وولده.

وفي باب هذا الخبر ما رواه ابن سعد^(١)، وأبو الطاهر الذهلي^(٢) - ومن طريقه ابن عساكر^(٣) - من طريق عثمان بن البيان بن هارون المكي، عن أبي بكر بن أبي عون، عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن جده، قال: سمعت علياً بالكوفة يقول:

يا ليتني كنت أطعت عباساً، يا ليتني كنت أطعت عباساً، قال: قال العباس: اذهب بنا إلى رسول الله فإن كان هذا الأمر فينا وإلا أوصى بنا الناس، قال: فأتوا النبي ﷺ، فسمعوه يقول: لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قال: فخرجوا من عنده ولم يقولوا له شيئاً.

٥. رواية عبد الله بن أبي أوفى: رواها ابن سعد^(٤)، وأحمد^(٥)، والبخاري^(٦)، ومسلم^(٧)، والترمذي^(٨)، وابن ماجه^(٩)، والنسائي^(١٠)، وأبو عوانة^(١١)، وابن حبان^(١٢)، والبيهقي^(١٣) من طريق مالك بن مغول عن طلحة قال^(١٤):

سألت عبد الله بن أبي أوفى - رضى الله عنهما - أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا. فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أمروا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله. قلت لعبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ بشيء؟ قال: لا. قلت: فكيف أمر المسلمين بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله عز وجل. قال مالك بن مغول: قال طلحة: وقال الهزيل بن شرحبيل^(١٥): أبو بكر ﷺ كان يتأمر على وصي رسول الله ﷺ! ود أبو بكر ﷺ أنه وجد مع رسول الله ﷺ عهداً فخزم أنفه بخزام.

(١) الطبقات ٤/ ٢٥.

(٢) قاله ابن حجر وعزاه إليه في فوائده، وحكى جودة إسناده. (فتح الباري ٩/ ٦٠٨).

(٣) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٢٦.

(٤) الطبقات ٢/ ٢٢٨، ٣/ ١٦٧.

(٥) مسنده ٤/ ٣٥٤، ٣٨١، ٣٨٢.

(٦) صحيحه بأرقام ٢٧٤٠، ٤٤٦٠، ٥٠٢٢.

(٧) صحيحه برقم ١٦٣٤.

(٨) الجامع برقم ٢١١٩.

(٩) السنن برقم ٢٦٩٦.

(١٠) السنن ٦/ ٢٤٠.

(١١) مسنده برقم ٥٧٥٣.

(١٢) صحيحه برقم ٦٠٢٣.

(١٣) السنن الكبرى ٦/ ٢٦٦.

(١٤) المتن متن أحمد.

(١٥) هو: هزيل بن شرحبيل الأودي الكوفي، من ثقات أهل الكوفة، روى عن عبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري وغيرهما، توفي سنة ٨٢هـ. انظر: تاريخ خليفة ص ٢٨٨، وتهذيب الكمال ٣٠/ ١٧٢.

٦. روايات عائشة:

أ- طريق مسروق عنها: رواه ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبة^(٢)، وأحمد^(٣)، ومسلم^(٤)، وأبو داود^(٥)، وابن ماجه^(٦)، والنسائي^(٧)، والبيهقي^(٨)، من طريق الأعمش، عن شقيق، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشيء.

ب- طريق الأسود عنها: رواها ابن سعد^(٩)، وأحمد^(١٠)، والبخاري^(١١)، والنسائي^(١٢)، وابن حبان^(١٣)، والبيهقي^(١٤)، من طريق إبراهيم عن الأسود قال:

ذكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: مَنْ قاله! لقد رأيت النبي ﷺ وإنى لمسنته إلى صدرى، فدعا بالطست فانخث فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟!

ت- طريق ابن أبي مليكة عنها: رواها ابن سعد^(١٥)، وأحمد^(١٦)، ومسلم^(١٧)، والنسائي^(١٨) من طريق جعفر بن عون عن أبي عميس عتبة بن عبد الله عن ابن أبي مليكة قال:

سمعت عائشة وسئلت: مَنْ كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم مَنْ بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: مَنْ بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. ثم انتهت إلى هذا.

(١) الطبقات ٢/٢٢٨.

(٢) المصنف برقم ٣١٥٨٥.

(٣) المسند ٦/٤٤.

(٤) صحيحه برقم ١٦٣٥.

(٥) السنن برقم.

(٦) السنن برقم ٢٦٩٥.

(٧) السنن ٦/٢٤٠.

(٨) السنن الكبرى ٦/٢٦٦.

(٩) الطبقات ٢/٢٢٨.

(١٠) المسند ٦/٣٢.

(١١) صحيحه برقمي ٢٧٤١، ٤٤٥٩.

(١٢) السنن ١/٣٢.

(١٣) صحيحه برقم ٦٦٠٣.

(١٤) السنن الكبرى ١/٩٩.

(١٥) الطبقات ٣/١٦٥.

(١٦) فضائل الصحابة برقم ٢٠٤.

(١٧) صحيحه برقم ٢٣٨٥.

(١٨) السنن الكبرى برقم ٨١٤٥.

ورواه أحمد^(١)، والخلال^(٢)، والطبراني^(٣)، والحاكم^(٤)، من طريق وكيع عن أبي عميس عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت^(٥):

قبض رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحداً، ولو كان مستخلفاً أحداً لاستخلف أبا بكر أو عمر.

هذا خبر صحيح بهذا المتن موقوفاً.

ث - طريق القاسم بن محمد عنها: رواها البخاري^(٦) - ومن طريقه البغوي^(٧) - وأبو عوانة^(٨)، والخطيب^(٩)، والبيهقي^(١٠)، من طريق يحيى بن يحيى النيسابوري، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنها^(١١):

وارأساه. فقال رسول الله ﷺ: ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك. فقالت عائشة: وأثكلياه، والله إنى لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك. فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر

(١) المسند ٦/٦٣.

(٢) السنة برقم ٣٣٠.

(٣) المعجم الأوسط برقم ٧٠٥٧.

(٤) المستدرک ٣/٧٨.

(٥) المتن متن أحمد.

(٦) صحيحه برقمي ٥٦٦٦، ٧٢١٧.

(٧) شرح السنة برقم ١٤١١.

(٨) انظر زوائد مستخرجه في تحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة لابن حجر برقم ٢٢٦٥١. عن أحمد بن إبراهيم أبو علي القُهُسْتاني، ثنا يحيى بن يحيى - وقع في المطبوع: يحيى بن حمزة وهو خطأ فإن أحمد بن إبراهيم (انظر ترجمته في تاريخ مدينة السلام ٥/١٥) إنما روى عن يحيى بن يحيى فضلاً عن هذا الحديث إنما هو ليحيى بن يحيى - ثنا سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عنه، به.

(٩) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية برقمي ١٢٦٤، ١٢٦٥. وقد ضربه الخطيب بعض طرق هذا الحديث إلى القاسم مثلاً على صيغ الاتصال والإرسال، فمَثَّل للاتصال بطريق "يحيى بن يحيى، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد عن عائشة". ثم مثل للإرسال بطريق "يحيى بن يحيى، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة". قلت والأخير هو إسناد البخاري، ولا أراه كما رآه الخطيب، ذلك أننا لو وافقناه على ذلك لاتهمنا البخاري بضعف طريقه للانقطاع، وليس ذلك من شرطه في صحيحه، فلا ريب أنه حمل هذا الإسناد على الاتصال. ويعضد من ذلك صحة هذا الإسناد إلى القاسم، والقاسم - كما قال سفيان بن عيينة - من أعلم الناس بحديث عائشة (الجرح والتعديل ٧/١١٨)، وما ينبغي له أن يجزم بقوله (قالت) إلا وقد قالت، خاصة وأن القاسم كان ممن يهتمون برواية الحديث على حروفه (العلل لأحمد برقم ٢٢٠٦).

(١٠) السنن الكبرى ٣/٣٧٨، وفي الدلائل ٧/١٦٨.

(١١) المتن متن البخاري.

وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون. ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

فهذا خبر صحيح عرف به يحيى بن يحيى النيسابوري فلم يصح بهذا اللفظ^(١) إلا من طريقه، حتى حُكي تفرده بإسناده. قال ابن حجر: «ويقال إنه^(٢) تفرد بهذا الإسناد وإن أحمد كان يتمنى لو أمكنه الخروج إلى نيسابور لسمع منه هذا الحديث»^(٣).

والواضح من تحقيق هذه الرواية، أن العهد فيها مطلق من غير تقييد بأبي بكر كما فهم بعض المتأخرين، وإلا صار ابن أبي بكر مشاركا في هذا العهد أيضا وهذا محال طبعاً. ولكن ما يفهم من الرواية أن النبي ﷺ أراد أن يكتب عهداً في حضور أبي بكر وابنه، أي كان العهد، سواء كان لأبي بكر، أو لغيره، في الخلافة من بعده، أو في شأن آخر. المهم أنه لم ينص على شيء في هذه الرواية لأحد.

٧. رواية عمر بن علي وحسين بن علي: رواها ابن سعد^(٤)، ومحمد بن عاصم الثقفي^(٥)، وابن عساكر^(٦)، والمزي^(٧)، من طريق شبابة بن سوار قال أخبرنا فضيل بن مرزوق قال^(٨): سألت عمر ابن علي^(٩) وحسين بن علي^(١٠) عمي جعفر قلت:

هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ذلك؟ ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية؟ فقالوا: لا والله ما هذا فينا. من قال هذا فينا فهو كذاب. قال: فقلت لعمر بن علي: رحمك الله، إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي إن النبي ﷺ أوصى إليه، ثم كانت للحسن إن علياً أوصى إليه، ثم كانت للحسين إن الحسن أوصى إليه، ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسين أوصى إليه، ثم كانت لمحمد بن علي إن علياً أوصى إليه. فقال: والله لمات أبي فما أوصى^(١١) بحرفين، قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متأكلون بنا، هذا خنيس الحرّ، ما

(١) بإطلاق العهد من غير تخصيص.

(٢) يعني يحيى بن يحيى.

(٣) فتح الباري ١٣/٤٠.

(٤) الطبقات ٧/٣١٩.

(٥) جزء محمد بن عاصم الثقفي برقم ٤١.

(٦) تاريخ دمشق ٤١/٣٩٣.

(٧) تهذيب الكمال ٢٠/٣٩٥، ٣٩٦.

(٨) المتن متن ابن سعد.

(٩) هو: عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني وهو عمر بن علي الأصغر. نقل المزي أنه كان يفضل في ولد الحسين وكان كثير العبادة والاجتهاد. وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة. انظر: الطبقات لابن سعد ٧/٣١٨، وتهذيب الكمال ٢١/٤٦٦.

(١٠) هو: حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخو عمر، قال ابن حبان: من جلة أهل البيت وسادات أهل المدينة مات بها. وذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة. انظر: الطبقات لابن سعد ٧/٣٢١، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٥٦.

(١١) في متن ابن عاصم: «فما أوصاني».

خنيس الخرؤ؟ قال: قلت: المعلى بن خنيس؟! قال نعم المعلى بن خنيس، والله لفكرت على فراشي طويلا أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم المعلى بن خنيس.

هذا إسناد جيد يصححه ويقويه تشيع فضيل بن مرزوق، فهو كما قال يحيى بن معين: صالح الحديث، ولكنه شديد التشيع^(١).

٨. رواية الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: رواها ابن سعد^(٢)، ومحمد بن عاصم الثقفي^(٣)، وابن عساكر^(٤)، والمزي^(٥)، من طريق شابة بن سوار قال أخبرنا فضيل بن مرزوق قال: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل ممن يغلو فيهم:

ويحكم! أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. قال: فقال له رجل: إنكم قرابة رسول الله وأهل بيته. فقال: ويحك! لو كان الله مانعا بقرابة من رسول الله أحدا بغير طاعة الله لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أبا وأما. والله، إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وإني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. ويلكم، اتقوا الله وقولوا فينا الحق، فإنه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم. ثم قال: لقد أساء بنا أبأؤنا إن كان هذا الذي تقولون من دين الله ثم لم يُطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه. قال: فقال له الرافضي: ألم يقل رسول الله عليه السلام لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه^(٦). فقال أما والله أن لو يعني بذلك الإمرة والسلطان، لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم أيها الناس هذا وليكم من بعدي. فإن أنصح الناس كان للناس رسول الله ﷺ، ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختاروا علياً لهذا الأمر والقيام بعد النبي عليه السلام، إن كان لأعظم الناس في ذلك خطئة وجرمًا، إذ ترك ما أمره به رسول الله ﷺ أن يقوم فيه كما أمره أو يعذر فيه إلى الناس.

إسناده كسابقه.

ثانياً: ما جاء في إشارات النبي ﷺ بالخليفة من بعده من غير نص ولا عهد^(٧):

٩. مرويات عائشة رضی الله عنها وغيرها في إصراره ﷺ على إمامة أبي بكر المسلمين في الصلاة في

(١) تهذيب الكمال ٢٣/٣٠٧.

(٢) الطبقات ٧/٣١٤. والمتن له.

(٣) جزء محمد بن عاصم الثقفي برقم ٤٢.

(٤) تاريخ دمشق ١٣/٦٩، ٧٠.

(٥) تهذيب الكمال ٦/٨٦، ٨٧.

(٦) راجع في باب هذا الحديث مسند أحمد ١/٨٤، ١١٨، ١١٩، ٤/٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٥/٣٧٠، ومسلم برقم ٢٤٠٨، وابن حبان برقم ٦٩٣٠ وما بعده، ومشكل الآثار ٥/١٣.

(٧) لم أورد في هذا الباب حديث جبير بن مطعم: «أنت النبي ﷺ امرأة فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجدني فأني أبا بكر – (صحيح البخاري برقم ٧٢٢٠) – وذلك لعدم صراحتي في هذا الباب وقبوله التأويل بما يصرفه عما يعتبره أهل السنة حجة هنا، وقد يكون صريحاً لو قال: (ستجدين أبا بكر). وأرى فيما سيرد مقنعاً.

مرضه وإقراره على ذلك دون غيره^(١)، ومنها:

عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها أنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلي بالناس. قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس. فقالت عائشة: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل للناس. ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: مه، إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل للناس. فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا.

روى أبو يعلى عقب هذا الحديث في مسنده^(٢) قال: حدثنا إبراهيم حدثنا حماد عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال معلقا على هذا الحديث: وأية خلافة أبين من هذا؟!

١٠. رواية أبي هريرة وعبد الله بن عمر في رؤيا النبي ﷺ^(٣)، ومنها^(٤): عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: بينما أنا على بئر أنزع منها، جاءني أبو بكر وعمر، فأخذ أبو بكر الدلو، فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعته ضعف، والله يغفر له. ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غربا، فلم أر عبقريا من الناس يفري فربه، فنزع حتى ضرب الناس بعطن.

١١. رواية عن ابن عمر: رواها البخاري^(٥) من طريق نافع عن ابن عمر قال:

كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضی الله عنهم^(٦).

* * *

هذه هي المرويات الصحيحة المشهورات التي صحت - بعد استقراءها من مصادر أصحاب الأسانيد - بأسانيدها، ثم باتساقها في باب نسقا متأكفا من غير خلاف. وعليه، فسوف تكون مرويات

(١) وهي كثيرة، أكتفي بإحالة بعض منها إلى بعض ما في الصحيحين فقط: رواية عائشة: البخاري بأرقام ١٩٨، ٦٦٤، ٦٧٩ (وهذا الذي برقم ٦٧٩ هو ما سوف أذكره فيما يأتي)، ومسلم برقم ٤١٨ (٩٠، ٩٤، ٩٥، ٩٧). رواية أبي موسى الأشعري: البخاري بأرقام ٦٧٨، ٣٣٨٥، ومسلم برقم ٤٢٠. رواية أنس: البخاري بأرقام ٦٨٠، ٦٨١، ٧٥٤، ومسلم برقم ٤١٩ (٩٨، ١٠٠). رواية عبد الله بن عمر: البخاري برقم ٦٨٢.

(٢) مسند أبي يعلى برقم ٤٤٧٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٦٠.

(٣) انظر في رواية أبي هريرة من الصحيحين: البخاري بأرقام ٣٦٦٤، ٧٠٢١، ٧٠٢٢، ٧٤٧٥، ومسلم برقم ٢٣٩٢ (١٧، ١٨)، وانظر في رواية ابن عمر من الصحيحين أيضا: البخاري بأرقام ٣٦٣٣، ٣٦٧٦، ٣٦٨٢، ٧٠١٩، ٧٠٢٠. ومسلم برقم ٢٣٩٣.

(٤) المتن متن البخاري من رواية ابن عمر برقم ٣٦٧٦.

(٥) صحيحه برقمي ٣٦٥٥، ٣٦٩٨.

(٦) ولن يكون ذلك إلا بما ظهر من تفضيل رسول الله ﷺ لهم.

الباب هذه - حسب المنهاج المتبع في هذه الدراسة - الميزان الذي توزن به أية رواية أخرى تعرض لنا في هذه القضية التاريخية.

وقد عرّض لي في هذا الأمر بعد التتبع مرويات أخرى، إلا أنها لم تصح، لعل فيها، ثم بمنافرتها لما عليه الباب، لذلك سيكون محلها الصنف الثاني: (نماذج مما لم يصح من المرويات) وهي تلك المرويات التي خَرَجَتْ - بعد دراستها وتمحيصها - عن دائرة الاحتجاج والقبول، لعلّ قدحت فيها باينت بها ما عليه الباب. وقد نثرت بعض مرويات هذا الصنف في ثنايا الدراسة.

ب - مرويات السقيفة

وهي تلك المرويات التي تحدثت عما جرى في سقيفة بني ساعدة عند اجتماع المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي ﷺ لتعيين الخليفة من بعده، وما نجم عن ذلك الاجتماع الذي انتهى باستخلاف أبي بكر.

١٢ . ١ - رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس:

وهذه الرواية هي أصل هذا الباب، وهي تدور في مجملها على ما حكاها عمر ﷺ في خلافته حين بلغه أنّ بعض الناس يقول: «لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة^(١) فتمت»، فقال: «إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول والله لو مات عمر بايعت فلانا. فلا يغترن امرؤ أن يقول إنها كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنما قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها». ثم أخذ في سرد ما كان في ذلك اليوم حين أرادت الأنصار أن تجعل الإمرة فيها، فخطبهم أبو بكر بأن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، فاختلفوا، فدرأ عمر الفتنة ببيعتة أبا بكر، فتتابع المهاجرون والأنصار بعده إلى بيعته.

وقد أُسندت قصة السقيفة وما جرى فيها في هذه الرواية عن الزهري من عدة طرق إليه، وأصح هذه الطرق ما أخرجه: ابن هشام^(٢)، والبخاري^(٣)، والبيهقي^(٤) من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر ﷺ قال:

(١) جاء في بعض الروايات تفسير قوله (فلتة) في مصنف ابن أبي شيبة بإسناد صحيح برقم (٣٨١٩٧): «عن ابن عباس، عن عبد الرحمن بن عوف، قال: حج عمر فأراد أن يخطب الناس خطبة، فقال عبد الرحمن بن عوف: إنه قد اجتمع عندك رعاع الناس وسفلتهم، فأخر ذلك حتى تأتي المدينة، قال: فلما قدمت المدينة دنوت قريباً من المنبر، فسمعتة يقول: إني قد عرفت، أن أناساً يقولون: إن خلافة أبي بكر فلتة، وإنما كانت فلتة، ولكن الله وقى شرها، إنه لا خلافة إلا عن مشورة».

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٦٥٧.

(٣) الصحيح برقم ٦٨٣٠. والمتن الآتي له

(٤) السنن الكبرى ٨/١٤٢.

« وإنه قد كان من خبرنا حين تَوَقَّى اللهُ نَبِيَّهَ ﷺ إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا على والزبير ومن معهم، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجالان صالحان، فذكرنا ما تمألاً عليه القوم، فقالوا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار. فقالوا: لا عليكم أن لا تقر بهم اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عباد. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك. فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار، الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يحتزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوفر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيها شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم، أحب إلى من أن تأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلى نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جديله المحكك، وعديقه المرجب، منا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف. فقلت ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد. فقلت: قتل الله سعد بن عباد. قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا».

١٣. ٢ - رواية هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة:

أخرجها ابن سعد^(١)، والبخاري^(٢)، واللالكائي^(٣)، والبيهقي^(٤)، وابن عساكر^(٥)، جميعهم من طريق هشام بن عروة، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها:

.. قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبتني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن

(١) الطبقات ٢/ ٢٣٥.

(٢) صحيحه برقمي ٣٦٦٧، ٣٦٦٨، وتاريخه الأوسط ١/ ٣٧٦.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، برقم ٢٤٣٨.

(٤) السنن الكبرى ٨/ ١٤٢.

(٥) تاريخ دمشق ٣٠/ ٢٧٤، ٢٧٥.

الأمرء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكننا الأمرء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراء، وأعرهم^(١) أحساباً^(٢)، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة. فقال عمر: قتله الله.

١٤. ٣- رواية ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك:

رواها عبد الرزاق^(٣) قال: أخبرنا معمر عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر.

ورواها ابن هشام^(٤) عن البكائي عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك.

ومن طريق ابن إسحاق أيضاً رواها الطبري^(٥)، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق به.

ورواها يحيى بن معين^(٦) قال: حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن أنس.

ورواها البخاري^(٧)، قال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام [بن يوسف الصنعاني]، عن معمر، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر.

ورواها البلاذري^(٨) قال: حدثني محمد بن سعد، عن الواقدي، عن معمر، عن الزهري، عن أنس^(٩).

ورواها ابن حبان^(١٠) من طريق عبد الرزاق مع زيادات واختلاف في بعض ألفاظه.

(١) في متن ابن سعد: «أكرمهم».

(٢) زاد متن سعد عقب هذه العبارة: «يعني قريشا». قلت: وكأنها تفسير من الراوي. فهي لم ترد في متن من متون هذه الرواية.

(٣) المصنّف ٤٣٦/٥.

(٤) السيرة النبوية ٢/٦٦٠، ٦٦١.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٢١٠.

(٦) معرفة الرجال ١/١٥١.

(٧) صحيحه برقم ٧٢١٩.

(٨) أنساب الأشراف ٢/٢٤٢.

(٩) ما في الطبقات ليس من رواية الواقدي، بل فيه: «قال الزهري: أخبرني أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب..»، الطبقات ٢/٢٣٦.

(١٠) صحيحه برقم ٦٨٧٥.

ورواها الطبراني في مسند الشاميين^(١) من طريق محمد بن الوليد الزبيدي^(٢)، عن الزهري عن أنس. جميعهم على اتفاق بينهم في معنى الخبر مع اختلاف بعضهم أحيانا في اللفظ، إلا أنه اختلاف لم يغير في المعنى، ولفظه - كما عند البخاري -:

أنه - أنس بن مالك - سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم قال كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا ﷺ وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأمرهم، فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ اصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناس عامة.

١٥. ٤ - رواية زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود:

رواها ابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤) - ومن طريقه: الفسوي^(٥)، وابن أبي عاصم^(٦) - وأحمد^(٧)، والنسائي^(٨)، وابن الأعرابي^(٩)، والحاكم^(١٠) - ومن طريقه البيهقي^(١١) - وأبو نعيم^(١٢)، وابن عبد البر^(١٣)، وابن عساکر^(١٤)، والضياء المقدسي^(١٥)، جميعهم من طريق زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود، قال^(١٦):

(١) برقم ١٦٩٩.

(٢) وهو طريق ابن معين.

(٣) الطبقات ٢/١٩٨.

(٤) المصنف برقمي ٣٨١٩٩.

(٥) المعرفة والتاريخ ١/٤٥٤.

(٦) مسنده برقم ٦٠٣.

(٧) المسند ١/٢١، ٤٠٥، وفي فضائل الصحابة ١/١٨٢.

(٨) السنن الكبرى برقم ٨٥٥.

(٩) معجمه برقم ٢٣٧٠.

(١٠) المستدرک ٣/٦٧.

(١١) السنن الكبرى ٨/١٥٢.

(١٢) حلية الأولياء ٤/١٨٨.

(١٣) الاستيعاب ٣/٩٧٠.

(١٤) تاريخ دمشق ٣٠/٢٧١، ٢٧٢.

(١٥) الأحاديث المختارة برقمي ٢٢٩، ٢٣٠.

(١٦) المتن لأحمد.

«لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير. فأتاهم عمر، فقال: يا معشر الأنصار، أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر».

ولفظ ابن الأعرابي وابن عبد البر:

كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب: أنشدتكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ونستغفر الله.

وهذه رواية جيدة الإسناد، وهذا اللفظ وإن لم يرد في رواية الباب حديث عمر التي رواها الزهري عن عبيد الله، إلا أنه ليس في الباب ما يردّها، بل هناك ما يؤكد معناها من نصوص أخرى. ولا يمنع صدور هذا القول من عمر يوم السقيفة لدرء الفتنة، وفي هذا الخبر ما يصحح شهود ابن مسعود يوم السقيفة، وحفظ شيء مما جرى فيه^(١).

١٦. ٥ - رواية سالم بن عبيد: رواها النسائي^(٢)، والطبراني^(٣)، والبيهقي^(٤)، من طريق نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد قال:

اجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا: انطلقوا إلى إخواننا من الأنصار فإن لهم في هذا الأمر نصيبا فانطلقوا فقال رجل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير^(٥) فأخذ عمر بيد أبي بكر ﷺ فقال: أخبروني من له هذه الثلاثة (ثاني اثنين إذ هما في الغار)؟ من هما؟ (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) من صاحبه؟ (إن الله معنا) فأخذ بيد أبو بكر ﷺ فضرب عليها وقال للناس: بايعوه فبايعوه لي بيعة حسنة جميلة.

هذه الرواية جزء من حديث طويل روته المصادر كاملا ومختصرا، واقتصر ابن ماجه على رواية ما يخص أمر النبي أبا بكر بالصلاة بأصحابه في مرضه الأخير دون أن يروي بقيته المذكورة هنا، وقال عقبه: «هذا حديث غريب»^(٦). وقد اختلف في إسناد هذه الرواية كما قال الدراقطني: «يروي سلمة بن

(١) وقد يؤيد ذلك ما رواه الحاكم عن الشعبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما قبض النبي ﷺ اجتمع المهاجرون و الأنصار إلى سقيفة بني ساعدة في بيعة أبي بكر فأتيت أم سلمة فقلت لها: بايع الناس أبا بكر» (المستدرک ٣/ ٧٩)، وهذا الخبر وإن كان في إسناده انقطاع إذ لم يسمع الشعبي من ابن مسعود (المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٦٠)، إلا أن معناه يقوى بروايتنا هذه التي نحن بصدددها، فضلا عن أنه ليس في معنى الخبر ما يستحق وضعه أو يدفع إليه، وقد قوى بعضهم مراسيل الشعبي، منهم العجلي إذ يقول: «سمع الشعبي من ثمانية وأربعين من أصحاب النبي ﷺ.. مرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلا صحيحا» (معرفة الثقات ص ١٢، ٤٤٦).

(٢) السنن الكبرى برقم ٧٠٨١، ٨٠٥٥.

(٣) المعجم الكبير برقم ٦٣٦٧. وانظر كلام الدراقطني على هذه الرواية في العلل ١/ ٢٤٢.

(٤) السنن الكبرى ٨/ ١٤٥.

(٥) زاد متن النسائي والبيهقي: «قال عمر سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان».

(٦) سنن ابن ماجه ١/ ٣٩٠، برقم ١٢٣٤.

نبيط، واختلف عليه، فرواه يونس بن بكير، عن سلمة بن نبيط، عن أبيه، عن سالم بن عبيد^(١)، وخالفه إسحاق الأزرق، وحيد بن عبد الرحمن الرؤاسي، وعبد الله بن داود الخريبي، روه عن سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد^(٢)، وهو الصواب^(٣).

وهي وإن كانت كما قال ابن ماجه «حديث غريب» فضلا عما فيها من زيادات شاذة لم ترد في الروايات الصحيحة، إلا أنها لا تخالف في مجملها روايات الباب من حيث المعنى.

١٧. ٦ - رواية رافع الطائي: رواها أحمد^(٤)، وأبو نعيم^(٥) من طريق [يزيد بن] سعيد بن ذي عصوان العنسي، عن عبد الملك بن عمير اللخمي عن رافع الطائي رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل، قال:

وسألته عما قيل من بيعتهم، فقال - وهو يحدثه عما تكلمت به الأنصار وما كلمهم به، وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه - فبايعوني لذلك، وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة، وتكون بعدها ردة.

وهذه الرواية من الأفراد، إلا أنها ليست تعارض شيئا في الباب.

ج - أصح ما جاء في أبرز مواقف الصحابة من بيعة أبي بكر

أولا: ما جاء في موقف علي بن أبي طالب:

١٨. أخرج عبد الرزاق^(٦) - ومن طريقه الطبري^(٨)، وأبو عوانة^(٩) - والبخاري^(١٠)، ومسلم^(١١)، والبلاذري^(١٢)، وابن حبان^(١٣)، والبيهقي^(١٤) من طريق ابن شهاب الزهري عن عروة عن

(١) وهذا هو إسناد البيهقي.

(٢) وهو إسناد النسائي والطبراني.

(٣) العلل ١/ ٢٤٢.

(٤) المسند ١/ ٨.

(٥) أخبار أصبهان (٢/ ٥٩) في ترجمة عبد الله بن أحمد بن سودة أبي طالب.

(٦) ساقط من المطبوع من أخبار أصبهان.

(٧) المصنف ٥/ ٤٧٢.

(٨) تاريخه ٣/ ٢٠٧.

(٩) مسنده برقم ٦٦٧٩.

(١٠) صحيحه بأرقام ٣٧١٢، ٤٢٤٠، ٤٢٤١.

(١١) صحيحه برقم ١٧٥٩.

(١٢) أنساب الأشراف ٢/ ٢٦٨.

(١٣) صحيحه برقم ٤٨٢٣.

(١٤) السنن الكبرى ٦/ ٣٠٠.

أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال « لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد - ﷺ - في هذا المال ». وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله - ﷺ - فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرت، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت، دفنها زوجها على ليلا، ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها، وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك. كراهية لمحضر عمر. فقال عمر لا والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر وما عسيتم أن يفعلوا بى، والله لآتينهم. فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد على فقال إنا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله ولم نفس عليك خيراً ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقربتنا من رسول الله - ﷺ - نصيباً^(٢). حتى فاضت عيناً أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسى بيده لقربة رسول الله - ﷺ - أحب إلى أن أصل من قرابتى، وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله - ﷺ - يصنعه فيها إلا صنعته. فقال على لأبى بكر موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر الظهر رقى على المنبر، فتشهد وذكر شأن على، وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذى اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهد على فعظم حق أبى بكر، وحدث أنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر، ولا إنكاراً للذى فضله الله به، ولكننا نرى لنا فى هذا الأمر نصيباً، فاستبد علينا، فوجدنا فى أنفسنا، فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت. وكان المسلمون إلى على قريباً، حين راجع الأمر المعروف.

زاد متن عبد الرزاق^(٣) - ومن طريقه مسلم^(٤)، وأبو عوانة، والبيهقي - فى طريقه عن معمر عن الزهري، قال:

قال معمر فقال رجل للزهري: فلم يبايعه على ستة أشهر؟ قال لا، ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه على.

وروى ابن عساكر^(٥) من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة.. بنحو رواية الزهري عن عروة.

(١) المتن متن البخاري.

(٢) كذا فى متن البخاري، ووقع فى جمهرة المتون الاخرى: «حقاً».

(٣) ومن طريقه مسلم فى صحيحه (مختصراً من غير قول الزهري هذا) برقم ١٧٥٩ (٥٣).

(٤) برقم ١٧٥٩ (٥٣)، إلا أنه روى المتن مختصراً فلم يورد لذلك قول الزهري هذا، ولكن انظر: الجمع بين

الصحيحين برقم ٦ (١٤ / ١)، وجامع الأصول (٤ / ١٠٤)، وفتح الباري ٩ / ٣٤٤.

(٥) تاريخ دمشق ٣٠ / ٢٨٨.

١٩. أخرج البخاري^(١) من طريق جامع بن أبي راشد حدثنا أبو يعلى عن محمد ابن الحنفية قال:

قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله - ﷺ - قال أبو بكر. قلت ثم من قال ثم عمر.
وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا إلا رجل من المسلمين.

٢٠. أخرج أحمد^(٢) من طرق إلى علي ﷺ قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر..».

٢١. أخرج أحمد من طريق حماد بن زيد، عن عاصم، عن زر، عن أبي جحيفة، قال:

خطبنا علي، فقال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر الصديق. ثم قال: ألا
أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر؟ فقال: عمر.

٢٢. رواية سفیان الثوري بإسناده إلى علي ﷺ أنه قال يوم الجمل:

إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم
استخلف أبو بكر رحمة الله، على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استخلف عمر رحمة الله، على
عمر، فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه^(٣).

٢٣. حديث عقبة بن الحارث قال:

صلى أبو بكر رضی الله عنه العصر، ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان،
فحملة على عاتقه وقال: بأبي، شبيه بالنبي، لا شبيه بعلي. وعلى يضحك.

فهذا حديث صحيح بهذا اللفظ، رواه أبو عاصم الضحاك^(٤)، وعبد الله بن المبارك^(٥)، وسفيان^(٦)،
وعيسى بن يونس^(٧)، وبشر بن السري^(٨)، جميعاً عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة
عن عقبة بن الحارث.. باللفظ السابق. في حين تفرد أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدي عنه
بلفظ: «خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليال..»^(٩). قلت: ولعل هذا من أوهام
أبي أحمد الأسدي، فإنه على الرغم من كونه ثقة من رجال الشيخين، فإن له أوهاماً كما قال ابن أبي حاتم
(الجرح والتعديل ٢٩٧/٧). ويؤكد ذلك أنني وجدت في لفظ بعض من روى عنه الخبر ما ليس فيه هذه
الزيادة (كنحو ما عند البزار برقم ٥٣). قلت: وكأنه وهم فيه أحياناً وضبط لفظه أحياناً أخرى.

(١) صحيحه برقم ٣٦٧١.

(٢) المسند بأرقام ٨٣٣، ٨٧١، ٩٢٢، ٩٢٦، ١٠٣٠.

(٣) سبق الحديث عن هذا الخبر ص ٤٨٣.

(٤) أخرجه من هذا الطريق: البخاري برقم ٣٥٤٢، وابن عساكر ١٣/١٧٤.

(٥) أخرجه من هذا الطريق: البخاري برقم ٣٧٥٠.

(٦) أخرجه من هذا الطريق: ابن سعد في الطبقات ٦/٣٥٨، والعجلي في معرفة الثقات ٢/٢٩٧، والأجري في

الشريعة برقم ١٦٣٤، وابن عساكر ١٣/٣٥٨.

(٧) أخرجه من هذا الطريق: البغوي في معجم الصحابة ٢/١٢.

(٨) أخرجه أبو نعيم في فضائل الخلفاء الأربعة برقم ١٢٥.

(٩) أخرجه أحمد ١/٨، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني برقم ٤٠٩، وأبو يعلى في المسند برقم ٣٨.

ثانيا: ما روي في موقف العباس وبني هاشم:

٢٤. رواية الزهري: رواها عبد الرزاق^(١) - ومن طريقه مسلم^(٢) - وأبو عوانة^(٣)، والبيهقي^(٤) - في طريقه

عن معمر عن الزهري في حديث طويل جاء فيه:

قال معمر: فقال رجل للزهري: فلم يبايعه علي ستة أشهر؟ قال: لا، ولا أحد من بني هاشم حتى يبايعه علي.

ما جاء في موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خالد بن الوليد رضي الله عنه

وأَسباب الخلاف بينهما رضي الله عنهما

أ. خالد وابن نوية^(٥):

أولا: أهم المرويات التي تشير إلى إسلام مالك بن نوية:

٢٥. أخرج خليفة بن خياط^(٦) - ومن طريقه ابن عساكر^(٧) - عن علي بن محمد أبي الحسن المدائني عن

[ابن]^(٨) أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن أبيه قال^(٩):

قدم أبو قتادة على أبي بكر، فأخبره بمقتل مالك وأصحابه، فجزع من ذلك جزعا شديدا. فكتب أبو بكر إلى خالد فقدم عليه. فقال أبو بكر: هل يزيد خالد على أن يكون تأول فأخطأ؟ ورد أبو بكر خالدًا وودى مالك بن نوية ورد السبي والمال.

إسناده صحيح.

(١) المصنف ٤٧٢/٥، ومن طريقه مسلم في صحيحه (مختصرا من غير رواية قول الزهري هذا) برقم ١٧٥٩ (٥٣).

(٢) برقم ١٧٥٩ (٥٣)، إلا أنه روى المتن مختصرا فلم يورد لذلك قول الزهري هذا، ولكن انظر: الجمع بين

الصحيحين برقم ٦ (١٤/١)، وجامع الأصول (٤/١٠٤)، وفتح الباري ٩/٣٤٤.

(٣) مسنده برقم ٦٦٧٩.

(٤) السنن الكبرى ٦/٣٠٠.

(٥) أخرج ابن سعد (الطبقات ٦/١٦٦) عن محمد بن عمر قال: حدثني عتبة بن جيرة، عن حصين بن عبد الرحمن بن

عمرو بن سعد بن معاذ قال: لما صدر رسول الله ﷺ من الحج سنة عشر قدم المدينة، فلما رأى هلال المحرم سنة

إحدى عشرة بعث المصدقين في العرب، فبعث مالك بن نوية على صدقة بني يربوع، وكان قد أسلم، وكان شاعرا.

(٦) تاريخه ص ٦٨ (ص ١٠٥ ط العمري).

(٧) تاريخ دمشق ١٦/٢٥٥.

(٨) ما بين حاصرتين ليس في طبعة زكار لتاريخ خليفة.

(٩) صحح حاتم العوني هذه الرواية وقال لم يصح في باب خالد وعمر غيرها (إضاءات بحثية ص ١٥١-١٥٢).

ثانيا: مرويات مشكلة:

٢٦. قال خليفة بن خياط^(١) - ومن طريقه ابن عساكر^(٢) -: حدثنا علي بن محمد عن أبي زكريا يحيى بن معن^(٣) العجلاني، عن سعد بن إسحاق عن أبيه عن أبي قتادة قال:

عهد أبو بكر إلى خالد وأمرائه الذين وجه إلى الردة أن إذا أتوا دارا أن يقيموا فإن سمعوا أذانا أو رأوا صلاة أمسكوا حتى يسألوهم عن الذي نقموا ومنعوا له الصدقة وإن لم يسمعوا أذانا ولا رأوا مصليا شنوا الغارة وقتلوا وحرقوا. قال: فكنت مع خالد حتى فرغ من قتال طليحة وغطفان وهوازن وسليم. ثم سار إلى بلاد بني تميم فقدمنا خالد أمامه فانتبهينا إلى أهل بيت منهم حين طفلت الشمس للغروب فثاروا إلينا فقالوا: من أنتم؟ قلنا: نحن عباد الله المسلمون فقالوا: ونحن عباد الله المسلمون. وقد كان خالد بث سراياه فلم يسمعوا أذانا وقتلهم قوم بالبعوضة من ناحية المذار فجاءوا بهالك بن نويرة في أسرى من قومه فأمر خالد بأخذ أسلحتهم ثم أصبح فأمر بقتلهم.

قلت: في إسناده إلى أبي قتادة رضي الله عنه يحيى بن معن أبو زكريا العجلاني، وتتبع مروياته يفيد أنه كان مهتما برواية الأخبار دون الحديث. ولم يعرف أبو حاتم حاله فقال: مجهول^(٤). وذكره ابن حبان في ثقافته^(٥). وإسحاق والد سعد، من التابعين، روى عن أبيه كعب بن عجرة رضي الله عنه، وأبي قتادة رضي الله عنه^(٦)، وقُتل رحمه الله يوم الحرة^(٧). ومتن هذه الرواية حسن في بابه ليس بمنكر، ويعضده ما سيأتي. ولعل ما حكاه هذا المتن يفسر خطأ تأويل خالد رضي الله عنه الذي عذره به أبو بكر رضي الله عنه.

قال خليفة بن خياط^(٨): حدثنا بكر [بن سليمان]، عن ابن إسحق قال: نا طلحة^(٩) بن عبد الله^(١٠) بن

(١) تاريخه ص ٦٧، ٦٨.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٢٥٦.

(٣) في مطبوعتي التاريخ لخليفة: "يحيى بن معين"! وهو تحريف، والعجيب أن هذا التحريف وقع في مصادر قديمة أخرى غير تاريخ خليفة (راجع: حاشية ٢ من التاريخ الكبير للبخاري ٣/٣٨٦، وحاشية ٢ من كتاب الجرح والتعديل ٢/٩٠، وحاشية ٢ من لسان الميزان ١/٢٥١). وتتبع مروياته يفيد أنه أبو زكريا العجلاني، لم يرو عنه غير أبي الحسن المدائني علي بن محمد، غلب عليه رواية الأخبار على الحديث.

(٤) الجرح والتعديل ٢/٩٠ في ترجمة إبراهيم بن بشير.

(٥) الثقات ٩/٢٦٠، وقال فيه: "يروي عنه أهل المدينة". وكأنه يشير بذلك إلى حجته في توثيقه إياه في مقابل تجهيل أبي حاتم له. قلت: والحق معه إن شاء الله، مع العلم أن من هذه حاله فإنه لا يحتمل التفرد، إلا أن يُعضد.

(٦) تهذيب الكمال ٢/٤٧٠.

(٧) الطبقات لابن سعد ٧/٢٧٦.

(٨) تاريخه ص ٦٨.

(٩) في طبعة زكار: "طليحة"، والتصويب من طبعة العمري، وتاريخ الطبري (٣/٢٧٩).

(١٠) في طبعتي العمري، وزكار: "عبيد الله"، والتصويب من تاريخ الطبري (٣/٢٧٩).

عبد الرحمن بن أبي بكر عن [أبي] قتادة نحوه^(١). وقال:

إنما لما غشينا القوم أخذوا السلاح فقلنا: إنا مسلمون. فقالوا: ونحن مسلمون. قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. فوضعوا السلاح ثم صلينا وصلوا.

قلت: هذا إسناد قوي، وبكر بن سليمان، هو أبو يحيى البصري الأسواري، صاحب أخبار، وهو من رواية المغازي عن ابن إسحاق، وعلى الرغم من أنه قد روى عنه أكثر من ثقة^(٢)، ولم أر له خبرا منكر^(٣)، إلا أن أبا حاتم لم يعرف حاله، فقال فيه: مجهول^(٤). ويبدو من تتبع مرويات بكر بن سليمان على قلتها، أن أكثر ما اشتغل به الأخبار والمغازي، وأن مروياته اندرست مبكرا مع شهرة العاملين في هذا الميدان وتعدددهم، حتى كاد أن يغيب بكر عن عالم الرواية لولا صنيع بعض تلاميذه ممن سبق ذكرهم. ومن ثم فلا أجد غضاضة من توثيقه، أو على الأقل أراني متفقا مع الذهبي حين رد على أبي حاتم قوله قائلا: «ولا بأس به إن شاء الله تعالى»^(٥).

أما طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فإن له رواية عن نفر قليل من أصحاب رسول الله ﷺ^(٦). وقال البخاري: «حدثني ابن عباد نا يعقوب نا شعيب بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أبيه وكان أدرك عائشة وحدثنا شعيب نا أبي: قالت لى أسماء بنت أبي بكر». قلت: وإذا كان لطلحة إدراك لعائشة (ت ٥٧هـ)، وأسماء (ت ٧٣هـ)، فلا يبعد أن يكون أدرك أبا قتادة (ت ٥٤هـ) وروى عنه. فإسناد هذا الخبر عندي قوي. فضلا عن أن الخبر ليس منكرا كما قلت، فيحتاج به إن شاء الله.

(١) ساقط من طبعة زكار.

(٢) يعني نحو حديث يحيى بن معين عن سعد بن إسحاق عن أبيه عن أبي قتادة. الأنف قبله.

(٣) ممن وقفت عليه روى عن بكر بن سليمان: خليفة بن خياط، وشهاب بن مَعْمَر، (وهذان أشهر من روى عنه المغازي لابن إسحاق. ولم يعرف الذهبي في الميزان (٢/ ٦١)، وابن حجر في اللسان (٢/ ٣٤٣-٣٤٤)، ومطاع الطرايشي - في رواية ابن إسحاق (ص ٢٥١) غيرهما لبكر. في حين وقفت له أيضا على موسى بن عبد الله الخزاعي (وهو طريق للبخاري في أكثر من موضع في مسنده إلى مغازي ابن إسحاق عنه)، ومحمد بن عباد بن آدم (انظر السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٣٨٥).

(٤) فهو لا يكاد يخرج في المصادر عن كونه زاوية من رواية المغازي عن ابن إسحاق. وذلك ما يؤكد البخاري (مسنده برقم ٨٠٢٢) في قوله: «بكر بن سليمان رجل مشهور بالسيرة، سمع من ابن إسحاق المبتدأ والمبعث». (تنبيهه: في المطبوع السير: «المبتدأ والمبعث»! والتصويب من كشف الأستار برقم ١٢٠٥).

(٥) الجرح والتعديل ٢/ ٣٨٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٢/ ٦١. وراجع أيضا في باب بكر بن سليمان: رواية محمد بن إسحاق، لمطاع الطرايشي، ص ٢٥١.

(٧) انظر: الجرح والتعديل ٤/ ٤٧٥، والثقات ٤/ ٣٢٩.

٢٧. أخرج الطبري^(١)، وابن عساكر^(٢)، والأصفهاني^(٣)، من طريق سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال:

شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، ففعلوا مثل ذلك. وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء، فقتلوا، وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه، ويطلب إليه في سبيهم، فكتب له برد السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله، وقال: إن في سيفه رهقا. فقال: لا يا عمر، لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين.

قلت: هذا خبر وإن كان ظاهر إسناده الانقطاع^(٤)، إلا أن ظاهره أيضا يشير إلى إدراك عروة لبعض من شهد هذه الواقعة. هذا فضلا عن أن ما صح في هذا الباب كله - باب عمر وخالد بن الوليد - يعضد معناه ويصححه، فيحسن الخبر بذلك في بابه، كما أنه يحل كثيرا من مشكلات قضية مقتل ابن نويرة.

ب - تبذيره المال:

٢٨. أخرج أحمد^(٥)، والبخاري في الكنى^(٦)، ويعقوب الفسوي^(٧)، والنسائي^(٨)، والدولابي^(٩)، والطبراني^(١٠)، وابن عساكر^(١١) من طريق علي بن رباح، عن ناشرة بن سميّ اليزني قال:

سمعت عمر بن الخطاب يقول يوم الجابية فذكر الحديث وقال فيه إني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد إني أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان فنزعت وأمرت أبا عبيدة بن الجراح فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله ما أعدرت يا عمر بن الخطاب لقد نزلت عاملا استعمله رسول الله ﷺ وغمدت سيفاً سلّه رسول الله ﷺ ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم فقال عمر بن الخطاب إنك قريب القرابة حديث السن مغضب في ابن عمك.

قلت: إسناده صحيح.

(١) تاريخه ٣/٢٧٩، والمتن له.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٢٥٧.

(٣) الأغاني ١٥/٣٠٢.

(٤) ذلك أن عروة لم يشهد هذه الواقعة.

(٥) المسند ٣/٤٧٦، والمتن له.

(٦) الكنى، ص ٥٤.

(٧) المعرفة والتاريخ ١/٤٦٣، ٤٦٤.

(٨) السنن الكبرى برقم ٨٢٢٥.

(٩) الكنى والأسماء ١/٤٥.

(١٠) المعجم الكبير برقم ٧٦١.

(١١) تاريخ دمشق ١٦/٢٦٣، ٢٦٤.

٢٩. أخرج ابن عساكر^(١) من طريق أبي زرعة الدمشقي حدثني دحيم، نا ابن أبي فديك، انا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال:

قال عمر لأبي بكر الصديق: تدع خالد بن الوليد بالشام ينفق مال الله. قال: فلما توفي أبو بكر قال: سمعت عمر حين توفي أبو بكر يقول: كذبتُ الله إن كنت أمرت أبا بكر بشيء لا أفعله بعده. فكتب إليه خالد: أما بعد فإنه لا حاجة لي بعملك. فبعث أبا عبيدة بن الجراح، قال: فحضر أبو عبيدة.

قلت: وهذا إسناده صحيح. وهشام بن سعد وإن كان فيه ضعف، إلا أنه كان أثبت الناس في زيد ابن أسلم^(٢). وأسلم والد زيد هو مولى عمر رضي الله عنه، وروايته عنه مشهورة في الصحاح.

٣٠. أخرج ابن سعد^(٣) - ومن طريقه ابن عساكر^(٤) - عن محمد بن عمر الواقدي قال: حدثني عمر بن عبد الله بن رباح^(٥)، عن أبي رباح خالد بن رباح قال سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول:

رأيت عمر بن الخطاب بقاء يوم السبت ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فإذا أناس من أهل الشام يصلون في مسجد قباء حجاجا، فقال: مَنْ القوم؟ قالوا: من اليمن. قال: أي مدائن الشام نزلتم؟ قالوا: حمص. قال: هل من مُغَرَّبَةٍ خبر؟ قالوا: موت خالد بن الوليد يوم رحلنا من حمص. قال: فاسترجع عمر مرارا، ونكس، وأكثر الترحم عليه، وقال: كان والله سدادا لنحور العدو، ميمون النقيبة. فقال له علي بن أبي طالب: فلم عزلته؟ قال: عزلته لبذله المال لأهل الشرف وذوي اللسان. قال علي: فكنت تعزله عن التبذير في المال وتتركه على جنده. قال: لم يكن يرضى. قال: فهلا بلوته؟

قلت: في إسناده عمر بن عبد الله بن رباح، لم أجده. ويعضد متنه الخبران الآتيان.

٣١. أخرج محمد بن سعد^(٦)، وابن عساكر^(٧)، من طريق سفيان بن عيينة قال حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال سمعت قيس بن أبي حازم يقول:

لما مات خالد بن الوليد قال عمر: يرحم الله أبا سليمان، لقد كنا نظن به أمورا ما كانت.

وإسناده صحيح.

٣٢. أخرج ابن سعد^(٨)، وأبو نعيم^(٩)، وابن عساكر^(١٠) من طريق جويرية بن أسماء عن نافع قال:

(١) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٦٣. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٣٧٩.

(٢) تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٠٨.

(٣) الطبقات ٥/ ٤٢.

(٤) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٥.

(٥) كذا في المطبوع من الطبقات، وفي تاريخ دمشق: رباح.

(٦) الطبقات ٥/ ٤٣، ٩/ ٤٠١.

(٧) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٨٠.

(٨) الطبقات ٥/ ٤٤، ٩/ ٤٠١.

(٩) معرفة الصحابة ص ٩٣٠.

(١٠) تاريخ دمشق ١٦/ ٢٧٦، ٢٧٧.

لما مات خالد بن الوليد لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلماه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال
يرحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه به.

قلت: إسناده مرسل، ويعضد متنه ما سبق من مرويات الباب.

ج - رأْيُ عمر في إعلام المسلمين أن النصر من عند الله وليس من عند خالد:

٣٣. أخرج ابن أبي شيبة^(١) من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال:

لما أتى أبو عبيدة الشام حصر هو وأصحابه.. قال زيد: قال أبي: فإني لقائم في السوق، إذ
أقبل قوم مبيضين، قد هبطوا من الثنية، فيهم حذيفة بن اليمان يبشرون، قال: فخرجت أشد
حتى دخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر بنصر الله والفتح، فقال عمر: الله أكبر،
رب قائل لو كان خالد بن الوليد.

قلت: وإسناده صحيح. وهو أصح شيء في هذا الباب، لم يصح فيه غيره، فإن فرحة عمر كانت
بهذا الحدث عارضة، ولم تكن دافعا لعزل خالد كما سيأتي في روايات لم يصح منها شيء أن جعلت أن
هذا الأمر أصل في بابه وهو أن عمر إنما عزله لهذا السبب.

د - تنمة في حقيقة ما في نفس عمر تجاه خالد رضي الله عنهما:

٣٤. أخرج عبد الرزاق^(٢)، ابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، والبخاري في الصحيح تعليقا^(٥)، وفي
التاريخ^(٦)، وابن شبة^(٧)، والحاكم^(٨)، والبيهقي^(٩)، وابن عساكر^(١٠) من طريق الأعمش عن شقيق
ابن سلمة قال:

إن نسوة بني المغيرة اجتمعن في دار خالد^(١١). فقال عمر: ما عليهن أن يرقن من أعينهن
على أبي سليمان ما لم يكن نقعا أو لقلقة. والنقع التراب على الرأس، والقلقة الصوت.

وإسناده صحيح.

(١) المصنف برقم ٣٤٥٣٢.

(٢) المصنف ٣/٥٥٨.

(٣) الطبقات ٥/٤٤.

(٤) المصنف برقم ١١٤٦٠.

(٥) في كتاب الجنائز، باب رقم ٣٣، قبل حديث رقم ١٢٩١.

(٦) الأوسط برقم ١٤٢.

(٧) أخبار المدينة ٣/٧٩٦.

(٨) المستدرک ٣/٢٩٧.

(٩) السنن الكبرى ٤/٧١.

(١٠) تاريخ دمشق ١٦/٢٧٧، ٢٧٨.

(١١) وذلك لما مات خالد بن الوليد.

استخلاف عثمان وفتنة مقتلہ

أولاً: استخلاف عثمان

٣٥. رواية عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب:

أ- طريق حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن ميمون عنه: رواه ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبة^(٢)، والبخاري^(٣)، والبلاذري^(٤)، وابن حبان^(٥)، والآجري^(٦)، والبيهقي^(٧)، وابن عساكر^(٨)، جميعاً من طريق حصين عن عمرو بن ميمون قال^(٩):

رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، قال كيف فعلتما أتحافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق قالاً حملناها أمرا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل. قال انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق، قال قالاً لا. فقال عمر لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدى أبدا. قال فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفيين قال استوا. حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك، في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعتة يقول قتلني - أو أكلني - الكلب. حين طعنه، فطار العليج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة^(١٠)، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه برنسا، فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله. فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا. قال يا ابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة، ثم جاء، فقال غلام المغيرة. قال الصنع قال نعم. قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا^(١١)، الحمد لله الذى لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعى الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً.

(١) الطبقات ٣/٣١٢.

(٢) المصنف برقم ٣٨٢١٤.

(٣) صحيحه برقمي ١٣٩٢، ٣٧٠٠.

(٤) أنساب الأشراف ١٠/٤١٣.

(٥) صحيحه برقم ٦٩١٧.

(٦) الشريعة ٣/١٢٤ برقم ١٤٥٤، ١٤٥٥.

(٧) السنن الكبرى ٨/٤٧، ١٥٠.

(٨) تاريخ دمشق ٤٤/٤١٥.

(٩) المتن متن البخاري.

(١٠) كذا عند البخاري، وعند الباقيين: تسعة.

(١١) عند ابن حبان: "لقد كنت أمرته بمعروف". وعند البيهقي متن الاعتقاد: "لقد كنت أمرت معروفاً". وعند ابن عساكر: "لقد كنت أمرت له بمعروف".

فقال إن شئت فعلت. أى إن شئت قتلنا. قال كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبيلتكم وحجوا حجكم فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول لا بأس. وقائل يقول أخاف عليه، فأتى بنبذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لى. فلما أدبر، إذا إزاره يمس الأرض. قال ردوا على الغلام قال ابن أخى ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال إن وفى له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل يقرأ عليك عمر السلام. ولا تقل أمير المؤمنين. فإنى لست اليوم للمؤمنين أميراً^(١)، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت كنت أريده لنفسى، ولأثرن به اليوم على نفسى. فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت. قال الحمد لله، ما كان من شىء أهم إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملونى ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها^(٢)، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلهم، فسمعنا بكاءها من الداخل. فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف. قال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شىء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردة الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر قال يستأذن عمر بن الخطاب. قالت أدخلوه. فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على. فقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان. وقال سعد قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه^(٣)، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه^(٤). فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن

(١) عند ابن حبان: «فإنى لست للمؤمنين بأمر».

(٢) عند ابن حبان: «والنساء يسترنها».

(٣) عند ابن حبان، وابن عساكر: «ويجعله إليه».

(٤) زاد متن ابن حبان: «وليحرصن على صلاح الأمة».

أفتجعلونه إلى، والله على أن لا آلو عن أفضلكم قالوا نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فإله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان. فبايعه، فبايع له على، وولج أهل الدار فبايعوه.

٣٦. رواية المسور بن مخرمة: رواها البخاري^(١)، والبيهقي^(٢)، وابن عساكر^(٣)، من طريق جويرية عن مالك عن الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره^(٤):

أن الرهط الذين ولّاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، قال لهم عبد الرحمن لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم. فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما ولوا عبد الرحمن أمرهم فقال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحدا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليلة حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها، فبايعنا عثمان قال المسور طرفني عبد الرحمن بعد هجع من الليل ف ضرب الباب حتى استيقظت فقال أراك نائما، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدا، فدعوتها له فشاورها ثم دعاني فقال ادع لي عليا. فدعوته فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده، وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئا، ثم قال ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال أما بعد يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل علي نفسك سبيلا. فقال أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفين من بعده. فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون.

ورواه ابن عساكر^(٥)، ورشيد الدين ابن مسلمة^(٦) بنحوه من طريق يزيد بن عبد ربه، عن محمد بن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة.

ورواه البخاري^(٧) - ومن طريقه ابن عساكر^(٨) - عن عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال:

جاءني عبد الرحمن بن عوف بعد هجع من الليل قال: ما ذقت عينايا كثير نوم من هذه الثلاث ليال. قال: فقال لي: ادع لي فلانا يعني عثمان وعليا وسعدا والزبير، فدعوتهم فجعل

(١) صحيحه برقم ٧٢٠٧، والتاريخ الأوسط (برقم ١٦٢)، وزاد في الأخير: «فلما أصبح صلى صهيب بالناس، ثم جلس عبد الرحمن وقد أحضر هؤلاء النفر فحمد الله..».

(٢) السنن الكبرى ١٤٧/٨.

(٣) تاريخ دمشق ١٩٢/٣٩.

(٤) المتن متن البخاري.

(٥) تاريخ دمشق ١٩٢/٣٩.

(٦) المشيخة البغدادية ١/٥٧-٥٨.

(٧) التاريخ الأوسط برقم ١٦٢.

(٨) تاريخ دمشق ١٩٢/٣٩.

يخلو بواحد واحد فيأخذ عليه، فلما أصبح صلى صهيب بالناس، ثم جلس عبد الرحمن وقد أحضر هؤلاء النفر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان.

ورواه عبد الرزاق^(١)، عن معمر قال: قال الزهري فأخبرني حميد بن عبد الرحمن عن المسور بن مخرمة قال:

أتاني عبد الرحمن بن عوف ليلة الثالثة من أيام الشورى بعد ما ذهب من الليل ماشاء الله فوجدني نائما فقال: أيقظوه فأيقظوني فقال ألا أراك نائما والله ما اكتحلت بكثير نوم منذ هذه الثلاث. اذهب فادع لي فلانا وفلانا - ناسا من أهل السابقة من الأنصار - فدعوتهم، فخلا بهم في المسجد طويلا، ثم قاموا، ثم قال: اذهب فادع لي الزبير وطلحة وسعدا. فدعوتهم فناداهم طويلا ثم قاموا من عنده، ثم قال: ادع لي عليا. فدعوته، فناداه طويلا، ثم قام من عنده، ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فجعل يناجيه، فما فرق بينهما إلا أذان الصبح ثم صلى صهيب بالناس، فلما فرغ اجتمع الناس إلى عبد الرحمن، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا علي على نفسك سييلا. ثم قال: عليك يا عثمان عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ أن تعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبما عمل به الخليفتان من بعده. قال: نعم. فمسح على يده فبايعه، ثم بايعه الناس، ثم بايعه علي ثم خرج، فلقيه ابن عباس فقال: خدعت. فقال علي: أو خديعة هي. قال: فعمل بعمل صاحبيه ستا لا يخرم شيئا إلى ست سنين، ثم إن الشيخ رق وضعف فغلب على أمره.

قلت: ولفظ صحيح البخاري أقرب إلى الصواب.

٣٧. رواية ثابت عن أبي رافع: رواها أبو يعلى^(٢)، وابن حبان^(٣)، الآجري^(٤)، والحاكم^(٥)، وابن عساكر^(٦)، جميعا من طريق جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا ثابت البناني، عن أبي رافع في وفاة عمر. ومما جاء فيها قوله:

جعلتها شورى في ستة: عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا وليس منهم. وأجلهم ثلاثا، وأمر صهيبا أن يصلي بالناس.

وإسناده صحيح.

٣٨. رواية سالم عن عبد الله بن عمر: رواها عبد الرزاق^(٧) - ومن طريقه محمد بن يحيى الذهلي^(٨) - وابن

(١) المصنف ٥/٤٧٧.

(٢) مسنده برقم ٢٧٣١.

(٣) صحيحه برقم ٦٩٠٥.

(٤) الشريعة (٣/١٢٣) برقم ١٤٥٣.

(٥) المستدرک ٣/٩١.

(٦) تاريخ دمشق ٤٤/٤١٠، ٤١١.

(٧) المصنف ٥/٤٧٧، ٤٨٠.

(٨) جزء فيه منتقى من حديث الزهري، ضمن مجموع فيه عشرة اجزاء حديثية برقم ٣٠.

سعد^(١) - ومن طريقه البلاذري^(٢) - والطحاوي^(٣)، والبيهقي^(٤) - ومن طريقه ابن عساكر^(٥) - من طرق إلى ابن شهاب قال: أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال:

دخل الرهط على عمر قبيل أن ينزل به: عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلي والزبير وسعد فنظر إليهم فقال: إني قد نظرت لكم في أمر الناس، فلم أجد عند الناس شقاقا إلا أن يكون فيكم، فإن كان شقاق فهو فيكم، وإنما الأمر إلى ستة، إلى عبد الرحمن وعثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد، وكان طلحة غائبا في أمواله بالسراة، ثم إن قومكم إنما يؤمرون أحدكم أيها الثلاثة، لعبد الرحمن وعثمان وعلي، فإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن فلا تحمل ذوي قرابتك على رقاب الناس، وإن كنت يا عثمان على شيء من أمر الناس فلا تحملن بني أبي معيط على رقاب الناس، وإن كنت على شيء من أمر الناس يا علي فلا تحملن بني هاشم على رقاب الناس، ثم قال: قوموا فتشاوروا فأمروا أحدكم. قال عبد الله بن عمر: فقاموا يتشاورون. فدعاني عثمان مرة أو مرتين ليدخلني في الأمر، ولا والله ما أحب أني كنت فيه، علما أنه سيكون في أمرهم ما قال أبي، والله لقل ما رأيت يجر شفتيه بشيء قط إلا كان حقا، فلما أكثر عثمان علي قلت له: ألا تعقلون؟ أتؤمرون وأمير المؤمنين حي؟ فوالله لكانها أيقظت عمر من مرقد، فقال عمر: أمهلوا، فإن حدث بي حدث فليصل لكم صهيب ثلاث ليال، ثم أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه. قال ابن شهاب: قال سالم: قلت لعبد الله: أبدأ بعبد الرحمن قبل علي، قال: نعم والله.

قلت: رجال إسناده ثقات.

٣٩. رواية ابن مسعود: رواها ابن أبي شيبة^(٦)، والبلاذري^(٧)، وابن أبي عاصم^(٨)، والطبري^(٩)، والخلال^(١٠)، والطبراني^(١١)، والحاكم^(١٢)، وابن عساكر^(١٣)، جميعا من طرق عن عبد الله بن مسعود أنه قال حين استخلف عثمان:

ما ألونا عن أعلاها، ذا فوق^(١٤).

(١) الطبقات ٣/٣١٩.

(٢) أنساب الأشراف ١٠/٤٢٢.

(٣) شرح مشكل الآثار ١٢/٤٨٠.

(٤) السنن الكبرى ٨/١٥١.

(٥) تاريخ دمشق ٤٤/٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) المصنف بأرقام ٣٢٦٩٥، ٣٢٦٩٦، ٣٨٢٣١، ٣٨٢٣٢.

(٧) أنساب الأشراف ٦/١٢٩.

(٨) الأحاد والمثاني بأرقام ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨.

(٩) تهذيب الآثار، مسند عمر ٢/٩٢٧-٩٢٩.

(١٠) السنة بأرقام ٤٠٤، ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٥٤، ٥٥٧.

(١١) المعجم الكبير بأرقام ١٤٠، ١٤١، ٨٨٣٥، ٨٨٣٦، ٨٨٤٠، ٨٨٤١.

(١٢) المستدرک ٣/٩٧.

(١٣) تاريخ دمشق ٣٩/٢١٤-٢١٦.

(١٤) قال الطبري بعد تحريجه هذا الأثر: «أما قول عبد الله ما ألونا عن أعلاها ذا فوق فإنه يعني بقوله ما ألونا ما قصرنا وما تركنا الجهد.. وأما قوله عن أعلاها ذا فوق فإنه يعني بقوله عن أعلاها عن أعلى الأمة والهاء في أعلاها كناية =

٤٠. أخرج ابن عساكر^(١) من طريق خالد بن خدّاش قال:

جلست إلى حماد بن زيد وأنا ابن عشرين سنة، وجلست إليه ثلاث عشرة سنة فسمعتة يقول ما لا أحصي: لئن قلت إن عليا أفضل من عثمان لقد قلت إن أصحاب رسول الله ﷺ قد خانوا.

ثانيا: فتنة مقتل عثمان ﷺ

أ- ما جاء عن النبي ﷺ في هذه الفتنة وتنبؤه بها

٤١. أخرج أحمد^(٢)، والبخاري^(٣) والترمذي^(٤)، وابن حبان^(٥)، وغيرهم من طريق عمرو بن دينار عن جابر ﷺ قال:

لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ «أعوذ بوجهك». قال ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقُ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ «هذا أهون» أو «هذا أيسر».

٤٢. أخرج ابن أبي شيبة^(٦)، أحمد^(٧)، ومسلم^(٨)، وأبو يعلى^(٩)، وابن حبان^(١٠) من طريق عثمان بن حكيم أخبرني عامر بن سعد عن أبيه أن:

رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال ﷺ «سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

= عن الأمة ويريد بقوله عن أعلاها عن أرفعها وأفضلها. وأما قوله ذا فوق فإنه يعني سها قد أصلح فوفه وفوق

السهم مجرى الوتر فيه والفوق جمع واحدة فوفة».

(١) تاريخ دمشق ٣٩ / ٢٠٤.

(٢) المسند ٣ / ٣٠٩.

(٣) صحيحه برقم ٤٦٢٨.

(٤) الجامع برقم ٣٠٦٥.

(٥) صحيحه برقم ٧٢٢٠.

(٦) المصنف برقمي ٣٠١٢٣، ٣٢٣٥٣.

(٧) المسند ١ / ١٨٢، ١٧٥.

(٨) صحيحه برقم ٢٨٩٠.

(٩) مسنده برقم ٧٣٤.

(١٠) صحيحه برقم ٧٢٣٧.

٤٣. أخرج أحمد^(١)، والبخاري^(٢)، ومسلم^(٣)، وابن حبان^(٤) من طريق ابن شهاب عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذب به.

٤٤. أخرج ابن أبي شيبة^(٥)، وأحمد^(٦)، والبخاري^(٧)، ومسلم^(٨) من طريق الزهري عن عروة عن أسامة ابن زيد - رضى الله عنهما - قال:

أشرف النبي ﷺ على أطم من أطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى. قالوا لا. قال: فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر.

٤٥. أخرج أحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، ومسلم^(١١) وغيرهم من طرق عن أبي موسى الأشعري قال:

بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذا استفتح رجل فقال: افتح وبشره بالجنة. قال فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة. قال: ثم استفتح رجل آخر فقال: افتح وبشره بالجنة. قال: فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة. ثم استفتح رجل آخر. قال: فجلس النبي ﷺ فقال: افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون. قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان. قال: ففتحت وبشرته بالجنة. قال: وقلت الذى قال، فقال: اللهم صبرا أو الله المستعان.

٤٦. أخرج البخاري^(١٢) من طريق الأعمش حدثنا شقيق سمعت حذيفة يقول:

بينما نحن جلوس عند عمر قال أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة. قال «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». قال ليس عن هذا أسألك، ولكن التى تموج كموج البحر. قال ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال عمر أيكسر الباب أم يفتح قال بل يكسر. قال عمر إذا لا يغلق أبدا. قلت أجل. قلنا لحذيفة أكان عمر يعلم الباب قال نعم كما أعلم أن دون غد ليلة، وذلك أنى حدثته حديثا ليس بالأغاليط. فهينا أن نسأله من الباب فأمرنا مسروقا فسأله فقال من الباب قال عمر.

٤٧. أخرج ابن أبي شيبة^(١٣)، وأحمد^(١٤)، والترمذي^(١٥)، وابن ماجه^(١٦)، وابن حبان^(١٧) من طريق

(١) المسند ٢/ ٢٨٢.

(٢) صحيحه برقم ٣٦٠١.

(٣) صحيحه برقم ٢٨٨٦.

(٤) صحيحه برقم ٥٩٥٩.

(٥) المصنف برقم ٣٨٢٨٢.

(٦) المسند ٥/ ٢٠٠.

(٧) صحيحه برقمي ١٨٧٨، ٧٠٦٠.

(٨) صحيحه برقم ٢٨٨٥.

(٩) المسند ٤/ ٣٩٣.

(١٠) صحيحه بأرقام ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٧٠٩٧.

(١١) صحيحه برقم ٢٤٠٣. واللفظ له.

(١٢) صحيحه برقم ٧٠٩٦.

(١٣) المصنف برقم ٣٨٨١٢.

(١٤) المسند ١/ ٥٨.

(١٥) الجامع الكبير برقم ٣٧١١.

(١٦) السنن برقم ١١٣. وقد سبقه بقصة في إسنادها مقال سيأتي الكلام عليه في الصنف الثاني من المرويات.

(١٧) صحيحه برقم ٦٩١٨. وروايته كما هي عند ابن ماجه.

وكيع^(١) عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قال قيس: فحدثني أبو سهيلة:

أن عثمان قال يوم الدار حين حصر: إن رسول الله ﷺ عهد إلي، فأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قلت: وهو كما قال.

٤٨. أخرج أحمد^(٢)، وعمر بن شبة^(٣)، والترمذي^(٤) من طريق أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني:

أن خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ - فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ - ما قمت. وذكر الفتن فقرأها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقامت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. قال فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم.

قال الشافعي - فيما رواه أبو نعيم - «ما صح في الفتنة حديث عن النبي ﷺ إلا حديث عثمان بن عفان أنه مر بالنبي ﷺ فقال هذا يومئذ على الحق»^(٥). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»^(٦). وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب ابن عجرة^(٧).

قلت: وقد يكون هذا الخبر مما تأوله أهل الشام في قتالهم علياً، وظاهره يعارض حديث عمار تقتله الفئة الباغية. ولكن من يتأمل خبر عثمان هذا يعلم أن قوله: «هذا يومئذ على الهدى»، يعني أيام الفتنة وقبل مقتله ظلماً ﷺ، أما وقد قتل، وبويع لعلي، فالحق له ومعه وإليه حتى يحكم هو في دمه.

٤٩. أخرج الطيالسي^(٨)، وعبد الرزاق^(٩)، والحميدي^(١٠)، وابن أبي شيبه^(١١)، وأحمد^(١٢)، وابن حبان^(١٣)، والحاكم^(١٤) من طريق عروة بن الزبير عن كرز بن علقمة الخزاعي، قال:

(١) زاد الترمذي: ويحيى بن سعيد.

(٢) المسند ٤/٢٣٦.

(٣) أخبار المدينة ٣/١١٠٢.

(٤) الجامع برقم ٣٧٠٤.

(٥) حلية الأولياء ٩/١١٤.

(٦) وهذا هو الطريق الذي رجحه الدارقطني في العلل ١٤/٣٢-٣٣.

(٧) الجامع ٦/٧٣.

(٨) مسنده برقم ١٣٨٦.

(٩) المصنف ١١/٣٦٢.

(١٠) مسنده برقم ٥٧٤.

(١١) المصنف برقم ٣٨٢٨١.

(١٢) المسند ٣/٤٧٧.

(١٣) صحيحه برقم ٥٩٥٦.

(١٤) المستدرک ١/٣٤.

قال رجل: يا رسول الله، هل للإسلام من منتهى؟ قال: أيما أهل بيت؟ وقال: في موضع آخر قال: نعم، أيما أهل بيت من العرب، أو العجم أراد الله بهم خيرا، أدخل عليهم الإسلام قال: ثم مه؟ قال: ثم تقع الفتن كأنها الظلل. قال: كلا والله إن شاء الله قال: بلى والذي نفسي بيده، ثم تعودون فيها أساود صبا، يضرب بعضكم رقاب بعض^(١).

ب - ما جاء في أسباب الفتنة

أولا: إقبال الدنيا واستفاضة المال:

٥٠. أخرج أحمد^(٢)، والبخاري^(٣)، ومسلم^(٤) وغيرهم من طريق الزهري قال حدثني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا أخبره:

أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بهال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما صلى بهم الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رأيهم وقال: أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء. قالوا أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم.

٥١. أخرج أحمد^(٥)، والبخاري^(٦)، ومسلم^(٧) وغيرهم من طريق يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر:

أن رسول الله ﷺ - خرج يوما فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرطكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد

(١) أدرج الدارقطني هذا الحديث فيما يلزم البخاري ومسلم إخراجها في صحيحهما. انظر: (الإلزامات ص ٩٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح وليس له علة ولم يخرجاه، لتفرد عروة بالرواية عن كرز بن علقمة، وكرز بن علقمة صحابي مخرج حديثه في مسانيد الأئمة، سمعت علي بن عمر الحافظ - يعني الدارقطني - يقول: مما يلزم مسلم والبخاري إخراج حديث كرز بن علقمة هل للإسلام منتهى، فقد رواه عروة بن الزبير، ورواه الزهري وعبد الواحد بن قيس، عنه. قال الحاكم: والدليل الواضح على ما ذكره أبو الحسن أنها جميعا اتفقا على حديث عتبان ابن مالك الأنصاري الذي صلى رسول الله ﷺ في بيته، وليس له راو غير محمود بن الربيع. (المستدرک ٣٤ / ١).

(٢) المسند ٤ / ١٣٧.

(٣) صحيحه بأرقام ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥.

(٤) صحيحه برقم ٢٩٦١.

(٥) المسند ٤ / ١٩٤.

(٦) صحيحه بأرقام ١٣٤٤، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠.

(٧) صحيحه برقم ٢٢٩٦.

أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإنى والله ما أخاف عليكم أن
تشركوا بعدى، ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها.

٥٢. أخرج أحمد^(١)، والبخاري^(٢)، ومسلم^(٣) وغيرهم من طريق عطاء بن يسار أنه سمع أبا سعيد
الخدري - رضى الله عنه - يحدث:

أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: إنى مما أخاف عليكم من بعدى
ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها..

٥٣. أخرج البخاري^(٤) وغيره من طريق يحيى عن إسماعيل قال حدثنى قيس قال:

أتيت خبابا وهو يبنى حائطا له فقال إن أصحابنا الذين مضوا لم تنقصهم الدنيا شيئا، وإنما
أصبنا من بعدهم شيئا، لا نجد له موضعا إلا التراب.

٥٤. أخرج ابن المبارك^(٥)، وعبد الرزاق^(٦)، وابن أبي شيبة^(٧) من طريق الزهري، عن إبراهيم بن عبد
الرحمن بن عوف، قال:

لما أتى عمر بكنوز آل كسرى فإذا من الصفراء والبيضاء ما يكاد أن يجار منه البصر، قال:
فبكى عمر عند ذلك، قال: فقال عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، إن هذا اليوم يوم
شكر وسرور وفرح، فقال عمر: ما كثر هذا عند قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء.

٥٥. أخرج أحمد^(٨)، وعمر بن شبة^(٩)، والآجري^(١٠) من طريق الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله أن
عبد الله بن عمر قال:

جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني، فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على
عثمان فتكلم كلاما طويلا وهو امرؤ في لسانه ثقل فلم يكذ يقضي كلامه في سريح. قال: فلما
قضى كلامه قلت له: إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة رسول الله بعده: أبو بكر،
ثم عمر، ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسا بغير حق، ولا جاء من الكبائر شيئا،
ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما تريدون أن
تكونوا كفارس والروم، لا يتركون لهم أميرا إلا قتلوه.

(١) المسند ٣/ ٢١، ٩١.

(٢) صحيحه برقم ١٤٦٥.

(٣) صحيحه برقم ١٠٥٢.

(٤) صحيحه برقم ٦٤٣١.

(٥) الزهد برقم ٧٦٨.

(٦) المصنف ١١/ ٩٩-١٠٠.

(٧) المصنف برقم ٣٥٥٨٧.

(٨) فضائل الصحابة برقم ٦٤.

(٩) أخبار المدينة ٣/ ١١١٤.

(١٠) الشريعة برقم ١٤٥٣.

٥٦. أخرج عمر بن شبة^(١) من طريق حماد بن زيد، عن هشام، عن ابن سيرين قال:

لم تكن الدراهم في زمني أرخص منها في زمان عثمان رضي الله عنه، إن كانت الجارية لتباع بوزنها، وإن الفرس ليبلغ خمسين ألفاً، مما يعطيهم.

٥٧. أخرج عمر بن شبة^(٢) من طريق ضمرة بن ربيعة، عن السري بن يحيى، عن ابن سعدى قال:

كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم.

٥٨. أخرج عمر بن شبة^(٣) عن سعيد بن عامر قال، سمعت شعبة يقول: بلغ الفرس في زمن عثمان مائة ألف درهم.

٥٩. أخرج عمر بن شبة^(٤)، والبلاذري^(٥) من طريق مبارك بن فضالة قال، سمعت الحسن يقول:

أدركت عثمان وأنا يومئذ قد راهقت الحلم فسمعتة يخطب، وما من يوم إلا وهم.. يقسمون فيه خيراً، يقال: يا معشر المسلمين اغدوا على أرزاقكم. فيغدون ويأخذونها وافرة. يا معشر المسلمين اغدوا على كسوتكم، فيجاء بالحلل فتقسم بينهم. قال الحسن: حتى - والله - سمع أوس يقال: اغدوا السمن والعسل. قال الحسن: والعدو ينفر، والعطيات دارة، وذات البين حسن، والخير كثير، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً.

٦٠. أخرج الطبري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق سيف عن عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبيه قال:

أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا، وانتهى وسع الناس طيران الحمام والرمي على الجلاهقات، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان فقصّها، وكسر الجلاهقات.

وأخرج الطبري^(٨) نحوه من طريق سيف أيضاً عن محمد بن عبد الله عن عمرو بن شعيب.

٦١. أخرج أحمد^(٩)، والبخاري^(١٠) وغيره من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال:

كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان آخر إمرة عمر، فجلد أربعين، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين.

(١) أخبار المدينة ٣/ ١٠٢٣.

(٢) أخبار المدينة ٣/ ١٠٢١.

(٣) أخبار المدينة ٣/ ١٠٢١.

(٤) أخبار المدينة ٣/ ١٠٢٣.

(٥) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٣.

(٦) تاريخه ٤/ ٣٩٨.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/ ٢٢٨.

(٨) تاريخه ٤/ ٣٩٨.

(٩) المسند ٣/ ٤٤٩.

(١٠) صحيحه برقم ٦٧٧٩.

ثانيا: استعمال أقربائه^(١):

٦٢. أخرج أبو زرعة الدمشقي^(٢) من طريق الوليد بن مسلم قال: حدثني مرزوق بن أبي الهذيل قال: حدثني ابن شهاب عن عروة أنه حدثه قال:

استخلف عثمان بن عفان، ففتح الله عليه أفريقية، وخراسان. فعزل عمير بن سعد عن حمص، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمرو بن العاص عن مصر وأمر عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - أحد بني عامر بن لؤي - ونزع أبا موسى الأشعري عن البصرة، وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كرز، ونزع المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وأمر عليها سعيد بن العاص، فلم يزل أميرها حتى استعرت الفتنة في الناس، ففصل سعيد من عند عثمان إلى الكوفة، فلقيته خيل أهل الكوفة بالعذيب فردوه إلى عثمان فلم تزل الفتنة تستعر، حتى قتل عثمان.

٦٣. أخرج ابن عساكر^(٣) من طرق إلى إسماعيل بن أبي خالد حدثني طارق بن شهاب قال:

لما قدم الوليد بن عقبة على سعد قال له سعد: يا أبا وهب، والله ما أدري، أكست بعدي أم استحقمت أنا بعدك. قال عمار عن سلمة عن ابن إسحاق قال: فقال الوليد ما كسنا بعدك ولا حقمت، ولكن القوم استأثروا عليك بسطانهم. قال: صدقت. وخرج سعد وأقام الوليد على الكوفة خمس سنين.

٦٤. أخرج الطبري^(٤)، والطبراني^(٥)، وابن عساكر^(٦) من طرق إلى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال:

كان لابن مسعود على سعد مال فقال ابن مسعود: أد المال الذي قبلك فقال سعد: والله إني لأراك لاق مني شرا هل أنت إلا ابن مسعود وعبد من بني هذيل؟ قال: أجل والله إني لابن مسعود وإنك لابن حمنة فقال لهما هاشم بن عتبة: إنكما صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الناس إليكما فطرح سعد عودا كان بيده ثم رفع يده فقال: اللهم رب السموات فقال له عبد الله: قل قولا ولا تلعن فسكت ثم قال سعد: أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطئك.

ورجاله ثقات. ويفسر بعض جوانب هذا الخبر ما رواه الطبري^(٧) عن سيف، عن عمرو، عن

الشعبي قال:

كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة، وهو أول مصر نزع الشيطان بينهم في الإسلام، أن سعد بن أبي وقاص استقرض من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالا فأقرضه فلما تقاضاه لم يتيسر عليه، فارتفع بينها الكلام حتى استعان عبد الله بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله.

(١) ولعل فيما رواه ابن أبي شيبه (المصنف برقم ٣٣٦٥١) ما يبرز هذه الصورة المتناقضة التي ساهمت في عوامل الفتنة وأسبابها، إذ روى من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أتى عمر بن الخطاب بغنائم من غنائم جلولاء فيها ذهب وفضة، فجعل يقسمها بين الناس، فجاء ابن له، يقال له: عبد الرحمن، فقال: يا أمير المؤمنين، اكسني خاتما، قال: اذهب إلى أمك تسقيك شربة من سويق، قال: فوالله ما أعطاه شيئا.

(٢) تاريخه برقم ٨٦.

(٣) تاريخ دمشق ٦٣/٢٣٧.

(٤) تاريخه ٤/٢٥٢.

(٥) المعجم الكبير برقم ٣٠٦.

(٦) تاريخ دمشق ٢٠/٣٤٣، ٣٤٤.

(٧) تاريخه ٤/٢٥٢.

وفيه أيضا^(١) عن سيف، عن القاسم بن الوليد، عن المسيب بن عبد خير، عن عبد الله بن عكيم قال:

لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبد الله إياه، فلم يتيسر على سعد قضاؤه غضب عليها عثمان، وانتزعها من سعد وعزله وغضب على عبد الله، وأقره واستعمل الوليد بن عقبة وكان عاملا لعمر على ربيعة بالجزيرة فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره بابا حتى خرج من الكوفة.

وعلاقة ذلك في بابنا هنا أن عبد الله بن مسعود كان في الجاهلية غلاما يرعى أغنام عقبة بن أبي معيط والد الوليد بن عقبة من بني أمية. والوليد كان أيضا أخا عثمان بن عفان لأمه.

٦٥. أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن أبي أسامة، قال: حدثني العلاء بن المنهال، قال: حدثنا عاصم بن كليب الجرمي قال:

.. قال: ثم دنا منه^(٣) أبي^(٤)، فقال: أوص بي صاحب البصرة فإن لي مقاما بعدكم، قال: فقال: لو قد رآك صاحب البصرة لقد أكرمك، قال: كأنه يرى، أنه الأمير، قال: فخرج أبي من عنده فلقية رجل، قال: فقال: قد قام أمير المؤمنين قبل خطيبا، فاستعمل ابن عباس على أهل البصرة، وزعم أنه سائر إلى الشام يوم كذا وكذا، قال: فرجع أبي فأخبر الأشر، قال: فقال لأبي: أنت سمعته؟ قال: فقال أبي: لا قال: فنهره وقال: اجلس، إن هذا هو الباطل، قال: فلم أبرح أن جاء رجل فأخبره مثل خبري، قال: فقال: أنت سمعت ذلك؟ قال: فقال: لا، فنهره نهره دون التي نهرني، قال: ولحظ إلي وأنا في جانب القوم، أي إن هذا قد جاء بمثل خبرك. قال: فلم ألبث أن جاء عتاب التغلبي والسيف يخطر، أو يضطرب في عنقه، فقال: هذا أمير مؤمنكم قد استعمل ابن عمه على البصرة، وزعم أنه سائر إلى الشام يوم كذا وكذا، قال: قال له الأشر: أنت سمعته يا أعور، قال: إي والله يا أشر، لأننا سمعته بأذني هاتين، قال: فتبسم تبسما فيه كشور، قال: فقال: فلا ندري إذا علام قتلنا الشيخ بالمدينة^(٥). قال: ثم قال: لمذحجيته قوموا فاركبوا، فركب، قال: وما أراه يريد يومئذ إلا معاوية، قال: فهم علي أن يبعث خيلا تقاتله، قال: ثم كتب إليه، أنه لم يمنعني من تأميرك أن لا تكون لذلك أهلا، ولكنني أردت لقاء أهل الشام وهم قومك، فأردت أن أستظهر بك عليهم، قال: ونادى في الناس بالرحيل، قال: فأقام الأشر حتى أدركه أوائل الناس، قال: وكان قد وقت لهم يوم الاثنين، فيما رأيت، فلما صنع الأشر ما صنع نادى في الناس قبل ذلك بالرحيل.

(١) تاريخه ٤/ ٢٥٢.

(٢) المصنف برقم ٣٨٩١٢ (فقرة ٣-٦).

(٣) يعني من الأشر، وذلك بعد موقعة الجمل.

(٤) يعني كليب بن شهاب والد عاصم راوي الخبر.

(٥) يشير الأشر هنا إلى أبرز ما أتهم به عثمان من تعيينه أقاربه، وكأنه ضاق به أن يصنع علي مثل الذي صنع عثمان فيكون هذا مقدمة يُحشى منها فيما بعد أن يتسلط بنو هاشم على رقاب الناس.

ثالثا: ما نُقِم على بعض عمال عثمان وولاته:

أ- ما جاء في شأن السعاة والمصدقين:

٦٦. أخرج عبد الرزاق^(١) - ومن طريقه أحمد^(٢) - وابن أبي شيبة^(٣)، والبخاري^(٤)، وابن عساكر^(٥) من

طريق محمد بن سوقة عن منذر عن ابن الحنفية قال:

لو كان علي عليه السلام ذاكرا عثمان عليه السلام ذكره يوم جاءه ناس فشكوا سعاة عثمان، فقال لي علي:
اذهب إلى عثمان فأخبره أنها^(٦) صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر ساعاتك يعملوا بها. فأتيت بها فقال
أغنها عنا. فأتيت بها عليا فأخبرته فقال ضعها حيث أخذتها.

وقد يفسر شيئا من هذا الخبر، ما رواه أبو نعيم^(٧) - ومن طريقه ابن حجر^(٨) - من طريق الأوزاعي

حدثني مرثد أبو كثير عن أبيه عن أبي ذر أن رجلا أتاه فقال:

إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا فقال لا قف مالك وقل
ما كان لكم من حق فخذوه وما كان باطلا فذروه فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم
القيامة وعلى رأسه فتى من قريش فقال أما هناك أمير المؤمنين عن الفتيا..

٦٧. أخرج ابن سعد^(٩) قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن صالح مولى

التوأمة، عن أبي عيس الحارثي رجل من أهل بدر:

أن عثمان بن عفان جاء يعوده، وهو في غميه، فلما أفاق قال عثمان: كيف تجدك؟ قال:
صالحا، وجدنا شأننا كله صالحا إلا عقولا هلكت بيننا وبين العمال لم نكد نتخلص منها^(١٠).

ب- ما جاء في سعيد بن العاص:

٦٨. أخرج البخاري^(١١) من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن أنس:

أن عثمان دعا زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن
الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا
اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإننا نزل بلسانهم.
ففعّلوا ذلك.

٦٩. أخرج ابن عساكر^(١٢) من طريق سليمان بن أبي شيخ، نا سليمان بن زياد قال:

(١) المصنف ٦/٤.

(٢) المسند ١/١٤١.

(٣) المصنف برقم ٣٨٨٦٢.

(٤) صحيحه برقمي ٣١١١، ٣١١٢.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩/٢٦٦.

(٦) يعني صحيفة كانت لدى علي رضي الله عنه.

(٧) حلية الأولياء ١/١٦٠.

(٨) تعليق التعليق ٢/٨٠.

(٩) الطبقات ٣/٤١٥.

(١٠) هذا خبر إسناده صحيح، ولم أتبين معناه على الوجه، فعسى أن يكون موضعه كما رأيت.

(١١) صحيحه برقم ٣٥٠٦.

(١٢) تاريخ دمشق ٢١/١٢٦.

كان بين سعيد بن العاص وبين قوم من بني أمية منازعة، فجاءت سعيداً ولاية المدينة من قبل معاوية فقال لا أنتصر وأنا وإل. فترك منازعة القوم.

٧٠. أخرج أحمد^(١)، ومسلم^(٢) من طريق ابن عون عن محمد قال قال جندب:

جئت يوم الجرة^(٣) فإذا رجل جالس فقلت: ليهاقن اليوم ها هنا دماء. فقال ذاك الرجل: كلا والله. قلت: بلى والله. قال: كلا والله. قلت: بلى والله. قال: كلا والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه. قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعي أخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني. ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله فإذا الرجل حذيفة.

ت - ما جاء في شأن الوليد بن عقبة:

ما جاء في شربه ومجونه^(٤):

٧١. أخرج أحمد^(٥)، والبخاري^(٦)، وعمر بن شبة^(٧)، من طريق ابن شهاب قال: أخبرني عروة: أن عبيد

الله بن عدى بن الخيار أخبره: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قال:

ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه. فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك. قال يا أيها المرء - قال معمر أراه قال - أعوذ بالله منك. فانصرفت، فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت إن الله سبحانه بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله، فهاجرت المهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد^(٨). قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلصت إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها. قال أما بعد فإن الله بعث محمدا ﷺ بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وأمنت بما بعث به، وهاجرت المهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم قلت بلى. قال فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم! أما ما ذكرت من شأن الوليد، فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا علياً فأمره أن يجلد، فجلده ثمانين.

(١) المسند ٣٩٩/٥.

(٢) صحيحه برقم ٢٨٩٣.

(٣) الجرة: بفتح الجيم، وفتح الراء وإسكانها. هو يوم خرج فيه أهل الكوفة إلى سعيد بن العاص ليردوه - وكان قدم عليهم واليا من قبل عثمان - فردوه وولوا أبا موسى وسألوا عثمان تقديمه فأقره. انظر: مشارق الأنوار ١/١٦٩، وشرح النووي على مسلم ١٨/١٨.

(٤) راجع أخبار من شرب في عهد عمر (أخبار المدينة ٣/٨٤١، ٨٤٢-٨٤٨، وأنساب الأشراف ١٠/٣٧٩، ٣٨٠). وقد أكثر أبو مخنف الحكايات في هذا الباب عند البلاذري في أنساب الأشراف ٦/١٣٩ وما بعدها.

(٥) فضائل الصحابة برقم ٧٩١.

(٦) صحيحه برقمي ٣٦٩٦، ٣٨٧٢.

(٧) أخبار المدينة ٣/٩٧٠.

(٨) زاد في طريق البخاري الآخر: "فحق عليك أن تقيم عليه الحد".

٧٢. أخرج الطيالسي^(١)، وابن أبي شيبة^(٢)، وأحمد^(٣)، والدارمي^(٤)، ومسلم^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، وأبو داود^(٧)، وابن ماجه^(٨)، والبلاذري^(٩)، والنسائي^(١٠)، وأبو يعلى^(١١)، والطحاوي^(١٢)، والبيهقي^(١٣) جميعاً من طريق حنظلة بن عمار بن ساسان قال:

شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر. وشهد آخر أنه رآه يتقياً فقال عثمان إنه لم يتقياً حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده. فقال علي: قم يا حسن فاجلده. فقال الحسن ول حارها من تولى قارها - فكأنه وجد عليه - فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده. فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك.

٧٣. أخرج أحمد^(٤)، وغيره من طريق عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة قال:

قالوا يا أم المؤمنين أخبرينا عن عثمان قال فاستجلست الناس فحمدت الله وأثنت عليه فقالت: يا أيها الناس إنا نقمنا^(١٥) على عثمان ثلاثاً: إمرة الفتى والحمى وضربه السوط ثم تركتموه حتى إذا مُصتموه موص الثوب عدوتم عليه الفقر الثلاث حرمة دمه الحرام وحرمة البلد الحرام لعثمان كان أتقاهم للرب وأحصنهم للفرج وأوصلهم للرحم.

رابعاً: تملك الخواص الأرض والمال:

وأقوى ما روي في هذا الباب:

٧٤. ما أخرج ابن سعد - ومن طريقه البلاذري^(١٦) - عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن أبيها قال: سمعت عثمان يقول:

أيها الناس إن أبا بكر وعمرو كانا يتأولان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوي أرحمهما، وإنني تأولت فيه صلة رحمي.

-
- (١) مسنده برقم ١٧٣.
 - (٢) المصنف برقم ٢٨٩٩٨.
 - (٣) مسنده ١/٨٢، ١٤٠، ١٤٥، وفضائل الصحابة برقم ١١٣٨.
 - (٤) مسنده برقم ٢٣١٢.
 - (٥) صحيحه برقم ١٧٠٧.
 - (٦) أخبار المدينة ٣/٩٧٣.
 - (٧) السنن برقم ٤٤٧٥.
 - (٨) السنن برقم ٢٥٧١.
 - (٩) أنساب الأشراف ٦/١٤٦.
 - (١٠) السنن الكبرى برقم ٥٢٦٩.
 - (١١) مسنده برقم ٥٠٤.
 - (١٢) شرح معاني الآثار ٣/١٥٢، وشرح مشكل الآثار برقم ٢٤٤٨.
 - (١٣) السنن الكبرى ٨/٣١٨، ودلائل النبوة ٦/٣٩٨.
 - (١٤) سيأتي تخريجه برقم ٧٦.
 - (١٥) في متن الموضوع الأول من الفضائل: «إنكم عتبتم».
 - (١٦) أنساب الأشراف ٦/١٣٣.

٧٥. وأخرج البلاذري^(١) عن محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور قالت:

لما بنى مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور فيمن دعا، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهماً فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت لكان خيراً لك، لقد غزوت معنا إفريقية وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً وأخفنا ثقلاً فأعطاك ابن عفان خمس إفريقية، وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين؛ فشكاه مروان إلى عروة وقال: يُغلظ لي وأنا له مكرم متقٍ.

خامساً: موقف عثمان من بيت المال:

٧٦. قال ابن سعد^(٢): أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، عن أبيها قال:

ولى عمر بن الخطاب بيت مال المسلمين عبد الله بن الأرقم الزهري، وكان عمر يستسلف من بيت المال، فإذا خرج العطاء جاءه عبد الله بن الأرقم فيتقاضاه فيقضيه، فلما ولي عثمان أقر عبد الله بن الأرقم على بيت مال المسلمين، فكان يستسلف منه ثم يقضيه كالذي كان يصنع عمر بن الخطاب، ثم اجتمع عند عثمان مال كثير، وحضر خروج العطاء، فقال له عبد الله بن الأرقم: أد المال الذي استسلفت، فقال له عثمان: ما أنت وذاك، إنما أنت خازني. فخرج عبد الله بن الأرقم حتى وقف على المنبر فصاح: يا ناس، فاجتمعوا. فأخبرهم بما قال عثمان، وقال: هذه مفاتيح بيت مالكم.

وفي الباب ما رواه ابن سعد^(٣) عن محمد بن عمر قال: حدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه، عن المسور بن مخرمة قال:

أخبر عبد الله بن الأرقم عبد الرحمن بن عوف بما قال له عثمان، فخرج عبد الرحمن فدخل على عثمان فقال: لئن كان المال لك إن في عبيدك لمن كان يخزن لك، وإن كان المال للمسلمين فإنما عبد الله خازن المسلمين وأمينهم، ثم خرج مغضباً وقال لعبد الله بن الأرقم: اردد إلى الناس مفاتيحهم، فلما صلى الناس العصر نادى عبد الله بن الأرقم: أيها الناس، هذا مفتاح بيت مالكم. وعلقه برمانة المنبر، وانصرف إلى بيته. فأرسل عثمان إلى عبد الرحمن بن عوف يسأله أن يكلم عبد الله بن الأرقم أن يقبل المفتاح، وأمر لعبد الله بن الأرقم بمال، فأبى عبد الرحمن بن عوف أن يكلمه، وأبى عبد الله بن الأرقم أن يقبل ذلك المال، فمكث المفتاح معلقاً برمانة المنبر حتى صلى عثمان العشاء، فأمر زيد بن ثابت أن يجلس عند المفتاح ويرقبه ألا يصل إليه أحد، فلما كان الليل وتفرق الناس إلى بيوتهم انقلب به زيد إلى بيته.

(١) أنساب الأشراف ٦/١٣٦.

(٢) الطبقات ٦/٧٣.

(٣) الطبقات ٦/٧٣، ٧٤.

سادسا: حمى الحمى^(١):

٧٧. أخرج البخاري^(٢) وغيره من طريق ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس^(٣):

أن الصعب بن جثامة قال إن رسول الله ﷺ قال: لا حمى إلا لله ولرسوله. وقال^(٤): بلغنا أن النبي ﷺ حمى النقيع، وأن عمر حمى السرف والربذة.

٧٨. أخرج أحمد^(٥)، والبلاذري^(٦) من طريق عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة قال:

قالوا يا أم المؤمنين أخبرينا عن عثمان قال فاستجلست الناس فحمدت الله وأثنت عليه فقالت: يا أيها الناس إنا نقمنا^(٧) على عثمان ثلاثا: إمرة الفتى والحمى وضربه السوط ثم تركتموه حتى إذا مصتموه موص الثوب عدوتم عليه الفقر الثلاث حرمة دمه الحرام وحرمة البلد الحرام لعثمان كان اتقاهم للرب واحصنهم للفرج وأوصلهم للرحم.

قلت: عبد الملك صدوق، إلا أنه اختلف عليه في حفظه^(٨).

سابعا: إتمام الصلاة بمنى:

٧٩. أخرج البخاري^(٩) من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع عن عبد الله بن عمر قال:

صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين، وأبى بكر وعمر، ومع عثمان صدرا من إمارته ثم أتمها.

زاد متن ابن أبي شيبة^(١٠): فكان ابن عمر إذا صلى مع الإمام صلى أربعاً، وإذا صلاها وحده صلاها ركعتين.

٨٠. أخرج أحمد^(١١)، والبخاري^(١٢)، وغيرهما من طريق الأعمش قال حدثنا إبراهيم قال سمعت عبد

الرحمن بن يزيد يقول:

صلى بنا عثمان بن عفان ﷺ بمنى أربع ركعات، فقليل ذلك لعبد الله بن مسعود ﷺ فاسترجع ثم قال صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبى بكر ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب ﷺ بمنى ركعتين، فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان.

(١) انظر في الحمى على عهد عمر أنساب الأشراف ١٠ / ٤٠٥.

(٢) صحيحه برقم ٢٣٧٠.

(٣) يعني الزهري.

(٤) فضائل الصحابة برقمي ٧٢٦، ٧٣٤.

(٥) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦.

(٦) في متن الموضوع الأول من الفضائل: "إنكم عتبتم".

(٧) انظر تهذيب الكمال ١٨ / ٣٧٠.

(٨) صحيحه برقمي ١٠٨٢، ١٦٥٥.

(٩) المصنف برقم ١٤١٧٠.

(١٠) المسند ١ / ٣٧٢.

(١١) صحيحه برقمي ١٠٨٤، ١٦٥٧.

زاد متن ابن أبي شيبة^(١):

قال الأعمش: فحدثني معاوية بن قررة، أن عبد الله صلى بعد أربعاً، فقبل له: عبت على عثمان، ثم تصلى أربعاً، قال: فقال عبد الله: الخلاف شر.

٨١. أخرج البخاري^(٢) من طريق نافع عن عبد الله رضى الله عنه قال:

صليت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين، وأبى بكر وعمر، ومع عثمان صدرا من إمارته ثم أتمها.

٨٢. أخرج البخاري^(٣) من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت:

الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر. قال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟ قال: تأولت ما تأول عثمان.

ثامنا: ما روي في شأن حرق المصاحف^(٤):

٨٣. أخرج البخاري^(٥)، وغيره من طريق ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن:

حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

٨٤. أخرج ابن أبي شيبة^(٦)، وعمر بن شبة^(٧)، من طريق عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال:

عابوا على عثمان تمزيق المصاحف وأمنوا بما كتبت لهم!

٨٥. أخرج البخاري في تاريخه^(٨)، وعمر بن شبة^(٩)، عن شعبة عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد أنه:

أدرك أصحاب النبي ﷺ حين شق عثمان المصاحف فأعجبهم.

(١) المصنف برقم ١٤١٧٤.

(٢) صحيحه برقم ١٠٨٢.

(٣) صحيحه برقم ١٠٩٠.

(٤) انظر تاريخ دمشق ٣٩/٢٤١ وما بعدها ومنها مواقف الصحابة من فعل عثمان هذا، فضلا عن كتاب المصاحف لابن أبي داود.

(٥) صحيحه برقم ٤٩٨٧.

(٦) المصنف برقم ٣٨٨٣٣.

(٧) أخبار المدينة ٣/١٠٠٤ من طريقين عن عمران به.

(٨) الأوسط ١/٥٠٧.

(٩) أخبار المدينة ٣/١٠٠٤، من طرق عن شعبة به.

تاسعا: ما جاء في موقفه من أبي ذر وموقف أبي ذر منه^(١):

٨٦. أخرج مسلم^(٢) من طريق بكر بن عمرو، عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن ابن حجرية الأكبر، عن أبي ذر، قال:

قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال: فضر ببيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها.

٨٧. أخرج أحمد^(٣)، ومسلم^(٤) من طريق سالم بن أبي سالم الجيشاني، عن أبيه، عن أبي ذر، أن رسول الله ﷺ قال:

يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب ل نفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم.

٨٨. أخرج ابن سعد^(٥)، والفسوي^(٦)، والبيهقي^(٧)، وابن عساكر^(٨) من طرق عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، قال:

أتينا عليا فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ، فقال: عن أيهم؟ قال: قلنا: حدثنا عن عبد الله بن مسعود، قال: علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علما، قال: قلنا: حدثنا عن أبي موسى، قال: صبغ في العلم صبغة ثم خرج منه قال: قلنا: حدثنا عن عمار بن ياسر، فقال: مؤمن نسي، وإذا ذكر ذكر قال: قلنا: حدثنا عن حذيفة فقال: أعلم أصحاب محمد بالمنافقين قال: قلنا حدثنا عن أبي ذر، قال: وعى علما ثم عجز فيه، قال: قلنا: أخبرنا عن سلمان، قال: أدرك العلم الأول، والعلم الآخر، بحر لا ينزح قعره، منا أهل البيت، قال: قلنا: فأخبرنا عن نفسك يا أمير المؤمنين، قال: إياها أردتم كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت.

وإسناده صحيح.

وأخرج ابن سعد^(٩)، والبلاذري، والضياء^(١٠) عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج، أخبرني أبو حرب بن أبي الأسود، عن أبي الأسود، قال: قال ابن جريج: ورجل، عن زاذان^(١١)، قال:

(١) قال الطبري (تاريخه ٤/ ٢٨٣-٢٨٦): «وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة.. وأما الآخرون فإنهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورا شنيعة كرهت ذكرها». ١. هـ. وراجع أخبار أبي ذر هناك حتى ص ٢٨٥.

(٢) صحيحه برقم ١٨٢٥.

(٣) المسند ٥/ ١٨٠.

(٤) صحيحه برقم ١٨٢٦.

(٥) الطبقات ٢/ ٢٩٩.

(٦) المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٤٠.

(٧) المدخل إلى السنن الكبرى برقم ١٠٣.

(٨) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٧٥، ٢١/ ٤١٢، ٤٢٠، ٣٢/ ٦١، ٦٢.

(٩) الطبقات ٢/ ٣٠٥، ٤/ ٢١٨.

(١٠) الأحاديث المختارة برقم ٤٩٤.

(١١) انظر العلل للدارقطني ٣/ ٢٠٨، والتاريخ لابن أبي خيثمة برقم ٣٢٨.

سئل علي عليه السلام عن أبي ذر فقال: وعى علما عجز فيه، وكان شحيحا حريصا، شحيحا على دينه، حريصا على العلم، وكان يكثر السؤال فيعطى ويمنع، أما أن قد مليء له في وعائه حتى امتلأ، فلم يدروا ما يريد بقوله وعى علما عجز فيه، أعجز عن كشفه، أم عن ما عنده من العلم، أم عن طلب ما طلب من العلم إلى النبي صلى الله عليه وآله.

وقد يفسر كلام علي عليه السلام ما أخرجه أحمد^(١)، والطبراني^(٢) عن حسن الأشيب، وابن وهب عن ابن لهيعة، قال: حدثنا عبيد الله بن المغيرة، عن يعلى بن شداد بن أوس، قال: قال شداد بن أوس:

كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه الشدة، ثم يخرج إلى قومه يسلم عليهم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر، فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد.

٨٩. أخرج ابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، والبخاري^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، والنسائي^(٧)، من طريق حصين عن زيد بن وهب قال:

مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر عليه السلام فقلت له ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشأم، فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله. قال معاوية نزلت في أهل الكتاب. فقلت نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذلك، وكتب إلى عثمان عليه السلام يشكوني، فكتب إلى عثمان أن اقدم المدينة. فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبا. فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا علي حشيا لسمعت وأطعت.

٩٠. أخرج البخاري معلقا^(٨)، والدارمي^(٩)، وإسحاق بن راهويه^(١٠):

اجتمع الناس يستفتونه - أبا ذر - فجاءه رجل فوقف عليه، فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا، قال فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت علي؟ لو وضعت الصمصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها.

٩١. أخرج البخاري^(١١)، ومسلم^(١٢) من طريق الجريري حدثنا أبو العلاء بن الشخير أن الأحنف بن قيس حدثهم قال:

(١) المسند ٤/ ١٢٥.

(٢) المعجم الكبير برقم ٧١٦٦.

(٣) الطبقات ٤/ ٢١٢.

(٤) المصنف برقمي ١٠٧٩٩، ٣١٢٥٢.

(٥) صحيحه برقم ١٤٠٦.

(٦) أخبار المدينة ٣/ ١٠٣٨.

(٧) السنن الكبرى برقم ١١١٥٤.

(٨) صحيحه قبل رقم ٦٨.

(٩) مسنده برقم ٥٦٢.

(١٠) انظر المطالب العالية برقم ٥٦٢.

(١١) صحيحه برقم ١٤٠٧، ١٤٠٨.

(١٢) صحيحه برقم ٩٩٢.

جلست إلى ملا من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال بشر الكانزين برضف يحمي عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، ثم ولى فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه، وأنا لا أدري من هو فقلت له لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذى قلت. قال إنهم لا يعقلون شيئاً. قال لى خليلي - قال قلت من خليلك قال: النبى ﷺ - يا أبا ذر أتبصر أحدا. قال فنظرت إلى الشمس ما بقى من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلنى فى حاجة له، قلت نعم. قال: ما أحب أن لى مثل أحد ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير. وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا. لا والله لا أسألم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله.

٩٢. أخرج ابن زنجويه^(١)، ابن حبان^(٢) من طريق أبي عمران الجوني سمع عبد الله بن الصامت يقول:

قدم أبو ذر على عثمان من الشام فقال: يا أمير المؤمنين افتح الباب حتى يدخل الناس أتحسبني من قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه هم شر الخلق والخليقة، والذي نفسي بيده لو أمرتني أن أقعد لما قمت ولو أمرتني أن أكون قائماً لقمتم ما أمكنتني رجلاي ولو ربطتني على بعير لم أطلق نفسي حتى تكون أنت الذي تطلقني، ثم استأذنه أن يأتي الربذة فأذن له فأتاها فإذا عبد يؤمهم فقالوا: أبو ذر فنكص العبد فقبل له: تقدم فقال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: أن أسمع وأطيع ولو لعبد حبشي مجدع الأطراف وإذا صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر جيرانك فأئلهم منها بمعروف، وصل الصلاة لوقتها، فإن آتيت الإمام وقد صلى كنت قد أحرزت صلاتك، وإلا فهي لك نافلة.

وإسناده صحيح.

وأخرج ابن سعد^(٣) نحوه من طريق سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال قال: حدثنا عبد الله بن الصامت..

٩٣. أخرج عمر بن شبة^(٤) عن حجاج بن نصير قال، حدثنا قرة أن محمد بن سيرين:

كان إذا ذكر له أن عثمان ﷺ سيره أخذه أمر عظيم، ويقول: هو خرج من قبل نفسه ولم يسيره عثمان.

٩٤. أخرج عمر بن شبة^(٥) من طريق ضمرة بن ربيعة، عن غالب القطان قال:

قلت للحسن: عثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله.

(١) الأموال برقم ٢٧.

(٢) صحيحه برقم ٥٩٦٤.

(٣) الطبقات ٤/٢١٨.

(٤) أخبار المدينة ٣/١٠٣٧.

(٥) أخبار المدينة ٣/١٠٣٧.

عاشرا: ما روي في موقفه من عمار بن ياسر وموقف عمار منه:

٩٥. أخرج ابن سعد^(١)، والبخاري في تاريخه^(٢)، وعبد الله بن أحمد^(٣)، والطبراني^(٤) من طرق عن كلثوم ابن جبر قال:

كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقلت: الإذن، هذا أبو غادية الجهني، فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال، ضرب من الرجال، كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعت رسول الله ﷺ قلت: يمينك، قال: نعم، وخطبنا رسول الله ﷺ يوم العقبة، فقال: يا أيها الناس، ألا إن دماءكم وأمموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟، فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حنانا، فبينما أنا في مسجد قباء إذ هو يقول: ألا إن نعثلا هذا لعثمان، فالتفت فلو أجد عليه أعوانا لو طئته حتى أقتله، قال: قلت: اللهم إنك إن تشأ تمكني من عمار، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول الكتيبة رجلا، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة قطعته في ركبته بالرمح، فعثر فانكشف المغفر عنه، فضرته فإذا رأس عمار. قال: فلم أر رجلا أبين ضلالة عندي منه إنه سمع من النبي عليه السلام ما سمع، ثم قتل عمارا. قال: واستسقى أبو غادية فأتي بهاء في زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتي بهاء في قدح فشرب، فقال رجل على رأس الأمير قائم بالنبطية: أوى يد كفتا، يتورع عن الشراب في زجاج ولم يتورع عن قتل عمار.

وأخرج ابن سعد^(٥)، وأحمد^(٦)، وعمر بن شبة^(٧) عن عفان بن مسلم، قال: أخبرنا حماد بن سلمة،

قال: أخبرنا أبو حفص، وكلثوم بن جبر، عن أبي غادية قال:

سمعت عمار بن ياسر يقع في عثمان يشتمه بالمدينة. قال: فتوعدته بالقتل، قلت: لئن أمكنني الله منك لأفعلن، فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس، فقيل: هذا عمار فرأيت فرجة بين الرثتين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعنته في ركبته، قال: فوقع فقتلته، فقيل: قتلت عمار بن ياسر، وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن قاتله وسالبه في النار فقيل لعمرو بن العاص: هو ذا أنت تقاتله، فقال: إنها قال: قاتله وسالبه.

٩٦. أخرج الطبري^(٨)، وابن عساكر^(٩) عن سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت، ويحيى بن سعيد قالوا:

سأل سائل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة ما دعاه إلى الخروج على عثمان فقال: كان يتيما في حجر عثمان، فكان عثمان والي أيتام أهل بيته، ومحمتم كلهم، فسأل عثمان العمل حين ولي فقال: يا بني لو كنت رضا ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك. قال:

(١) الطبقات ٣/ ٢٤٠-٢٤١. والمتن له.

(٢) الأوسط ٢/ ٨٩٤، ٨٩٢.

(٣) زوائده على المسند ٤/ ٧٦.

(٤) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٦٣، ٣٦٤.

(٥) الطبقات ٣/ ٢٤١.

(٦) المسند ٤/ ١٩٨.

(٧) أخبار المدينة ٣/ ١١٠٢.

(٨) تاريخه ٤/ ٣٩٩.

(٩) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٠٣-٣٠٤.

فأذن لي فلا أخرج فلا أطلب ما يقوتني. قال: اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه، فلما وقع إلى مصر فيمن تغير عليه أن منعه الولاية. قيل: فعمار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب كلام فضر بهما عثمان، فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة شرا حتى اليوم. وكنى عما ضربا عليه وفيه.

حادي عشر: موقفه من ابن مسعود:

٩٧. أخرج ابن أبي شيبة^(١)، وعمر بن شبة^(٢) من طريق الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله، قال: لما بعث عثمان إليه يأمره بالخروج إلى المدينة اجتمع الناس إليه، فقالوا له: أقم لا تخرج، فنحن نمنعك، لا يصل إليك منه شيء تكرهه، فقال عبد الله: إنها ستكون أمور وفتن، لا أحب أن أكون أنا أول من فتحها وله علي طاعة، قال: فرد الناس وخرج إليه. إسناده صحيح.

٩٨. أخرج ابن سعد^(٣)، وابن زنجويه^(٤)، من طريق يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال:

دخل الزبير بن العوام على عثمان بعد وفاة عبد الله بن مسعود فقال: أعطني عطاء عبد الله، فأهل عبد الله أحق به من بيت المال، فأعطاه خمسة عشر ألف درهم.

إسناده صحيح.

٩٩. أخرج عمر بن شبة^(٥)، وابن أبي الدنيا^(٦) عن يزيد بن هارون قال، حدثنا إسماعيل، عن قيس قال: دخل عثمان على عبد الله وهو مريض يعوده فقال: كيف تجدك؟ قال: مردود إلى مولاي الحق. قال: يرحمك الله - أو طبت - شك يزيد.

إسناده صحيح.

ثاني عشر: لين عثمان بعد شدة عمر:

١٠٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٧)، واللالكائي^(٨)، والآجري^(٩) من طريق حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن سالم، قال: قال عبد الله بن عمر:

لقد عبتم على عثمان أشياء لو أن عمر فعلها ما عبتموها.

إسناده صحيح. وقد روى عمر بن شبة نحوه من طريق عبد الله بن وهب قال، أخبرني سليمان بن

(١) المصنف برقم ٣٨٣٤٦.

(٢) أخبار المدينة ٣/١٠٤٩.

(٣) الطبقات ٣/١٤٧.

(٤) الأموال برقم ٩٧٥.

(٥) أخبار المدينة ٣/١٠٥٤.

(٦) المحتضرين برقم ٣٢٥.

(٧) المصنف برقم ٣٢٧١٠.

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم ٢٥٨٠.

(٩) الشريعة برقم ١٤٥٦.

بلال، يحيى بن سعيد قال، سمعت نافع عن ابن عمر^(١). ورَوَى نحوه أيضا من طريق محمد بن سواء، عن سعيد بن أبي عروبة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر^(٢).

ثالث عشر: تساهله في سنة عمر:

١٠١. أخرج أحمد^(٣)، وابن شبة^(٤)، والبخاري^(٥)، من طريق عاصم، عن شقيق، قال:

لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أي لم أفر يوم عينين - قال عاصم: يقول يوم أحد - ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سنة عمر. قال: فانطلق فخر ذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عينين، فكيف يعيرني بذنبي وقد عفا الله عنه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد، وأما قوله: إني لم أترك سنة عمر، فإني لا أطيقها ولا هو، فائته فحدثه بذلك.

رجال إسناده ثقات.

رابع عشر: دور النفاق ومرضى القلوب^(٦):

١٠٢. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أُرِدْنَا إِلَّا الْحَسَنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٧).

١٠٣. أخرج البخاري^(٨) من طريق ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال ذكر النبي ﷺ:

اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا. قال: اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا. فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان.

١٠٤. أخرج البخاري^(٩) من طريق ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال:

بعث على رضى الله عنه إلى النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي ثم أحد بنى نيهان، وعلقمة بن علاثة

(١) أخبار المدينة ٣/ ١١١٥-١١١٦.

(٢) أخبار المدينة ٣/ ١١١٦.

(٣) المسند ١/ ٦٨.

(٤) أخبار المدينة ٣/ ١٠٣٢.

(٥) مسنده برقم ٣٩٥.

(٦) اقتصر في ما يأتي من هذا الباب على أهم ما فيه وكان إسناده مقبولا يحتج برجاله.

(٧) التوبة: ١٠٧. ومما يوضح دور النفاق أيضا في عهد النبي وبعده خبر ابن يامين (أخبار المدينة ٢/ ٤٦١)، وأنساب

الأشراف: ١٦٦/٥)، وما كان من قيصر لربيعة بن أمية (أخبار المدينة ٢/ ٧٢١)، وما كان من علقمة بن علاثة

(أخبار المدينة ٣/ ٧٩٣ هامش ٤). وتاريخ دمشق ٣٩/ ٢٧٩

(٨) صحيحه برقم ٧٠٩٤.

(٩) صحيحه برقم ٣٣٤٤.

العامري ثم أحد بنى كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا يعطى صناديد أهل نجد ويدعنا. قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مخلوق فقال اتق الله يا محمد. فقال: من يطع الله إذا عصيت، أيا منى الله على أهل الأرض فلا تأمنوني. فسأله رجل قتله - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال: إن من ضئفيء هذا - أو في عقب هذا - قوم يقرءون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.

١٠٥. أخرج ابن أبي شيبة^(١)، والبخاري^(٢) من طريق إسماعيل حدثنا زيد بن وهب قال:

كنا عند حذيفة فقال ما بقي من أصحاب هذه الآية^(٣) إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال أعرابي إنكم أصحاب محمد ﷺ تحبونا فلا ندري فما بال هؤلاء الذين يبقرن بيوتنا ويسرقون أعلاقنا. قال أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة. أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء الباردا لما وجد برده.

١٠٦. أخرج البخاري^(٤): وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عبد الرحمن بن القاسم أخبرني القاسم أن عائشة رضی الله عنها:

قالت شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: في الرفيق الأعلى.. ثلاثا، وقص الحديث، قالت فما كانت من خطبتها من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقا، فردهم الله بذلك.

١٠٧. أخرج ابن أبي شيبة^(٥)، وأحمد^(٦)، وابن قتيبة^(٧)، والبلاذري^(٨)، والبيهقي^(٩) من طريق عبد الواحد بن أبي عون، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، أنها كانت تقول: توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجمال لهاضها، اشرب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب.

١٠٨. أخرج وكيع^(١٠) - ومن طريقه ابن أبي شيبة^(١١) - والبخاري^(١٢) من طريق أبي وائل عن حذيفة ابن اليمان قال:

إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون.

(١) المصنف برقم ٣٨٥٤٦.

(٢) صحيحه برقم ٤٦٥٨.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢].

(٤) صحيحه برقم ٣٦٦٩.

(٥) المصنف برقم ٣٨٢١٠.

(٦) فضائل الصحابة برقم ٦٨.

(٧) عيون الأخبار ٢/ ٣١٣.

(٨) فتوح البلدان ١/ ١١٤.

(٩) السنن الكبرى ٨/ ٢٠٠.

(١٠) الزهد برقم ٤٧٥.

(١١) المصنف برقم ٢٨٥٥١.

(١٢) صحيحه برقم ٧١١٣.

١٠٩ . أخرج أحمد^(١)، ومسلم^(٢) من طريق الوليد بن جميع حدثنا أبو الطفيل قال:

كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة^(٣) قال فقال له القوم أخبره إذ سألك قال كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

جاء في متن أحمد: فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقيين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

١١٠ . أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، ومسدد بن مسرهد^(٥)، والفسوي^(٦) من طريق الأعمش، عن زيد بن

وهب، قال:

مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هو؟ قال: نعم، فقال له عمر: بالله منهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحدا بعدك.

١١١ . أخرج ابن أبي شيبة^(٧) عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، قال:

مرض رجل بالمدائن، قال: أراه من المنافقين، فقال حذيفة: احمليه على ماء الفرات، فإن ماء الفرات أخف من ماء دجلة، قال: فحمل فمات.

١١٢ . أخرج ابن أبي شيبة^(٨) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخري، قال: قال رجل:

اللهم أهلك المنافقين، فقال: حذيفة: لو هلكوا ما انتصفتهم من عدوكم.

١١٣ . أخرج البخاري^(٩)، ومسلم^(١٠) من طريق عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:

شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي قال أبو إسحاق: أما أنا والله فيأني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرمت عنها، أصلي

(١) المسند ٥/٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) صحيحه برقم ٢٨٧٩، واللفظ له وفي الرواية إسناده إلى حذيفة، بينما ليس ذلك في طريق أحمد.

(٣) هذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمعنى التي كانت بها بيعة الأنصار رضى الله عنهم وانما هذه عقبة على طريق تبوك اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك فعصمه الله منهم. انظر شرح النووي على مسلم ١٧/١٢٥، ١٢٦.

(٤) المصنف برقم ٣٨٥٤٥.

(٥) انظر المطالب العالمة برقم ٣٦٢٣.

(٦) المعرفة والتاريخ ٢/٧٦٩.

(٧) المصنف برقم ٢٤١٩٤.

(٨) المصنف برقم ٣٨٥٤٨.

(٩) صحيحه برقم ٧٥٥.

(١٠) صحيحه برقم ٤٥٣.

صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويشنون معروفًا، حتى دخل مسجدا لبني عبيس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد أما والله لأدعون بثلاث، اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبد الملك فأنا رأيت بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارى في الطرق يغمزهن.

١١٤. أخرج أحمد^(١)، وأبو داود^(٢)، ابن حبان^(٣)، والبيهقي^(٤) من طريق أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال:

صليت الغداة مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فلما سلم قام رجل فأخبره أنه انتهى إلى مسجد بني حنيفة مسجد عبد الله بن النواحة فسمع مؤذنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن مسيلمة الكذاب رسول الله، وأنه سمع أهل المسجد على ذلك، فقال عبد الله: من ها هنا؟ فوثب نفر، فقال: علي بابن النواحة وأصحابه، فجيء بهم وأنا جالس، فقال عبد الله بن مسعود لعبد الله بن النواحة: أين ما كنت تقرأ من القرآن؟! قال: كنت أتقاكم به. قال: فتب، قال فأبى، قال: فأمر قرظة بن كعب الأنصاري فأخرجه إلى السوق فضرب رأسه، قال: فسمعت عبد الله يقول: من سره أن ينظر إلى ابن النواحة قتيلا في السوق فليخرج فلينظر إليه، قال حارثة: فكنت فيمن خرج، فإذا هو قد جرد ثم إن ابن مسعود استشار الناس في أولئك نفر، فأشار إليه عدي بن حاتم بقتلهم، فقام جريز والأشعث فقالا: لا، بل استتبهم وكفلهم عشائهم، فاستتابهم فتابوا، فكفلهم عشائهم^(٥).

وأخرج الطحاوي^(٦)، والبيهقي^(٧) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود:

أخذ بالكوفة رجلا ينشون حديث مسيلمة الكذاب يدعون إليهم فكتب فيهم إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه فكتب عثمان أن أعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فمن قبلها وبرئ من مسيلمة فلا تقتله ومن لزم دين مسيلمة فاقتله فقبلها رجال منهم فتركوا ولزم دين مسيلمة رجال فقتلوا.

(١) المسند ١/ ٣٨٤. وقد أفاض محققو المسند (٦/ ١٥١ ط الرسالة) الكلام عليه تحريجا وتصحيحا بما يغني عن تكرار القول فيه.

(٢) السنن برقم ٢٧٥٦.

(٣) صحيحه برقم ٤٨٧٩.

(٤) السنن الكبرى ٨/ ٢٠٦.

(٥) قال الخطابي في معالم السنن (٢/ ٣١٩): "ومعلوم أن هؤلاء لا يمكنهم إظهار الكفر بالكوفة في مسجدهم وهي دار الإسلام، وإنما كانوا يستبطنون الكفر، ويسرون الإيذان بمسيلمة، فاطلع على ذلك منهم حارثة، فرفعهم إلى عبد الله، وهو وال عليها، فاستتاب قوما منهم، وحقن بالتوبة دماءهم، ولعلمهم قد كانت داخلتهم شبيهة في أمر مسيلمة، ثم تبيينوا الحق، فراجعوا الدين، فكانت توبتهم مقبولة عند عبد الله، ورأى أن أمر ابن النواحة بخلاف ذلك، لأنه كان داعية إلى مذهب مسيلمة فلم يعرض عليه التوبة، ورأى الصلاح في قتله". ١.هـ.

(٦) شرح معاني الآثار ٣/ ٢١١.

(٧) السنن الكبرى ٨/ ٢٠١.

- ١١٥ . أخرج ابن أبي خيثمة^(١) من طريق زيد بن وهب، قال: قال علي: مالي ولهذا الحميت الأسود. يعني عبد الله بن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر.
- ١١٦ . وأخرج ابن أبي خيثمة أيضا^(٢) من طريق عمار الدهني، قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجية أتى به ملبه - يعني: ابن السوداء - وعلي على المنبر، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله وعلى رسوله ﷺ.
- ١١٧ . أخرج ابن سعد^(٣)، من طريق شبابة بن سوار قال أخبرنا فضيل بن مرزوق قال: سألت عمر ابن علي، وحسين بن علي، عمي جعفر قلت:

هل فيكم أهل البيت إنسان مفترضة طاعته تعرفون له ذلك؟ ومن لم يعرف له ذلك فمات مات ميتة جاهلية؟ فقالوا: لا والله ما هذا فينا. من قال هذا فينا فهو كذاب. قال: فقلت لعمر بن علي: رحمك الله، إن هذه منزلة تزعمون أنها كانت لعلي إن النبي ﷺ أوصى إليه، ثم كانت للحسن إن عليا أوصى إليه، ثم كانت للحسين إن الحسن أوصى إليه، ثم كانت لعلي بن الحسين إن الحسين أوصى إليه، ثم كانت لمحمد بن علي إن عليا أوصى إليه. فقال: والله لمات أبي فما أوصى بحرفين، قاتلهم الله، والله إن هؤلاء إلا متأكلون بنا، هذا خنيس الخرؤ، ما خنيس الخرؤ؟ قال: قلت: المعلى بن خنيس؟! قال نعم المعلى بن خنيس، والله لفكرت على فراشي طويلا أتعجب من قوم لبس الله عقولهم حين أضلهم المعلى بن خنيس.

- ١١٨ . أخرج عبد الرزاق^(٤) - ومن طريقه ابن معين^(٥) - عن معمر بن ابن طاووس عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال:

موضع قدم إبليس بالبصرة وفرخ بمصر^(٦).

- ١١٩ . أخرج إبراهيم بن سعد^(٧)، وابن سعد^(٨)، والفسوي^(٩) من طريق إبراهيم بن قارظ قال: سمعت عمر يقول:

أعضل بي أهل الكوفة، ما يرضون بأمر، وما يرضى بهم أمير، ولا يصلحون لأمر، ولا يصلح عليهم^(١٠).

- ١٢٠ . أخرج ابن أبي شيبة^(١١)، والفسوي^(١٢)، وأبو زرعة الدمشقي^(١٣) من طريق سفیان، حدثنا حبيب

(١) تاريخ ابن أبي خيثمة برقم ٤٣٥٨.
(٢) تاريخه برقم ٤٣٦٠.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) المصنف ١١/٢٥١.
(٥) تاريخ الدوري برقم ٣٥٤١.
(٦) يقصد بذلك زمان الفتنة.
(٧) نسخة إبراهيم بن سعد، ضمن مجموع باسم الفوائد لابن منده، برقم ١٤٦.
(٨) الطبقات ٧/٦٢.
(٩) المعرفة والتاريخ ٢/٧٥٤.
(١٠) راجع أخبار غير هذه في أهل الكوفة في فتوح البلدان للبلاذري ١/٣٥٣، ٣٥٤.
(١١) المصنف برقم ٣٨٥٣٦.
(١٢) المعرفة والتاريخ ٢/٧٥٩.
(١٣) تاريخه ١/٦٢٥.

ابن أبي ثابت ، قال: سمعت ابن عمر يقول:

يا أهل العراق، تأتون بالمعضلات.

١٢١. أخرج أحمد^(١) من طريق عبد الرحمن بن عائد الأزدي، عن عمرو بن عبسة السلمي قال: قال رسول الله ﷺ:

شر قبيلتين في العرب: نجران، وبنو تغلب^(٢).

١٢٢. أخرج ابن أبي الدنيا^(٣) عن محمد بن صالح القرشي قال حدثني موسى بن طلحة البقري قال:

سألت المفضل بن محمد الضبي أي العرب أقتل للملوك والرؤساء قال أسد وضبة وبنو تغلب قال. وسألت ابن دأب أي العرب أقتل للملوك والرؤساء قال أسد وضبة.

١٢٣. أخرج العجلي ابن أبي الدنيا^(٤) - ومن طريقه أبو بكر الدينوري^(٥)، وابن عساكر^(٦) - من طريق عبدالله بن صالح العجلي قال: أخبرنا الحكم بن عوانة الكلبي^(٧) عن أبيه قال: لم يؤيد الملك بمثل كلب.. ولم تهج الفتن بمثل ربيعة.

ورواه العجلي عن أبيه عبد الله بن صالح العجلي أيضا: «كان يقال: لم تهج الفتن بمثل ربيعة..»^(٨).

وأخرج الطيوري^(٩) من طريق الأصمعي، حدثنا أبو عطاء، قال داود بن أبي هند:

إنما فشا القدر في البصرة لما أسلم النصارى واليهود، لأن القدر مقالة اليهود والنصارى.

وحكى ابن قتيبة^(١٠) أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قال لدعاتهم حين أراد توجيههم إلى الأمصار:

أما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج، ومسلمون في أخلاق النصارى^(١١)..

(١) المسند ٤/ ٣٨٧.

(٢) وأخرج أحمد أيضا (المسند ٤/ ٣٨٧) نحوه مطولا من طريق شرحبيل بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن موهب الأملوكي، عن عمرو بن عبسة السلمي به. وراجع كلام محققه عليه هناك فقد أفاضوا القول فيه تحريجا وبيانا. وهو صحيح عندهم. وراجع أيضا أمثال هذا الخبر: فتوح البلدان للبلاذري ١/ ٢١٦-٢١٨.

(٣) الإشراف في منازل الأشراف برقم ٢٦٨.

(٤) الإشراف في منازل الأشراف برقم ٢٠٤.

(٥) المجالسة وجواهر العلم برقم ٢٢٨٢.

(٦) تاريخ دمشق ١٥/ ٢٧٧.

(٧) كان عامل هشام بن عبد الملك على السند.

(٨) الثقات ٢/ ٤٦٤.

(٩) الطيوريات برقم ١٢١٧ (١١٧٩ ط البشائر).

(١٠) عيون الأخبار ١/ ٢٠٤، وفضل العرب ص ٩٩، وانظر أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٦.

(١١) يبدو أن الجزيرة العراقية وما يجاورها تنبأ هذه المنزلة منذ القدم، ليس من استفاضة الأخبار في هذا الباب فقط بل بشهادة أهل الفلك والعمران وطبائع البشر، يقول الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ٧٥، ٧٦): «وأما باقي أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منه أو يجاورها، فأذربيجان وتحوم ديار ربيعة وديار مضر إلى ما يلي الجنوب والدبور فيلى ما قارب شرق الثغور الشامية، وتسمى هذه البلاد باليونانية بيوتونية وفروجية وقبادوقية ولودية وقيليقية أي قالى قلا وجانب سورية وتدمر، ويقبل أيضاً مشاكلة المثلث =

خامس عشر: أمور أخرى ساهمت في الفتنة منها:

١. إعادة بناء مسجد النبي ﷺ:

١٢٤. أخرج البخاري^(١)، ومسلم^(٢) من طريق عاصم بن عمر بن قتادة أنه سمع عبيد الله الخولاني أنه:

سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ إنكم أكثرتم،
وإني سمعت النبي ﷺ يقول: من بنى مسجداً - قال بكير حسبت أنه قال - يبتغى به وجه
الله، بنى الله له مثله في الجنة.

١٢٥. أخرج أحمد^(٣)، ومسلم^(٤) من طريق عبد الحميد بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد:

أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك فأحبوا أن يدعه على هيئته فقال
سمعت رسول الله ﷺ يقول من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله.

١٢٦. أخرج عبد الرزاق^(٥)، والبخاري^(٦)، وابن حبان^(٧) من طريق نافع عن ابن عمر قال:

إن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل،
فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن
والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان، فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة
المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج.

١٢٧. وأخرج البخاري تعليقا في باب بنيان المسجد^(٨):

قال أبو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل. وأمر عمر ببناء المسجد وقال: أكين
الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر، فتفتن الناس. وقال أنس: يتباهون بها، ثم لا
يعمرونها إلا قليلا. وقال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى.

= المنسوب إلى ما بين الجنوب والدبور وهو مثلث السرطان والعقرب والسمكة، ويشترك في تدبير المريخ والزهرة
وعطارد أيضاً لاشترائه ووقوع حصته في الوسط، ولذلك صار أهل هذه البلاد في أكثر الأمر يعظمون الزهرة،
ويسمون بها بأسماء كثيرة مختلفة في كل اسم، ويسمون المريخ أدونيس وبأسماء أخر، ويتعبدون له، وينسبون إلى هذين
الكوكبين أسراراً يذهبون فيها مذهب النياحة، وهم أشقياء أذلة الأنفس، مكذوبون مائلون إلى الشر والخساسة
ويأخذون الأجرة على الخروج في العساكر والحرب والنهب والسبي، ويصيرون في عداد العبيد ويملكون في الحرب
من قبل أن حال المريخ والزهرة الحال الشرقية التي يلائمها، وهم أهل غش وخيانة وسرف وبذالة وشرب
وسكر". ومن طريف ما يدل على ذلك ما حكاه البلاذري عن المدائني (أنساب الأشراف ٦/ ٢٨، ٣٠، ٧/ ١٠٣).

(١) صحيحه برقم ٤٥٠.

(٢) صحيحه برقم ٥٣٣.

(٣) المسند ١/ ٧٠.

(٤) صحيحه برقم ٥٣٣.

(٥) المصنف ٣/ ١٥٣.

(٦) صحيحه برقم ٤٤٦.

(٧) صحيحه برقم ١٦٠١.

(٨) صحيحه قبل رقم ٤٤٦.

٢. الضرب بالسوط والعصا:

١٢٨. أخرج أحمد^(١)، والبلاذري^(٢) من طريق عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة قال:

قالوا يا أم المؤمنين أخبرينا عن عثمان قال فاستجلست الناس فحمدت الله وأثنت عليه فقالت: يا أيها الناس إنا نقمنا^(٣) على عثمان ثلاثا: إمرة الفتى والحمى وضربه السوط ثم تركتموه حتى إذا مصتموه موص الثوب عدوتم عليه الفقر الثلاث حرمة دمه الحرام وحرمة البلد الحرام لعثمان كان اتقاهم للرب واحصنهم للفرج وأوصلهم للرحم.

قلت: عبد الملك صدوق، إلا أنه اختلف عليه في حفظه^(٤).

جـ. ما جاء في أبرز مواقف الصحابة من الفتنة

١٢٩. أخرج الفسوي^(٥) عن عبد الله بن نمير قال: سمعت الأعمش يقول:

حدثناهم بغضب أصحاب محمد ﷺ فاتخذوه ديناً.

١٣٠. أخرج أحمد^(٦)، والبخاري^(٧)، ومسلم^(٨) من طريق الأعمش عن شقيق عن أسامة بن زيد قال:

قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أنى لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون على أميراً إنه خير الناس. بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية.

أ- موقف عبد الرحمن بن عوف^(٩):

١٣١. أخرج أحمد^(١٠)، وابن شبة^(١١)، والبخاري^(١٢)، من طريق عاصم، عن شقيق، قال:

لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة، فقال له الوليد: مالي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين - قال عاصم: يقول يوم

(١) فضائل الصحابة برقمي ٧٢٦، ٧٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ٣/٣٦.

(٣) في متن الموضوع الأول من الفضائل: "إنكم عتبتم".

(٤) انظر تهذيب الكمال ١٨/٣٧٠.

(٥) المعرفة والتاريخ ٢/٧٦٥.

(٦) المسند ٥/٢٠٥.

(٧) صحيحه برقمي ٣٢٦٧، ٧٠٩٨.

(٨) صحيحه برقم ٢٩٨٩.

(٩) توفي عبد الرحمن سنة ٣٢هـ. قبل مقتل عثمان إلا أن إرهابات الفتنة ودواعيها أطلت في أواخر عهده ﷺ.

(١٠) المسند ١/٦٨.

(١١) أخبار المدينة ٣/١٠٣٢.

(١٢) مسنده برقم ٣٩٥.

أحد - ولم أتخلف يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر . قال : فانطلق فخبّر ذلك عثمان ، قال : فقال :
 أما قوله : إني لم أفر يوم عينين ، فكيف يعيرني بذنب وقد عفا الله عنه ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا
 مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ،
 وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت وقد
 ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد ، وأما
 قوله : إني لم أترك سنة عمر ، فإني لا أطيقها ولا هو ، فإني فأتته فحدثه بذلك .

ب - موقف علي بن أبي طالب :

١٣٢ . أخرج البخاري^(١) وغيره من طريق محمد بن سوقة عن منذر عن ابن الحنفية قال :

لو كان علي - رضي الله عنه - ذاكرًا عثمان ﷺ ذكره يوم جاءه ناس فشكوا ساعة عثمان ،
 فقال لي علي : اذهب إلى عثمان فأخبره أنها صدقة رسول الله ﷺ ، فمر ساعاتك يعملون فيها .
 فأتيته بها فقال أغنها عنا . فأتيت بها عليا فأخبرته فقال وضعها حيث أخذتها .

أما متن ابن أبي شيبه :

كنا عند محمد بن الحنفية ، قال : فنال بعض القوم من عثمان فقال : مه ، فقلنا له : كان أبوك
 يسب عثمان ، قال : ما سبه ، ولو سبه يوما لسبه يوم جئته وجاءه الساعة ، فقال : خذ كتاب
 الساعة فاذهب به إلى عثمان ، فأخذته فذهبت به إليه ، فقال : لا حاجة لنا فيه ، فجئت إليه
 فأخبرته ، فقال : ضعه موضعه ، فلو سبه يوما لسبه ذلك اليوم .

١٣٣ . أخرج نعيم بن حماد^(٢) ، وابن أبي شيبه^(٣) ، وعمر بن شبة^(٤) ، وابن عساكر^(٥) من طريق أبي يعلى ،
 عن ابن الحنفية ، قال : قال علي :

لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت له وأطعت .

١٣٤ . أخرج أحمد^(٦) ، والبخاري^(٧) وغيرهما من طريق علي بن حسين ، عن مروان بن الحكم ، قال :

شهدت عثمان وعليًا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما . فلما رأى علي ،
 أهل بها ليك بعمره وحجة قال ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد^(٨) .

(١) صحيح البخاري برقم ٣١١١ .

(٢) الفتن برقم ٢٠٨ .

(٣) المصنف برقم ٣٨٨٥٤ .

(٤) أخبار المدينة ٤ / ١٢٠١ .

(٥) تاريخ دمشق ٣٩ / ٣٦١ .

(٦) المسند ١ / ١٣٥ .

(٧) صحيحه برقم ١٥٦٣ .

(٨) راجع في هذا الباب المصنف لابن أبي شيبه باب من كان يرى الأفراد ولا يقرون (٨ / ٤٢٨) .

١٣٥ . أخرج البخاري^(١) ومسلم^(٢) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب قال:

اختلف علي وعثمان رضي الله عنهما وهما بعسفان في المتعة، فقال علي: ما تريد إلا أن تنتهي عن أمر فعله النبي ﷺ. فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعاً^(٣).

١٣٦ . أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، وعمر بن شبة^(٥)، والطبري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال:

لما حصر عثمان أتى علي طلحة وهو مستند إلى وسائد في بيته، فقال: أنشدك الله، لما رددت الناس عن أمير المؤمنين فإنه مقتول، فقال طلحة: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها.

١٣٧ . أخرج أحمد^(٨) من طريق شعبة عن أبي عون قال سمعت محمد بن حاطب قال:

سألت علياً عن عثمان فقال: هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا ولم يختم الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة^(٩)، أحمد^(١٠)، والبلاذري^(١١) نحوه من طريق يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب.

١٣٨ . أخرج ابن أبي شيبة^(١٢) عن أسود بن عامر، قال: حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين قال:

ما علمت أن علياً اتهم في قتل عثمان حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس.

١٣٩ . أخرج البلاذري^(١٣)، وابن عساكر^(١٤) من طريق حماد بن زيد أنبأنا هشام عن ابن سيرين قال: لقد قتل عثمان يوم قُتل وما أحد يتهم علياً في قتله.

(١) صحيحه برقم ١٥٦٨ .

(٢) صحيحه برقم ١٢٢٣ .

(٣) أخرج ابن سعد، والبلاذري بإسناد صحيح إلى ابن سيرين قال: كان عثمان أعلمهم بالمناسك وبعده ابن عمر. (انظر: الطبقات ٥٧/٣، وأنساب الأشراف ١٠٤/٦).

(٤) المصنف برقم ٣١٣٣٨ .

(٥) أخبار المدينة ١١٦٩/٤ .

(٦) تاريخه ٤٠٥/٤ .

(٧) تاريخ دمشق ٤٠٢/٣٩ .

(٨) فضائل الصحابة برقم ٧٧٠ .

(٩) المصنف برقم ٣٢٧١٥ .

(١٠) فضائل الصحابة برقم ٧٧١ .

(١١) أنساب الأشراف ١١١/٦ .

(١٢) المصنف برقمي ٣١٣٥٣، ٣٨٨٦٦ .

(١٣) أنساب الأشراف ٢٢٣/٦ .

(١٤) تاريخ دمشق ٣٩٠/٣٩ .

١٤٠. أخرج عبد الرزاق^(١)، ونعيم بن حماد^(٢)، وابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وعمر بن شبة^(٥)،
والبلاذري^(٦) من طرق عن طاوس، عن ابن عباس قال:
سمعت عليا يقول حين قتل عثمان: والله ما قتلت ولا أمرت، ولكن غلبت. يقول ذلك
ثلاث مرات.
وأخرج ابن أبي شيبة^(٧)، والبلاذري^(٨) نحوه من طريق عبد الملك بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن
عباس، قال:
قال علي: ما قتلت، وإن كنت لقتله لكارها.
وأخرج سعيد بن منصور^(٩)، ونعيم بن حماد^(١٠)، وابن أبي شيبة^(١١) من طريق عاصم، عن أبي زرارة،
وأبي عبد الله، قال:
سمعنا عليا يقول: والله ما شاركت، وما قتلت ولا أمرت ولا رضيت، يعني قتل عثمان.
وأخرج نعيم بن حماد^(١٢)، ابن سعد^(١٣)، وأحمد^(١٤)، وعمر بن شبة^(١٥)، والبلاذري^(١٦)، والآجري^(١٧)
من طريق عبد الله بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:
رأيت عليا عند أحجار الزيت رافعا ضبعيه يقول: اللهم إني أبرأ إليك من أمر عثمان.
١٤١. أخرج عمر بن شبة^(١٨) عن الحزامي قال، حدثنا عبد الله بن وهب قال، حدثني سعيد بن أبي
أيوب، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن أبي الصهباء البكري قال:
تذكرنا قتل عثمان رضي الله عنه فقال بعضنا: ما أرى عليا قتله إلا أنه كان يراه كافرا. فقلت ألا تسأله
عن ذلك؟ فسألته، فقال: والله ما كان عثمان بشرنا، ولكن ولي فاستأثر، وجزعنا فأسأنا
الجزع، وسنرد إلى حكم فيقضي بيننا.

-
- (١) المصنف ١١ / ٤٥٠.
(٢) الفتن برقم ٤٢٩.
(٣) الطبقات ٣ / ٧٨.
(٤) المصنف برقم ٣٨٨٢٦.
(٥) أخبار المدينة ٤ / ١٢٦٠، ١٢٦٧.
(٦) أنساب الأشراف ٦ / ٢٢٤.
(٧) المصنف برقم ٣٨٨٢٧.
(٨) أنساب الأشراف ٦ / ٢٢٤.
(٩) سننه برقم ٢٩٤١.
(١٠) الفتن برقم ٤٥٢.
(١١) المصنف برقم ٣٨٨٢٨.
(١٢) الفتن برقم ٤٤٥.
(١٣) الطبقات ٣ / ٧٨.
(١٤) فضائل الصحابة برقم ٧٢٧.
(١٥) أخبار المدينة ٤ / ١٢٦٧.
(١٦) أنساب الأشراف ٦ / ٢١٦-٢١٧.
(١٧) الشريعة برقم ١٤٣٢.
(١٨) أخبار المدينة ٤ / ١١٦٨.

١٤٢. أخرج سعيد بن منصور^(١)، وعمر بن شبة^(٢) من طريق محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي قال: سمعت عليا يقول:

والله لو ددت أن بني أمية رضوا لنفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يخلفون ما قتلنا عثمان ولا نعلم له قاتلا.

١٤٣. أخرج سعيد بن منصور^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وأحمد^(٥)، وعمر بن شبة^(٦) من طرق عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن الحنفية، قال:

بلغ عليا: أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد قال فرفع يديه حتى بلغ بها وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل قال مرتين أو ثلاثا.

وروى عمر بن شبة^(٧) نحوه أيضا عن هارون بن عمر قال، حدثنا أسد بن موسى قال، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن معتمر بن أبي هند، عن سالم بن أبي الجعد به. ١٤٤. أخرج ابن سعد^(٨)، وعمر بن شبة^(٩)، والبلاذري^(١٠)، وابن عساكر^(١١)، من طريق نافع بن عمر، قال: حدثني عمرو بن دينار:

أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم وعثمان بن عفان محصور، فدخل على عثمان فأخبره بذلك فأمره أن يحج بالناس، فحج بهم ثم انصرف إلى المدينة، فوجد عثمان قد قتل، فقال لعلي: إن أنت قمت بهذا الأمر الآن ألزمت الناس دم عثمان إلى يوم القيامة.

١٤٥. أخرج نعيم بن حماد^(١٢)، وسعيد بن منصور^(١٣)، ابن سعد^(١٤) وابن أبي شيبة^(١٥)، وعمر بن شبة^(١٦)، والبلاذري^(١٧)، وابن عساكر^(١٨) من طريق ثابت بن عبيد، عن أبي جعفر الأنصاري قال:

-
- (١) سننه برقم ٢٩٤٢.
 - (٢) أخبار المدينة ٤/ ١٢٦٩.
 - (٣) سننه برقم ٢٩٤٣.
 - (٤) المصنف برقم ٣٨٩٤٨.
 - (٥) فضائل الصحابة برقم ٧٣٣.
 - (٦) أخبار المدينة ٤/ ١٢٦١، ١٢٦٧.
 - (٧) أخبار المدينة ٤/ ١٢٦١.
 - (٨) الطبقات ٦/ ٣٣٧.
 - (٩) أخبار المدينة ٤/ ١٢٦٩.
 - (١٠) أنساب الأشراف ٦/ ٢١٧.
 - (١١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٣٨.
 - (١٢) الفتن برقم ٤٨١.
 - (١٣) سننه برقم ٢٩٣٩.
 - (١٤) الطبقات ٣/ ٢٧.
 - (١٥) المصنف برقم ٣٨٨٣١، واللفظ له.
 - (١٦) أخبار المدينة ٤/ ١٢٢٩.
 - (١٧) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٤.
 - (١٨) تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٤٨.

دخلت مع المصريين على عثمان، فلما ضربوه خرجت أشتد قد ملأت فروجي عدوا حتى دخلت المسجد، فإذا رجل جالس في نحو من عشرة عليه عمامة سوداء، فقال: ويحك ما وراك، قال: قلت قد والله فرغ من الرجل، قال: فقال: تبا لكم آخر الدهر، قال: فنظرت فإذا هو علي.

١٤٦. أخرج أحمد^(١)، وغيره من طريق سلمة بن كهيل عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال:

«كنت مع علي وعثمان محصور قال فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي. قال محمد: فأخذت بوسطه نحوفا عليه، فقال: خل لا أم لك. قال: فأتى عليّ الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير. فقالوا: لا والله، ما نعلم أحدا أحق بها منك. قال: فإن أبيتم عليّ، فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس».

ت - موقف طلحة بن عبيد الله^(٢):

١٤٧. أخرج ابن أبي شيبة^(٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر، قال:

لما حصر عثمان أتى علي طلحة وهو مستند إلى وسائد في بيته، فقال: أنشدك الله، لما رددت الناس عن أمير المؤمنين فإنه مقتول، فقال طلحة: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها.

١٤٨. أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، وعمر بن شبة^(٥): من طريق ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن

حكيم بن جابر، قال:

سمعت طلحة بن عبيد الله يقول يوم الجمل: إنا كنا قد داهنا في أمر عثمان، فلا نجد بدا من المبايع^(٦).

١٤٩. أخرج ابن سعد^(٧) قال: أخبرني من سمع إسماعيل بن أبي خالد، يخبر عن حكيم بن جابر

الأحمسي قال:

قال طلحة بن عبيد الله يوم الجمل: إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئا أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

(١) سيأتي تخريجه ص ٥٦٢.

(٢) عجبنا لمن يقول إن طلحة من قتلة عثمان وقد كان من الخارجين للمطالبة بدمه يوم الجمل!

(٣) المصنف برقمي ٣١٣٣٨، ٣٨٨٣٢.

(٤) المصنف برقمي ٣١٣٤٠، ٣٨٩٣٦.

(٥) أخبار المدينة ٤/ ١١٦٩.

(٦) كذا في المطبوع من المصنف، وفي أخبار المدينة: «المبالغة». ولا وجه لها هنا. والصواب عندي والله أعلم:

«المتابعة». وسيأتي توضيح معناها في النص ٢٤١.

(٧) الطبقات ٣/ ٢٠٤.

وفي إسناده انقطاع كما هو واضح في أوله، إلا أن الطبري^(١) أخرجه من طريق سيف بن عمر عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال:

«قال طلحة يومئذ: اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى. فجاء سهم غرب وهو واقف فخلّ ركبته بالسرج وثبت حتى امتلاً موزجته^(٢) دماً، فلما ثقل قال لمولاه: أردفني وابغني مكاناً لا أعرف فيه فلم أر كاليوم شيخاً أضيع دماً مني فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول، قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها فمات في تلك الخربة ودفن ﷺ في بني سعد».

وقد أخرج عمر بن شبة^(٣) نحوه عن إسحاق بن إدريس قال، حدثنا هشيم، عن إسماعيل عن قيس قال:

قال طلحة يوم الجمل: اللهم أعط عثمان مني اليوم حتى ترضى.
ولا يصح، فإن إسحاق بن إدريس الأسواري متروك. قال ابن معين: «كذاب يضع الحديث»^(٤).
قلت: هذا فضلاً عن انقطاعه، فقيس لم يشهد الجمل.

ث - ما روي في موقف سعد بن أبي وقاص:

١٥٠. أخرج أحمد^(٥)، وأبو داود^(٦)، والترمذي^(٧)، وأبو يعلى^(٨) أن سعد بن أبي وقاص، قال عند فتنة عثمان بن عفان:

أشهد أن رسول الله ﷺ، قال: إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي، خير من الساعي. قال: أفرأيت إن دخل علي بيتي، فبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم.

١٥١. أخرج أحمد^(٩)، ومسلم^(١٠)، من طريق بكير بن مسمار حدثني عامر بن سعد قال:
كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد في صدره فقال اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى.

ج - موقف سلمة بن الأكوع:

١٥٢. أخرج البخاري^(١١) من طريق يزيد بن أبي عبيد قال:

(١) تاريخه ٤/٥٢٧.

(٢) الموزج: وهو الخفّ. انظر تاج العروس ٦/٢١٣.

(٣) أخبار المدينة ٤/١١٦٩.

(٤) الكامل لابن عدي ١/٣٣٣.

(٥) المسند ١/١٨٥.

(٦) السنن برقم ٤٢٥٦.

(٧) الجامع برقم ٢١٩٤.

(٨) مسنده برقم ٧٥٠.

(٩) المسند ١/١٦٨، ١٦٩.

(١٠) صحيحه برقم ٢٩٦٥.

(١١) صحيحه برقم ٧٠٨٧.

لما قُتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة، وتزوج هناك امرأة وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى قبل أن يموت بليال، فنزل المدينة.

ح - موقف عبد الله بن عمر:

١٥٣. أخرج البخاري^(١) من طريق مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ قال: من حمل علينا السلاح فليس منا.

١٥٤. أخرج ابن سعد^(٢)، وابن أبي شيبة^(٣)، وخليفة بن خياط^(٤)، وأحمد^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، وابن

عساكر^(٧) من طريق يعلى بن حكيم، عن نافع قال: حدثني عبد الله بن عمر قال:

قال لي عثمان، وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار به عليّ المغيرة بن الأحنس، قال: قلت: ما أشار به عليك؟ قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني، وإن لم أخلع قتلوني، قال: قلت: رأيت إن خلعت تترك مخلدا في الدنيا، قال: لا، قال: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا، قال: فقلت: رأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ قال: لا، قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهم خلعه، لا تخلع قميصا قمصكه الله.

١٥٥. أخرج أحمد^(٨) - ومن طريقه الخلال^(٩) - وعمر بن شبة^(١٠)، وابن حبان^(١١)، من طريق الزهري

قال أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال:

جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني فإذا هو يأمرني في كلامه بأن اعيب على عثمان فتكلم كلاما طويلا وهو امرؤ في لسانه ثقل فلم يكذب يقضي كلامه في سريح قال فلما قضى كلامه قلت له انا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وانا والله ما نعلم عثمان قتل نفسا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئا ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم إنما تريدون ان تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرا إلا قتلوه.

(١) صحيحه برقم ٧٠٧٠.

(٢) الطبقات الكبير ٣/ ٦٢.

(٣) المصنف برقم ٣٨٨١١.

(٤) تاريخه ص ١٢٦.

(٥) فضائل الصحابة برقم ٧٦٧، وفضائل عثمان برقم ٥٧.

(٦) أخبار المدينة ٤/ ١٢٢٣.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٧.

(٨) فضائل الصحابة برقم ٦٤.

(٩) السنة برقم ٥٤٦.

(١٠) أخبار المدينة ٣/ ١١١٤، ١١١٥.

(١١) صحيحه برقم ٧٢٥٠.

١٥٦. أخرج ابن سعد^(١)، وخليفة بن خياط^(٢)، وأحمد^(٣)، وعمر بن شبة^(٤)، والبلاذري^(٥) من طريق ابن عون، عن نافع قال:

ليس ابن عمر رضي الله عنه الدرع يومئذ مرتين، قال سليم: يعني يوم الدار يوم قتل عثمان رضي الله عنه.

١٥٧. أخرج خليفة بن خياط^(٦) عن معاذ عن ابن عون عن نافع قال: كان ابن عمر مع عثمان في الدار.

١٥٨. أخرج البخاري^(٧) من طريق بكر بن عمرو عن بكير عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن:

رجلا جاءه فقال يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه. فقال يا ابن أخي أغتر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلى من أن أغتر بهذه الآية التي يقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ إلى آخرها. قال فإن الله يقول ﴿وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾. قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ كان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه، إما يقتلوه وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافق فيهما يريد قال فما قولك في علي وعثمان. قال ابن عمر ما قولي في علي وعثمان أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وختنه. وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون.

خ- موقف أبي هريرة:

وموقفه في تأييد عثمان رضي الله عنه والذب عنه مشهور، ومن أهم مرويات هذا الباب:

١٥٩. أخرج ابن أبي شيبة^(٨)، وأحمد^(٩)، وعمر بن أبي شبة^(١٠)، وابن عساکر^(١١) من طرق عن موسى ابن عقبة، قال: حدثني جدي أبو أمي أبو حبيبة، أنه:

دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا - أو قال: اختلافا وفتنة - فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك.

(١) الطبقات ٤/ ١٤٦.

(٢) تاريخه ص ١٢٩.

(٣) فضائل الصحابة برقم ٧٦٣.

(٤) أخبار المدينة ٤/ ١٢٧٠.

(٥) أنساب الأشراف ٦/ ٢١٨.

(٦) تاريخه ص ١٢٨.

(٧) صحيحه برقم ٤٦٥٠.

(٨) المصنف برقم ٣٢٧١٢.

(٩) المسند ٢/ ٣٤٥.

(١٠) أخبار المدينة ٣/ ١١٠٥.

(١١) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٧٣.

أخرج الحاكم^(١) نحوه من طريق وهيب بن خالد ثنا موسى و محمد وإبراهيم بنو عقبة قالوا: ثنا أبو
أمنابو حسنة قال: شهدت أبا هريرة..

١٦٠. أخرج سعيد بن منصور^(٢)، ونعيم بن حماد^(٣)، وابن سعد^(٤)، وخليفة بن خياط^(٥)،
والبلاذري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال:

دخلت على عثمان يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين طاب الضرب؟ فقال: يا أبا هريرة،
أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلا واحدا
فكأنها قتلت الناس جميعا، قال: فرجعت ولم أقاتل.

١٦١. أخرج سعيد بن منصور^(٨)، ابن سعد^(٩)، وابن أبي شيبة^(١٠)، والبلاذري^(١١) عن أبي معاوية، قال:
أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح قال:

كان أبو هريرة إذا ذكر ما صنع بعثمان بكى قال: فكأنني أسمعه يقول: هاه هاه، ينتحب.

د- موقف عبد الله بن الزبير:

وموقفه في تأييد عثمان رضي الله عنه والذب عنه مشهور، ومن أهم مرويات هذا الباب:

١٦٢. أخرج ابن سعد^(١٢)، وابن أبي شيبة^(١٣)، وأحمد^(١٤)، عن أبي أسامة حماد بن أسامة، قال: أخبرنا
هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال:

قلت لعثمان يوم الدار: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال: لا والله لا أقاتلهم أبدا،
قال: فدخلوا عليه، وهو صائم، قال: وقد كان عثمان أمر عبد الله بن الزبير على الدار، وقال
عثمان: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير.

(١) المستدرک ٣/ ٩٩.

(٢) سننه برقم ٢٩٣٧.

(٣) الفتن برقم ٤٣٧.

(٤) الطبقات ٣/ ٦٦.

(٥) تاريخه ص ١٢٩.

(٦) أنساب الأشراف ٦/ ١٩٠.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٩٦.

(٨) سننه برقم ٢٩٤٠.

(٩) الطبقات ٣/ ٧٧.

(١٠) المصنف برقم ٣٢٧١٣.

(١١) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٦.

(١٢) الطبقات ٣/ ٦٧.

(١٣) المصنف برقم ٣٨٢٣٨، ٣٨٨١٧.

(١٤) فضائل الصحابة برقم ٧٧٢.

١٦٣. أخرج ابن سعد^(١)، وخليفة بن خياط^(٢)، والبلاذري^(٣)، والخلال^(٤) من طريق أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن الزبير قال:

قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين، إن معك في الدار عصابة مستنصرة بنصر الله بأقل منهم لعثمان، فأذن لي فلاقاتل، فقال: أنشد الله رجلا، أو قال: أذكر بالله رجلا أهرق في دمه، أو قال: أهرق في دما.

ذ- موقف الحسن بن علي:

١٦٤. أخرج خليفة بن خياط^(٥) عن عبد الأعلى وكهمس عن ابن أبي عروبة عن قتادة وزاد عبد الأعلى: أن الحسن بن علي كان آخر من خرج من عند عثمان.

١٦٥. أخرج ابن عساكر^(٦) من طريقين عن جرير بن حازم نا يعلى بن حكيم عن نافع: أن الحسن بن علي وعبد الله بن عمر لم يزالا مع عثمان في الدار.

١٦٦. أخرج ابن الجعد^(٧)، والبخاري في تاريخه^(٨)، وعمر بن شبة^(٩) من طريق زهير بن معاوية قال، حدثنا كنانة مولى صفية بنت حيي قال:

كنت فيمن يحمل الحسن بن علي رضي الله عنهما جريحا من دار عثمان رضي الله عنه.

١٦٧. أخرج ابن راهويه^(١٠)، وعمر بن شبة^(١١) من طريق محمد بن طلحة قال، حدثني كنانة مولى صفية قال:

شهدت مقتل عثمان رضي الله عنه، فأخرج من الدار أربعة من شباب قريش مدرجين محمولين كانوا يدرؤون عن عثمان رضي الله عنه، فذكر الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم.

ر- موقف سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

١٦٨. أخرج البخاري^(١٢)، وأحمد^(١٣)، وعمر بن شبة^(١٤)، والطبراني^(١٥)، من طريق إسماعيل عن قيس قال سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في مسجد الكوفة يقول:

(١) الطبقات ٣/٦٧، ٦/٤٧٥.

(٢) تاريخه ص ١٢٨.

(٣) أنساب الأشراف ٦/١٩١.

(٤) فضائل الصحابة برقم ٧٧٢.

(٥) تاريخه ص ١٢٩.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/٣٩٠.

(٧) مسنده برقم ٢٦٦٥.

(٨) الكبير ٧/٢٣٧.

(٩) أخبار المدينة ٣/١١٣١، ٤/١٢٧٥-١٢٧٦.

(١٠) مسنده برقم ٢٠٨٨.

(١١) أخبار المدينة ٤/١٢٩٨.

(١٢) صحيحه بأرقام: ٣٨٦٢، ٣٨٦٧، ٦٩٤٢.

(١٣) مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ ٢/١٧١.

(١٤) أخبار المدينة ٤/١٢٤٢.

(١٥) المعجم الكبير برقم ١٢١.

والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقى على الإسلام قبل أن يسلم عمر، ولو أن أحدًا ارفض
للذى صنعتهم بعثمان لكان محقوقاً أن يرفض.

ز - موقف عائشة:

١٦٩. أخرج نعيم بن حماد^(١)، وأحمد^(٢) - ومن طريقه الخلال^(٣) - وعمر بن شبة^(٤)، والطبراني^(٥)، وابن
عساكر^(٦) من طريق صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير [عن أبيه]^(٧) عن عائشة قالت:

كان القوم يختلفون إلي في عيب عثمان ولا أرى إلا أنها معاتبة وأما دمه فأعوذ بالله من دمه
والله وددت اني عشت في الدنيا برصاء صالح وإني لم أذكر عثمان بكلمة قط فذكرت كلاما
فضلت عثمان على عليّ. قالت: ولأصعب عثمان الذي يشير بها إلى السماء خير من طلاع
الأرض من عليّ.

١٧٠. أخرج عبد الرزاق^(٨)، وأحمد^(٩)، وعمر بن شبة^(١٠)، والفسوي^(١١)، وابن عساكر^(١٢) من طرق إلى
الزهري قال، حدثني عائذ الله بن عبد الله أبو إدريس الخولاني أن:

أبا مسلم الخولاني قال لأهل الشام - وهم ينالون من عائشة في شأن عثمان رضي الله عنه: يا أهل
الشام، أضرب لكم مثلكم ومثل أمكم هذه، مثلكم ومثلها كمثل العين في الرأس تؤذي
صاحبها ولا تستطيع أن تعاقبها إلا بالذي هو خير لها.

١٧١. أخرج سعيد بن منصور^(١٣)، ونعيم بن حماد^(١٤)، وابن أبي شيبة^(١٥)، وأحمد^(١٦)، من طريق أبي
مالك الأشجعي، عن سالم بن أبي الجعد، عن محمد بن الحنفية، قال:

(١) الفتن برقم ٢٠٩.

(٢) مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ ١٧١ / ٢.

(٣) السنة برقم ٥٤٥.

(٤) أخبار المدينة ٤ / ١٢٢٥ - ١٢٢٦.

(٥) مسند الشاميين برقم ٩٤٤.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩ / ٤٨٨.

(٧) ما بين حاصرتين ساقط في المطبوع من مسند الشاميين.

(٨) المصنف ١١ / ٤٣٣.

(٩) فضائل الصحابة برقم ١٦٣٠.

(١٠) أخبار المدينة ٤ / ١١٧٣.

(١١) المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٨٤.

(١٢) تاريخ دمشق ٢٧ / ٢٠٤، ٢٢١.

(١٣) سننه برقم ٢٩٤٣.

(١٤) الفتن برقم ٤٤٨.

(١٥) المصنف برقم ٣٨٩٤٨.

(١٦) فضائل الصحابة برقم ٧٣٣.

بلغ عليا: أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد قال فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال وانا
ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل قال مرتين أو ثلاثا.

١٧٢. أخرج ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبه^(٢)، وخليفة بن خياط^(٣)، وعمر بن شبة^(٤)، من طريق
الأعمش، عن خيثمة، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت حين قتل عثمان رضي الله عنه:

تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، هلا كان هذا
قبل هذا، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قال:
فقلت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون، وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوداء في
بيضاء حتى جلست مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كتب على لسانها.

١٧٣. أخرج ابن سعد^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، والبلاذري^(٧)، والخلال^(٨) من طريق أبي وكيع الجراح بن
مليح، عن قيس بن مسلم، عن أم الحجاج الجدلية قالت:

كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل عليها الاشر - وعثمان رضي الله عنه محصور - فقال: يا أم
المؤمنين، ما تقولين في قتل هذا الرجل؟ قالت: فتكلمت امرأة بينة اللسان صيئة فقالت:
معاذ الله أن أمر بسفك دماء المسلمين وقتل إمامهم واستحلال حرمتهم. فقال الاشر:
كتبتن إلينا حتى إذا قامت الحرب على ساق انسلتني منها! قال أبو وكيع: فسمعت الأعمش
يزيد في هذا الحديث: أن عائشة حلفت يومئذ بيمين ما حلف بها أحد قبلها ولا بعدها
قالت: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليكم سوداء في بيضاء حتى
قعدت مقعدي هذا.

إسناده صحيح. وقد ضعفه بعضهم بجهالة أم الحجاج الجدلية. قلت: هي عائشة بنت عجرة^(٩)،
وقد روى ابن أبي شيبه^(١٠)، وابن المنذر^(١١) خبرا لها يشير إلى أنها كانت زوجة لعبد الله بن مسعود رضي
الله عنه.

(١) الطبقات ٣/ ٧٨.

(٢) المصنف برقم ٣٢٧١٤.

(٣) تاريخه ص ١٣١.

(٤) أخبار المدينة ٤/ ١٢٢٥.

(٥) الطبقات ١٠/ ٤٤٨.

(٦) أخبار المدينة ٤/ ١٢٢٤-١٢٢٥.

(٧) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٥.

(٨) السنة برقم ٤٤٧.

(٩) انظر: الطبقات ١٠/ ٤٤٨، والإصابة ٨/ ٤٤.

(١٠) المصنف برقم ٣٧٨.

(١١) الأوسط ١/ ٤٠٥.

١٧٤. أخرج عبد الرزاق^(١)، وأحمد^(٢)، والبخاري في خلق أفعال العباد^(٣)، وعمر بن شبة^(٤)، وأبو داود^(٥)، والبلاذري^(٦)، والطبراني^(٧)، من طرق إلى الزهري عن عروة عن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول:

يا ليتني كنت نسيا منسيا فأما الذي كان من شأن عثمان فوالله ما أحببت أن يتهك من عثمان أمر قط إلا انتهك مني مثله حتى لو أحببت قتله قتلته يا عميد الله بن عدي لا يغرنك أحد بعد الذي تعلم فوالله ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله ﷺ حتى نجم النفر الذين طعنوا في عثمان فقالوا قولا لا يحسن مثله وقرأوا قراءة لا يحسن مثلها وصلوا صلاة لا يصلي مثلها فلما تدبرت الصنيع أذن والله ما تقاربوا أعمال أصحاب رسول الله ﷺ فإذا أعجبك حسن قول امرئ فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ولا يستخفنك أحد.

١٧٥. أخرج أحمد^(٨)، والبلاذري^(٩) من طريق عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة قال:

قالوا يا أم المؤمنين أخبرينا عن عثمان قال فاستجلست الناس فحمدت الله وأثنت عليه فقالت: يا أيها الناس إنا نقمنا^(١٠) على عثمان ثلاثا: إمرة الفتى والحمى وضربه السوط ثم تركتموه حتى إذا مصتموه موص الثوب عدوتم عليه الفقر الثلاث حرمة دمه الحرام وحرمة البلد الحرام لعثمان كان أتقاهم للرب واحصنهم للفرج وأوصلهم للرحم.

قلت: عبد الملك صدوق، إلا أنه اختلف عليه في حفظه^(١١).

س - موقف صفية أم المؤمنين:

١٧٦. أخرج ابن سعد^(١٢) وابن أبي شيبة^(١٣)، وعمر بن شبة^(١٤)، وابن الجعد^(١٥) وابن عساكر^(١٦) من

(١) المصنف ١١ / ٣٦٧.

(٢) فضائل الصحابة برقم ٧٥٠.

(٣) برقم ١٤٨.

(٤) أخبار المدينة ٤ / ١٢٣٤ - ١٢٣٥.

(٥) الزهد برقم ٣٣٢.

(٦) أنساب الأشراف ٣ / ٥٩.

(٧) مسند الشاميين برقم ٣١٠٢.

(٨) فضائل الصحابة برقمي ٧٢٦، ٧٣٤.

(٩) أنساب الأشراف ٣ / ٣٦.

(١٠) في متن الموضوع الأول من الفضائل: "إنكم عتبتم".

(١١) انظر تهذيب الكمال ١٨ / ٣٧٠.

(١٢) الطبقات ١٠ / ١٢٤.

(١٣) المصنف برقم ٣١٢٦١.

(١٤) أخبار المدينة ٤ / ١٣١١.

(١٥) مسنده برقم ٢٦٦٦.

(١٦) تاريخ دمشق ٣٩ / ٤١٥.

طريق زهير بن معاوية، قال: حدثنا كنانة مولى صفية قال:

كنت أقود بصفية لترد عن عثمان فلقيتها الأشر فضرب وجه بغلته حتى مالت فقالت:
ردوني لا يفضحني هذا. قال الحسن في حديثه: ثم وضعت خشبا من منزلها ومنزل عثمان
تنقل عليه الماء والطعام.

وأخرج نحوه ابن سعد، وابن راهويه^(١)، وعمر بن شبة^(٢) من طريق محمد بن طلحة قال، حدثني
كنانة مولى صفية بنت حبي ..

ش - موقف عمار بن ياسر:

١٧٧. أخرج ابن سعد^(٣)، وغيره من طرق إلى كلثوم بن جبر قال:

كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقلت: الإذن، هذا أبو غادية
الجهني، فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال، ضرب من
الرجال، كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعت رسول الله ﷺ قلت: بيمينك،
قال: نعم، وخطبنا رسول الله ﷺ يوم العقبة، فقال: يا أيها الناس، ألا إن دماءكم وأموالكم
حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل
بلغت؟، فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب
بعضكم رقاب بعض. قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حنانا، فبينما أنا في
مسجد قباء إذ هو يقول: ألا إن نعثلا هذا لعثمان، فالتفت فلو أجد عليه أعوانا لو طئته حتى
أقتله، قال: قلت: اللهم إنك إن تشأ تمكني من عمار، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول
الكتيبة رجلا، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلا عورة قطعته في ركبته بالرمح، فعثر
فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا رأس عمار. قال: فلم أر رجلا أبين ضلالة عندي منه إنه
سمع من النبي عليه السلام ما سمع، ثم قتل عمارا. قال: واستسقى أبو غادية فأتي بهاء في
زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتي بهاء في قدح فشرب، فقال رجل على رأس الأمير قائم
بالنبطية: أوى يد كفتنا، يتورع عن الشراب في زجاج ولم يتورع عن قتل عمار.

وأخرج ابن سعد^(٤) عن عفان بن مسلم، قال: أخبرنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو حفص،
وكلثوم بن جبر، عن أبي غادية قال:

سمعت عمار بن ياسر يقع في عثمان يشتمه بالمدينة. قال: فتوعدته بالقتل، قلت: لئن أمكنتني
الله منك لأفعلن، فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس، فقبل: هذا عمار فرأيت
فرجة بين الرئتين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعنته في ركبته، قال: فوقع فقتلته،
فقبل: قتلت عمار بن ياسر، وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن
قاتله وسالبه في النار فقبل لعمرو بن العاص: هو ذا أنت تقاتله، فقال: إنا قال: قاتله
وسالبه.

(١) مسنده برقم ٢٠٨٨.

(٢) أخبار المدينة ٤/ ١٣١١.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٩٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٩٨.

ص - موقف أبي الدرداء:

١٧٨. أخرج البخاري^(١) قال: حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال سمعت

سالمًا قال سمعت أم الدرداء تقول:

دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت ما أغضبك فقال: والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئًا إلا أنهم يصلون جميعاً^(٢).

ض - موقف جهجاه الغفاري:

١٧٩. أخرج ابن أبي الدنيا^(٣)، البلاذري^(٤)، وأبو العرب التميمي^(٥)، والآجري^(٦)، وابن عساكر^(٧) من

طريق حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار أن:

رجلا يقال له جهجاه من غفار دخل على عثمان ومعه عصا رسول الله ﷺ فأخذها الغفاري فكسرها على ركبتيه فوقعت الأكلة في ركبتيه.

إسناده صحيح. وأخرج نحوه ابن سعد^(٨)، وابن أبي شيبة^(٩)، الطبري^(١٠)، والآجري^(١١)، عن عبدالله ابن إدريس، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع به.

ط - موقف عبد الله بن سلام:

١٨٠. أخرج سعيد بن منصور^(١٢)، ونعيم بن حماد^(١٣)، وابن سعد^(١٤)، وعمر بن شبة^(١٥) عن أبي

معاوية الضرير، قال: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح قال:

سمعت عبد الله بن سلام يوم قتل عثمان يقول: والله لا تهرقون محجما من دم إلا ازدتتم به من الله بعدا.

(١) صحيحه برقم ٦٥٠.

(٢) قال ابن حجر: وكان ذلك صدر من أبي الدرداء في أواخر عمره وكان ذلك في أواخر خلافة عثمان. انظر فتح الباري ٢/٤٩٢. قلت: وكانت وفاة أبي الدرداء لستين بقيتا من خلافة عثمان.

(٣) العقوبات برقم ٣٣٥.

(٤) أنساب الأشراف ٦/١٦١.

(٥) المحن ص ٩٠.

(٦) الشريعة برقم ١٤٦٨.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/٣٢٩، ٣٣٠.

(٨) الطبقات ٥/١٠٩.

(٩) المصنف برقم ٣٨٢٣٩.

(١٠) تاريخه ٤/٣٦٧.

(١١) الشريعة برقم ١٤٦٩.

(١٢) سننه برقم ٢٩٣٨.

(١٣) الفتن برقم ٤٣٧.

(١٤) الطبقات ٣/٧٧.

(١٥) أخبار المدينة ٤/١١٨٠.

ظ - موقف عبد الله بن عكيم^(١):

١٨١. قال ابن سعد^(٢)، وابن أبي شيبة^(٣)، والفسوي^(٤)، والبلاذري^(٥) عن عبد الله بن إدريس، قال:

أخبرنا محمد بن أبي أيوب، عن هلال بن أبي حميد، عن عبد الله بن عكيم قال:

لا أعين على دم خليفة أبدا بعد عثمان، قال: فيقال له: يا أبا معبد أو أعنت على دمه؟ فقال:
إني لأعد ذكر مساويه عوناً على دمه.

ع - موقف عبد الرحمن بن عديس:

١٨٢. أخرج الطبري^(٦) عن الواقدي حدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد، قال:

لما نزلوا ذا خشب، كلم عثمان علياً وأصحاب رسول الله ﷺ أن يردّوهم عنه، فركب عليّ وركب معه نفر من المهاجرين، فيهم سعيد بن زيد، وأبو جهم الدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد؛ وخرج من الأنصار أبو أسيد الساعديّ وأبو حميد الساعديّ، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومعهم من العرب نيار بن مكرم وغيرهم ثلاثون رجلاً؛ وكلمهم عليّ ومحمد بن مسلمة - وهما اللذان قدما - فسمعوا مقاتلتها، ورجعوا. قال محمود: فأخبرني محمد بن مسلمة، قال: ما برحنا من ذي خشب حتى رحلوا راجعين إلى مصر، وجعلوا يسلمون عليّ، فما أنسى عبد الرحمن بن عديس: أتوصينا يا أبا عبد الرحمن بحاجة؟ قال: قلت: تتقي الله وحده لا شريك له، وتردّ من قبلك عن إمامه، فإنه قد وعدنا أن يرجع وينزع. قال ابن عديس: أفعل إن شاء الله. قال: فرجع القوم إلى المدينة.

غ - موقف معاوية بن أبي سفيان:

١٨٣. أخرج ابن سعد^(٧) حدثني عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور عن أبيها قال:

قال لي معاوية: يا مسور، أنت ممن قتل عثمان، فقال المسور: أنا والله يا معاوية نصحتته واعتزلته، وأنت غششته وخذلتته، فإن شئت أخبرت القوم خبرك وخبري حين قدمت عليك الشام، فقال معاوية: لا يا أبا عبد الرحمن^(٨).

(١) عبد الله بن عكيم: أدرك زمن النبي ﷺ، وأسلم في حياته، ولكنه لم يسمع منه شيئاً عند البخاري وأبي زرعة وأبي حاتم. وذكره ابن حبان في ثقاته في الصحابة، وقال: أدرك زمنه ولم يسمع منه شيئاً. انظر: التاريخ الكبير ٣٩/٥، والجرح والتعديل ١٢١/٥، والثقات ٢٤٧/٣.

(٢) الطبقات ٧٦/٣.

(٣) المصنف برقم ٣٢٧٠٦.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/٢٣١.

(٥) أنساب الأشراف ٦/٢٢٦.

(٦) تاريخه ٤/٣٥٩.

(٧) الطبقات ٦/٥٢٥.

(٨) كان المسور ممن انحرف عن بني أمية، وقتل مع ابن الزبير في حربه ضد بني أمية. قال ابن عساكر: "وقدم دمشق برسالة عثمان إلى معاوية يستدعيه إليه لأجل الذين حصروه ثم قدمها ثانية وافدا على معاوية في خلافته". انظر تاريخ دمشق ١٥٩/٥٨.

د - ما جاء في موقف عثمان نفسه من الفتنة

١٨٤ . أخرج البخاري^(١) من طريق قتادة أن أنسًا - رضى الله عنه - حدثهم قال:

صعد النبي - ﷺ - أحدا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف وقال « اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبى وصديق وشهيدان.

١٨٥ . أخرج البخاري^(٢) وغيره من طرق عن أبى موسى الأشعري قال:

بينما رسول الله ﷺ في حائط من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين إذا استفتح رجل فقال « افتح وبشره بالجنة ». قال فإذا أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة - قال - ثم استفتح رجل آخر فقال « افتح وبشره بالجنة ». قال فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر - قال - فجلس النبي ﷺ فقال « افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ». قال فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان - قال - ففتحت وبشرته بالجنة - قال - وقلت الذى قال فقال اللهم صبرا أو الله المستعان.

١٨٦ . أخرج أحمد^(٣)، وغيره من طريق وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: قال قيس: فحدثني أبو

سهلة:

أن عثمان قال يوم الدار حين حصر: إن رسول الله ﷺ عهد إلي، فأنا صابر عليه. قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

١٨٧ . أخرج البخاري^(٤) من طريق سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام قال:

كنا مع حذيفة فقبل له إن رجلا يرفع الحديث إلى عثمان. فقال حذيفة سمعت النبي ﷺ يقول: لا يدخل الجنة قتات.

١٨٨ . أخرج البخاري^(٥)، وأحمد^(٦) من طريق الأوزاعي حدثنا الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن

عبيد الله بن عدى بن خيار:

أنه دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو محصور فقال إنك إمام عامة، ونزل بك ما ترى ويصلى لنا إمام فتنة وتخرج. فقال الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

(١) صحيحه بأرقام ٣٦٧٥، ٣٦٨٦، ٣٦٩٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٥١١.

(٣) سبق تخريجه ص ٥١٢.

(٤) صحيحه برقم ٦٠٥٦.

(٥) صحيحه برقم ٦٩٥.

(٦) فضائل الصحابة برقم ٨٧٢.

١٨٩. أخرج البخاري^(١)، وأحمد^(٢)، وعمر بن شبة^(٣)، والترمذي^(٤)، وابن عساكر^(٥) من طريق أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن:

أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حفر رومة فله الجنة. فحفرتها، أستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزتهم. قال: فصدقوه بما قال.

١٩٠. أخرج أحمد^(٦)، من طريق حماد بن زيد، حدثنا يحيى بن سعيد، عن أبي أمامة بن سهل، قال:

كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، فدخل مدخلا كان إذا دخله يسمع كلامه من على البلاط، قال: فدخل ذلك المدخل وخرج إلينا، فقال: إنهم يتوعدوني بالقتل أنفا. قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين. قال: وبم يقتلونني؟ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسا فيقتل بها. فوالله ما أحببت أن لي بدني بدلا منذ هداني الله، ولا زنت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا قتلت نفسا، فبم يقتلونني؟

١٩١. أخرج ابن سعد^(٧)، وابن أبي شيبة^(٨)، وخليفة بن خياط^(٩)، وأحمد^(١٠)، وعمر بن شبة^(١١)، والبلاذري^(١٢)، وعبد الله بن أحمد^(١٣)، والخلال^(١٤)، وابن عساكر^(١٥) من طريق سعد بن إبراهيم، عن أبيه عن جده قال:

سمعت عثمان بن عفان يقول: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في قيود فضعوها.

(١) صحيحه برقم ٢٧٧٨.

(٢) المسند ١/ ٥٩. وانظر الكلام على إسناده هناك، وراجع نحوه في فضائل أحمد برقم ٧٥١.

(٣) أخبار المدينة ٤/ ١١٩٥.

(٤) الجامع برقم ٣٦٩٩.

(٥) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٣٤، ٣٣٩.

(٦) المسند ١/ ٦١. وقد أفاض محققوه في تخريجه.

(٧) الطبقات ٣/ ٦٦.

(٨) المصنف برقم ٣٨٨٥١.

(٩) تاريخه ص ١٢٦.

(١٠) فضائل الصحابة برقم ٧٩٧.

(١١) أخبار المدينة ٤/ ١١٩٥.

(١٢) أنساب الأشراف ٦/ ١٩٥.

(١٣) زوائده على المسند ١/ ٧٢.

(١٤) السنة برقم ٤٢٤.

(١٥) تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٥٧، ٣٥٨.

١٩٢. أخرج ابن سعد^(١) وابن أبي شيبة^(٢)، وخليفة بن خياط^(٣)، وعمر بن شبة^(٤) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان قال: حدثني أبو ليلى الكندي قال:

شهدت عثمان، وهو محصور فاطلع من كو، وهو يقول: يا أيها الناس، لا تقتلوني، واستتيبوني، فوالله لئن قتلتوني، لا تصلون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتختلفن حتى تصيروا هكذا وشبك بين أصابعه، ثم قال: ﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْ طُغِيَ عَنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]. وأرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: ما ترى؟ فقال: الكف الكف؛ فإنه أبلغ لك في الحجة.

أخرج خليفة بن خياط^(٥)، عمر بن شبة^(٦) عن أبي داود قال، حدثنا سهل - يعني ابن أبي الصلت - عن الحسن بنحوه.

وروى عمر بن شبة^(٧) نحوه أيضاً عن معاذ بن شيبه بن عبيدة قال، حدثني أبي، عن أبيه، عن الحسن.

١٩٣. أخرج أحمد^(٨)، والترمذي^(٩)، والبلاذري^(١٠)، وابن عساكر^(١١) من طريق أبي مسعود الجريري عن ثمامة بن حزن القشيري قال:

شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال اتنوني بصاحبكم اللذين ألباكم علي. قال فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران. قال فأشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال رسول الله « من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ». فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر. قالوا اللهم نعم. قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: « من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة ». فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. قالوا اللهم نعم. قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم. ثم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر

(١) الطبقات ٣/٦٧، ٨/٣٢٠.

(٢) المصنف برقم ٣٨٢٣٥، ٣٨٨١٣.

(٣) تاريخه ص ١٢٦.

(٤) أخبار المدينة ٤/١١٨٩.

(٥) تاريخه ص ١٢٦.

(٦) أخبار المدينة ٤/١١٨٩.

(٧) أخبار المدينة ٤/١١٩٠.

(٨) المسند ١/٧٤-٧٥.

(٩) الجامع برقم ٣٧٠٣.

(١٠) أنساب الأشراف ٦/١٠٥.

(١١) تاريخ دمشق ٣٩/٣٣٥-٣٣٨.

وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارتها بالحضيض قال فركضه برجله وقال «
اسكن ثبير فإننا عليك نبي وصديق وشهيدان». قالوا اللهم نعم. قال الله أكبر شهدوا إلى
ورب الكعبة أنى شهيد ثلاثا. قال أبو عيسى هذا حديث حسن. وقد روى من غير وجه عن
عثمان.

١٩٤. أخرج سعيد بن منصور^(١)، ونعيم بن حماد^(٢)، ابن سعد^(٣)، وابن أبي شيبة^(٤)، وخليفة بن
خياط^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، والبلاذري^(٧)، وأبو العرب التميمي^(٨)، والخلال^(٩)، وابن عساكر^(١٠) من
طريق يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال:

كنت مع عثمان في الدار فقال: أعزم على من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده
وسلاحه فإن أفضلكم عندي غناء من كف يده وسلاحه. ثم قال: قم يا بن عمر فأجر بين
الناس. فقام ابن عمر وقام معه رجال من بني عدي: ابن سراقه وابن مطيع ففتحوا الباب
وخرج ودخلوا الدار فقتلوا عثمان رضي الله عنه.

١٩٥. أخرج سعيد بن منصور^(١١)، وغيره من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال:

دخلت على عثمان يوم الدار، فقلت: يا أمير المؤمنين طاب الضرب؟ فقال: يا أبا هريرة،
أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلا واحدا
فكأنها قتلت الناس جميعا، قال: فرجعت ولم أقاتل.

١٩٦. أخرج ابن سعد^(١٢)، وخليفة بن خياط^(١٣) من طريق ابن عليه، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة،
عن عبد الله بن الزبير قال:

قلت لعثمان: يا أمير المؤمنين، إن معك في الدار عصابة مستنصرة بنصر الله بأقل منهم
لعثمان، فأذن لي فلاقاتل، فقال: أنشد الله رجلا، أو قال: أذكر بالله رجلا أهرق في دمه، أو
قال: أهرق في دما.

(١) سننه برقم ٢٩٤٥.

(٢) الفتن برقم ٤٣٦، ٤٤١.

(٣) الطبقات ٣/٦٦.

(٤) المصنف بأرقام ٣٢٧٠١، ٣٨٢٣٦، ٣٨٨١٦.

(٥) تاريخه ص ١٢٨. والمتن له.

(٦) أخبار المدينة ٤/١٢٩٩.

(٧) أنساب الأشراف ٦/١٩٠.

(٨) المحن ص ٨٤.

(٩) السنة برقم ٤٣٠.

(١٠) تاريخ دمشق ٣٩/٣٩٨.

(١١) سبق تخريجه.

(١٢) الطبقات ٣/٦٧.

(١٣) تاريخه ص ١٢٨.

١٩٧. أخرج ابن سعد^(١)، وابن أبي شيبه^(٢)، وأحمد^(٣) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، قال: أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال:

قلت لعثمان يوم الدار: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال: لا والله لا أقاتلهم أبداً، قال: فدخلوا عليه، وهو صائم، قال: وقد كان أمر عبد الله بن الزبير على الدار، وقال عثمان: من كانت لي عليه طاعة فليطع عبد الله بن الزبير.

١٩٨. أخرج خليفة بن خياط^(٤)، وأبو زرعة الدمشقي^(٥)، والخلال^(٦)، وابن عساكر^(٧) من طريق مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة قال:

سمعت عثمان يقول: أنا أتوب إلى الله ان كنت ظلمت أو إن كنت ظلمت.

١٩٩. أخرج ابن سعد^(٨)، من طريق نافع قال: حدثني عبد الله ابن عمر قال:

قال لي عثمان، وهو محصور في الدار: ما ترى فيما أشار به علي المغيرة بن الأحنس، قال: قلت: ما أشار به عليك؟ قال: إن هؤلاء القوم يريدون خلعي، فإن خلعت تركوني، وإن لم أخلع قتلوني، قال: قلت: أرأيت إن خلعت تترك مخلداً في الدنيا، قال: لا، قال: فهل يملكون الجنة والنار؟ قال: لا، قال: فقلت: أرأيت إن لم تخلع هل يزيدون على قتلك؟ قال: لا، قلت: فلا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه، لا تخلع قميصاً قمصكه الله.

هـ - ما جاء في رؤوس فتنة عثمان وقتلته^(٩)

٢٠٠. أخرج البخاري في تاريخه^(١٠)، وعمر بن شبة^(١١)، والبلاذري^(١٢)، وابن عساكر^(١٣) من طريق حزم ابن أبي حزم سمعت مسلم بن مخراق أبا سواده قال: سمعت طلق بن خشاف قال:

أتيت عائشة قلت: فيم قتل أمير المؤمنين؟ قالت: قتل مظلوماً لعن الله قتلته أقاد الله بن أبي بكر وساق إلى عين بني تميم هوانا وأهراق دم ابني بديل على ضلالة وساق الله إلى الأشرار

(١) الطبقات ٦٧/٣.

(٢) المصنف برقم ٣٨٢٣٨، ٣٨٨١٧.

(٣) فضائل الصحابة برقم ٧٧٢.

(٤) تاريخه ص ١٢٧.

(٥) تاريخه برقم ١٨٢١.

(٦) السنة برقم ٤٢٩.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩/٣٥٧.

(٨) سبق تخريجه.

(٩) لم يكن مروان من رؤوس هذه الفتنة كما يشاع رغم شراسته في خلقه. (انظر: ابن سعد ٦/٣٩٧، أخبار المدينة ٣/١٠٥٥، وأنساب الأشراف ٦/٢٥٦، وتاريخ دمشق ٢١/١٢٩). وقد كان ابن الزبير كذلك في خلقه (انظر مصنف ابن أبي شيبه برقم ٣١٢٣٨) وراجع في باب رؤوس الفتنة ابن عساكر ٣٩/٣٠٦ - ٤١٤.

(١٠) الأوسط ١/٦٣٣.

(١١) أخبار المدينة ٤/١٢٤٤ - ١٢٤٥.

(١٢) أنساب الأشراف ٦/٢٢٥.

(١٣) تاريخ دمشق ٥٦/٣٨١.

كذا قال طلق لا والله إن بقي من القوم رجل إلا أصابته دعوتها أخذ بن أبي بكر فأقيد ودخل على أعين بني تميم رجل فقتله وخرج ابنا بديل في بعض تلك الفتن فقتلا وخرج الأشر إلى الشام فأتى بشرية فقتلته.

وأخرج ابن أبي شيبة^(١) نحوه عن حماد بن أسامة، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا أبو نعامة عمرو بن عيسى، قال: قالت عائشة:

اللهم أدرك خفرتك في عثمان وأبلغ القصاص في مذمم^(٢)، وأبدي عورة أعين - رجل من بني تميم أبي امرأة الفرزدق^(٣) -.

٢٠١. أخرج البخاري في تاريخه^(٤) من طريق خازم بن خزيمة ثنا خليلد عن الحسن قال:

لم يدع الله الفسقة قتلة عثمان حتى قتلهم بكل أرض فأما ابن أبي بكر فضربت عنقه ثم جعل بدنه في مسك حمار ثم أحرق بالنار.

٢٠٢. أخرج ابن سعد^(٥) عن روح بن عبادة قال: حدثنا عوف بن محمد قال:

كان محمد بن أبي بكر^(٦)، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة من أشد قريش على عثمان..

٢٠٣. أخرج عمر بن شبة^(٧)، وأبو العرب التميمي^(٨)، من طريق ابن وهب وأخبرني الليث قال:

كان أشد الناس على عثمان المحمدون محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري.

٢٠٤. أخرج أحمد^(٩)، وعمر بن شبة^(١٠) من طريق عبد الله بن المبارك، قال: حدثنا حرملة بن عمران^(١١)

قال: حدثني عبد العزيز بن عبد الملك بن مليل السليحي، وهم إلى قضاة، قال: حدثني أبي، قال:

(١) المصنف برقم ٣١٢٦٨.

(٢) قال محقق المصنف: "وكأنها تريد رضي الله عنها بـ"مذمم" أخاها محمدا لما كان له موقف غير حسن يوم مقتل عثمان رضي الله عنه..".

(٣) أخرج ابن عساكر (تاريخ دمشق ٣٩ / ٢٥٤) من طريق عبيد الله بن عمر حدثني غندر نا شعبة عن سهاك بن حرب قال: سمعت عباد بن زاهر، انا رواه قال: "سمعت عثمان يخطب فقال: أما والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنازتنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير وإن ناسا يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط. قال فقال له أعين أبو امرأة الفرزدق: يا نعثل قد بدلت. فقال: من هذا؟ فقالوا: أعين. قال: بل أنت أيها العبد. قال: فوثب الناس إلى أعين، قال: وجعل رجل من بني ليث يزعمهم عنه حتى أدخله الدار".

(٤) الأوسط ١ / ٥٤٨.

(٥) الطبقات ٥ / ٣٧٢.

(٦) انظر روايات عن مقتله في الولاية والقضاة للكندي ص ٣٠، ٣١، والموفقيات ص ٣٤٧، وتاريخ خليفة ص ١٤٥.

(٧) أخبار المدينة ٤ / ١٣٠٧.

(٨) المحن ص ٩٢.

(٩) المسند ٤ / ١٤٥.

(١٠) أخبار المدينة ٣ / ١١١٩.

(١١) وقع عند عمر بن شبة: "حرملة بن عبد العزيز". قلت: وصوابه: حرملة عن عبد العزيز. وحرملة هو مولى سلمة بن مخزوم الزميلي. انظر الإكمال لابن ماكولا ٧ / ١٠٥.

كنت مع عقبة بن عامر جالسا قريبا من المنبر يوم الجمعة، فخرج محمد بن أبي حذيفة، فاستوى على المنبر، فخطب الناس، ثم قرأ عليهم سورة من القرآن - قال: وكان من أقرأ الناس - قال: فقال عقبة بن عامر: صدق الله ورسوله، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليقرأن القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

٢٠٥. أخرج عمر بن شبة^(١)، والكندي^(٢) من طريق ابن وهب قال: حدثني ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط قال: سمعت سلمة بن مخرمة^(٣) قال:

لما انتزى ابن أبي حذيفة بمصر بخلع عثمان، دعا الناس إلى أعطياتهم. قال: فأبيت أن آخذ منه، فقدر لي أني ركبت إلى عثمان، فقلت يا أمير المؤمنين، إن ابن أبي حذيفة إمام ضلالة كما قد علمت، وإنه انتزى عليك بمصر، فدعانا إلى أعطياتنا، فأبيت أن آخذ منه. قال: قد عجزت، إنما هو حقل. وبعث أمير المؤمنين عثمان سعد بن أبي وقاص إليهم ليصلح أمرهم.

وزيد في بيان دور ابن أبي حذيفة في هذه الفتنة ما أخرجه الكندي^(٤) عن الحسن بن محمد المدني قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث، عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي:

إن ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على السنة أزواج النبي ﷺ. ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوههم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر. ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر. ثم يرسلون رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب. ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي، عليه السلام، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمسجد. فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي. فيجتمع الناس في المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير. ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام، وما صنع في الإسلام. فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء. ثم يقول ثم ينزل عن المنبر. وينفر الناس بما قرئ عليهم فلما رأته شيعه عثمان، اعتزلوا محمد بن أبي حذيفة ونابدوه، وهم معاوية بن حديج، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أبي أرطاة، ومسلمة ابن مخلد الأنصاري، وعمرو بن قحزم الخولاني، ومقسم بن بجرة، وحمزة بن سرح بن كلال، وأبو الكنود سعد بن مالك الأزدي، وخالد بن ثابت الفهمي، في جمع كثير ليس لهم من الذكر ما لهؤلاء. وبعثوا سلمة بن مخرمة التجيبي ثم أحد بني زميلة إلى عثمان، ليخبره بأمرهم، وبصنيع ابن أبي حذيفة.

وفي الباب أخبار أخرى لكنها مرسله كذلك^(٥).

(١) أخبار المدينة ٣/ ١١١٩-١١٢٠.

(٢) الولاة ص ١٥.

(٣) قال ابن ماكولا: سلمة بن مخرمة بن عبد العزيز ابن عامر التجيبي الزميل من بني زميلة أبو سعيد، شهد فتح مصر، روى عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، روى عنه ربيعة بن لقيط التجيبي، وابنه سعيد بن سلمة. انظر الإكمال ٤/ ٣٢٥.

(٤) الولاة ص ١٤.

(٥) انظر: الولاة ص ١٦، ١٧.

٢٠٦. أخرج البخاري في تاريخه^(١)، وعمر بن شبة^(٢) من طريق الفضل بن عنبسة ثنا أبو عوانة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أن:
 ناسا من أصحاب علي لقوا مسروقا قالوا: مسروق غضبان أن قتل عثمان فخلف الاشتهر في أعقابهم فقال يا أبا عائشة ما رأيت مثل شئ صنعناه ولا يوم عجل بنى إسرائيل.
 ٢٠٧. أخرج ابن سعد^(٣)، وعمر بن شبة^(٤) من طريقين إلى كنانة مولى صفية قال:
 رأيت قاتل عثمان في الدار، رجلا أسود من أهل مصر يقال له: جبلة، باسط يديه، أو قال رافع يديه يقول: أنا قاتل نعثل.
 ٢٠٨. أخرج إسحاق بن راهويه^(٥)، وخليفة بن خياط^(٦)، وعمر بن شبة^(٧)، والحاكم^(٨)، وأبو نعيم^(٩) من طريق محمد بن طلحة ثنا كنانة العدوي^(١٠) قال:
 كنت فيمن حاصر عثمان قال قلت محمد بن أبي بكر قتله قال: لا قتله جبلة بن الأيهم رجل من أهل مصر.
 ٢٠٩. أخرج ابن سعد^(١١)، والبلاذري^(١٢) من طريق أبي الأشهب عن الحسن:
 أنه كان لا يسمي محمد بن أبي بكر إلا بالفاسق.
 ٢١٠. أخرج مسدد بن مسرهد^(١٣)، والبلاذري^(١٤)، وابن حبان^(١٥)، والخطيب^(١٦) من طريق محمد بن زياد، ابن الأعرابي حدثني سعيد بن سلم عن ابن عون قال:
 سمعت القاسم بن محمد بن أبي بكر يقول وهو ساجد: اللهم اغفر لأبي ذنبة في عثمان.
 ٢١١. قال ابن سعد^(١٧): أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبي جعفر القارئ مولى ابن عياش المخزومي قال:

-
- (١) الأوسط ١/ ٥٩٤.
 (٢) أخبار المدينة ٤/ ١٢٣٥-١٢٣٦.
 (٣) الطبقات ٣/ ٧٩.
 (٤) أخبار المدينة ٤/ ١٣٠٨.
 (٥) مسنده برقم ٢٠٨٨.
 (٦) تاريخه ص ١٣٠.
 (٧) أخبار المدينة ٤/ ١٢٩٩.
 (٨) المستدرک ٣/ ١٠٦.
 (٩) معرفة الصحابة ١/ ٦٦.
 (١٠) طريق خليفة، وابن شبة - وعنه نقل ابن عبد البر (الاستيعاب ٣/ ١٠٤٦) -: كنانة مولى صفية. قلت: وهذا هو المحفوظ.
 (١١) الطبقات ٣/ ٧٩.
 (١٢) أنساب الأشراف ٦/ ٢٢٧.
 (١٣) انظر المطالب العالية برقم ٤٣٨٨.
 (١٤) أنساب الأشراف ٦/ ٢١٤، ١٠/ ١١٠.
 (١٥) الثقات ٨/ ٤١.
 (١٦) تاريخ مدينة السلام ١٠/ ١٠٦.
 (١٧) الطبقات ٣/ ٦٧.

كان المصريون الذين حصروا عثمان ستائة، رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والذين قدموا من الكوفة مائتين، رأسهم مالك الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مئة رجل رأسهم حكيم بن جبلة العبدي، وكانوا يدا واحدة في الشر، وكان حثالة من الناس قد ضووا إليهم قد مرجت عهدهم وأماناتهم، مفتونون، وكان أصحاب النبي ﷺ الذين خذلوه كرهوا الفتنة، وظنوا أن الأمر لا يبلغ قتله، فندموا على ما صنعوا في أمره، ولعمري لو قاموا أو قام بعضهم فحثا في وجوههم التراب لانصرفوا خاسرين.

قلت: أبو جعفر القارئ مولى ابن عياش المخزومي هو يزيد بن القعقاع، وهو وإن كانت روايته عن عثمان منقطعة، إلا أنه ثقة أدرك بعض الصحابة، فرأى بعضهم وروى عن بعض^(١)، وهو يحكي في هذا الخبر قوله وما اشتهر عن الصحابة في الفتنة، والباب يعضد قوله^(٢). وأما عبد الرحمن بن أبي الزناد، فهو وإن ضَعَفَ باضطراب حديثه، إلا أنهم جَوَّدُوا ما حدَّث به في المدينة^(٣). قلت: وإسناد هذا الخبر مدني.

ما جاء في خلافة علي بن أبي طالب

أولاً: استخلاف علي بن أبي طالب^(٤)

٢١٢. أخرج أحمد^(٥)، والبخاري^(٦) عن علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن مروان - وما إخاله يتهم علينا - قال:

أصاب عثمان رعاف سنة الرعاف، حتى تخلف عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش، فقال: استخلف. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: فسكت، قال: ثم دخل عليه رجل آخر فقال له مثل ما قال له الأول، ورد عليه نحو ذلك، قال: فقال عثمان: قالوا: الزبير؟ قال: نعم. قال: أما والذي نفسي بيده إن كان لخيرهم ما علمت، وأحبهم إلى رسول الله ﷺ.

٢١٣. أخرج أحمد^(٧)، والبلاذري^(٨)، والطبري^(٩)، والخلال^(١٠)، والآجري^(١١)، وابن

(١) انظر ترجمته في تاريخ دمشق ٣٤٧/٦٥.

(٢) تماماً كما احتجنا ببعض أقوال ابن سيرين، والحسن البصري، وغيرهما فيما أخبروا به عن أنفسهم وما طبع فيها من أجواء هذه الفتنة في عصرهم.

(٣) قال علي بن المديني: ما حدث عبد الرحمن بن أبي الزناد بالمدينة فهو صحيح وما حدث به ببغداد أفسده البغداديون. (تاريخ بغداد ٢٢٩/١٠).

(٤) راجع في هذا الباب فصل هل أوصى النبي لأحد من بعده.

(٥) المسند ١/٦٤.

(٦) صحيحه برقم ٣٧١٧، وانظر طريقاً آخر له برقم ٣٧١٨.

(٧) فضائل الصحابة برقم ٩٦٩.

(٨) أنساب الأشراف ١١/٣.

(٩) تاريخه ٤/٤٢٧.

(١٠) السنة برقمي ٦٢٠، ٦٢٢، والمنتخب من العلل برقم ١٣٠.

(١١) الشريعة برقم ١٢١٥.

بطة^(١)، من طريق سلمة بن كهيل عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال:

«كنت مع علي وثمان محصور قال فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي. قال محمد: فأخذت بوسطه تحوفا عليه، فقال: خل لا أم لك. قال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير. فقالوا: لا والله، ما نعلم أحدا أحق بها منك. قال: فإن أبيتم علي، فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني يبايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس.»

وقد أخرج الخلال^(٢) نحوه باختلاف في الألفاظ من طريق حسين بن عيسى بن زيد عن أبيه عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سلمة بن كهيل عن سالم بن أبي الجعد الأشجعي عن محمد بن الحنفية قال:

كنت مع علي حين قتل عثمان رضي الله عنهما، فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام، ولا نجد أحدا أحق بهذا الأمر منك أقدم مشاهدا ولا أقرب من رسول الله، فقال علي: لا تفعلوا فإني وزير خير مني أن أكون أميرا. فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد، فإنه لا ينبغي بيعتي أن تكون خفيا ولا تكون إلا لمن رضي من المسلمين. قال: فقام سالم بن أبي الجعد، فقال عبدالله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه، وأبي هو إلا المسجد، فلما دخل جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس.

ولا يصح إسناده هذا اللفظ.

١. أخرج أحمد^(٣)، والبلاذري^(٤) من طريق جويرية بن أسماء قال حدثني مالك بن أنس عن الزهري

عن عبيد الله بن عبد الله عن المسور بن مخرمة قال:

قتل عثمان وعلي في المسجد قال: فمال الناس إلى طلحة، قال: فانصرف علي يريد منزله، فلقيه رجل من قريش عند موضع الجنائز فقال: انظروا إلى رجل قُتل ابن عمه، وسلب ملكه! قال: فولى راجعا فرقى في المنبر فقبل ذلك علي على المنبر فمال الناس عليه فبايعوه وتركوا طلحة^(٥).

وأخرج البخاري في تاريخه^(٦)، وعمر بن شبة^(٧)، والبلاذري^(٨)، من طريق أنس بن عياض قال:

حدثنا محمد بن أبي يحيى مولى الأسلميين، عن محمد مولى عطية^(٩) بن سفيان الثقفي، أن عطية بن سفيان

(١) الإبانة جزء فضائل الصحابة ١/ ٣٠٤.

(٢) السنة برقم ٦٢٣.

(٣) فضائل الصحابة برقم ٩٧٠.

(٤) أنساب الأشراف ٣/ ١٢.

(٥) انظر خبر يشبه هذا في أنساب الأشراف ٣/ ١٥.

(٦) التاريخ الكبير ١/ ٢٧١ مختصرا.

(٧) في كتابه أخبار البصرة (مفقود) انظر فتح الباري لابن حجر ١٦/ ٥١٥.

(٨) أنساب الأشراف ٣/ ١٥.

(٩) في المطبوع من أنساب الأشراف: «محمد بن أبي ليل مولى الأسلميين، ومحمد بن عطية»، والتصويب من التاريخ الكبير

للبخاري (١/ ٢٧١)، والجرح والتعديل ٦/ ٣٨٢.

أخبره [أن سفيان]^(١) أخبره:

لما كان الغد يوم قتل عثمان، أقبلت مع علي فدخلت المسجد، فوجدت جماعة من الناس قد اجتمعوا على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة العدوي فقال: يا علي إن الناس قد اجتمعوا على طلحة وأنت غافل. فقال: أيقتل ابن عمتي وأغلب على ملكه! ثم أتى بيت المال ففتحه فلما سمع الناس بذلك تركوا طلحة وأقبلوا إليه.

قلت: وفي إسناد هذا الخبر إشكالات^(٢)، والصواب في لفظه ومعناه خبر المسور السابق قبله.

٢١٤. أخرج أحمد^(٣)، والبلاذري^(٤) من طريق محمد يعني بن راشد قال حدثني عوف قال:

كنت عند الحسن فذكروا أصحاب رسول الله ﷺ فقال بن جوشن الغطفاني: يا أبا سعيد إنما أزرى بأبي موسى اتباعه عليا قال فغضب الحسن حتى تبين الغضب في وجهه قال فمن يتبع قتل أمير المؤمنين عثمان مظلوما فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه فمن يتبع؟! حتى ردها مرارا.

٢١٥. أخرج نعيم بن حماد^(٥)، وابن أبي شيبة^(٦) من طريق نافع، عن ابن عمر، قال:

لما بويع لعلي أتاني فقال: إنك امرؤٌ محبب في أهل الشام، وقد استعملتكم عليهم، فسر إليهم، قال: فذكرت القرابة وذكرت الصهر، فقلت: أما بعد فوالله لا أبايعك. قال: فتركتني وخرج، فلما كان بعد ذلك جاء ابن عمر إلى أم كلثوم فسلم عليها وتوجه إلى مكة، فأتي علي رحمه الله فقيل له: إن ابن عمر قد توجه إلى الشام، فاستنفر الناس، قال: فإن كان الرجل ليعجل حتى يلقي رداءه في عنق بعيه، قال: وأتيت أم كلثوم فأخبرت، فأرسلت إلى أبيها: ما هذا الذي تصنع، قد جاءني الرجل فسلم علي، وتوجه إلى مكة، فراجع الناس.

وأخرج نعيم بن حماد^(٧)، والبلاذري^(٨) من طريق الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال:

غدا عليٌّ علي ابن عمر رضى الله عنهم فقال: هذه كُتبتنا قد فرغنا منها، اركب بها إلى أهل الشام. فقال: أنشدك بالله وأنشدك الإسلام. قال: إنك والله لتركبته قال أذكرك الله واليوم الآخر، فإن هذا أمر لم أكن من أوله في شيء، ولست كائنا من آخره في شيء، وإني والله ما أرد عليك من أهل الشام شيئاً، والله لئن كان أهل الشام يريدونك لتأتينك طاعتهم، وإن كانوا لا يريدونك ما أنا براد عليك منهم شيئاً. قال: إنك والله لتركبته طائعا أو كارها. فدخل ابن عمر داره وانصرف عنه علي، حتى اندس في سواد الليل فدعى بنجائبه فقعد عليها فرمى بها إلى مكة.

(١) ما بين حاصرتين ليس في المطبوع من أنساب الأشراف.

(٢) انظر: بيان خطأ البخاري في تاريخه، لابن أبي حاتم ص ٩٣.

(٣) فضائل الصحابة برقم ٩٧٦.

(٤) أنساب الأشراف ١٦/٣.

(٥) الفتن برقم ٤٠٤.

(٦) المصنف برقمي ٣١٣١٤، ٣٨٤٨٠.

(٧) الفتن برقم ٤٠٦.

(٨) أنساب الأشراف ١٠/٣.

٢١٦. أخرج عبد الرزاق^(١) عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن زهدم قال:

كنا عند ابن عباس يوماً فقال: والله لأحدثنكم بحديث ما هو بسر ولا علانية. ما هو بسر فأكتممكموه، ولا علانية فأخطب به، وإنه لما وثب على عثمان فقتل قلت لابن أبي طالب: اجتنب هذا الأمر فستكفاه، فعصاني وما أراه يظفر وأيم الله ليظهرن عليكم ابن أبي سفيان لأن الله قال ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. وإيم الله لتسيرن فيكم قريش بسيرة فارس والروم. قال: قلنا: فما تأمرنا يا ابن عباس إن أدركنا ذلك؟ قال: من أخذ منكم بما يعرف نجا ومن ترك - وأنتم تاركون - كان كبعض هذه القرون التي هلكت.

ورواه عمر بن شبة^(٢)، وابن بطة^(٣)، من طريق غالب بن عبد الله عن زهدم به.

ورواه أيضاً عمر بن شبة^(٤) عن موسى بن إسماعيل قال، حدثنا الصعق بن حزن قال، سمعت قتادة يقول، حدثنا زهدم الجرمي قال، قال ابن عباس.

٢١٧. أخرج ابن سعد^(٥)، وعمر بن شبة^(٦)، والبلاذري^(٧)، وابن عساكر^(٨)، من طريق نافع بن عمر، قال: حدثني عمرو بن دينار:

أن أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم وعثمان بن عفان محصور، فدخل على عثمان فأخبره بذلك فأمره أن يحج بالناس، فحج بهم ثم انصرف إلى المدينة، فوجد عثمان قد قتل، فقال لعلي: إن أنت قمت بهذا الأمر الآن ألزمت الناس دم عثمان إلى يوم القيامة.

٢١٨. أخرج نعيم بن حماد^(٩)، وابن أبي شيبة^(١٠)، والحري^(١١) من طريق شعبة، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، قال: سمعت أبي يقول:

بلغ علي بن أبي طالب أن طلحة يقول: إنما بايعت واللعج على قفاي. فأرسل ابن عباس فسأله. قال: فقال أسامة^(١٢): أما اللج على قفاه فلا، ولكن قد بايع وهو كاره، قال: فوثب

(١) المصنف ١١/٤٤٨.

(٢) أخبار المدينة ٤/١٢٥٥.

(٣) الإبانة جزء فضائل الصحابة ١/٣٠٧-٣٠٨.

(٤) أخبار المدينة ٤/١٢٥٥.

(٥) الطبقات ٦/٣٣٧.

(٦) أخبار المدينة ٤/١٢٦٩.

(٧) أنساب الأشراف ٥/٥٨٨.

(٨) تاريخ دمشق ٤٢/٤٣٨.

(٩) الفتن برقم ٤٠٨.

(١٠) المصنف برقمي ٣١٢٤١، ٣٨٩٢٨.

(١١) غريب الحديث ١/١٣١.

(١٢) هو أسامة بن زيد. وانظر الخبر الآتي. وقد يفسر شيئاً من هذا الخبر الملغز ما جاء في رواية سيف عن محمد وطلحة: «.. فخرج كعب [بن سور] حتى يقدم المدينة، فاجتمع الناس لقدمه وكان قدومه يوم الجمعة، فقام كعب فقال: يا أهل المدينة، إني رسول أهل البصرة إليكم، أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين - يعني طلحة والزبير - على =

الناس إليه حتى كادوا أن يقتلوه، قال: فخرج صهيب وأنا إلى جنبه، فالتفت إليّ فقال: قد علمت أن أم عوف حائنة.

وقد أخرج الطبري^(١) نحوه من طريق ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن سعد قال:

قال طلحة: بايعت والسيف فوق رأسي. فقال سعد: لا أدري والسيف على رأسه أم لا، إلا أني أعلم أنه بايع كارها. قال: وبايع الناس عليا بالمدينة وتربص سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبي وقاص، ومنهم: ابن عمر، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن وقش، وأسامة بن زيد. ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم.

٢١٩. أخرج ابن أبي شيبة^(٢)، وأحمد^(٣)، والدارقطني^(٤)، وابن عساكر^(٥) من طريق سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن حسين، قال: حدثني ابن عباس، قال:

أرسلني علي إلى طلحة والزبير يوم الجمل، قال: فقلت لهما: إن أحاكما يقرئكما السلام ويقول لكما: هل وجدتما علي في حيف في حكم، أو في استئثار في فيء، أو في كذا، أو في كذا؟ قال: فقال الزبير: لا ولا في واحدة منهما، ولكن مع الخوف شدة المطامع^(٦).

٢٢٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٧) عن أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا زائدة، عن عمر بن قيس، عن زيد بن وهب، قال:

.. قال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان، فقال علي: ليس عندي دم عثمان.

٢٢١. أخرج البلاذري^(٨) عن محمد بن سعد، حدثنا الحميدي حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد، قال: سمعت قيساً يقول: سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول:

لو أن علياً لم يصنع الذي صنع، ثم كان في غار باليمن لأتاه الناس حتى يستخرجوه منه.

=بيعة علي أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد، فإنه قام فقال: اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان. فأمر به تمام فوائبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد في عدة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة فقال: اللهم نعم، فانفرجوا عن الرجل. فانفرجوا عنه، وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله، وقال: قد علمت أن أم عامر حامقة، أما وسعك ما وسعنا من السكوت! قال: لا والله، ما كنت أرى أن الأمر يترامى إلى ما رأيت وقد أبلغنا لعظيم. انظر تاريخ الطبري ٤/٤٦٧. وقوله: «أم عوف حائنة» إنما هو مَثَلٌ، فسره محقق مصنف ابن أبي شيبة بقوله: «أم عوف: الجرادة. وحائنة: هالكة».

(١) تاريخه ٤/٤٣١.

(٢) المصنف برقم ٣١٢٣٦، ٣٨٩٤٧.

(٣) فضائل الصحابة برقم ١٠١٥.

(٤) راجع العلل للدارقطني ٣/٧٧، ٧٨.

(٥) تاريخ دمشق ١٨/٤١٠.

(٦) ووقع في متن الدارقطني: «ولكنه الخوف والطمع».

(٧) المصنف برقم ٣٨٩٨٨.

(٨) أنساب الأشراف ٢/٣٨٣.

٢٢٢. أخرج ابن سعد^(١)، والبلاذري^(٢)، والخطيب^(٣)، وابن عساكر^(٤) من طريق سفيان عن موسى الجهني عن ابنة عبد الله بن عكيم قالت:

كان أبي يحب عثمان وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يحب علياً، وكانا متآخيين، فما سمعت أبي يقول لعبد الرحمن شيئاً قط في عليّ إلا إني سمعته يوماً يقول: لو أن صاحبك صبر لأتاه الناس.

٢٢٣. أخرج عمر بن شبة^(٥) من طريق سوادة بن أبي الاسود قال، حدثني أبي، عن طلق بن خشاف قال:

انطلقنا إلى المدينة ومعنا قرط بن خيشمة، فلقينا الحسن بن علي عليه السلام فقال له قرط: فيم قتل أمير المؤمنين عثمان عليه السلام؟ قال: قتل مظلوماً. فقال قرط: فو الله لا نجتمع على قتله. فقال الحسن: إن تجتمعوا خير من أن تفرقوا. قال: فأتينا علياً عليه السلام فدخلنا عليه فقال: أبايعتم؟ قلنا: لا. قال: فبايعوا. فقال قرط: نبايعك على سنة محمد ما استقمت. قال: فبايعناه.

٢٢٤. أخرج البلاذري^(٦)، وعبد الله بن أحمد^(٧) من طريق أبي عوانة، عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة:

أنا علياً أتاهم عائداً فقال: ما لقي أحد من هذه الأمة ما لقيت، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحق^(٨) الناس بهذا الأمر فبايع الناس أبا بكر، فاستخلف عمر، فبايعت ورضيت وسلمت. ثم بايع الناس عثمان فبايعت وسلمت ورضيت، وهم الآن يميلون بيني وبين معاوية. رجاله ثقات، وقد اتهم به كثير بن يحيى بن كثير عند الأزدي رغم صدقه^(٩)، وأراد الذهبي أن يدفع التهمة عن كثير فقال: «هذا موضوع على أبي عوانة، ولم أعرف من حدث به عن كثير»^(١٠). قلت: فكأنه ذهب يبحث عن علته عند من دون كثير يتهمه به، وقد مر في التخريج أن كثيرا لم يتفرد به عن أبي عوانة، فقد أخرجه عن أبي عوانة ثلاثة غير كثير، مما يعني أن الآفة - لمن أراد أن يعمل الخبر - عند أبي عوانة أو عند من فوقه، ولم أجد في واحد منهم مطعن.

(١) الطبقات ٨ / ٢٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ٦ / ٢٢٦.

(٣) تاريخ مدينة السلام ١١ / ١٧٠.

(٤) تاريخ دمشق ٣٦ / ٩٥.

(٥) أخبار المدينة ٤ / ١٢٤٥.

(٦) أنساب الأشراف ٢ / ٤٠٢. من طريق روح بن عبد المؤمن.

(٧) السنة برقم ١٣١٥، ١٣١٦. من طريق إبراهيم بن الحجاج الناجي، ويحيى بن حماد أبو بكر، كلاهما قال: أخبرنا أبو عوانة به.

(٨) كذا في مطبوعة أنساب الأشراف - وهو المصدر الوحيد الذي ذكر المتن كاملاً بهذه الصيغة، وبقية المصادر روته مختصراً - وظني أن هنا سقطاً أو وهماً من ناسخ أو ناشر أو راو. وأن صوابه: ((وأنا أرى أي أحق)). يدل على ذلك الرواية الآتية. وانظر أيضاً تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٨.

(٩) فقيل: عنده مناكير. انظر: تعجيل المنفعة ٢ / ١٤٨. وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٧ / ١٥٨.

(١٠) ميزان الاعتدال ٥ / ٤٩٦.

وقد تابع عبدُ الملك بن عمير خالدا الحذاء فيما أخرجه البخاري في تاريخه^(١)، وعبد الله بن أحمد^(٢) من طريق شريك عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكر.

قلت: وفي الباب ما أخرجه أبو نعيم^(٣)، وابن عساكر^(٤) من طريق إبراهيم بن يوسف الصيرفي نا أبي عن أميِّ الصيرفي عن يحيى بن عروة المرادي قال:

سمعت علي بن أبي طالب قال: قبض رسول الله ﷺ وأنا أرى أي أحق الناس بهذا الأمر، فاجتمع الناس على أبي بكر، فسمعت وأطعت، ثم إن أبا بكر حضر، فكنت أرى أن لا يعدلها عني، فولي عمر فسمعت وأطعت، ثم إن عمر أصيب، فظننت أنه لا يعدلها عني، فجعلها في ستة أنا احدهم، فولاهما عثمان، فسمعت وأطعت، ثم إن عثمان قتل فجاءوني فبايعوني طائعين غير مكرهين فوالله ما وجدت إلا السيف أو الكفر بما أنزل على محمد ﷺ.

ولا يصح هذا اللفظ، إسناده منقطع، يحيى هو ابن هانئ بن عروة المرادي، لم يدرك علياً^(٥)، ولا ريب أن لفظ السماع هنا خطأ وقع من بعض الرواة، ولعله إبراهيم بن يوسف الصيرفي، فقد قال فيه النسائي: ليس بالقوي^(٦).

قلت: ولا يضير ذلك علياً أن ظن باجتهاد منه أنه أحق بالخلافة من غيره، كما ظنت الأنصار ذلك بنفسها. وهذا مزيد تأكيد - إن تأكد صحة الخبر - أن لا نص في ذلك. ولكن في قوله: «فبايعت ورضيت»، تأكيد ما ورد في الصحيح أنه لم ينفس هذا الخير على أبي بكر، وكذلك عمر يوم بويعة. وإلا لَمَا بايع، أن يعلم أن غيره ليس بأهل ثم يقر ببيعته، بل بطاعته. وقد استهوى الشيعة هذا الخبر فنسجوا في معناه أخباراً عدة موضوعة.

ثانياً: وقعة الجمل

٢٢٥. أخرج ابن أبي شيبة^(٧) عن أبي أسامة، قال: حدثني العلاء بن المنهال، قال: حدثنا عاصم بن كليب الجرهمي، قال:

.. رأى أبي رؤيا وهم محاصرو توج في خلافة عثمان، وكان أبي إذا رأى رؤيا كأنها ينظر إليها نهراً، وكان أبي قد أدرك النبي ﷺ، قال: فرأى كأن رجلاً مريضاً وكان قوماً يتنازعون عنده، قد اختلفت أيديهم وارتفعت أصواتهم وكانت امرأة عليها ثياب خضر جالسة كأنها لو تشاء أصلحت بينهم، إذ قام رجل منهم فقلب بطانة جبة عليه، ثم قال: أي معاشر المسلمين،

(١) التاريخ الكبير ١/ ١٩٥.

(٢) السنة برقم ١٣١٤ مختصراً.

(٣) الإمامة ص ٣٦٩.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٣٩.

(٥) تاريخ دمشق ٦٥/ ٥١.

(٦) تهذيب الكمال ٢/ ٢٥٥.

(٧) المصنف برقم ٣٨٩١٢ (فقرة ٣-٦).

أَيَخْلَقُ الإسلام فيكم ، وهذا سر بال نبي الله فيكم لم يخلق، إذ قام آخر من القوم فأخذ بأحد لוחي المصحف فنفضه حتى اضطرب ورقه. قال: فأصبح أبي يعرضها ولا يجد من يعبرها، قال: كأنهم هابوا تعبيرها قال: قال أبي: فلما أن قدمت البصرة فإذا الناس قد عسكروا، قال: قلت: ما شأنهم، قال: فقالوا: بلغهم أن قوما ساروا إلى عثمان فعسكروا ليدركوه فينصروه، فقام ابن عامر، فقال: إن أمير المؤمنين صالح، وقد انصرف عنه القوم، فرجعوا إلى منازلهم فلم ينجأهم إلا قتله، قال: فقال أبي: فما رأيت يوما قط كان أكثر شيئا باكيا تخلل الدموع لحيته من ذلك اليوم. فما لبثت إلا قليلا حتى إذا الزبير وطلحة قد قدما البصرة، قال: فما لبثت بعد ذلك إلا يسيرا، حتى إذا علي أيضا قد قدم، فنزل بذي قار، قال: فقال لي شيخان من الحلي: اذهب بنا إلى هذا الرجل، فلننظر إلى ما يدعو، وأي شيء الذي جاء به، فخرجنا حتى إذا دنونا من القوم وتبيننا فساطيطهم إذا شاب جلد غليظ خارج من العسكر، قال العلاء: رأيت أنه قال: على بغل، فلما أن نظرت إليه شبهته المرأة التي رأيتها عند رأس المريض في النوم، فقلت لصاحبي: لئن كان للمرأة التي رأيت في المنام عند رأس المريض أخ إن ذا لأخوها قال: فقال لي أحد الشيخين اللذين معي: ما تريد إلى هذا، قال: وغمزني بمرفقه، فقال الشاب: أي شيء قلت؟ قال: فقال أحد الشيخين: لم يقل شيئا، فانصرف. قال: لتخبرني ما قلت. قال: فقصصت عليه الرؤيا. قال: لقد رأيت. قال: وارتاع، ثم لم يزل يقول: لقد رأيت.. لقد رأيت.. حتى انقطع عنا صوته، قال: فقلت لبعض من لقيت: من الرجل الذين رأينا أنفا؟ قال: محمد بن أبي بكر. قال: فعرفنا أن المرأة عائشة. قال: فلما أن قدمت العسكر قدمت على أدهى العرب، يعني عليا، قال: والله لدخل علي في نسب قومي حتى جعلت أقول: والله هو أعلم بهم مني، حتى قال: أما إن بني راسب بالبصرة أكثر من بني قدامة، قال: قلت أجل، قال: فقال: أسيد قومك أنت؟ قلت: لا، وإني فيهم لمطاع، ولغيري أسود، وأطوع فيهم مني، قال: فقال: من سيد بني راسب؟ قلت: فلان، قال: فسيد بني قدامة؟ قال: قلت: فلان لآخر، قال: هل أنت مبلغها كتابين مني قلت: نعم. قال: ألا تبايعون؟ قال: فبايع الشيخان اللذان معي. قال: وأضرب قوم كانوا عنده، قال: وقال أبي بيده: فقبضها وحركها كأن فيها خفة، قال: فجعلوا يقولون: بايع بايع، قال: وقد أكل السجود وجوههم، قال: فقال علي للقوم: دعوا الرجل، فقال أبي: إنما بعثني قومي رائدا وسأني إليهم ما رأيت، فإن بايعوك بايعتك، وإن اعتزلوك اعتزلتك، قال: فقال علي: رأيت لو أن قومك بعثوك رائدا فرأيت روضة وغديرا، فقلت: يا قوم، النجعة النجعة، فأبوا، ما أنت منتجع بنفسك، قال: فأخذت بإصبع من أصابعه، ثم قلت: نبايعك على أن نطيعك ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا، فقال: نعم، وطول بها صوته، قال: فضربت على يده. قال: ثم التفت إلى محمد بن حاطب وكان في ناحية القوم، قال: فقال: إما انطلقت إلى قومك بالبصرة فأبلغهم كتبي وقولي، قال: فتحول إليه محمد، فقال: إن قومي إذا أتيتهم يقولون: ما قول صاحبك في عثمان، قال: فسبه الذين حوله، قال: فرأيت جبين علي يرشح كراهية لما يجيئون به، قال: فقال محمد: أيها الناس، كفوا فوالله ما إياكم أسأل، ولا عنكم أسأل، قال: فقال علي: أخبرهم، أن قولي في عثمان أحسن القول، إن عثمان كان مع {الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين} . قال: قال أبي: فلم أبرح حتى قدم علي الكوفة، جعلوا يلقوني فيقولون: أترى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا، قال: ويضحكون ويعجبون، ثم قالوا: والله لو قد التقينا تعاطينا الحق، قال: فكأنهم يرون أنهم لا يقتتلون، قال: وخرجت بكتاب علي، فأما أحد الرجلين اللذين كتب إليهما فقبل الكتاب وأجابه، ودلت على الآخر فتوارى، فلو أنهم قالوا: كليب ما أذن لي، فدفعت إليه الكتاب، فقلت: هذا كتاب علي، وأخبرته أنني أخبرته أنك سيد

قومك، قال: فأبى أن يقبل الكتاب، وقال: لا حاجة لي إلى السؤدد اليوم، إنما ساداتكم اليوم شبيهة بالأوساخ، أو السفلة، أو الأذعياء، وقال: كلمه، لا حاجة لي اليوم في ذلك، وأبى أن يجيبه. قال فوالله ما رجعت إلى علي حتى إذا العسكران قد تدانيا فاستبتت عبدانهم، فركب القراء الذين مع علي حين أطعن القوم، وما وصلت إلى علي حتى فرغ القوم من قتالهم، دخلت على الأشر فإذا به جراح، قال عاصم: وكان بيننا وبينه قرابة من قبل النساء، فلما أن نظر إلى أبي، قال والبيت مملوء من أصحابه، قال: يا كليب، إنك أعلم بالبصرة منا، فاذهب فاشتر لي أفره جمل تجده فيها، قال: فاشترت من عريف لمهرة جملة بخمس مئة، قال: اذهب به إلى عائشة وقل: يقرئك ابنك مالك السلام، ويقول: خذي هذا الجمل فتبليغي عليه مكان جملك، فقالت: لا سلم الله عليه، إنه ليس بابني، قال: وأبت أن تقبله. قال: فرجعت إليه فأخبرته بقولها، قال: فاستوى جالسا ثم حسر عن ساعده، قال: ثم قال: إن عائشة لتلومني على الموت المميت، إني أقبلت في رجرجة من مذحج، فإذا ابن عتاب قد نزل فعانقني، قال، فقال: اقتلوني ومالك، قال: فضربته فسقط سقوطا أمردا، قال، ثم وثب إلي ابن الزبير، فقال: اقتلوني ومالك، وما أحب، أنه قال: اقتلوني والأشتر، ولا أن كل مذحجية ولدت غلاما، فقال أبي: إني اعتمرتها في غفلة، قلت: ما ينفعك أنت إذا قلت أن تلد كل مذحجية غلاما، فقال أبي: إني اعتمرتها في غفلة، قلت: ما ينفعك أنت إذا قلت: أن تلد كل مذحجية غلاما. قال: ثم دنا منه أبي، فقال: أوص بي صاحب البصرة فإن لي مقاما بعدكم، قال: فقال: لو قد رأيك صاحب البصرة لقد أكرمك، قال: كأنه يرى، أنه الأمير، قال: فخرج أبي من عنده فلقية رجل، قال: فقال: قد قام أمير المؤمنين قبل خطيبا، فاستعمل ابن عباس على أهل البصرة، وزعم أنه سائر إلى الشام يوم كذا وكذا، قال: فرجع أبي فأخبر الأشتر، قال: فقال لأبي: أنت سمعته، قال: فقال أبي: لا قال: فنهروه وقال: اجلس، إن هذا هو الباطل، قال: فلم أبرح أن جاء رجل فأخبره مثل خبري، قال: فقال: أنت سمعت ذلك، قال: فقال: لا، فنهروه نهرة دون التي نهري، قال: ولحظ إلي وأنا في جانب القوم، أي إن هذا قد جاء بمثل خبرك. قال: فلم ألبث أن جاء عتاب التغلبي والسيف يخطر، أو يضطرب في عنقه، فقال: هذا أمير مؤمنكم قد استعمل ابن عمه على البصرة، وزعم أنه سائر إلى الشام يوم كذا وكذا، قال: قال له الأشتر: أنت سمعته يا أعور، قال: إي والله يا أشتر، لأننا سمعته بأذني هاتين، قال: فتبسسم تبسما فيه كشور، قال: فقال: فلا ندري إذا علم قتلنا الشيخ بالمدينة^(١). قال: ثم قال: لمذحجيته قوموا فاركبوا، فركب، قال: وما أراه يريد يومئذ إلا معاوية، قال: فهم علي أن يبعث خيلا تقاتله، قال: ثم كتب إليه، أنه لم يمنعي من تأميرك أن لا تكون لذلك أهلا، ولكني أردت لقاء أهل الشام وهم قومك، فأردت أن أستظهر بك عليهم، قال: ونادى في الناس بالرحيل، قال: فأقام الأشتر حتى أدركه أوائل الناس، قال: وكان قد وقت لهم يوم الاثنين، فيما رأيت، فلما صنع الأشتر ما صنع نادى في الناس قبل ذلك بالرحيل.

قلت: وروى الطبري^(٢) نحو هذه الرواية من وجه آخر باختلاف باللفظ قال: أخرج إلي زياد بن أيوب كتابا فيه أحاديث عن شيوخ ذكر أنه سمعها منهم قرأ علي بعضها ولم يقرأ علي بعضها فمما لم يقرأ علي من ذلك فكتبته منه قال حدثنا مصعب بن سلام التميمي قال حدثنا محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه قال:

(١) يشير الأشتر هنا إلى أبرز ما أتهم به عثمان من تعيينه أقاربه، وكأنه ضاق أن يصنع علي مثل الذي صنع عثمان فيكون هذا مقدمة يُحشى منها فيما بعد أن يتسلط بنو هاشم على رقاب الناس.

(٢) تاريخه ٤ / ٤٩٠.

رأيت فيها يرى النائم في زمان عثمان بن عفان أن رجلا يلي أمور الناس مريضا على فراشه وعند رأسه امرأة والناس يريدونه ويبهشون إليه فلو نهتهم المرأة لانتهاوا ولكنها لم تفعل فأخذوه فقتلوه فكانت أقصر رؤياي على الناس في الحضر والسفر فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها فلما قتل عثمان رضي الله عنه أتانا الخبر ونحن راجعون من غزاتنا فقال أصحابنا رؤياك يا كليب فانتبهينا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين فراغ ذلك الناس وتعجبوا فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضبا لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه وإن أم المؤمنين تقول غضبنا لكم على عثمان في ثلاث إمارة الفتى وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتوها إليه حرمة الشهر والبلد والدم فقال الناس أفلم تبايعوا عليا وتدخلوا في أمره فقالوا دخلنا واللعج على أعناقنا وقيل هذا علي قد أظلمكم فقال قومنا لي ولرجلين معي انطلقوا حتى تأتوا عليا وأصحابه فسألوه عن هذا الأمر الذي قد اختلط علينا فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة فقلت لصاحبي أرايتم المرأة التي كنت أحدثكم عنها أنها كانت عند رأس الوالي فإنها أشبه الناس بهذا ففطن أنا نخوض فيه فلما انتهى إلينا قال قفوا ما لذي قلم حين رأيتموني فأبيناه عليه فصاح بنا وقال والله لا تبرحون حتى تخبروني فدخلتنا منه هيبه فأخبرناه فجاوزنا وهو يقول والله لقد رأيت عجبا فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا من هذا فقال محمد بن أبي بكر فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضي الله عنها فازدنا لأمرها كراهية وانتبهينا إلى علي فسلمنا عليه ثم سأله عن هذا الأمر فقال عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه ثم ولوني وأنا كاره ولولا خشية على الدين لم أجبهم ثم طفق هذان في النكث وأخذت عليهما وأخذت عهدهما عند ذلك وأذنت لهما في العمرة فقدمتا على أمهما حليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيا لها ما رغبا لنسائهما عنه وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقا ولا يخرقوا جماعة. ثم قال أصحابه والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا إلا لإصلاح فصاح بنا أصحاب علي بايعوا بايعوا فبايع صاحبي وأما أنا فأمسكت وقلت بعثني قومي لأمر فلا أحدث شيئا حتى أرجع إليهم فقال علي فإن لم يفعلوا فقلت لم أفعل فقال أرايت لو أنهم بعثوك رائدا فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء والماء فحالوا إلى المعاطش والجدوبة ما كنت صانعا قال قلت كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلاء والماء قال فمد يدك فوالله ما استطعت أن أمتنع فبسطت يدي فبايعته وكان يقول علي من أدهى العرب وقال ما سمعت من طلحة والزبير فقلت أما الزبير فإنه يقول بايعنا كرها وأما طلحة فمقبل على أن يتمثل الأشعار ويقول:

ألا أبلغ بنبي بكر رسولا فليس إلى بنبي كعب سبيل
سيرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول
فقال: ليس كذلك ولكن:

ألم تعلم أباسمعان أنا نصم الشيخ مثلك ذا الصداق
ويذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب لغير داع

ثم سار حتى نزل إلى جانب البصرة وقد خندق طلحة والزبير فقال لنا أصحابنا من أهل البصرة ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون فقلنا يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا فيينا هم على ذلك لا يحدثون أنفسهم بغيره إذ خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا ثم تتابع عبيد العسكرين ثم ثلث السفهاء ونشبت الحرب وألجأتهم إلى

الخدق فاقتلوا عليه حتى أجلوا إلى موضع القتال فدخل منه أصحاب علي وخرج الآخرون ونادى علي ألا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور ونهى الناس ثم بعث إليهم أن اخرجوا للبيعة فبايعهم على الرايات وقال من عرف شيئا فليأخذه حتى ما بقي في العسكرين شيء إلا قبض فانتهى إليه قوم من قيس شباب فخطب خطيبهم فقال أين أمراؤكم فقال الخطيب أصيبوا تحت نظار الجمل ثم أخذ في خطبته فقال علي أما إن هذا هو الخطيب السحسح وفرغ من البيعة واستعمل عبدالله بن عباس وهو يريد أن يقيم حتى يحكم أمرها فأمرني الأشر أن أشتري له أنمن بعير بالبصرة ففعلت فقال ائت به عائشة وأقرئها مني السلام ففعلت فدعت عليه وقالت اردده عليه فأبلغته فقال تلومني عائشة أن أفلت ابن أختها. وأتاه الخبر باستعمال علي ابن عباس فغضب وقال علام قتلنا الشيخ إذ اليمن لعبيد الله واحجاز لقثم والبصرة لعبد الله والكوفة لعلي ثم دعا بدابته فركب راجعا وبلغ ذلك عليا فنادى الرحيل ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه قد بلغه عنه وقال ما هذا السير سبقتنا وخشي إن ترك والخروج أن يوقع في أنفس الناس شرا.

٢٢٦. أخرج ابن أبي شيبة^(١) من طريق سليمان التيمي، عن حريث بن محشي:

أن راية علي كانت يوم الجمل سوداء، وكانت راية الزبير وطلحة الجمل.

٢٢٧. أخرج البخاري^(٢) من طريق شعبة أخبرني عمرو وسمعت أبا وائل يقول:

دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيث بعثه على أهل الكوفة يستنفرهم فقالا ما رأيناك أتيت أمرا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر. وكساهما حلة حلة، ثم راحوا إلى المسجد.

٢٢٨. أخرج خليفة بن خياط^(٣)، وأبو زرعة الدمشقي^(٤)، والبلاذري^(٥)، والطبري^(٦) من طريق ابن عون عن أبي رجاء قال:

لقد رأيت الجمل يومئذ كأنه قنفذ من النبل ورجل أخذ بالخطام وهو يقول:

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل ننعي ابن عفان بأطراف الأسل

قال فأقسم بالله ما برح حتى برى قوائم البعير فسقط فقالوا: أمنا أمنا فقال رجل لأبي رجاء: ما صنعت يومئذ؟ قال: رميت بأسهم فما أدري ما فعلن

(١) المصنف برقم ٣٤٢٩١، ٣٤٢٩٢، ٣٨٩١٥.

(٢) صحيحه برقم ٧١٠٢.

(٣) تاريخه ص ١٤٢.

(٤) تاريخه ١/٦٥٨.

(٥) أنساب الأشراف ٣/٣٨.

(٦) تاريخه ٤/٥٣٠.

٢٢٩. أخرج نعيم بن حماد^(١)، وخليفة بن خياط^(٢) من طريق حصين قال: حدثني أبو جميلة البكائي^(٣) قال:

إني لفي الصف مع علي إذ عقرب بأمر المؤمنين جملها، فرأيت محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشتركان بين الصفين أيهما يسبق إليها، فقطعا عرضة الرحل فاحتملاها في هودجها.

٢٣٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، والطحاوي^(٥)، من طريق عمر بن قيس الماصر، عن زيد بن وهب، قال:

أقبل طلحة والزبير حتى نزلا البصرة وطرحوا سهل بن حنيف، فبلغ ذلك عليا، وعلي كان بعثه عليها، فأقبل حتى نزل بذي قار، فأرسل عبد الله بن عباس إلى الكوفة فأبطؤوا عليه، ثم أتاهم عمار فخرجوا، قال زيد: فكنت فيمن خرج معه، قال: فكف عن طلحة والزبير وأصحابها، ودعاهم حتى بدؤوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف ممن كان يذب عنه، فقال علي: لا تتموا جريحا ولا تقتلوا مدبرا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن فلم يكن قتالهم إلا تلك العشية وحدها. فجاءوا بالغد يكلمون عليا في الغنيمة فقرأ علي هذه الآية، فقال: أما إن الله يقول: {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول} أيكم لعائشة فقالوا: سبحان الله، أمنا، فقال: أحرام هي، قالوا: نعم، قال علي: فإنه يجرم من بناتها ما يجرم منها قال: أفليس عليهن أن يعتدن من القتلى أربعة أشهر وعشرا، قالوا: بلى، قال: أفليس لهن الربع والثمن من أزواجهن، قالوا: بلى، قال: ثم قال: ما بال اليتامى لا يأخذون أموالهم، ثم قال: يا قنبر، من عرف شيئا فليأخذه، قال زيد: فرد ما كان في العسكر وغيره. قال: وقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان، فقال علي: ليس عندي دم عثمان، قال: قال عمر بن قيس: فحدثنا رجل من حضرموت يقال له أبو قيس، قال: لما نادى قنبر من عرف شيئا فليأخذه، مر رجل على قدر لنا ونحن نطبخ فيها فأخذها فقلنا: دعها حتى ينضج ما فيها. قال: فصرها برجله ثم أخذها.

٢٣١. أخرج ابن أبي شيبة^(٦)، وخليفة بن خياط^(٧) من طريق شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت

عبد الله بن سلمة والحارث بن سويد تذاكرا يوم الجمل فقال الحارث:

لا والله ما رأيت مثل يوم الجمل، لقد أشرعوا الرماح في صدورنا، وأشرعناها في صدورهم حتى لو شاءت الرجال أن تمر عليها لمرت، فوالله لوددت أني لم أشهد ذلك اليوم، وأن علي كذا. فقال عبد الله بن سلمة: والله ما يسرني أني غبت عن ذلك اليوم ولا أني غبت عن مشهد شهده علي وإن لي كذا.

(١) الفتن برقم ١٨١.

(٢) تاريخه ص ١٤٣.

(٣) لعله الطهوي. انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٢٩ / ١٩٤.

(٤) المصنف برقم ٣٨٩٨٨.

(٥) شرح معاني الآثار ٣ / ٢١٢. واقتصر على أوله بلفظ: "أقبل علي حتى نزل بذي قار، فأرسل عبد الله بن عباس إلى

أهل الكوفة فأبطؤوا عليه ثم دعاهم عمار، فخرجوا. قال زيد: فكنت فيمن خرج معه. قال: فكف عن طلحة والزبير وأصحابهم، ودعاهم حتى بدأوا فقاتلهم."

(٦) المصنف برقم ٣٨٩٢٤.

(٧) تاريخه ص ١٤٣.

وأخرج ابن أبي شيبة^(١)، وخليفة بن خياط^(٢) نحوه من طريق مسعر عن عمرو بن مرة عن الحارث ابن جهمان الجعفي.

٢٣٢. أخرج ابن أبي شيبة^(٣) عن يحيى بن آدم، حدثنا أبو الأحوص، عن خالد بن علقمة، عن عبد خير، قال:

ضرب فسطاط بين العسكرين يوم الجمل ثلاثة أيام، فكان علي والزبير وطلحة يأتونه، فيذكرون فيه ما شاء الله، حتى إذا كان يوم الثالث عند زوال الشمس رفع علي جانب الفسطاط، ثم أمر بالقتال، فمشى بعضنا إلى بعض، وشجرنا بالرماح حتى لو شاء الرجل أن يمشي عليها لمشي، ثم أخذتنا السيوف فما شبهتها إلا دار الوليد.

٢٣٣. أخرج البخاري^(٤)، من طريق أبي حصين حدثنا أبو مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال:

لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي، فقدا ما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه فسمعت عمارا يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون أم هي.

وأخرج نحوه نعيم بن حماد^(٥)، وخليفة بن خياط^(٦)، وأحمد^(٧)، وابن أبي شيبة^(٨)، والبيهقي^(٩) من طريق شعبة، عن الحكم، قال: سمعت أبا وائل..

وأخرج نحوه أيضا ابن أبي شيبة^(١٠) عن عبدة بن سليمان، عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن عبد الله بن زياد، قال: قال عمار بن ياسر:

٢٣٤. أخرج ابن سعد^(١١)، وابن أبي شيبة^(١٢) من طريق فطر بن خليفة، عن منذر الثوري قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول، وذكر يوم الجمل قال:

(١) المصنف برقمي ٣٨٩٤٣.

(٢) تاريخه ص ١٤٣.

(٣) المصنف برقم ٣٨٩٣٢.

(٤) صحيحه برقم ٧١٠٠.

(٥) الفتن برقم ١٩٨.

(٦) تاريخه ص ١٣٧.

(٧) المسند ٤/ ٢٦٥.

(٨) المصنف برقم ٣٢٩٤٩.

(٩) السنن الكبرى ٨/ ١٧٤، ودلائل النبوة ٦/ ٤١٢.

(١٠) المصنف برقم ٣٨٩٣٨.

(١١) الطبقات ٧/ ٩٤.

(١٢) المصنف برقم ٣٨٩٤٦.

لما تصاففنا أعطاني علي الراية فرأى مني نكوصا لما دنا الناس بعضهم إلى بعض ، فأخذها مني ، فقاتل بها . قال : فحملت يومئذ على رجل من أهل البصرة ، فلما غشيتته قال : أنا علي دين [ابن] ^(١) أبي طالب ، فلما عرفت الذي أراد كفت عنه ، فلما هزموا قال علي : لا تجهزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبرا ، وقسم فيؤهم بينهم ما قوتل به من سلاح أو كراع ، وأخذنا منهم ما أجلبوا به علينا من كراع ، أو سلاح .

٢٣٥ . أخرج ابن أبي شيبة ^(٢) عن عبد الله بن إدريس ، عن هارون بن أبي إبراهيم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير :

أن الأشتر وابن الزبير التقيا ، فقال ابن الزبير : ما ضربته إلا ضربة حتى ضربني خمسا أو ستا ، ثم قال : فألقاني برجلي ، ثم قال : أما والله لولا قرابتك من رسول الله ﷺ ما تركت منك عضوا مع صاحبه ، قال : وقالت عائشة : وائل أساء ، قال : فلما كان بعد أعطت الذي بشرها ، أنه حي عشرة آلاف .

٢٣٦ . أخرج ابن سعد ^(٣) عن يحيى بن عباد ، والحسن بن موسى ، قالوا : حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن :

عبد الله بن الزبير ارتث يوم الجمل ، فلما كان عند غروب الشمس قيل له : الصلاة فقال : أما الصلاة فإني لا أستطيعها ولكن أكبر .

ما جاء في أبرز مواقف الصحابة من وقعة الجمل

٢٣٧ . أخرج أحمد ^(٤) ، ومسلم ^(٥) من طريق شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، عن أبي نضرة ، قال حجاج : سمعت أبا نضرة ، عن قيس بن عباد قال :

قلت لعمار : رأيت قتالكم رأيا رأيتموه . قال حجاج : رأيت هذا الأمر ، يعني قتالهم ، رأيا رأيتموه ؟ فإن الرأي يخطئ ويصيب ، أو عهدا عهدته إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال ما عهد إلينا رسول الله ﷺ ، شيئا لم يعهده إلى الناس كافة .

٢٣٨ . أخرج ابن أبي شيبة ^(٦) عن ابن علي ، عن سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، قال :

ذكروا عليا وعثمان وطلحة والزبير عند أبي سعيد ، فقال : أقوام سبقت لهم سوابق وأصابتهم فتنة ، فردوا أمرهم إلى الله .

(١) ساقط من المطبوع من الطبقات .

(٢) المصنف برقم ٣١٢٤٦ ، ٣٨٩٢١ .

(٣) الطبقات ٦ / ٤٧٦ .

(٤) المسند ٤ / ٣٢٠ .

(٥) صحيحه برقم ٢٧٧٩ .

(٦) المصنف برقم ٣٨٩٥٦ .

٢٣٩. أخرج ابن أبي شيبة^(١)، وخليفة بن خياط^(٢)، والبلاذري^(٣) من طريق منصور بن عبد الرحمن، عن الشعبي، قال:

لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار إلا علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب.

■ ما جاء في موقف علي بن أبي طالب:

٢٤٠. أخرج مسدد بن مسرهد^(٤)، والحارث بن أبي أسامة^(٥)، وابن أبي شيبة^(٦)، ونعيم بن حماد^(٧)، والبلاذري^(٨) من طريق شعبة، عن أبي عون، عن أبي الضحى، قال: قال سليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي:

أعذرني عند أمير المؤمنين، فإنما منعتني من يوم الجمل كذا وكذا، قال: فقال الحسن: لقد رأيتك حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول: يا حسن، لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة.

٢٤١. أخرج ابن أبي شيبة^(٩) عن إسحاق بن سليمان، قال: حدثنا أبو سنان، عن عمرو بن مرة، قال:

جاء سليمان بن صرد إلى علي بن أبي طالب بعد ما فرغ من قتال يوم الجمل، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، فقال له علي: خذلتنا وجلست منا، وفعلت.. على رؤوس الناس فلقني سليمان الحسن بن علي، فقال: ما لقيت من أمير المؤمنين، قال: قال لي كذا وكذا على رؤوس الناس، فقال: لا يهولنك هذا منه فإنه محارب، فلقد رأيتك يوم الجمل حين أخذت السيوف مأخذها يقول: لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

٢٤٢. أخرج الطبراني^(١٠)، وابن الأعرابي^(١١)، والخطابي^(١٢)، والحاكم^(١٣)، وابن عساكر^(١٤) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكرة قال:

(١) المصنف برقم ٣٨٩٣٧.

(٢) تاريخه ص ١٣٩.

(٣) أنساب الأشراف ٦١/٣.

(٤) انظر المطالب العالية برقم ٤٤٠٥.

(٥) بغية الباحث برقم ٧٥٧، والمطالب العالية برقم ٤٤٠٦.

(٦) المصنف برقم ٣٨٩٩٠.

(٧) الفتن برقم ١٧٧.

(٨) أنساب الأشراف ٩٩، ٦٣/٣.

(٩) المصنف برقم ٣٨٩٨٧، وانظر الفتن لنعيم برقمي ١٧٨، ١٨٠.

(١٠) المعجم الكبير برقم ٢٤٢.

(١١) معجمه برقم ٩٠٥.

(١٢) العزلة ص ٧٥-٧٦.

(١٣) المستدرک ٣/٣٧٣.

(١٤) تاريخ دمشق ٤٢/٤٥٨.

لما كان يوم الجمل رأى علي عليه السلام الرؤوس تندر فأخذ بيد الحسن عليه السلام فوضعها على بطنه ثم قال: أي بني أي خير يرجي بعد هذا؟

٢٤٣. أخرج ابن أبي شيبة^(١)، وعمر بن شبة^(٢)، والبلاذري^(٣)، وابن عساكر^(٤) من طريق أبي عاصم محمد بن أيوب، عن قيس بن مسلم، أنه سمع طارق بن شهاب يقول:

جاءنا قتل عثمان وأنا أوّس من نفسي شبابا وقوة، ولو قتلت القتال^(٥)، فخرجت أحضر الناس حتى إذا كنت بالربذة إذا علي بها، فصلى بهم العصر، فلما سلم أسند ظهره في مسجدها، واستقبل القوم، قال: فقام إليه الحسن بن علي يكلمه وهو يبكي، فقال له علي: تكلم ولا تخن خنين الجارية، قال: أمرتك حين حصر الناس هذا الرجل أن تأتي مكة فتقيم بها فعصيتني، ثم أمرتك حين قتل أن تلزم بيتك حتى ترجع إلى العرب غوارب أحلامها، فلو كنت في جحر ضب لضربوا إليك أباط الإبل حتى يستخرجوك من جحر ففعلتني، وأنا أشدك بالله أن تأتي العراق فتقتل بحال مضيعة، قال: فقال: علي: أما قولك: آتي مكة، فلم أكن بالرجل الذي تستحل لي مكة، وأما قولك: قتل الناس عثمان، فما ذنبي إن كان الناس قتلوه، وأما قولك: آتي العراق، فأكون كالضبع تستمع للدم.

٢٤٤. أخرج من طريق سفيان الثوري بإسناده إلى علي عليه السلام أنه قال يوم الجمل:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به في إمارة، ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا، ثم استخلف أبو بكر رحمة الله، على أبي بكر، فأقام واستقام، ثم استخلف عمر رحمة الله، على عمر، فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه^(٦).

٢٤٥. أخرج نعيم بن حماد^(٧)، والدارقطني^(٨) من طريق محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبي عن عمه عن سليمان بن صرد عن حسن بن علي قال:

أراد أمير المؤمنين علي أمرا، فتنايعت^(٩) الأمور فلم يجد منزعا.

(١) المصنف برقم ٣٨٥٢٦.

(٢) أخبار المدينة ٤/١٢٥٦.

(٣) أنساب الأشراف ٢/١٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/٤٥٦.

(٥) كذا في المطبوع.

(٦) وراجع الحاكم ٣/١٠٤.

(٧) الفتن برقمي ١٧٩، ٢٠٦. وأخرج الحربي طرفا بنحو لفظ الموضوع الثاني. غريب الحديث ١/٢٥١.

(٨) المؤتلف والمختلف ص ١٤٧٠.

(٩) في المطبوع: "فتنايعت"، والتصويب من لسان العرب، مادة "تبع" ص ٤٦١. يقول أبو منصور الأزهري: "التنايع: التهافت في الشيء والتنايعة عليه، يقال: قد تنايعوا في الشر. إذا تهافتوا فيه وسارعوا إليه.. قال أبو عبيد: ويقال في التنايع: إنه اللجاجة، وهو يرجع إلى هذا المعنى. قال: ولم نسمع التنايع في الخير، إنها سمعناها في الشر. وقال الليث: الرجل يتنايع، أي يرمى بنفسه في الأمر سريعا". انظر: تهذيب اللغة ٣/١٥٤.

٢٤٦. أخرج أحمد^(١) من طريق الأشعث عن محمد بن سيرين عن أبي صالح عن علي قال:

إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله عز وجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْبٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وأخرجه ابن سعد^(٢) عن قبيصة بن عقبة، قال: أخبرنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي:

إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْبٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].^(٣)

٢٤٧. أخرج ابن سعد^(٤)، وابن أبي شيبة^(٥)، والبيهقي^(٦)، والبلاذري^(٧) من طريق أبان بن عبد الله

الجبلي، عن نعيم بن أبي هند عن ربعي بن حراش، قال: قال علي:

إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن، قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَيْبٍ﴾.

٢٤٨. أخرج ابن سعد^(٨)، الحاكم^(٩)، والبيهقي^(١٠)، والبلاذري^(١١) من طريق أبي مالك الأشجعي، عن

أبي حبيبة مولى لطلحة قال:

دخل عمران بن طلحة على علي بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به، وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وإياك من الذين قال الله: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، قال: ورجلان جالسان على ناحية البساط، فقالا: الله أعدل من ذلك، تقتلهم بالأمس وتكونون إخوانا على سرر متقابلين في الجنة؟، فقال علي: قوما أبعد لأرض وأسحقها، فمن هو إذا إن لم أكن أنا وطلحة؟ قال: ثم قال لعمران: كيف أهلك من بقي من أمهات أولاد أبيك؟ أما إننا لم نقبض أرضكم هذه السنين ونحن نريد أن نأخذها، إننا أخذناها مخافة أن يتهبها الناس، يا فلان، اذهب معي إلى ابن قرظة فمره فليدفع إليه أرضه وغلة هذه السنين، يا ابن أخي، وأتينا في الحاجة إذا كانت لك.

وروى ابن سعد^(١٢) نحوه عن عبد الله بن نمير، عن طلحة بن يحيى قال: أخبرني أبو حبيبة قال: جاء

عمران بن طلحة إلى علي فقال: الخ.

(١) فضائل الصحابة برقم ١٠٥٧.

(٢) الطبقات ٣/ ١٠٥-١٠٦.

(٣) انظر في هذا الباب تاريخ دمشق ١٨/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٤) الطبقات ٣/ ٢٠٥.

(٥) المصنف برقم ٣٨٩٧٦.

(٦) السنن الكبرى ٨/ ١٧٣.

(٧) أنساب الأشراف ١٠/ ١٢٩.

(٨) الطبقات ٣/ ٢٠٥.

(٩) المستدرک ٣/ ٣٧٧.

(١٠) السنن الكبرى ٨/ ١٧٣.

(١١) أنساب الأشراف ١٠/ ١٢٩.

(١٢) الطبقات ٣/ ٢٠٥.

٢٤٩. أخرج ابن سعد^(١)، أحمد^(٢) من طريق عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش أن عليا قيل له:

إن قاتل الزبير على الباب. فقال: ليدخل قاتل ابن صفية النار، سمعت رسول الله ﷺ يقول:
إن لكل نبي حواريا، وإن الزبير حواري.

■ ما جاء في موقف طلحة بن عبيد الله:

٢٥٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٣) من طريق زائدة، عن عمر بن قيس، عن زيد بن وهب، قال:

.. قال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان..

٢٥١. أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، وعمر بن شبة^(٥): من طريق ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن

حكيم بن جابر، قال:

سمعت طلحة بن عبيد الله يقول يوم الجمل: إنا كنا قد داهنا في أمر عثمان، فلا نجد بدا من
المبايعة^(٦).

٢٥٢. أخرج خليفة بن خياط^(٧) - ومن طريقه ابن عساكر^(٨) - عن أبي بكر قال: نا عوف قال: نا أبو

رجاء العطاردي قال:

أتيت طلحة بن عبيد الله غشيه الناس وهو على دابته فجعل يقول: يا أيها الناس أنصتوا
فجعل يركبونه ولا ينصتون. فقال: أف أف فراش نار وذبان طمع.

■ ما جاء في موقف عمار بن ياسر:

٢٥٣. أخرج ابن أبي شيبة^(٩)، والبخاري^(١٠) من طريق شعبة أخبرني عمرو سمعت أبا وائل يقول:

دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيث بعثه عليٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما
رأيناك أتيت أمرا أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت
منكما منذ أسلمتما أمرا أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر. وكساهما حلة حلة، ثم راحوا
إلى المسجد.

(١) الطبقات ٣/ ٩٨.

(٢) المسند ١/ ٨٩، ١٠٢. راجع تحريجه هناك وكذلك انظر تحريج محقق كتاب المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٦٩.

(٣) سبق تحريجه.

(٤) المصنف برقمي ٣١٣٤٠، ٣٨٩٣٦.

(٥) أخبار المدينة ٤/ ١١٦٩.

(٦) كذا في المطبوع من المصنف، وفي أخبار المدينة: «المبالغة». ولا وجه لها هنا. والصواب عندي والله أعلم:
«المتابعة». وقد سبق توضيح معناها.

(٧) تاريخه ص ١٣٦.

(٨) تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٥.

(٩) المصنف برقم ٣٨٩٨٩.

(١٠) صحيحه برقم ٧١٠٢، وراجع الصحيح أيضا برقم ٧١٠٥.

٢٥٤. أخرج الترمذي^(١)، والآجري^(٢)، والحاكم^(٣) من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن غالب:

أن رجلا نال من عائشة رضي الله عنها عند عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال: اغرب مقبوحا منبوحا، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم!

وأخرجه أيضا ابن سعد^(٤)، وأحمد^(٥)، والفسوي^(٦) من طريق أبي إسحاق، عن حميد بن عريب.
وأخرج البخاري^(٧)، والترمذي^(٨) من طريق أبي بكر بن عياش حدثنا أبو حصين حدثنا أبو مريم
عبد الله بن زياد الأسدي قال:

والله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة.

■ ما جاء في موقف عائشة:

٢٥٥. أخرج الطيالسي^(٩)، وابن سعد^(١٠)، وأحمد^(١١)، والطحاوي^(١٢) من طريق ابن أبي ذئب، عن
صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه في حجة الوداع: هذه ثم ظهور الحصر، قال: وكن يحجن كلهن
إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش، قالتا لا تحركنا دابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢٥٦. أخرج عبد الرزاق^(١٣) - ومن طريقه نعيم بن حماد^(١٤) - والبيهقي^(١٥) عن معمر بن وهب بن
عبد الله عن أبي الطفيل سمع حذيفة بن اليمان يقول:

لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم أتصدقوني قالوا: أو حق ذلك؟! قال حق.

(١) الجامع الكبير برقم ٣٨٨٩.

(٢) الشريعة برقم ١٨٨٥.

(٣) المستدرک ٣/٣٩٣.

(٤) الطبقات ١٠/٦٥.

(٥) فضائل الصحابة برقم ١٦٣١.

(٦) المعرفة والتاريخ ٣/١٨٦.

(٧) صحيحه برقم ٧١٠٠.

(٨) الجامع الكبير برقم ٣٨٨٩.

(٩) مسنده برقم ١٧٥٢.

(١٠) الطبقات ١٠/٥٦، ٥٥، ١٩٧.

(١١) المسند ٢/٤٤٦.

(١٢) شرح مشكل الآثار برقم ٥٦٠٣.

(١٣) المصنف ١١/٥٣.

(١٤) الفتن برقم ١٩٢.

(١٥) دلائل النبوة ٦/٤١١.

ورواه الحاكم^(١)، والبيهقي^(٢)، وابن عساكر^(٣) من طريق قتادة عن أبي الطفيل عن حذيفة قال:

لو حدثتكم أن أم أحدكم تغزو في كتيبة حتى تضرب بالسيف ما صدقتموني

ورواه ابن أبي داود^(٤) من طريق عمرو بن مرة عن أبي البخري قال: قال حذيفة.

وأخرج الحاكم^(٥) من طريق عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن خيثمة

ابن عبد الرحمن قال:

كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا: حدثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو فعلت لرجتموني قال قلنا سبحان الله أنحن نفعل ذلك؟ قال: أرأيتم لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها شديد بأسها صدقتم به؟ قالوا: سبحان الله و من يصدق بهذا ثم قال حذيفة: أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء و جوهكم ثم قام فدخل مخدعا.

٢٥٧. أخرج أحمد^(٦)، ومسلم^(٧)، والنسائي^(٨) من طريق زرارة بن أوفى، عن سعد بن هشام:

قال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من؟ قال: عائشة. فأنتها فأسألتها ثم اتنتني فأخبرني بردها عليك. فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقارها، لأنني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيها إلا مضيا. قال: فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة فاستأذنا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها. فقالت أحكيم فعرفته. فقال نعم..^(٩).

٢٥٨. أخرج نعيم بن حماد^(١٠)، وخليفة بن خياط^(١١) من طريق حصين قال: حدثني أبو جميلة

البكائي^(١٢) قال:

إني لفي الصف مع علي، إذ عقر بأه المؤمنين جملها، فرأيت محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر يشدان بين الصفين أيهما يسبق إليها، فقطعا عرضة الرحل فاحتملاها في هودجها.

(١) المستدرک ٤/٤٦٩.

(٢) دلائل النبوة ٦/٤١١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٦/٨٥.

(٤) المصاحف برقم ٦٢.

(٥) المستدرک ٤/٤٧١.

(٦) المسند ٦/٥٣-٥٤.

(٧) صحيحه برقم ٧٤٦.

(٨) سننه ٣/١٩٩.

(٩) قال النووي: قوله «نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيها إلا مضيا». الشيعتان الفرقتان، والمراد تلك

الحروب التي جرت. انظر شرحه على صحيح مسلم ٦/٢٦.

(١٠) الفتن برقم ١٨١.

(١١) تاريخه ص ١٤٣.

(١٢) لعله الطهوي. انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٢٩/١٩٤.

٢٥٩. أخرج نعيم بن حماد^(١) عن هشيم عن حصين عن أبي وائل عن مسروق قال:

لما نشب الناس في أمر عثمان رضي الله عنه أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت لها: إياك أن يستنزلك عن رأيك فقالت: بئس ما قلت يا بني، لأن أقع من السماء إلى الأرض إلى غير عذاب الله أحب إلي من أن أعين على دم رجل مسلم، وذلك أني رأيت رؤيا رأيتني كأني على ظرب وحوالي غنم، أو بقر ربوض، فوقع فيها رجال ينحرونها حتى ما أسمع لشيء منها خوار قالت: فذهبت أنزل من الظرب فكرهت أن أمر على الدماء فيصيبني منها شيء وكرهت أن أرفع ثيابي فيبدو مني ما لا أحب، فبينما أنا كذلك إذ أتاني رجلان أو ثوران واحتملاني حتى جازا بي تلك الدماء.

قال حصين^(٢): فحدثنا أبو جميلة قال: رأيت يوم الجمل حيث عقر بها بعيرها أتاها عمار ومحمد بن أبي بكر، فقطعا الرجل، ثم احتملاها في هودجها حتى أدخلها دار أبي خلف، فسمعت بكاء أهل الدار على رجل أصيب يومئذ، قالت: ما هؤلاء؟ قالوا: سيكون على صاحبهم. قالت: أخرجوني أخرجوني^(٣).

٢٦٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٤) والحاكم^(٥) من طريق الأعمش، عن شقيق، عن مسروق، عن عائشة، قالت:

رأيتني على تل كأن حوالي بقرا تنحر، فقال مسروق: إن استطعت أن لا تكوني أنت هي فافعلي، قال: فابتليت بذلك رحمها الله.

٢٦١. أخرج ابن أبي شيبة^(٦) عن أبي أسامة، قال: حدثني العلاء بن المنهال، قال: حدثنا عاصم بن كليب الجرمي، قال:

.. رأى أبي رؤيا وهم محاصرو توج في خلافة عثمان، وكان أبي إذا رأى رؤيا كأنها ينظر إليها نهارا، وكان أبي قد أدرك النبي ﷺ، قال: فرأى كأن رجلا مريضا وكان قوما يتنازعون عنده،

(١) الفتن برقم ١٨١.

(٢) انظر أيضا تاريخ خليفة ص ١٤٣.

(٣) ويشهد لهذه الرواية والتي قبلها ما رواه الطبري (٥٣٣/٤) من طريق سيف، عن محمد بن راشد السلميّ، عن ميسرة أبي جميلة، أنّ محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل، فقطعا غرصة الرجل، واحتملا الهودج، فنحياه حتى أمرهما عليّ فيه أمره بعد؛ قال: «أدخلها البصرة، فأدخلها دار عبد الله بن خلف الخزاعي». قلت: ولعل أبا خلف المذكور في الرواية الثانية تحريف لما ورد في رواية سيف وأنه عبد الله بن خلف الخزاعي، وأن صوابه (ابن خلف) وليس (أبا خلف) ويشهد لذلك أيضا ما رواه ابن عساكر من طريق أبو بكر بن أبي عون القرني نا نجاد الضبي قال: دخل الأشرم مع ابن عباس على عائشة وهي في قصر بني خلف فقالت: أنت أردت قتل ابن أختي؟ فقال: معذرة إلى الله ثم إليك. وكذلك ما رواه أبو الفرج (الاجاني ٢٢/٢٦٤) ومن طريقه ابن عساكر (تاريخ دمشق ٦٣/١٢٥) من طريق الهيثم بن عدي قال: «كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقتل معها يومئذ وعلى بني خلف نزلت عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصر بني خلف..». وراجع شرح ابن حجر عند كلامه عن قصر بني خلف المذكور في رواية البخاري (برقم ٣٢٤).

(٤) المصنف برقم ٣١١٥٣.

(٥) المستدرک ١٣/٤، وفيه طول.

(٦) سبق تخريجه.

قد اختلفت أيديهم وارتفعت أصواتهم وكانت امرأة عليها ثياب خضر جالسة كأنها لو تشاء أصلحت بينهم، إذ قام رجل منهم فقلب بطانة جبة عليه، ثم قال: أي معاشر المسلمين، أخلق الإسلام فيكم، وهذا سربال نبي الله فيكم لم يخلق، إذ قام آخر من القوم فأخذ بأحد لوحى المصحف فنفضه حتى اضطرب ورقه. قال: فأصبح أبي يعرضها ولا يجد من يعبرها، قال: كأنهم هابوا تعبيرها قال: قال أبي: فلما أن قدمت البصرة فإذا الناس قد عسكروا، قال: قلت: ما شأنهم، قال: فقالوا: بلغهم أن قوما ساروا إلى عثمان فعسكروا ليدركوه فينصروه، فقام ابن عامر، فقال: إن أمير المؤمنين صالح، وقد انصرف عنه القوم، فرجعوا إلى منازلهم فلم يفتجأهم إلا قتله، قال: فقال أبي: فما رأيت يوما قط كان أكثر شيئا باكيا تحلل الدموع لحيته من ذلك اليوم. فما لبثت إلا قليلا حتى إذا الزبير وطلحة قد قدما البصرة، قال: فما لبثت بعد ذلك إلا يسيرا، حتى إذا علي أيضا قد قدم، فنزل بذني قار، قال: فقال لي شيخان من الحبي: اذهب بنا إلى هذا الرجل، فلننظر إلى ما يدعو، وأي شيء الذي جاء به، فخرجنا حتى إذا دنونا من القوم وتبيننا فساطيطهم إذا شباب جلد غليظ خارج من العسكر، قال العلاء: رأيت أنه قال: على بغل، فلما أن نظرت إليه شبهته المرأة التي رأيتها عند رأس المريض في النوم، فقلت لصاحبي: لئن كان للمرأة التي رأيت في المنام عند رأس المريض أخ إن ذا لأخوها قال: فقال لي أحد الشيخين اللذين معي: ما تريد إلى هذا، قال: وغمزني بمرفقه، فقال الشاب: أي شيء قلت؟ قال: فقال أحد الشيخين: لم يقل شيئا، فانصرف، قال: لتخبرني ما قلت، قال: فقصصت عليه الرؤيا، قال: لقد رأيت، قال: وارتاع، ثم لم يزل يقول: لقد رأيت لقد رأيت، حتى انقطع عنا صوته، قال: فقلت لبعض من لقيت من الرجل الذين رأينا أنفا، قال محمد بن أبي بكر، قال: فعرفنا، أن المرأة عائشة..

٢٦٢. أخرج البخاري في تاريخه^(١) من طريق حصين بن عبد الرحمن حدثني أبو جميلة قال:

قال محمد بن طلحة لعائشة: يا أم المؤمنين! يوم الجمل. فقالت: كن كخير ابني آدم. فأغمد سيفه بعد ما سله، ثم قام حتى قتل.

■ ما جاء في موقف أسامة بن زيد:

٢٦٣. أخرج نعيم بن حماد^(٢)، والبخاري^(٣)، وابن سعد^(٤)، عن علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال قال عمرو أخبرني محمد بن علي أن حرملة مولى أسامة أخبره قال عمرو وقد رأيت حرملة قال:

أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدة الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره، فلم يعطني شيئا، فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر فأوقروا لي راحلتى.

■ ما جاء في موقف أبي بكر:

٢٦٤. أخرج البخاري^(٥) من طريق الحسن عن الأحنف بن قيس قال:

(١) التاريخ الأوسط ١/٥٧٧.

(٢) الفتن برقم ٤٠١.

(٣) صحيحه برقم ٤١١٠.

(٤) الطبقات ٤/٦٦.

(٥) صحيحه بأرقام ٣١، ٦٨٧٥، ٧٠٨٣.

ذهبت لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكره فقال أين تريد قلت أنصر هذا الرجل. قال ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه.

٢٦٥. أخرج البخاري^(١)، والحاكم^(٢) من طريق الحسن عن أبي بكره قال:

لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ».

٢٦٦. أخرج البخاري^(٣)، من طريق عبد الرحمن بن أبي بكره، عن أبي بكره قال:

لما كان يوم حَرَقَ ابن الحضرمي، حين حرقه جارية بن قدامة، قال: أشرفوا على أبي بكره، فقالوا: هذا أبو بكره يراك، قال عبد الرحمن: فحدثتني أمي عن أبي بكره، أنه قال: لو دخلوا علي ما بهشت بقصبة.

■ ما جاء في موقف أبي موسى الأشعري:

٢٦٧. أخرج البخاري^(٤) والحاكم^(٥) من طريق شعبة أخبرني عمرو سمعت أبا وائل يقول:

دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيث بعثه على أهل الكوفة يستنفرهم فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر. وكساهما حلة حلة، ثم راحوا إلى المسجد.

■ ما جاء في موقف عمران بن حصين:

٢٦٨. أخرج ابن سعد^(٦) عن روح بن عبادة قال: حدثنا أبو نعامة العدوي قال: حدثنا حميد بن هلال،

عن حجيرة بن الربيع:

أن عمران بن حصين أرسله إلى بني عدي أن اتهم أجمع ما يكونون في مسجدهم وذلك عند العصر فقم قائماً قال: فقام قائماً، فقال: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله ﷺ يقرأ عليكم السلام ورحمة الله ويخبركم أنني لكم ناصح ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعزاً حضنيتاً في رأس جبل حتى يدركه الموت أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فامسكوا فدى لكم أبي وأمي. قال: فرجع القوم رؤوسهم، وقالوا: دعنا منك أيها الغلام، فإننا والله لا ندع ثفل رسول الله

(١) صحيحه برقم ٤٤٢٥، ٧٠٩٩.

(٢) المستدرک ٣/١١٩.

(٣) صحيحه برقم ٧٠٧٨.

(٤) صحيحه برقم ٧١٠٢، وراجع الصحيح أيضاً برقم ٧١٠٥.

(٥) المستدرک ٣/١١٧.

(٦) الطبقات ٥/١٩٢.

ﷺ لشيء أبدا ، فغدوا يوم الجمل ، فقتل بشر والله كثير حول عائشة يومئذ سبعون كلهم قد جمع القرآن، قال: ومن لم يجمع القرآن أكثر.

▪ ما جاء في موقف أهبان بن صيفي:

٢٦٩. أخرج نعيم بن حماد^(١)، وابن سعد^(٢)، وأحمد^(٣)، والبخاري^(٤) من طريق عبد الله بن عبيد، عن عديسة بنت أهبان بن صيفي الغفاري، صاحب النبي ﷺ قالت:

جاء علي إلى أبي فدعاه إلى الخروج معه، فقال: إن خليلي وابن عمك أمرني إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفاً من خشب وقد اتخذته فإن شئت خرجت به معك. فتركه.

د - ما جاء في أهم من قُتل في وقعة الجمل

٢٧٠. أخرج خليفة بن خياط^(٥)، والبلاذري^(٦) عن وهب بن جرير قال: حدثني أبي عن محمد بن أبي يعقوب الضبي قال:

قتل من أهل البصرة ألفان وخمس مائة من الأزديين وثمان مائة من بني ضبة

صحيح إلى محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبي البصري إلا أن محمداً لم يشهد الجمل، ولكن الخبر يتسق مع أرجح الأقوال في الباب، ويبدو أن الخبر مشهور في قومه فرواه عنهم.

وأخرجه الطبري^(٧)، واليزيدي^(٨) من طريقين إلى جرير بن حازم عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب الضبي بلفظ:

قُتل يوم الجمل من أهل البصرة ألفان وخمس مائة رجل، منهم من الأزدي ألف وثلثمائة وخمسون رجلاً ومن بني ضبة ثمان مائة رجل ومن أفاء الناس ثلاثمائة وخمسون رجلاً

٢٧١. أخرج خليفة بن خياط^(٩) - ومن طريقه ابن عساكر^(١٠) - والطبري^(١١) من طريق الزبير بن الخريت قال:

(١) الفتن برقم ٢١١.

(٢) الطبقات ١٠/٤٤٦.

(٣) المسند ٥/٦٩.

(٤) التاريخ الأوسط ١/٥٨٤.

(٥) تاريخه ص ١٣٩.

(٦) أنساب الأشراف ٣/٥٨.

(٧) تاريخه ٤/٥٤٥.

(٨) أماليه ص ٩٧.

(٩) تاريخه ص ١٤٠.

(١٠) تاريخ دمشق ٥٠/٣٠٦.

(١١) تاريخه ٤/٥٤٥.

قيل لأي لبيد: أتحب علياً؟ قال: كيف أحب رجلاً قتل من قومي حين كانت الشمس من هاهنا إلى أن صارت هاهنا ألفين وخمس مائة؟

خبر صحيح، أبو لبيد هو لِمَازَة بن زَبَّار الأزدِي البصري، ثقة في الحديث، إلا أنه كان ناصبياً، قاتل علياً يوم الجمل، وقيل أنه كان يسبه، فضغفه قوم من أجل مذهبه^(١).

ورواه ابن عساكر^(٢) من طريق موسى بن إسماعيل حدثنا مطر بن حمران قال:

كنا عند أبي لبيد فقبل له: أتحب علياً؟ فقال: أحب علياً وقد قتل من قومي في غداة واحدة ستة آلاف!

قلت: والمتن بهذا اللفظ لا يصح، مطر بن حمران مجهول، لا يعرف حاله^(٣). فضلاً عن مخالفة الخبر للمحفوظ عن أبي لبيد.

٢٧٢. أخرج ابن سعد^(٤) عن روح بن عبادة قال: حدثنا أبو نعامة العدوي قال: حدثنا حميد بن هلال، عن حجير بن الربيع:

..غدوا يوم الجمل، فقتل بشر والله كثير حول عائشة يومئذ سبعون كلهم قد جمع القرآن، قال: ومن لم يجمع القرآن أكثر.

٢٧٣. أخرج ابن أبي شيبة^(٥) عن محمد بن الحسن، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن إسحاق بن سويد العدوي، قال:

قتل منا يوم الجمل خمسون رجلاً حول الجمل قد قرؤوا القرآن.

▪ مقتل طلحة بن عبيد الله^(٦):

٢٧٤. أخرج ابن سعد^(٧) قال: أخبرني من سمع إسماعيل بن أبي خالد، يخبر عن حكيم بن جابر الأحمسي قال:

قال طلحة بن عبيد الله يوم الجمل: إنا داهنا في أمر عثمان فلا نجد اليوم شيئاً أمثل من أن نبذل دماءنا فيه، اللهم خذ لعثمان مني اليوم حتى ترضى.

وفي إسناده انقطاع. ولكن أخرجه الطبري^(٨) من طريق سيف بن عمر عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال:

(١) تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٥٠.

(٢) تاريخ دمشق ٥٠ / ٣٠٦.

(٣) لم أجد له ترجمة إلا عند ابن حبان في الثقات (٧ / ٤٩٥) على شرطه في توثيق المجاهيل.

(٤) الطبقات ٥ / ١٩٢.

(٥) المصنف برقم ٣٨٩٩١.

(٦) أخرج ابن عساكر (١٨ / ٤٣٥) عن أحمد بن حنبل قال: طلحة والزبير لم يقتلهم أصحاب علي طلحة قتله مروان بن الحكم والزبير قتله ابن جرموز وهو منصرف.

(٧) الطبقات ٣ / ٢٠٤.

(٨) تاريخه ٤ / ٥٢٧.

قال طلحة يومئذ: اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى. فجاء سهم غرب وهو واقف فخل ركبته بالسرج، وثبت حتى امتلأ موزجه دما فلما ثقل قال لمولاه: أردفني وابغني مكانا لا أعرف فيه، فلم أر كاليوم شيئا أضيع دما مني. فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول: قد لحقنا القوم. حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها، فمات في تلك الخربة ودفن ﷺ في بني سعد.

■ مقتل الزبير بن العوام:

٢٧٥. أخرج ابن أبي شيبة^(١)، والبخاري^(٢)، وابن سعد^(٣)، والحاكم^(٤) من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال:

لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقممت إلى جنبه فقال يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأقتل اليوم مظلوما..

٢٧٦. أخرج ابن سعد^(٥)، أحمد^(٦)، وابن عساکر^(٧) من طرق عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال:

استأذن ابن جرموز على علي فقال: من هذا؟ قالوا: ابن جرموز يستأذن. قال: ائذنوا له، ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل نبي حواريا، وإن حواريا الزبير.

٢٧٧. أخرج ابن سعد^(٨) عن موسى بن إسماعيل قال: حدثني جرير بن حازم قال: سمعت الحسن، ذكر الزبير فقال:

يا عجبا للزبير، أخذ بحقوي أعرابي من بني مجاشع أجرني أجرني حتى قُتِل، والله ما كان له بقرن، أما والله لقد كنت في ذمة منيعة.

■ مقتل زيد بن صوحان:

٢٧٨. أخرج ابن أبي شيبة^(٩)، والبخاري^(١٠)، والبلاذري^(١١) من طريق سفیان، عن مخل بن راشد النهدي، عن العيزار بن حريث العبدي، قال: قال زيد بن صوحان يوم الجمل:

أرأسوني في الأرض رمسا، ولا تغسلوا عني دما، ولا تنزعوا عني ثوبا إلا الخفين، فإني مُحاجُّ أَحاجِّ.

(١) المصنف برقم ٣٨٩٦٩.

(٢) صحيحه برقم ٣١٢٩.

(٣) الطبقات ٣/ ١٠٠.

(٤) المستدرک ٣/ ٣٦٥.

(٥) الطبقات ٣/ ٩٨.

(٦) المسند ١/ ٨٩.

(٧) راجع طرق هذا في تاريخ دمشق ١٨/ ٣٧٠-٣٧٣، ٤٢١-٤٢٢.

(٨) الطبقات ٣/ ١٠٥.

(٩) المصنف برقم ٣٣٤٧٩.

(١٠) التاريخ الأوسط ١/ ٣٠٧.

(١١) أنساب الأشراف ٣/ ٤١.

هـ - علي وعائشة رضي الله عنهما

٢٧٩. أخرج البخاري^(١) عن عبد الله بن محمد قال أملى علي هشام بن يوسف من حفظه أخبرنا معمر عن الزهري قال: قال لي الوليد بن عبد الملك:

أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة قلت لا. ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة - رضي الله عنها - قالت لهما: كان عليٌّ مسلماً في شأنها. فراجعوه فلم يرجع. وقيل مسلماً: بلا شك فيه، وعليه كان في أصل العتيق كذلك.

٢٨٠. أخرج عبد الرزاق^(٢) عن معمر عن الزهري قال:

كنت عند الوليد بن عبد الملك فكأنه تناول عائشة فقلت له يا أمير المؤمنين ألا أحدثك عن رجل من أهل الشام كان قد أوتي حكمة قال من هو قلت هو أبو مسلم الخولاني وسمع أهل الشام كأنهم يتناولون من عائشة فقال أخبركم بمثلكم ومثل أمكم هذه كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما قال فسكت قال الزهري أخبرني أبو إدريس عن أبي مسلم الخولاني.

٢٨١. أخرج ابن سعد^(٣)، وأحمد^(٤)، والبخاري^(٥)، ومسلم^(٦) من طريق معمر، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٧):

أن عائشة أخبرته قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها، فأذن له قالت: فخرج، ويد على الفضل بن عباس، ويد على رجل آخر، وهو يخط برجليه في الأرض. قال عبيد الله: فحدثت به ابن عباس، فقال: أتدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ هو علي ولكن عائشة لا تطيب له نفسا.

٢٨٢. أخرج أحمد^(٨)، ومسلم^(٩) من طريق الحكم بن عتيبة، عن القاسم بن مخيمرة، عن شريح بن هانئ قال:

أتيت عائشة أسأله عن المسح على الخفين فقالت عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ.

(١) صحيحه برقم ٤١٤٢.

(٢) المصنف ١١/٤٣٣.

(٣) الطبقات ٢/٢٠٥.

(٤) المسند ٦/٢٢٨.

(٥) صحيحه برقم ٦٦٥.

(٦) صحيحه برقم ٤١٨.

(٧) اللفظ لأحمد.

(٨) المسند ١/٩٦، ١٢٠.

(٩) صحيحه برقم ٢٧٦.

٢٨٣. أخرج أحمد^(١) من طريق صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

كان القوم يختلفون إلي في عيب عثمان، ولا أرى إلا أنها معاتبة، وأما دمه فأعوذ بالله من دمه، والله وددت أني عشت في الدنيا برصاء صالح وإني لم أذكر عثمان بكلمة قط.. فذكرت كلاما فضّلت عثمان على عليّ. قالت: ولأصبح عثمان الذي يشير بها إلى السماء خير من طلاع الأرض من عليّ.

٢٨٤. أخرج أحمد^(٢)، وأبو يعلى^(٣) من طريق يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري عن عبد الله بن شداد، عن عائشة قالت:

..يرحم الله عليا إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث.

وقعة صفين

٢٨٥. أخرج البخاري^(٤) من طريق معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقتل فتان، فيكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة.

٢٨٦. أخرج ابن أبي شيبة^(٥)، وخليفة بن خياط^(٦) عن الفضل بن دكين، قال: حدثنا موسى بن قيس، قال سمعت حجر بن عنبس، قال:

قيل لعلي يوم صفين: قد حيل بيننا وبين الماء، قال: فقال: أرسلوا إلى الأشعث، قال: فجاء، فقال: اتنوني بدرع ابن سهر رجل من بني براء فصبها عليه، ثم أتاهم فقاتلهم حتى أزالهم عن الماء

إلى هنا انتهى متن ابن أبي شيبة، وزاد متن خليفة - ومن طريقه ابن عساكر^(٧) -:

ثم التقى الناس يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، ولواء علي مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وفي ميسرة علي ربيعة وعليهم ابن عباس. وفي ميمنة علي أهل اليمن عليهم الأشعث بن قيس، وعلي في القلب في مضر البصرة والكوفة ولواء معاوية مع المخارق بن الصباح الكلاعي وفي ميسرة معاوية مضر عليهم ذو الكلاع وفي ميمنته أهل اليمن ومعاوية في الشهباء أصحاب البيض والدروع.

(١) سبق تخريجه.

(٢) المسند ١/ ٨٦-٨٧.

(٣) مسنده برقم ٤٧٤.

(٤) صحيحه برقم ٣٦٠٩.

(٥) المصنف برقم ٣٩٠١٠.

(٦) تاريخه ص ١٤٥.

(٧) تاريخ دمشق ٥٧/ ١٣٠.

٢٨٧. أخرج الحاكم^(١) من طريق عبد الرزاق أنا معمر عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم قال:

كان صاحب لواء علي بن أبي طالب يوم صفين هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو الذي يقول:

أعور يبغي أهله محلاً قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفلا أو يفلا

٢٨٨. أخرج أبو داود^(٢)، وعبد الله بن أحمد^(٣) عن إسماعيل أبو معمر، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن، عن قيس بن عباد، قال: قلت لعلي:

أرأيت مسيرك هذا عهد عهدك إليك رسول الله ﷺ أم رأي رأيته؟ قال: ما تريد إلى هذا؟ قلت: ديننا ديننا. قال: ما عهد إلي رسول الله ﷺ فيه شيئاً ولكن رأي رأيته.

٢٨٩. أخرج ابن أبي شيبة^(٤)، والحاكم^(٥)، وابن عساكر^(٦) عن ابن إدريس، عن حسن بن فرات، عن أبيه، عن عمير بن سعيد، قال:

لما رجعت علي من الجمل، وتهاياً إلى صفين اجتمعت النخع حتى دخلوا على الأشر، فقال: هل في البيت إلا نخعي، قالوا: لا، قال: إن هذه الأمة عمدت إلى خيرها فقتلتها، وسرنا إلى أهل البصرة قوم لنا عليهم بيعة فنصرنا عليهم بنكثهم، وإنكم ستسيرون إلى أهل الشام قوم ليس لكم عليهم بيعة، فلينظر امرؤ منكم أين يضع سيفه.

٢٩٠. أخرج سعيد بن منصور^(٧) عن سفيان، عن عمرو، عن الحسن بن محمد، قال: كانت العرب يوم صفين محضة.

٢٩١. أخرج ابن أبي شيبة^(٨)، وأحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، وابن زنجويه^(١١) من طريق عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

(١) المستدرک ٣/ ٣٩٥.

(٢) السنن برقم ٤٦٣٣.

(٣) زوائده على المسند ١/ ١٤٨.

(٤) المصنف برقم ٣١٢٥٧، ٣٨٩٣٩.

(٥) المستدرک ٣/ ١٠٧.

(٦) تاريخ دمشق ٥٦/ ٣٨٦.

(٧) سننه برقم ٢٩٧١.

(٨) المصنف برقم ٣٩٠٦٨، والخبر فيه أطول فراجع.

(٩) المسند ٣/ ٤٨٥-٤٨٦.

(١٠) صحيحه برقم ٤٨٤٤.

(١١) الأموال برقم ٦٥٦.

أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهروان، فيما استجابوا له، وفيما فارقه، وفيما استحل قتالهم، قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل، فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَلَّوْا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ تَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما ننتظر هؤلاء القوم الذين على التل إلا نمشي إليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس، اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق، وهم على باطل؟ أليس قتالنا في الجنة وقتالهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني أبدا. قال: فرجع وهو متغيظ، فلم يصبر، حتى أتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق، وهم على باطل، أليس قتالنا في الجنة وقتالهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ، ولن يضيعه أبدا، قال: فنزلت سورة الفتح قال: فأرسلني رسول الله ﷺ إلى عمر، فأقرأها إياه، قال: يا رسول الله وفتح هو؟ قال: نعم.

٢٩٢. أخرج البلاذري^(١)، من طريق عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال: عابوا على عليّ تحكيم الحكيمين، فقال علي: جعل الله في طائر حكيمين، ولا أحكم أنا في دماء المسلمين حكيمين؟

٢٩٣. أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن يحيى بن آدم، قال: حدثنا فطر، عن أبي القعقاع، قال: رأيت علياً على بغلة النبي ﷺ الشهباء يطوف بين القتلى.

٢٩٤. أخرج ابن سعد^(٣) عن يحيى بن خليف. قال: حدثنا أبو خلدة قال: قال أبو العالية:

لما كان زمن علي عليه السلام ومعاوية، وإني لشاب، القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان لا يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء، وإذا هلك هؤلاء هلك هؤلاء قال: فراجعت نفسي، فقلت: أي الفريقين أنزله كافراً، وأي الفريقين أنزله مؤمناً؟ أو من أكرهني على هذا؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم.

٢٩٥. أخرج ابن أبي شيبة^(٤) من طريق ابن عيينة، عن عمران بن ظبيان، عن حكم بن سعد، قال: لقد أشرعوا رماحهم بصفين وأشرعنا رماحننا، ولو أن بيننا إنسانا يمشي عليها لفعل.

٢٩٦. أخرج البخاري في تاريخه^(٥) من طريق أبي عامر الأشعري ثنا بن نمير ثنا الأعمش قال:

(١) أنساب الأشراف ١٠٧/٣.

(٢) المصنف برقم ٣٩٠٠٢.

(٣) الطبقات ١١٣/٩.

(٤) المصنف برقم ٣٩٠٠٤.

(٥) التاريخ الأوسط ٦٤٩/١.

والله تعجبت لعلي وأصحابه أنه كان مع علي أصحاب النبي ﷺ، وكان مع معاوية أعراب اليمن لحم وجذام وغيرهم من القبائل، لهم أطوع لمعاوية من أصحاب علي له، يستعمل الرجل فإذا أصاب المال فر إلى معاوية، وعلى يقسم كذا وكذا أنواع الغلة. والله لو بقي لدفع إلى معاوية.

و. ما جاء في أبرز مواقف الصحابة من وقعة صفين

٢٩٧. أخرج الخلال^(١) أخبرنا عبد الله: حدثني أبي: ثنا أمية بن خالد، قال: قلت لشعبة:

إن أبا شيبه حدثنا عن الحكم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أنه قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً. فقال: كذب، والله لقد ذكرتُ الحكم بذلك وذكرنا في بيته فما وجدنا شهد صفين من أهل بدر سوى خزيمة بن ثابت.

٢٩٨. أخرج أحمد^(٢)، ومسلم^(٣) من طريق شعبة، قال: سمعت قتادة يحدث، عن أبي نضرة، عن قيس ابن عباد قال:

قلت لعمار: رأيت قتالكم، رأيا رأيتموه؟ قال حجاج: رأيت هذا الأمر - يعني قتالهم - رأيا رأيتموه؟ فإن الرأي يخطئ ويصيب، أو عهدا عهده إليكم رسول الله ﷺ؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ، شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة.

■ موقف أبي بكر الصديق:

٢٩٩. أخرج البخاري في تاريخه^(٤)، وعبد الله بن أحمد^(٥)، من طريق ابن عون عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه:

أنه رأى ابن بديل فقال: أما تذكر رؤيا رأيتها في عهد أبي بكر؟ فقال: إن صدقت رؤياك قُتلت في أمر ملتبس. قال محمد بن سيرين: فنبئت أنه قتل يوم صفين.

رجال إسناده ثقات، إلا أن عبد الرزاق رواه عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: رأى عبدالله بن بديل رؤيا فقصها على أبي بكر فقال: إن صدقت رؤياك فإنك ستقتل في أمر ذي لبس. فقتل يوم صفين^(٦). قلت: ولعل إسناده عبد الرزاق هو الأصوب إسنادا.

(١) المنتخب من العلل للخلال برقم ١٣٢.

(٢) المسند ٤ / ٣٢٠.

(٣) صحيحه برقم ٢٧٧٩.

(٤) التاريخ الأوسط ١ / ٥٧٥.

(٥) السنة برقم ١٢٨٩.

(٦) المصنف ١١ / ٢١٣.

▪ موقف علي بن أبي طالب:

٣٠٠. أخرج ابن المبارك^(١)، وعبد الرزاق^(٢)، ونعيم بن حماد^(٣)، وأحمد^(٤)، والضياء^(٥)، وابن عساكر^(٦) من طرق عن الزهري عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، ومن طرق أخرى عن الزهري، عن عبد الله بن صفوان بن عبد الله:

أن رجلا قال يوم صفين اللهم العن أهل الشام فقال له علي رضي الله عنه: مه، لا تسب أهل الشام جم غفير، فإن فيهم الأبدال.

▪ موقف معاوية بن أبي سفيان:

٣٠١. أخرج ابن سعد^(٧) عن عمرو بن عاصم الكلابي، وعفان بن مسلم، قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال:

دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحته، فقال: هلم يا ابن أخي، تحول فانظر، قال: فتحولت فنظرت فإذا هي قد سبرت - يعني: قرحته، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، قال إذ دخل يزيد بن معاوية، فقال له معاوية: إن وليت من أمر الناس شيئا فاستوص بهذا، فإن أباه كان أخالي - أو خليلا أو نحو هذا من القول - غير أنني قد رأيت في القتال ما لم ير.

٣٠٢. أخرج ابن سعد^(٨) - ومن طريقه البلاذري^(٩) - والطبري^(١٠)، والحاكم^(١١) عن محمد بن عمر، حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال:

شهد خزيمة بن ثابت الجمل، وهو لا يسلم سيفا، وشهد صفين، وقال: أنا لا أصل أبدا حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قتل. وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو غادية المزني، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل في محفة، فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة. فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتر رأسه، فأقبلا يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار،

(١) الجهاد ص ١٥٢.

(٢) المصنف ١١/٢٤٩.

(٣) الفتن برقم ٦٦٣.

(٤) فضائل الصحابة برقم ١٧٢٦.

(٥) المختارة برقمي ٤٨٥، ٤٨٦.

(٦) تاريخ دمشق ١/٣٣٨-٣٤٠.

(٧) الطبقات ٤/١٠٥.

(٨) الطبقات ٣/٢٤٠.

(٩) أنساب الأشراف ١/١٩٣.

(١٠) المنتخب من ذيل المذيل ص ٥٠٩.

(١١) المستدرک ٣/٣٨٥-٣٨٦.

فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمر بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تحتصمان في النار، فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذه بعشرين سنة^(١).

٣٠٣. أخرج ابن سعد^(٢)، وغيره عن يزيد بن هارون، عن العوام بن حوشب قال: حدثني أسود بن مسعود، عن حنظلة بن خويلد العنزي قال:

بينما نحن عند معاوية إذ جاءه رجلان يجتصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلتك، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، قال: فقال معاوية: ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل.

رجال إسناده ثقات.

٣٠٤. أخرج عبد الرزاق^(٣)، وأحمد^(٤)، وأبو يعلى^(٥)، والحاكم^(٦) عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال:

لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قتل عمار، وقد قال رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية، فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، - أو قال: بين سيوفنا.

رجال إسناده ثقات.

٣٠٥. أخرج مسلم^(٧)، والترمذي^(٨)، والنسائي^(٩) من طريق بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له حين خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله،

(١) وانظر مسند أحمد ٥/ ٢١٤.

(٢) الطبقات ٣/ ٢٣٤.

(٣) المصنف برقم ٢٠٤٢٧.

(٤) المسند ٤/ ١٩٩.

(٥) مسنده برقمي ٧١٧٥، ٧٣٤٦.

(٦) المستدرک ٢/ ١٥٦، ٣/ ٣٨٦.

(٧) صحيحه برقم ٢٤٠٤ (٣٢).

(٨) الجامع الكبير برقم ٣٧٢٤.

(٩) السنن الكبرى برقم ٨٣٨٥.

خلفتني مع النساء والصبيان؟! فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدى. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا لها فقال: ادعوا لي علياً. فأتى به أرمم فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

■ موقف عمار بن ياسر:

٣٠٦. أخرج أبو داود الطيالسي^(١)، وأحمد^(٢)، والبخاري^(٣) من طريق شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال:

ذهب علقمة إلى الشام، فلما دخل المسجد قال اللهم يسر لي جليسا صالحا. فجلس إلى أبي الدرداء فقال أبو الدرداء ممن أنت قال من أهل الكوفة. قال أليس فيكم - أو منكم - صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة. قال قلت بلى. قال أليس فيكم - أو منكم - الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ يعني من الشيطان، يعني عمارا.

٣٠٧. أخرج أحمد^(٤)، والبخاري^(٥) عن مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة:

قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونهم إلى النار. قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن.

٣٠٨. أخرج البخاري في تاريخه^(٦) - ومن طريقه ابن عساكر^(٧) - عن قبيصة ثنا سفيان عن السدي عن البهي قال سمعت ابن عمر يقول:

ما أعلم أحدا خرج في الفتنة يريد الله إلا عمار بن ياسر وما أدري ما صنع.

وأخرج الحاكم^(٨) نحوه من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قال عبد الله:

ما أعلم أحد أخرج في الفتنة يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة إلا عمار بن ياسر^(٩).

(١) المسند برقم ١٠٦٦.

(٢) المسند ٦/٤٤٩.

(٣) صحيحه برقمي ٣٧٤٣، ٦٢٧٨.

(٤) المسند ٣/٩١.

(٥) صحيحه برقمي ٤٤٧، ٢٨١٢.

(٦) الأوسط ١/٥٧٠.

(٧) تاريخ دمشق ٤٣/٤٥٤.

(٨) المستدرک ٣/٣٩٤.

(٩) قال الذهبي في تلخيصه المستدرک: «ومراده بالفتنة هنا نيلهم من عثمان».

٣٠٩. أخرج ابن سعد^(١) وابن أبي عاصم^(٢)، وابن عساكر^(٣) من طريق الأسود بن شيبان، قال: أخبرنا أبو نوفل بن أبي عقرب قال:

كان عمار بن ياسر من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً، وكان يقول: عائد بالله من فتنه، عائد بالله من فتنه، قال: ثم عرضت له بعد فتنه عظيمة.

■ موقف أبي موسى الأشعري:

٣١٠. أخرج ابن سعد^(٤) عن عمرو بن عاصم الكلابي، وعفان بن مسلم، قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال:

دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحته، فقال: هلم يا ابن أخي، تحول فانظر، قال: فتحولت فنظرت فإذا هي قد سبرت - يعني: قرحته، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين، قال إذ دخل يزيد بن معاوية، فقال له معاوية: إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوص بهذا، فإن أباه كان أخالي - أو خليلاً أو نحو هذا من القول - غير أنني قد رأيت في القتال ما لم ير.

■ موقف أبي مسعود الأنصاري:

٣١١. أخرج ابن سعد^(٥) عن عبد الله بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن خيثمة بن عبد الرحمن قال:

لما خرج علي إلى صفين استخلف عقبة بن عمرو أبا مسعود على الكوفة، قال: وقد تحباً رجال لم يخرجوا مع علي، قال: فقام على المنبر فقال: يا أيها الناس، من كان تحباً فليظهر، فلعمري لئن كان إلى الكثرة، إن أصحابنا لكثير وما نعهده فتحاً أن يلتقي هذان الخيلان غداً من المسلمين، فيقتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، حتى إذا لم يبق إلا رجرجة من هؤلاء وهؤلاء ظهرت إحدى الطائفتين غداً على الأخرى، ولكن نعهده فتحاً أن يأتي الله بأمر من عنده يحقن دماءهم، ويصلح به ذات بينهم، ويصلح به كلمتهم.

■ موقف سهل بن حميد^(٦):

٣١٢. أخرج سعيد بن منصور^(٧)، وابن سعد^(٨)، والبخاري^(٩) من طريق الأعمش قال:

(١) الطبقات ٣/٢٣٧.

(٢) الآحاد والمثاني برقم ٢٧٤.

(٣) تاريخ دمشق ٤٣/٤٥٧.

(٤) سبق تخريجه ص ٥٩٤.

(٥) الطبقات ٤/٣٦٢.

(٦) قال ابن سعد: وقد شهد سهل بن حنيف صفين مع علي بن أبي طالب رحمه الله. (الطبقات ٣/٤٣٧).

(٧) سننه برقم ٢٩٦٩.

(٨) الطبقات ٣/٤٣٧.

(٩) صحيحه برقمي ٣١٨١، ٧٣٠٨، وراجع رقمي ٣١٨٢، ٤١٨٩ من الصحيح.

سألت أبا وائل هل شهدت صفين قال نعم. فسمعت سهل بن حنيف يقول ح وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي وائل قال قال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله - ﷺ - لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر. قال وقال أبو وائل شهدت صفين وبئست صفون.

■ موقف خزيمة بن ثابت:

٣١٣. أخرج ابن سعد^(١) وغيره من طريق محمد بن عمر، حدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل، عن أبيه، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال:

شهد خزيمة بن ثابت الجمل، وهو لا يسلم سيفاً، وشهد صفين، وقال: أنا لا أصل أبداً حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. قال: فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة، واقترب فقاتل حتى قتل. وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو غادية المزني، طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل في محفة، فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة. فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتر رأسه، فأقبلاً يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن يختصمان إلا في النار، فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمرو بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما تختصمان في النار، فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنك لتعلمه ولوددت أني مت قبل هذه بعشرين سنة^(٢).

■ موقف عبد الله بن عمرو بن العاص:

٣١٤. أخرج ابن سعد^(٣) عن هشام أبو الوليد الطيالسي قال: حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو:

ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبله بعشر سنين، أما والله على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، وما رجل أجهد مني من رجل لم يفعل شيئاً من ذلك. قال نافع: حسبته ذكر أنه كانت بيده الراية، فقدم الناس منزلة، أو منزلتين.

■ موقف قيس بن سعد بن عبادة:

٣١٥. أخرج ابن سعد^(٤) عن أبي أسامة حماد بن أسامة قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: كان قيس بن سعد بن عبادة مع علي بن أبي طالب في مقدمته..

■ موقف عبد الله بن عمر:

٣١٦. أخرج ابن سعد^(٥) عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب قال: حدثني عياش العامري، عن سعيد بن جبير قال:

(١) سبق تخريجه.

(٢) وانظر مسند أحمد ٥ / ٢١٤.

(٣) الطبقات ٥ / ٨٧-٨٨.

(٤) الطبقات ٥ / ٣٧١.

(٥) الطبقات ٤ / ١٧٣.

لما أصاب ابن عمر الخبل الذي أصابه بمكة ، فرمي حتى أصاب الأرض ، فخاف أن يمنعه الألم ، فقال: يا ابن أم الدهماء اقض بي المناسك. فلما اشتد وجعه بلغ الحجاج ، فأتاه يعوده ، فجعل يقول: لو أعلم من أصابك لفعلت وفعلت ، فلما أكثر عليه ، قال: أنت أصبنتي حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح ، فلما خرج الحجاج ، قال ابن عمر: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث ظمياً الهواجر ، ومكابدة الليل ، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا.

٣١٧. أخرج الحاكم^(١)، والبيهقي^(٢) من طريق الزهري أخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر:

أنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر، إذ جاءه رجل من أهل العراق فقال: يا أبا عبد الرحمن، إني والله لقد حرصت أن اتسمت بسمتك، وأقتدي بك في أمر فرقة الناس، وأعتزل الشر ما استطعت، وأني أقرأ آية من كتاب الله محكمة قد أخذت بقلبي، فأخبرني عنها، أرأيت قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتِلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبَى إِلَى اللَّهِ فَإِنْ فَاتَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أخبرني عن هذه الآية فقال عبد الله: مالك ولذالك؟ انصرف عني. فانطلق حتى تواري عنا سواده وأقبل علينا عبد الله بن عمر فقال: ما وجدت في نفسي من شيء في أمر هذه الآية ما وجدت في نفسي أني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل.

ما جاء في أهم من قتل في صفين أو شهداها من الصحابة والتابعين

٣١٨. أخرج خليفة بن خياط^(٣) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزى عن أبيه قال:

شهدنا مع علي ثمان مائة فاقتتلوا يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ثم رفعت المصاحف ودعوا إلى الصلح. وافترقوا على سبعين ألف قتيل خمسة وأربعين ألفاً من أهل الشام وخمسة وعشرين من أهل العراق ويقال: على ستين ألفاً

٣١٩. أخرج خليفة بن خياط^(٤) من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيزى عن أبيه قال:

شهدنا مع علي ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر

■ مقتل عمار بن ياسر:

٣٢٠. أخرج أحمد^(٥)، والبخاري^(٦) من طريق عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة:

قال لي ابن عباس ولابنه علي انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد^(٧) فقال كنا

(١) المستدرک ٣/ ١١٥.

(٢) السنن الكبرى ٨/ ١٧٢.

(٣) تاريخه ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) راجع الكلام على الإسناد السابق.

(٥) المسند ٣/ ٩١.

(٦) صحيحه برقمي ٤٤٧، ٢٨١٢.

(٧) وهو البناء الثاني للمسجد. وانظر تفصيل أدلة ذلك في شرح ابن رجب على البخاري (فتح الباري حديث رقم

٤٤٧) ورجح فيه أنه كان بعد فتح خيبر. قلت: تنبيه: روى مسلم نحو هذه الرواية (برقم ٢٩١٥) من طريق أبي

نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونهم إلى النار. قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن^(١).

٣٢١. أخرج ابن سعد^(٢)، وغيره من طريق حنظلة بن خويلد العنزي قال:

بينما نحن عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، قال: فقال معاوية: ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل.

٣٢٢. أخرج ابن سعد^(٣) - ومن طريقه البلاذري^(٤) - وأحمد^(٥)، من طريق حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو حفص، وكثوم بن جبر، عن أبي غادية قال:

سمعت عمار بن ياسر يقع في عثمان يشتمه بالمدينة^(٦). قال: فتوعدته بالقتل، قلت: لئن أمكنني الله منك لأفعلن، فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس، فقيل: هذا عمار فرأيت فرجة بين الرئتين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعته في ركبته، قال: فوقع فقتلته، فقيل: قتلت عمار بن ياسر. وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن قاتله وسالبه في النار فقيل لعمرو بن العاص: هو ذا أنت تقاتله، فقال: إنما قال: قاتله وسالبه.

رجال إسناده ثقات.

وأخرجه ابن سعد^(٧)، وابن قتيبة^(٨)، والبلاذري^(٩)، وعبد الله بن أحمد^(١٠)، أبو العرب

نضرة عن أبي سعيد الخدري ولكن جعل ذلك في حفر الخندق. قال ابن رجب في الموضع السالف: كذا قال أبو نضرة في روايته، والصحيح أن ذلك كان في بناء المسجد.

(١) راجع في الكلام على باب هذه الرواية (عمار تقتله الفئة الباغية): السنة للخلال ٢/٤٦٢، ٤٦٣، وفتح الباري لابن رجب ٣/٣٠٥ برقم ٤٧٧، وفتح الباري لابن حجر ٢/١٨٩، وتعليق بشار عواد على تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٣٢٧ حاشية ١، وتحفة الأشراف للمزي، ٣/٤١٥ برقم ٤٢٤٨، وراجع تعليق محققه عليه حاشية ٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الطبقات ٣/٢٤١.

(٤) أنساب الأشراف ١/٩٣، ١٩٧.

(٥) المسند ٤/١٩٨.

(٦) لا شك أنه كان يعيب منه أشياء أما أن يسبه ففي رأيي أنه تأويل مبالغ فيه ليس بغريب على رجل لم يتورع عن قتل رجل مات النبي ﷺ وهو له محب راض عنه. والسبب كما سيأتي في الرواية الآتية لا يستوجب قتله كما هو معلوم شرعا أنه لا يجلب دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث..

(٧) الطبقات ٣/٢٤٠-٢٤١.

(٨) المعارف ص ٢٥٧.

(٩) أنساب الأشراف ١/١٩٦، ٣/٩٣.

(١٠) زياداته على المسند ٤/٧٦.

التميمي^(١)، والحاكم^(٢) من طريق ربيعة بن كلثوم بن جبر قال: حدثني أبي قال:

كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر، فقلت: الإذن، هذا أبو غادية الجهني، فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل عليه مقطعات له، فإذا رجل طوال، ضرب من الرجال، كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعت رسول الله ﷺ قلت: بيمينك، قال: نعم، وخطبنا رسول الله ﷺ يوم العقبة، فقال: يا أيها الناس، ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟، فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا كنا نعد عمار بن ياسر فينا حناناً، فبينما أنا في مسجد قباء إذ هو يقول: ألا إن نعتلاً هذا لعثمان، فالتفت فلو أجد عليه أعواناً لو طئته حتى أقتله، قال: قلت: اللهم إنك إن تشأ تمكني من عمار، فلما كان يوم صفين أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجل عورة قطعته في ركبته بالرمح، فعثر فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا رأس عمار. قال: فلم أر رجلاً أبين ضلالة عندي منه إنه سمع من النبي عليه السلام ما سمع، ثم قتل عماراً. قال: واستسقى أبو غادية فأتي بهاء في زجاج فأبى أن يشرب فيها، فأتي بهاء في قدح فشرب، فقال رجل على رأس الأمير قائم بالنبطية: أوى يد كفتنا، يتورع عن الشراب في زجاج ولم يتورع عن قتل عمار.

وأخرج البخاري نحوه في التاريخ^(٣) عن حرمي بن حفص عن مرثد بن عامر سمعت كلثوم بن جبر. وكذلك من طريق آخر^(٤) عن ابن أبي عدي عن ابن عون عن كلثوم.

٣٢٣. أخرج أحمد^(٥)، وغيره من طريق أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال:

لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قتل عمار، وقد قال رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية، فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية. فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؟ إنها قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، - أو قال: بين سيوفنا.

ز - ما جاء في التحكيم

٣٢٤. أخرج ابن أبي شيبة^(٦)، وأحمد^(٧)، والبخاري^(٨)، وابن زنجويه^(٩) من طريق عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت، قال:

(١) المحن ص ١١١، ١١٢-١١٣.

(٢) المستدرک ٣/٣٨٦.

(٣) الأوسط ٢/٨٩٢، ٣/٥٧-٥٨.

(٤) التاريخ الأوسط ٢/٨٩٤.

(٥) المسند ٤/١٩٩.

(٦) المصنف برقم ٣٩٠٦٨، والخبر فيه أطول فراجع.

(٧) المسند ٣/٤٨٥-٤٨٦.

(٨) صحيحه برقم ٤٨٤٤.

(٩) الأموال برقم ٦٥٦.

أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي بالنهر وان، فيما استجابوا له، وفيما فارقه، وفيما استحل قتالهم، قال: كنا بصفين فلما استحر القتل بأهل الشام اعتصموا بتل، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أرسل إلى علي بمصحف، وادعه إلى كتاب الله، فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل، فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرُوقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقال علي: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله، قال: فجاءته الخوارج، ونحن ندعوهم يومئذ القراء، وسيوفهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما ننتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم بسيوفنا، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فتكلم سهل بن حنيف، فقال: يا أيها الناس اهتموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالا لقاتلنا..

٣٢٥. أخرج عبد الرزاق^(١)، البخاري^(٢) من طريق معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال وأخبرني ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال:

دخلت على حفصة ونسواتها تنطف، قلت قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء. فقالت الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة. فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة فهلا أجبتة قال عبد الله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام. فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب حفظت وعصمت.

وأخرج ابن سعد^(٣) نحوه عن يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر قال:

لما كان من موعد علي ومعاوية بدومة الجندل، ما كان أشفق معاوية أن يخرج هو وعلي منها، فجاء معاوية يومئذ على بختي عظيم طويل، فقال: ومن هذا الذي يطمع في هذا الأمر أو يمد إليه عنقه؟ قال ابن عمر: فما حدثت نفسي بالدنيا إلا يومئذ، فإني هممت أن أقول: يطمع فيه من ضربك وأباك عليه حتى أدخلكما فيه، ثم ذكرت الجنة ونعيمها وثارها، فأعرضت عنه.

٣٢٦. أخرج ابن سعد^(٤) عن روح بن عبادة، قال: حدثني المثني القصير، عن محمد بن المنتشر، عن مسروق بن الأجدع، قال:

كنت مع أبي موسى أيام الحكمين وفسطاطي إلى جانب فسطاطه، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل، فلما أصبح أبو موسى رفع رفر فسطاطه، فقال: يا مسروق بن الأجدع، قلت: لبيك أبا موسى قال: إن الإمرة ما أوتمر فيها وإن الملك ما غلب عليه بالسيف.

(١) المصنف ٤٨٣/٥.

(٢) صحيحه برقم ٤١٠٨.

(٣) الطبقات ٤/١٦٩-١٧٠.

(٤) الطبقات ٤/١٠٦.

٣٢٧. أخرج عبد الرزاق^(١)، والقاسم بن سلام^(٢)، وأحمد^(٣)، والفسوي^(٤)، والنسائي^(٥)، وابن زنجويه^(٦)، والحاكم^(٧)، والبيهقي^(٨) من طريق عكرمة بن عمار، قال: حدثنا أبو زميل الحنفي، قال: حدثنا عبد الله بن عباس، قال:

لما اعتزلت الحروراء فكانوا في دارٍ على جدتهم، فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلهمهم. قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى. قال: فليست أحسن ما أقدر عليه من هذه البيانية، قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة. قال: فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها تُفْنُ الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود. قال: فدخلت، فقالوا: مرحبا بك يا بن عباس، ما جاء بك؟ قلت: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله. فقال بعضهم: لا تحدثوه. وقال بعضهم: والله لنحدثنه. قال: قلت: أخبروني ما تنعمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا: ننعم عليه ثلاثاً. قال: قلت: وما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله وقد قال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ [الأحكام: ٥٧]. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفاراً لقد حلّت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: محافضة من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت: أما قولكم حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ رِشْقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]. أنشدكم الله، أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وإصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم بل في حقن دمائهم وإصلاح ذات بينهم. قال أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم عائشة؟! أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟! فقد كفرتم. وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُمْ أَمْهَنُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم مترددون بين ضاللتين، فاختروا أيتهما شئتم. أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم محافضة من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً، فقال: اكتب، هذا ما قاضى عليه محمد رسول

(١) المصنف ١٥٧-١٦٠.

(٢) الأموال برقم ٤٦٤.

(٣) المسند ١/٣٤٢.

(٤) المعرفة والتاريخ ١/٥٢٢.

(٥) السنن الكبرى برقم ٨٥٢٢.

(٦) الأموال برقم ٦٥٥.

(٧) المستدرک ٢/١٥٠.

(٨) السنن الكبرى ٨/١٧٩.

الله . فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله . فقال: والله إني لرسول الله حقا وإن كذبتوني، اكتب يا علي: محمد بن عبد الله . فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي ﷺ؟! أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم . فرجع منهم عشرون ألفا وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

٣٢٨ . أخرج أحمد^(١)، والبيهقي^(٢) من طريق يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال:

جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة، ونحن عندها جلوس، مرجعه من العراق ليالي قتل علي، فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادق عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي، قال: وما لي لا أصدقك؟ قالت: فحدثني عن قصتهم قال: فإن عليا لما كاتب معاوية، وحكم الحكيمين، خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء، من جانب الكوفة، وإنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سمك الله تعالى به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله، فلا حكم إلا لله تعالى . فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذنا فأذن: أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن . فلما أن امتلات الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله عز وجل، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدان إصلاحا يوفق الله بينهما فامة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل ونقموا علي أن كاتب معاوية: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم . فقال: سهيل لا تكتب: بسم الله الرحمن الرحيم . فقال: كيف نكتب؟ فقال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: فاكتب: محمد رسول الله " فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك . فكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا . يقول: الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس، فخرجت معه، حتى إذا توسطنا عسكرهم، قام ابن الكواء يخطب الناس، فقال: يا حملة القرآن، إن هذا عبد الله بن عباس، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرفه به، هذا ممن نزل فيه وفي قومه: قوم خصمون فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله . فقام خطبواؤهم فقالوا: والله لنواضعه كتاب الله، فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله . فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على علي الكوفة، فبعث علي، إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، فقفوا حيث شئتم، حتى تجتمع أمة محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين . فقالت له عائشة: يا ابن شداد، فقد قتلهم فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة . فقالت: آله؟ قال: آله الذي لا إله إلا هو لقد كان . قالت: فما شيء بلغني عن

(١) المسند ١/ ٨٦-٨٧ .

(٢) السنن الكبرى ٨/ ١٧٩، ١٨٠ وانظر تعليق البيهقي عليه .

أهل العراق يتحدثونه؟ يقولون: ذو الثدي، وذو الثدي. قال: قد رأيت، وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيت في مسجد بني فلان يصلي، ورأيت في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك. قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا. قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله عليا إنه كان من كلامه لا يرى شيئا يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث.

٣٢٩. أخرج ابن أبي شيبة^(١) عن يحيى بن آدم، قال: حدثنا يزيد بن عبد العزيز، عن عمر بن حسييل بن سعد بن حذيفة، قال: حدثنا حبيب أبو الحسن العسبي، عن أبي البخري، قال:

دخل رجل المسجد، فقال: لا حكم إلا لله، ثم قال آخر: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّنَا الَّذِينَ لَا يُوْقِنُونَ﴾ ﴿١﴾ فما تدرؤن ما يقول هؤلاء يقولون: لا إمارة، أيها الناس، إنه لا يصلحكم إلا أمير بر، أو فاجر، قالوا: هذا البر قد عرفناه، فما بال الفاجر، فقال: يعمل المؤمن ويملى للفاجر، ويبلغ الله الأجل، وتأمين سبلكم، وتقوم أسواقكم، ويقسم فيؤكم ويجاهد عدوكم ويؤخذ للضعيف من القوي، أو قال: من الشديد منكم.

٣٣٠. أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن عفان، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال سمعت عاصم بن ضمرة، قال:

إن خارجة خرجت على حكم، فقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي: إنه لا حكم إلا لله، ولكنهم يقولون: لا إمارة، ولا بد للناس من أمير بر، أو فاجر، يعمل في إمارته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيه الأجل.

٣٣١. أخرج ابن سعد^(٣) عن عفان بن مسلم، وعمرو بن عاصم الكلابي، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي، قالوا: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال: قال أبو موسى:

كتب إلي معاوية سلام عليك: أما بعد فإن عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعني عليه، وأقسم بالله: لئن بايعتني على ما بايعني عليه لأبعثن ابنك أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة، ولا يعلق دونك باب، ولا تقضى دونك حاجة، وإني كتبت إليك بخط يدي، فاكتب إلي بخط يدك، فقال: يا بني إنما تعلمت المعجم بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال: وكتب إليه مثل العقارب: أما بعد فإنك كتبت إلي في جسيم أمر أمة محمد ﷺ، لا حاجة لي فيما عرضت علي، قال: فلما ولي أتيته، فلم يعلق دوني باب، ولم تكن لي حاجة إلا قضيت.

٣٣٢. أخرج البلاذري^(٤) من طريق وهب بن جرير، حدثنا أبي قال: سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن نافع قال:

(١) المصنف برقم ٣٩٠٨٦.

(٢) المصنف برقم ٣٩٠٦٢.

(٣) الطبقات ٤/١٠٤-١٠٥.

(٤) أنساب الأشراف ٣/١١٩.

لما اجتمعوا بدومة الجندل قال عمرو لابن عمر: إنا قد رأينا أن نبايعك فهل لك أن نعطيك مالا وتدعها لمن هو أحرص عليها منك؟ فوثب ابن عمر مغضباً، فأخذ ابن الزبير بثوبه فجلس وقال: ويحك يا عمرو بعت آخرتك بدنياك، إني والله لا أعطي عليها مالا، ولا أقبل عليها مالا، ولا أقبلها إلا عن رضى جميع الناس.

وأخرجه أبو نعيم^(١) - ومن طريقه ابن عساكر^(٢) - من طريق سليمان بن حرب عن جرير عن يعلى عن نافع^(٣) بلفظ:

لما قدم أبو موسى وعمرو بن العاص أيام حُكْمَا قال أبو موسى: لا أرى لهذا الأمر غير عبدالله بن عمر فقال عمرو لابن عمر إنا نريد أن نبايعك فهل لك أن تعطى مالا عظيماً على أن تدع هذا الأمر لمن هو أحرص عليه منك فغضب ابن عمر فقام فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال يا أبا عبدالرحمن إنا قال تعطى مالا على أن أبايعك فقال ابن عمر ويحك يا عمرو قال عمرو وإنا قلت أجربك قال فقال ابن عمر لا والله لا أعطى عليها شيئاً ولا أعطى ولا أقبلها إلا عن رضى من المسلمين.

والذي أراه أن الخبر رواه وهب عن أبيه بحروفه، بينما رواه سليمان بن حرب بالمعنى فغَيَّرَ من ألفاظه. فإن سليمان عُرِفَ عنه ذلك، يقول الخطيب: «كان سليمان يروى الحديث على المعنى فتتغير ألفاظه»^(٤). وقال الآجري: «سمعت أبا داود يقول: كان سليمان بن حرب يحدث بحديث ثم يحدث به كأنه ليس ذاك»^(٥).

٣٣٣. أخرج البلاذري^(٦) عن أبي خيثمة، حدثنا وهب، عن جويرية بن أسماء عن نافع:

أن ابن عمر شهد مجتمعتهم بأذرح للحكومة وأن عمراً قال له: ما تجعل لي أن صرفتها إليك؟ قال: لا أجعل لك والله شيئاً ولا أقبلها حتى لا يختلف علي فيها اثنان.

٣٣٤. أخرج ابن سعد^(٧) عن معاذ بن معاذ، قال: أخبرنا أبو عون، عن الحسن البصري، قال:

كان الحكمان أبو موسى وعمرو بن العاص، وكان أحدهما يبتغي الدنيا والآخر يبتغي الآخرة.

٣٣٥. أخرج ابن أبي شيبة^(٨) عن عائذ بن حبيب، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن طاووس، قال:

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٩٣ .

(٢) تاريخ دمشق ٢١/ ١٨٤ .

(٣) في المطبوع من الحلية: «جرير عن يحيى عن نافع». قلت: والصواب كما عند ابن عساكر من طريق أبي نعيم نفسه: «جرير عن يعلى عن نافع». وهو الموافق لإسناد البلاذري.

(٤) تاريخ مدينة السلام ١٠/ ٤٨ .

(٥) نفسه ١٠/ ٤٨ .

(٦) أنساب الأشراف ٣/ ١٢٠ .

(٧) الطبقات ٤/ ١٠٦ .

(٨) المصنف برقم ١٢٩٧٠ .

لما تفرق أبو موسى وعمرو بن العاص عن الحكومة، قدم أبو موسى معتمرا، فكنت أطوف أنا وهو بالبيت إذا عرض له رجل، فقال: يا أبا موسى، هذه الفتنة التي كانت تذكر؟ قال: ما هذه إلا حيصة من حيصات الفتن.

٣٣٦. أخرج ابن سعد^(١)، ومسلم^(٢) من طريق حيوة بن شريح قال: حدثنا يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسه المهري قال:

حضرنا عمرو بن العاص، وهو في سياقة الموت، فحول وجهه إلى الحائط يبكي طويلا، وابنه يقول له: ما يبكيك، أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشرك بكذا؟ قال: وهو في ذلك يبكي ووجهه إلى الحائط قال: ثم أقبل بوجهه إلينا، فقال: إن أفضل مما تعد علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، ولكنني قد كنت على أطباق ثلاث قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إلي من رسول الله ﷺ ولا أحب إلي من أن أستمكن منه فأقتله، فلو مت على تلك الطبقة لكنت من أهل النار، ثم جعل الله الإسلام في قلبي، فأتيت رسول الله ﷺ لأبأبعه، فقلت: ابسط يمينك أبأبعك يا رسول الله، قال: فبسط يده، ثم إني قبضت يدي، فقال: ما لك يا عمرو؟ قال: فقلت: أردت أن أشترط، فقال: تشترط ماذا؟ فقلت: أشترط أن يغفر لي، فقال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، فقد رأيتني ما من الناس أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأنني لم أكن أطيع أن أملا عيني إجلالا له، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء بعد فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني، فسنوا علي التراب سنا، فإذا فرغتم من قبوري، فامكثوا عند قبوري قدر ما ينحر جزور، ويقسم لحمها فإني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي.

ح. أهم ما جاء من فقه في وقعتي الجمل وصفين^(٣)

٣٣٧. أخرج ابن سعد^(٤)، وغيره من طريق فطر بن خليفة، عن منذر الثوري قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول، وذكر يوم الجمل قال:

لما تصاففنا أعطاني علي الراية فرأى مني نكوصا لما دنا الناس بعضهم إلى بعض، فأخذها مني، فقاتل بها. قال: فحملت يومئذ على رجل من أهل البصرة، فلما غشيتته قال: أنا على دين ابن أبي طالب، فلما عرفت الذي أراد كفت عنه، فلما هزموا قال علي: لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبرا، وقسم فيؤهم بينهم ما قوتل به من سلاح أو كراع، وأخذنا منهم ما أجلبوا به علينا من كراع، أو سلاح^(٥).

(١) الطبقات ٥/٧٩-٨٠.

(٢) صحيحه برقم ١٢١.

(٣) سأقتصر هنا على ما صح من الروايات، إلا أن أئين.

(٤) الطبقات ٧/٩٤.

(٥) راجع في هذا الباب سنن البيهقي ٨/١٨٢.

٣٣٨. أخرج ابن أبي شيبة^(١) عن هشيم، قال: أخبرنا عروة الهمداني، قال: حدثنا الشعبي، قال:

لما قنت علي في صلاة الصبح أنكروا الناس ذلك، قال: فقال: إنما استنصرنا على عدونا.

وأخرج أبو يوسف^(٢)، ومحمد بن الحسن الشيباني^(٣) عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم:

أن أهل الكوفة إنما أخذوا القنوت عن علي عليه السلام، قنت يدعو على معاوية حين حاربه، وأما أهل الشام فإنما أخذوا القنوت عن معاوية عليه السلام قنت يدعو على علي كرم الله وجهه حين حاربه. قال محمد بن الحسن: ويقول إبراهيم نأخذ، وهو قول أبي حنيفة.

وأخرج ابن أبي شيبة^(٤)، والطحاوي^(٥) من طريق مغيرة، عن إبراهيم، قال:

كان عبد الله لا يقنت في الفجر، وأول من قنت فيها علي، وكانوا يرون، أنه إنما فعل ذلك لأنه كان محاربا.

قلت: وإبراهيم بن يزيد النخعي عن علي منقطع.

وأخرج أبو حنيفة^(٦)، وعبد الرزاق^(٧)، والطبراني^(٨)، وابن الجوزي^(٩) عن حماد عن إبراهيم عن

علقمة والأسود قالوا:

.. ما قنت أبو بكر ولا عمر ولا عثمان حتى ماتوا ولا قنت علي حتى حارب أهل الشام وكان يقنت في الصلوات كلهن وكان معاوية يدعو عليه أيضا يدعو كل واحد منها على الآخر.

وفي أسانيد هؤلاء ضعف.

٣٣٩. أخرج مالك^(١٠) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن غير واحد من علمائهم:

أنه لم يتوارث من قتل يوم الجمل ويوم صفين ويوم الحرة ثم كان يوم قديد فلم يورث أحد منهم من صاحبه شيئا إلا من علم أنه قتل قبل صاحبه. قال مالك: وذلك الأمر الذي لا اختلاف فيه ولا شك عند أحد من أهل العلم ببلدنا..^(١١).

(١) المصنف برقم ٧٠٥٥.

(٢) الآثار برقم ٣٥٢.

(٣) الآثار برقم ٢١٧.

(٤) المصنف برقم ٣٧١٣١.

(٥) شرح معاني الآثار ١/ ٢٥٢.

(٦) مسنده بتحقيق الفارياي ص ٨٣، والجوهر النقي لابن التركماني ٢/ ٢٠٤.

(٧) المصنف ٣/ ١٠٧.

(٨) المعجم الأوسط برقم ٧٤٨٣.

(٩) التحقيق في مسائل الخلاف برقم ٧٨١. وانظر: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، للذهبي ٢١٩-٢٢٠.

(١٠) الموطأ برقم ١٤٨٢.

(١١) يقول أبو الوليد الباجي: "قوله أنه لم يتوارث من قتل يوم الجمل ويوم صفين ويوم الحرة ويوم قديد، وذلك أن هذه الأيام كانت فيها حروب شداد قتل في كل واحدة منها عدد عظيم من الناس حتى تناول ذلك كثيرا ممن كان =

٣٤٠. أخرج ابن أبي شيبة^(١) عن جرير، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال:

قسم عليٌّ مواريث من قتل يوم الجمل على فرائض المسلمين: للمرأة ثمنها، وللابنة نصيبها، وللأبن فريضته، وللأم سهمها.

٣٤١. أخرج أحمد^(٢) من طريق الأشعث عن محمد بن سيرين عن أبي صالح عن علي قال:

إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله عز وجل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَدِّمِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

٣٤٢. أخرج ابن سعد^(٣) عن محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال:

سمعت رجلاً من أهل الشام يحدث في مجلس عمرو بن دينار، فسألت عنه بعد، فقيل: هو يزيد بن يزيد بن جابر يقول - وذكر مقتل عبيد الله بن عمر -:

فإذا عبيد الله بن عمر، وإذا سلاحه بين يدي الرجل^(٤)، فأتى به عليا، فنقله علي سلبه وقومه أربعة آلاف.

٣٤٣. أخرج ابن أبي شيبة^(٥) عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن كثير بن نمر، قال:

جاء رجل برجال إلى علي، فقال: إني رأيت هؤلاء يتوعدونك ففروا، وأخذت هذا، قال: أفأقتل من لم يقتلني، قال: إنه سبك، قال: سبه، أو دع.

٣٤٤. أخرج سعيد بن منصور^(٦)، وابن أبي شيبة^(٧)، وابن عبد البر^(٨) من طريق عطاء بن السائب، عن أبي البخترى، قال:

=يتوارث فجُهل المقتول منهم أولاً فلم يكن بينهم توارث لذلك. ومثال ذلك أن يكون أخوان لأبوين فيقتتلان في مثل ذلك اليوم فلا يعلم أيهما قتل أولاً فهذان لا يرث أحدهما من الآخر وإن كان لا يجب عن ماله ويرث كل واحد منهما من بقي من ورثته إن كان بقي له وارث خاص فإن لم يبق له وارث خاص فبييت المال^(٩). انظر: المنتقى شرح الموطأ. وقال علي بن عبد السلام صاحب البهجة في شرح التحفة (٢/٦٩٦): لم يتوارث من قتل يوم الجمل ويوم صفين ويوم الحرة إلا من علم أنه مات قبل الآخر، وعلى هذا فإذا مات رجل وابنه وأمه وإحدى زوجتيه تحت هدم مثلاً، فللزوجة الأخرى جميع الربع ويستبد بالميته عاصبها، وكذا الأم والأبن، وليس من هذا المعنى من مات عند الزوال بالشرق مع من مات عند الزوال بالمغرب لأن زوال المشرق سابق على زوال المغرب.

(١) المصنف برقم ٣٨٩١٧.

(٢) فضائل الصحابة برقم ١٠٥٧.

(٣) الطبقات ٧/٢١-٢٢.

(٤) يعني قاتله.

(٥) المصنف برقم ٣٨٤١٠.

(٦) سننه برقم ٢٩٥١.

(٧) المصنف برقم ٣٨٩٣٥.

(٨) جامع بيان العلم برقم ١٨٣٥.

لما انهزم أهل الجمل، قال علي: لا يطلبن عبد خارجا من العسكر، وما كان من دابة، أو سلاح فهو لكم وليس لكم أم ولد والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرا، قالوا: يا أمير المؤمنين، تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم، قال: فخاصموه، فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، قال: فهاتوا سهامكم وقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم، قال: فعرفوا وقالوا: نستغفر الله، قال: فخصمهم علي

قلت: وهذا مرسل، وقال ابن عبد البر: « والصحيح أن عليا لم يغنم شيئا من أموال أهل الجمل وصفين، إلا أن السلاح أمر بنزعها ونفلها»^(١).

٣٤٥. أخرج ابن أبي شيبة^(٢) عن وكيع، عن فطر، عن منذر، عن ابن الحنفية:

أن عليا قسم يوم الجمل في العسكر ما أجافوا عليه من سلاح، أو كراع.

٣٤٦. أخرج ابن أبي شيبة^(٣)، والبخاري في تاريخه^(٤) عن أبي أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال:

رددت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن يوم الجمل، استصغرونا.

٣٤٧. أخرج عبد الرزاق^(٥) عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر عن عمرو بن سليم أنه سمع ابن المسيب يقول:

إذا التقت الفتان فما كان بينهما من دم أو جراحة فهو هدر ألا تسمع إلى قول الله عز وجل
﴿ وَإِن طَافَتَا مِن مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا ﴾ [الحجرات: ٩]، فتلا الآية حتى فرغ منها قال: فكل واحدة من الطائفتين ترى الأخرى باغية.

٣٤٨. أخرج مالك^(٦)، وعبد الرزاق^(٧)، وابن أبي شيبة^(٨)، والبيهقي^(٩) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب:

أن رجلا من أهل الشام يقال له ابن خيبري وجد مع امرأته رجلا، فقتله أو قتلها معا فأشكل على معاوية بن أبي سفيان القضاء فيه فكتب إلى أبي موسى الأشعري يسأل له علي بن أبي طالب عن ذلك فسأل أبو موسى عن ذلك علي بن أبي طالب فقال له علي: إن هذا الشيء ما هو بأرضي، عزمت عليك لتخبرني فقال له أبو موسى: كتب إلي معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك. فقال علي: أنا أبو حسن، إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته.

(١) جامع بيان العلم برقم ١٨٣٥.

(٢) المصنف برقم ٣٨٩٧٥.

(٣) المصنف برقم ٣٤٣٨٥.

(٤) الأوسط ٣/٣٤.

(٥) المصنف ١٠/١٢٢.

(٦) الموطأ برقم ١٤١٦.

(٧) المصنف ٩/٣٠٧، ٤٣٣.

(٨) المصنف برقم ٢٨٤٥٨.

(٩) السنن الكبرى ٨/٢٣٠.

٣٤٩. أخرج ابن أبي شيبة^(١) عن أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا زائدة، عن عمر بن قيس، عن زيد بن وهب، قال:

أقبل طلحة والزبير حتى نزلا البصرة وطرحوا سهل بن حنيف، فبلغ ذلك عليا، وعلي كان بعثه عليها، فأقبل حتى نزل بذي قار، فأرسل عبد الله بن عباس إلى الكوفة فأبطؤوا عليه، ثم أتاهم عمار فخرجوا، قال زيد: فكنت فيمن خرج معه، قال: فكف عن طلحة والزبير وأصحابهما، ودعاهم حتى بدؤوه فقاتلهم بعد صلاة الظهر، فما غربت الشمس وحول الجمل عين تطرف ممن كان يذب عنه، فقال علي: لا تتموا جريحا ولا تقتلوا مدبرا ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن فلم يكن قتالهم إلا تلك العشية وحدها. فجاؤوا بالغد يكلمون عليا في الغنيمة فقرأ علي هذه الآية، فقال: أما إن الله يقول: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُكْمَهُ وَاللَّسُّوْلُ﴾ أيكم لعائشة فقالوا: سبحان الله، أمنا، فقال: أحرام هي، قالوا: نعم، قال علي: فإنه يحرم من بناتها ما يحرم منها قال: أفليس عليهن أن يعتددن من القتلى أربعة أشهر وعشرا، قالوا: بلى، قال: أفليس لهن الربع والثلث من أزواجهن، قالوا: بلى، قال: ثم قال: ما بال اليتامى لا يأخذون أموالهم، ثم قال: يا قنبر، من عرف شيئا فليأخذه، قال زيد: فرد ما كان في العسكر وغيره. قال: وقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان، فقال علي: ليس عندي دم عثمان، قال: قال عمر بن قيس: فحدثنا رجل من حضرموت يقال له أبو قيس، قال: لما نادى قنبر من عرف شيئا فليأخذه، مر رجل على قدر لنا ونحن نطبخ فيها فأخذها، فقلنا: دعها حتى ينضج ما فيها، قال: فضربها برجله، ثم أخذها.

٣٥٠. أخرج مسلم^(٢)، وغيره من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال:

أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى. وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا لها فقال: ادعوا لي عليا. فأتى به أرمم فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

٣٥١. قال أبو يوسف^(٣):

إن الصحيح عندنا من الأخبار عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه لم يقاتل قوما قط من أهل القبلة ممن خالفه حتى يدعوه، وأنه لم يتعرض بعد قتالهم وظهوره عليهم لشيء من مواريتهم ولا لنسائهم ولا لزراريتهم، ولم يقتل منهم أسيرا، ولم يذفف منهم على جريح، ولم يتبع منهم مدبرا. وأما ما كان من عسكرهم وما أجلبوا به إليهم، فقد اختل علينا فيه، فمنهم من قال: قسم ما أجلبوا به عليه في عسكرهم بعد أن خسه، وقال بعضهم: رده على أهله ميراثا بينهم، وأما ما لم يكن معهم في عسكرهم من الأموال والمساكن والضياع فتركها لأهلها ولم

(١) المصنف برقم ٣٨٩٨٨.

(٢) صحيحه برقم ٢٤٠٤ (٣٢) وقد سبق تخريجه.

(٣) الخراج ص ٢١٤.

يتعرض لها ، ومما ترك النشاطج بالكوفة لطلحة ، وأموال طلحة والزبير بالمدينة ، وضياع أهل البصرة ومساكنهم وأموالهم .

٣٥٢ . أخرج البخاري^(١) ، من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبي بكرة قال :

لما كان يوم حَرَّق ابن الحضرمي ، حين حرقه جارية بن قدامة ، قال : أشرفوا على أبي بكرة ، فقالوا : هذا أبو بكرة يراك ، قال عبد الرحمن : فحدثني أُمِّي عن أبي بكرة ، أنه قال : لو دخلوا علي ما بهشت بقصبة .

قلت : وقد بين ذلك الطبري في تاريخه^(٢) بإسناده في حوادث سنة ثمان وثلاثين : أن علي بن أبي طالب استخلف زياد ابن سمية على البصرة فأرسل معاوية عبدالله بن عمرو بن الحضرمي ليأخذ له البصرة ، فنزل في بني تميم وانضمت إليه العثمانية فكتب زياد إلى علي بن أبي طالب يستنجده فأرسل إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي فقتل غيلة فبعث علي بعده جارية بن قدامة فحصر ابن الحضرمي في الدار التي نزل فيها في عدة رجال من أصحابه بعد الإغذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم ينيبوا ولم يرجعوا ، فأضرم عليهم الدار فأحرقهم فيها ، وهدمت عليهم .

٣٥٣ . أخرج البخاري^(٣) ، من طريق سفیان ، عن أيوب ، عن عكرمة :

أن عليا رضي الله عنه ، حَرَّق قوما ، فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تعذبوا بعذاب الله » ، ولقتلتهم كما قال النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

ورواه البخاري^(٤) ، من طريق أخرى عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال :

أُتي علي رضي الله عنه ، بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس ، فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم ، لنهي رسول الله ﷺ : « لا تعذبوا بعذاب الله » ، ولقتلتهم ، لقول رسول الله ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » .

(١) صحيحه برقم ٧٠٧٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١١٠ - ١١٢ .

(٣) صحيحه برقم ٣٠١٧ .

(٤) صحيحه برقم ٦٩٢٢ .

ثَبَّتَ الْمَطَارَ وَالْمَرْجِعَ

أولاً:

١. القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

٢. الآحاد والمثاني (٦ ج)، الضحاك بن مخلد (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة العكبري عبيد الله بن محمد (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق: حمد التويجري، دار الراية، الرياض، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤. تحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (١١ ج بالفهارس)، للبوصيري أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق عادل سعد، والسيد محمود، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٥. إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
٦. أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة، انتخاب ابن قاضي شهبة، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٧. الاحتجاج على أهل اللجاج، للطبرسي أحمد بن علي، تعليق محمد باقر الموسوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٨. الإحكام في أصول الأحكام (٤ ج)، لعلي بن حزم (ت ٤٥٧هـ)، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، ٢٠٠٨م.
٩. أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٠. أحوال الرجال، للجوزجاني إبراهيم بن يعقوب (ت ٢٥٩هـ)، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم، فيصل اباد، باكستان، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١. أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
١٢. الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مكتبة المنشي، بغداد، د. ت.

١٣. أخبار القضاة، لو كيع محمد بن خلف (ت ٣٠٦ هـ)، مراجعة سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٤. أخبار المدينة - المطبوع بعنوان تاريخ المدينة المنورة - (٤ ج)، لعمر بن شبة (٢٦٢ هـ)، تحقيق فهد شلتوت، دار التراث بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. وتحقيق الكتاب ليس بالجيد.
١٥. أدب الكتاب، للصولي محمد يحيى (ت ٣٣٥ هـ)، تحقيق محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد. د. ت.
١٦. إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري (١٠ ج)، للقسطاني أحمد بن محمد، المطبعة الأميرية، بيولاق، القاهرة، ١٣٢٣ هـ.
١٧. الإرشاد في معرفة علماء العباد، للخليل بن عبد الله الخليلي القزويني (ت ٤٤٦ هـ)، ضبطه عامر حيدر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
١٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤ ج)، لابن عبد البر يوسف بن عمر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
١٩. الإصابة في تمييز الصحابة (٨ ج بالفهارس)، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٢٠. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، طبعة مصورة عن طبعة قديمة.
٢١. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريق، للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)، تحقيق: فرانز روز نثال، ترجم التعليقات د. صالح العلي، دار الكتب العلمية. د. ت.
٢٢. الأغاني (٢٤ ج)، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين الأموي (ت ٣٥٦ هـ)، تحقيق: مجموعة من كبار المحققين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م.
٢٣. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، للطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، ١٤٠٠ هـ.
٢٤. الإكليل، للحسن بن أحمد الهمداني (ت نحو ٣٥٠ هـ)، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، منشورات المدينة، بيروت، د. ت. وجزء منه بتحقيق محب الدين الخطيب، ١٣٦٨ هـ.

٢٥. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (٧ ج)، لابن ماکولا علي بن هبة الله (ت ٤٧٥ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، تصوير دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، د. ت.
٢٦. الإلزامات والتتبع، للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٧. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض بن موسى (ت ٥٤٤ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٠ م.
٢٨. الأم (١١ ج)، للشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ)، دار الوفاء، المنصورة، ط ٣، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٩. الإمامة والرد على الرافضة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، تحقيق: علي بن محمد الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٠. الإمامة والسياسة - المنسوب لابن قتيبة الدينوري - مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
٣١. أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل، للحر العاملي محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، طبع حجر، ١٨٨٥ م.
٣٢. الأموال (٢ ج)، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: سيد رجب، دار الهدى النبوي، المنصورة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٣٣. الأنساب (١٣ ج)، للسمعاني عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ)، اعتنى بتصحيحه، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، مصورة عن الطبعة الهندية، د. ت.
٣٤. أنساب الأشراف، للبلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: د. محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩ م.
٣٥. أنساب الأشراف (١٣ ج)، للبلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، ود. رياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٣٦. البحر الزخار، المعروف بمسند البزار (١٩)، للبزار أحمد بن عمرو (ت ٢٩٢ هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، وأئمة: عادل سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٧. البدء والتاريخ (٦ ج)، لمطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥ هـ)، اعتنى به: كلمان هوار، طبعة مصورة لمكتبة الثقافة الدينية عن الطبعة المطبوعة بفرنسا، د. ت.

٣٨. البداية والنهاية (٢١ ج بالفهارس)، لابن كثير إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع دار هجر، القاهرة، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.
٣٩. بغية الطلب في تاريخ حلب (١٢ ج)، لابن العديم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠ هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٤٠. بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ٣، ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.
٤١. تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠ ج)، للزبيدي محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج وآخرين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
٤٢. التاريخ، لخليفة بن خياط (ت ١٤٠ هـ)، تحقيق: د سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.
٤٣. التاريخ، ليحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ)، رواية الدوري، تحقيق: أحمد نور سيف، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩ م.
٤٤. التاريخ، لأبي زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو (ت ٢٨١ هـ)، تحقيق: شكر الله القوجاني، وهي غير معلومة الناشر وتاريخ النشر، رغم قيمة الطبعة وندرتها، وأصلها رسالة الدكتوراه للمحقق.
٤٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١٧ ج)، ، للذهبي (٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. بشار عواد تدمري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.
- تاريخ ابن أبي خيثمة = التاريخ الكبير.
- تاريخ أصبهان = ذكر أخبار أصبهان.
- التاريخ الأوسط، للبخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: تيسير بن سعد أبو حيمد، ويحيى ابن عبد الله الثمالي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.
٤٦. تاريخ بغداد (١٤ ج)، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة. د.ت. وهي طبعة يكثر بها التصحيف، وقد أعاد الدكتور بشار عواد تحقيقه بعنوان: تاريخ مدينة السلام. سيأتي.
٤٧. تاريخ الثقات للعجلي أحمد بن عبد الله (ت ٢٦١ هـ)، بترتيب الهيثمي علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ-١٩٨٤ م.
٤٨. تاريخ جرجان، للسهمي حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧ هـ)، طبعة جديدة لدار عالم الكتب ببيروت (١٤٠٧ هـ-١٩٨٧ م) عن الطبعة الهندية لدائرة المعارف العثمانية، بمراقبة: محمد عبد المعيد خان.

- تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتدأ والخبر.
٤٩. تاريخ الخلفاء، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر الأسيوطي (ت ٩١١هـ)، اعتنى به محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- تاريخ دمشق = تاريخ مدينة دمشق.
٥٠. تاريخ الرسل والملوك (أو تاريخ الطبري ١٠ ج)، للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٩ م.
٥١. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، دون محقق، دون تاريخ.
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك.
٥٢. تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، تحقيق: أحمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.
- تاريخ قزوين = التدوين في أخبار قزوين.
٥٣. التاريخ الكبير (٨٠ ج)، للبخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، طبعة مصورة عن الطبعة الهندية لدار الفكر، بيروت، د.ت.
٥٤. التاريخ الكبير (٦ ج)، لابن أبي خيثمة أحمد بن زهير (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: صلاح فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م.
٥٥. تاريخ مدينة دمشق (٨٠ ج)، لابن عساكر علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، تحقيق عمر غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥٦. تاريخ مدينة السلام (١٧ ج بالفهارس)، للخطيب أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تاريخ المدينة المنورة = أخبار المدينة.
٥٧. تاريخ هاشم بن مرثد الطبراني (ت ٢٧٨هـ)، تحقيق: أحمد خليل الشال، دار السقيفة، ومكتبة السنة، بورسعيد، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٥٨. تاريخ اليعقوبي (٢ ج)، لليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٩٢هـ تقريباً)، دار صادر. د.ت.
٥٩. التاوتي تشينج، ترجمة فراس سواح، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٨ م.

٦٠. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: نور الله شوكت، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٦١. تبصير المنتبه بتحرير المشته (٤ج)، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: علي البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.
٦٢. تجارب الأمم وتعاقب الهمم (٥ج)، لمسكويه أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٦٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٢ج)، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مازن السرساوي، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣١هـ.
٦٤. التدوين في أخبار قزوين (٤ج)، للقزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ)، تحقيق: عزيز الله العطاردي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع بمكة المكرمة.
٦٥. تذكرة الحفاظ (٤ج)، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، طبعة مصورة عن الطبعة الهندية لدار الكتب العلمية، بيروت.
٦٦. تصحيقات المحدثين، لأبي أحمد العسكري الحسن بن عبد الله (٣٨٢هـ)، تحقيق: محمود ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٦٧. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة (٢ج)، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- تفسير الطبري = جامع البيان.
٦٨. تفسير القرآن العظيم (٨ج)، لابن كثير إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، دار الشعب، القاهرة، د. ت.
- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم.
٦٩. تقريب التهذيب، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٧٠. تلخيص المستدرک، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)، مطبوع بذيل المستدرک للحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، د. ت.
٧١. التمييز، لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: عبد القادر محمد مصطفى، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٧٢. التنبيه والإشراف، للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، طبعة مصورة لدار صادر عن طبعة مطبعة بريل بليدن ١٨٩٣ م.
٧٣. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أبي فهر محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٢ م.
٧٤. تهذيب التهذيب (٦ ج بالفهارس)، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣ م.
٧٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥ ج)، للمزي يوسف بن الزكي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م.
٧٦. تهذيب اللغة (١٧ ج بالفهارس)، للأزهري محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، د. ت.
٧٧. توجيه النظر إلى أصول الأثر (٢ ج)، لطاهر بن محمد الجزائري (ت ١٣٣٨هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار السلام، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩ م.
٧٨. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواه (١٠ ج بالفهارس)، لابن ناصر الدين محمد بن عبد الله (٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣ م.
- . الثقات للعجلي = تاريخ الثقات.
٧٩. الثقات (١٠ ج بالفهارس)، لابن حبان محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، طبعة مصورة لدار الفكر عن الطبعة الهندية سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣ م.
٨٠. جامع بيان العلم وفضله (٢ ج) لابن عبد البر يوسف بن عمر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٤ م.
٨١. جامع البيان عن تأويل القرآن (٢٦ ج)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.
٨٢. الجامع الكبير للترمذي (٦ ج)، تحقيق د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨ م.
٨٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ ج)، للخطيب أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦ م.

٨٤. الجرح والتعديل (٩ج)، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت٣٢٧هـ)، طبعة مصورة لدار الفكر عن الطبعة الهندية.
٨٥. الجمل ومسير عائشة وعليّ، لسيف بن عمر = الردة والفتوح.
٨٦. جمهرة الأجزاء الحديثية، يحتوي على ١٩ جزء حديثي، تحقيق محمد زياد تكله، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢١هـ.
٨٧. جمهرة أنساب العرب، لابن حزم علي بن أحمد (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
٨٨. جمهرة اللغة، لابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
٨٩. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (٢ج)، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض.
٩٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١١ج بالفهارس)، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، طبعة مصورة لدار الفكر عن الطبعة المصرية المطبوعة سنة ١٣٥٧هـ.
٩١. الحيوان (٧ج)، للجاحظ عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢هـ.
٩٢. الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ)، توثيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
٩٣. دلائل النبوة (٧ج)، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩٤. دراسات عن المؤرخين العرب، لمرجليوث، ترجمة حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
٩٥. ديوان الأعشى، تحقيق د. محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩٦. ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق: سجع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٩٧. ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٩٨. ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
٩٩. ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٠٠. ديوان القطامي التغلبي، تحقيق: محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.
١٠١. ديوان كعب بن مالك، تحقيق: سامي مكّي العاني، منشورات مكتبة النهضة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
١٠٢. ديوان ليبد بن ربيعة، تحقيق: إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م.
١٠٣. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
١٠٤. ذكر أخبار أصبهان - المطبوع باسم تاريخ أصبهان - (٢ج)، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٠٥. الرجال، لابن الغضائري حسين بن عبيد الله (ت ٤١١هـ)، تحقيق: محمد رضا الحسيني، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.
١٠٦. الرجال، لابن المطهر الحلي حسن بن يوسف، طبع حجر، ١٣١٢هـ.
١٠٧. رجال النجاشي أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)، المطبعة المصطفوية، بومباي، د.ت.
١٠٨. الردة والفتوح، ومعه: كتاب الجمل ومسير عائشة وعليّ، سيف بن عمر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: د.قاسم السامرائي، دار أمية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٠٩. الرسالة، للشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.
١١٠. رسالة أبي داود إلى أهل مكة، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١١١. الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد بن عبد الله المحب الطبري (ت ٦٩٤هـ)، دار المنار، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. وهي طبعة تجارية رديئة.
١١٢. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٣ج)، للصالح الشامي محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- السقيفة = كتاب سليم بن قيس الهلالي.
١١٣. السقيفة وفدك، للجوهري أحمد بن عبد العزيز (ت ٣٢٣هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، بيروت، ١٩٩٣م.

١١٤. السنن (ج٢)، لسعيد بن منصور (ت٢٢٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
١١٥. السنن (ج٢) لابن ماجه محمد يزيد (ت٢٧٣ أو ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان، القاهرة. د.ت
١١٦. السنن (ج٦)، لأبي داود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار المنهاج، جدة، ط٣، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
١١٧. السنن (ج٨ بالفهارس)، للنسائي أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، دار الريان، القاهرة، د.ت.
١١٨. السنن الكبرى (ج١٢ بالفهارس) للنسائي أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١١٩. السنن الكبرى (ج١٠)، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، طبعة مصورة لدار الفكر عن الطبعة الهندية.
١٢٠. السنة، لابن أبي عاصم الضحاك بن مخلد (ت٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٢١. السنة (ج٢)، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ت٢٩٠هـ)، تحقيق: د. محمد سعيد سالم، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣١هـ.
١٢٢. السنة (ج٧)، للخلال أحمد بن محمد (ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٢٣. السنن (ج٦)، للدارقطني علي بن عمر (ت٣٨٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٢٤. سؤالات أبي زرعة الرازي للبرذعي، تحقيق: سعدي الهاشمي، مطبوع مع كتاب أبي زرعة الرازي، وجهوده في السنة، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٢٥. سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٢٦. سؤالات حمزة السهمي للدارقطني، تحقيق: موفق بن عبد الله، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٢٧. سؤالات أبي داود لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: زياد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٢٨. سير أعلام النبلاء (٢٥ ج بالفهارس)، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٢٩. السيرة، لابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب، د. ت.
١٣٠. السير والمغازي، لابن إسحاق (ت ١٥١هـ)، تحقيق، د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٣١. السيرة النبوية (٢ ج)، لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
١٣٢. السيرة النبوية (٢ ج)، لابن هشام (ت ٢١٨هـ) بشرح الوزير المغربي الحسين بن علي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٣٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨ ج)، لعبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية (طبعة مصورة عن طبعة قديمة)، بيروت، د. ت.
١٣٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤ ج)، اللالكائي هبة الله بن الحسن (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٣٥. شرح السنة (١٦ ج)، للبعوي الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويشي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٣٦. شرح صحيح مسلم (١٨ ج)، للنووي يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، مطبوع على صحيح مسلم، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٣٧. شرح علل الترمذي (٢ ج)، لابن رجب الحنبلي عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٤، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. وطبعة أخرى بتحقيق: نور الدين عتر، دار الملاح، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
١٣٨. شرح مشكل الآثار (١٦ ج)، للطحاوي أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٣٩. شرح معاني الآثار (٥ ج بالفهارس)، للطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، راجعه وفهرسه: د. يوسف المرعشلي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٤٠. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد أبو حامد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط ٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٤١. الشريعة (٦ ج)، للأجري محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميحي، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٤٢. الشعر والشعراء (٢ ج)، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
١٤٣. الشمايخ في علم التاريخ، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٠٠هـ-١٩٩١م.
١٤٤. الشمائل المحمدية، للترمذي محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد المجيد الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
١٤٥. صحيح البخاري (٩ ج)، للبخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
١٤٦. صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان ت ٧٣٩هـ، ١٨ ج بالفهارس)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٤٧. صحيح ابن خزيمة (٤ ج)، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٤٨. صحيح مسلم، (٢ ج)، عناية: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٤٩. الضعفاء الصغير، للبخاري محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: أحمد إبراهيم أبو العينين، مكتبة ابن عباس، سمند، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٥٠. الضعفاء الكبير (٧ ج)، للعقيلي محمد بن عمرو (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: مازن السرساوي، دار ابن عباس، سمند، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٥١. الضعفاء والمتروكين، للنسائي أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٥٢. الضعفاء والمتروكون، للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق عبد الله، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٥٣. الطبقات، لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
١٥٤. طبقات فحول الشعراء (٢ج)، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ)، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ت.
١٥٥. الطبقات الكبير (١١ ج بالفهارس)، لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٢ م. وهي الطبعة التي كان إليها العزرو. وفهارسها ضعيفة رديئة رغم جودة تحقيق الكتاب.
١٥٦. طلبة الطلبة، لعمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ)، ضبط وتعليق: خالد العك، دار النفائس، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
١٥٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (٧ج)، طبعة مصورة لدار إحياء التراث العربي ببيروت عن طبعة بولاق.
١٥٨. العقد الفريد (٧ج بالفهارس)، لابن عبد ربه أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، طبعة مصورة للهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، ٢٠٠٤ م.
١٥٩. العلل، لابن المديني علي بن عبد الله (ت ٢٣٤هـ)، تحقيق: حسام محمد، دار غراس، الكويت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٦٠. علل الترمذي الكبير، ترتيب أبي طالب القاضي، تحقيق: محمود خليل وآخرين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١٦١. العلل (٧ج بالفهارس)، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق فريق من الباحثين، بإشراف د. خالد الجريسي، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٦٢. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢ج)، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، قدم له: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

١٦٣. العلل الواردة في الأحاديث النبوية (١٦ ج)، للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، وأتمه: محمد صالح الدباسي، دار طيبة، ودار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٤٢٧هـ.
١٦٤. العلل ومعرفة الرجال (٤ ج بالفهارس)، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله عباس، دار الخاني، الرياض، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٦٥. علوم الحديث، لابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣)، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨ م.
١٦٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٥ ج)، لبدر الدين العيني محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٦٧. العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٦، ١٤١٢ هـ.
١٦٨. عيون الأخبار (٤ ج)، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب للمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة.
١٦٩. غريب الحديث، للحري إبراهيم بن إسحاق (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: سليمان العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- فتاوى ابن تيمية = مجموع فتاوى شيخ الإسلام.
١٧٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٧ ج بالمقدمة)، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، اعتنى به: نظر محمد الفارياي، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٧١. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٥ ج)، للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق: عبد الكريم الخضير، ومحمد فهيد، دار المنهاج، الرياض، ط ٢، ١٤٢٨ هـ.
١٧٢. الفتن، لنعيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ)، تحقيق: سمير الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، د.ت.
١٧٣. الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٧٤. فتوح البلدان، للبلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ م.

١٧٥. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ)، تحقيق: عبد القادر مايو، دار القلم العربي، حلب، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٧٦. فرق الشيعة للنوبختي، تحقيق هـ. ريتز، المعهد الألماني، ١٩٣١ م.
١٧٧. فضائل الصحابة (٢ج)، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله عباس، دار ابن الجوزي، الرياض، ط ٣، ١٤٢٦ هـ.
١٧٨. فضل العرب، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٦٧هـ)، تحقيق: وليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٨ م.
١٧٩. فهرس الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، طبعة قديمة، لكهنو، ١٨٧٠ هـ.
١٨٠. الفهرست (٢ج)، للنديم محمد بن إسحاق (بعد ٣٧٧هـ)، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٨١. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: المعلمي اليمني، القاهرة، د.ت.
١٨٢. القضاة، للكندي محمد بن يوسف (ت ٣٦٠هـ)، مطبوع مع كتاب الولاية له، تحقيق: رفن كست، طبعة مصورة لمؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
١٨٣. الكافي، أبو جعفر الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
١٨٤. الكامل (٤ج)، للمبرد محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د. محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٨٥. الكامل في التاريخ (١٠ج)، لابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٨٦. الكامل في ضعفاء الرجال (٨ج بالفهارس)، لعبد الله بن عدي (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: د. سهيل زكار، ويحيى غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
١٨٧. الكامل في التاريخ (١٠ج بالفهارس)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٥، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٨٨. كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري، مطبعة الهادي، قم، ١٤٢٠ هـ.
١٨٩. كتاب الموتى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩ م.

١٩٠. كشف الأستار بزوائد البزار، للهيثمي علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٩١. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (٢ج)، للخطيب أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى الدمياطي، مكتبة ابن عباس، سمود، ٢٠٠٢م.
١٩٢. كُنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٨ج)، لعلي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١٩٣. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية (٣ج بالفهارس)، للسيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٩٤. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
١٩٥. لسان الميزان (١٠ج)، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٩٦. المجروحين (٣ج)، لمحمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط ٢، ١٤٠٢هـ.
١٩٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠ج)، للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م.
١٩٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، دار التقوى، بليس، د.ت.
١٩٩. المحبر، لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق: د. إيلزة ليختن، طبعة مصورة لدار الآفاق الجديدة ببيروت عن الطبعة الهندية.
٢٠٠. المحلي (١١ج)، لابن حزم علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة، د.ت.
٢٠١. المحن، لأبي العرب محمد بن أحمد (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٠٢. مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم (٧ج)، لابن الملقن عمر بن علي (٨٠٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمد، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ.
٢٠٣. المختصر في أخبار البشر (٢ج)، لأبي الفداء، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٠٤. المختصر في علم التاريخ، للكافيحي، تحقيق: فرانز روزنتال، ملحق بكتاب: علم التاريخ عند المسلمين.
٢٠٥. المدخل إلى معرفة الإكليل، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، دار الهدى، ميت غمر، د.ت.
٢٠٦. المراسيل، لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: شكر الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٠٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ ج)، للمسعودي علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة مصورة للمكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٠٨. المستدرک على الصحيحين (٤ ج)، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، طبعة مصورة لمكتب المطبوعات الإسلامية بحلب عن الطبعة الهندية.
٢٠٩. المسند (٤ ج)، للطيالسي سليمان بن داود (ت ٢٠٤هـ)، محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٢١٠. المسند (٢ ج)، للحميدي عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢١١. المسند (٥٢ ج بالفهارس)، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١٢. المسند (١٦ ج بالفهارس)، لأبي يعلى أحمد بن علي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢١٣. مسند الدارمي (٤ ج)، للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين أسد، دار المغني، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٢١٤. مسند الشاميين (٤ ج)، للطبراني سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢١٥. مشيخة ابن طهمان، إبراهيم بن طهمان (ت ١٦٣هـ)، تحقيق: د. محمد طاهر مالك، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢١٦. المصنف (١٢ ج بالفهارس)، لعبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢١٧. المصنف (٢٦ ج بالفهارس)، لابن أبي شيبة عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٢١٨. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (١٩ ج بالفهارس)، لابن حجر (٨٥٢)، تنسيق: الشثري سعد بن ناصر، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢١٩. المعارف، لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٦٧هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٦، ١٩٩٢ م.
٢٢٠. معجم الأدباء (٧ ج بالفهارس)، لياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م. وهي أحسن طبعات المعجم.
٢٢١. معجم البلدان (٥ ج)، لياقوت (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، د. ت.
٢٢٢. المعجم الأوسط (١٠ ج بالفهارس)، للطبراني سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق عوض، وعبد المحسن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٢٣. المعجم الكبير (١٨ ج)، للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد، مؤسسة الريان، بيروت، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٢٤. المغرب، للجواليقي موهوب بن أحمد، (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
٢٢٥. معرفة أخبار الرجال، الكشي محمد بن عمر (ت نحو ٣٤٠هـ)، المطبعة المصطفوية، بومباي، د. ت.
٢٢٦. معرفة أنواع علم الحديث، لابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٢٧. معرفة الرجال، لابن محرز عن يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، تحقيق: محمد كامل القصار، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٢٨. معرفة السنن والآثار (٧ ج)، للبيهقي أحمد بن الحسن (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

٢٢٩. معرفة علوم الحديث، للحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: السيد معظم حسين، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط ٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٢٣٠. المعرفة والتاريخ (٤ج)، للفسوي يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.
٢٣١. المغازي، للزهري (ت ١٢٤هـ)، رواية عبد الرزاق، المصنف (الجزء ٥ ص ٣١٣-٤٩٢)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٣٢. المغازي، موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ)، جمع ودراسة: محمد باقشيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بأكادير، جامعة ابن زهر. المغرب.
٢٣٣. المغازي (٣ج) للواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢٣٤. مقاتل الطالبين، (٢ج) لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٣٥. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: هلموت ريتز، النشرات الإسلامية، المعهد الألماني، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٢٣٦. مقاييس اللغة (٦ج)، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٣٧. مقدمة ابن خلدون (٣ج)، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
٢٣٨. المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: د. نايف بن هاشم الدعيس، دار تهامة، جدة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٣٩. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت.
٢٤٠. المنتخب من كتاب ذيل المذيل، للطبري محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبوع مع ذبول تاريخ الطبري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢٤١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٩ ج بالفهارس)، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
٢٤٢. من كلام أبي زكريا في الرجال، رواية ابن طهman يزيد بن الهيثم، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق، د. ت.
٢٤٣. منهاج السنة النبوية في نقص كلام الشيعة والقدريّة، لابن تيمية أحمد بن عبد الحلّيم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٤٤. موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر (٢ ج)، لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ٣، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٢٤٥. المؤتلف والمختلف (٥ ج)، للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق: موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٤٦. الموضوعات (٤ ج)، لابن الجوزي عبد الرحمن علي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: نور الدين بن شكري، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٤٧. الموطأ (٢ ج)، للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٤٨. الموفقيات، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢ م.
٢٤٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٧ ج)، للذهبي محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٥٠. نسب قريس، للزبيري مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ)، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ م.
٢٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥ ج)، لابن الأثير المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
٢٥٢. نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح محمد عبده، مؤسسة الأعلی للمطبوعات، بيروت، د. ت.
٢٥٣. الوافي، للفيض الكاشاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي العامة، أصفهان، ١٣١٢ هـ.

٢٥٤. الوافي بالوفيات (٢١ج)، للصفدي خليل بن أبيك، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٥٥. وسائل الشيعة في تسهيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)

٢٥٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٥٧. الولاة، للكندي محمد بن يوسف (ت ٣٦٠هـ)، مطبوع مع كتاب القضاة له، تحقيق: رفن كست، طبعة مصورة لمؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ت.

ثالثا: المراجع العربية والمترجمة:

٢٥٨. أبو بكر الصديق، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٥٩. اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩١م.

٢٦٠. الأدب المصري القديم، لسليم حسن، ضمن موسوعة مصر القديمة، = مصر القديمة.

٢٦١. الإرشادات في تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات، طارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٦٢. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، دار السلام، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٦٣. استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، لخالد بن محمد الغيث، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

٢٦٤. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦٥. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، علي الصلابي، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

٢٦٦. أصول مذهب الشيعة، ناصر بن عبد الله الففاري، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٦٧. الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٢٦٨. الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، علي محمد الصلابي، دار التقوى، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦٩. أنباط التوثيق في المخطوط العربي، د.عابد سليمان المشوخي، الرياض، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٢٧٠. الإيمان بالغيب، لبسام سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٧١. بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٢٧٢. البيان والتعريف بسرقة الحديث النبوي الشريف، لموفق عبد القادر، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٧٣. بيت الأحزان في ذكر أحوال سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، لعباس القمي، دار التعارف، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٧٤. التاريخ، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد، وآخرين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.
٢٧٥. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة: ترجمة: محمود فهمي حجازي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢٧٦. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ترجمة: محمود فهمي حجازي وآخرين، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٧٧. تاريخ التمدن الإسلامي، لرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٧٨. تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، يوليوس فلهوزن، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٧٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، لكارل بروكلمان، ترجمة: أمين فارس، ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٦٨م.
٢٨٠. تاريخ العرب العام، سيديو، ترجمة: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
٢٨١. التاريخ العربي والمؤرخون، شاكرا مصطفى، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.
٢٨٢. تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، لمحمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ت.
٢٨٣. تاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

٢٨٤. التاريخ وكيف يفسرونه، ألبان ويدجري، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٨٥. التاريخ والمؤرخون، د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٨٦. تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

٢٨٧. تاريخنا بين تزوير الأعداء وغفلة الأبناء، يوسف العظم، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٨٨. تاريخنا المفترى عليه، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٢٨٩. تحرير علوم الحديث، عبد الله بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان، بيروت، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٩٠. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، د. محمد أمزون، دار طيبة، ومكتبة الكوثر، ط٣، ١٤٢٠هـ،

١٩٩٩م.

٢٩١. التزوير والانتحال في المخطوطات العربية، د. عابد سليمان المشوخي، أكاديمية نايف العربية،

الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٩٢. التصحيف، لأسطيري جمال، دار طيبة، الرياض.

٢٩٣. التفسير الإسلامي للتاريخ، لعماذ الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

٢٩٤. تفسير التاريخ علم إسلامي، د. عبد الحلیم عويس، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٩٥. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، لمحمد بن يحيى المالقي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. كرم

حلمي فرحات، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٩٦. توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، لموفق عبد القادر، دار التوحيد للنشر، الرياض،

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٩٧. التوثيق بين الشيعة الإمامية وأهل السنة، لأحمد حارس سحيمي، دار السلام، القاهرة، ط٢،

١٤١٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٩٨. التقويم في النقوش العربية الجنوبية، لألفرد بيستون، ترجمة: سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي

للتقافة والتراث، ٢٠٠٩م.

٢٩٩. توثيق السنة في القرن الثاني الهجري، د. رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة،

١٤٠٠هـ-١٩٨١م.

٣٠٠. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، علي الصلابي، دار الإيوان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٣٠١. جبهة تصانيف العرب، أحمد خليل الشال، دار السقيفة، مكتبة السنة، بورسعيد، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٣٠٢. جهود المحدثين في بيان علل الحديث، د. علي الصباح، دار المحدث، الرياض، ١٤٢٥هـ.
٣٠٣. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، لعبد الكريم الخضير، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ.
٣٠٤. الحضارة العربية، جاك ريسلر، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٠٥. حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، ٢٠٠٦م.
٣٠٦. حول التفسير الإسلامي للتاريخ، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣٠٧. خالد وعمر، بحث نقدي في مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، ترجمة: محمد جديد، نشر قَدْمُس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١م.
٣٠٨. خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد فقيهي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ.
٣٠٩. دراسات عن مقدمة ابن خلدون، لساطع الحصري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦١م.
٣١٠. دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، لعبد السلام ابن محسن آل عيسى، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣١١. الدولة الأموية المفترى عليها، د. حمدي شاهين، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٣١٢. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد حسن أغا بزرك الطهراني، طبع على نفقة شركة طهرانية.
٣١٣. رجال الحاكم في المستدرك، للوادعي مقبل بن هادي (ت ١٤٢٢هـ)، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣١٤. رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكريا ومادة، لماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٣١٥. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٢٤٧هـ-٢٠٠٦م.
٣١٦. رواة محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي والسير وسائر المرويات، لمطاع الطرابيشي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣١٧. سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، لأنور الجندي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٣١٨. السنن الإلهية في الأمم والأفراد، مجدي محمد عاشور، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣١٩. السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٢٠. السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، فان فلوتن، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي، مطبعة السعادة، ١٩٣٤م.
٣٢١. الشيخان، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، ٢٠٠٧م.
٣٢٢. الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٩٧٤م.
٣٢٣. الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٦٢هـ.
٣٢٤. ضحى الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
٣٢٥. طبقات النساين، لبكر أبو زيد، دار الرشد، الرياض، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٣٢٦. عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني،
٣٢٧. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٢٨. عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، مرتضى العسكري، المجمع العلمي الإسلامي، طهران، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٢٩. عبقرية خالد، لعباس العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٣٠. عبقرية الصديق، لعباس العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٣١. عبقرية عمر، لعباس العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٣٢. عبقرية مسلم في ترتيب أحاديث مسنده، لحمزة المليباري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٣٣. عثمان بن عفان، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٣٤. العقائد، لمحمد باقر المجلسي، مؤسسة الهدى، ١٤٢٠هـ.
٣٣٥. عقائد الإمامية الاثنى عشرية، لإبراهيم الموسوي الزنجاني النجفي، منشورات المهدي، قم، ط٥، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٣٦. عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، مركز الأبحاث العقائدية.
٣٣٧. عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٣٨. العصمة، لعلي الحسيني الميلاني، مركز الأبحاث العقائدية.

٣٣٩. علم التاريخ، هرنشو، ترجمة عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة. د.ت.

٣٤٠. علم التاريخ ومناهجه، د. سيد أحمد الناصري، مصر، ١٩٨١م.

٣٤١. العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، وعزيز العظمة، دار الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٤٢. العلة وأجناسها عند المحدثين، مصطفى باجو، دار الضياء، طنطا، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٤٣. علي بن أبي طالب، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣٤٤. عمر بن الخطاب، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٤٥. عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، مكتبة التابعين، القاهرة،

١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٤٦. الفتنة الكبرى، طه حسين، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٩هـ.

٣٤٧. فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، محمد الغبان، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٤٨. فجر الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٤٩. فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، د. أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ٢٠٠٩م.

٣٥٠. الفكر الشرقي القديم، لجون كولر، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،

١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٥١. فلسفة التاريخ من منظور إسلامي، لعبد الرزاق قسوم، دار الكلمة، المنصورة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٥٢. في فلسفة التاريخ، لأحمد محمود صبحي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥م.

٣٥٣. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٥٤. القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد الدسوقي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٥٥. قواعد العلل وقرائن الترجيح، لعادل عبد الشكور الزرقي، دار المحدث، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٣٥٦. كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، جاك جونيور، ترجمة: عبد الوهاب بكر، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٥٧. الكشكول، لحيدر الأملي، منشورات الرضى.

٣٥٨. كيف نفهم التاريخ، للويس جوتشلك، ترجمة عايدة سليمان، وأحمد مصطفى، دار الكاتب العربي، مؤسسة فرانكلين، بيروت، ١٩٦٦م.
٣٥٩. كيف نكتب التاريخ الإسلامي، لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٣٦٠. متون سومر، لخزعل الماجدي، الأهلية للنشر، عمان، ١٩٩٨م.
٣٦١. المدخل إلى دراسة علم التاريخ، لحسين محمد سليمان، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٨٤.
٣٦٢. المدخل إلى علم الحديث، طارق عوض الله، دار ابن عفان، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣٦٣. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ليحيى بن إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض.
٣٦٤. المستشرقون، لنجيب العقيقي، دار المعارف القاهرة، ٢٠٠٦م.
٣٦٥. مصر القديمة، لسليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٦٦. المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، لأكرم الفالوجي، دار ابن عفان، القاهرة.
٣٦٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، صنعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣٦٨. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ترتيب: د. أ. ي. ونسك وآخرين، مكتبة بربل، ليدن، ١٩٣٦م.
٣٦٩. الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣٧٠. من ألواح سومر، لصمويل كريم، ترجمة: طه باقر، مكتبة المثني، بغداد، د.ت.
٣٧١. من التلمود، كتاب صدر مع مجلة منبر الإسلام العدد الخامس، السنة ٢٥، جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ/أغسطس ١٩٦٧،
٣٧٢. المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، لمحمد رشاد خليل، دار المنار، القاهرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٧٣. منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث، لبشير علي عمر، وقف السلام الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٣٧٤. منهج البحث التاريخي، د. حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٥م.
٣٧٥. المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، عبد العظيم الديب، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، د.ت.
٣٧٦. منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د. جمال عبد الهادي، دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٧٧. منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد بن شامل، دار الرسالة، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٧٨. منهج المتقدمين في التدليس، لناصر بن حمد الفهد، دار أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٣٧٩. منهج النقد عند المحدثين، لمحمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الكوثر، السعودية، ط٣، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٨٠. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٨١. موقف المستشرقين من الصحابة، سعد بن عبد الله الماجد، دار الهدي النبوي، المنصورة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٣٨٢. نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي، د. عبد العظيم الديب، دار الوفاء، المنصورة، ط١٨، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٨٣. نشأة التدوين التاريخي عند العرب، لحسين نصار، دار إقرأ، القاهرة.
٣٨٤. نشأة علم التاريخ عند العرب، د. عبد العزيز الدوري، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٨٥. النصر لسيد العترة في حرب البصرة، للشيخ المفيد، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ٢٠٠١م.
٣٨٦. نصوص الردة في تاريخ الطبري، محمد حسن آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٣٨٧. نظرات جديدة في علوم الحديث، لحمزة الملياري، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٣٨٨. نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين على ضوء العبقريات، لصالح بن سعد اللحدان، دار راجح، دمشق، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٨٩. نقد الرواية التاريخية عند المسلمين، د. فاروق عمر، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٣٩٠. الوضع في الحديث، لعمر فلاتة، مكتبة الغزالي، دمشق، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٩١. الوهم في روايات مختلفي الأمصار، د. عبد الكريم الوريكات، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

رابعاً: الدوريات:

٣٩٢. أحدث النظريات في فلسفة التاريخ، لعبد الرحمن بدوي، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس، العدد الأول، ١٩٧٤م.
٣٩٣. استخلاف أبي بكر الصديق بين روايات الحديث والتاريخ دراسة مقارنة، د. حمدي شاهين، مجلة ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد ١٥، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣٩٤. التطورية الاجتماعية، لأحمد أبو زيد، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد ٤، ١٩٧٣م.
٣٩٥. التلقين وأثره عند المحدثين، د. محمد بن عبد الكريم عبيد، مجلة جامعة أم القرى، السنة ١١، العدد ١٨، ١٤١٩هـ.
٣٩٦. حاشية على مفهوم محمود شاعر لنظرية ابن سلام النقدية، لعادل سليمان جمال، مجلة معهد المخطوطات، مجلد ٤٢، الجزء الأول، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٩٧. حروف الحلق، لخليل يحيى نامي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٨، جزآن ١، ٢، ١٩٦٦م.
٣٩٨. فلسفة التاريخ، لعبد العزيز الدوري، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثاني، ١٩٧١م.
٣٩٩. نقوش عربية جنوبية، لخليل يحيى نامي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٢، جزء ٢، ١٩٦٠م.
٤٠٠. مجلة التسامح، وزارة الأوقاف بسلطنة عُمان، العدد الأول، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

خامساً: الرسائل العلمية:

٤٠١. افتراءات المستشرقين على الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية عرض وتحليل ونقد، لحسين عبد الباري سليمان، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر.
٤٠٢. المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ، محمد السيد إبراهيم البساطي، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه)، في التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٤٠٣. موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم، لعبد القادر محمد عطا صوفي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١١هـ.

سادسا: المراجع الأجنبية:

- The Encyclopaedia Of Islam, New Edition, Leiden, 2000. .٤٠٤
- A Greek-English Lexicon, LIDDELL - SCOTT, New York, 1897. .٤٠٥
- English-Greek Dictionary, S. C. WOODHOUSE, M.A, London, 1910 . .٤٠٦
- What Is History, E. P. CHEYNEY, University of Pennsylvania, 1907. .٤٠٧
- The Succession to Muòhammad, A Study of the Early Caliphate, Wilferd Madelung, .٤٠٨
Cambridge University Press, 1997.
- Islam from Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople, Bernard Lewis, New.٤٠٩
York, 1987.
- The Caliphate , William Muir, London, . .٤١٠
- The History of The Saracens , Simon Ockley, London, 1890. .٤١١

السيرة الذاتية للمؤلف



.الإسم: أحمد خليل محمد الشال.

.تاريخ الميلاد: ٩ رمضان ١٣٩٨ هـ ، الموافق: ١٣/أغسطس/١٩٧٨.

.مواليد: محافظة بورسعيد/مصر.

.الحالة الاجتماعية: متزوج ويعول.

.البريد الإلكتروني: DrELShaL@yahoo.com

.هاتف: 002 / 01099956371

الدرجة العلمية: دكتوراه في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

المؤهلات العلمية

- ليسانس الآداب، قسم التاريخ، من جامعة المنصورة، ١٤٢٠ هـ ، الموافق: ١٩٩٩ م.
- دبلوم خاص في الدراسات الإسلامية من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م.
- تمهيدي ماجستير في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م.
- درجة الماجستير، في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧ م، بتقدير ممتاز. وموضوعها: رياض الأُنس لعقلاء الإنس، في السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء تحقيق ودراسة.
- درجة الدكتوراه في قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤٣٣ هـ، الموافق: ٢٠١٢ م، بتقدير مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة، وموضوعها: أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره نماذج من الخلافة الراشدة.

أبرز الأعمال والمؤلفات العلمية والبحثية

- حوار على مائدة الحقيقة: كتاب يبحث في تاريخ العقيدة الإسلامية، صدر في السنة النهائية من الليسانس، سنة ١٤٢٠ هـ ، الموافق: ١٩٩٩ م.

- حكم قراقوش، بحث في التاريخ الإسلامي يبحث في شخصية الأمير قراقوش، نشرته الدار الذهبية بالقاهرة سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح، بحث محكم فاز بالمركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة مؤسسة إقرأ الخيرية، في فرع التراجم الإسلامية، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، نشرته الدار الذهبية بالقاهرة سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- الليث بن سعد، بحث محكم فاز بالمركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة مؤسسة إقرأ الخيرية، في فرع التراجم الإسلامية، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- كتاب جمهرة تصانيف العرب، دليل الباحث إلى المطبوع من تراث العرب حتى القرن الرابع الهجري، مجلد في أكثر من ٥٠٠ صفحة. نشرته مكتبة السنة ببورسعيد سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- تاريخ أبي سعيد هاشم بن مرثد الطبراني، تحقيق. نشرته مكتبة السنة ببورسعيد سنة ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.
- علم التاريخ عند المسلمين، كتاب أكاديمي متخصص يعارض كتاب علم التاريخ عند المسلمين للمستشرق فرانز روزنثال، يقع في أكثر من ٣٤٠ صحيفة، صُنف بغرض أن يكون مرجعا لطلاب الدراسات العليا على وجه الخصوص، نشرته مكتبة التوحيد ببورسعيد سنة: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- التاريخ في الإسلام، وهو مختصر للكتاب السابق أراد به المؤلف تقريب محتواه لطلاب النقل وعامة الناس من غير المتخصصين. وطُبع حاليا ضمن مطبوعات مجلة الوعي الإسلامي لحساب وزارة الأوقاف الكويتية.
- مختصر العقيدة البخارية، وبهامشه: هداية القاري بمختصر إرشاد الساري، اختصار وتهذيب وترتيب، نشره مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وتخرّيج، نشره مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد.
- فحولة الشعراء للأصمعي، تحقيق وشرح، نشره مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد.
- عون الباري على تقريب فقه البخاري، تحت الطبع.
- جمهرة أشعار الجاهلية مما صح عن الرواة، يرتب المؤلف فيه ما صح من شعر الجاهلية والمخضرمين مما صح عن الرواة على القبائل، وقد انتهى من تحقيق وترتيب شعر أربع قبائل حتى الآن، وهو تحت الطبع.
- الأصول المنهجية لدراسة العلوم الشرعية، محاضرات ألقى في صورة مجالس في دورة تعقد كل عام بمركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد.

- الرواية التاريخية بين القدماء والمُحدّثين، محاضرة خاصة أُلقيت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتاريخ ٣٠ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ/ ٣١ مارس ٢٠١٤م.
- له مقالات عدة في صحف متعددة محلية وعربية، منها حاليا مجلة الوعي الإسلامي، ومن أهم هذه المقالات مقال رد على باحثة روسية فاز على مستوى العالم الإسلامي في مسابقة جريدة (المسلمون) الإسلامية الدولية.
- شارك ببحوث وورقات بحثية متخصصة، منها ما قُدّم ونشر بأعمال المؤتمر الدولي الثاني للتاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة لعام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، بعنوان: الفتن في عصر الخلافة الراشدة، قراءة جديدة في مناهج المتقدمين وبعض مرويات الفتن عند أهل السنة.
- فاز بعدة مسابقات في مجال البحث والمقالة.
- لديه عدة إجازات في مجال القرآن الكريم والعلم الشرعي.
- شغل منصب عضو لجنة السيرة والتاريخ الإسلامي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف خلال العام ١٣٤٣هـ/ ٢٠١٣م.
- ألقى العديد من المحاضرات العامة والخاصة كما شارك في العديد من الندوات واللقاءات الإسلامية والثقافية مُحدثاً وداعية.
- أسّس مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببورسعيد، ويشغل حالياً مديراً عاماً له حيث تفرغ لإدارته، ويعمل المركز على تدريب وتخرج كوادر علمية أكاديمية متخصصة في مجالات وفروع العلوم الشرعية، فضلاً عن نشاط التحقيقات والبحوث والدورات العلمية في مجالات التراث والدراسات الإسلامية المختلفة، ويشرف بنفسه على هذه الأعمال التي يعد من أوائلها تحقيق تاريخ الحميدي، كما وضع صاحب السيرة بنفسه المناهج العلمية الشرعية التي تدرس بالمركز للناشئة وللكبار معاً. ويلقي بها الكثير من المحاضرات والندوات العامة والمتخصصة.

فهرست المجلدات

٦ مقدمة
٢٤ المجلد الثاني
٢٤ في الرواية التاريخية عند المسلمين
٢٥ المجلد الثالث
٢٥ اصطلاح التاريخ ونشأته علمًا عند المسلمين
٥٥ المجلد الرابع
٥٥ أطوار التدوين التاريخي والأخباري عند المسلمين
٧٤ المجلد الخامس
٧٤ الوضع في الرواية التاريخية
٧٦ المجلد السادس
٧٦ تعريف الوضع
٨٠ المجلد السابع
٨٠ نشأة الوضع وأطواره
١٠٣ المجلد الثامن
١٠٣ أسباب الوضع وطرقه
١٢٦ المجلد التاسع
١٢٦ جهود العلماء في مواجهة الوضع
١٥٥ المجلد العاشر
١٥٥ تفسير التاريخ
١٥٥ الاصطلاح والنشأة وأبرز مدارسه
١٥٦ المجلد الحادي عشر
١٥٦ تعريف مصطلح التفسير ومدلوله
١٥٩ المجلد الثاني عشر
١٥٩ نشأة تفسير التاريخ وأطواره منذ القدم حتى بعثة النبي ﷺ
١٧١ المجلد الثالث عشر
١٧١ تفسير التاريخ في الإسلام
١٩٩ المجلد الرابع عشر
١٩٩ أبرز مدارس التفسير الوضعية ومناهجها
٢١٠ المجلد الخامس عشر
٢١٠ أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند أهل السنة
٢١٩ المجلد السادس عشر
٢١٩ استخلاف أبي بكر الصديق
٢١٩ المطلب الأول

٢١٩	هل استخلف النبي ﷺ أبا بكر قبل موته
٢٤٢	المطلب الثاني
٢٤٢	خبر السقيفة
٢٦٥	المطلب الثالث
٢٦٥	الخلاف حول بيعة الصحابة لأبي بكر
٢٨٥	المطلب الثاني
٢٨٥	موقف عمر بن الخطاب ؓ من خالد بن الوليد ؓ وأسباب الخلاف بينهما رضي الله عنهما
٢٨٩	المطلب الثالث
٢٨٩	استخلاف عثمان وفتنة مقتله ؓ
٢٨٩	المطلب الأول
٢٨٩	استخلاف عثمان ؓ
٢٩٦	المطلب الثاني
٢٩٦	فتنة مقتل عثمان ؓ
٣١٣	المطلب الثاني
٣١٣	خلافة علي بن أبي طالب ؓ
٣١٣	المطلب الأول
٣١٣	استخلاف علي ؓ
٣٢٢	المطلب الثاني
٣٢٢	وقعة الجمل
٣٣٣	المطلب الثالث
٣٣٣	صيفين وقضية التحكيم
٣٣٧	المطلب الثاني
٣٣٧	أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند الشيعة
٣٣٩	المطلب الأول
٣٣٩	الشيعة الأولى
٣٤١	المطلب الأول
٣٤١	أصحاب الإسناد
٣٥١	المطلب الثاني
٣٥١	أصحاب الانتخاب والسر
٣٥٤	المطلب الثاني
٣٥٤	التشيع الغالي
٣٥٤	المطلب الأول
٣٥٤	أصحاب الإسناد
٣٦٢	المطلب الثاني
٣٦٢	أصحاب الانتخاب والسر
٣٦٧	المطلب الثالث
٣٦٧	التشيع الراضى الخبيث
٣٧٠	المطلب الأول
٣٧٠	أصحاب الإسناد
٣٩٠	المطلب الثاني

٣٩٠ أصحاب الانتخاب والسرد
٤١٥ المطلب الأول
٤١٥ أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره عند أصحاب المدارس الحديثة
٤١٧ المطلب الثاني
٤١٧ أثر الوضع في رواية التاريخ ونماذج من تفسيره عند بعض المستشرقين
٤٢٩ المطلب الأول
٤٢٩ استخلاف أبي بكر
٤٣٣ المطلب الثاني
٤٣٣ بين عمر وخالد رضي الله عنهما
٤٣٥ المطلب الثالث
٤٣٥ الفتنة الكبرى
٤٤٤ المطلب الثالث
٤٤٤ أثر الوضع عند أصحاب المدرسة الحديثة من العرب
٤٤٩ المطلب الأول
٤٤٩ استخلاف أبي بكر
٤٥٢ المطلب الثاني
٤٥٢ الفتنة الكبرى
٤٥٩ خاتمة
٤٧١ بما صم عندي من المرويات المتصلة بالنماذج محل الدراسة من عصر الخلافة الراشدة ...
٦٠٢ بنت المطالع والمزاج